

سلسلة
أفلايتصبرون القرآن

الجلال والجمال

في رسم الكلمة
في القرآن الكريم

دكتور

سامح القليني

المجلد والجمال
في رسم الكلمة
في القرآن الكريم

دكتور
سامح القليني

الطبعة الأولى : رمضان ١٤٢٩ / سبتمبر ٢٠٠٨

يطلب من

المؤلف الدكتور/ سامح عبد الفتاح القلينى

E-mail: sameh_kaleeny@yahoo.com

ت : ٠١٠٣٨٤٠٥٠٧

ومن مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية – عابدين – القاهرة

ت : ٢٣٩١٧٤٧٠

والمكتبات العامة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٨/١٧٢٠٠

بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢

المقدمة

الحمد لله موصولاً كما أمراً.... مبارکاً طیباً يستترل الدرراً
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه
أجمعين وبعد:

إن موضوع البحث في وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ليس بالأمر الهين ،
والحديث في خصوصيات رسم الكلمة في القرآن الكريم بصفة خاصة يحتاج إلى بحث
عميق وتدبر طويل وإلى استرجاع لما قاله علماء البلاغة و علماء التفسير و علماء
علم القراءات و علماء علم الصوتيات ، وغيرها من باقى أصناف العلوم التى سنعيش
معها من خلال بحثنا هذا .

والدراسات التى سبقت هذا الكتاب تعتبر نظرات جزئية لاتتناول إلا أمثلة
محدودة لاتعطى تفسيراً شاملاً لهذه الظاهرة الخطيرة ، ولذلك قررت أن أخوض في هذه
المشكلة بكل تفاصيلها بعقل فارغ من أى تعصب ، وغير مدفوع بعقيدة تسيطر على
البحث أو توجه التأويل سوى البحث عن الحقيقة.. بل إنى دخلت البحث من جهة
الشك لأصل إلى الحقيقة المجردة حتى وصلت إلى وجه الحق واليقين الذى سيراه القارئ
عملياً وعلى أرض الواقع بالبرهان والدليل الساطع، الذى ينادى بالمعجزة العليا حتى في
رسم الكلمة في هذا الكتاب المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..
كتاب أحكمت آيته ثم فصلت... ووجدت الصدق الكامل لحديث الرسول الحبيب
(ﷺ) في قوله الشريف عن هذا الكتاب الخالد (لا يشبع منه العلماء ولا تنقضى
عجائبه...).

والبحث في هذا الكتاب العظيم له متعة عقلية وروحية لا يعرفها إلا من
تذوقها، فضلاً عن أنه من أجل العبادات وأمتعها، ومن ذاق عرف .. ومن عرف
بلغ.....!

والبحث في القرآن الكريم هو (إمتاع للعقل وإشباع للعاطفة)، شأنه شأن كل
الأبحاث التى تبحث فيه دائماً - وإن كان هذا البحث من أمتعها وهو بحث جديد وله

جذور عميقة أيضاً - كما سنرى - وأتمنى أن يكون كذلك عندك أيها القارئ وأن يكون خالصاً لوجهه تعالى .

ومما يزيد هذه المتعة إمتاعاً أنها إضافة جديدة لكتاباتى الأخرى عن ألوان أخرى مختلفة من الإعجاز فيه ما فيه من هذه المتع الروحية والعقلية وهو (الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم . . ولماذا التكرار فى القرآن الكريم؟) ، وقد عشت فيه ومعه أمتع أوقات حياتى ، مضيفاً إليه إعجاز القرآن فى اختيار الكلمة بحروفها التى تصور المعنى كاملاً وترسم المشاهد بصوت الكلمة وصوت حروفها ، كأنها لوحة فنية بديعه ، وهو ما نسميه (جرس الكلمة فى القرآن) - والذى سنعيش مع طرف منه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى - وفيه نرى كيف يرسم جرس (صوت) الكلمة المشاهد الحية والمتحركة والناضبة بالحياة بحروف هذه الكلمة المختارة بالدقة البالغة والمدهشة فى القرآن الكريم - المعجزة الخالدة التى لا يشبع منها العلماء ولا تنقضى عجائبه .

ومن الجمال فى هذا البحث والأبحاث الأخرى فى القرآن الكريم أن يكون اعتمادنا بالصفة الأساسية على النص القرآنى نفسه بالدرجة الأولى ، مستصحباً معه آراء أعظم المفسرين وعلماء البلاغة وعلماء علم القراءات ، وقد تحريت على قدر الإمكان أن يكتب هذا البحث بطريقة سهلة وميسرة ، وبلغة بسيطة يفهمها القارئ البسيط أيضاً والذي ربما لا يستسيغ القراءة أو السماع لعلم النحو ، أو علم القراءات ، أو البلاغة العربية بصفة عامة والبلاغة القرآنية بصفة خاصة .

وقد تأخرت كثيراً فى طبع هذا البحث ، بل لقد قمت بإصدار كتب أخرى مثل كتب (مقارنة الأديان ، الرد على الشبهات) كنت أعتبرها فى المرتبة الثانية فى مرتبة الأولويات ، وكنت أنوى تأخيرها ، وذلك لإحساسى بعظمة وهيبة وجلال الحديث فى هذا الكتاب المعجز - القرآن الكريم - ، ولشعورى الدائم أننى كلما ظننت الانتهاء والإكمال لهذا البحث أو غيره ، أجد أننى لم أوف هذا الموضوع قيد أمثلة من حقه ، وأتيقن تماماً أننى ما زلت مقصراً فى حقه ، وكلما ازددت ادعاءً بعلمى لبعض أسراره كلما ازددت إحساساً بجهلى وعجزى ، وأنه مازال هناك الكثير والكثير قبل نشره ، وإحساسى و يقينى - أيضاً - أن هذا البحث لا يقوم به فرد واحد ، بل ولا جيل واحد من الأجيال ، ولكنه يحتاج إلى جهد أجيال متعاقبة ، ولن يوفوا أيضاً هذا الإعجاز حقه ، وسيظل إعجازه إلى أن تقوم

الساعة، وصدق أستاذنا الدكتور (فاضل السامرائي) حيث يقول عن اللفظ القرآني: (...)
كل ذلك يضعه المولى وضعاً فنياً في غاية الروعة والجمال. ثم هو يجمع بين ضروب القول
المختلفة ويؤلف بينها في حشد فني عجيب لا يملك العارف بشئ من أسرار التركيب إلا
أن يسجد لصاحب هذا الكلام إجلالاً وخشوعاً: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)
الزمر.

لقد درس التعبير القرآني دراسات مستفيضة ، وأولى من النظر ما لم ينله نص
آخر في الدنيا. فقد درس من حيث تصويره الفني فكان أجمل تصوير وأبرع لوحة فنية،
ودرس من حيث نظمه وموسيقاه، فكان أروع عقد منظوم وأعذب قطعة فنية موسيقية،
وهل يشك أحد في فخامة نظمه، وحلاوة موسيقاه ، وعذوبة جرسه، وحسن اختيار
ألفاظه ، وجمال وقع آياته؟!!

ودرس تناسب سوره سورة سورة ، وتناسب آياته آية آية ، وتناسب فواتح
السور وخواتمها، فكان قطعة فنية واحدة محكمة الربط فخمة النسيج، وكان كما قال
الفخر الرازي: إن القرآن كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض ، بل هو كالأية الواحدة.
ودرس من حيث إعجازه فكانت جوانب إعجازه لاتحصى؛ أهو في أسلوبه
وتعبيره، أم في تشريعه وفقهه، أم في معالجة جوانب الحياة المختلفة على أكمل وجه وأبهي
صورة، أم في إخباره عن الأمم الماضية والأقوام البائدة ؛ أم في إخباره عما سيقع ؛ أم فيما
قرره من حقائق علمية وكونية يكشف الناس على مدى الدهر قسماً منها، أم فيما وضعه
من قواعد وأصول التربية ومعرفته بأدواء القلوب والنفوس، أم فيما ذكره من سنن التاريخ
والخلق، أم فيما ذكره من أصول علم الاجتماع، أو غير ذلك وغيره، أم هو في كل ذلك
وأشياء أخرى فوق ذلك؟!!

أهو كتاب لغة، أم كتاب أدب، أم كتاب تشريع، أم كتاب اقتصاد، أم كتاب تربية، أم
كتاب تاريخ، أم كتاب اجتماع، أم كتاب سياسة، أم كتاب عقائد، أم هو كل ذلك
وفوق ذلك؟!!

عجيب أمر هذا الكتاب! يراه الأديب معجزاً، ويراه اللغوي معجزاً، ويراه أرباب
القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء

النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزاً، ويراها علماء الاجتماع معجزاً، ويراها المصلحون معجزاً، ويراها كل راسخ في علمه معجزاً.

لقد كشف لهم وهم يبحثون في وجوه إعجازه عن بحار ليس لها ساحل، وغاصوا في لجج ليس لها قعر، وكل عاد بلؤلؤة كريمة أو عقد تنظيم ، وبقيت ثمة خزائن تفوق الحصر لم يلجها الواجبون، وكنوز لا يطيقها إحصاء، لم تمتد إليها الأيدي، تفتى الدنيا ولا تفتى، ويلى كل جديد ولا تبلى، فيها من عجائب صنع الله ما لو اطلعت عليه لم تعرف كيف تصنع ، ولا استبد بك عجب لا ينتهي ، وتمكن منك انبهار لا ينقضى ، ومفتاح ذلك تدبره والنظر فيه ، فامنحه شيئاً من التدبر والنظر يمنحك من أسراره ما لم يكن منك ببال، إنه يعطيك أضعاف ما تعطيه.

إن هذا الكتاب يمنح من نظر فيه وتدبره خزائن بغير حساب ، ويفتح الله عليه من لطفه ما يجلب عن الوصف ، فلا تضيع هذه الصفقة الراجعة وإلا فأنت والله مغبون. أدركت الآن سر قوله تعالى: **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ؟!** أما إنهم لو تدبروه لفتحت أقفال القلوب، ولان ما كان عصياً من الأفئدة ، ولأوقدت مصابيح عهدتها بالنور، وأشرقت دروب لم يسقط عليها فيما مضى نور، ولحيت نفوس ما عرفت قبل ذلك حياة.

ألم يسمه الله نوراً؟ فقال: في سورة النساء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤)).

أو لم يسمه الله روحاً؟ فقال: في سورة الشورى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)).

فهو روح ونور، وهل بعد ذلك شيء، وهل قبله شيء؟ ليت شعري هل يفقه الناس؟! ألا ليت الناس يفقهون .) انتهى من التعبير القرآني.

وأعود وأكرر: إن البحث في رسم المصحف الشريف قضية ليست ككثير من القضايا: فهي جلاله قدر ، وخرج مسلك ، وهيبة مقام. فهي تعرض للقرآن الكريم في بعض كلماته وتبين معناه ، ونحاول بالنظر الصحيح والرأى الرشيد أن نصل إلى بعض أسراره، ولاندعى الوصول ولكنها محاولة للوصول إلى كلمة سواء يصح الأخذ بها والاطمئنان إليها، وما كان لقضية كهذه أن يسهل صعبها، ويدنو بعيدها، إلا يجلب من الله

ومدد من عونه، وعلى نور من هداه. فلم يكن إلا أن أرجع إليه - سبحانه - خاشعاً متضرعاً أسأله - عز شأنه - أن يجنبني فيها زيغ القول ويعصمني من خطل الرأي وياعد بيني وبين التكلف والاعتساف.

وقد تعمدنا في بحثنا هذا على أن يجمع بين القديم والجديد؛ وأن يكون محاولة تأصيلية نسمع فيها آراء العلماء القدامى وعلى رأسهم الإمام: المراكشي، الزركشي، السيوطي وغيرهم من فطاحل وأئمة التفسير والبيان من علمائنا الأجلاء.

وفي أثناء عملية التأصيل هذه قمنا باختيار ومناقشة أساتذة عظام لهم باع عظيم وعلم غزير في علوم البلاغة والقرآن، ولهم إخلاص وغيره على كتاب الله عز وجل، وكان في مقدمتهم أستاذنا العظيم الدكتور: (عبد العظيم المطعني) أستاذ البلاغة والنقد بالأزهر الشريف وصاحب المكتبة القرآنية العظيمة ومؤلفاته الكثيرة (ومنها: خصائص التعبير القرآني، والحجاز في القرآن الكريم وهو مجلد يصل إلى ألف صفحة، دراسات جديدة في إعجاز القرآن، وسلسلة ردود إسلامية).

وقد اخترنا عرض ومناقشة مقالاته التي كتبها حول هذا الموضوع (خصوصيات الرسم العثماني) والتي قام بنشرها على صفحات مجلة منبر الإسلام في خمس وعشرين مقالة بدأها من ديسمبر ٢٠٠٠.. لأن فضيلته قد قام بعرض آراء علمائنا القدامى الذين ذكرنا أسماءهم، ولكنه عرض أدبي مبسط - أغنانني عن تكرار قولهم -، وقام في بعضها بإضافة رأيه الخاص أيضاً، وقد كنا في بداية البحث نود أن نعرض لرأي أجلة علمائنا القدامى ولكن كفانا ذلك أستاذنا المطعني - وهو أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأزهر الشريف وله أسلوبه الأدبي المميز وقد عاش أطراف المحنة التي تنادى بتغيير الرسم العثماني - رسم المصحف - وادعاء خلوه من الحكمة -، مع مراعاة أننا سنتعرض لما تركه من أقوالهم، وسنناقش ما عرضه من آراء وما تركه من استنباطات رغبة في محاولة منا للوصول إلى عرض كامل وشامل للقضية على قدر الإمكان - كما ستري ذلك عزيزي القارئ -.

وفي أثناء عرضنا في هذا البحث لم ننس إشراك أفاضل علمائنا في هذا العصر من فرسان البيان وعلماء البلاغة واللغة من أمثال أستاذنا العملاق الأستاذ الدكتور (فاضل السامرائي) صاحب المكتبة القرآنية والنحوية العظيمة والتي منها: (معاني النحو وهو في أربعة مجلدات، والتعبير القرآني، وبلاغة الكلمة) وغيرها من الكتب والمقالات التي تشير إلى المكانة العالية لصاحبها في علم البلاغة والبيان.

وقد قمنا في أثناء بحثنا هذا بالتعرض لبعض وأهم الكتب التي يشير إليها بعض العلماء الأحياء لنا ، ولكنها تسير في الاتجاه المعاكس لمنهج بحثنا هذا ، مراعاة منا لسماع كل ما قيل من الطرف الآخر ومناقشته على أرض الواقع ، وأشهد الله تعالى أن هذه المناقشة ما كان من هدف منها إلا ابتغاء وجه الله تعالى والبحث عن الحقيقة والوصول إليها ، ونكن لكل هؤلاء العلماء كامل التقدير والاحترام .

وكان من هذه الكتب كتاب (رسم المصحف دراسة تاريخية) للدكتور (غانم قدوري) .. وقد اخترناه لمكانته التي أشرنا إليها ، وقد كان عبارة عن رسالة دكتوراه، وهو أكثر من سبعمائة صفحة، واخترنا مناقشته لما رأيناه من الضرورة القصوى لإتمام بحثنا وإكماله، ولتكون الصورة واضحة دون إهمال لرأى الطرف الآخر.. وسنرى كيف يتناقض هؤلاء في أقوالهم وهم يناقشون القضية بعيداً عن أرض الواقع ، وبدون استجلاب النصوص ومقارنتها . فهو يقول رأياً ويعلم أن آلافاً غيره يقولون بغير هذا الرأى التاريخي غير الموثوق فيه - كما يذكر هو ، ويرجح - .. وليس في ذلك شيء من الحقيقة التي تطمئن بها النفس - كما سنرى - ..

وسنقوم في بحثنا هذا بمناقشة هؤلاء الذين توهموا أن هذا الرسم القرآني خطأ من الكاتب ، وهؤلاء الذين قالوا بأنه سرٌّ من الأسرار لا يعلمه إلا الله مثله مثل الحروف المقطعة في بداية بعض السور، وهؤلاء الذين حاولوا الوصول ولكن قصر باعهم وأعلنوا أنه إعجاز عظيم يحتاج إلى جهد أجيال وأجيال وليس جيل واحد أو فرد واحد.

ولكنني أسأل هؤلاء الذين توهموا أن هذا الرسم القرآني خطأ من الكاتب : لماذا لم يحدث ذلك العجز والخطأ الكتابي أو التطور الكتابي!! - كما يسميه هو - في كتابات كانت معاصرة لكتابة القرآن الكريم - وبنفس أيدي كتبة الوحي - مثل أحاديث النبي (ﷺ) التي سجلها العلماء وحفظوها لنا؟ بل لماذا بقيت هذه الكتابة محفوظة في رسائله (ﷺ) للملوك والأمراء مثل المقوقس وملك الحبشة وغيرهما، والتي سجلها التاريخ بحروفها كما هي، وقد كتب النبي (ﷺ) فيها كلمات مخالفة لما هو في الرسم القرآني مثل كتابته كلمة (الكافرين) بالألف، وهي مكتوبة في القرآن بدون ألف

(الْكَافِرِينَ) .. وكتب النبي (ﷺ) الآية: وكلمته (ألقاها) بالألف .. وهى فى القرآن بدون ألف (أَلْقَنَهَا)..... وكان يكتب لهم (يا أهل الكتاب) بالألف رغم أنها فى كل القرآن مكتوبة بدون ألف (يَتَأَهَّلَ أَلْكِتَابِ) ،....، ونقول له أن الكتابة هم الذين كتبوا الوحى أيضا بأيديهم وفى نفس هذه الحقبة التاريخية ، وفى زمن وجود النبي (ﷺ). بل ونعيد عليه السؤال مرات ومرات : لماذا كتبوا فى القرآن نفسه أسماء سور القرآن (بالألف) بطريقة مخالفة لرسمها القرآنى التى كتبت جميعها (بدون ألف) مثل: الصافات ، والحجرات ، والذاريات، والمنافقون، والطلاق، القيامة ، والإنسان ، والمرسلات ، والنازعات والغاشية والعاديات والكافرون وغيرها(جميعها كتبت فى عنوان السورة بالألف) رغم ورودها فى الرسم القرآنى فى بداية وداخل السورة بدون ألف، وكتبهم هو هو كاتب الوحى أيضاً..، وكذلك كتبوا عنوان سورة الليل بلامين وهى مكتوبة فى القرآن كله بلام واحدة (الليل).. فلماذا لا يتأثر كل ذلك - ومعه رسائل النبي (ﷺ) - بهذا المنهج التاريخى الذى يشير إليه كاتبنا دائماً ، ويلغى أى فكرٍ آخر تنطق به النصوص وينطق به رسم الكلمات كما سنرى .

وقد قمنا فى هذا البحث بالتعرض لنوع آخر من أنواع الإعجاز فى القرآن الكريم وهو ما نطلق عليه "جرس الكلمة" ، وسنرى على عجلة كيف أن حروف الكلمة ترسم - بصوتها - المشهد الذى تعبر عنه هذه الكلمة - صوتاً وصورة - بإعجاز لم يسبق له مثيل (٤)

وكما يقول الدكتور عيد الطيب فى كتابه (فى فقه اللغة من قضايا الدلالة): أن الدلالة الصوتية تتمثل فى ماثلة جرس الأصوات ورنينها لجرس الحدث ورنينه عندما يكون الحدث من المحسات بحاسة السمع.. وقد تكون هذه الدلالة العرفية قائمة على حسن الاختيار ودقته ، ويتمثل ذلك فى الآتى:

(١) مناسبة صفات الصوت للمعنى.

(٢) مناسبة زمن الصوت لزمن الحدث.

(٣) مناسبة صيغة اللفظ للمعنى.

(٤) زيادة المبنى لزيادة المعنى.

وسنرى ألواناً أخرى - فوق ما ذكره أستاذنا- وسنرى أن هذا النوع من الإعجاز لا يفصل عن الإعجاز فى رسم الكلمة من زيادة حرف أو نقصانه ، أو فتح

الناء أو قبضها، أو غير ذلك مما سنعيشه في بحثنا هذا إن شاء الله ، بل إننا سقنا هذا البحث "جرس الكلمة" لأنه عنصر هام ومكمل ولا ينفصل عن موضوع كتابنا هذا ، وأنه من نفس المصدر الذي جاء منه باقى أنواع الإعجاز وعلى رأسها الإعجاز الصوتى والبلاغى. ولعله من المفيد أن يعلم القارئ نبذة سريعة عن موضوع البحث في رسم الكلمة على هذه الصورة المخالفة لرسمها المعتاد :

(١) فأحياناً تعلق نبرة الحديث في السياق فنجد إضافة الألف في الكلمة ، وأحياناً أخرى قدأ نبرة الحديث فتحذف الألف - كما حدث في رسم كلمة "سبحان"؛ حيث كتبت في سورة الإسراء بالألف الظاهرة، حينما كان السياق ملتجهاً وعلى النبرة في مجادلة القوم مع النبى (ﷺ) ورده القاطع والحاسم عليهم.... وفي باقى الآيات في السورة وفي السور الأخرى حينما كانت النبرة هادئة ودعوة للتسييح فقط حذف الألف فكتبت (سُبْحَانَ) في آيات كثيرة سنعيشها في بحثنا هذا إن شاء الله.

(٢) وأحياناً يقوم رسم الكلمة برسم صورة للهدم والإفناء فتحذف الحرف من الكلمة، وترسم صورة البناء والتشييد فتزيد الحرف (راجع بحثنا عن : تراباً بالألف وبدون الألف ، عظاما بالألف وبدون ألف.. وغير ذلك).

(٣) وأحياناً ترسم الكلمة الصورة المادية فتضع الألف ، وأحياناً ترسم الصورة المعنوية أو الغيبية أو الملكوية فتحذف الألف (راجع على سبيل المثال: القواعد بألف وبدون ألف، وغيره).

(٤) وأحياناً تفرق الكلمة بين المجاز والحقيقة في الكلمة والمشهد المعروض وذلك بحذف الألف أو وضعه ؛ فترسم صورة لمشهد المجاز بحذف الألف ، ثم تعود بنفس الكلمة فترسمه على الحقيقة بإضافة الألف.

(٥) وأحياناً ترسم الكلمة صورة للمشهد السريع أو المتناقص بحذف الألف ، والمشهد المتباطئ أو الكامل بوضع الألف (ويدع الإنسن..).

(٦) وأحياناً ترسم صورة المشهد أو الفعل المتحرك بإضافة الألف، وترسم صورة المشهد الساكن بحذف الألف (كمثال: باسط - بالألف وبدون الألف.. وغيره).

(٧) وأحياناً ترسم خفة الحدث بخفة الحروف ، وثقل الموقف أو تفخيمه بزيادة حرف أو أكثر (جزاء، جزاؤا.. دعاء ، دُعْتُوا،... الضعفاء ، أَلْضَعَفْتُوا.. أبناء ،

أَبْتَتُوا...البلاء ، أَلْبَتُوا... أَلَّوْا ، الربا ، أَلْبَتُوا...وراء حجاب ، مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ .. وهكذا الكثير).

(٨) وأحيانا يفرق رسم الكلمة بين صورة الفعل وصورة الاسم (نعمة الله لا تحسوها... نعمت الله لا تحسوها ، رحمة ، رحمت...سنة ، سنت...امرأة ،

إمرأت...شجرة الزقوم ، شجرت الزقوم... جنة ، جنت...).

(٩) وأحيانا ترسم الكلمة صورة الفراه الهادىء والمريح (تعبير عنه بحذف الألف - (الأَرْضَ مَهْدًا-) وترسم اشتعاله واضطرابه والتقلب عليه بإضافة الألف (لهم

من جهنم مهاد).

(١٠) وأحيانا تلفت النظر إلى الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق بإضافة

الحرف أو حذفه ، بل وبين صفات الخالق نفسها مثل (تَبَرَّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي

الْجَلِيلِ وَالْإِكْرَامِ) فالأولى (الجلال) بدون ألف والثانية (الإكرام) بالألف، و(تبارك) بالألف وبدون ألف.. وهكذا.

وأحيانا تفرق بين أفعال الخالق وأفعال غيره (طائف من ربك ، طَئِفٌ مِّنْ

الشَّيْطَانِ) وغير ذلك تحت هذا العنوان.

بل أحيانا ترسم شجرة العائلة رسماً مبهرأ من (الأبناء ، والوالدة والوالدين

والأخوات والعمات والخالات والزوجات والصاحبة.. وكل هذه الصور من

العلاقة في شجرة العائلة بدقة رهيبه نراها في بحثنا هذا تحت هذا العنوان

(شجرة العائلة كما رسمها القرآن بحروف الكلمة).

(١١) وتفرق بين المادى والمعنوى (لدا الباب ، القلوب لدى الخناجر).

(١٢) وأحيانا تعبر عن نقص الحدث بصورته وبزمنه وذلك بحذف الحرف ، وتعبر

عن اكتماله بإضافة الحرف.

(١٣) ومن الإعجاز أيضاً أن تُرسم الكلمة رسماً يجمع بين وجوه القراءات المختلفة

بصورة مذهشة ؛ كما سنراه تحت عنوان (مدخل إلى إعجاز الرسم من خلال

القراءات والإمالة)؛ وكأن هذا الرسم للكلمة يؤلف بين هذه القراءات وبين

ألسن العرب.

(١٤) والرسم القرآنى يفرق بين المشهد التصويرى الحالى وبين حكاية حال غائبة أو

ماضية .

وهكذا يفرق أيضاً بين شدة وضراوة المشهد ، ولين وهدوء الموقف الآخر ، وبين مشهد السرعة ومشهد البطء والهدوء ، ، ويفرق بين مشهد النصح باللين أو التعنيف والشدة ، وبين موقف تعلو فيه نبرة التهديد والوعيد وعذاب جهنم ، وبين آخر يسود فيه موقف البشارة والتبشير ، بل أحياناً يرسم صورة الشيء المتحدث عنه بارتفاعه أو انخفاضه ، أو إذا كان يحتاج الستر والإخفاء أو الظهور والاستعلاء ، ويرسم بحروف الكلمة عمق الشيء أو سطحيته ، ويرسم بحرف الكلمة ورسم حروفها ما إذا كانت الكاميرا المصورة هنا تصور على الأرض أم تصور في السماء ، أو يرسم الكلمة على صورة الفعل نفسه : فإن كان الفعل يشير إلى الهدم والإفناء كتبت بغير الألف (القواعد ..) ، وإن كان عكس ذلك كتبت بالألف .

وكذلك يصور صورة الفعل والصفة : إن كان فعل حركة ، وحركة إيجابية ، كتبت بالألف ، وإن كان يشير إلى السكون أو حركة سلبية كتبت بغير الألف ، (باسط ، عامل) وهكذا)).

وفي دراستنا هذه سنتعرض لبعض هذه الكلمات القرآنية التي جاء رسمها مخالفاً للقواعد الإملائية المتعارف عليها ، ونحاول أن نتلمس وجه الحكمة في ذلك كما يقول صاحب كتاب الإبريز "للشيخ عبد العزيز الدباغ" عن رسم الكلمة في المصحف: وهو سر من الأسرار خص الله بها كتابه العزيز دون سائر كتبه السماوية.. وكما أن نظم القرآن معجز فرسه أيضاً معجز.. وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية.. وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لاتدرك إلا بالفتح الرباني ، فهي بمتزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور، فإن لها أسراراً كثيرة ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف.. (من مناهل العرفان للزرقاني).

وسنحاول في بحثنا هذا إشراك القارئ الكريم معنا في البحث والغوص في بعض أسرار اللفظ القرآني والرسم القرآني للكلمة ، وسنعيش معاً أمتع لحظات العمر ، كما هو شأن القرآن دائماً الذي عودنا على الجمال والكمال ، وعلى إمتاع العقل وإشباع العاطفة ، وكما قال الحبيب (ﷺ):... لا تزيف به الأهواء..، ولا تنقصي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد))

ولعل من المدهش أن نرى صورة هذا الإعجاز في رسم الكلمة في بداية أول آية في كتابه الكريم في قوله تعالى (بسم الله) وقد كتبت (بسم) بدون ألف ، رغم ورودها في سياقات أخرى مثل (باسم ربك...) وقد وضع فيها الألف .. ويظل دائما السؤال في رحلتنا هذه : لماذا تم هذا ؟ وما الحكمة في ذلك ؟ حتى لانكرر هذا المعنى في كل مثال، وعلى سبيل المثال:

(١) لماذا كتب (كتاب) مرات بالألف ومرات بدون الألف ، وهكذا كلمة (قرءان) بالألف ومرات أخرى بدون ألف ؟ بل إن الأمر ليتطور إلى أعلى من ذلك ليكون السؤال هو: في مقدمة سورتي النمل والحجر - على سبيل المثال - لماذا قال في الحجر: الرتلك آيات الكتب وقرءان مبین (١) وفي النمل: طس تلك آيات القرآن وكتاب مبین (١)، فقدم في الحجر (الكتب) ورسمه بدون ألف وأخر في النمل (الكتاب) وكتبه بالألف ..

فلماذا حدث ذلك ؟ وهل هذا المذكور يتناسب مع ظل ورسم مشاهد كل سورة رسمت فيها هذه الكلمة بتلك الصورة؟؟ أو هل هذه السورة (جميعها) تحتاج هذه الرسمة وهذا التقديم بخلاف السورة الأخرى ؟ هذا ما سنجيب عنه بالتفصيل في داخل البحث ، وقد كان هذا السؤال من بعض أسئلة الإخوة المشاهدين لى على قناة البركة الفضائية. إضافة إلى بعض الأمثلة الأخرى مثل:

(راء) في آيات كثيرة و(رأى) في آية واحدة....

و(سموات) في كل القرءان بدون ألفين ، ماعدا آية فصلت كتبت (سموات) أظهر فيها الألف الثانية..... (بأيد سفرة) بياء واحدة و(السماء بنيها بأييد) بياءين، (بأيكم)، و(أيكم) ... (أفأين مات) وحقها أن ترسم (أفإن) .. (إن) .. (آناء الليل) و(ءاناء الليل).... و(إيتاء الزكاة) (أيتاء ذى القربى).

(أيها..) و(أيه) ... (صاحبه ، صحبه).....

(الرسولا) وهي لاتكتب بالألف أبداً إلا في هذا الرسم القرآني ، والأخرى (الرسول)..... وهكذا (السيلا) و(السييل) .. و(الظنونا) و(الظنون).... و(جاء) و(وجاء) و(الصلوة ، الزكوة، والنجوة، الغدوة).... و(بالولدين إحسانا) وأخرى (وبالولدين إحساناً) (جعل الأرض مهـداً) (لهم من جهنم مهـاد) و(هاجر) جميعها بالألف و(جهد) جميعها بدون ألف حتى لو كتبنا في آية واحدة أو في آيتين منفصلتين.

تراب .. (تُرَابًا) .. ومثلها (عظاما) و(عِظْمًا) ومثلها (الغمام) و(الْغَمَم).....(الرياح) و(الرِّيح) وقرءتا بصيغة واحدة وهى الجمع.....
 (القواعد) و(الْقَوَاعِد).....(شاهد ، شاهد).... (بأفواهكم، بافوهكم).... ويقول للزوجين (إن يريدنا فصلاً) ، وفي فطام الأم لطفلها: (وفصله في عامين).... (سعوا في آياتنا معجزين) بالألف في نهاية الكلمة (سعوا)، ووردت بنفس هذا النص ولكنها بدون ألف في (سعو).... (إسطعوا) و(استطعوا).... و(طغى) ، (طغا) والنطق واحد.. (سراجا) و(سرجاً).... (للطَّافِينَ وَالْعَافِينَ...)،... (وَالْكَبِيمِينَ الْعَظِيمِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ).

وهكذا كلمة (كذابا) بالألف و(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا) بدون ألف والنطق واحد... (وجاوزنا) و(وَحَوِّزْنَا).... (ولاتك في ضيق) و(ولاتكن في ضيق).... ، (ساحر) و(سَاحِرٍ).... (واشهد بأننا) و(واشهد بأننا).... و(ليكونن...) و(ليكوناً من الصاغرين) و(لنسعفاً).... و(إبرهيم) في كل القرآن بالياء بعد الهاء، ماعدا سورة البقرة (إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدُ) بدون ياء.... و(الليل) بلام واحدة - أى أن الكلمة ناقصة ، بخلاف (النهار) جاءت كاملة. الْقَوَاعِدُ، وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ.... (نبغى) و(نبغ).... و(يأتى) و(يأت).... (واخشونى) و(واخشون) (عسى ربي أن يهدينى) ، (عسى أن يهدين ربي) حذف حرف الياء من "يهدينى" وتقديم ربي في الآية الأولى.... (ثم كيدون فلا تنظرون.. فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون). وهكذا فى أمثلة أخرى للحذف مثل:

(يدعوا) و(يدع) بدون وجود حرف جزم قبلها يستدعى حذف الحرف .. وهكذا (يمحو) و(يمح)

ونوع آخر من الإعجاز فى رسم الكلمة سنعيشه فى بحثنا هذا وهو فتح التاء وقبضها مثال:-

(رحمة) و(رحمت) .. و(نعمة) و(نعمت).... و(شجرة الرقوم) و(شجرت الرقوم) ، (سنة) و(سنت) ، (لعنة ، لعنت) ، (جنة ، جنت) ، (إمرأة ، إمرأت).

وهكذا الكثير والكثير الذى سنعيشه فى داخل البحث فى رحلة ممتعة ومشبعة مع لون عظيم من إعجاز القرآن ، وسنحاول أن نكفى الموضوع حقه - وإن كان هذا

بالطبع غير مستطاع ولا ندعيه - ولكنها محاولة لأن تكون دراسة مشبعة للقارئ ومتكاملة على قدر الإمكان ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .
وصدق العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي حيث يقول :

والخط فيه معجز للناس وحائد عن مقتضى القياس
لاقتدى لسره الفحول ولا تحوم حوله العقول
قد خصه الله بتلك المترلة دون جميع الكتب المترلة
ليظهر الإعجاز في الرسوم منه كما في لفظه المنظوم

ويظل هناك سؤالاً دائماً يسأل وهو : هل رسم المصحف هذا توقيفي من الله والرسول محمد (ﷺ) - أى أمر برسمه على هذه الصورة - ، أم أنه توقيفي عن الصحابة رضوان الله عليهم؟ وهنا اختلف العلماء في ذلك ولكنهم أجمعوا على حرمة تغيير هذا الرسم ، ونقل الزركشى والإمام الدانى ما ملخصه: وقال أشهب سئل مالك رحمه الله هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء فقال لا إلا على الكتابة الأولى ، رواه أبو عمرو الدانى في المقنع ، ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة.

وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك فقال لا ، قال أبو عمرو يعنى الواو والألف المزيديتين في الرسم لمعنى ، المعدومتين في اللفظ ، نحو الواو في أولوا الأبواب وأولات والربوا ونحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك

وقالوا عن رسم المصحف أن الصحابة قد أجمعوا جميعهم على هذا الرسم ((ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق))

ولذلك أرى أن أقل ما يقال في ذلك أنه توقيفي عن الصحابة (إثنى عشر ألف صحابي) رضوان الله عليهم وأنهم أجمعوا على ذلك الرسم، ويكون ذلك - على أقل تقدير - بمثابة وحى من الله لهم لحفظ أعظم كتاب في الوجود برسمه وحروفه كما هو - محتويًا على أسرار في رسمه ستظل شغل العلماء إلى أن تقوم الساعة مثله مثل باقى أنواع ونواحي الإعجاز الأخرى ، وهذا تصديقاً لقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر. ويكون إلهام للصحابة أو وحى من الله لهم بذلك كما أوحى للحواريين في قوله تعالى {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ} (١١١) سورة المائدة.

وهذا التوقيف عن الصحابة - على أقل تقدير - لا يقلل من شأن هذا الإعجاز كما يتخيل ذلك البعض ولكنه كما يقول العلامة الدكتور عبد الله دراز في موقف مشابه وقضية مشابهة وهي ترتيب سور القرآن وكان نفس التساؤل وقد كان يرى أن ترتيب السور - كما هو في المصحف الشريف لدينا - هو كما رتبها الله تعالى - وليس توقيفي على الصحابة ، ولكنه قال بغد ذلك قاطعاً للجدل: ونعود الآن فنفترض جدلاً أن ترتيب السور لو لم يكن بتوقيف إلهي ، ولا بتوقيف نبوي ، وأنه كان من عمل الصحابة باجتهاد منهم، ألا يكفينا في حرمة وقداسته أنه استقر عليه إجماعهم وإجماع المسلمين من بعدهم.. (وهذا الكلام نردده أيضاً لهؤلاء الذين ينكرون خصوصية الرسم القرآني والذي هو على أقل تقدير توقيف من الصحابة وأجمع عليه جمهورهم).

ثم ذكر حسد اليهود والنصارى لنا على حفظ الله القرآن كما هو لا يختلف فيه حرف واحد عند سني ولا شيعي منذ أربعة عشر قرناً.. وعلى انفصال بعض كلمات شأنها أن توصل، واتصال كلمات شأنها أن تفصل، ونحو ذلك من الرسوم القرآنية المخالفة للرسم الإملائي المقرر في كتب النحو والصرف، ويستدلون ببقاء هذا كله في المصاحف الإسلامية - برغم اختلاف العصور وتطور العلوم - على مبلغ القدسية التي أحاط بها المسلمون كتابهم من أول يوم، وعلى أن النص الذي تلقوه من نبيهم (ﷺ) بقي كما هو لم تنله يد قط بأدنى تغيير أو تبديل، مع وجود الحاجة إلى بعض التعديلات تسهياً على المبتدئين..

وفي النهاية نترك هذا الجدل النظري ونعيش مع التطبيق العلمي لهذا الإعجاز على أرض الواقع ونسأل الله أن يعصمنا من الدلل وأن يمن علينا بفضلته وكرمه .

الجزء الأول

(١)

التمهيد وخطة البحث

وقبل أن نبدأ الشرح والتوضيح نبين للقارئ أن خطة هذا البحث ستكون

كالاتى:

أولاً: سنحاول التعرف على آراء علمائنا القدامى وعلى رأسهم الإمام المراكشى والزرركشى والدانى والسيوطى وغيرهم من الذين خصصوا أبواباً عن رسم المصحف وتناولوه بصورة مباشرة، وقد قمنا فى بداية الأمر بتلخيص آرائهم وأقوالهم والتعليق عليها؛ سواء بالموافقة أو الاعتراض أو النقص أو الزيادة، ولكننا لاحظنا أن أستاذنا العظيم الدكتور عبد العظيم المطعنى قام بهذه المهمة بالعرض والتهذيب والتبويب بطريقة بلاغية رفيقة - كما عدته أكرمه الله تعالى - وهو أستاذ البلاغة والنقد بالأزهر الشريف وعملاق من عمالقة الفكر واللغة، وله إخلاص وحب عميق لكتاب الله عز وجل والدفاع عنه فى كل ميدان (سواء إظهار إعجازه وبلاغته، أو رد الطعون عنه مع أكابر المفرضين فى الداخل والخارج)، ونحن إن كنا تناولنا مقالاته - لحسن تبويبها أيضاً - مما يعطى البحث صورة التكامل والتنظيم - على قدر الإمكان - فقد قمنا بعرض هذه المقالات التى كتبها فى مجلة اللواء الإسلامى على هيئة مقالات شهرية، ولاحظنا فيها التأنى من كاتبها والاعتماد على آراء هؤلاء العلماء القدامى الذين أشرنا إليهم، مع إضافته لبعض توجيهاته وأفكاره التى سئمتنا تارة، وتحتاج منا التعليق أو التعديل أو الحذف أو الإضافة تارة أخرى، وسيرى القارئ أننا بهذا المسلك سنكون قد أوفينا الموضوع حقه على قدر الإمكان، لأنه ليس لنا ولا للأمة جميعها أن يصلوا إلى الوفاء الكامل بحق هذا اللون وغيره من ألوان الإعجاز القرآنى، وسيظل دائماً نبعاً فياضاً لا يشبع منه العلماء ولا تنقضى عجائبه.

وقد شاء الله تعالى أن يكون الرسم القرآنى على غير الرسم بالصورة المعتادة لدينا فى الكتابة ليظل شغل العلماء الشاغل والدائم مشيراً إلى هذا الإعجاز ومتطلباً للبحث فيه إلى يوم القيامة.

وقد لاحظنا عدم عرضه لبعض أقوال القدامى (وخاصة مسألة تعدد الرسم للكلمة فى بعض المصاحف) وقد قمنا بتغطية هذا الجانب فى عناوين مستقلة، وقمنا

بوضع مئات الصفحات متداركين ما تركه هؤلاء وهؤلاء وخاصة في مسألة (حذف الألف) أيضاً أو (زيادته) من الكلمة في أبواب مستقلة أو في ثنايا تعليقنا على أقوال العلماء ، وهو باب يحتاج إلى عميق التدبر ، وقد لاحظنا أنه قد تركه الكثير ولم يخوضوا في البحث فيه - كما سنرى.

وسنحاول في هذا البحث استصحاب آراء أعلام البلاغة وفرسان اللغة من القدامى (وعلى رأسهم أئمة التفاسير وخاصة التفاسير البلاغية منهم) وغير القدامى من علمائنا الأفاضل وعلى رأسهم الدكتور فاضل السامرائي ؛ وهو غنى عن البيان والتعريف لما قدمه من مكتبة عملاقة في علم البيان واللغة ، ويكفي الإشارة إلى بعض مؤلفاته (مثل معان النحو - أربع مجلدات-) و(التعبير القرآني) و(لمسات بيانية) ، (خطوات على التفسير البياني) وغيرها من الكتب والمحاضرات التي ألقاها على طلبية الدكتوراه.... واستصحبنا معنا في رحلتنا هذه غيره من العلماء الذين سيأتي ذكرهم في أثناء البحث ، مع استثناسنا أيضاً بعلم القراءات وآراء علمائه، حتى يتبين للقارئ أن مسألة الإعجاز في رسم المصحف لاتنفصل عن باقي نواحي الإعجاز الأخرى بل إنها تتعاقب وتتناسق وتتكامل لترسم أروع وأبهى وأجمل لوحة فنية فنية تحوى غاية الجمال والكمال في النص القرآني.

ولم ننس قبل نهاية المطاف عرض ومناقشة الطرف الآخر ، وكان دكتور قدوري ممثلاً لهذا الاتجاه، وهو أكثر من تناول هذا الاتجاه في دراسة مطولة ونشر فيه بحثاً كبيراً (أكثر من ستمائة صفحة) وكان عبارة عن رسالة دكتوراه له ، وقد أسماه (رسم المصحف) دراسة تاريخية ، وقد تعمدا مناقشة هذا الكتاب بصفة خاصة لما رأيناه من أن بعض علمائنا من يشير علينا بقراءته قاطعاً أي مجال للبحث في هذا اللون من ألوان الإعجاز؛ ربما تقصيراً منه أو انشغالاً عنه، وربما عدم التعمق أو التدبر لضيق الوقت لديه، أو ربما عدم إدراكه لأطراف القضية التي كان يجب منه وعليه مناقشتها من واقع النصوص - كما سنرى - وليس من أقوال هذا أو ذاك .. والفيصل في ذلك هو استعراض النصوص القرآنية على أرض الواقع - وهذا ما أعتقد أنه يرضى كل العلماء المخلصين والصادقين مع الله ومع النفس - والأمر بعد ذلك لا يحتاج إلا إلى وقفة تدبر وتأمل عميق مستلهماً قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ سورة النساء .. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) سورة محمد.

ولذلك كان هذا الكتاب مخاطباً أحبابنا العلماء وإخواننا الدارسين والباحثين عن هذا اللون الهام والشيق من ألوان الإعجاز القرآني بأسلوب مبسط لا يمله العالم ولا يستصعبه القارئ البسيط مستبعداً المصطلحات النحوية أو البلاغية التي يستصعبها الدارس الغير متعمق أو القارئ المتعجل لنيل أكبر قدر من المعلومة بأبسط أسلوب .
والآن أدعوك عزيزي القارئ للدخول معنا في هذه السفينة العميقة والمبهرة في آن واحد لنغوص في داخل هذا البحر العميق الذي يحوى الأسرار واللطائف والجمال والمنة والإهمار في بحث يبرز هذه الصور جميعها بعنوان : (الجلال والجمال في القرآن الكريم - رسم المصحف-)

والله الموفق وعليه التكلان وما كان من توفيق فمن الله وما كان غير ذلك فمن نفسى ومن الشيطان وأسأل الله عز وجل العفو والغفران .. داعين الله عز وجل ﴿رَبَّنَا

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا سَآئِئًا أَوْ آخِطَاءًا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨١﴾

آمين .. آمين .. آمين

المؤلف

حذف الواو

من الخصوصيات الملحوظة في الرسم العثماني للمصحف الشريف التي لم ترد في غيره في مناهج الكتابة خصوصيتان ملحوظتان في بعض الكلمات القرآنية متعلقتان بحرف الواو وهما:

حذف الواو لغير علة نحوية أو صرفية .

زيادة الواو لغير علة لغوية .

وتقدم الحديث أولاً عن المواضع التي حذفت فيها الواو وبيان اللطائف والأسرار التي من أجلها حذفت هذه الواو لأن البحث فيه أوجز من البحث في زيادة الواو ، والمواضع التي حذفت فيها الواو - وهي أربعة أفعال في أربع آيات في أربع سور - وهي على الترتيب المصحفي:

الموضع الأول: ﴿ وَنَدَعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (الاسراء)

الموضع الثاني: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ

الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الشورى)

الموضع الثالث: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ ﴾ (القمر)

الموضع الرابع: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۗ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۗ ﴾ (العلق)

أعد النظر في هذه الأفعال الواردة في الآيات الأربع وهي: يدعُ - في سورتي الإسراء والقمر - ويمحُ - في سورة الشورى - وسندع - في سورة العلق - فإنك ترى الواو قد حذفت من آخر هذه الأفعال وأن حذفها لم يكن لعلّة نحوية ، حيث لم يتقدم على أى فعل منها عامل جزم يقتضى حذف هذه الواو ، ولم يكن لعلّة صرفية ؛ إذ لا مانع صرفياً من مجئ هذه الأفعال كاملة الأصول هكذا: يدعو ويمحو، سندعوا .

ومع هذا لم يأت هذا الحذف اعتباراً خالياً من الدلالة على معنى

إذن فلماذا حذفت الواو من هذه الأفعال ؟ وما هي اللطائف والأسرار التي يرمز

إليها هذا الحذف؟

أجاب الإمام الزركشى على هذا السؤال إجابة بمجملته فقال: وقد سقطت - يعنى

الواو - من أربعة أفعال تنبيهاً على سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود .

فهذه ثلاث لطائف تضمنها هذا الكلام دل عليها الحذف هنا ، وبيان ذلك في الآتي :
 آية الإسراء جاء فيها ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (١١) . إذا
 فإن في الآية الكريمة كناية عن جهل الإنسان بعواقب الأمور وسرعة تلهفه وإلحاحه على
 حصول المنافع دون تريث أو تروؤ . فهو شديد العجلة بالدعاء غير مدرك إن كان
 مايدعو به لنفسه نافعاً له أو ضاراً . من أجل ذلك حذف الواو من الفعل " يدع " الذى
 أسنده النظم القرآنى المعجز للإنسان للدلالة على طيش هذا الإنسان فيكون دعاؤه بالخير
 لنفسه في الظاهر دعاء لها بالشر وهو لا يدرى لأنه عجول جهول .

وجاءت فاصلة الآية مؤكدة لهذا المعنى الذى أوماً اليه صدرها (وكان الإنسان
 عجولاً) . وقد تحقق في هذه الآية لطيفتان من اللطائف الثلاث التى نص عليها الإمام
 الزركشى فيما تقدم وهما: سرعة الدعاء بالخير في الظاهر . يسر الدعاء وسهولته لشدة
 الرغبة في حصول المدعو به . وحذف الواو في الفعل " يدع " كان رمزاً لهذه الدلالة .

وكذلك الشأن في الفعلين المناظرين لهذا الفعل أعنى الفعل " يدع الداع " في سورة
 القمر والفعل " سددع الزبانية " في سورة العلق .

فالأمر التكر الذى يدعو إليه الداع في قوله تعالى: (فتول عنهم يوم يدع الداع إلى
 شئ نكر) في آية القمر هو البعث والنشور؛ أى قيام الساعة ، وهذه الدعوة ستكون
 مذهلة في سرعتها وفيها يقول رب العزة في السورة نفسها الآية (٥٠) ﴿ وَمَا أَمْرًا إِلَّا
 وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ ﴾ في سورة النحل ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ أَلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٧٧) . فحذف الواو من هذا الفعل كان رمزاً
 للدلالة على لطيفتين كذلك من اللطائف الثلاث التى ذكرها الإمام الزركشى وهما: سرعة
 وقوع الفعل من الفاعل ، وسرعة وشدة انفعال الطرف الأدنى ؛ وهم الموتى وخروجهم
 من القبور وإجابتهم دعوة الداع إلى ذلك الشئ النكر ، وهذا ما يؤكد قوله تعالى في
 سورة المعارج الآية ﴿ يَوْمَ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ (٤٣) .

أما آية العلق (سددع الزبانية) فهى مثل نظائرها تدل على سرعة حدوث الفعل، وهذه
 السرعة هى البلاغة بعينها فى المقام الذى وردت فيه هذه الآية ؛ وهذا يتجلى لنا إذا ربطنا
 هذه الآية بالآيات التى كانت هى واحدة عقدها وهى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۖ عَبْدًا

إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ أَهْدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾
 أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾
 فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطِعَهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾

هذه الآيات تحكى مواقف عناد عنيفة تعترض طريق الدعوة وتقف حجر عثرة أمام من يعبد الله عز وجل وتبلغ الخصوم مداها ويغتر خصوم الدعوة بمالهم من قوة وسلطان مادي في الأرض فكان من المناسب أن يكون الوعيد شديداً والبطش بهؤلاء الطغاة قريباً. ومن أجل هذا هددهم الله تعالى بسرعة انتقامه منهم وبطشه بهم .

وجاء حذف الواو من الفعل "سندع" رمزاً على سرعة قدرة الله من الانتقام منهم والانتصار للحق الذي أرسل به رسوله الكريم .

﴿١٠﴾ تعليق منا : ونزيد على ذلك رأياً مكماً وهو: لماذا لا يكون سياق الحديث تطميناً لقلب النبي (ﷺ) في الدنيا أيضاً ؛ من سرعة نجدة الله له إذا تعرض له أحد من الأعداء بسوء ، ويكون ملمح السرعة هنا أيضاً في الدنيا وليس في الآخرة فقط .. ولهذا الرأي ما يؤيده من الروايات المذكورة في أسباب التزول .. وكما نقل ابن كثير: قال البخاري: حدثنا يحيى، ... عن ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "لئن فعله لأخذته الملائكة". وهذا يعطى احتمال حدوث تلك النجدة وتلك السرعة في الدنيا.. وخاصة ما روى في الروايات الأخرى من رجوع أبو جهل مذعوراً... ثم نكص على عقبيه ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ، فقال : إن بيبي وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة... والرواية الأخرى: فقيل له : خشيت منه ؟، قال : ولكن رأيت عنده فارساً فهددني بالزبانية ، فلا أدري ما الزبانية ، ومال إلى الفارس ، فخشيت أن يأكلني.... مع ملاحظة السرعة الخاطفة في فعل هؤلاء الزبانية متمثلة في حروف الكلمة "سندع" ، حتى أن كلمة "لنسفعاً" قد حذف التنوين منها - هذا التنوين الذي يجعل القارئ يقف عليه فترة أطول - حال النطق به - ولكنه قال: (لنسفعاً)... بدون الوقوف على هذه النون التوكيدية المشددة في الكلمة البديلة والتي تحاشاها رسم المصحف الكريم حيث لم يقل (لنسفعن).

والملاحظة الأخرى هي : جرس هذه الكلمة الموحى والمصور بصوت الحروف - صوت الصفع الشديد والقوة السريعة التي تعطى صوت (التسّف) وليس الأخذ فقط - ..

ولذلك فضلها القرآن الكريم عن اللفظ المرادف لها وهو (لنأخذن) ... (وسنعود لذلك في شرحنا لهذه الكلمة القرآنية ومثيلتها: ليسجنن (وليكونا) من الصاغرين..)

هذه هي لطائف وأسرار حذف الواو في الفعل "يدع - سندع" إنها حذفات قائمة مقام الكلمات في الدلالة على المعاني المرادة منها، وأظهرها سرعة وقوع الفعل في الوجود ، ومما يعضد هذا أن المقام إذا خلا من إرادة السرعة المشار إليها فإن هذا الفعل يأتي كامل الأصول لا يحذف منه شيء قط - إلا إذا اقتضى حذف الواو فيه عامل من عوامل إعراب، كأن يكون فعل أمر مثل قوله تعالى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ النحل ١٢٥ أو فعلا منهياً عنه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ يونس آية ١٠٦ . فإذا لم يقتض حذفه عامل إعرابي رسم في المصحف الشريف على الأصل، كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يونس آية ٢٥ . وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاطِر آية ٦ ﴾ .

جاء الفعل "يدعوا" في الموضعين على الأصل مثبت الواو لخلو الكلام من عامل إعرابي يقتضى حذفه ولعدم إرادة معنى السرعة.

❁ توضيح : حيث أن هذه الدعوات - في الآيات السابقة - هي مستمرة باستمرار النهج الدعوى ، ولا تحتاج إلى ملمح السرعة ، وهي ممتدة بامتداد الحياة الدنيا؛ فإن كانت من الرحمن فهي بالحكمة والموعظة الحسنة - وليس بالطيش والسرعة والتهور - .. وإذا كانت الدعوة من الشيطان ، فالشيطان أيضاً لا يعجل ولا يئأس - ولذلك فهذه الدعوة تكتب "يدعو" دون حذف من الكلمة.

أما الموضع الرابع وهو (ويمحُ الله الباطل) وهو ما ورد في آية الشورى (٢٤) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنُنَجِّيَنَّكَ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢٤) فإن الواو حذفت من الفعل "يمح" ورمز بهذا الحذف إلى معنى يسر الفعل على الله عز وجل ؛ يعنى أن محو الباطل أمر هين عند الله وقدرته عليه أسرع ما تكون السرعة ، فهو جار مجرى حذف الواو في "يدع" و"سندع" . ويضاف إلى هذه اللطيفة لطيفة أخرى هي سرعة وشدة قبول الباطل لمحو الله إياه لا يستعصى عليه .

❁ (وأقول مضيفاً.. أن السرعة في محو الباطل هنا لأنه متعلق أيضاً بالباطل إذا وجد على قلب النبي ﷺ).. كما يقول الزمخشري : يعني : لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه . ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ..

بيد أن هذا الموضع تبدو فيه شبهة عطفه على الفعل المجزوم قبله الواقع جواباً للشرط في قوله تعالى: (فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل) فقد يتبادر إلى الذهن أن الفعل "يمح" معطوف على "يختم" الذي هو جواب شرط "فإن يشأ"، وهذا مدفوع ، والمفسرون مطبقون على أنه غير معطوف عليه بدليل أن هذا الفعل "يمح" عطف عليه فعل مرفوع جاء بعده وهو (ويحق الله الحق بكلماته)، هذا وجه ..

ووجه ثان يؤكد عدم عطف الفعل "يمح" على الفعل "يختم" هو أن الفعل "يختم" هو وحده مقيد بمشيئة الله أما الفعلان "يمح" و"يحق" فهما غير مقيدين بالمشيئة لأن الله دائماً خاذل للباطل ناصر للحق.

وبهذا يسلم لنا القول بأن حذف الواو في الفعل "يمح" ليس له سبب إلا الدلالة على اللطيفتين اللتين أشرنا إليهما من قبل ، وهما قدرة الله الفائقة في الإسراع لمحو الباطل، وتأثر الباطل نفسه في أسرع ما يكون ، وسرعة محوه بقدرة الله عز وجل .

ويدل على هذا بكل وضوح مجيء هذا الفعل غير محذوف منه الواو في قوله عز وجل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) الرعد

لم يحذف الواو من الفعل "يمحوا" هنا لأن المقام خلا من إرادة السرعة فجاء الفعل مرسوماً بأصوله الثلاثة: الدال- العين- الواو .

❁ (تعليق): لقد تعمدت نقل حديث الأستاذ الدكتور المطعني كاملاً ليكون بمثابة الرد على مزاعم هؤلاء الذين يتهمون من خصوصيات الرسم العثماني ويشيرون دائماً على هاتين الآيتين - كدليل لهم على عدم الخصوصية للرسم في ذلك - والآيتان هما: لماذا قال (يمح) هنا ، وقالها (يمحو) هناك والأمر واحد .؟

وقد سمعنا الرد مفصلاً ، وعلمنا أن الأمر ليس واحداً... لأنه مما يجزن القلب ويدمع العين أن نقرأ نفس هذا التساؤل في رسالة الدكتوراة التي نشرت في كتاب بعنوان

(رسم المصحف) لصاحبها د: غانم قدورى. وكان من ضمن أدلته على عدم الخصوصية لرسم المصحف هذا السؤال!!!!!! وسرد علي كل صغيرة وكبيرة في كتابه هذا كاملاً بالبرهان والدليل والشرح المستفيض - إن شاء الله - حتى لاتبقى في صدور العلماء وغير العلماء أدنى شبهة في ذلك.

ونعود لحديث د: المطعنى ، حيث يقول: وبهذا يتبين أن مافى رسم المصحف من خصوصيات إنما هي سمات رمزية في قوة الكلمات في الدلالة على المعانى المرادة منها ، وإنما ليست طرائق مختلفة لكتبة المصحف في صدر الإسلام ، وأن هذه الرموز مع معانيها التي تدل عليها وجوه للإعجاز القرآنى لم تأخذ حقها من الدراسة والذويوع ، وأن القرآن ينبغي أن يظل على ما توارثناه جيلاً بعد جيل من عصر الرسالة حتى تقوم الساعة .

✽ ونقول نحن: وبعد هذا العرض والمقدمة نعود لنكمل لطائف الحذف والإضافة.

جاءو

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (١٨٤) آل عمران
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ . (١١) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ . (١٣)﴾ النور
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرْتَهُ وَأَعَانَتْهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا (٤)﴾ الفرقان
 ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّمَا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨٤)
 ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠) الحشر
 نلاحظ الآتى:

(١) الجىء هنا ليس هو الجىء الجسدى ولكنه هو الجىء بالقول أو الشهادة أو بالحب أو بالكذب أو البكاء.

(٢) حتى الجىء بالشهود فهو لايركز على أجساد الشهود (في قضية الإفك والقذف) ولكنه يركز على نوعية الشهود ولذلك قال عنهم (الشهداء) وليس (الشهود).

(٣) حتى في قضية مجىء الدم على قميص يوسف فإنه لايقصد وجود الدم ولكن يقصد دلليل الكذب فيه ؛ حيث قال "دم كذب" والدم لا يكون كذباً.. وربما كان يحق له

وضع ألف الجمع إذا قال : جاءوا على قميصه بدم (فقط) أو بدم أحمر مثلاً - فيكون على الحقيقة وليس المجاز-.

(٤) نقول مثل ذلك في المجيء بالبينات والوحي..

وأيضاً هناك مجيء آخر غير معهود وليس على صورة المجيء المعلوم {حتى إذا جاءوا} إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب ، وهو يوم القيامة الغيبى صورته وغير المعهود، بل ربما يكون مجيئهم هذا دون حركة منهم، وتعرض عليهم النار ويعرضون عليها بصورة وكيفية غيبية لانعلمها ، مما يستدعى نقص الألف.

(٥) أما قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم) .. فهو لا يقصد المجيء عن طريق التناسل أو المجيء المادى المعتاد على الأقدام ، ولكنه يقصد المجيء بالإيمان (وبأسبقية الإيمان)، حتى وإن ولدوا معهم أو في وجودهم (مجيء مجازى أيضاً)

●● مع ملاحظة (تبوء) بدون ألف أيضاً ولهذا المعنى - التبوء المجازى - ، كما يقول المفسرون ومنهم الزمخشري: { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا } وهم الأنصار. فإن قلت : ما معنى عطف الإيمان على الدار - تبوءوا الدار والإيمان-، ولا يقال : تبوءوا الإيمان؟- أى أن الذى تبوءه هو المكان وليس الإيمان-.

قلت : معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان ، كقوله : عَلَفْتُهَا تَيْبًا وَمَاءً بَارِدًا ... أو: وجعلوا الإيمان مستقراً ومتوطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه (أى على المجاز) ، كما جعلوا المدينة كذلك ((فهو على كلا الرأيين تعبير مجازى عن تبوأ معنى وليس مادى للإيمان)).

ويقول الرازى: والجواب عن الأول من وجوه أحدها : تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله : ولقد رأيتك في الوغى ... متقلداً سيفاً وريحاً وثانيها : جعلوا الإيمان مستقراً ووطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه ، كما أنهم لما سألوا سلمان عن نسبة فقال : أنا ابن الإسلام (إبن معنى).
وثالثها : أنه سمي المدينة بالإيمان ، لأن فيها ظهر الإيمان وقوي.

وربما يلفت أنظارنا معنى آخر في حذف الألف هنا، والذي يشير بالنقصان في بنية الكلمة، ليشير إلى نقص مرتبة التابعين عن مرتبة الصحابة ، وكأنه يشرح حديث النبي (ﷺ) :
خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ...)

وهذا بخلاف كلمة (يرجوا)

يرجوا

حيث جاءت جميعها بالألف لأنها تتحدث عن (يرجوا لقاء ربه ، ويرجوا رحمة ربه) وهو رجاء ثقيل في الميزان كما نعلم.

(١) ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ﴾ (١١٠) الكهف. ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ (٥) العنكبوت.

(٢) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (٦) المتحة

زيادة الواو

باستقراء آيات القرآن الكريم نجد زيادة الواو أكثر من حذفه من بنية الكلمة ، كما نجد هذه الزيادة تتوارد على الأسماء والأفعال، وهى فى الأسماء أكثر منها فى الأفعال. ونجد زيادة الواو فى الرسم الشريف أتت على صورتين:

إحدهما فى وسط الكلمة سواء كانت الكلمة إسماً أو فعلاً .

والأخرى زيادة الواو فى طرف الكلمة اسماً كانت أو فعلاً كذلك .

ولم يحل موضع من جميع مواضع زيادتها من معنى لطيف أو سر رقيق تراه يتلألاً كضوء الفجر فى الأفق الرحيب .

وهذا ما سنراه من خلال الأمثلة الآتية بادئين بأمثلة زيادة الواو فى الأفعال ، مع ملاحظة أن هذه الزيادات تلحظ بالبصر ولا تنطق باللسان، وأما زيادة باعتبار الخط أو الكتابة لا من حيث المعنى .

زيادة الواو فى وسط الفعل:

زيادة الواو فى وسط الفعل وردت فى الكتاب العزيز فى موضعين فى فعل واحد

تكرر فيهما.

الموضع الأول : هو قوله تعالى فى سورة الأعراف ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُدُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ

(١٤٥)

والموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٣٧). وكان القياس ان يكتب هذا الفعل هكذا: "سأوريكم" بضمه فوق الهمزة، فعدل عنها - أى عن الضمة - إلى الواو فصار الرسم هكذا: "سأوريكم" في الموضعين فما هو سر هذه الزيادة ياترى ؟

إن سرها هو الرمز إلى وضوح الرؤية وقوتها .. والمقام في الموضعين يقتضى:
١ - أن تكون الرؤية واضحة وقوية؛ بيان ذلك:

في الموضع الأول يبحث الله قوم موسى أن يعملوا بما أنزله الله عليه ورغبتهم فيه، ثم لوح لهم بأنه سيربهم دار الفاسقين ليكون هذا دافعاً لهم على التمسك بما جاءهم به رسول الله موسى عليه السلام . وهذا يتضمن تخويفاً وتهديداً لبني إسرائيل إذا هم أعرضوا عن أوامر الله ونواهيه .

وفي الموضع الثاني ورد هذا الفعل في معرض الحديث عن الذين كفروا وهم يستهزئون برسول الله (ﷺ) وينتصرون لأهنتهم عليه فاقتضى المقام أن تعلق نبرة التهديد والوعيد وأن الانتقام منهم آت لا محالة .

♣ ((وأقول: على القارىء أن يلاحظ أيضاً قوله: فلا تستعجلون .. وفيها انتهى عن الإستعجال ويدعوهم إلى التمهل .. فكان هذا نوع من التناسب بين طول الزمن والإمهال فيه مع طول الكلمة .. كما سنرى ذلك واضحاً في أمثلة كثيرة من التي سيتلاءم فيها طول الكلمة مع بطء الحدث وطوله والتركيز أيضاً عليه .. ونقصان الكلمة مع نقصان مدة الحدث أو سرعته أو عدم التركيز عليه..)).

من أجل هذين الغرضين زيدت الواو في الفعل في الآيتين وقامت هذه الزيادة مقام كلمة منطوقة تؤدي هذا المعنى. وبذلك اجتمع في هذا الفعل سمتا إطناب وإيجاز لا عهد لكلام البشر بهما؛ الإطناب حاصل بزيادة الواو... والإيجاز حاصل بدلالة حذف حرف واحد .. دلالة على معنى عظيم ... وهذا ملمح جديد للإعجاز القرآني من الملامح العديدة التي تستشف من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف .

❁ ونضيف هنا ملحظاً آخر قاله الزمخشري وهو: وقرأ الحسن: «سأوريكم» وهي لغة فاشية بالحجاز . يقال : أوري كذا ، وأوريت . ووجهه أن تكون من "أوريت الزند"

كأنَّ المعنى "بينه لي ، وأنره لأستبينه" ... وقرىء : «سأورثكم» قراءة حسنة يصححها قوله : { وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ } [الأعراف : ١٣٧]
 ويقول البقاعي : ويؤيد كون المراد "القدس" لا مصر قراءة من قرأ : سأورثكم - من الإرث ، لأنها هي المقصودة بإخراجهم من مصر وبعث موسى عليه السلام ، ولا ينفي ذلك احتمال مصر أيضاً - والله أعلم .

زيادة الواو في أطراف الأفعال :

هذه هي الصورة الثانية لزيادة الواو في الأفعال وورودها في القرآن الكريم أكثر من ورود الصورة الأولى ، ومن شواهدا فيه الأمثلة الآتية :

(١) ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ فَآَنِي ۚ وَهُوَ كَرِيمٌ يُنْسِ ۚ ﴾

في هذه الآية أمر الله رسوله أن بوجه إلى المشركين هذا السؤال في صورة استفهام إنكارى توبيخي... وزيادة الواو ترمز إلى معنى كبير .. هذا المعنى هو الإيحاء إلى عظم الخلق وفخامته وضمخامته فهو ليس بدءا يمكن لغير الله أن يمارسه أو يمارس أدنى شئ منه وهذا بإقرار جميع العقلاء حتى المشركين أنفسهم .

إذا لم تجئ هذه الزيادة عبثاً وليست هي رؤية أو منهجا خاصا ببعض كتبة الوحي كما يحلو لبعض الناس أن يقول فحاشا لله وألف حاشا أن يكون في كتابة العزيز حشو لادلالة له على معنى . فنحن البشر نتحاشى في ما نكتب أو نقول أن يكون في ما نكتبه أو نقوله فضول يخلو من الدلالة ، فكيف يرد في خواطر بعضنا أن يكون في هذا الكتاب المعجز ما نتره نحن كلامنا منه !؟

♣ وأقول مضيفاً : ((ونلاحظ أن النشأة الآخرة أهون من بداية الخلق (كما قال ربنا : وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . - أى الإعادة- . الروم (٢٧) . ولذلك زيد في رسم كلمة (يبدؤا) ولم يزد في كلمة (ينشئ) في قوله (. . ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) العنكبوت

(٢) ﴿ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴾

النور... وردت هذه الآية في بيان الحكم الشرعى في اتهام الزوج زوجته بالزنا ولم

يكن معه شهود غير نفسه .. ، وهذه الواقعة تسمى في الفقه بـ(اللعان) أو الملاعنة، فإذا لم ترد عليه أيمانه وجب إقامة حد زنا المحصن عليها وهي الرجم المتتابع بالحجارة حتى الموت ؛ فهي عقوبة شديدة الإيلام لأنها تحدث في أثنائها موتاً بطيئاً شنيعاً . أما إذا ردَّت عليه أيمانه فقد نجحها هذا الرد من تلك العقوبة العاجلة الشديدة الإيلام .

ومن أجل هذا زيدت الواو في الفعل "يدرؤا" وجاءت هذه الزيادة رمزاً إلى تظيع العقوبة التي توقع عليها والأثر العظيم الذي يعود عليها من الأيمان الخمسة التي تصون دهما من الإهدار وتحفظ حياتها من الإمامة .

ومرة أخرى نقول: إن زيادة الواو- هنا- قامت مقام كلمة أو جملة دلت على تفخيم الأثر المرتب على إقسامها خمس مرات تدفع بها اتهام زوجها إياها بالزنا ولم- ولن- تأتي زيادة الواو هنا ولا غير هنا عبثاً لا معنى لها وهي مثل ما تقدم جمعت بين سمى الإطناب والإيجاز .

ولم يتوقف الأثر العظيم لرد المرأة أيمان زوجها الملائعن بها على دفع العذاب المادى عنها بل يتعداه إلى دفع ما هو أشد منه نقيصة تصيبها وتصيب عشيرتها من بعدها وهو سوء سمعتها وإطلاق الألسنة الناهشة في سيرتها الطاعنة في عفتها وشرفها . فزيدت الواو في الفعل "يدرؤا" للإيحاء بكل هذه المعاني المكثفة المدلول عليها بحرف واحد هو الواو .

(٣) ﴿ قَالُوا يَنْشَعِيبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا كُنْتُمْ تَأْمُرُونَ ﴾ (٨٧) هود . ..

جاءت صرختهم مدوية في وجه شعيب بدأوها بهذا الاستفهام الإنكارى الاستهزائى (أصلواتك تأمرك) . (أن تترك ما يعبد آباؤنا)؟ (أو أن نفعل في أموالنا ما نشأوا) .

إن لهجة الاحتجاج في كلامهم هذا تبلغ عنان السماء صخباً وتملاً ربوع الآفاق دويماً وكان شعيباً جاءهم بمنكر من القول وزور . فهم كانوا يعتقدون أنهم يملكون حريات واسعة المدى في مجال الاعتقاد والعبادة والتصرفات المالية هذا التصور لدى قوم شعيب دل عليه البيان القرآنى المعجز بأمرين:

حكاية عبادتهم نفسها ، زيادة الواو في الفعل "نشأوا" بل نكاد نجزم أن زيادة الواو- هنا- دلت على ادعائهم أنهم يملكون حريات واسعة في التصرف المالى دلالة مكثفة بوجه

خاص حتى لكأنها مقصورة على هذه الدلالة . ومحال أن تكون هذه الدلالة غير مقصودة من زيادة الواو لأننا نرى هذا الفعل "شاء" ورد في الذكر الحكيم خالياً من هذه الدلالة في مواضع أخرى مثل قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٥ ﴾ . وخلو الفعل في الآية في مراته الأربع من الواو لأن المقام يخلو من إرادة التهويل الذي أراده قوم شعيب في جدالهم شعيباً . وفي هذا إجابة حاسمة على سؤال مؤداه:

لماذا حلت آية آل عمران من زيادة الواو في الفعل "تشاء" في مراته الأربع وزيدت تلك الواو في آية هود عليه السلام؟

أجل: زيدت الواو في آية هود لتصور إلى أي مدى غالى قوم شعيب في اثبات حريات واسعة لأنفسهم محال ان تحد منها أو تسلبها صلوات شعيب ، فقد عبر البيان القرآني عن دقائق ما كان يتصوره قوم شعيب وهم يجادلونه في كبرياء وصلف ويظهرون استهزاءهم به وبما يدعو اليه .

فهذه الواو الزائدة خطأ في قولهم "ما نشأوا" ضوء باهر كشف عن دخائل قوم شعيب وما كان تشي به نيرات أصواتهم وملامح وجوههم .
♠♠ وهنا يحسن بنا أن نقف على شرح مفصل عن كلمة نَشَأُوا على الصفحات القادمة للتوضيح.

(٤) ﴿ أَوْ مَن يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (١٨) الزخرف . هذه الآية جاءت في إطار الرد على المشركين حين قاسموا الله في خلقه فجعلوا لأنفسهم البنين والله عز وجل البنات ، وحكى عنهم القرآن هذا في مواضع منها سورة الزخرف التي قال الله تعالى فيها ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٨﴾ أمر اتخذ مما خلق بنات وأصفاً لكم بالبين ﴿١٩﴾ وإذا بُئِرَ أحدُهُم بما ضربَ للرحمن مثلاً ظلَّ وجهه مسودًّا وهو كظيم ﴿٢٠﴾ أَوْ مَن يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) الزخرف . يشنع القرآن عليهم أنهم جعلوا لله النوع الأدنى عندهم "البنات" وجعلوا لأنفسهم النوع الأعلى "البنون" في اعتقادهم . أو جعلوا لله الصنف الأضعف ولأنفسهم الصنف الأقوى ، فرضوا لله مالا يرضونه لأنفسهم وهم وما ملكت أيديهم لله عز وجل . وجاءت الواو زائدة في الفعل

مهدها الأول وما يعقبه من مراحل التربية ، وكم تحمل هذه العبارة القرآنية "ينشؤا في خلية" من معان لا حد لها من حياة الأم والأب لها . والخلية: الزينة والنعمة وأنها لا يعتمد عليها في أمور الحياة بل هي مبالغة في الزينة والرفاهية فقط . . . وقد توفرت لهذه "التربية" المخصوصة عوامل الرعاية وشدة العناية من ثلاثة أوجه:

الأول: اسنادها إلى غير "الأنتى" (ينشؤ) - (مبنى للمجهول) - أى لم يقل (ينشأ).

الثاني: تضييق الفعل - في حرف الشين - للدلالة على تكثيف الرعاية .

الثالث: زيادة الواو القائمة مقام كلمة أو جملة دالة على هذه المعاني، ويصاحب هذه الدلالة سمتا الإطناب والإيجاز في أداة تعبيرية واحدة تراها إطنابا باعتبار وإيجازا باعتبار آخر .

(٥) القيامة. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٧﴾ يُنَبِّئُكَ أَيُّكُمْ أَلْيَسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٨﴾﴾

هذه الآية تحكى بعض ما سيكون يوم القيامة وهو إطلاع الله كل إنسان بما عمله في الحياة الدنيا ، والنبأ هو الخبر العظيم ولذلك لم يرد في القرآن في الحديث عن الغيبات وعن فضل الله في اختلافات الطوائف إلا ما اشتق من هذه المادة (ن - ب - أ) ومنه ما ورد في هذه السورة (ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) . وجاء هذا الفعل "ينبؤا" مزيدا بالواو معدولا به عن "نبأ" كما هو الشأن في الخط الإملائي العام والحديث إشارة إلى تفخيم المعنى المراد وتعظيمه . ولولا إرادة هذا المعنى ما زيدت هذه الواو فهي كمثيلا كما قائمة مقام كلمة أو جملة برأسها تدل على هذا المعنى الذى هو التعظيم والتفخيم ، والمقام هنا يقتضى هذا لأن من أعظم الوقائع يوم القيامة إعلام الله العباد بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا بعد أن نسوا ما صنعوه فيها . لذلك نرى النظم القرآنى يحشد عددا من القيم التعبيرية للدلالة على عظمة هذا الحدث وفخامته وتلك القيم التعبيرية هي:

أ- إثارة التعبير بمشتق "ينبؤا" من مادة (ن - ب - أ) دون مادة (خ - ب - ر) لاختصاص الأول بالخبر العظيم الصادق دون الثانية .

ب- صياغة الفعل "ينبؤا" من "نبأ" المضعف دون "أنبأ" المخفف لأبلغية الأول على الثانى لدلالته - أى الأول - على الكثرة دون الأول .

ج- زيادة الواو لما تقدم مرات من أنها رمز للتعظيم ولم تأت في أى موضع من مواضع زيادتها خالية من هذه الدلالة .

ومما يدل على عظمة هذا الحدث وتعجب الناس منه يوم القيامة قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا

الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ... وهكذا يتبين لنا أن الرسم العثماني للمصحف الشريف في تلك الخصوصيات التي نتبع نماذج منها لم يرد فيه شيء منها عارياً من اللطائف المذهلة والأسرار المدهشة مما يصح أن نطلق عليه - غير مغالين - مصطلح الإعجاز الخطي للقرآن العظيم .

❁ ملحوظة : راجع تكملة الموضوع والتعليق عليه منا في الجزء الثاني تحت عنوان ((نبأ وأنبؤا))

زيادة الواو في وسط الأسماء

أجملنا الحديث في المقالة الرابعة عن لطائف وأسرار زيادة الواو في الأفعال وذكر دلالات تلك الزيادة وأن الزيادة وهي زيادة حرف واحد (الواو) تسد مسد جملة غير منطوقة في الدلالة على المعنى المراد منها ، وأما يتولد عنها فن بلاغى إعجازى جديد هو توارد الإيجاز والإطناب على موضع واحد وهو فن ليس له وجود إلا في كتاب الله العزيز . ونعرض في هذه المقالة وما يليها لللطائف والأسرار اللتين رُمز إليهما بزيادة الواو في مجموعة من الكلمات القرآنية الشريفة

ونبدأ بثلاث كلمات زيدت في وسطها الواو في جميع مواضع ورودها في الكتاب العزيز وهي: "أولوا" و "أولى" و "وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ" . والكلمتان الأولى والثانية وردتا في القرآن في مواضع كثيرة أما الثالثة "أولات" فوردت مرتين ، وزيادة الواو جاءت في وسط الكلمة كما ترى وهي في الكلمات الثلاث تدل على معنى واحد عبر عنه علماءنا الأقدمون - رضى الله عنهم - بجملة موجزة فقالوا: "إنها تدل على شدة الصحة" . واكتفوا بهذه اللمحة دون أن يتبعوها بشرح أو تفصيل.

وهنا نقف مع شرح توضيحي من أستاذنا الدكتور المطعني ، وإليك ما قاله:
وهنا نحن أولاء نبدأ من حيث توقفوا فنقول ومن الله التوفيق: أرادوا بقولهم أنها تدل على "شدة الصحة" قوة الصلة بين المضاف "أولى - أولوا - أولات" وبين المضاف إليه .. والمضاف إليه مختلف من موضع إلى موضع لأن هذه الكلمات الثلاث لا تستعمل إلا مضافة فهي كلمات ملازمة للإضافة مثل (عند) و(لدى) .

وقبل أن نسوق الأمثلة ونطبق عليها معنى قوة أو شدة الصحة نشير في العبارات الآتية إلى ضابط بلاغى ينظم كل مضاف ومضاف إليه في جميع استعمالات لغة القرآن

المعجزة لهذه الكلمات الثلاث ليكون التطبيق شاملا للأمرين معا أعني: قوة الصحبة بين المضاف والمضاف إليه في الكلمات الثلاث .
وهذا الضابط الذى اكتشفناه.

ذلك أننا تتبعنا كل ما ورد في القرآن من استعمال الكلمات الثلاث مضافة ، وخرجنا من هذا الاستقراء التام بالحقيقة الآتية التى نصوغها في صورة "قانون" لغوى بلاغى هو الآتى:

"إن لغة القرآن المعجزة لم تضيف هذه الكلمات الثلاث (أولوا- أولى- أولات) إلا إلى ما هو عنصر متأصل في "ماهية" المضاف، وبه يكون تمام الخلق والتكوين ، وأن المضاف إليه كيفية نفسية لا يمكن فى الواقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه" .

أما كلمة "أولات" فلم تضيفها لغة القرآن الحكيم إلا إلى ما هو جزء ماضى أو كالجزم متأصل فى ذات المضاف . وتفصيل كل ذلك يأتى فى سوق الأمثلة وتحليلها .

الأمثلة: "١" (١٣) آل عمران ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ .. أضيفت كلمة "أولى" فى هذه الآية الحكيمة إلى كلمة "الأبصار"

والأبصار هنا تحتمل عند المفسرين معنيين: أن تكون بمعنى "العقول" . وأن تكون بمعنى العيون الباصرة . والأول هو الأصوب أو هو الصواب لأن المقام لا يشمل كل من له عين باصرة بل المراد أصحاب الفهم الذكى والتفكير السديد .

وسواء كان المراد المعنى الأول "العقول" أو المعنى الثانى "العيون الباصرة" فإن زيادة السواو فى "أولى" - وهى فى الأصل "ألى" بهمزة مضمومة - هذه الزيادة رمز بها إلى قوة الصحبة بين المضاف "أولى" وبين المضاف إليه "الأبصار" .

وقوة الصحبة هنا تظهر من عدم انفصال المضاف إليه "الأبصار" عن المضاف "أولى" مع بقاء تمام الخلق ، وهذا الانفصال محال فى الواقع إذا كان المراد من "الأبصار" العقول . أما إذا كان المراد "العيون الباصرة" فهى وإن امكن فصلها فإن تمام الخلق يزول مع هذا الفصل - كما تقدم فى القاعدة المستنبطة من الاستقراء المشار اليه فيما تقدم - . وقد اضيفت هذه الكلمة فى حالتى الرفع والجر إلى "الأبصار" فى ثلاثة مواضع أخرى هى:

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ النور (٤٤) ﴾ . والآية ﴿وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) ﴾ ص .

﴿مُخْرِبُونَ بُيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِأُولَى الْآبَصِرِ (٢)﴾ الحشر

وبالتأمل في المضاف والمضاف إليه في هذه الآيات جميعا تظهر قوة الصحبة بينهما التي جاءت الواو الزيدة رمزاً للدلالة عليها . ويظهر أن هذه الواو الزيدة قد سدت مسد جملة كان ينبغي أن تذكر للدلالة على هذا المعنى كما يظهر اقتران الفن البلاغى "الجديد" الملون من توارد الإيجاز والإطناب في محل واحد وهو فن عزيز المنال في غير القرآن العظيم . وأضيفت كلمتا "أولى- اولوا" إلى كلمة "العلم" مرات ؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ آل عمران .. العلم الذى اضيفت إليه "أولوا" كيفية "نفسية" وهو "ملكة ذهنية" لا يمكن فصلها عن المضاف وهو "أولوا" ولا إدراكه منفصلا عن الشخص "العالم" ، لأن العلم ممتزج بالعالم امتزاجا عضويا ساريا في كيانه سريان النضارة في العود الأخضر .. هذا هو "قوة الصحبة" بين المضاف "أولوا" وبين المضاف اليه "العلم" .

فأولوا بمعنى "اصحاب" ولم تستعمل لغة القرآن المعجزة كلمة "أصحاب" هنا بل آثرت عليها كلمة "أولوا" لما بين "أصحاب" و "أولوا" من فرقى دقيق عميق سنبينه بإذن الله في آخر هذا البحث . ومن أجل الدلالة على "قوة الصحبة" بين العلم وما أضيف زيدت الواو بعد الهمزة وقبل اللام فسدت مسد الجملة التي كان ينبغي أن تذكر للدلالة على هذا المعنى اللطيف ولم تضاف إلى العلم مرة أخرى فهي فريدة في الذكر الحكيم . وأضيفت "أولى" في حالة النصب إلى "النعمة" بفتح "النون" المشددة في موضع واحد هو ﴿ وَذَرْنِي وَالْكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا (١١) ﴾ الزمل ... والنعمة بفتح "النون" المشددة" غير النعمة بكسر "النون" ؛ فهي بالفتح بمعنى "التنعم والترفة والمسرة" . أما "النعمة" بالفتح والتشديد فهي بمعنى ما يملك من زينة الحياة الدنيا وهو ما يكون مفصولا عن مالكة والأول هو المراد من الآية وهو المتعة التي يستلذ بها صاحبها .

وهى بهذا المعنى كيفية نفسية شعورية تسرى في النفس ممتزجة بها ولا يمكن فصلها عن الإنسان حال وجودها فيه، فإذا زالت عنه لا يكون "أولى النعمة" . وهذا هو المراد من شدة الصحبة بين المضاف إليه هنا وهو "النعمة" والمضاف وهو "أولى" . ومن أجل هذه اللمحة اللطيفة زيدت الواو بعد الهمزة وقبل اللام وأوثر "أولى" على "أصحاب" وإذا قيل في غير القرآن: اصحاب النعمة بفتح "النون" وتشديدها لحدث خلل في المعنى المراد

ولأوهم هذا القول جواز فصل المتعة والسرور عن الشاعر بما حال وجودهما فيه هذا محال . أما إذا قيل: اصحاب النعمة بكسر "النون" وتشديدها فإن المعنى يكون صحيحاً ، لأن النعمة بمعنى المال المملوك لا يمتنع فصله وعزله من مالكة بل هو مفصول عنه في الواقع .

وأضيفت كلمتا "أولى وأولوا" إلى كلمة "الأرحام" ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥) الأنفال .

أولوا الأرحام: ذوو القرابات من جهة النسب ، وهي كناية لطيفة عن صلوات النسب الناجمة عن الآباء والأمهات وما تفرع عنهما .

والقرابة اعتبار ذهني معنوي وكل اثنين أو أكثر بينهما قرابة نسبية فهي معنى لازم بينهما أو بينهم لا يمكن مجال إزالة ذلك المعنى بأى وسيلة ، وهذا هو معنى "قوة الصحبة" بين المضاف هنا وهو "أولوا" والمضاف اليه وهو الأرحام . وبسبب الإلماح إلى هذا المعنى "قوة الصحبة" زيدت الواو بين الهمزة واللام في "أولوا" ولا يقال في فصيح الكلام: اصحاب الأرحام لخلو كلمة "اصحاب" من الدلالة على هذا التلازم المعبر عنه بـ "قوة الصحبة" ، وسيأتى بيان ذلك عند المقارنة بين ما تضاف اليه كلمة "اصحاب" في لغة القرآن العظيم . وقد وردت هذه الإضافة مرة أخرى في لغة القرآن في غير سورة الأنفال وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ (٦) الأحراب

وأضيفت كلمتا "أولوا وأولى" إلى كلمة "القربى" في حالتي الرفع والنصب والتعريف والتنكير "القربى - قربي" ففي حالة الرفع والتعريف جاء قوله تعالى ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَزْذُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ . النساء وفي حالة النصب والتنكير جاء قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣) التوبة .

كما أن "أولى" مضافة إلى "القربى" في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَىٰ الْقُرْبَىٰ ﴾ (٢٢) النور . وهذه المواضع كلها تتنظم تحت مبدأ "قوة الصحبة" الذي من أجله كانت زيادة الواو بين الهمزة المضمومة واللام في كل من "أولى وأولوا" .

واضيفت "أولوا" إلى كلمة "الطول" في قوله ﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَنَّهُدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَقْدَنَّاكَ أَوْلُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ (٨٦)﴾ التوبة: ..

والطُّول على ما يفهم من كلام المفسرين والمعاجم اللغوية هو "القدرة" أو "السعة" وهما اعتبار معنوي وكيفية نفسية وإن كانت أسبابها حسية مادية مثل صحة البدن من العلل والآفات المقعدة ووفرة المال في اليد . فالطول بهذا الاعتبار شديد اللصوق بالمضاف لا يقبل الانفصال عنه ، وهو معنى: "قوة الصحة" التي من أجلها زبدت الواو في "أولوا" بين الهمزة المضمومة واللام ، وأوثرت "أولوا" على "أصحاب" لشدة دلالتها على المعنى المراد من كلمة "اصحاب" كما سيأتي عند المقارنة بين ما تضاف إليه كل منهما . وسوف يتضح أن "اصحاب" لا تصلح للاستعمال في موضع "أولوا" وأن "أولوا" لا تصلح كذلك للاستعمال في موضع "أصحاب" وإن فسرت كل منهما بمعنى الأخرى فهما كالمترادفين وليستا مترادفتين من كل الوجوه .

واضيفت "أولوا" إلى كلمة "الفضل" معطوفا عليها كلمة "السعة" في قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ (٢٢)﴾ النور

وما قيل في "الطول" يقال في "الفضل" فهما جميعا كقيمتان نفسيتان قائمتان بذات المضاف إليهما قياما عضويا مثل قيام الروح المترجة بالجسم في حال الحياة وذلك كله يحقق "قوة الصحة" بين المضاف "أولوا" والمضاف اليه "الفضل" وكل من "الطول" و"الفضل" لم يرد في القرآن الحكيم إلا مرة واحدة مضافا اليه "أولوا" .

واضيفت "أولوا" الى كلمة "العزم" مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (٣٥)﴾ الأحقاف

والعزم: الهم القوى والإقدام المبرم على فعل شئ أو هو قوة الإرادة والتضميم . فهو بهذا الاعتبار كيفية نفسية لا يمكن عزلها عن "العزم" ، وهذا هو "قوة الصحة" بين المضاف "أولوا" والمضاف اليه "العزم" . واضيفت "أولى" إلى كلمة "الضرر" مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٩٥)﴾ النساء.. الضرر والضر هو ما يصيب الإنسان من صنوف الأذى والشر والمراد من "الضرر" في الآية- كما يفهم من المقام - العجز المترتب على ما يصيب الجسم من آفات . وهو

هذا الاعتبار عجز ملازم لصاحبه وقت حلول أسبابه به كالمرض الشديد والعرج والعمى و"قوة الصحة" ملحوظة بين المضاف "أولى" والمضاف إليه "الضرر" . وهو المعنى الرموز إليه في الرسم العثماني للمصحف الشريف بزيادة الواو بين الهمزة المضمومة واللام.

وأضيفت "أولى" إلى كلمة "الأمر" مرتين في لغة القرآن إحداهما في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء : ٥٩ . والثانية في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ .. ﴾ (٨٣) النساء . والمراد من "الأمر" الحكم والسلطان وهما أمران معنويان قائمان بالحاكم والسلطان المخول بإدارة شئون الأمة و"قوة الصحة" بين المضاف والمضاف إليه في هذا البيان لا تحتاج إلى دليل.

وأضيفت "أولوا" إلى كلمتي "قوة و بأس" في آية واحدة ، وهي قوله تعالى حكاية عن قوم بلقيس ملكة سبأ: ﴿ قَالُوا لَنْ نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٣٣) النمل والقوة والبأس: الشدة والشجاعة والبطش في الحروب وهي أوصاف ذاتية شديدة اللصوق بالموصوف . لذلك آثرت لغة القرآن أن يكون المضاف إليهما هو "أولوا" دون أصحاب أو "ذوو" لما في "أولوا" من خصوصية "قوة الصحة" الرموز إليها بزيادة الواو بين الهمزة واللام . هذا وقد أضيفت "أولى" إلى "بأس" في موضعين آخرين هما قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولُنَّهُمَا بِعِثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ (٥) الإسراء . وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ .. ﴾ (١٦) الفتح . أما "القوة" فقد أضيفت إليها "أولى" في موضع آخر واحد هو قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (٧٦) القصص .

وسر هذه الإضافات كلها سر الدلالة على "قوة الصحة" بين المضاف والمضاف إليه . وأضيفت "أولى" إلى كلمة "الإربة" في قوله تعالى ﴿ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ (٣١) النور . الإربة - عموماً - : الحاجة، والمراد منها في الآية الكريمة الإحساس الذكوري بالميل إلى "الأنتى" ، وهذا الإحساس إنفعال نفسى يشعر به الرجل السوى تام التكوين بكل وظائف الأعضاء . وهو بهذا الاعتبار أمر لاصق بالإنسان لا ينفصل عنه وليس له تحقق في الوجود خارج الجسم الذى يحس به . وهذا هو "قوة الصحة" المستفادة

من زيادة الواو في "أولى" لا يقال: إن "أولى" حتى إذا رسمت على الأصل هكذا: "ألى" بدون زيادة "الواو" فإنها تدل على هذا المعنى لأننا نقول: إن "ألى" بدون زيادة "الواو" تدل على مجرد "الصحة" مثل صاحب ولا تدل على "قوة الصحة" إلا بزيادة الواو هذه .
 وإضافة "أولى" إلى "الإربة" لم ترد في لغة القرآن إلا في آية "النور" فهي - إذا - من فرائد النظم القرآني الحكيم .

ويرى بعض العلماء أن "غير أولى الإربة" في الآية هم العجزة من الرجال الذين يفقدون - أصالة - الإحساس بالميل إلى النساء ولا ريب أن هذا العجز ملازم لهم .

وأضيفت "أولو" إلى كلمة "بقية" في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَّهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .. (١١٦) ﴾ هود . والبقية على ما جاء في كتب التفسير الفضل والخير والخشية وهي على هذا كصفات نفسية قارة في ذوات من يتصفون بها .

والكيفيات النفسية لا وجود لها خارج محالها وهكذا يستمر معنا مبدأ "قوة الصحة" في كل ما أضيفت إليه "أولوا ، وأولى" وهكذا تظل زيادة "الواو" في "أولوا وأولى" رمزا دائما على هذه الدلالة "قوة الصحة" في الرسم العثماني للمصحف الشريف .

وإضافة "أولوا" إلى "بقية" من فرائد النظم القرآني الحكيم حيث لم ترد فيه إلا مرة واحدة . وأضيفت "أولى" إلى كلمة "النهي" مرتين هما: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَّهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .. هود . ﴾ ﴿ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْتَعَمْتُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى (٥٤) ﴾ طه . وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى (١٢٨) ﴾ طه النهى: هو العقل الذكي الحصيف وهو ملكة لطيفة زود الله بها الإنسان قارة فيه يعرف بآثاره ولا تدرك حقيقته ولا يفصل عن المتصف به .

وهو بهذا الاعتبار قوى الصحة بالعقل لذلك كان المضاف إلى الفعل هو "أولى" في الموضوعين وكانت زيادة الواو رمزا إلى هذا المعنى اللطيف .

وأضيفت "أولوا" وأولى" إلى كلمة "الألباب" ست عشرة مرة أولها حسب الترتيب المصحفي قوله تعالى: ﴿ . وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٦٩) ﴾ البقرة . واللب هو: العقل الخالص الذكي وهو ملازم لمن يتصف به قار فيه لا يفصل عنه ولذلك أضيفت إليه كلمة "أولوا" و"أولى" في المرات الست عشرة الواردة في القرآن الحكيم للدلالة على "قوة الصحة" بين المضاف والمضاف إليه . وأضيفت "أولى" إلى كلمة "أجنحة" في قوله تعالى: ﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولِي الْأُجْنِحَةِ (١) ﴾ طاطر . وهذه هي المرة الوحيدة التي

أضيفت فيها "أولى" إلى كائن مادي مشخص له وجود محسوس في الواقع ومع هذا فإن معنى "قوة الصحبة" ملحوظ فيه بكل وضوح لأن "الجناح" متصل بالجسم اتصالاً عضوياً ملازماً لمن رُكب فيه. بهذا تطرد دلالة زيادة الواو في كل من "أولوا ، أولى" على "قوة الصحبة" في جميع المواضع التي وردت هاتان الكلمتان مضافتين فيها في لغة القرآن العظيم وفي هذا تأكيد بعد تأكيد لخلو القرآن في رسم الكلمات المخالف للرسم الإملائي الحديث من عدم الدلالة على معنى لطيف من أجله كانت تلك المخالفة الحكيمة .

أما "أولات" وهى خاصة بالجمع المؤنث كما كانت "أولوا" و"أولى" دالة في الظاهر على الجمع المذكر فإنها- اعنى أولات- جاءت في لغة القرآن مضافة مرتين: أولهما قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٤) الطلاق والثانية قوله جل ذكره: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلًا﴾ (٦) الطلاق^ع

وقوة الصحبة بين الحامل والحامل أو المضاف والمضاف إليه لا تحتاج إلى دليل. ويكفى أن يقال في تأكيد قوة الصحبة هنا: أن المرأة الحامل ترى هي والجنين المستكن في رحمها شخصاً واحداً لاشخصين، حتى ولو كان في بطنها جنينان أو أكثر

وهذا كله يثبت يقيناً أن مافى الرسم العثماني للمصحف الشريف من خصوصيات خالف فيها الرسم الإملائي الحديث لم يرد عبثاً ولا اعتباطاً.....

ثم يذكر الأمثلة التي أضيفت فيها كلمة (أصحاب).. مثل (أصحاب الجنة) و(أصحاب النار) (أصحاب الكهف) (أصحاب القرية) (أصحاب السفينة) (الأعراف).. ومنها يتبين أن المضاف (أصحاب) شئ مستقل الذات في الوجود .. وأن المضاف إليه وهو (الجنة و..) شئ مستقل الذات في الوجود... الصحبة ليست قوية لخلوها من قوة الإتحاد والمنزج.

والملاحظة الأخرى: هي الفرق بين (أولوا القريبى) و(ذوى القربى).. وملاحظة استخدام القرآن وتطويبه لصوت الكلمة الذى يتناسب مع المعنى المراد منها، حيث أن (ذوى) في نطقها يلاحظ فيها الجمع والضم في حروف الكلمة ، ولذلك قيل في معناها: هم القرابة القرية جداً .. بخلاف (أولو) التي ينطلق ويجرى بها النفس لأنها تعنى القرابة بصورتها الواسعة والقرابة البعيدة.

زيادة الواو في وسط الاسماء (٢)

كان الحديث في الحلقة الماضية عن زيادة الواو في وسط بعض الأسماء مثل: أولو وأولات، وفي هذه الحلقة نستوفى الحديث عن أسماء أخرى زيدت الواو في وسطها للدلالة على معان لطيفة لا تستفاد إلا من هذه الزيادة ، وهذه الأسماء التي تناولها هنا ثمانية: أربعة اصول هي: الصلاة، الزكاة، الحياة، الربا، وهي قد رسمت في المصحف الشريف هكذا: الصلوة، الزكوة، الحيوة، الربو .

ثم أربعة فروع هي " بِالْعَدْوَةِ - كَمِشْكُوَةِ - النَّجْوَةِ - وَمَتْوَةٌ .." مع ملاحظة أن الألف في كل هذه الكلمات الثماني محذوفة مستعاضاً عنها بألف رأسيه صغيرة كما هو الشأن في الرسم العثماني للمصحف الشريف في كلمات لا تكاد تحصر.

سورة النجم: (٢٠). ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّيْلَ وَالنَّجْمَ ۖ ﴿١﴾ وَمَنْوَةٌ ثَلَاثَةٌ الْأُخْرَى ﴾ . وسورة الكهف: (٢٨) ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وسورة غافر: (٤١) ﴿ وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ سورة الكهف (٨١) ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ وسورة النور (٣٥). ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الصلاة:

ترداد الواو في الصلاة بعد الألف وقبل التاء المربوطة في الرسم العثماني للمصحف إلا في بعض مواضع لم ترد فيها "الواو" لسبب سنعرفه بإذن الله.

وقد دلت هذه الزيادة على تفخيم وتعظيم شأن الصلاة عموماً فرضاً كانت أو نفلاً مرتباً أو تطوعاً لأن الألف واللام في الصلاة لتعريف الجنس الشامل لأفراد ذلك الجنس.

فهى لم ترد عبثاً وحاشا لله أن يكون في كتابة شئ يخلو من المعاني والأسرار.

إن كتاب الله العزيز لم ترد فيه كلمة "الصلاة" خالية من هذه "الزيادة" الرامزة إلى تلك المعاني والأسرار العظيمة إلا في بضعة مواضع هي:

سورة الأنفال: (٣٥) ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ وسورة الأنعام: (١٦٢) ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وسورة الإسراء: (١١٠) ﴿ . وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ وسورة النور: ٤١. ﴿ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ ﴾

والأنعام: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢).

وسورة المؤمنون: (٢) ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

وسورة المعارج: (٢٣) ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ ذَائِبُونَ﴾

وسورة المعارج: (٣٤) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ سُحْفَاتُونَ﴾

وسورة الماعون: آية هـ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

هذه المواضع لم تأت "الواو" فيها فريدة في الرسم العثماني للمصحف الشريف ، وهذا قد لحظه الإمام الزركشى وأشار إليه إشارة مجملة دون أن يكشف عن السر في مجيئها خالية من الواو، نذكر ما هدانا إليه الله عز وجل بعد طول النظر والتأمل بحثا عن الفروق بين ما زيدت فيه الواو وما لم تزد فيه . هذه الفروق تبين لنا بجلاء من النظر في النظم القرآني نفسه لا من شئ سواه.

فقد تبين أن "الصلاة" التي تزداد فيها "الواو" هي ما كان معناها (عاما شاملا) لكل افراد الجنس، أما إذا كان المعنى قد دخله شئ ما من الخصوص فلا تزداد تلك "الواو" .

والمواضع التي تقدم ذكرها خالية من زيادة "الواو" جاءت كلها مضافة إلى الضمير سواء كان ضمير متكلم "صلاتي" أو ضمير مخاطب "صلاتك" أو ضمير غائب "صلاته" - "صلاتهم" ، وهذا ظاهر من الآيات المتقدم ذكرها ، ومعلوم أن الإضافة نوع من التخصيص والتقييد فليس مدلول "الصلاة" معرأة عن الإضافة هي مدلول "صلاتي" أو "صلاتهم" مضافات إلى الضمير.

فشرط العموم لازم في استجلاب زيادة "الواو" ، فإذا تخلف هذا الشرط رسمت كلمة "صلاة" خالية من الواو.

هذا هو المعنى الذي لم يعره أحد انتباها ، وهذا معنى عظيم كما نرى .

فالصلاة المفخمة بزيادة الواو في الرسم العثماني للمصحف الشريف هي الصلاة الجامعة العامة التي معناها "كلية" لا جزئية ، ولذا يمكن أن نقول: إن ما جاء مضافا من الفاظ "الصلاة" في القرآن كان في معناه تخصيص ما اقتضى ترك زيادة الواو في الرسم إلا في موضعين جاءت فيهما "الصلاة مضافة" ، ومع هذا زيدت فيها "الواو" استثناء من القاعدة التي أثبتناها آنفا. ولم تأت زيادة "الواو" فيهما اعتبارا بل جاءت لمعنى جرى بالقبول والتقدير.

والموضعان هما: قوله تعالى: في

سورة التوبة: (١٠٣). ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

وسورة هود: (٨٧). ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ **أَصْلُوْئِكَ** تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾
وسبب زيادة "الواو" فيهما الآتي:

فريق من القراء وهم حفص عن عاصم والكسائي وخلف قرأهما في التوبة وفي هود بالإفراد هكذا (إن صلاتك) بفتح التاء في التوبة و(أصلواتك) بضم التاء في هود. أما الباقيون من القراء فقد قرأوهما في الموضعين بالجمع هكذا: (إن صلواتك) بكسر التاء في التوبة و(أصلواتك) بضم التاء في هود. إذا فإن خروج هذين الموضعين عن القاعدة وهي ترك زيادة الواو في الصلاة إذا أضيفت سببه صلاحية الرسم فيهما لقراءتي الإفراد والجمع ، وهذا من دقائق المعاني في خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

زَكَاةٌ:

زيدت "الواو" في الزكاة كما زيدت في الصلاة والمعنى العام الذي زيدت فيهما من أجله واحد هو التفعيم في شأنهما وتعظيمهما، بيد أن الزكاة انفردت بخصوصية زيادة "الواو" فيها في جميع مواضع ذكرها في القرآن الكريم لم يختلف فيها أى موضع من مواضع ذكرها، بخلاف ما تقدم في الصلاة حتى في ما لم يأت منها بمعنى إنفاق المال مثل قوله تعالى: في سورة الكهف: (٨١). ﴿ وَأَمَّا **الْغُلَامُ** فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ **زَكَاةً** وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

إذ ليس المراد من "زكاة" هو الإنفاق المالى بل المراد طهارة الروح وثبات القلب على الإيمان والطاعة لله عز وجل ، والسبب في اطراد زيادة "الواو" في الزكاة هو أنها لم تأت في الذكر الحكيم مضافة قط بل معرفة باللام أو منكرة كما في آية الكهف المذكورة آنفا. وعدم ورودها مضافة محص دلالتها للعموم والشمول والكلية وهذا شرط في زيادة "الواو" كما تقدم في مبحث الصلاة.

الْحَيَاةُ

من الأصول الأربعة التي زيدت فيها "الواو" في الرسم العثماني في وسط الأسماء كلمة "الحياة" سواء كانت معرفة أو منكرة ، وجاءت هذه الزيادة رمزا - كذلك - على ما للحياة من فخامة وعظمة لأنها مبدأ الوجود والحركة والنشأة وعمارة الأرض واستثمار ما فيها من طاقات ونعم لا تحصى .

الحياة هي الوجود ومناطق الخلافة في الأرض ومن النظر في مقامات ورود كلمة "الحياة" في لغة القرآن يبدو أن شرط زيادة "الواو" فيها أن يكون معناها (كلية شاملا) ، أما إذا دخله نوع ما من "الخصوص" فلا تزداد فيها "الواو" كما تقدم في "الصلاة" وهذه أمثلة تؤكد ذلك: سورة البقرة (٢٠٤) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾

سورة آل عمران: (١٤) ﴿ وَاللَّاتِعْمِرِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَنَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

سورة النساء: (٧٤) ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾

سورة الأنعام: (٣٢) ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ في الآيات الأربع دلت كلمة "الحياة" على العموم والشمول واطردت فيها زيادة "الواو" لوجود شرط زيادتها. ما لم تزد فيه "الواو"

سورة الأحقاف: (٢٠) ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾

وسورة الأنعام: (٢٩) ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

وسورة الفجر: (٢٤) ﴿ يَقُولُ يَلْبِغُنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

إن المعنى المراد من: "حياتكم" - "حياتنا" - "حياتي" معنى خاص هو حياة المضاف إليه وهو كاف الخطاب في الأولى ، وضمير الجمع المتكلم في الثانية ، وضمير المفرد المتكلم في الثالثة. وبهذا يبدو بكل وضوح أن "خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف" تسير على منهج منظم ودقيق كل الدقة مما يدعو إلى اليقين بأن ما بين ضفتي المصحف كله معجز.

الرَّبَّوَا

هذا هو الأصل الرابع من الأصول التي تزداد فيها "الواو" في الرسم العثماني للمصحف الشريف رمزا إلى معنى تدل عليه هذه الزيادة. هذا المعنى هو: التفضيع والتهويل

والتفسير من الربا مصدرا من مصادر الكسب الخيث. وهذا ماتراه واضحا في الآيات الآتية:

سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ.﴾ (١٠٠) «.. وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» (١٠١) ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَرَبَاهِ﴾ (١٠٢) ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) وسورة آل عمران: (١٣٠) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وسورة النساء: (١٦١) ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾

وردت كلمة "الربا" في هذه الآيات ست مرات وقد زيدت فيها "الواو" بين الباء والألف في المرات السابقة مرادا من هذه الزيادة تهويل شأن الربا وتفظيعه والتفسير منه. إلا موضعا واحدا. نعم إلا موضعا واحدا من مواضع ورود كلمة "الربا" في القرآن لم ترد فيها هذه الزيادة وهو قوله تعالى: في سورة الروم (٣٩) ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَا عِنْدَ اللَّهِ﴾

وإنما لم تزد الواو هنا لذهاب معنى "الكلية" المعهودة في الأذهان المفادة من تعريف الربا باللام في المواضع الستة الآتفة الذكر، لأن التعريف فيها صرف الذهن إلى معنى "الربا" المعروف لدى المخاطبين، أما في هذه الآية فقد جاءت الكلمة نكرة (من ربا) بدخول حرف الجر الزائد من حيث اللفظ لا من حيث المعنى، وهذا كثير الوجود في القرآن مثل: في سورة هود: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦) وفي سورة البقرة: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ (٢٧٠). وهذه الصياغة لا تدل على المعنى الكلى العام، بل على تتبع جزئيات ذلك المعنى، وهذا نوع من الخصوص سوغ ترك زيادة الواو في هذا الموضع. وقد دخله الخصوص من جهة أخرى نص عليها بعض المفسرين وهي احتمال "ربا" هنا لهبة الثواب وهي مما أجازها بعض الفقهاء (٥). ((وهبة الثواب هي ما يجرى بين الناس في بعض المناسبات كالنقوط في الأفراح، وقد رخص فيها مذهب الإمام مالك، فيردها أخذها بأكثر منها، وهي ليست من القروض التي جرت نفعاً، بل من باب "المعروف" الذي تحسن المكافأة عليه.))

وبهذا ينتهي الحديث عن الأصول الأربعة المتقدم ذكرها.

الفروع الأربعة: بِالْغَدْوَةِ

زيدت الواو في هذه الكلمة بعد الألف وقبل التاء والأصل أن تكتب هكذا:
"الغداوة" وقد ورد تفريده بالواو في موضعين من القرآن الكريم هما: في سورة الأنعام: (٥٢)
﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ وسورة الكهف: (٢٨) ﴿... وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾
❁ وأضيف لقول أستاذنا المطعني ملفت آخر وهو: قول الإمام
أ. السعود: ... وقرىء بالغدوة.. ويكفى هذه القراءة تفسيراً لرسمها هكذا.

والسر اللطيف الذي رمزت اليه هذه الزيادة هو التنويه ولفت الأذهان إلى فخامة
ما تدل عليه كلمة "الغدوة" فالغدو والغدوة هي مبدأ الحركة والانطلاق نحو الخير العاجل
والآجل. وقد قوبلت بالعشى، وعشية الشيء نهايته كما قوبل الغدو بـ"الأصل" في سورة
"النور" في قوله تعالى: في سورة النور (٣٦) ﴿يُسْتَبَحُّ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾. فالغدوة
والغدو هما بداية حركة الحياة من أجل ذلك فحمت "الغداوة" بزيادة "الواو" ومما زاد في
فخامة معناها وقوع ذكر الله فيها في الآيتين الكريمتين.

❁ ونقول الأولى لأنها قرئت (الغدوة) وهذا وجه مناسب وهام جداً يحترمه الرسيم
العثماني - كما سنرى إن شاء الله -.

كَمْشَكُوةٌ

هذه الكلمة من فرائد القرآن لم تذكر فيه إلا مرة واحدة في قوله تعالى: في سورة
النور: (٣٥) ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمْشَكُوةٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هذه الآية
تمثيل لعظمة هداية الله لأهل السموات والأرض وهداية الله من الأمور الذهنية العقلية
وليست كتلة مادية. ونور الله مستعار لهدايته ووجهه إلى رسله، وكلمات الآية وتراكيبها
كلها مشرقة مضيئة.. "الله نور - مثل نوره - فيها مصباح - المصباح في زجاجة - كوكب
درى - توقد - مباركة - يكاد زيتها يضيء - ولو لم تمسسه نار - نور على نور - يهدى الله
لنوره. من أجل هذه المعاني الفخمة العظيمة زيدت الواو في "مشكوة" تفخيماً لشأنها،
وتلميحاً إلى كمالها في الإضاءة وطاقة الضوء الهائلة المرئية فيها، والمشكوة هي الكوة غير
النافذة في الجدار حتى لا يتبدد ضوءها أو يناله شيء ما - من الضعف.

﴿ ((يكفى - تفخيماً - أن نقول أنه مثل ضرب لنور الله)) .

النَّجْوَة:

وهذه من فرائد القرآن كذلك وإن كانت مادتها لها ورود فيه لكن لا على هذه الصيغة الأسمية المعرفة باللام . وكان ورودها في قوله تعالى: سورة غافر (٤١). ﴿ وَيَنْقُومِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ وزيادة "الواو" فيها بين الألف والتاء رمز كذلك إلى تفخيماً وتعظيمها لأنها نهاية درجات الفلاح والفوز في الحياتين: الدنيا والأخرة ، وهى متضمنه معنى "الجنة" بدليل مقابلتها بـ "النار" .

وإذا سأل سائل: إذا كان المراد من النجاة الجنة فلماذا عدل البيان القرآني عن الجنة إلى النجاة؟ والجواب: ان معنى النجاة أعم من معنى الجنة؛ فالنجاة تشمل الفلاح في الدنيا والفوز بالنعيم المقيم في الأخرة ، أما "الجنة" فمعناها مقصوراً على نعيم الأخرة .

وفي الغداة والنجاة سر آخر تدل عليه زيادة الواو فيهما (وهو الإلماح إلى الأصل اللغوي في جذر كل منهما) فالغداوة: من غدا يغدو . والنجاة: من نجا ينجو . فالواو فيهما هى لام الفعل كغزا يغزو ونما ينمو ودعا يدعو .

وَمَنْوَةٌ:

وهذه كسابقتها من فرائد القرآن وقد وردت في قوله تعالى في سورة النجم ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّكَّتْ وَالْعُرَىٰ ۖ وَمَنْوَةٌ الثَّالِثَةُ الْآخَرَىٰ ﴾ وهى من اصنام العرب في الجاهلية وقد زيدت فيها "الواو" بين الألف والتاء لا لتعظيمها وتفخيماً بل لتحويل شأنها وتفظيحه وقبحه لأنها قاعدة الضلال لأن عبدة الأصنام من العرب كانوا يعظمونها بنوع خاص من التعظيم . يذبجون عندها النسائك تقرباً إليها ويرفعون إليها حوائجهم ويتباركون بها ويسألون إنزال الغيث من السحاب . ولذلك أفردها الله بوصف الذم والتهكم عليها "الأخرى" رداً على تعظيم المشركين لها ورجائهم الخير منها .

وهكذا يتضح لنا بكل جلاء: أن زيادة "الواو" في الرسم العثماني في بعض الكلمات إنما كانت رموزاً لمعان لطيفه واسرار شريفه سواء كان ذلك في حذف "الواو" أو في زيادتها . أو في غير الواو كالألف والياء كما سيأتى . ونرجو أن يكون في هذا مقنع لمن ينادون بكتابة المصحف وفق الرسم الإملائي الحديث .

زيادة الواو في أواخر الأسماء

سبق الحديث عن زيادة "الواو" في أواسط الأسماء في الحلقتين الخامسة والسادسة وبقى الحديث عن زيادتها في بعض الكلمات في أواخر الأسماء ولم ترد هذه "الواو" مزيدة في أواخر الأسماء إلا بضابطين مطردين:

أحدهما: أن يكون الاسم المزيدة فيه مرفوعا لا منصوبا ولا مجرورا.
والثاني: أن الاسم مقطوعا عن الإضافة إلى الضمائر وهذه الزيادة - كما عهدنا - تأتي مرموزا بها إلى معنى لطيف ؛ فهي من حيث الرسم الخطي تعتبر زائدة ، أما من حيث المعنى فتأتي متمكنة أصلية.

وفيما يلي أمثلة من لغة القرآن توضح كل ذلك وتجليه: سورة الشعراء: (١٩٧)

﴿ **أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ وسورة فاطر: (٢٨) ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ** **اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَتُوا** **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ وسورة ص: (٢١) ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ** **نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ** ﴾ وسورة التغابن: (٥) ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا** **مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ وسورة المائدة: (٢٩) ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ** **بِإِيْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** ﴾ وسورة غافر: الآيتان ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ** ﴾ ﴿ **قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُّسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُا** **الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ** ﴾

من ذلك قوله تعالى: في سورة الشعراء: (١٩٧) ﴿ **أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ**

﴿ **عُلَمَتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾. والمراد من علماء بني إسرائيل هم الذين آمنوا منهم بعد الهجرة: كعبد الله بن سلام لما عرفوه من الحق فيما أنزله الله اليهم وهذا ثناء من الله عليهم لأنهم جهروا بالحق لمبعوثي قريش اليهم. وزيادة "الواو" في "علماؤا" والأصل: علماء بهمزة مضمومة لكن زيدت "الواو" رامزة إلى معنى لطيف هو تفخيم وتشريف وتكريم هؤلاء العلماء لأنهم اعلنوا الحق الذي علموه ولم يكتموه كما فعل الآخرون من اجبارهم.

وكذلك قوله تعالى: في سورة فاطر: آية ٢٨. زيدت "الواو" في كلمة "العلماء" كما زيدت في "علماء بني إسرائيل" وسبب الزيادة في الموضوعين واحد هو التعظيم والتفخيم والتكريم ، وقد عرفنا جهة التفخيم في "علماء" أما جهة التفخيم في "العلماء" هنا فهي أن الله عز وجل حصر خشيته فيهم وقصرها عليهم قصر صفة على موصوف قصرها حقيقياً - وخشياً - شرف عظيم لمن يتصف بما وفضل ليس فوقه فضل.

فإن قال قائل: إن التعظيم والتفخيم في الموضوعين مستفاد من المقام وقرائن الأحوال وليس من زيادة "الواو" قلنا إن في زيادة "الواو" لفتا قويا للأذهان إلى هذا المعنى لأن الشيء إذا جاء على خلاف الأصل كان باعثاً على التأمل والبحث عن السر وراء هذه المخالفة أو الخصوصية فهي مثل النير في الكلام.

❁ (وأقول : هذه قاعدة مهمة جداً - سنلفت النظر إليها كثيراً - وأرجو من القارئ والباحث أن لا ينساها في مشوارنا مع الإعجاز في رسم المصحف)، وأقول أن هناك ملحظاً نحويّاً هاماً في كتابة الكلمة بالواو الزائدة (التي لا تنفيذ إلا الرفع فقط) وذلك للتأكيد على قراءة الرفع (وخاصة أنه لم يكن هناك في حينها رسم للضمة التي تؤكد على الرفع ، وفي هذه الحالة يمكن - عن طريق الخطأ - لمن لم يحفظ الآيات سماعاً - أن يقرأها بالنصب .. وهنا يكون مكمّن الخطورة)

وهذا الرأي اشار إليه بعض العلماء، وتكون الكتابة بهذه الواو الزائدة قد قطعت الطريق على قراءة النصب التي قد تختلط في الأذهان نتيجة تأخير كلمة العلماء في وضعها في الجملة مما يعطى شبهة إعرابها على أنها مفعول به منصوب .. ويكون معناها - عن طريق القراءة بالنصب أن الله هو الذي يخشى العلماء..)

❁ تعليق آخر من الكاتب: ونقول أن هذا الرسم بهذه الصورة المخالفة يرد على سؤال آخر ربما يثار في الأذهان وهو: أنكم تقولون في قرآنكم: ﴿ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمْ عِلْمُهُمْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ونحن في الواقع العملي المشاهد أمام أعيننا نجد أن العلماء (الأوربيين وغيرهم) لا يخشون الله.. وأيضاً لا يعلمون صدق القرآن ولا يؤمنون به ؟..

فيكون الرد على هذا هو: الرجوع إلى رسم كلمة (علماء) هذه - بهذه الصورة - التي ترسم من هم العلماء المقصودون.. فهم علماء (ثقال) - علماء (دنيا وآخرة) - مثل ابن سلام وغيره الذين ارتفعوا عن شهوات الدنيا - وليسوا هم علماء الدنيا فقط

المألوفين لدينا - والتي تكتب صفتهم بالصورة المألوفة لدينا (علماء) - ولأجل هذا المعنى كان هذا الرسم العثماني على هذه الصورة

ونعود لنكمل المشوار:

ومن ذلك كلمة "نبؤا" واصلها أن تكتب في الرسم الإملائي الحديث هكذا "نبأ" بهمزة مضمومة فوق الألف ، لكنها جاءت في الرسم العثماني للمصحف الشريف واوا فوقها همزة ، وذلك في موضعين من القرآن في سورة واحدة: أولهما قوله تعالى: في سورة ص: (٢١) ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ زيدت "الواو" في هذا الموضع للدلالة على تهويل الحدث المدلول عليه بكلمة "نبؤا" لما فيه من غرابة بادية من قوله عز وجل: (إذا تسوروا المحراب) لأن الدخول المعهود يكون من الأبواب مع حصول الإذن من المدخول عليه وهو هنا داود عليه السلام، والخصم موضوع الحديث في هذه الآيات دخل على داود من جهة غير معهودة ؛ وهذه إحدى جهات التهويل.

وجهة أخرى بادية من قوله عز وجل مخبرا عن داود: (إذ دخلوا على داود ففرع منهم) والفرع لا يكون إلا من الأحداث الفادحة وبخاصة إذا اقترنت بعنصر المفاجأة وهو الثوب من فوق المحراب. إنها عملية مفزعة حقا حملت نبيا كريما على الانزعاج والاضطراب، لهذا استحق هذا النبأ حين قصه الله على رسوله محمد (ﷺ) أن يصور في صياغة فخمة تناسبه ، وأن يكون لنظر القارئ وبصره من هذا "الرسم الخطي" ما لبصيرته من الاستدهاش والاستغراب، وان يكون ما يثير البصر لدى الناظر في كتاب الله مقدما على ما يثير البصيرة.

فالذي يخاطب البصر هو زيادة "الواو" في "نبؤا" ، والذي يثير البصيرة هو جملة "تسوروا المحراب" ، فليست زيادة "الواو" هنا مقحمة بلا معنى وليست هي ناتجة عن اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم بعض الكلمات كما يحلو للبعض أن يفهم وأن يقول بل هي زيادة في الرسم دون المعنى مقصودة قصدا ووراءها معنى تسجد لإعجازه العقول.

﴿ وأقول ربما جاء تفخيم هذا النبأ لخطورته من جهة أخرى ، وهي جهة الإفك العظيم الذي خاضوه في عرض سيدنا داود باستخدام هذا النبأ وتحويله لهذا الغرض البشع والبدني حينما نسبوا لداود أنه زنا بامرأة أوريا- الجندي لديه- وأن الرب عمل هذه التمثيلية توبيخاً له، وأن النعجة - في هذا المثال- هي امرأة أوريا التي زنا بها - وأرى أن

هذا الإفك العظيم في هذه الواقعة يناسبه (زيادة الواو) للفت الانتباه على عظم هذا الجرم .. كأنه يقول: كبرت كلمة تخرج من أفواههم - على مثال ما قلناه في تفخيم كلمة (منوة) وأنه ليس تفخيماً للصنم مناة ولكنه تبشيراً لهذا الحدث .. فالتفخيم أو التهويل يكون في الخير وفي الشر أيضاً)) ونفس هذا الموقف سنقوله في حادثة الإفك على عائشة عليها رضوان الله حيث قال الله عن هذا الإفك: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٥١﴾﴾. وقد اشترك الرسم أيضاً في رسم بشاعة هذا الإفك بوضع الألف في قوله (بأفواهكم) رغم أنها كتبت في جميع القرآن بدون ألف لهذه الخصوصية.

أما الموضوع الثاني فهو قوله تعالى: في سورة ص: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ ﴿٥١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥٢﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥٣﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٥٥﴾ مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ الخطاب في "قل" للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ومما تجدر الإشارة إليه أن فعل الأمر "قل" في القرآن الكريم في صيغة المخاطب المفرد المذكور هو خاص برسولنا الكريم ماعدا موضعا واحدا هو قوله تعالى: في سورة الإسراء: ﴿٢٣﴾ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ فهو خطاب لغيره قطعاً لأن والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا حين نزل القرآن. وكل موضع خوطب فيه صلى الله عليه وسلم بفعل الأمر هذا "قل" مؤذن بأن مضمون الخطاب حقيقة عظيمة. ورسالة جليلة الشأن يجب تبليغها إلى من عُنى بها فوراً وبلا تراجع.

وفي الآية موضوع الحديث هنا (قل هو نبؤا عظيم) زيدت "الواو" في "نبؤا" للدلالة على مضاعفة مقتضيات التعظيم والتفخيم لهذا النبأ ومن حيث التراكيب التي ورد فيها "نبؤا عظيم" نجد البيان القرآني أخرجه في حالة من مقتضيات الفخامة والعظمة وهي كما يأتي:

أ- اشتقاقه من مادة (ن-ب-أ) دون مادة (خ-ب-ر) لأن المادة الأولى تستعمل في الأمور المهمة الجليلة الشأن أما المادة الثانية فلا يشترط فيها ذلك. لذلك قال: "نبؤا" ولم يقل: خير. "لأن النبأ خير ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال

للخير في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعري عن الكذب كالمواتر وخير الله ورسوله".... لذلك قال: "نبؤا" ولم يقل: خير.
 ب- الإتيان به في صورة النكرة "نبؤا" ومن معاني التنكير في البلاغة: التعظيم ويستفاد هذا المعنى من المقام المسوق فيه الكلام أو ما يسمى - بلاغة قرائن الأحوال - وهي - هنا - تدل على التعظيم.

ج- وصف هذا النبأ - هنا - بـ "عظيم" يعني: جليل الشأن رفيع القدر.

د- زيادة "الواو" فجئى به هكذا "نبؤا" ولم يأت نبأ.

وإنما تضامت مقتضيات التفخيم والتعظيم وتآزرت في هذا الموضع لأن هذا النبأ حاز من عناصر الفخامة والعظمة ما لم يحزه نبأ سواه ؛ ذلك لأنه إعلام من الله علام الغيوب بوقائع غيبية ليس لأحد من البشر علم بما إلا عن طريق الوحي الصادق.

وهذا ما تصوره الآيات الآتية: من سورة ص: الآيات ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٣٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٤١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٤٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ فَمَنْ الَّذِي كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْبَشَرِ - وهم كانوا لم يخلقوا بعد - هذه الوقائع في الملائكة الأعلى (الملائكة) لما حدثت؟ ومن منهم سمع كلام الله يوم صدوره للملائكة؟ ومن منهم - أى الملائكة - ساجدين امثالاً لأمر الله؟ لم يشهد احد ذلك. لهذا كان إعلام الله رسوله بما حدث نبؤا عظيما حقا ولا يرتاب في هذا إلا حائد عن الحق.

وكذلك قوله عز وجل : في سورة الأنعام: (٥) ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَأُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

زيدت "الواو" في كلمة "أنباؤا" في الرسم العثماني للمصحف الشريف وكان الأصل أن ترسم هكذا: أنباء بجمزة مضمومة ، وقد اجتلبت هذه الزيادة لإفادة التهويل والتفطيع ومقتضى هذا التهويل هو المبالغة في التهديد والتخويف لأن الكلام مسوق في الحديث عن الذين كفروا وأعرضوا عن الحق الذي جاءهم به محمد رسول الله ﷺ فقد وصفهم القرآن في بدايات سورة (الأنعام) بأنهم يساؤون بين الله وبين شركائهم وأنهم ممترون شاكون في صدق الرسالة والرسول. ثم قال: في سورة الأنعام: (٤) ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ثم جاء قوله تعالى: ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ تهديدا ووعيدا لهم إذا لم يرفعوا عن غيهم وضلالهم ، ومعلوم أن التهديد بالمصير الفظيع أبلغ في التأثير من الوعيد اليسير. من أجل هذا زيدت "الواو" في "أنبأوا" وجاءت هذه الزيادة لافتة الأذهان لفتا قويا إلى فظاعة وهول ما تتضمنه هذه الأنباء من معان وأحداث يوم يجعل الولدان شيبا. وسدت هذه الزيادة مسد أن يقال: الأنباء الفظيعة آثارها المهولة أحداثها.

ومثل آية الأنعام قوله تعالى في سورة الشعراء (٦) ﴿٦﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ ((وأقول: لاحظ جرس كلمة سيأتيهم ، وسوف يأتيهم)) والحديث فيها عن مشركى العرب وقد أشارت الآية الخامسة من سورة الشعراء إلى المعنى الذى تصدرت به آية الأنعام (٥) ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ حيث أجملت آية الأنعام موقف المشركين فى آية واحدة وأفردته سورة الشعراء فى آيتين والمقام فى السورتين واحد تكذيب وإعراض. لذلك زيدت "الواو" فى كلمة "أنبأوا" فى السورتين تعظيما وهويلا لسوء مصيرهم فما تحمله تلك الأنباء من وعيد شديد مؤلم..

وكذلك قول الحق عز وجل: فى سورة التغابن: ﴿٦﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَدَاؤُا لِيَوْمٍ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرًا يَدُوتُنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ هذه الآية جمعت بين توبيخ مناهضى الدعوة من العرب وبين تهديدهم ووعيدهم وإن ينتقم الله منهم كما انتقم من مكذبي الرسل قبلهم كعاد وثمود وهم عرب مثلهم دمرهم الله فلا يرى منهم من باقية. وجاءت زيادة "الواو" فى "نبؤا" مشيرة إلى فظاعة المصير الذى كان لعاد وثمود وأمثالهم وأنه هو المصير نفسه الذى كان ينتظر هؤلاء إذا لم يبادروا إلى الإيمان بالحق الذى جاء به خاتم النبيين (ﷺ).

نبأ نبؤ - أنبأوا

وهنا لابد لنا من تعقيب على حديث د: مطعنى حيث أنه لم يسهب فى عرض الآيات التى تناولت كلمة (النبأ) والى سيتجلى لنا من خلال عرضنا الآتى بعض الملامح الخاصة لرسم الكلمة، وهاهو البيان :

النجم (٣٦) ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ... ۞ أَلَّا تَرَىٰٓ ذُرًّا وَقُرَّةً ۞ وَزَرًّا أُخْرَىٰ ۞ ﴾ وهذا هو النبأ التشريعي عن الأمم السابقة على لسان أنبيائها؛ فهو حديث هادىء النيرة، بخلاف السياق العاصف فى الآيات التالية: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ۞ كَلَّا لَا وَزَرَ ۞ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۞ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۞ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۞ كَلَّا لَا وَزَرَ... يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۞ ﴾ القيامة

وربما يسأل القارىء: لماذا لم تزد الواو فى الآية الأولى "النجم"؟

ويتجلى حقيقة الأمر بملاحظة وجود أداة الجزم (لم) التى تسبق النبأ فى الآية الأولى ، والتى لا يصلح معها وضع الواو فى آخر الكلمة، إضافة إلى أن الحديث عن حكم تشريعى سابق فيه هدوء النيرة..

أما الآية الثانية "القيامة" فهى حديث عن حال هذا الإنسان فى الآخرة وما يحمله من ثقل ما قَدَّمَ وَأَخَّرَ) ففيها علو النيرة وارتفاعها ، وفيها ثقل الكلمة المناسب مع ثقل ما يحمله هذا الإنسان يوم القيامة، إضافة إلى الجو العاصف فى هذه الآيات: ((فإذا برق البصر و... يقول الإنسان .. كلا لاوزر ..)) فهو نبؤا عظيم ، بل هو من أعظم الأنباء على الإطلاق حيث أنه يحكى المصير العاصف لهذا الإنسان الذى هو أنا وأنت.

(١) ﴿ وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ هذا نبأ عادى وسرد عادى لقصة ماضية بخلاف النبأ فى الآية السابقة:

(٢) (٦٧) الأنعام ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ كلام خبرى عادى

(٣) الأعراف (١٧٥) ﴿ وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ كلام خبرى عادى

(٤) ﴿ وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰ قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٧١) كلام خبرى عادى

(٥) ﴿ وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا فَتَنَّلْ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) كلام خبرى عادى

(٦) ﴿ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبِيٍّ مُّوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣)

في كل هذه الآيات كلام خبرى عادى..

لاحظ: ورود قوله تعالى (أتل) والذي يعنى تلاوة أحداث فقط.. والحديث بلفظ الغائب عنهم.. وشدة وطول المقاومة والكفر

ثم نأتى للمقارنة التوضيحية في بعض الآيات لنقف على بعض الحقائق:

(١) (٣٤) الأنعام ﴿ . وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ

أَتَتْهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿

وواضح هنا لهجة الخطاب للرسول محمد (ﷺ) التوكيدية بكل أساليب التوكيد (لقد

..فصبروا .. وأوذوا .. ولا مبدل لكلمات الله.. ولقد .. نبأىء (كأنه يقسم له

لتطمينه وللتأكيد له ، فأتى بكل هذه المعانى في رسم الكلمة (نبأىء))

(٢) (٧٠) التوبة ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِم نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ

وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ ۗ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ .. لاحظ هنا:

(١) عدم المواجهة - أى الخطاب عنهم بلفظ الغائب- (ألم يأتهم) - ولم يقل ألم يأتكم - مما يخفف حدة الحديث ونبرة الصوت وبالتالي رسم الكلمة.

(٢) إضافة إلى أنه ليس في هذا النص هذا الكم من التوكيدات الذى كان في آية الأنعام

(٣) في هذه الآية قال تعالى : فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

...حديث هادىء وتصوير للحدث دون تهديد أو علو نبرة من القوم الكافرين

لرسلهم أو رد الله عليهم...أى ليس بصورة التعنيف واللهجة الشديدة - من

الجانبيين - كما في الآية القادمة في سورة (ابراهيم): حيث يقول: فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ

فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ

مُرِيبٍ):

(٣) ابراهيم (٩) ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۗ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ

فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ

مُرِيْبٍ ﴿ .. قالت رسلهم .. وفي هذه الآيات أيضاً عنصر المواجهة والتعنيف مثل:
(ألم يأتكم) .. بخلاف قوله (ألم يأتهم).

(٤) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ أَلَوْ حِجْدُ الْقَهَّارِ ﴿٢٧﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ نَبُؤٌ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٣٠﴾ مَا كَانَ لِي مِنَ عِلْمٍ
بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ ص. هنا النبأ عن الملاء الأعلى وهم يختصمون وعن
تخاصم أهل النار

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ﴾

التعابن. الخطاب هنا للمؤمنين ، ويخطبهم عن القوم الكافرين ، وليس خطاب تعنيف
للمؤمنين ، بل هو خطاب هادىء النيرة.

(٥) ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) ﴾ فهذا الحديث عن هذه
الأنباء الكاذبة الخطيرة فى عرض الأنبياء. والمثال الآتى يتحدث عن الحديث الخطير
عن الملاء الأعلى ومافيه من الأحداث الصادقة

ولكن تأتى الآية التالية (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) .. وهنا رغم ورود كلمة "النبأ"
موصوفة ب"العظيم" ولكنها كتبت على الصورة العادية والتي ربما يتساءل القارىء : لماذا
إذن لم تضاف الواو فى كلمة النبأ - وهذا حقها بهذا الوصف-؟

ولكننا نبادر ونقول : أن قائل هذا التساؤل هم الكفار على سبيل الاستهزاء بهذا النبأ
الذى يخبرهم به محمد (ﷺ) فهم لا يعظمون هذا النبأ ولكنهم يحقرونه ... ولذلك يقول
العلماء ومنهم الزمخشري وغيره: { يَتَسَاءَلُونَ } .. والضمير لأهل مكة : كانوا
يتساءلون فيما بينهم عن البعث ، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء { عَنِ
النَّبِإِ الْعَظِيمِ (٢) } . { هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ } ؟ قلت : كان فيهم من يقطع القول
بانكار البعث ، ومنهم من يشك . وقيل : الضمير للمسلمين والكافرين جميعاً ، وكانوا
جميعاً يسألون عنه . أما المسلم فليزداد (خشية) واستعداداً وأما الكافر فليزداد
(استهزاء) . وقيل : المتساءل عنه القرآن . وقيل : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ (نَبَأٌ عَادِي لَيْسَ فِيهِ تَفْخِيمٌ)

(٧) ﴿ وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَأٍ نَبَأٌ بَيِّنٌ ﴾ .. كل هذه الأمثلة الأخيرة عبارة عن حديث خبرى

عادى اللهجة والأحداث

أنبأوا

- (١) (٤٤) آل عمران ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾
- (٢) (٤٩) هود ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾
- (٣) (١٠٠) هود ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾
- (٤) (١٢٠) هود ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾
- (٥) (١٠٢) يوسف ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾
- (٦) (٩٩) طه ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾
- (٧) القصص ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٦﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾
- (٨) (٤) القمر ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾
- (٩) *** ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٦٦﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمُ الْبُتُورُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الأنعام - هنا بيرة التهديد العالية بدليل باقى الآيات - : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الأنعام
- (١٠) **** (٦٦) الشعراء ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمُ الْبُتُورُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾
- هنا - فى الآيتين الأخيرتين - نلاحظ زيادة التوكيد أو التهديد من الله (سيأتيهم ، سوف يأتيهم) يناسبه زيادة الواو .. أما باقى الآيات فهى سرد خبرى لأحداث وأنباء حدثت فى الماضى للأمم السابقة للعظة والعبرة

"جزاء".... جزأوا

وكلمة "جزاء" مرفوعة ومقطوعة عن الإضافة إلى الضمائر وردت فى القرآن الكريم مرات وتفاوت رسمها الخطى فيه بين مجيئها بالهمزة المضمومة هكذا "جزاء" وبين مجيئها مزيدة بالواو هكذا "جزاؤا" . والأول هو الأكثر .

ومحال - كما علمنا - أن يكون هذا التفاوت الخطي خاليا من الدلالة وإنما يأتي الرسم الخطي بالهمزة المضمومة إذا لم يقتضى المقام تفخيما ولا تهويلا. ويأتي بالواو المزيده فى الرسم إذا كان المقام يقتضى تفخيما أو تهويلا وتفطيحا. وهذا يظهر بكل وضوح من المقام نفسه الذى تأتى فيه كلمة "جزاء" غير مزيده بالواو أو "جزاؤا" مزيده بالواو. ونسوق لتوضيح ذلك شاهدين من سورة واحدة وهما: سورة المائدة: (٢٩) ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ﴾.. جاءت كلمة "جزاؤا" مزيده بـ "الواو" رمزا إلى أن هذا الجزاء فظيع شديد الإيلام وهو الخلود فى النار، وقدم البيان القرآنى إلى هذا التهويل والتفطيع بالنص على تحمل الجاني مجرمتين لا جريمة واحدة.

الأولى: تحمله جريمة قتل أخيه المسالم الوديع. والثانية: تحمله جريمة نفسه. فالمقام - كما ترى - اقتضى تفطيع الجزاء وتهويله ولولا هذا الاعتبار ما زيدت "الواو" فى آخر الفعل.

✽ (ونزيد أيضاً توضيحاً لذلك هو: أن جريمة القتل هنا ليست كجرائم القتل العادية التى ورد عليها التشديد بالعقوبة، بل إنها تحمل أشنع أنواع التهويل والتفطيع التى استدعت الكتابة على هذه الصورة.. وذلك للآتى:

(١) أن القاتل ابن نبي (وهذا يضاعف له العقاب كما يضاعف له الثواب - كنساء النبي -)

(٢) أن هذا القاتل قد قتل أخيه

(٣) أنه أول من سن سنة القتل. وكما يقول الحبيب محمد ص) أن كل قاتل من ولد ابن آدم - إلى أن تقوم الساعة - يكون لابن آدم الأول (القاتل) كفل من ذنوب هؤلاء القتلة ((

هذا هو الموضع الأول أما الثانى فهو قوله تعالى: فى سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣).﴾ بولغ فى تفطيع وتهويل الجزاء فى هذه الآية فزيدت فيه "الواو" لأن المقام يقتضى هذا التفطيع لقبح الجرائم المرتكبة وهى:

✽ محاربة الله عز وجل أى معصيته وانتهاك أوامره ونواهيه.

✽ السعى فى الأرض فسادا

✽ محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله عز وجل.

✽ السعى فى الأرض بالفساد وهى جملة جامعة لكل معصية فى حق الله وحق العباد.

- قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق. - انتهاك الأعراض. - اغتصاب الأموال أو سرقته.

- ترويع أمن المجتمع والأفراد. - قطع الطريق وتخويف الآمنين.

ولفظاعة هذه الجرائم كان الجزاء فظيعا:

- التقتيل فحسب. - التصليب مع التقتيل. - تقطيع الأيدى والأرجل.

- الحبس أو التغريب. ((ونلاحظ قوله تعالى (لهم خزى فى الدنيا).. حيث قدم كلمة

(خزى) فى هذا السياق .. بخلاف قوله فى آية أخرى (لهم فى الدنيا خزى) حيث أخطر

كلمة خزى هنا- كما فى الآية التالية- (١١٤) ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ

فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ^ط سَمَّعُونَ

الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ^ط يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ

اللَّهَ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ^ط مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي

الدُّنْيَا خِزْيٌ^ط وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾. المائدة

ومعلوم أن تقدم كلمة الخزى فى سياق الحديث عن هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله

ويسعون فى الأرض فسادا... وفى سياق ذكر عقوباتهم المذكورة على هذه الصورة، هو

الملائم أشد وأتم الملاءمة لذكر هذا العذاب (المعجل لهم) فى الدنيا والذى ذكره النص

لهم (خزى فى الدنيا) وليس (فى الدنيا خزى).. وهو لون من ألوان الإعجاز فى هذا الكتاب

المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

هذا الخزى لاحق بهم فى الدنيا أما فى الآخرة فلهم عذاب عظيم لهذه الأعتبارات جميعا.

إذن لفظاعة الجرائم وتغلظ العقوبات العاجلة فى الدنيا وسوء المصير فى الآخرة زيدت

"الواو" فى "جزاؤا" للدلالة على فداحته وسوء منقلب محاربي الله ورسوله العائين فى

الأرض مفسدين.

أما إذا لم يرد التفظيح والتهويل وكان المقام وقرائن الأحوال دالين على انعدام تلك الإرادة فتأتى كلمة "جزاء" في الرسم القرآني خالية من زيادة الواو وفيما يأتي نذكر مثالين توضيحين:

أولهما قوله سبحانه وتعالى: في سورة المائدة: (٩٥) ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾. لم ترد "الواو" في كلمة "جزاء" هنا لأن المقام لم يقتض تفظيحا ولا تهويلا، لأن الجزاء المذكور في الآية هنا هو مجرد غرامة تلزم المعتدى على الصيد وهو محرم فهو - إذن - جزاء دنيوى يسير لا تأثير له على الملمزم به في بدنه ، لذلك خلا "جزاء" من زيادة "الواو" كما ترى.

والمثال الثاني قوله تعالى: في سورة يونس: (٢٧) ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. المقام - هنا - يدل على مقابلة سيئة بسيئة مثلها في حال اكتساب السيئة في الحياة الدنيا. وهذا من رحمة الله بالناس إذ جعل الحسنه بعشر أمثالها وجعل جزاء كل سيئة سيئة مثلها .. ولما خلا المقام من مقتضيات مضاعفة الجزاء وتهويله خلا رسم "جزاء" من زيادة "الواو" وهذا دليل تلو دليل على أن "خصوصيات" الرسم العثماني حافلة بدقائق المعاني وروائع اللطائف ولولا تلك "الخصوصيات" ما كانت تلك المعاني والأسرار.

﴿وهنا أقف بعد هذا العرض الممتع الذى عشناه لأذكر موقفاً دائماً أذكره في كل لقاء ديني مع إخواننا الأحباب وأسألهم سؤالا طريفاً يستدعى منهم التفكير وفيه عنصر المفاجأة - على عادة الأحاجي والفوازير - وأقول لهم : عندنا آيتان في القرآن الكريم كتبنا برسمين مختلفين وهى كلمة (جزاء.. وجزاؤا) وسأذكر لكما الآيتين وقولوا لى أيهما - فى سياقها - التى كتبت بالواو الزائدة (جزاؤا).. وأليتان هما

(١) آية يونس: (٢٧) ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(٢) آية الشورى: ﴿ وَجَزَاؤُهُمْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِثْلِهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

فإذا بالأخوة - جميعاً - يشيرون على أية يونس بأنها هي التي تستحق الزيادة (والتفخيم) بالواو ، لأن السياق فيها مهيبٌ وواصف لهم بصفات خطيرة (وَتَرَهَقَهُمْ ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . وهذا غير موجود في آية الشورى ..
والحقيقة التي مثلتها رسم الكلمة في المصحف غير ذلك ، حيث أن آية البشورى هي التي كتب فيها زيادة الواو والتفخيم ..

والباحث والمتأمل لسياق آيات الشورى يجدها تتحدث عن (مظالم العباد)، بدليل قوله (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) ﴿١٠٠﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَمَنْ آتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٠٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٠٤﴾ ومعلوم أن مظالم العباد من الصعب غفرانها - بل ويستحيل غفرانها - بدون عفو صاحب المظلمة ؛ وهذا يصعب إحضار عفوهِ يوم القيامة - كما نعلم - وهذا النوع من السيئة هو الديوان الذي لا يترك منه شيء (كما قال ابن القيم) وكما يقول الإمام الغزالي: أكثر ما يدخل الموحدن النار هو: مظالم العباد ..

وكلنا يعلم خطورة (مظالم العباد) وأنه لا يمحوها الإستغفار ولو ملايين المرات بدون استحضار عفو صاحب المظلمة.

وذلك بخلاف المعصية التي بين العبد وربه - كما هو الحال في آيات سورة يونس - والتي رغم ثقلها إلا أنه من السهل واليسير جداً جداً محوها بمجرد التفوه بكلمة الإستغفار أو حتى قبل النطق بها أو بمجرد النية .. وهذه الحقيقة هي التي استدعت كتابة آية الشورى (مظالم العباد) على هذه الصورة (وجزاؤا) .. وهي الآية الثالثة التي كتبت بهذه الزيادة ..

وقد رأينا المتعة الروحية والعقلية التي تضيء من وراء هذا الرسم القرآني - والتي ربما تخفى على الباحث من أول وهلة - كما سنرى حين الحديث عن كتابة كلمة (جنة) وكيف أنها كتبت في القرآن كله بالتاء المغلقة إلا في آية واحدة في سورة الواقعة (جنة نعيم) كتبت بالتاء المفتوحة .. وكنا نسأل دائماً : لماذا وخاصة أننا جميعاً ونحن في هذه الدنيا لم نر الجنة بأعيننا؛ ولذلك فهي دائماً - على منهج الرسم القرآني - تكتب بالتاء

المغلقة.. ولكن بعد طول التأمل في السياق القرآني نلاحظ أن هذا الموقف الذي فتحت فيه الجنة (في رسم الكلمة وفي الحقيقة التي تصورها رسم الكلمة) هو موقف ساعة الإحتضار، وساعتها تذكر حديث النبي (ﷺ): والله لا يخرج أحدكم من الدنيا إلا وقد رأى مقعده من الجنة ومقعده من النار) وهذا يعنى أن المحتضر يرى الجنة أمام عينيه ، وهو الموقف الوحيد في الدنيا جميعها الذى يحدث فيه هذا .. فكان هذا الإعجاز فى أن رسمت الجنة هنا بالتاء المفتوحة (جنت) .. فأى إعجاز هذا وأى روعة وأى إهار هذا؟!!!

((وبقى لنا توضيح السبب فى حذف الألف الوسطى من كلمة (جزاء) ستناولها فى الملحقات))

وَمَا دُعْتُوا... وَمَا دُعَاءٌ

ومنه قوله تعالى فى شأن أهل النار وهم يعانون الويل والثبور من عذابها: فى سورة غافر: الآيتان ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ آدَعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَلَيْنَا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٣٦﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَاذْعُوا وَمَا دُعْتُوا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴾ زيدت "الواو" فى قوله تعالى حاكيا قول الملائكة فى كلمة "دعاؤا" والأصل ان تكتب هكذا: دعاء بالهمزة المضمومة. والذى اقتضى هذه الزيادة الدلالة اللطيفة على كثرة دعاء أهل النار وصياحهم الذى لا ينقطع طامعين ان يفرج الله عنهم. وقد صور القرآن دعاء أهل النار فى صورة الصياح والاصطراخ جاء ذلك فى قوله عز وجل: فى سورة فاطر: ﴿ (٣٧) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صٰلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾. إن كلمة "يصطرخون" توحى بظلال كثيفة من الجمعجة والصياح والعيول الذى لا يتوقف - بما فى هذه الكلمة "يصطرخون" من جرسٍ مبدؤٍ وصخبٍ عالٍ... وكانت زيادة "الواو" فى "دعاؤا" هى اللافتة إلى هذه الدقائق والأسرار.

ومما يجلى هذا ويؤكد أنه هذه العبارة متضمنة كلمة "دعاء" جاءت فى موضع آجر من القرآن المعجز - بكل ما فيه من مفردات وتراكيب ورسم خطى - وليس فى كلمة "دعاء" واو زائدة ، ترى ذلك فى قوله تعالى: فى سورة الرعد (١٤) ﴿ لَهُ دَعْوَةٌ حٰقِيَّةٌ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَىٰ الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبٰلِغِهِمْ ﴾ وَمَا دُعَاءُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿ . إن العبارة هى فى السورتين: (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) وليس بين ورودها فى الموضعين أى اختلاف إلا فى زيادة

"الواو" في آية سورة غافر وترك زيادتها في آية سورة الرعد. وهذا يثير سؤالاً مهماً: لماذا زيدت "الواو" في آية غافر ولم تزد في آية سورة الرعد؟

والجواب الكافي الشافي: زيدت في غافر لإفادة التهويل لأن الكافرين فيها يدعون رهبة ورغبة: رهبة من شدة العذاب الذي (هم فيه) ورغبة في تخفيف الله عنهم يوماً من ذلك العذاب المؤلم .

أما في سورة الرعد فالكافرون يدعون أصنامهم رغبة في حصول النفع وهم حين يدعوتهم يرفلون في (نعم الدنيا) وليس لديهم أدنى إحساس بأى عذاب ، فدعاؤهم هادئ فاتر رخو، أما دعاؤا أهل النار فهو دعاء مصبوغ بالآلام ؛ لذلك هُوَ بزيادة "الواو" فيه .

❁ ((ونلاحظ من أول وهلة أن (دعاء) في سورة الرعد هو تشبيه ومثل دنيوى هادىء .. وفى غافر هو تصوير لحالم في جهنم وهم على أشنع وأهول صورة نفسية وجثمانية .. وصورتهم النفسية قد علمناها ، وتبقى لنا الصورة الجسدية التى صورها لنا الرسول (ﷺ) من أن الكافر - يوم القيامة - مقعده ما بين مكة والمدينة ؛ أى أن المقعدة التى تساوى نصف متر فى الدنيا ستصبح يوم القيامة حجمها (خمسمائة كيلو متر)، فكيف تكون صورته الجسدية ؟.. وهذه الصورة هى التى صورها الرسم القرآنى بقوله : يقول ((الضعفوا)) على هذه الصورة من التفتيح الذى شرحناه ..

وأيضاً سيكون صوت حناجرهم - وهم يصطرخون فيها - وهم على هذه الهيئة الجسمانية لا يلائمه ولا يصوره - بالصورة الحقيقية - إلا الرسم القرآنى المعجز (وما دعوا) الكافرين (الضعفوا).

وأماننا مثل آخر يؤكد إلى درجة اليقين أن خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف إنما هى أدوات تعبير صامتة ناطقة تدل على معان مقصودة قصداً وليس هى من اختلافات كتبة الوحى فى رسم الكلمات حتى تأتى كلمة أو كلمات فيه برسم وأخرى مماثلة للأولى برسم آخر جارية على وجهات النظر المختلفة لكتبة الوحى .

هذه النظرية ينبغى أن تزول من الأذهان، وعلاوة على ماتقدم نسوق أمثلة أخرى من الكلمات التى لم تأت مخالفة للرسم الإملائى الحديث فحسب، بل جاء رسمها فى المصحف على صورتين مختلفتين وهذا هو البيان:

"بلاء" ... أَلْبَتُوا

وردت في القرآن مرسومة كما ترسم في الخط الإملائي الحديث هكذا "بلاء" بهمزة مضمومة بعد الألف وهذا هو الأكثر في لغة القرآن ومنه الآيات الآتية:

سورة البقرة: (٤٩) ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنٰكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

وسورة الأعراف: (١٤١) ﴿ وَإِذْ أَخْبَرْنَا نِسَاءَ فِرْعَوْنَ بِسُوءِ مَا كُنَّ تَعْمَلْنَ ۖ لَقَدْ كُنَّ تَكْفُرْنَ ۗ وَإِذْ أَخْبَرْنَا لُقْمَانَ رَبَّهُ بِمَا يَكْفُرُ ۖ لَقَدْ جَاءَهُ ذِكْرُهُ فَرَىٰ بَيْنَهُ يَدًّا ۖ لَاقَىٰ رَبَّهُ عَصِيْبًا ۗ وَإِذْ أَخْبَرْنَا مَرْيَمَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ عَلَيْهَا ۖ لَقَدْ جَاءَتْهَا رُسُلُنَا فَرَوَتْهَا عَذَابَ رَبِّهَا وَقَدَحْنَا رَءُوسَهُنَّ لِغَيْرِ الْمَقْصُودِ ۗ وَإِذْ أَخْبَرْنَا لُقْمَانَ رَبَّهُ بِمَا يَكْفُرُ ۖ لَقَدْ جَاءَهُ ذِكْرُهُ فَرَىٰ بَيْنَهُ يَدًّا ۖ لَاقَىٰ رَبَّهُ عَصِيْبًا ۗ وَإِذْ أَخْبَرْنَا مَرْيَمَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ عَلَيْهَا ۖ لَقَدْ جَاءَتْهَا رُسُلُنَا فَرَوَتْهَا عَذَابَ رَبِّهَا وَقَدَحْنَا رَءُوسَهُنَّ لِغَيْرِ الْمَقْصُودِ ۗ وَإِذْ أَخْبَرْنَا لُقْمَانَ رَبَّهُ بِمَا يَكْفُرُ ۖ لَقَدْ جَاءَهُ ذِكْرُهُ فَرَىٰ بَيْنَهُ يَدًّا ۖ لَاقَىٰ رَبَّهُ عَصِيْبًا ۗ

وسورة إبراهيم: (٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجْتُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

كلمة "بلاء" في المواضع الثلاثة كما ترسم في الخط الإملائي ويلاحظ أن قوله تعالى: (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) في الآيات الثلاث جاء تعقيبا على أحداث واحدة هي صور اضطهاد آل فرعون لبني إسرائيل في مصر.

ثم انظر إلى قوله تعالى: في سورة الصافات: (١٠٦) ﴿ وَنَنْدَبَيْنَهُ أَنْ يَأْتِ بِرَٰهِيْمَ ۗ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّءُيَا ۗ إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

قد رسمت فيه كلمة "البلاؤا" مزيدة بـ "الواو" المضمومة تحت الهمزة وهذا يتولد عنه سؤال لحوح: لماذا زيدت "الواو" في آية إبراهيم عليه السلام ولم تزد من قبل في آيات البقرة والأعراف وآية إبراهيم رقم (٦)؟ هل هذا يرجع إلى اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم الكلمات فيكون الذي كتب آية إبراهيم والأعراف والبقرة غير الذي كتب آية الصافات رقم (١٠٦)؟

وهل هذا الاختلاف في الرسم خال من الدلالة؟! .

والجواب: كلا ثم ألف كلا. وإنما زيدت "الواو" في كلمة "البلاؤا" في آية الصافات لأنه أشد وقعا بكثير من البلاء في الآيات الثلاث؛ فالبلاء في الآيات كان حاصلًا بالفظائع التي ارتكبتها آل فرعون مع بني إسرائيل من سؤمهم سوء العذاب وتذبيح ذكورهم واستحياء إناثهم إنه بلاء عظيم حقا.

أما البلاء في آية الصافات (١٠٦) فهو أعظم وأشق من البلاء الذي كان واقعا على بني إسرائيل من آل فرعون ؛ لأن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه الوحيد الذي رزقه الله إياه بعد شوق طويل وهذا تكليف شاق لا عهد للناس به ، وإبراهيم عليه السلام لم يكن قاسى القلب جاف المشاعر حتى يسهل عليه سفك الدماء بل هو - كما وصفه ربه - في سورة هود (٧٥) ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ فكيف لرجل هذا وصفه يجرؤ ويمسك المدينة ويضع فلذة كبده ويجز رقبته؟

لذلك كان "البلاء" الذي حمله الله إياه أعظم وأثقل عشرات المرات من البلاء الذي رزح تحته بنو إسرائيل في مصر.

❁ ((ونزيد أيضاً أن بلاء بني إسرائيل كان قتل فرعون (أى السلطة الحاكمة) لأولاد الناس (جميعاً) فكانت المصيبة عامة ، ومن السلطة، مما يهون العذاب والابتلاء في ذلك ويسهله على القلوب ،

لذلك زيدت "الواو" في بلاء إبراهيم ولم تزد في بلاء بني إسرائيل ، على أن "بلاؤا" إبراهيم أشد ألماً وأقسى وقعا على النفس.

كلاهما اختبار عظيم لكن اختبار الله لإبراهيم بذبح وليده الجيب أعظم من تذييع فرعون أبناء بني إسرائيل. وإلى هذا رمزت زيادة "الواو" في كلمة "البلاؤا" في كتاب الله المعجز بكل شئ فيه.

ومثل آية الصافات قوله جل ثناؤه: في سورة الدخان: ﴿ ٣٣ ﴾ وَلَقَدْ آخَّرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ وَآتَيْنَهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٥﴾

الحديث في هذه الآية عن بني إسرائيل وفي إجمال حكيم لكل ما ابتلى الله به بني إسرائيل في التاريخ النبوي كله وفي كل مزاحل حياتهم ومواطنهم التي حلوا بها . ولما كانت كلمة "بلاؤا" في الآية تشمل كل الأحداث التي مر بها بنو إسرائيل من وقت خروجهم من مصر حتى وقت الرسالة الخاتمة فخم رسمها فزيدت فيها "الواو" رامزة إلى تلك الوقائع العظيمة مثل:

❁ ابتلاع عصى موسى الأعيب سحرة فرعون. ❁ انفلاق البحر أمامهم اثنا عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم. ❁ انفجار الماء من الحجر اثنتا عشرة عينا. ❁ إنزال المن والسلوى من السماء لهم. ❁ ارتفاع الجبل (طور سيناء) فوقهم كأنه ظلّه. ❁ انجاؤهم من آل فرعون. تجلى الله للجبل أمام رسولهم موسى عليه السلام.

❁ إغراق فرعون ومثله في البحر.

من أجل هذا زيدت "الواو" في "بلاؤا" ولم ترد اعتباراً خالياً من المعنى ولم ترد لأن كنية الوحي كانت لهم طرائق في رسم بعض الكلمات يخالف بعضها بعضاً..

❁ ((ونقول هنا زيادة في التوضيح: أن هذا البلاء هنا هو أنواع متعددة وليس بلاءً واحداً.. فهو: بلاء بالنعم الكثيرة وأكل المن والسلوى و... و... وبلاء بالحن والتقتيل والاستحياء.. وبلاء بالآيات والمعجزات التي جاءهم على يد نبيهم موسى .. وبلاء التمكين لهم في الأرض وتفضيلهم على العالمين ، وأن جعل الله منهم أنبياء وملوكاً وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين - وليس نجاهم فقط-))

هذا وبقيت بعض كلمات أخرى زيدت فيها "الواو" في رسم المصحف الشريف في مواضع ولم ترد في أخرى مثل الملاء- شركاء شفعاء- الملوأ- شركاؤا- شفعاؤا.

نكتفي بمجرد هذه الإشارة إليها خشية الإطالة ولن يعجز القارئ عن توجيه الزيادة فيها بعد الذي أوضحناه ونرجو أن يكون فيه بلاغ لقوم يعملون.

❁ - يلاحظ القارئ أن الفعل "تبوأ" - في قوله تعالى ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ المائدة قد زيدت فيه ألف بعد الواو - "تبوأ" - ووضعت الهمزة عليه وكان الأصل أن يكتب هكذا "تبوء" ، وقد نص أهل العلم أن زيادة الألف فيه للدلالة على كثافة الإثم الذي ارتكبه ابن آدم قاتل أخيه وسيأتي هذا في مباحث حذف الألف وزيادتها في "خصوصيات" الرسم القرآني.

❁ وهنا نقف لنضيف ونفصل القول:

شركاء.... شُرَكَاءُ

(١) ﴿ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ ﴾ (١٢ النساء)

(شركاء في توزيع الميراث)

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ... ﴾ (١٠٠)

الأنعام.. شركاء بدون مبالغة في حجمهم أو تصويرهم.. وإضافة لذلك فالكلمة في موضع نصب لا يصلح وضع الواو فيها

(٣) ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ

مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٣٩)

- (٤) ﴿ فَلَمَّآ آتَتْهُمَا صَاحِبَاتُهَا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا ﴾ (١٩٠) ﴿ الأعراف
 (٥) ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ (٦٦) ﴿ يونس
 (٦) ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٦) ﴿ الرعد
 (٧) ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ (٣٣) ﴿ الرعد
 (٨) ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ (٢٨) ﴿ الروم

- (٩) ﴿ قُلْ أُوذِيَ الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِمْ شُرَكَاءُ كَلَّا ﴾ (٢٧) ﴿ سبأ
 (١٠) ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ الزمر
 (١١) ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَمَا يُبَيِّنُونَ بَشْرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (٤١) ﴿ القلم
 (١٢) ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢١) ﴿ الشورى. فهو شرك في الألوهية ، وشرك في التشريع أيضاً .. وهم فوق ذلك يحكمون شركاءهم في أنفسهم(فهم شركاء على أقل درجة وأعلىها بالنسبة لهم).

وهذه الشركة أيضاً شركة غير عادية كمثيلاً لها.. فهم شركاء ليسوا بالمعنى العادي (السلي) - أى: ليس كحالمهم مع الصنم الواقف في مكانه وهم يقدمون له القرابين .. ولكن الأمر هنا مختلف فهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله .. فهم ليسوا بأصنام ، وهى حركة إيجابية وواضح فيها عنصر الحركة والتقل ومضاعفة المشهد في الشركية .. بخلاف باقى الشركاء في الآيات السابقة

- (١٣) ﴿ .وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ ﴾ (شركواؤكم) ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٩٤) ﴿ الأنعام.

وهنا بعد تحليل النص نلاحظ

- (١) الموقف هنا هو أشد وأصعب موقف جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ. { فرادى } منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه ، . وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ. وقريء :

«فرادى» بالتثنية . وفرد ، مثل ثلاث . **وفردى** ، نحو سكرى . ولذلك كتبت بدون ألف "فردى"

(٢) وجعلوهم شركاء (فيهم) وفي استعبادهم (زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ) شُرَكَؤَا .
(٣) وقد نزلت هذه الآيات في أعق المجرمين ومدعى النبوة كما تحكى الآيات التي قبلها ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الموتِ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ فَرَعَمُ أَعْنَ تَعَالَى بَعَثَهُ نَبِيًّا كَمِيسِلِمَةَ الكَذَابِ وَالأسودَ العَنَسِيَّ أَوْ اخْتَلَقَ عَلَيْهِ أَحكَامًا مِنَ الحِلِّ والحُرْمَةِ كَعَمْرٍو بنِ لُحَيٍّ وَمَتَابِعِيهِ ؛ أَي هُوَ أَظْلَمُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ .

(٤) هم (الآن) في (غمرات) الموت ، وليست غمرة واحدة.. مما يوحى بالمبالغة في التشديد للعذاب عليهم وإبراز صورة القسوة في المشهد.. ثم العذاب النفسى الشديد في تبيكيت الملائكة لهم.. والملائكة (باسطوا) بجرف الألف الظاهرة ، بخلاف قوله في سورة الكهف (وكلبهم بسط) ذراعية .. بدون ألف ، لأن بسط الكلب بسط سلبى بدون حركة ، بخلاف بسط الملائكة أيديها بالضرب والتعذيب فكبت (باسطوا) بالألف هنا مع الملائكة

الطاهرة: { والملائكة باسطوا أيديهم } حال ، أي والملائكة مادون أيديهم إلى المشركين ليقبضوا عليهم ويدفعوهم إلى الحساب على الوجه الثاني ، أو ليقبضوا أرواحهم على الوجه الأوّل ، فيكون بسط الأيدي حقيقة بأن تتشكل الملائكة لهم في أشكال في صورة الآدميين . ((ولذلك كتب بالألف - باسطوا-) ويجوز أن يكون بسط الأيدي كناية عن

المسّ والإيلام ، كقوله : { لئن بسطتَ إليّ يدك لتقتلني } [المائدة : ٢٨]

ونلاحظ أن الآيات قبلها تصور موقف الملائكة وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم: أخرجوا أنفسكم وهم (في غمرات الموت). وكأنه موقف استعراضى للقوة يشهده هذا الكافر ويذكر به النص ليعيشه من خلفه ؛ وكأنه يقول لهم: أرونا القوة من شركائكم - أعظم وأفخم شركائكم- (ولذلك فخم لفظ شركؤا).. كما نقول : لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار.. ثم المشهد في قوله (لقد تقطع بينكم) .

ثم ملاحظة التشديد أيضاً في عملية الفصل بينهم وبين الشركاء بقوله (لقد تقطع) بينكم ، ولم يقل لقد (قطع) ما بينكم ، وأرجو من القارىء أن يتأمل حتى

جرس الكلمة في تشديد الحرف فيها (تقطع).. وواضح العنف في مشهد التقطيع هذا ، وفي قوله "بينهم" (ولم يقل تقطع ما بينهم بزيادة ما التي تعطى راحة في النفس وهدوء في التصور .. وراجع بحث زيادة هذا الحرف في بحث خاص في هذا الكتاب). وكأنه يقول لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الإتجاه... ولذلك حسن وجمال أن توضع كلمة شركاء - في هذا الجو - على هذه الصورة من التثقيب شُرَكَاء

شفعاء.... شُفَعَتُوا

(١) (٥٣) الأعراف ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

(٢) ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقْلُبُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) ﴾

(٣) الروم ﴿ ثُمَّ كَانَ عَقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَقُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾

الزبخشي: وكتب { شفعاؤا } في المصحف بواو قبل الألف ، كما كتب { علماء بني إسرائيل } [الشعراء: ١٩٧] وكذلك كتبت { السواوى } بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها .

هنا نلاحظ أنه:

(١) الحديث على لسان رب العزة وهو الذى يقرر ويحكم بذلك، وليس قول البشر كما فى الأعراف

(٢) وقال تعالى (يبلس المجرمون) أى أسكتهم ولم ينطقهم (٣) ملاحظة التعبير بقوله "من شركائهم شفعاء" .. وإضافتها إلى التعبير الآخر، وهذا الأسلوب يسميه علماء البلاغة (بلاغة التجريد) وله نكتة عامة هى المبالغة فى كمال الصفة الجارية على الجرد منه ، وهذا على شاكلة المثل الذى يصوره لنا علماء البلاغة عند شرح قوله: (لهم فيها دار الخلد). ويقول الخطيب: (فإن جهنم أعادنا الله منها هى دار الخلد، لكن انتزع منها

مثلها ، وجعل معداً فيها للكفار ، هويلاً لأمرها) كأنه يقول: - لهم في جهنم دار مخصوصة - كأنها أشد من جهنم نفسها أو سجن وعقوبة مخصصة في جهنم نفسها أعلى منها ، وهذه نكتة لطيفة منشؤها أن الظرف أعظم من الظروف بحكم أنه يحتويه ويشمله، فإذا جعلت النار ظرفاً لدار الخلد ، فذلك دلالة على عظمها والتهويل من شأنها. ومن أمثلة التجريد بحرف الوعاء (في) هو قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله ..) وهذا النص بهذه الصورة جعل رسول الله هو المتبع الفياض بكل صفات الخير، وتبهاً للمسلمين ألا يطلبوها في سواه، فإنه وحده الذي تكتمل فيه أوصاف الخير، ومن طلب الأسوة في غيره ضل وغوى، ولو جاء النص هكذا (لقد كان لكم رسول الله أسوة) لما أغلق الباب على طلب الأسوة في غيره..

وهذه المقدمة لنعود إلى النص المراد في وصف هؤلاء الشركاء بالصورة المفخمة بأسلوب التجريد هذا الذي شرحناه في قوله ("من شركائهم شفعاء"). أى خلاصة الشفعاء لديهم

(٤) وهناك رأى طريف للطاهر بن عاشور يقول: وكتب في المصحف { شَفَعُوا } بواو بعد العين وألف بعد الواو ، أرادوا بالجمع بين الواو والألف أن ينبهوا على أن الهمزة مضمومة ليعلم أن (شفعاء) اسمٌ (كان) ، وأن ليس اسمها قوله (من شركائهم) بتوهم أن (من) اسم بمعنى بعض

(يريد أن يقول: أى حتى لايتوهم القارئ أن لها قراءة على صورة أخرى تجعل "من" - من شركائهم - بمعنى "بعض" وبذلك تصلح أن تكون إسم ل"يكن" وشفعاء خير منصوب ليكن ويكون النص : لم يكن بعض شركائهم شفعاء ؛ وهذا معنى خطير وهو بالطبع ليس هو المراد ، فلو تركت الكلمة على الرسم المعتاد - شفعاء- وفي حالة عدم تواجد علامات التشكيل من الفتحة أو الضمة لجاز أن تقرأ هذه الكلمة على الوجهين (الفتحة أو الضمة) ولو قرئت - خطأ- على الفتح لأصبحت خير "يكن" منصوب ، وأصبح إسمها هو من التي بمعنى "بعض" وبذلك يحدث الخطأ في هذا التوهم ..فقام الرسم القرآني المعجز بقطع الطريق على هذا التوهم ووضع علامة الرفع على كلمة (شفعاء) لتكن إسم يكن - كما هو المراد- ولكنه كما قلنا لعدم وجود علامات التشكيل حينئذ كتب الكلمة بزيادة "الواو" - شفَعُوا" في نهاية الكلمة حتى لا تقرأ إلا على هذه الهيئة فقط من الرفع ؛ وهذا هو مراد قول الإمام الطاهر: وكتب في المصحف { شَفَعُوا } بواو

بعد العين وألف بعد الواو ، أرادوا بالجمع بين الواو والألف أن ينبهوا على أن الهمزة مضمومة ليعلم أن (شفعاء) اسمٌ (كان) ، وأن ليس اسمها قوله (من شركائهم) بتوهم أن (من) اسم بمعنى بعض .

ويكمل الطاهر باقى كلامه فيقول: أو أنها (الواو) مزيدة في النفي ، فأثبتوا الواو تحقيقاً لضم الهمزة وأثبتوا الألف لأن الألف صورة للهمزة . (وهذا يعنى أن الواو أبعدت أفل شك أن يكون (شركاء) منصوبه أو أنها تعطى تلميح - حينئذ في حال نصبها- على أنها خبر كان ، ويكون المعنى - في حال افتراض النصب- هو: لم يكن (بعض) شركائهم شفعاء . والتي تعطى ملمح إلى أنه يمكن أن يكون هناك (بعض آخر) شفعاء .. ولكن المعنى المقصود من الآية هو : لم يكن شفعاءً من شركائهم..

وهذا الشرح من العلامة : الطاهر فيه من الروعة والجمال والدقة والفهم ما يجعلنا

تعجب: لماذا لا يستمر هذا العلامة في البحث عن هذه النواحي من الإعجاز بهذه الصورة

بدلاً من إحالة الأمر على أنه تعثر من كاتبى الوحي وتعلمهم الهجاء!!

الملا- المَلَأُوا

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَتَبَعْتَ لَنَا مَلِكًا (٢٤٦) ﴾ البقرة... (ملاً عادى)

(١) ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ؕ أَفَلَا تَتَّقُونَ

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ

الْكَذِبِينَ ﴾ ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٧) الأعراف ..

(ملاً عادى)

(٢) ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ

أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَاحِبَكُمْ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ؕ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ قَالَ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءِ كَافِرُونَ ﴾ ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ

وَقَالُوا يَا صَاحِبِ اتِّبْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ

لَا تُحِيطُونَ بِالنَّصِيحِينَ ﴾ (٧٩) الأعراف .. (ملاً عادى).

(٣) ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٥٥﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتُحِبُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الاعراف (ملاً عادى وحوار هادىء)

(٤) ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الاعراف .. ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ بِأَهْلِكَ قَالَ سَتَقُلُّ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (ملاً عادى وحوار هادىء)

(٥) ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُثُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يوسف (ملاً عادى وحوار هادىء)

(٦) ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ﴾ الصافات .. (مجرورة لايصح أن يضاف إليها الواو)

(٧) ﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ .. ﴿٧﴾ ﴾ ص (ملاً عادى)

(٨) ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ النمل

(٩) ﴿ . قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَكُنْتُمْ بِآيَاتِي بَعْرَشًا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ النمل

(١٠) القصص: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ .. ﴿٢٠﴾ ﴾ (ملاً عادى)

(١١) ﴿ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي .. ﴿٣٨﴾ ﴾ غافر

هنا نقف على بعض الملاحظات وهى:

١- أن ملاً فرعون رغم ما نعلمه عنه من القوة ولكنه ملاً تافه لاقيمة له ، ولا يستشار فى أمره أو أمر المملكة ، وأنه يعامل معاملة العبيد الذين يجب عليهم أن يؤدوا فروض الطاعة لإلههم الذى يقول لهم (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) ، .. (ولذلك هذا الملاً المنكسر

لا يظهر في العلو- "الرفع" - ولكنه يظهر في الانكسار). بخلاف "ملاً" مملكة سبأ الذين تقول لهم: ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون" (ملؤا) ، وأيضاً بخلاف ملاً سليمان (ملاً العلم والقوة وهن عنده علم الكتاب ، وآتيك به.... (ملؤا)

٢- أننا حين الحديث عن رسم كلمة "ملاً" بالألف أو الواو الزائدة نتحدث عن "الملاً" التي تقع في موقع "الرفع" في الإعراب...، وبالتالي ليس لنا صلة بالبحرور مثل (بالملاً) ، لَأَسْمَعُونَ إِلَيَّ (الْمَلَأَ) الْأَعْلَى . مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ (بِالْمَلَأَ) الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩). حتى لو كان هذا الملاً هو ملاً الملائكة، لأنه لا يصح وضع الواو في الإسم المحرور

٣- وهنا سنقف على صورة "الملاً" من قوم "نوح" - لأن له خصوصية خاصة لطول مقامه بينهم (ألف سنة إلا خمسين عاماً) يتعاقب عليه الأجيال ويتنوع عليه الملاً (الملاً ضعيف "الملاً" ، والقوى وصاحب السلطان "ملؤا")- كما ستحكيه لنا الآيات ، ويصورها رسم الكلمة بغاية الدقة والجمال مع الكمال كما سنرى ، وإليك الأمثلة مع الشرح المبسط بعدها:

١- (ملاً نوح) في الأعراف: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّمَا لَنُرَاكُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) . الأعراف

٢- (ملاً نوح) في ***هود .. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نُرَاكُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نُرَاكُ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نُرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾

٣- (ملاً نوح) في المؤمنون *** ﴿ *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُرُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٢﴾ . (٢٧) ﴿ المؤمنون

٤- (الملاً بعد نوح) في نفس سورة المؤمنون *** ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ
الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ
وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وهنا نقف لنعقد بعض المقارنات الهامة جداً جداً لتوضيح
الصورة في رسم كلمة الملاء في هذه الآيات من هذه السور المختلفة :

ونبدوها بالمقارنة بين نوعين من الملاء المعادى لنوح ، وذلك في سورة "هود" وسورة
"المؤمنون" - السابق عرضهما - وأحدهما بدون واو والآخر بالواو الزائدة التي تشير إلى
زيادة المعنى والصفة - كما تعلمنا من قبل : أن الكلمة إذا زادت في المعنى زادت في
المعنى - وإليك البيان:

الآيات في هود، والمؤمنون

في هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ
إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا
مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي
وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَلْتَرْمِكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لِمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لِي مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ
وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾



(١) الحديث هنا - في سورة هود - التي يرسم مطلعها جو السورة كلها من الدعوة
الهادئة للتوبة والإستغفار والإمهال - حيث تبدأ السورة بقوله تعالى : " الر كِتَابٌ
أُحْكِمَتِ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ محمد (ﷺ) ((٢)) وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْسِكْكُمْ مَّتَاعًا
حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (عذاب الآخرة) (٣) ...

ولذلك سنلاحظ ذلك الجو الهادئ والمتمهل في جو القصص كله في هذه السورة

(١) فسيكون الملاء هو الملاء الهادئ وأخفهم وطأة وثورة (ملاء عادى)

(٢) أنه قد سبق ذكر قصة نبي في بداية السورة وهو النبي محمد (ﷺ)، ولذلك

سيكون ذكر قصة نوح ليست هي القصة الأولى هنا في سياق القصص، بل ستكون

معطوفة على قصة محمد (ﷺ) - نبي الرحمة والإمهال - ، ولذلك سيبدأ الحديث بواو العطف (ولقد أرسلنا نوحاً..) بالواو العاطفة.. بخلاف سورة الأعراف بدون واو هكذا: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ..)

الأمر الثاني: وهو الحديث عن المَلَأَ - وهو هنا - في هود - المَلَأَ الضعيف - كما نلاحظه في الآتي:

(أ) يتقاضى النص هنا عن مشهد سب المَلَأَ لنوح.. بخلاف آية المؤمنون. ويكتفى النص هنا بقول المَلَأَ: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِهِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ . وقولهم: مانراك إلا بشراً مثلنا ومانراك .. فيها:

(١) حديث من المَلَأَ لنوح وهم يوجهون الخطاب له (ما تراك) ، وهذا يعني عدم إهماله أو تجاهله - دليل على عدم كبريائهم عليهم - بخلاف ما حدث في آيات المؤمنون ؛ حيث تعالوا عليه ولم يخاطبوه بالخطاب المباشر له ولم يعيروه انتباهاً أو تقديراً حيث يقول النص: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ . ففي المؤمنون: الحديث مع نوح بصورة القطع بالبشرية - فلم يقل المَلَأَ "مانراك" إلا يشرأ.. - ولم يقل هذا المَلَأَ المتعجرف (بشر مثلنا) بل قال (بشر مثلكم) أيها القوم وليس نحن، فهم - في المؤمنون - ملأ مترفعون عن المماثلة معه حتى في البشرية ، وهم يُعرضون عن توجيه الخطاب له مباشرة بل يهملونه ، ويتحدثون عنه بلفظ الغائب - إحتقاراً منهم له - رغم أن نوح من البداية يوجه الحديث لهذا المَلَأَ هنا أيضاً - في المؤمنون - "فقال يا قوم" وكان يجب أن يردوا عليه - كما في هود - ولكنهم لم يفعلوا، مما يتبين منه أن المَلَأَ في المؤمنون ملأ أعلى استكباراً وأكثر تعالياً.

ويضيف النص - في المؤمنون - رسم صورة هذا المَلَأَ الأشد استكباراً في قولهم عن نوح : يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ (و لم يقولوا يتفضل علينا) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً (فهم هنا مترفعون عن المساواة في البشرية ، وأن مقامهم هو نزول الملائكة ، وأنه لا يتفضل عليهم أحد إلا الملائكة).

ثم يُظهر النص هذا المَلَأَ الذي يدعى العلم بحقائق الأمور والتاريخ ، وأهم ليسوا أي ملأ ؛ فهم ملأ العلماء والحكماء والسادة ؛ حيث يقولون: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (٢٤) .

ثم يُظهر النص - في المؤمنون- تطاولهم البالغ في السب لنبي الله نوح حيث يقولون: "إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ" - في مقابل النص في هود حيث يحكى ردهم عليه بأن قالوا (بل نظنكم كاذبين) ؛ وهذا الرد أخف وطأة بمراحل كثيرة ، وما سُبَّ نبي هذا النص (به جِنَّةٌ) أو ما شابهه إلا وتسرعت الأحداث وكانت الإستجابة من الله سريعة- كما هو الشأن في كل القصص كصالح وهود ولوط وغيرهم وخاصة إذا دعى عليهم هذا النبي -

ثم يستعرض النص - في المؤمنون- تعجرف هذا الملائم وادعائهم الحكمة وحسن تقدير الأمور حيث يقول: فَتَرِيصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ.. وفيها أيضاً ملامح التهديد والوعيد الذى يملكه هذا الملائم من الأكابر والسلاطين.

ثم يستعرض النص - في المؤمنون أيضاً - ما حدث بعد هذا القول من الملائم ، وقول نوح: قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ.. وهذه هى لقطة الدعاء والاستنجاد بالله والإستجابة منه ، بخلاف ماهو في سورة هود حيث أن نوح يلاطف الضعفاء المغلوبين على أمرهم وينصح لهم في حوار هادىء ، وهنا - في المؤمنون- تتسارع النجدة ، ويتم الإختصار حتى في المشهد -أختصره في ثلاث آيات مع اختصار الحروف ، والقصة كلها من الآية ٢٣ - ٣٠ - بخلاف المشهد الذى فى هود والذى يطيل معهم النفس فى الأخذ والرد ويطيل معهم فى سرد الآيات، (فهو ملامم مماثل له فى دعوى البشرية وعدم الترفع أوالسب أوالإستحقار للنبي العظيم) وأيضاً - فى سورة هود - يطيل مشهد النجاة وتفاصيله الكاملة من الآية ٢٥ - ٤٩ هود.

وهنا نعيد استعراض قول الملائم فى هود ليتبين الفارق بين الملائم الذى رسم (الملائم) فى هود وبين الملائم الذى رسم (الملاؤ) فى المؤمنون، حيث يقول الملائم فى هود: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ (مَا تَرَاكَ) إِلَّا بَشَرًا (مِثْلَنَا) وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ (عَلَيْنَا) مِنْ فَضْلٍ﴾ (فهذا النص - كما شرحنا - فيه إعلان المساواة بينهم ، وهذا القول بعيد عن ذكاء الأكابر الذين يحسنون ضرب الأتباع فى زعيمهم) فيتحدثون بلغة الأكابر مثل "بل نظنكم"، بَلْ نَظَنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا نِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨)، ويكمل مشهد الهدوء وطول النفس فى الرد من نوح عليهم..

ونلاحظ - بعد هذا العرض - أن هناك ملائین مختلفین یردون علی نوح - ملأ الأکابر والأسیاد - یکتب (ملؤا) - وملأ أضعف شأنا- كما فی هود - ویکتب: (ملأ) - وهذا لامانع منه لتعدد المواقف والأحداث والأشخاص فی مواجهة الدعوة ، وربما أيضاً لطول مکث نوح بین قومه وتعاقب أكثر من ملأ علیه ، ولذلك نجد هذه الخصوصیة للملأ نوح فقط (ملائین) - ولیس فرعون أو هود أو صالح أو غیرهم

فی سورة المؤمنون

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ قَدَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَا تَخَاطَبَتِ فِي الدِّينِ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ (٢٧)﴾ *****

هنا الجو عاصف على الكافرين وقصة نوح هي الأولى في القصص هنا ورغم ذلك بدئت بقوله (ولقد أرسلنا نوحا) بالعطف بالواو ، وذلك لأن القصة معطوفة على الحديث عن الفلك الذي يمهد لحديث نوح والفلك الشهير ((وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكَ تُحْمَلُونَ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) وهذا ما يسميه العلماء حسن التخلص والانتقال من مشهد إلى مشهد آخر في سلاسة... مع ملاحظة ختام الآية بقوله للملأ (أَفَلَا تَتَّقُونَ) ، وفيها مافيها من العنف المناسب لجبروت هذا الملأ - كما سنرى - بخلاف الوارد في هود ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ...)) وهو المناسب لجو السورة ومناسبة ذكر الحبيب محمد (ص) في بداية السورة-(هود)-.

مع ملاحظة قول محمد (ﷺ) لهم - في هود- (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) محمد (ﷺ).. وقول نوح (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ).. ففي قول محمد (ﷺ) زيادة التوكيد (إني) وزيادة

لفظ البشارة في قوله (تَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)، بخلاف قول نوح (إني) بنون واحدة، ونقص لفظ البشارة (لَكُمْ تَذِيرٌ مُّبِينٌ) فقط دون كلمة وبشير (فالهدوء وطول النفس والدعوة باللين وظل الرحمة والبشارة في سورة هود يتناسب مع الملأ الضعيف وليس المتجبر الذي في سورة المؤمنون).

وقد قام البعض من الأتباع وغير الأتباع - بحسن نية من البعض ، وبسوء نية من الآخر - بإدعاء أن رسم الكلمة في المصحف تخضع لضعف الصحابة - الذين كتبوا المصحف - في الكتابة والتهجى ، وأهم كانوا حديثي عهد بفن الكتابة ، ومن هنا كان الخطأ - في رأيهم - في كتابة الكلمة في المصحف ... وادعى الإمام ابن قتيبة أن هذا لا يعيب المصحف ، وادعى المستشرقون أن كاتب الكلمة (الملأ) في سورة هود صحابي يختلف عن هذا الذي كتبها في سورة المؤمنون (الملأ) .

وهنا نقف وقفة أخرى بل ووقفات كثيرة - وبعد هذا العرض لملأ قوم نوح في سورتي هود والمؤمنون - لنلاحظ كتابة (الملأ) في سورة المؤمنون (نفسها) بصورتين هكذا: (الملأ) في الآية ٢٣ وفي نفس السورة - بل وفي نفس الصفحة - وفي الآية ٣٣ تكتب الكلمة هكذا: (الملأ).. وهنا يحسن استحضار سياق الآيتين والتدبر فيهما بعد أن تعرفنا على (الملأ) بالصورة المضعفة والثقيلة حتى في حروف الكلمة يأخذنا السياق إلى ملأ آخر بعد سطور قليلة ولكنه كتب (ملأ) بالصورة العادية ، وإليك نص الآيات لهذا الملأ بالصورة العادية:

سورة المؤمنون: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَنْ أَطْعَمَهُمْ بِشَرِّ مَا لَكُمْ إِنكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هِيَئَاتَ هِيَئَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبُ مَنْ نَادَمِينَ (٤٠) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) ﴾

وهنا نلاحظ بأدنى تأمل في هذا النص والنص السابق في "نوح" الذى شرحناه آنفأ وهو: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى (٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) ﴾ (١٢) يتبين الفارق هكذا- ولاحظ مكررا أنه في نفس السورة وفي نفس الصفحة:

<p>(الملا) بعد آيات نوح الآية ٣٣-</p>	<p>(الملا) نوح الآية ٢٤ ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ﴾</p>
<p>(١) هنا يرسم النص صورة ملا مترفين (أترفهم.. مترخين، لاهم لهم إلا الأكل والشرب - يأكل ويشرب، وإن هي إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ.. (هنا صورة الملا المترفين والأغنياء وليسوا كبار السياسة ورجال الدولة)</p>	<p>(١) هنا في ملا نوح تظهر صورة الملا المتيقظ الذى يدعى العلم والحكمة - كما شرحنا- ويقول: (ما سمعنا بهذا... ولو شاء الله لأنزل ملائكة)</p>
<p>(٢) يقولون: <u>إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا..</u></p>	<p>(٢) هنا يقولون عن نوح : <u>إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ..</u> فيها عنف في المواجهة منهم وعدم احترامهم له وتطاولهم عليه، وملاحظة أن السب لنوح بالجملة الإسمية التى تفيد الدوام والثبات على هذه الصفة (الجنون)</p>
<p>والسب هنا بالجملة الفعلية التى لاتفيد الدوام والثبات للصفة هكذا: (إفترى) على الله كذبا)</p>	<p>وقولهم : يريد أن يتفضل عليكم - أى يأخذ السلطان منكم - وهو ما بهم الرؤساء ؛ فهو ملا السياسيين الكبار ورجال الحكم</p>
<p>(٣) <u>وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ..</u> كأهم يقولون ليس لنا شأن به ؛ فهم فى ترفهم بل وسكرهم لايعنيهم ذلك، وكأهم يقولون: يكفيننا أن لانؤمن به دون إعلان حالة الحرب والعداء السافر له ، فهو لايعنيهم فى شىء.</p>	<p>(٣) <u>فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ..</u> تهديد ممن يملك السلطة والجندية تامة</p> <p>(٤) يتكرر بعدها موقف الظلم ووصفهم بأنهم ظالمين</p>
<p>(٤) قوله تعالى (عما قليل ليصبحن نادمين)</p>	<p>(٥) <u>وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا</u></p>

تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَكُ... هنا نلاحظ سرعة رد الملائكة الواضحة في استخدام حرف الفاء التعقيبية

(٦) نلاحظ زيادة الترفع منهم (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَى) يريدون أن لا يعلموا عليهم أحد من البشر

(٥) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ "أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ...

هنا لانتلحظ مشهد السرعة في الرد عليه ، وهو في أشد التناسب مع حالة هذا الملائكة المترنح والمرفل في النعيم واستخدام حرف العطف (الواو) بدل الفاء التعقيبية السريعة.. إضافة لقوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ "أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ..") (أن) التفسيرية فيها موقف تفسيري ، وهدوء في الدعوة. يقابل موقف المترفين الذين لا يهمهم أمر الدين في شيء وهو أيضاً موقف تراخي وانشغال

ومن هنا يتضح الحكمة العالية في استخدام الرسم لكلمة "الملائكة" بصورتها (الملائكة) و (الملائكة) ، وأنه ليس اعتباطياً أو بدون حكمة عليا.. وسنرى في بحثنا القادم - إن شاء الله - استخدام الرسم القرآني لكلمة (ترابا) بالألف و (تربا) بدون ألف ، وهكذا كلمة (عظاما) بألف وبدون ألف.

*** وبقي لنا كتابة (الملائكة) على رسمه أخرى - في حالة الكسر - هكذا:

وكذلك إلى فرعون و(ملائته) بزيادة الألف بين اللام والهمزة تنبيها على تفصيل مهم

ظاهر الوجود

((وربما يكون لسياق الآيات التي ركز الله فيها على ذم هذا الملائكة أكثر من مرة (بئس الورد المورود ، وبئس الرفد المرفود). وهذا الأسلوب يوحى بحول المصيبة والكارثة على هذا الملائكة.. والذي يستدعي أيضاً لفت الانتباه إليه والتركيز عليه ، فكان هذا الألف التي هي في غير موضعها لتلفت هذا الالتفات، والنص هكذا:

(١) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يُقَدِّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ

الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ (٩٨) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَسِ الرَّفْدِ الْمَرْفُودِ (٩٩) فهى لعنات متكررة - في هذه لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ - من الله عليه (فأى ملاً هذا، وأى مصيبة أعظم من مصيبته !!؟؟) مع ملاحظة قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) وورود كلمة آياتنا ..

(٢) ومثله في آية (المؤمنون): ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) ﴾

(٣) وآية غافر: ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) ﴾

(وهنا نلاحظ أنه تم استبدال كلمة (ملئه) في الآية الثانية بقوله (إلى فرعون وهامان وقارون) في الآية الثالثة لبيان أن (ملئه) المشار إليه هو أعتى الجرمين وهما(هامان وقارون) وهما المشار إليهما بالملا و (كانوا قوماً عالين)،

وانظر إلى قول هذا الملا المتسلط : ﴿(فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ. ﴾. ولا يقول ذلك إلا ملاً صاحب سلطة ، وهذا الملا هو الذى استحق اللعنة وتكرارها في الآخرة أيضاً (وَبِنَسِ الْوَرْدِ الْمَوْزُودِ (٩٨) وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَسِ الرَّفْدِ الْمَرْفُودِ)

((ونزيد أن هذه الزيادة أتت مع (آياتنا) أو (ذكر الآيات) ثم وصف الملا بعدها: مفسدين ، مجرمين والاستكبار ، وسخريتهم من النبي والمؤمنين (يضحكون عليهم) هكذا:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣)﴾ الأعراف

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥)﴾ يونس

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)﴾

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٤٦)

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَ بِرَهْتَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ﴾ (٣٢) القصص

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ (٤٧) الزخرف

❀❀❀ لكل هذه الأسباب زيدت الألف في (ملائه)

نشاء.... ما نشئوا...

(١) ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) الأنعام

(٢) ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ (١٠٠) الأعراف

(٣) ﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (٣١) الأنفال

(٤) ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) يوسف

(٥) ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) يوسف

(٦) ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) يوسف

(٧) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ (الإسراء)

(٨) ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩) الأنبياء

(٩) ﴿لَنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الحج)

(١٠) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَلَّىٰ يَبْصُرُونَ﴾ (٦٦) يس

(١١) ﴿نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٧٤) ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوْرًا نُهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٥٢) الشورى

(١٢) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (٦٠) الزخرف

(١٣) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ مَا تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠) محمد

(١٤) ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (٦٥) الواقعة

(١٥) ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٠) الواقعة

سورة النحل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

سورة الأنبياء ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَلَا يَنبَغِي مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾

سورة الذاريات ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

وكل موضع منها لم تأت الزيادة فيه خالية من الدلالة على اللطائف والأسرار التي عرفنا الكثير منها في نقص الواو أو حذفه وفي زيادته، وقبل الدخول في التفاصيل نشير إلى أن القدماء بعد ذكرهم للمواضع التسعة التي زادت فيها الياء لم يبينوا ما في كل موضع من اللطائف بل اكتفوا بالنص على بعض منها وسكتوا عن بعض آخر. وهانحن أولاً نذكر مواضع زيادة "الياء" حسب ترتيب السور في المصحف الشريف وعلى هدى ما ذكروه من قواعد عامة نتلطف في اقتناص لطائف ما سكتوا عنه وبالله ومن الله التوفيق والسداد

الموضع الأول: أَفَلَا يَنبَغِي

سورة آل عمران: ﴿ . وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَلَا يَنبَغِي مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾
 فقد جاء الياء مزيداً بين الهمزة الثانية وبين حرف "النون" وهي في الرسم الخطى العام ترسم هكذا "إن" وهي أداة الشرط المعروفة أما الهمزة الأولى في "أفلاين" فهي همزة الاستفهام الإنكارى..

وكان الأصل أن يقال: "فإن" فالفاء حرف عطف والهمزة بعدها للاستفهام ولما كانت أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام قدمت همزته هنا على الفاء يضاف التركيب هكذا: "أفلاين"

أما لماذا زادت "الياء" هنا؟ فإن حاصل ما ذكره في توجيه هذه الزيادة هو الأصل في أساليب الشرط هو ترتب الجواب على فعل الشرط في الوجود لأن بين الشرط وجوابه رابطة السببية.

مثال ذلك في "إذا" مثلاً قوله تعالى: سورة النصر: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

. فعل الشرط هنا هو "جاء نصر الله" وما عطف عليه "والفتح ورأيت الناس".

أما جواب الشرط فهو "فسيح بحمد ربك" وما عطف عليه "واستغفره".
ومثاله في "إن" قوله تعالى: في سورة التوبة ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) ﴾ .
فعل الشرط في الآية الكريمة هو "تابوا" وما عطف عليه: "وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة"
وجواب الشرط هو "فخلوا سبيلهم" هذا هو الأصل في أساليب الشرط جميعا.

وإذا تأملنا الشرط والجواب في قوله تعالى: "أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم"
يظهر لنا بوضوح أن جواب الشرط وهو: "انقلبتم" لا يصلح أن يكون في ميزان
الصواب جوابا مرضيا لفعل الشرط ، بل هو إذا وقع من المخاطبين يكون خطأ شنيعا
لأن موت الرسول أو قتله لا يكون سببا في الكفر بالله عز وجل ، ولذلك سلب عليه
استفهام الإنكار والتوبيخ لأن المطلوب من المؤمنين الثبات على الإيمان في حياة الرسل
وبعد حياتهم. ومن أجل التنبيه على هذا المعنى زيدت "الياء" في "أفأين" لتلفت الأذهان إلى
أن رابطة السببية التي تدل عليها أساليب الشرط معدومة في هذا التركيب. (أفأين مات أو
قتل انقلبتم على أعقابكم) وقد زيد هذا المعنى قوة بقوله: (ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا). فزيادة "الياء" لحة أسرة من لمحات الإعجاز القرآني تعنو لها الجباه.

وفيها- فوق ذلك- رد مفحم لهواة المعارضة- لمجرد المعارضة- الذين يزعمون
خلو خصوصيات الرسم المصحفي الشريف من الدلالة على أى معنى، ومنهم من أخذته
العزة بالأثم فادعى أن هذه الخصوصيات مجرد خطأ خطي في كلمات القرآن؟!
ثم يستشهد بعبارة منسوبة لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه زورا وبهتانا
وهى أنه قال: "إن في القرآن لحنا ستصلحه العرب بألستها؟! " وحاشا أن يقول ذو
النورين هذا الباطل الصريح.

❖ ملحوظة: (وسناقش هذه الافتراءات وموقف هذا الحديث في ميزان العقل والنقل
تحت عنوان خاص بهذا المعنى وهو "هل يوجد في القرآن لحن")

الموضوع الثاني: أفأين مِتَّ

في سورة الأنبياء: (٣٤) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَأَيْن مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ (٤).
هذه الآية نظيرة الآية السابقة عليها والشاهد هناك هو الشاهد هنا وهو زيادة "الياء" بين
همزة "إن" الشرطية وبين نونها.

وإذا دقق القارئ النظر بين موضعى زيادة "الياء" فى الآيتين ظهر له ان السر فى هذه الزيادة واحد وما يقال فى أحدهما يقال فى الآخر. وقد تقدم أن المعنى اللطيف المراد من زيادة "الياء" فى "أفأين مات أو قتل انقلبت على أعقابكم" هو الرمز إلى أن "انقلبتم" لا يصلح أن يكون جواباً لفعل الشرط "مات أو قتل" فهو وإن وقع جواباً للشرط فى اللفظ والتركيب فليس هو جواباً للشرط فى المعنى يعنى أن رابطة السببية والسببية معدومة بين الجزئين هنا.

❁ (يريد أن يقول الدكتور المطعنى وغيره من العلماء الذين نقل عنهم: أنه لا يصح أن يحدث هذا منكم : إن مات أو قتل النبى فهل هناك أحد مخلد ؛ إن ذلك مستحيل فالفاء للجميع ولا يبقى إلا وجه الله تعالى.. فكتبت على هذه الصورة المستبعدة أيضاً(أفأين)) وهذا هو المراد من زيادة "الياء" فى هذه الآية والمعنى: ليس موتك يا محمد صلى الله عليه وسلم سبياً فى تخليدنا إياهم. أى ليسوا هم بخالدين أبداً سواء مت أنت أو حييت. وهكذا يبدو- بكل قوة- أن زيادة "الياء" فى الموضوعين تشير إلى معنى لطيف شريف ، من أجل ذلك زيدت "الياء" ومحال أن يكون فى كتاب العزيز شئ زائد فى اللفظ وليس له معنى يدل عليه.

الموضع الثالث: نَبَأِي

فى سورة الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتْنَهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَوَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٥)

الخصوصية التى فى هذه الآية هى زيادة "ياء" من كلمة "نبأى" وهى فى الرسم العام تكتب هكذا: "نبأ" ، ولم أعثر على توجيه هذه الزيادة عند القدماء علماً بأنهم نصوا صراحة على أن "الياء" فيها مزيدة. وبناء على ما وقفنا عليه من قواعدهم فى الزيادة والحذف وبمعونة قرائن الأحوال ودلالة الام الواردة فيه هذه الكلمة نظمنا إلى القول بأن هذه الزيادة رمز إلى "تفخيم ما زيدت فيه" وهو نبأى المرسلين. وعلى هذا فإن التفخيم والتعظيم لقصص المرسلين يفهم من جهتين، لا جهة واحدة بل من ثلاث جهات هى:

الأولى: التعبير بكلمة "نبأ" دون الخير لأن الذأ هو الخير العظيم (٥).

الثانية: زيادة "الياء" وهى من خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف.

الثالثة: إضافة "نبأ لـ" المرسلين".

﴿وَنَحِيْطُ الْقَارِئِ عِلْمًا بِأَنَّ هُنَاكَ رَأْيًا آخَرَ لَنَا سَنُضَيِّفُهُ وَنُوضِحُهُ بِالتَّفْصِيْلِ وَالْمُقَارَنَةِ مَعَ الْآيَاتِ الْمَشَاهِدَةِ تَحْتَ هَذَا الْعِنْوَانِ (نَبَأٌ - نَبَأِءِ))﴾

الموضع الرابع: تَلَقَّأِي

في سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّأِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٠﴾﴾

الشاهد في هذه الآية زيادة "الياء" في كلمة "تلقأى" ورسمها الإملائي الحديث هكذا: تلقاء. ولم يوجه القدماء زيادة "الياء" فيها مع ذكرهم إياها في مواضع زيادة "الياء".

والمبتادر إلى الفهم أن زيادة "الياء" فيها لتأكيد النفي. بيان ذلك: أن الذين لا

يرجون لقاء الله عز وجل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم واحدا من أمرين: إما أن يلغى القرآن كله ويأتى بقرآن آخر مغاير له تماما، وإما أن يحدث فيه تعديلات وتغييرات، فأمر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: "ما يكون لي أن أبدله من تلقأى نفسى" نافيا أن يصدر هذا عنه، فزيدت "الياء" في حيز النفي للدلالة على استبعاد ما طلبوه منه واستنكاره.

فزيادة "الياء" قائمة مقام النبر في كلمة أنا؟ أو كلمة أنت؟ إذا وقعتا في مقام

الإنكار وهذا مسموع حتى في كلام العامة. فإذا نُسب إلى شخص أمر هو لم يفعله أو قول هو لم يقله فإنه يقول في الرد: أنا فعلت هذا؟ أو أنا قلت هذا؟. نابرا كلمة "أنا" لتأكيد النفي.

وكذلك يقال في الرد على من ادعى أمرا هو لم يقم به: أنت فعلت كذا أو: أنت

قلت كذا نابرا كلمة "انت" تأكيدا للإنكار على المخاطب وهكذا

والعلم لله - امر الله رسوله أن يغلظ عليهم في الرد وأن يؤكد لهم أنه ليس أهلا

لأن يأتى بقرآن غير الذى أنزله الله عليه - أى قرآنا من جهة (تلقاء) نفسه - وليس أهلا لأن يحدث فيه أى تغيير وإنما هو متبع لما أوحى اليه برئى من معصية رب العالمين.

الموضع الخامس: وَإِيَّتَايِ

في سورة النحل: (٩٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيَّتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ والشاهد في

هذه الآية زيادة "الياء" في كلمة "ابتأى" وهي في الرسم الخطى العام: إبتاء. ولم يوجه القدماء هذه الزيادة هنا مع ذكرها في مواضع الزيادة التسعة المشار إليها في اول هذه الحلقة.

والذى تركز إليه النفس ويطمئن إليه القلب أن "الياء" زادت هنا للحث على المبالغة في العطاء لمستحقه من ذوى القرابة وإطلاق اليد في البر والإحسان حتى لكأن "الياء" تمديد وتوسيع لدائرة الانفاق الواجب والمستحب، هذا التمديد والتوسيع يفهم من الإيلاء اللطيف من توسيع وامتداد المساحة التى شغلتها الكلمة بسبب زيادة هذه "الياء"

وفيهما معنى دقيق آخر هو أن يسعى ذوو الفضل بعطايهم إلى من يعلمون أنهم في حاجة إلى مد يد العون والمواساة.

ولا ريب ان الساعى بالخير إلى مستحقه أركى عند الله من الذى يسعى إليه ذوو الحاجات لأن في ذلك إحراجا لهم وشيئا من الإذلال.

❖ وبعد هذا الكلام الطيب أضيف كلاماً لا يقل طيباً عنه وهو حديث عذب للإمام الطاهر حيث يقول: وخصّ الله بالذكر من جنس أنواع العدل والإحسان نوعاً مهماً يكثر أن يغفل الناس عنه ويتهاونوا بحقه أو بفضله ، وهو إبتاء ذى القربى ؛ فقد تقرّر في نفوس الناس الاعتناء باجتلاب الأبعد واتقاء شره، كما تقرّر في نفوسهم الغفلة عن القريب والاطمئنان من جانبه وتعود التساهل في حقوقه ولأجل ذلك صرفوا معظم إحسانهم إلى الأبعدين لاجتلاب المحمدة وحسن الذكر بين الناس . ولم يزل هذا الخلق متفشيّاً في الناس حتى في الإسلام إلى الآن ولا يكثرثون بالأقربين فنحصّ الله بالذكر من بين جنس العدل وجنس الإحسان إبتاء المال إلى ذى القربى تنبيهاً للمؤمنين يومئذ بأن القريب أحقّ بالإنصاف من غيره . وأحقّ بالإحسان من غيره لأنه محل الغفلة ولأن مصلحته أجدى من مصلحة أنواع كثيرة . وعطف الخاص على العام اهتماماً به كثير في الكلام .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)﴾ الأنبياء

﴿رَجَالَ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾

- (١) ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)﴾ الأنعام
- (٢) ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّبَتْهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ تَنْسَاهُمْ كَمَا تَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾ الأعراف.
- (٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)﴾ الكهف
- (٤) ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ السجدة.
- (٥) ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾ الزمر.
- (٦) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)﴾ فصلت
- (٧) ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا (٣٤)﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا (٣١)﴾ الأنعام... ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤)﴾
- (٨) ﴿وَيَوْمَ يَجْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَهِيَ كَانُوا مُهْتَبِينَ (٤٥)﴾ يونس ...
- (٩) ﴿وَقَالُوا أَنَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنَّنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)﴾ السجدة
- (٩) ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)﴾ الرعد....

(١٠) ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) ﴾ الأعراف

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُثِرْنَا لَهُمْ (٣٣) ﴾
المؤمنون ..

(١١) الروم ﴿ ثُمَّ كَانَ عِاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَفُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠١﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٢﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ

الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٠٧﴾ . الإبلاب : أي يبقى بائساً ساكناً متحيراً .
يقال : ناظرته فأبلس . إذا لم ينس ويثس من أن يحتج . ويقول الألوسى : { ولقاء الآخرة } أي وكذبوا بالبعث ، وصرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء به (أي التركيز على البعث (لقاء الآخرة)) ،... ويقول الطاهر : وكتب في المصحف { شَفَعُوا } بواو بعد العين وألف بعد الواو، أرادوا بالجمع بين الواو والألف أن ينهبوا على أن الهمزة مضمومة ليعلم أن { شفعا اسم (كان) وأن ليس اسمها قوله من شركائهم { بتوهم أن { من" اسم بمعنى "بعض" ، أو أنها مزيدة في النفي، فأثبتوا الواو تحقيقاً لضم الهمزة وأثبتوا الألف لأن الألف صورة للهمزة وكتب في رسم المصحف { ولقائي } بهمزة على ياء تحتية للتنبيه على أن الهمزة مكسورة؟؟

(ملحوظة : هذا الكلام الأخير غير صحيح بدليل آية الأعراف (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) - ولكن لها توجيهاً آخرأ سنراه في السطور القادمة.

ثم يكمل : وذلك من الرسم التوقيفي ، ومقتضى القياس أن تكتب الهمزة في

السطر بعد الألف .

والسوأى : تأنيث الأسوأ ، أي الحالة الزائدة في الاتصاف بالسوء وهو أشد

الشر، كما أن الحسن مؤنث الأحسن في قوله { للذين أحسنوا الحسنى }

[يونس : ٢٦] (ولذلك كتبت بزيادة الحرف مع ملاحظة جو التفخيم والتهويل في هذه

الآيات وما سيتبعه أيضاً من زيادة الحرف في كلمة (لقاء) في نفس سياق الآيات .

يتبين لنا السبب ووجه الحكمة في زيادة الحرف في كلمة (لقاىء) في آية الروم وعدم زيادتها في آية أخرى تكاد تتشابه مشابهة قوية وهي آية الأعراف والتي من خلال بعض المقارنات يتبين لنا بعض هذه الوجوه:

(١) في آية الأعراف: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ (دليل على أن لهم بعض الأعمال الصالحة مثل البر والصلة وغيرها) فهم أهون من الصنف الذى فى الروم الذى يقول عنه: وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦). هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. الروم

ولكن الملاحظ فى آية الروم أنها تؤكد على صفة الكفر ومترادفاته ، فقد زادت فيها قوله تعالى (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) وَكَذَّبُوا..

(٢) الملاحظة الثانية: أن آية الروم نجدها فى السورة التى تتحدث عن أهم حدث غيبي سجله القرآن - غلبت الروم فى .. - ، وناسبها التركيز على جهلهم الشديد بعلم الآخرة - وهو غيبي - والتكذيب بها (وكذبوا بآياتنا ولقاىء الآخرة). وراجع ما قاله الإمام الطاهر

(٣) وفى سورة الروم يتم الإنتقال من مثال غيبي إلى مثال غيبي آخر ..

(٤) ثم ملاحظة خاتمة الآية فى الروم: وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ.

(٥) مع باقى مفردات الآيات السابقة- فى الروم - التى تصور شدة جرمهم فى الدنيا وشدة إبلاسهم فى الآخرة.. وتعرض لنا صورة تخلى الشفعاء - أعظم الشفعاء لديهم - عنهم فى الآخرة ..

(٦) وملاحظة قوله تعالى قبلها: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) .. وتكرار لفظ (وهم) عن الآخرة.. للتأكيد على أمر الآخرة ولقاء الله فى الآخرة - وهذا له دور فى رسم كلمة "لقاىء الآخرة" هنا بخلاف باقى الآيات فى السورة الأخرى (الأعراف)...

(٧) وملاحظة رسم كلمة (أسئوا) (السوأى) فى حال وصفهم - على التفتيح فى مرتكبهم السئ والتفتيح فى رسم كلمة "السوأى" والذى لايفعله إلا المكذب

أشد التكذيب بلقاء الآخرة .. هذا اللقاء المفخم أيضاً عليهم ومن أجل هذا كتبت كلمة: (بلقاء) الآخرة. هكذا. ومثلها في الآية قبلها: (٨) الروم. ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ .. ﴾. وهي الوحيدة على هذا الرسم في القرآن كله ... وكذلك رسم كلمة (شفعوا) في مقام النفي عن شركائهم ... والشفاعة هنا هي شفاعة الآخرة ... ﴿ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ ﴾ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الروم)

(٨) وكان هذا الوصف لهم في مقابل وصف المؤمنين بقوله ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدْ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ (١٥)

﴿ وَيَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

إذن - وبعد هذا العرض - أصبح من الواضح أن سياق آيات سورة الروم يحمل تفخيماً وتعظيماً لمشهد تكذيبهم بلقاء الآخرة وأن رسم الكلمة قام أيضاً بتصوير هذا المشهد خير تمثيل.

الموضع السادس. ءَانَايِ

في سورة طه: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ. ﴿١٣٠﴾ ﴾ شاهدنا في هذه الآية الكريمة زيادة "الياء" في كلمة "آنأى" وهي في الرسم الحديث: آناء. ولم يوجه القدماء كذلك الزيادة في هذه الآية.

والأمر فيها يسير ولهذه الزيادة نظائر تقدمت تهدينا إلى اقتناص السر فيها بعون الله: والذى يبدو مقبولاً أن زيادة "الياء" في كلمة "آنأى" رمز إلى معنى الامتداد والطول في الزمان وهو المدلول عليه بـ"آنأى" ، وليس المراد طول الزمن في نفسه بل المراد كثرة ما يقع فيه من ذكر الله والتسبيح بحمده. وهذا يسمى عند البيانين كناية لطيفة.. والذى يدل على هذا توزيع التسبيح بحمد الله على أوقات ممتدة عبر رحلتى الليل والنهار وهي: * قبل طلوع الشمس. * قبل غروب الشمس. * آناء الليل. * أطراف النهار.

وهذا صار التسييح بحمد الله مستوعبا لوقت المؤمن إلا سويغات المهجوع ليلا و صلب النهار وهو وقت السعى لتحصيل الرزق. وتوجيه الكناية فيه هو الإيماء إلى طول الزمن ، لا من حيث أنه زمن بل من حيث طول ما يقع فيه من ذكر الله عز وجل.

❦ ((ولعلنى أضيف ملحظاً بلاغياً آخر لما قاله د: مطعنى، وهو: ما نسميه بالتقديم البلاغى عند ذكر التسييح بالليل ؛ الذى يعطى معنى الإهتمام البالغ بهذا الوقت (آناىء الليل) - دون ذكر هذا التقديم مع النهار- حيث قال وَمِنْ آناىء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ.. ولم يقل (فسبح من آناىء الليل).. بخلاف قوله مع ساعات النهار ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا. ﴾. حيث أنه لم يقل (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فسبح).. والتقدم- كما نعلم - للخصوصية والإهتمام الزائد بهذا الوقت (آناىء الليل) .. ولا يخفى - لدى العامة والخاصة- الخصوصية العظمى ومالوقت الليل والقيام فيه من فضيلة عظمى.. وأن هذا الوقت لا يعدله وقت آخر ... مع ملاحظة اللطف والمد واللين فى نطق كلمة (آناىء) وجرس حروفها التى تناسب لطف ورقة الليل وعذوبة المناجاة فى الليل .. ولم يقل ("أطراف" الليل) التى تختلف فى جرسها ووقعها عن هذه الرقة والنداوة فى كلمة (آناىء) ..

فوق ذلك ملاحظة مدود الكلمة (آناىء) التى تطيل النطق مع استصحاب الرقة واللطف والنداوة التى ترسمها بالصورة الصادقة حروف الكلمة.... ولذلك كان التركيز على هذه الخصوصية وإبرازها أمام الأعين الناضرة فى كتاب الله المتدبرة لآياته ، وذلك عن طريق :

(١) رسم الكلمة على هذه الصورة.

(٢) أسلوب التقديم الذى شرحناه ليؤكد على هذه الخصوصية لرسم الكلمة ويتضامن معها.

(٣) والوقفه الهامة فى هذه الآية وهذه الآناىء (آناىء الليل) - فى هذه الآيات- خاصة بآناىء الليل للنبي (ﷺ).. ومعلوم كيف كانت (آناىء الليل) للحبيب محمد (ﷺ) ، فى طولها و رقتها وعذوبتها مع مولاه وحبيبه، وهو الذى كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ، وهو من هو مع ربه ، حتى بعد أن قال له ربه (ليغفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر) وطلبت منه عائشة أن يرفق بنفسه بعد هذا التكريم الصادر من ربه له فأبى وقال (أفلا أكون عبداً شكورا) .. وقال له ربه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ .. وكان قيام الليل

فرض في حقه - دون الأمة - حافظ على قيام ساعاته (آنائه) إلى أن قبضه الله إليه؛ وهذه من خصوصيات النبي (ﷺ)

ولاحظ قوله لحبيبه: لعلك ترضى..... وقال له - بنفس أسلوب التقديم والإهتمام - في سورة الإسراء أيضاً- (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) .. ولم يقل (فتهجد من الليل = (الآناء))... بل قال (ومن الليل فتهد) بتقديم الليل (آناء الليل). مما يؤكد على أهمية ساعات (آناء) الليل بصفة عامة ، ولحمد (ﷺ) بصفة خاصة.. كما ذكرنا في مثالنا في سورة طه.....

ولذلك كان لابد من التفريق بين (آناء) الليل لمحمد (ﷺ) بكتابة الكلمة والتقدم في الذكر، وبين (آناء) الليل لغيره من الأمة - بكتابة الكلمة وطبيعة السياق - فباقي الأمة مهما كانت تقواهم لا تبلغ المثقال من تقوى محمد (ﷺ) مع ربه.. فكبت كل كلمة مناسبة للمقام الذي سبقت له.. وإليك رسم الكلمة (لغير النبي) وهي:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (١١٣) آل عمران...

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩) الزمر.

فكبت في الآيتين - في المثالين - على الكتابة العادية (لأنها للأتقياء من الأمة) بخلاف آناء الليل للحبيب محمد (ﷺ) التي كتبت (آناء).

الموضع السابع: ورأي

في سورة الشورى: (٥١) ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ الشاهد هو كلمة "ورأي" حيث زيد فيها "الياء" والأصل فيها عدم الزيادة وراء. وقد وردت على الأصل بدون زيادة في قوله تعالى: في سورة الأحزاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ .. (٥٣)﴾ وهذا يثير سؤالاً ذا أهمية قصوى فحواه لماذا زيد "الياء" في كلمة "ورأي" في سورة الشورى. ولم تزد فيها في سورة الأحزاب؟

القدماء تركوا هذه الزيادة في سورة الشورى بلا توجيه مع النص الصريح عليها في مواضع زيادة "الياء" في خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف، وليس معنى

هذا أنها تخلو من الدلالة، والمقارنة بين الموضوعين تسهم إلى حد كبير في الكشف عن السر اللطيف الكامن وراء تلك الزيادة؛ إذ كل من كلمتي "وراء" في الآيتين أضيفت إلى كلمة "حجاب"، فلماذا كانت آية الأحزاب خالية من زيادة "الياء" في كلمة "وراء" وآية الشورى زيدت في كلمة "ورأى" فيها "الياء"؟

إن الفروق بين الموضوعين جد واضحة وهي التي اقتضت زيادة "الياء" في آية الشورى وعدم الزيادة في آية الأحزاب؛ فالحجاب في آية الأحزاب حجاب مادي محسوس؛ وهو كل ساتر حسي يحول دون رؤية النساء وهن في بيوتهن إذا طرق الباب رجال أجنب عنهن.

أدب الإسلام في هذه الحالة هو أن تتوارى المسلمة خلف أى ساتر لا يمكن المتحدث معها من وقوع بصره على شئ من محاسنها.

أما الحجاب في آية الشورى فهو حجاب معنوي معقول لا يرى يبصر ولا يلمس بيد، والحجاب في آية الأحزاب يمكن اختراقه والاحتياال عليه لولا الوازع الديني والالتزام الخلقى. أما الحجاب في آية "الشورى" فهو محكم قوى متين لا يمكن اختراقه أو الاحتياال عليه إذ أن رؤية الله في الحياة الدنيا مستحيلة الوقوع.

لذلك - والله اعلم - زيدت "الياء" في آية الشورى للرمز على أن الحجاب المضروب بين الله وبين خلقه في الحياة الدنيا حجاب عظيم الشأن لا يمكن إزالته على الإطلاق.

(وأقول أنا موضحاً: أنه - في آية الشورى - الحجاب هو حجاب العظمة، والذي وراء الحجاب هو رب العالمين، وهو الحجاب الذى جعل رسول الله موسى عليه السلام يختر صاعقا حين تجلى ربه للجبل. فكتب "ورأى" حجاب) بخلاف آية الأحزاب فالذى وراء الحجاب هم نساء النبي (ﷺ)، والحجاب هو ستارة أو باب فكتب الكلمة "وراء حجاب".

فليتأمل دعاة المعارضة هذه الدقائق الآسرة الساحرة التي ترمز إليها "خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف" حتى يتبين الصبح لذى عينين.

الموضع الثامن.. بأييد

في سورة الذاريات: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ والشاهد في الآية زيادة "الياء" في قوله تعالى: "بأييد"، وهي في الرسم الإملائي الحديث هكذا: بأيدياء واحدة.

وقد وجه القدماء هذه الزيادة ؛ قال أبو العباس المراكشي: "إنما كتبت" (بأيده) بيايين فرقا بين الأيد الذي هو القوة وبين الأيدي: جمع يد ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي ؛ فزيدت "الياء" لاختصاص (هذه) اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتى في الوجود .

فأنت ترى أن زيادة "الياء" هنا جُلبت لمعنى ، ورمزت إلى لطيفة من لطائف كتاب الله العزيز. وقد يعبر عن هذه اللطيفة فيقال: إن زيادة "الياء" في هذه الكلمة للترفة بين اليد الحسية "الجارحة" وبين "اليد" بمعنى القوة المعنوية. وقد جمعت هكذا "بأييد" ولم تأت مفردة بيد ، مرادا من الجمع تفخيم شأن تلك القوة لأنها قوة الله التي لا تحدد.

(أقول : يكفى أن ترسم هذه الكلمة على هذه الصورة لتفرق بين يد القدرة التي رفعت السماوت والأرض (بأييد) .. وبين اليد العادية التي تكذب بالصورة العادية (أيد) - في منهج الرسم القرآني - ولذلك وردت في أماكن أخرى - ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ .. (١٩٥) . ﴾ البقرة .. ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ .. (١٤) ﴾ التوبة .. وقد كتبا بياء واحدة .. وليس المانع هو الإضافة - كما يقال - ولكنه هو هذا الملفت المعجز

الموضع التاسع .. بِأَيْدِيكُمْ

في سورة القلم: ﴿ فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيْدِيكُمْ أَلْمَفْتُونُ ﴾

هذا هو الموضع الأخير من المواضع التي زيدت فيها "الياء" في كلمات من القرآن الكريم. والشاهد في الآية الثانية هو زيادة "الياء" في "بأيديكم" وخلاصة مقاله الأقدمون في توجيه هذه الزيادة أنها رمز إلى اختصاصهم هم بالفتنة دون رسوله الكريم (ﷺ). ولم يبينوا بوضوح دليل هذا الاختصاص.

والذي لاح لنا أن في الآية الخامسة من السورة نفسها ورد قوله تعالى: (فستبصر ويصرون) في هذه الآية ذكر ضميران فاعلان:

الأول: ضمير مستتر تقديره: "أنت" مخاطبا به رسول الله (ﷺ).

والثاني: ضمير ظاهر متصل وهو "واو" الجماع الغائبين يعود على مشركي العرب في عصر نزول القرآن الكريم. وفي الآية السادسة (بأيكم المفتون) ذكر ياءان أحدهما بعد الآخر، فإذا جعلنا هذين الياءين كناية عن الضميرين المذكورين قبلهما ، كان الياء

الأول رمزا إلى ضمير الرسول في الآية الخامسة، وكان الياء الثاني رمزا إلى ضمير المشركين في الآية السادسة.

كذلك وإذا نظرنا إلى ترتيب هذين الياءين وجدنا الياء الثاني الذي هو رمز ضمير المشركين هو المجاور للفتنة المفهومة من كلمة "المفتون" أحدهما: الياء الثاني في "بأييكم".

والثاني: المقطع اللفظي "كم" المكون من حرفين وهذا- والله أعلم بسر كتابه- ملمح ذكي وقوي يفيد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضلال والفتنة كما يفيد في الوقت نفسه قرب المشركين وقوة صلتهم بالفتنة والضلال.

إذن ففى زياد "الياء" فى هذه المواضع التسعة من اللطائف والأسرار ما يدعو إلى زيادة البحث وحديثه فى كل خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف ومعالجة المواضع التى لم يوجه الأقدمون سر الخصوصيات فيها وهى كثيرة فى آيات الكتاب العزيز لا تكاد تخلو منها كل سورة من سوره جميعا، وكثير ما يكون فى رسم الكلمة الواحدة خصوصيتان أو أكثر.

❁❁ **تعليق:** (ويعجب المرء أشد العجب من أن يسمع من علماء مسلمين يقولون بأن هذه الكتابة وأمثالها خطأ من الكاتب ، ومن سوء هجاء الأولين - كما يقول أحدهم ، بل ويصرح بها (ابن قتيبة) فى كتابه (تأويل مشكل القرآن) ص ٤٠-٤١. مصرحاً بأن كل ماجاء فى رسم المصحف من وجوه مخالفة للمشهور من قواعد الهجاء عند الكتاب هو من باب الخطأ؟؟!!!!) ويقول بعد أن أورد حديث عائشة (المريب والمشكل لدى العلماء) فى غلط الكاتب وحديث عثمان: (أرى فيه لحناً..). يقول ابن قتيبة (وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب أو أن تكون خطأ من الكاتب- كما ذكرت عائشة- رضى الله عنها- .

ثم يقول: فإن كانت على مذاهب النحويين فليس ههنا لحن ، بحمد الله، وإن كانت خطأ فى الكتاب فليس على الله ولا على رسوله (ﷺ) جنابة الكاتب فى الخط، ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجى،...!!!!

ويقول: فقد كتب فى الإمام(قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَجْرَانٍ) طه ٦٣.. بحذف ألف التثنية..... ثم يتعرض إلى- ما يسميه خطأ الكاتب - فى كتابة كلمة (الصلواة)،

والزكوة... الربوا). ويقول : واتبعناهم - أى كتبة الوحي - فى هذه الحروف خاصة، على التيمن بهم.. وعرج على بعض الأمثلة فى الوصل والوصل - الذى سنشبعه رداً وتحليلاً على الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى (-).

ولكن العجب العجاب من عالم كهذا كيف يجهل هذه المقدمات التى أشار إليها السابقون ؟ وكيف أنه لم يقرأ تعدد القراءات فى الآية (أن هذان لساحران).. وكيف أن هذا الألف - الذى حذف - قد حذف لحكمة بالغة وعظيمة، حيث أن القراءات قرأت (لساحران ولساحرين) وأنه فى هذه الحالة لو كتبت بألف ظاهرة لقيدت القارىء بقراءة واحدة وهى التى بالألف ، أما فى حالة حذف الألف ووضع إشارة تدل عليه بدلاً منه فهو إشارة أسرة من الرسم يجواز القراءة بالقراءتين) فكيف يكون هذا خطأ (وجناية) من الكاتب(وهو الصحابى الذى كتب القرآن وأجمعت عليه الأمة) - كما يقول!!!..

وهكذا - وللأسف - الحال نراه من ابن خلدون ؛ حيث يقول((ولا تلتفتن قى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم - أى الصحابة - كانوا محكمين لصناعة الخط.... وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تريباً للصحابة عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط..... وذلك ليس صحيح)!!!..

والعجيب أن د: غانم قدورى(صاحب الرسالة المطولة فى الدراسة التاريخية لرسم المصحف) - يقول بعد نقل هذه الأقاويل (ولا ينبغي أن ننخدع بما فى كلام العلامة ابن خلدون - رحمه الله -). وهذا كلام طيب من د: قدورى ولكن للأسف سينقضه بعد قليل بعرضه لرأيه بصورة أخرى سنناقشها تحت عنوان "الرأى الآخر ود: غانم قدورى!!). وبعد أن يؤكد على رهاقة حس الصحابة اللغوى - كما يقول - ويخطئ ابن خلدون (بأنه كان يتصور بأن هناك نظاماً للكتابة - فى أول الإسلام.. وأن الصحابة قد قصرت همهم عن إجادة استخدام ذلك النظام الكتابى، فوقع نتيجة لذلك ما جاء فى المصحف من (أخطاء)..!!

وبعد أن يعلق بكلام طيب قائلاً وناقلاً قول المدافعين عن هذا الحق ((وإذا كان سلفنا الصالح من علماء الأمة الذين ذهبوا إلى هذا المذهب قد عصمهم إيمانهم عن الخطل فى القول، فعبروا بأسلوب العالم الأمين المخلص لكتاب ربه المجل لحمته وكاتبه عما وصل إليه علمهم وبلغه اجتهادهم فى فهم تلك القضية ، فإن طائفة من المحدثين تنسب إلى العلم أطلقت ألسنتها تصف الرسم بما نجل الرسم والصحابة الذين كتبوه عن مجرد ذكره،

وهو إن دل على شيء فإنما يدل على الجهالة في العلم والبلادة في الذهن والقصور في الإدراك، إن لم يدل على سوء النية وخبث القصد والعداء لكتاب الله العزيز).....

ولكنه رغم ما قاله هذا يصر على أن هذا الرسم ليس له أى وجه من وجود الحكمة سوى أنه تطور في تاريخ الكتابة.. حيث أنه كانت تكتب الكلمات بالواو .. وتطورت الكتابة بعد ذلك فكتبت بعض هذه الكلمات بالألف، وبقيت الأخرى كما هى بالواو لتدل على هذا التطور التاريخي للكتابة ، دون أن يكون لذلك أى وجه حكمة سوى هذا الجانب التاريخي الذى يجب أن نفهم خصوصية الرسم المصحفى عليه !! - حسبما يقول- وبذلك - حسب زعمه - تحل جميع هذه الإشكالات القائمة ؟؟؟؟!!! والآن نقف على بعض هذه المغالط لنبين وجه الحق والحقيقة فيها.

حديث "إن في القرآن لحناً..."

وهنا لا بد لنا من وقفة هامة جداً مع بعض العلماء الذين يلهثون وراء تصحيح بعض الأحاديث التي تنادى على نفسها بالكذب والتلفيق؛ ومنها هذا الحديث الغريب العجيب ((فيروى أن أبا عمرو بن العلاء بلغه عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب. وفي رواية أخرى فإن العرب ستغيرها- أو قال: ستعربها بألستها، لو أن الكاتب من ثقيف والمعلمي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف)). وأخرج أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٧هـ) من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر وأبو بكر بن أشنة (ت ٣٦٠هـ) من طريق يحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ) نحو ما رواه أبو عبيد. وكذلك ابن أبي داود (ت ٣١٦هـ) الخير من عدة طرق وأورده الفراء (ت ٢٠٧هـ) من غير أن يسنده إلى عثمان- رضى الله عنه-

وأخرج الفراء وأبو عبيد وابن أبي داود والداق عن أبي معاوية الضرير عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال: "سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله في سورة طه **إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ..** وعن قوله في سورة النساء **لَكِنَّ الرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَتُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)** وعن قوله في سورة المائدة **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)..** فقالت: يا ابن أختي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب".

وروى ابن أبي داود عن سعيد بن جبير (٤٥-٩٥هـ) نحواً من ذلك وروى أبو عبيد وابن أبي داود أن الزبير بن أبي خالد قال: قلت لأبان بن عثمان كيف صارت في سورة النساء آية ١٦٢. ما بين يديها وما خلفها رفع وهي نصب قال: من قبل الكاتب كتب ما قبلها، ثم قال: ما أكتب؟ قيل اكتب (المقيمين الصلوة) فكتب ما قيل له. وقد تحدث العلماء عن هذه الأخبار وما قيل في معناها فضعف بعضهم روايتها وردّها لذلك، وتناول بعضهم ما ورد فيها من معنى الخطأ أو اللحن، يقول السيوطي: "وهذه الآثار مشككة جداً وكيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن، وهم الفصحاء اللدا، ثم كيف يظن بهم ثانياً في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ) كما أنزل، وحفظوه وضبطوه، وأتقنوه! ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابتها! ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه!

ثم كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره! ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف! هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة".

وأشرنا من قبل إلى مذهب ابن قتيبة في تلك الأخبار وقد لخصه بقوله: "وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها- أى له وجه من الإعراب صحيح يعلمه أهل اللغة- أو أن تكون غلطاً كما ذكرت عائشة- رضى الله عنها- فإن كانت على مذاهب النحويين(أى لها توجيه نحوى سليم) فليس ههنا لحن بحمد الله ، وإن كانت خطأ في الكتاب فليس على الله ولا على رسوله (ﷺ) جنابة في الخط".!!!!!!

((وهذه - كما نرى - مصيبة عظمى أن يقال مثل هذا الكلام من عالم كهذا ، ونفس هذا الكلام سيقوله عن رسم المصحف!!!! وسرى خطأ ما قاله على الصفحات القادمة إن شاء الله)) وكنا في غنى أن نسمع تبريرات البعض من العلماء لتمرير هذا الحديث (المعيب)، ولكننا سنعرض إليه ببعض التفصيل لخطورته وخطورة معناه .

ويذهب ابن أبي داود إلى أن المقصود باللحن إنما هو اللغة ، وأن معنى الألحان اللغات ؛ مثل قول عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- إنا ل نرغب عن كثير من لحن أبي ، يعنى: لغة أبي. وقال في الخبر المروى عن عثمان- رضى الله عنه- هذا عندى يعنى: بلغتها، وإلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعاً لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرءونه")

ويقول أيضاً: "ولا يجوز عندى أن يجتمع أهل الأمصار كلها وأصحاب النبي (ﷺ) معهم على الخطأ وخاصة في كتاب الله عز وجل".

وقد رد أبو بكر الأنبارى الأخبار المروية عن عثمان بن عفان في ذلك - كما

ينقل السيوطى - وهى عنده "لا تقوم بها حجة لأنها منقطعة غير متصلة"

كذلك هو ينهى أن يكون معنى قوله "أرى فيه لحناً" أرى في خطه لحناً إذا أقمناه بألستنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب لأن الخط منبئ عن النطق فمن لحن في كتبه فهو لحن في نطقه ، ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً في هجاء ألفاظ من جهة كتب ولا نطق.

ونقل السيوطى أيضاً رأى ابن أشته فى الأخبار المروية عن عثمان وما يذهب إليه فى توجيهها، فيروى أنه قال: "لعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها ولم يتقن اللفظ الذى صدر عن عثمان ، فلزم منه ما لزم من الإشكال ، فهذا أقوى ما يجاب عن ذلك".

ويقول السيوطى: إن تلك الأجوبة لا يصلح منها شئ فى الإجابة عن حديث عائشة، ثم ينقل ما قاله ابن أشته فى ذلك وتبعه فيه ابن جبارة (أحمد بن محمد المقدسى ٧٢٨هـ) فى شرح الرائية بأن معنى قولها "أخطأوا" أى فى اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه لا أن الذى كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز.

وتناول أبو عمرو الدانى تلك الأخبار بالنقد والتوجيه فقال عن الخبر الذى يروى عن عثمان: "هذا الخبر عندنا لا تقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين: إحداهما أنه مع تخطيط فى إسناده واضطراب فى ألفاظه مرسل لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ولا رأياه، وأيضاً فإن ظاهر ألفاظه ينفى وروده عن عثمان - رضى الله عنه - لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده فى بذل النصيحة واهتباله بما فيه الصلاح للأمة.."

ثم يوجه معنى اللحن فى الخبر - لو صح - بأن المراد به التلاوة دون الرسم ؛ إذ كان كثير منه لو تلى على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها من مثل (أو لا أذبحنه) وما شاكلة.. ((وهذه سنقف لها على تعليق فى حينها))

ويرى الدانى فى قول عثمان - رضى الله عنه - فى آخر هذا الخبر: (لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف) أن معناه لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعانى دون الألفاظ المخالفة لذلك؛ إذ كانت قريش ومن وكسى نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك فى كثير من الكتابة وسلكوا فيها تلك الطريقة ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتها يستعملان ذلك، فلو أهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرستا جميع تلك الحروف على حال استقرارها فى اللفظ ووجودها فى المنطق دون المعانى والوجوه، إذ إن ذلك هو المعهود عندهما والذى جرى عليه استعمالهما.

وإذا صح ذلك فينبغى البحث عن معنى آخر للحن الوارد فى الأخبار المذكورة بعيداً عن مفهوم الخطأ فى الإعراب.

ويبدو أن المعنى المناسب لذلك هو أن اللحن جاء بمعنى اللغة وطريقة الكلام إذ تشير مجموعة من النصوص المروية من تلك الفترة على أن من بين معاني اللحن اللغة أو القراءة ، فمن ذلك الحديث الذى يرويه حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن بألحان العرب" وفي رواية: "بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين" ومن ذلك — أيضاً — ما يرويه البخارى من قول عمر — السابق — "أبي أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبي...". أى لغة أبي وقراءته.

وعلى ذلك فقد رجح بعض العلماء أن يكون المقصود بقول عثمان رضي الله عنه — إن صح — إنما هو تلاوة الحروف المرسومة بزيادة حرف أو نقصانه مما لو قرئ على وجه لتغير اللفظ وفسد المعنى، أى أن هناك كلمات على القارئ أن يقيم قراءتها وفقاً لما تلقاه وسمعه دون ما يجده مكتوباً في الخط.

أما حديث عروة الذى يرويه عن عائشة فإن علينا أن نشير أولاً إلى بعض الحقائق المتعلقة بالآيات التى وردت فيه وأول هذه الحقائق هى أن الكلمات موضع السؤال قد جاءت صحيحة فى رسمها جارية على قواعد الهجاء فكلمة (هذان) فى الآية الأولى الواردة فى الخبر جاءت على وفق القاعدة التى جرى عليها الرسم العثمانى من حذف ألف (ها) التى للتببيه ووصلها بما يليها من اسم الإشارة أو نحوه وحذف الألف من (ذان) على نحو حذفها من كل مثنى ((ولكن الصحيح فى ذلك أن — هذه الكلمة فى هذه الآية فقط رسمت على هذا الشكل لأن لها قراءتان. (هذان ، هذين) فكان الأنسب والأوفق لهاتين القراءتين هو حذف الألف ، وهذا من قمة الروعة والإعجاز فى رسم الكلمة))

وبالرجوع إلى القراءات الصحيحة المروية فى هذه الكلمات يمكن أن يتاح لنا فهم سر رسمها على ذلك النحو فالآية الأولى رقم ٦٣ [فى سورة طه] إن هذن قرأها ابن كثير - وحده - بتخفيف (إن) و(هذان) بالألف مع تشديد النون ، وقرأ حفص كذلك إلا أنه خفف نون (هذان) ووافق ابن محيصن وقرأ الباقون ما عدا أبا عمرو بتشديد (إن) و(هذان) بالألف وتخفيف النون وقرأ أبو عمرو (إن) بتشديد النون و(هذين) بالياء مع تخفيف النون ، ونجد أن أوضح القراءات فى هذه الآية معنى ولفظاً وخطاً هى قراءة ابن كثير وحفص وذلك أن (إن) المخففة من الثقيلة أهملت و(هذان) مبتدأ و(لساحران) الخبر ، واللام للفرق بين النافية والمخففة ، وقراءة أبي عمرو واضحة من حيث الإعراب والمعنى رغم مخالفتها الرسم ، وقد تكلم أهل العربية فى توجيه القراءة الأخرى.

((و سنقوم بالشرح والتفصيل السببي في وضع هذه الكلمات القرآنية على هذا الرسم ، وسنرى فيه- على الصفحات القادمة- أجمل وأروع نواحي الإعجاز الذي أظهره لنا هذا الرسم القرآني المعجز)))) ويكمل د: قدوري :

أما الآيتان في سورة النساء الآية ١٦٢ . وسورة المائدة الآية ٦٩ . فقد اتفق الجمهور على قراءة (والمقيمين) بالياء منصوباً على نحو ما هو مرسوم إلا رواية يونس وهارون عن أبي عمرو لها بالواو وقراءة عاصم الجحدري لها بالواو كذلك مع محافظته على رسمها بالياء. (أى أنه يعلم أن هناك إجماع على هذه القراءة والرسم المتواجدة بالمصحف ولكنه يعرض جواز قراءة أخرى)

واتفقوا كذلك على قراءة (الصبيون) بالواو على نحو ما هو مرسوم إلا ابن محيصة فقد قرأها بالياء والجحدري كذلك، وما دامت قراءة العامة قد جاءت موافقة للرسم على هذا النحو وقد تواترت عن القراء فلا مجال- إذن- للكلام هنا عن الخطأ في الرسم أو القراءة ، خاصة أن النحاة قد تكلموا على ما في الآيتين من تخالف إعرابي ووجهوا ذلك بوجوه كثيرة رغم أن القراءة إذا صحت روايتها لا ينظر في موافقتها قواعد النحاة ولا يطلب لها التعليل والمثال من كلام العرب؛ فصحة روايتها هي نفسها أقوى في الدلالة على علوها في الفصاحة والعربية من التماس قول مجهول أو شعر منحول لتوجيهها ، وما أجل قول الفخر الرازي في هذا المعنى حين يقول: "إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما ترى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها فلا أن يجعلوا القرآن دليلاً على صحتها كان أولى".

ويقول الداني بعد أن ناقش ما ورد في دلالة الخبر: "على أن أم المؤمنين- رضي الله عنها- مع عظيم محلها وجليل قدرها واتساع علمها ومعرفتها بلغة قومها لحنّت الصحابة ، وخطأت الكتابة ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذي لا يُجهل ولا ينكر ، هذا ما لا يسوغ ولا يجوز".

ونخلص من ذلك كله إلى نفي دلالة الخبرين على وقوع الخطأ في الرسم

العثماني، .. ،

ويقول د: غانم قدوري: فهذا الاتجاه القائل بأن ما جاء من رسم بعض الكلمات في المصحف على طرق مخصوصة خالفته القواعد التي وضعها علماء العربية

لاحقاً هو من خطأ الكاتب لا يقوم- إذن- على خبر صحيح ولا استنتاج مؤيد بدليل ، بل هو رأى أنتجه (النظر غير المتمهل) إلى هجاء الكلمات ، مع فقدان الحس بالجانب التاريخي للكتابة والتعلق بأن الأصل في الكتابة موافقة الخط للفظ ، فلا ينبغي للناظر في الرسم العثماني إلا أن يستبعد فكرة الخطأ وهو يحاول أن يجد التفسير الصحيح لظواهر الهجاء الواردة فيه وأن يتوقف عن القول في ما لم يتوفر فيه ما يرجح به رأياً أو يقدم تفسيراً لأن جانباً كبيراً من تاريخ الكتابة العربية في تلك الفترة المتقدمة لا يزال غير معروف ويظل الرسم العثماني بكل ما يقدم من أمثلة وصور لرسم الكلمات خير ممثل لواقع الكتابة العربية في تلك الحقبة ولا شك في أن كشف جديد في مجال النصوص القديمة المكتوبة سيزيد الحقائق الكتابية التي يقدمها الرسم تأكيداً ووضوحاً بعيداً عن فكرة الخطأ التي يجب أن تكون آخر احتمال في هذا المجال بل على الباحثين استبعاد فكرة الخطأ في هذه المرحلة من البحث حيث تشير كل الدلائل إلى أن ما جاء في رسم المصحف هو واقع كتابي تميزت به الكتابة العربية في تلك الفترة .

وهنا نقف وقفة أخرى للرد على شبهاتهم الواهية التي ذكروها في معرض الحديث السابق الذي نسبوه إلى السيدة عائشة زوراً وبهتاناً وهي ما نسميه نحوياً (رفع المعطوف على المنصوب) في رسم كلمة "الصائبون" منشأ هذه الشبهة:

في سورة المائدة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصْرِيُّ مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ مخالفة لوضعها في الآيتين الأخرتين في سورة البقرة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرِيُّ وَالصَّابِقِينَ مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. وسورة الحج ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصْرِيُّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) .. ﴾. التي وردتا بالياء على النصب (الصائبين)

هذه الآية هي منشأ هذه الشبهة عندهم لأنهم نظروا فيما بعد "الواو" في "الصائبون" وقارنوا بينه وبين "الذين آمنوا" الواقع بعد "إن" وهي حرف ناسخ ينصب "المبتدأ" ويرفع "الخبر" ، واسم "إن" - هنا- هو "الذين" وهو مبني لأنه اسم موصول.

وقد عطف عليه "الذين هادوا" أما "الصائبون" فجاءت مرفوعة بـ "الواو" لأنها جمع مذكر سالم وجاء بعدها "النصارى" . وكل من "الذين" في الموضوعين السابقين على "الصائبون" وكذلك "النصارى" إعرابها تقديري ، لا يظهر لا في الخط ولا في النطق ، وذلك لأن الأسم الموصول "الذين" من المبنيات على حالة واحدة ، أما "النصارى" فهو اسم مقصور يتعذر ظهور حركة الإعراب عليه .

وخصوم القرآن - بل بعض الذين يدعون فهماً في القرآن - نظروا في نظم هذه الآية الحكيمة وقالوا إن فيها خطأ لغوياً (نحويًا) لأن "الصائبون" معطوفة على منصوب الرد على الشبهة:

للنحاة والمفسرين في توجيه رفع "الصائبون" في هذه الآية عدة آراء منها ما هو قوى مشهود له في الاستعمال اللغوي عند العرب الخالص، ومنها ما هو دون ذلك، وقد بلغت في جملتها تسعة توجهات نذكر منها ما يلي:

الأول: ما قاله جمهور نحاة البصرة الخليل وسيبويه وأتباعهما قالوا: إن "الصائبون" مرفوع على أنه "مبتدأ" ، وخبره محذوف يدل عليه خبر ما قبله- "إن الذين آمنوا" - قالوا: والنية فيه التأخير؛ أى تأخير "والصائبون" إلى ما بعد "والنصارى" ، وتقدير النظم والمعنى عندهم: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصائبون كذلك".
ومن شواهد هذا الحذف عند العرب قول الشاعر:

نحن بما عندنا * وأنت بما عندك "راض" والرأى مختلف

فقد حذف الخبر من المبتدأ الأول - وتقديره نحن بما عندنا "راضون" - لدلالة الثاني عليه "راض" . والمعنى: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض.

وقول الآخر: ومن بك أمسى بالمدينة رحله فإني * وقيار بما لغريب والتقدير: فإني لغريب وقيار كذلك.

وقول الشاعر: وإلا فاعلموا أنا * وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق الشاعر يصف الفريقين أنهم "بغاة" إن استمروا في الشقاق والتقدير: اعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك.

وهكذا ورد في الاستعمال اللغوي عند العرب أن الجملة الإسمية المؤكدة بـ "إن" يجوز فيها مبتدأ آخر غير اسم "إن" ، وأن يذكر خبر واحد يكون لإسم "إن" ويحذف خبر

المبتدأ الثاني لدلالة خبر اسم "إن" عليه، أو يحذف خبر اسم "إن" ويكون الخبر المذكور للمبتدأ الثاني دليلاً على خبر اسم "إن" المحذوف .

ونظم الآية التي كانت منشأ الشبهة عندهم لا يخرج عن هذه الأساليب الفصيحة التي عرفناها في الأبيات الشعرية الثلاثة ، وهي لشعراء فصحاء يُستشهد بكلامهم.

**** الثاني:** أن "إن" في قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" ليست هي "إن" الناسخة التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر، بل هي بمعنى: "نعم" يعني حرف جواب ، فلا تعمل في الجملة الاسمية لا نصباً ولا رفعاً، وعلى هذا فالذي بعدها مرفوع المحل لأن "الذين" اسم موصول وهو مبني في محل رفع ، وكذلك "الصائبون" فإنه مرفوع لفظاً وعلامة رفعه "الواو"، لأنه جمع مذكر سالم مفردة "صائب". وقد استعملها العرب كذلك قال قيس بن الرقيات:

برز الغواني من الشباب يلمنى وألومهنه
ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت إنه

أى فقلت: نعم.

وعلى هذا فإن كلا من "الذين" و "الصائبون" والنصارى أسماء مرفوعة إما محلاً وهما: الذين " فهى مبنية في محل رفع، والنصارى مرفوعة بضمه مقدرة لأنها اسم مقصور لا تظهر على آخره حركات، وإما لفظاً مثل: "الصائبون" فهى مرفوعة لفظاً بواو الجماعة.

وعليه - كما كان في المذهب الأول - فلا خطأ في الآية كما زعم خصوم القرآن.

أما المفسرون: فقد اختار الزمخشري منهم المذهب الأول المعزو إلى جمهور علماء البصرة ؛ ومن شيوخهم الخليل وسيبويه فقال: "والصائبون" رفع على الابتداء ، وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصائبون كذلك" ثم وقال : فإن قلت ما التأخير والتقديم إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم؟

قلت : فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم؟ وذلك لأن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غيا ، وما سموا صابئين إلا لأنهم صباؤا عن الأديان كلها أي: خرجوا .

وقال الإمام الشوكاني: "والصائبون" مرتفع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصائبون والنصارى كذلك".

وقد ألح الإمام الشوكاني إلى إضافة جديدة خالف بها كلا من الخليل وسيبويه والزمخشري لأن هؤلاء جعلوا "الصابئون" مقدماً من تأخير كما تقدم، أما هو فجعله قاراً في موضعه غير مقدم من تأخير بدليل قوله: "والصابئون والنصارى كذلك" وهذه إضافة حسنة ومقبولة. وعليه يمكن جعل "النصارى" مرفوعة عطفاً على "الصابئون" ولا حاجة إلى جعلها منصوبة عطفاً على "إن الذين آمنوا".

والواقع أن هذا المذهب - على جملة - الذي ذهب إليه جمهور علماء البصرة وتابعهم فيه الإمام الشوكاني هو أقوى ما أورده النحاة في توجيه رفع "الصابئون" في هذه الآية الكريمة. أما بقية الآراء فهي دون ذلك بكثير.

هذا هو توجيه رفع "الصابئون" عند جمهور النحاة والمفسرين.

أما توجيهه بلاغة فهو ما يأتي:

إن مخالفة إعراب "الصابئون" عما قبلها سواء كانت مقدمة من تأخير على رأى الجمهور أو غير مقدمة على رأى الإمام الشوكاني فيه لمحة بلاغية رائعة تشير إلى وجود فرق كبير بين هذه الطوائف الأربع: * الذين آمنوا. * الذين هادوا. * النصارى. * الصابئون. فالطوائف الثلاث الأولى يربط بينها رابط قوى هو أن كل طائفة منها لها كتاب ورسول من عند الله عز وجل.

فالذين آمنوا لهم كتاب هو القرآن ورسول هو محمد (ﷺ). والذين هادوا لهم كتاب هو التوراة ولهم رسول هو موسى عليه السلام. والنصارى لهم كتاب هو الإنجيل ولهم رسول هو عيسى عليه السلام. أما الصابئون فليس لهم كتاب ولا رسول وهم على ضلال مطبق لا ذرة من هداية فيه. والمقام الذى تتحدث عنه الآية هو فتح باب القبول عند الله لكل من آمن إيماناً صحيحاً صادقاً وداوم على عمل الصالحات ، فالإيمان يمحو ما قبله ولا ينظر الله إلى ماضيهم الذى كانوا عليه من كفر ومعاص ، والآية بدأت بالذين آمنوا ليستمروا على إيمانهم الذى هم فيه ويلتزموا بعمل الصالحات ، والله سيجزيهم خير الجزاء على إيمانهم المستمر وصلاتهم الدائم.

ثم ثنت بالذين هادوا يعنى: اليهود وهم كانوا في عصر نزول القرآن قد غالوا في دينهم وحادوا عن الحق وغيروا وبدلوا فيما أنزله الله على أنبيائهم فوعدهم الله إذا آمنوا إيماناً صحيحاً صادقاً وتابوا إلى الله من كل ما ابتدعوه في عقائدهم واتبعوا ما أنزل الله على خاتم رسله بأنهم سيكونون في أمن من عذاب الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وكذلك النصارى حيث جعلوا لله صاحبة وولدا وغالوا كثيراً في دينهم. إذا آمنوا إيماناً صحيحاً صادقاً وبرئوا من عقائدهم التي ابتدعوها وأصلحوا شأنهم وآمنوا بما أنزله الله على خاتم رسله ولزموا العمل الصالح كان سعيهم عند الله مشكوراً ووقاهم الله عز وجل من الخوف والحزن يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثم زاد الله في ترغيب هذه الفرق الثلاث فيما عنده بأن يجعل هذا الفضل للصائين الذين خرجوا عن جميع الرسالات السماوية ، وإذا كان الله يقبل منهم إيمانهم إذا آمنوا ويشبههم على عمل الصالحات فإن الذين آمنوا واليهود والنصارى أولى بالقبول عند الله إذا آمنوا وعملوا الصالحات.

ومن أجل هذا خولف إعراب و"الصابئون" ليلفت الأذهان عند قراءة هذه

الآية أو سماعها إلى الوقوف أمام هذه المخالفة ولتساءل القارئ أو السامع ما سبب هذه المخالفة ثم يقوده هذا التساؤل إلى الحصول على هذا المعنى الذى تقدم.

فهذه المخالفة أشبه ما تكون بالنبر الصوتى فى بعض الكلمات التى يراد لفت

الأنظار إليها عند السامعين

قالوا: والواو فى "الصابئون" ليست لعطف المفردات على نظائرها وإنما هى لعطف "الجملة"، و"الواو" التى تعطف جملة على أخرى لا تعمل فى مفردات الجملة المعطوفة لا رفعا ولا نصبا ولا جرا، بل تربط بين الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها فى المعنى دون الحركات الإعرابية.

ولكن يبقى السؤال : لماذا كانت هذه المخالفة فى سورة المائدة فقط ولم تكن

فى آية البقرة أو الحج؟ والمخالفة هى:

(أ) لماذا رفع الصابئون هنا فقط وكان حقها أن تنصب مثل آية البقرة والحج، وقد أجبنا عن أن ذلك جائز نحويًا ولا شك فى ذلك ، وأنه ليس فيها أى خطأ نحوى ، وهذا أمر ثابت ويتوقعه أى عاقل دارس لسيرة الإسلام وسيرة الذين نزل فيهم القرآن ، وهم فطاحل اللغة وفرسان البيان ، ولم يقم أحد منهم بتخطيء القرآن فى ذلك ، وهم الحريصون على ذلك وهو يتحداهم ليل نهار ويقرع أسماعهم (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ البقرة).

الأمر الثاني : هو لماذا قدم الصابئون - بعد رفعها - على النصارى ؟ وفي الآيتين الآخرين قدم النصارى على الصابئين .

ونقول أنه إذا كان المراد هو الترتيب الزمني للإيمان فهو: الذين هادوا أولاً ، ثم النصارى ، ثم الصابئون الذين قيل فيهم أنهم خرجوا من عبادة النصرانية - على رأى من الآراء - ، وهذا الترتيب بهذه الصورة يراعى فيه تشريف الكتب التى نزلت - حتى وإن انخرق بها أصحابها- . (وهذا الترتيب على هذين المعنيين هو ما حدث فى آيتى البقرة والحج، فسورة البقرة تحكى عن الخلافة والإمامة فى الأرض ؛ بدأها من آدم عليه السلام وقوله (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وقوله لإبراهيم أبو الأنبياء: إني جاعلك للناس إماما...) ثم يثنى بعد ذلك بالإمامة الدينية (لبنى إسرائيل) وهو ترتيب زمنى ودينى فى طريق رحلة الخلافة الدينية ، فكان هذا التقدم فى موقعه الطبيعى - النصارى على الصابئين - .

مع ملاحظة أن الحديث فى سورة القرة يركز على اليهود فقط دون ذكر

للنصارى بخلاف سورة المائدة التى حدث فيها الآتى:

(١) المشهد فى هذه السورة يركز تركيزاً شديداً على ضلال النصارى فى قولهم الذى يحكيه القرآن ويقرعهم عليه فى هذه السورة فقط بهذه الشدة وبهذا الوضوح: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) .. ﴾ وأرجو من القارئ الكريم أن يراجع سلسلة كتبنا فى مقارنة الأديان وخاصة كتابنا (فلسفة العصران بين الإسلام والعقائد الأخرى) ليرى بالدليل القاطع - حتى من أقوال علمائهم من علماء الغرب وشهادة التاريخ بكاملة - التى تفيد - بكل حزن وأسى - أن هذه العقيدة النصرانية هى نتاج العقائد الوثنية والصابئة ، وأنها مقتبسة منها اقتباساً كاملاً شديد المطابقة ، والقارئ لأقوال علماء التاريخ وباحثى الأديان يصل بك إلى نتيجة هامة وهى: أنه لافرق بين تقدم النصارى على الصابئين ، أو تقدم الصابئين على النصارى ؛ فهما فى العقيدة سواء.

وحينما يدرس القارئ سيرة واقع النصارى العقائدى ، والذى يعلمه الجميع ، يدرك هذا المعنى جيداً دون عناء ؛ فهذا (رومليوس بن ربا سلفيا) ادَّعوا له أنه ابن الله وأن

أمه - ربا سلفيا - نذرت نفسها للعفة ولم تتزوج، وحملت من إله الحرب "مارش"،
 وُصِّلَ ابنها "رومليوس" - الإله أو ابن الإله - فداء للبشرية أيضاً، وقام أيضاً من قيامته
 قبل مولد عيسى عليه السلام بستمائة عام تقريباً، ومثله مئات من الآلهة التي اخترعتها
 الفئات الصابئة التي صبأت (خرجت وحرقت) الأديان - قبل وبعد النصرانية - . وراجع
 عزيزى القارىء تاريخ بوذا وفشنا وكرشنا وسيفا وغيرهم وكيفية المضاهاة لقول الذين
 كفروا في آلهتهم وأهم ثلاثة في واحد أيضاً، وصدق الله عز وجل في قوله عنهم (يضاهون
 قول الذين كفروا من قبل)، ولذلك قال الإمام ابن الزبير الغرناطى في ملاك التأويل رداً
 على سؤال حواه: لماذا قدم اليهود على النصارى فيقول: قلت النصارى أقرب إلى
 الصابئين من حيث التثليث وسوء نظرهم في ذلك وتصورهم، ثم إنهم لم يجر لهم ذكر فيما
 تقدم (سورة البقرة) بخلاف يهود..

وأقول: انه لأجل هذه المعاني قُدِّم الصابئون على النصارى في سورة المائدة
 ونضيف ملاحظ آخر وهو: أن الحديث عنهم هنا - في المائدة - عن حكمهم في الآخرة،
 والحكم في الآخرة لا يكون التقديم لهم على المسميات - يهودى أو نصرانى - بل إن
 الصابئ - الذى نظن فيه فقدان الأمل - يسبق هؤلاء الفئة المحرفة من النصارى، والعبرة
 كما نقول بالعمل الذى يقدم هذه الفئة وليس ترتيب المسميات المللية في الآخرة؛ فمن
 (آمن وعمل صالحاً) فهو الفائز.

ولذلك وبعد هذا السرد - وفي سورة المائدة التي تركز تركيزاً شديداً على ضلال
 الأمة النصرانية بهذه الصورة - كان من العظمة والإعجاز أن يقدم النص القرآنى كلمة
 "الصابئون" على "النصارى" لفتاً لهذا المعنى التصويرى والتوبيخى في آن واحد لهذه الأمة
 التي أصبحت أسوأ من الأمة الصابئة التي لم يأتمها وحى من الله، ولا يمكن التعبير عن هذه
 المعاني في هذا الجوف الذى رسمته سورة المائدة إلا بتقديم الصابئين على النصارى، ولفت نظر
 القارىء لهذا النص في هذا السياق للوقوف على هذا المعنى والتأمل في هذا المقصود.

ولكن النص القرآنى المعجز يريد فوق ذلك كله أن يقول: أنه قدم "الصابئين" لهذا
 الغرض التوبيخى كما ذكرنا - ولكنه يريد أن يشير إلى أن مقام الصابئين هو التأخير -
 ولذلك قام النص - إشارة على هذا المعنى - بتغيير إعراب الكلمة (وكتبها الصابئون بدلاً
 من الصابئين) لهذا الملفت، وللملفت الذى ذكره الإمام الزمخشري وغيره، والذى يقول
 فيه: فإن قلت ما التأخير والتقديم إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم؟

قلت : فائدته التبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم؟ وذلك لأن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غيا ، وما سموا صابئين إلا لأفهم صبأوا عن الأديان كلها أي: خرجوا .

وربما يتخيل القارىء أن النصارى أفضل من اليهود، وكان يجب تقديمهم عليهم لهذا السبب ، ويستند لقوله هذا على قول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) . ﴿

وهذا فهم خاطيء بُنى على أساس صحيح من أنهم أرق قلباً من اليهود وأقرب إلينا من يهود وفيهم الصالحون من القسيسين والرهبان الذين وصفهم النص القرآني السابق، بخلاف البعض الآخر منهم الذين لعنهم الله في آيات أخرى .. والذي يهمنا الآن هو سوء هذا الفهم والخلط بين مشاعرهم تجاهنا - التي هي أخف عداءً من اليهود- وبين الحكم على عقائدهم وتثليتهم المحرف والمخرف ، فيهود في توحيد الله أقرب إلى توحيد المسلمين من النصارى ؛ فالإله عندهم واحد ولا يتعدد بالنصوص الكثيرة في التوراة لديهم . بخلاف عقيدة النصارى التي هي أضل عقائد أهل الأرض وأبعد عن وحى السماء ومن توحيد المسلمين.

فلأجل هذين المعنيين كان هذا التقديم للصابئين ومخالفة الإعراب يجعلها مرفوعة

بدلاً من النصب الذى شرحناه

ونعود لنستعرض للقارىء أحداث سورة المائدة وحديثها الخاص عن النصارى بصفة خاصة وعن أهل الكتاب بصفة عامة ، حيث أنه لم يعد الحديث عن اليهود فقط ، بل هو عن اليهود والنصارى معاً حيث يقول : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦)

وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴿...﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
(٥١) ﴿

..... ثم يدخل بنا السياق تدريجياً إلى الحديث عن أجر وثواب العاملين منهم
والمؤمنين بمحمد (ﷺ) فيقول:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾
(هذا أجر لهم)) ولذلك سوف لا يذكر الأجر في آيتنا المقصودة القادمة بعد هذه
الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)﴾ ولم يقل (ولهم أجرهم) كما
قال في سورة البقرة فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم.. وهذا من روائع البيان
في عدم التكرار الذي لا يلاحظه العامة....

ثم تكمل الآيات جزاءهم فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ
مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا
يَعْمَلُونَ (٦٦)﴾

فهنا تبين أن الترتيب ليس بمسمى الديانة أو الترتيب الزمني بل هي تؤكد على العمل
والتقوى؛ حتى وإن كان صاحبها من الصابئين فله السبق بعمله هذا.

ثم يقوم النص بتوضيح الصورة من أن التفاضل في حكم الآخرة ليس بالترتيب الزمني أو
المسمى الديني (يهودي ونصراني) وإنما الترتيب هنا في الآخرة على عملهم في الدنيا وإن لم
يعملوا ولم يؤمنوا بالإيمان الصحيح فهم ليسوا على شيء وليس للمسمى الديني للطائفتين
أي قيمة، وهذا المعنى هو ما يشير إليه النص: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩).﴾ فهو يطلب منهم إقامة التوراة والإنجيل، وهنا

يقف فلاسفتهم ويقولون: نحن سنقيم التوراة والإنجيل وبدون الإيمان بمحمد نبي المسلمين
ويشهد قراءتكم على صلاحنا إذا فعلنا ذلك؟ وهذا يقوله لعامة المسلمين بغرض
تشكيكهم في معتقدتهم حيال هذه القضية ولو أنهم أكملوا هذه الآية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا

مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا... ﴿ التي تأمرهم بإقامة التوراة الحققة والإنجيل الحق الذى فيه ذكر ومواصفات نبي المسلمين ، ثم بعد ذلك يطالبهم النص القرآنى بالإيمان بما نزل على محمد فى تكملة الآية (وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ، ويخبر بأنهم كافرون بوحى السماء بسبب كفرهم بما أنزل على محمد (ﷺ) فقال (وَلِيُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا)

وهكذا تأتى الآية فى مكاتها ، ومن بعدها يذكر ويخصص الحديث عن هذه الطائفة الضالة - التى قدم عليها الصابئين - فيقول: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُوا أَنِّي يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ بِمَلِكٍ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾

ونعود ونكرر : أن هذا كله كاف لتقدم الصابئين على النصارى ، وقد غير الإعراب لها بأن جعلها بصيغة الرفع، لأن مقام الصابئين هنا هو التأخير، ولأنه خولف فى مكانه فخولف أيضاً فى إعرابه ليعطى بإشارة آسرة من الوحي إلى هذه اللقطة الخطيرة مطالباً الوقوف عليها - كما يقوم أحدنا بوضع خط أحمر تحت الكلمة المهمة والعربى الذى نزل بلغته القرآن يدرك هذه الإشارة الحمراء أو الضوء الأحمر للوقوف عليها والتدبر من المقصود منها وما يعنى بهذه المخالفة الإعرابية - وهذا هو منهجهم وهذا هو بياهم الذى نزل به القرآن وليس لحناً كما يدعى الإخوان!!!

وقد أعجبني رأياً - نراه مضيفاً وليس معارضاً - وهو قول الإمام الكرمانى: لأن النصارى مقدمون على الصابئين فى الرتبة، لأنهم أهل كتاب، فقدمهم فى البقرة . والصابئون مقدمون على النصارى فى الزمان، لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم فى الحج . وراعى فى المائة بين المعينين وقدامهم فى اللفظ وأخرهم فى التقدير لأن تقديره (والصابئون كذلك).

وهذا ملحوظ لطيف يتذوقه من عرف حلالة النص القرآنى وتعود عليه وعاش جماله وروعته وتناسقه وانسجام آياته ، وكأننى أستشف من قوله معنى آخر وهو أن سورة

المائدة هي السورة الوسطى بين سورتي البقرة والحج ولذلك جمعت المعنيين (الوسطى) بتناسق جميل ومدحش ، ومما يزيد هذا المعنى تألقاً هو تعليق المحقق الأستاذ عبد القادر عطا في قوله: وترتيب الطوائف في المائدة جامع للترتيب بالكتب والزمان ، فتقدم الصابئين فيها على النصارى يدل على ترتيب الزمان - يقصد آية سورة الحج- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) ﴾ لأن أكثر المذكورين ممن لا كتاب لهم - (لأنه زاد هنا المجوس والذين أشركوا وأصبح للكافرين النصيب الأكبر في سياق الآية)، وأخر الذين أشركوا وإن تقدمت لهم أزمته لأنهم كانوا أكثر من ابتلى بهم الرسول (ﷺ) ويحادهم فكانوا أهل زمانه أيضاً ، ورفعها بين المنصوبات - آية المائدة - يدل على نية تأخيرهم والترتيب بالكتب السماوية.

وترتيبهم في البقرة بالكتب فأخر المجوس لأنهم لا كتاب لهم.

(لاحظ أن "الصابئون" في الحج مقدمة على النصارى ؛ ولكنها منصوبة ليعطى الترتيب الطبيعي للكفر - كما وضعنا نصيبه الأكبر والتركيز عليه وليس على أهل الأديان في سورة الحج - لأن سياق سورة الحج عن الكفر بكل أنواعه ومنه كفر الأصنام ومشركي مكة وغيرهم

وهنا أقف وقفة بعد هذا العرض مع هؤلاء الذين يجرون خلف الأحاديث المشكوك فيها ومنهم من يجاهد على تصحيحها- مثل حديث عائشة هذا وأن هناك لحن في القرآن ستقومه أسنة العرب .. ويستدلون على قولهم هذا بهذه النصوص (من رفع "الصابئون" في المائدة بخلاف النصب في الآيتين الأخرتين والذي جعل أحد القساوسة يشير أيضاً بالتهكم على هذا الخطأ الإعرابي ويدعى أن جريدة الأهرام القاهرية نشرت هذا السؤال من طفل صغير لأبيه المسلم حول هذه المخالفة الإعرابية فلم يستطع الأب المسلم جواباً على ذلك ، ثم ذهب هذا الأب إلى شيخ الأزهر أو من علماء الأزهر فقال له بعد التحير وعدم المعرفة لتفسير هذا الخطأ: "إن القرآن لا يخضع للغة العربية!!) وهذه كارثة أخرى - إن صدقت هذه الرواية- يضاف إليها الكارثة الأخرى من هؤلاء العلماء الذين يلهثون وراء تصحيح حديث متوهم من عائشة أم المؤمنين وأن هذا لحن في القرآن .. ، ونقف ونتعجب ويزداد العجب ويطول وليتهم لربهم يتقون وكتابهم يفقهون وآياتهم يتدبرون.

ويقول د: المطعنى: وهذه الآفة نظائر فى مخالفة إعرابها لما قبلها اتخذ منها خصوم القرآن منشأ لشبهات مماثلة ، ولكن الذى يؤسف له أن نسمع ذلك من علماء مسلمين يدعون الفهم فى كتاب الله ويصححون مثل هذه الأحاديث .
والخلاصة:

إن هذه الآفة: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر) تخلو من أى خطأ نحوى أو غير نحوى. بل هى فى غاية الصحة والإعجاز وقد بينا وجوه صحتها والمعانى البيانية التى ألمح إليها رفع "الصابئون" وهؤلاء الذين يلحدون فى آيات الله لا دراية لهم بالنحو ولا بالصرف ولا بالبلاغة وليسوا هم طلاب حق ولا باحثين عنه والذى سيطر على كل تفكيرهم هو البحث "عن العورات" فى كتاب لا عورات فيه بل هو أنقى وأبلغ وأفصح وأصح وأصدق بيان فى الكون كله ولا يأتوننا بمثل إلا جئناهم بالحق وما هم بسابقين.

نصب المعطوف على المرفوع

أما الآية الثانية التى تكلموا فيها

قوله تعالى: فى سورة البقرة الآية ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ ... وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا (وَالصَّابِرِينَ) فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧).﴾ وشاهدهم على هذه الشبهة هو قوله سبحانه: "والصابرين فى البئساء والضراء وحين البأس" لأنه جاء منصوباً بـ "الياء" بعد قوله تعالى: "والموفون بعهدهم إذا عاهدوا".

وكان يجب أن يرفع المعطوف - يعنى: الصابرين - على المرفوع - يعنى: الموفون - فيقول: والموفون والصابرون هذا قولهم.

الرد على الشبهة:

يُحسن بنا أولاً أن نذكر هذه الآية بتمامها لننظر فيها نظرة جُمليّة قبل مواجهة ما آثاره الخصوم حولها:

(١) ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

(٢) ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾

(٣) ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ. ﴾

(٤) ﴿ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى

الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي

الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

(٥) ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُتَّقُونَ (١٧٧). ﴾. ترى أننا وزعنا كلمات هذه السورة على وحدات كل وحدة

منها تضم معاني وقيماً متجانسة.

✽ أما الوحدة السادسة: فهي بيان فضل هؤلاء المذكورين في الآية وبخاصة ما ذكر قبل

الفاصلة مباشرة ومترلتهم عند الله: "أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون". وإذا

تأملت هذه الوحدات وعناصرها المدرجة تحتها وجدت أن أشدها وقعاً على النفس

وأكثرها أعباء وأشقها كلفة هي الصبر في المحن والشدائد والأخطار وبخاصة في ملاقات

العدو والتعرض لرحفه وسلاحه وقد يفرض بالإنسان إما إلى حدوث عاهات مؤلمة في

الجسم وإما إلى الموت فالمقاتل في ساحات الكر والفر إنما يصارع الموت ومقدمات

الموت .

ولهذا جاء إعراب "الصابرين" مخالفاً لإعراب ما قبلها لئيفت الله أذهان العباد إلى أهمية

الصبر في هذه المجالات ، وهذا الإعراب المخالف لما قبله يفيد مع تركيز الانتباه وتوفير

العناية بتأمل هذا الخلق العظيم يفيد أمراً آخر مبهجاً للنفس هو مدح هؤلاء الصابرين

شديدي العزيمة قوبى الاحتمال.

وهنا نقف وقفة سريعة لتوضيح الصورة وهي كالآتي:

(١) أن جميع الصفات التي ذكرت في هذه الآية قوامها الصبر ؛ فالإيمان بالله وعبادته

يحتاج إلى صبر ، والإنفاق في سبيل الله يحتاج إلى صبر، وخاصة أن النص القرآني يقول:

وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ، ورود حرف الاستعلاء (على) حبه ولم يقل (وآتى المال مع حبه)

ليفيد إستعلاء نفوسهم على حب المال والإنفاق في سبيله ، وهكذا المحافظة على الصلوات بكامل أركانها وخشوعها يحتاج إلى الصبر والمصابرة، والوفاء بالعهود مع الغادرين يحتاج إلى ذلك أيضاً .. إلى أن يصل النص القرآني بنا إلى الصفة العظيمة التي هي موضوع حديثنا وهي ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ . والتي قال فيها العلماء أن كلمة (والصابرين) تم تغيير إعرابها للنصب بدلاً من الرفع للإختصاص بالمدح (كأنه يقول وأخص الصابرين بالمدح ، فيكون الصابرين مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح الصابرين ، هكذا علمنا علماء اللغة .

(٢) ويبقى السؤال الهام وهو: لماذا حدث هذا التغيير وهذا التخصيص بالمدح لصفة الصابرين في هذا السياق من آيات سورة البقرة؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من مراجعة هذه الصفات المذكورة وأهمية الصبر لها والأمر الثاني هو مراجعة سياق الآية وأنها لا تتحدث الصبر المعتاد ولكنها تتحدث عن أعلى طبقات الصابرين وأعلى درجات الصبر، فهي تتحدث عن : الصابرين (في) البأساء والضراء وحين البأس.. ومعلوم أن { البأساء } الفقر والشدة { والضراء } المرض والزمالة ، وحين البأس : أى القتل والمقاتلة والجهاد بالنفس والنفس وتحمل كل آلام هذه الأحوال المذكورة التي لم تأتكم على فترات متباعدة تعطيتهم بينها قسطاً من الراحة، ولكن هذه الشدائد تحيط بهم من كل جانب وفي كل وقت إحاطة كاملة ولا يجدون متنفساً لهم ، وهذا ما أشار إليه النص القرآني المعجز باستخدام حرف الظرفية (في)، في قوله تعالى: الصابرين (في) البأساء والضراء وحين البأس، والذي يعطى كل هذه المعاني التي أشرنا إليها كما في قول الشاعر ربيعة بن مقرم يصف حاله في الحرب:

شهدت طرادها فصيرت فيها إذا ما هلل النكس البراع
فالصبر في الحرب شيء والصبر عليها شيء آخر

.. وهذا بخلاف ورود صفات الصابرين في آيات أخرى يستعمل فيها حرف الاستعلاء- الذى يفيد تعاليهم على هذه المصيبة ويعطى إشارة على هواها بالنسبة لهم كما في قوله تعالى : والصابرين (على) ما أصابهم، ولنصيرن (على) ما أذيتموننا، فصبروا (على) ما كذبوا، واصبر (على) ما يقولون... كل هذه الصيغ تختلف عن قوله تعالى عنهم: (الصابرين (في) البأساء والضراء وحين البأس)، ولذلك يقول الإمام الألوسى:

{والصابرين* في البأساء والضراء} نصب على المدح بتقدير أخص أو أمدح ، وغير سبكه عما قبله تبييناً على فضيلة الصبر ومزيتته على سائر الأعمال حتى كأنه ليس من

جنس الأول ، ((وهذا ما يسميه العلماء بأسلوب القطع أى أنه قطع السياق الذى كان بالرفع وجعل السياق المعطوف عليه بالنصب - كما في حالتنا هذه - للفت الانتباه على صفة المدح هذه) ولذلك يكمل الإمام الألوسى قوله: ويجي القطع في العطف مما أثبتته الأئمة الأعلام ووقع في الكتاب أيضاً واستحسنه الأجلة وجعلوه أبلغ من الاتباع .

والبأساء: البؤس والفقر ، والضراء: السقم والوجع { وَحِينَ الْبَأْسِ } أي وقت القتال وجهاد العدو ، وهذا من باب الترقي في الصبر من الشديد إلى الأشد ، لأن الصبر على المرض فوق الصبر على الفقر ، والصبر على القتال فوق الصبر على المرض .

وعدى الصبر على الأولين ب(في) لأنه لا يعد الإنسان من الممدوحين إذا صبر على شيء من ذلك إلا إذا صار الفقر والمرض كالظرف له ، وأما إذا أصاباه وقتاً ما وصبر فليس فيه مدح كثير إذ أكثر الناس كذلك ، وأتى بـ { حِينَ } في الأخير - أى حين البأس - لأن القتال حالة لا تكاد تدوم في أغلب الأوقات .

وإلى هنا وبعد هذا الشرح الواقي بعض الشئ فإن الأمر لا يحتاج إلى تعليق ، وهذا يكفى للإجابة عن هذا السؤال القائل: لماذا تغيرت الحركة الإعرابية من الرفع إلى النصب، وإن كان للتخصيص بالمدح للهؤلاء الصابرين فلماذا هؤلاء الصابرون بصفة خاصة وفي هذا السياق ؟ ولكننا نضيف فوق ذلك وصف الله تعالى لهم - وهو أعلى من كل وصف - بقوله عنهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (١٧٧) فما أروع من وصف وما أجمله وهو يشير إليهم مرتين بقوله (أولئك) بإسـم الإشارة للبعيد ليدل على بعد مكاتبتهم وعلوها - وهذا هو الذى به استحقوا هذا القطع وهذا التغيير في نظم الآية ، لهذا الملفت العظيم وهذا المدح على هذا المقام العالى، وكما يكمل الإمام الألوسى عنهم:

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا } في إيمانهم أو طلب البر . { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } عذاب الله تعالى بتجنب معاصيه وامتنال أوامره ، وأتى بـ { أُولَئِكَ } الأولى : موصولاً بفعل ماض - أى : صدقوا - أيداناً بتحقق اتصافهم به - أى بالصدق - وإن ذلك قد وقع منهم واستقر ، وغاير في خير الثانية (وأولئك هم المتقون ، ولم يقل وأولئك الذين اتقوا): ليدل على أن ذلك (أى الوصف بالتقوى) ليس بمتجدد بل صار كالتسجية لهم (أى الطبع الدائم لهم)، وأيضاً لو أتى به على طبق سابقه لما حسن وقوعه فاصلة

وبعد هذا الشرح المبسط هل يبقى هناك أى ميرر لسردهم لحديث واهن واهى ينسب إلى عائشة (رض) بأن هناك لحناً في القرآن .. ويكون من ضمن هذه الآيات الملحونة هذه الآية ؟!!!!

ويقول الدكتور المطعني: فانظر إلى نفاثس هذه المعاني التي دل عليها نصب "الصابرين" مع كون ما قبله مرفوعاً ، إنها بلاغة القرآن المعجز وعبقريه اللغة العربية لغة التريل الحكيم .

وهذا الإعراب المخالف لإعراب ما قبله هو الذي يسميه النحاة واللغويون بـ "القطع" كما تقدم في نظيره في هذه الدراسة إما للمدح كما في هذه الآية وآية النساء "والمقيم الصلاة" وقد تقدمت .

وإما بقصد الذم كما في قوله تعالى في سورة المسد "وامراته حمالة الحطب" أي امرأة أبي لهب التي كانت تحمل الشوك وتثره في طريق رسول الله (ﷺ) لتؤذيه ، لأن كلمة "حمالة" جاءت منصوبة بعد رفع ما قبلها وهي "امراته" فهذا قطع كذلك ، القصد منه الذم أي: أذم أو ألعن حمالة الحطب. ((ولك أن تتخيل ورود النص على سياقه المعتاد والمتوقع برفع "حمالة" ، وستجد وقتها أنه كلام عادي يصف امرأة أبلي لهب بأنها تحمل الحطب وهذا ليس فيه ذم لها بخلاف أسلوب القطع الذي أعطى معنى الذم بتقدير فعل محذوف تقديره أذم أو ألعن حمالة الحطب ، فما أروع من بيان وما أطيبه واعذبه من حديث .

وأياً كان القطع للمدح أو الذم فإنه من أرقى الأساليب البلاغية يحتوي على فضيلة الإيجاز، وهي أن تكون المعاني أكثر وأوفر من الألفاظ التي تدل عليها أو المستعملة فيها ؛ لأن كل كلمة قطع إعرابها عما قبلها نابت هذه الكلمة مناب ثلاثة قيم بيانية رامزة إلى وجودها في المقام وإن كانت محذوفة وهي:

١- الكلام الذي عمل الإعراب المخالف في الكلمة المقطوع إعرابها عن إعراب ما قبلها وهو في "الصابرين" أمدح أو أخص الصابرين بالمدح. وفي آية "المسد" أذم أو ألعن .

٢- إفادة المدح أو الذم بغير الألفاظ التي تدل عليهما .

٣- فضيلة الإيجاز البياني المفعم بالمعاني الآسرة والدلالات الساحرة . فسبحان من هذا كلامه!

وبقيت هذه الآية (الصابرين في البأساء..) وآية (والمقيم الصلاة) بهذا الرسم ولهذا التخصيص لهاتين الصفتين لتشرحا قوله تعالى في أول كتابه (واستعينوا بالصبر والصلاة) وهماو تفصيل هذه الآية بهذه الإشارات الساحرة بريشة الوحي الإلهي

الآية الثالثة:

هو قوله تعالى: في سورة النساء الآية ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٧﴾

نظروا في هذه الآية فوجعت أعينهم على كلمة "المقيمين" ففارقنا بينها وبين ما قبلها: "الراسخون" - "المؤمنون" وبين ما بعدها "المؤتون" - "المؤمنون" فوجدوا ما قبلها وما بعدها مرفوعاً بـ "الواو" لأنه جمع مذكر سالم أما "المقيمين" فوجدوها منصوبة بـ "الياء" لأنها كذلك جمع مذكر سالم. حقه أن يرفع بـ "الواو" ينصب ويجر بـ "الياء".
وسرعان ما صاحوا وقالوا إن في القرآن خطأ نحوياً من نوع جديد هو "عطف المنصوب على المرفوع أو نصب المنصوب على المرفوع". ثم علقوا قائلين:

"وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: "والمقيمون الصلاة" هذا هو مبلغهم من الجهل أو حظهم من العناد وكرهية ما أنزل الله على خاتم رسله (ﷺ) الرد على الشبهة: هذه الآية وردت في سياق الحديث عن اليهود تنصف من استحق الإنصاف منهم بعد أن ذم الله تعالى من عاند منهم وحاد عن الحق في الآيات التي سبقت هذه الآية. ويجيء "المقيمين" بالياء خلافاً لنسق ما قبله وما بعده لفت أنظار النحاة والمفسرين والقراء فأكثروا القول في توجيهه - مع إجماعهم على صحته.

وقد اختلف آراؤهم فيه وها نحن نقصر على ذكر ما قل ودل منها في الرد على هؤلاء الكارهين لما أنزل الله على خاتم رسله (ﷺ) ولن نذكر كل ما قيل توخياً للإيجاز المفهم.

وأشهر الآراء فيها أن "المقيمين" منصوب على الاختصاص المراد منه المدح في هذا الموضع بدلالة المقام لأن المؤدين للصلاة بكامل ما يجب لها من طهارة ومبادرة وخشوع وتمكن جديرون بأن يمدحوا من الله والناس.

يقول الإمام الزمخشري:

"و"المقيمين" نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان".

الزمنخشرى أوجز كلامه في الوجه الذى نُصِب عليه "المقيمين" وهو الاختصاص مع إرادة المدح. ومع إيجازه في عبارته كان حكيماً فيها ، ومن الطريف في كلامه إشارته إلى خطأ من يقول إن نصب "المقيمين" لحن في خط المصحف - لا سمح الله - ثم وصفه بالجهل بمذاهب العرب في البيان والتفنن في الأساليب وكأنه - رحمه الله - يتصدى للرد على هؤلاء الطاعنين في القرآن الذين نرد عليهم في هذه الرسالة .

والرأى الذى اقتصر عليه الإمام الزمنخشرى هو المشهور عند النحاة والمفسرين والقراء. وقد سبق الزمنخشرى في هذا التوجيه شيخ النحاة سيبويه وأبو البقاء العكبرى. وهذا الاختصاص أو القطع بيان لفضل الصلاة التى جعلها الله على الناس كتاباً موقوتاً وأمر عباده بإقامتها والمحافظة عليها في كثير من آيات الكتاب العزيز ومثلها رسوله صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخارى ومسلم - بالنهر الذى يستحم فيه المكلف في اليوم خمس مرات فيزيل كل ما علق بجسمه من الأدران والأوساخ وكذلك الصلوات الخمس فإنها تمحو الخطايا وتزيل المعاصى كما يزيل الماء أدران الأجسام.

أما الآراء الأخرى فكثيرة ولكنها لا تبلغ من القوة والشيوخ ما بلغه هذا الرأى وهو النصب على الاختصاص أو القطع.

وقد أوردوا عليه شواهد عدة من الشعر العربى المحتج به لغوياً ونحوياً.
والخلاصة:

أما النصب على الاختصاص فلا مناص من قبوله لأنه أسلوب شائع في الاستعمال اللغوى العربى ، وفيه من البلاغة أمر زائد على مجرد التوجيه النحوى الذى لا يتجاوز بيان عامل النصب أو الجر.

ويبقى السؤال هو: لماذا كان الإختصاص بالمدح لمقيمى الصلاة في هذه السورة (سورة النساء) دون غيرها؟

والإجابة : أن القرآن الكريم عودنا أن يضع المشهد المناسب في السورة التى تناسب هذا المشهد وتنسجم معه.

وفي مشاهد سورة النساء نلاحظ أنها تتحدث عن الضعفاء فقط (صلة الرحم .. الذى تساءلون به والأرحام ، ثم بعد ذلك عن اليتامى ، ثم رفعة شأن هؤلاء الضعفاء من النساء الذين يحتاجون إلى راع لهم من الأزواج ، ثم بعد ذلك الحديث عن الميراث ، وعن المنافقين الذين نعلم حالهم من الضعف وعدم المواجهة ، ثم يعرج النص القرآنى بعد ذلك على قصص الأنبياء الكرام فيختار منها المشهد الملائم والمناسب لجو هذه السورة ، التى

يمكن لنا أن نسميها بسورة الضعفاء ، فكان من المناسب أتم المناسبة أن يختار من قصص الأنبياء قصة عيسى عليه السلام الذى استضعفه يهود وحاولوا القبض عليه وصلبه وتعليقه - حتى أوصلوه للصلب كما تحكى كتبهم وتقول به عقائدهم - وقد حكى الأناجيل ساعة القبض على عيسى عليه السلام وصورت مشاهد الضعف الشديد والإهانة من بنى إسرائيل - أعداء الله ورسله - له ، وفى النهاية قاموا بصلبه على هذه الحالة من الضعف - كما يحكون هم -.

إذن قصة عيسى عليه السلام - وإن كنا ننكر مسألة صلبه أو تعليقه على الصليب - ولكننا لاننكر مطاردة أعداء الله له ، ومحاولات القبض عليه وقتله ، وكلها لحظات ضعف شديد تناسب مع مشاهد الضعف والضعفاء فى هذه السورة ، ولذلك لم يأت فى هذه السورة مشهد حديث المعجزات لعيسى عليه السلام - الذى هو مشهد قوة وسلطان - ولكنه جاء بمشهد الكيد القوى من بنى إسرائيل له وتديبرهم لقتله ، وورود هذا المشهد بصفة خاصة يتناسب ويتناغم مع صور ومشاهد السورة ، وهذا مانكرره دائماً وأن هذا دليل من دلائل الروعة والإهمار والتناسق والتناغم والانسجام وحسن الجوار بين مشاهد السورة جميعها.

والآن نصل إلى إجابة السؤال : لماذا تم التركيز على أهمية الصلاة فى وسط هذا المشهد لعيسى عليه السلام بصفة خاصة ومشاهد السورة بصفة عامة؟
والذى يسترجع ماقاله كتابهم المقدس من أن نبى الله عيسى كان يستعين على هذه اللحظات العصبية بأمر واحد ، ألا وهو الصلاة - وكان يصلى بلجاجة ، وكما يحكى كتابهم أنه خر ساجداً أكثر من مرة وكان يكرر قائلاً: إيلى إيلى لم شبتنى ، أى إلهى إلهى لم تركتنى - كما تحكى أناجيلهم -

فالتخصيص بالمدح للصلاة هنا يتناغم مع هذا المشهد لأهميتها العظمى فى الإسلام ، ولتناسق الحديث عنها فى هذا المشهد وهذا المقام ، وأنها هى السلاح الذى كان يلجأ إليه عيسى عليه السلام كما يلجأ إليه جميع الأنبياء والمرسلين من إخوانه وبعد أن عشنا هذه المعانى نعود لسياق الآيات لنكمل اليقين الكامل بعظمة وإعجاز هذا النص القرآنى وإليك سياق الآيات:

﴿وَبَكَفَّرَهُمْ وَوَقَّوْلَهُمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلَهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي

شَكَ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنَّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾. (هذا هو مشهد الاستضعاف)).

ثم يقول بعدها: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ ..
وبعدها يأتي مشهد الاختصاص بالمدح للصلاة في هذا الموقف العصيب
(١٦١) ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ﴾ .

ثم يتحدث بعدها عن موكب إخوانه من الأنبياء الذين يلتجئون إلى الصلة بالله والتي من
أعظمها هي الصلاة فيقول: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾

ولأجل هذا المعنى ، وفي نفس هذا المكان - سورة المائدة - دون غيره جاء
إختصاص الصلاة بالمدح ، وليكمل المعنى الذي ذكره في أول كتابه (واستعينوا بالصبر
والصلاة) فكانت هنا الإشارة على الصلاة وسرى في العرض التالي التركيز بالمدح على
الصفة الثانية وهي (الصبر) في أية البقرة التالية وهي ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

نقص الياء (= حذف الياء) (١)

تحدثنا في الحلقة الثامنة من لطائف وأسرار زيادة "الياء" في بعض كلمات القرآن الكريم
وبينا أن كل موضع زيدت فيه "الياء" أفادت تلك الزيادة معنى لطيفا جعلت الزيادة رمزا
دالا عليه وتحدث هنا عن نقص "الياء" أو حذفها في كلمات لا تكاد تحصى في كتاب
الله العزيز لأن نقص "الياء" في بعض كلمات القرآن أكثر بكثير من زيادتها ولم يأت هذا
النقص عبثا جاريا من الدلالة بل هو حافل بالمعاني والأسرار اللطيفة كما سيأتي: في سورة

النمل: ﴿ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالِ فَمَاءِ آتِنِي ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَنُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (٣٦) ،
 وسورة الكهف ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٧٠) ،
 وسورة آل عمران ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) . وسورة الإسراء ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦٢) . وسورة يس ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُسْمِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿

وهذا النقص له فصائل وتنوعات، فمنه نوع يسقط فيه "الياء" في الخط وفي النطق، ومنه نوع يسقط فيه "الياء" في الخط دون النطق، و"الياء" المحذوف إما ضمير المتكلم وإما لام الكلمة (= آخر حرف في الكلمة حسب الميزان الصرفي) . ومنه مايكون في الأفعال. والياء المحذوف إما مجرور محلا بالإضافة وإما مفعول به. والأول خاص بالأسماء والثاني خاص بالأفعال وسيأتى التمثيل لكل هذه الفصائل والتنوعات بإذن الله مع الإشارة إلى ذلك وبيان المعاني والأسرار التي يدل عليها النقص في كل موضع.

الحذف في الأفعال

وهاكم الأمثلة: في سورة النمل: ﴿ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالِ فَمَاءِ آتِنِي ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَنُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتِكُمْ ﴾ (٣٦))

حذفت "الياء" في هذه الآية في موضعين: الأول: "أتمدون" ... والثاني "أأتان".
 وظاهر أن حذف "الياء" في الموضعين لم يكن لعلة صرفية ولا لعلة نحوية، بل هو رمز لمعنى يدل عليه ، وفي كلا الموضعين كان "الياء" ضميرا مفعولا به للفعل قبله.

والمعنى الذى يرمز إليه بحذف "الياء" في قوله تعالى: حكاية عن سليمان عليه السلام: "أتمدون" الإشارة إلى ما كان يدور في باطن سليمان عليه السلام من استبعاد نفسه عن زمرة من يرتشى بالمال بدليل أن الاستفهام في الآية انكارى توييخى شديد الإنكار. ((اقول: وكأنه استغراب منه ودهشة تجعله يخطف في نطق الكلام؟؟؟))

أما حذف "الياء" في الموضع الثاني "أأتان" فإن هذا الحذف رمز به للتفرقة بين ما أتى الله رسوله سليمان عليه السلام وبين ما أتاه الله ملكة سبأ: فالذى أتاه الله سليمان هو الحكم والكتاب والنبوة والذى أتاه الله ملكة سبأ هو المال والسلطان النبوى. فعطاه الله سليمان في الفضل في الذروة العليا باق إلى العلو والرفعة في درجات الآخرة.

وأقول: لنا أن نقول أنه عطاء ملكوتي وعلوي، وعطاء الله ملكة سبأ سلطان زائل ومال نافذ لا بقاء له. وتبعته في الآخرة ثقيلة والحساب فيه عسير (عطاء مادي سفلي). هذا ما دل عليه نقص "الياء" في "ءاتان".

أما معان أرق من النسيم وأسرع لحا من البرق.

وكذلك قول الله تعالى لنوح عليه السلام: في سورة هود ﴿ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِينَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . هذه الآية توجيه من الله لرسوله نوح حين ناداه نوح قائلاً لما رأى ابنه هالكا مع المالكين.

في سورة هود: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٤٥). توسل نوح إلى الله في شأن ابنه بصلة القرابة النسبية فجاهه الرد من الله بإلغاء هذه الصلة لأن كفر ابن نوح قطع ما بينه وبين أبيه ، فهذا رسول مؤمن وذاك كافر عنيد ، والانساب مهما تفرقت وتلاصقت فلا وزن لها عند الله ، وإنما الفضل - كل الفضل - للإيمان والتقوى والعمل الصالح. والشاهد في الآية الكريمة هو حذف "الياء" من الفعل "تسألن" وهو حذف الخط دون النطق ، والياء المحذوف هنا ضمير المتكلم مفعول به للفعل قبله.

ومن البداية أن هذا الحذف لم يكن لعلة نحوية ولا لعلة صرفية. وإنما هو رمز لمعنى لطيف وسر خفيف ، ذلك المعنى هو أن المسئول عنه أمر غيبي من شئون الله عز وجل لأن ما في صدور العباد لا يعلمه إلا الله وحده ، وتأكيذا لهذا المعنى قوله تعالى لنوح في الآية نفسها: (ماليس لك به علم) تم تسمية مثل هذا السؤال جهلا: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين). ويؤكد هذا المعنى اللطيف الرموز اليه بحذف "الياء" في "فلا تسألن" مجيء "الياء" في نظير هذا الفعل في قول العبد الصالح لموسى عليه السلام: في سورة الكهف: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٧٠). ثبت "الياء" هنا ولم يحذف كما حذف في آية "هود" الآنفة الذكر للفرق بين المسئول عنه في الموضوعين؛ فالمسئول عنه في آية "هود" كان شأنا غيبيا من الشئون التي لا يحيط بها علما إلا الله. والمسئول عنه في آية "الكهف" هو وقائع محسوسة لها صورة مادية في الوجود إذ هي : * قتل الغلام. * حرق السفينة. * إقامة الجدار.

ومحال أن يكون مجيء الفعلين في السورتين على صورتين مختلفتين عبثا خاليا من الدلالة ذلك طن قصيري النظر من الناس فخصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف

مفعمة بالإيجاعات الصادقة ولا يخلو موضع واحد منها من هذه الدلالات المشعة بلطيف المعاني ودقائق الأسرار.

❀❀ ((ونذكر بأننا سنضيف رأياً آخر في ظاهرة الحذف وهذه الكلمات للأستاذ الدكتور فاضل السامرائي في نهاية هذا البحث عن الحذف على الصفحات القادمة))

وكذلك قوله تعالى: في سورة آل عمران: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ ؕ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ۗ ﴾ الشاهد في هذه الآية حذف "الياء" في الفعل "اتبعن" ، وقد رمز بهذا الحذف للدلالة على أن المراد من الاتباع في الآية هو الاتباع في "العقيدة" أى الاتباع المعنوى لا الحسى. ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هذه الآية بقليل: في سورة آل عمران: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨). ﴾ فقد ذكرت عقيدة التوحيد في هذه الآية مرتين ، ويدل عليه كذلك قوله تعالى في الآية نفسها: (أسلمت وجهى لله) والإسلام الموجه لله كناية عن قوة الإيمان بالله. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: في سورة آل عمران: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١). ﴾

ثبوت "الياء" هنا لأن المراد من الاتباع هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في العمل الحسى بالجوارح أى الاتيان بالتكاليف التى أمر الله بها كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله.

ومثل الآية فى حذف "الياء" قوله تعالى حكاية لقول موسى لأخيه هارون- عليهما السلام- فى سورة طه: ﴿ قَالَ يَنْهَرُونِ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۗ أَأَلَّا تَنْتَهِنُ ۗ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۗ ﴾ ضلال بنى إسرائيل المذكور فى الآية ضلال فى العقيدة حيث اتخذوا العجل إلهاً من دون الله لذلك كان الاتباع الذى كان يرجوه موسى من هارون- عليهما السلام- هو حملهم على عقيدة التوحيد لأن هارون لم يسلك مسلكهم فى الإيمان بالعجل إلهاً مع الله أو من دون الله.

أما قول هارون عليه السلام لبنى إسرائيل: فى سورة طه ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۗ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۗ ﴾ فقد

ثبت فيه "الياء" "فاتبعوني" ولم يحذف لأنه اراد الاتباع في عبادة الله عز وجل والعبادة صور محسوسة. يؤيد هذا المعنى قول بني إسرائيل في الرد على هارون في الآية التالية لهذه الآية مباشرة: في سورة طه: ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (٩١) والعكوف هو العبادة الظاهرة.

﴿(أرى إضافة رأى آخر يعتمد على ملحظ السرعة- الذى يستدعى حذف الحرف - وملحظ الموقف الهادىء الذى لا يحذف فيه الحرف.. وراجع فاضل السامرائى))﴾
وقوله عز وجل حكاية عن إبليس: في سورة الإسراء: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأُحْتَنِكَ ۖ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦٢).

الشاهد في هذه الآية هو حذف "الياء" في الفعل "أخرتن" والقياس أن يثبت أخرتنى وقد عورض هذا القياس وحذف "الياء" للرمز بهذا الحذف على معنى دقيق؛ هو أن المراد هنا التأخير المعنوى بترك مؤاخذه إبليس على عصيانه لله عز وجل حيث أبي أن يسجد كما أمره تكريماً مأذونا فيه من الله لآدم وليس المراد التأخير الحسى الظاهر ، إنما هو إظهار في تأخير العقوبة وهذا أمر معنوى عقلى غير محسوس في الوجود الظاهر.

من النماذج التى تقدمت يبدو جلياً أن حذف "الياء" يرمز به إلى الدلالات المعنوية والغيبية وقد تأكد هذا من المقارنة بين ما حذف منه "الياء" وبين نظائره التى أثبت فيها "الياء" أصالة مع اطراد دلالة هذا الاثبات على المعانى المادية الحسية الظاهرة في الوجود. وقد يأتي حذف "الياء" للدلالة على معنى لطيف غير ماتقدم نذكره إذا يسر الله الأمر بعد سوق أمثلة أخرى قد تكون "فردية" في آى الكتاب العزيز ليس لها نظائر جاء "الياء" فيها مثبناً.

من ذلك قوله تعالى في قصة صاحب الجنتين الكافر وجاره الفقير المؤمن: في سورة الكهف: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ (٤١). هذا قول الجار المؤمن الفقير لصاحبه الكافر الغنى حين فاخره بأنه أكثر منه مالا وأعز نفراً ، إنه يزهو عليه بحظوظه من الدنيا ولا أمل له في غيرها فجاء رد صاحبه المؤمن الفقير يحمل هذا المعنى الكبير "إن ترى أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك" وقد حذف "الياء" من الفعل المضارع "يؤتين" مستعاضاً عنه بالكسرة. ولما كانت سنة لغة القرآن ورسمه الخطى يرمز بحذف "الياء" في مثل هذه المقامات كانت دلالة حذف "الياء" من الفعل "يؤتين" رمزاً إلى معنى لطيف

رقيق؛ ذلك المعنى أن الرجل المؤمن الفقير لا يرجو من الله حطام الدنيا الفاني وإنما يطلب منه نعيمه الأخرى الدائم وهو نعيم غيبى في علم الله لا يحيط به أحد سواه؛ ولو أراد حطام الدنيا لأثبت الياء ولم يحذف.

وقد بقى "الياء" ولم يحذف في نظير هذا الفعل في قوله تعالى: في سورة المنافقون: ﴿ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) ﴾.

الشاهد في الآية هو إثبات "الياء" في الفعل "أخرتني" وهذا هو الأصل فلا يسأل عنه وإنما الذى يسأل عنه هو لم يثبت على الأصل ولم يحذف كما حذف في آية "الإسراء" المذكورة قبلاً؟

والجواب: كان الحذف في آية "الإسراء" للدلالة على معنوية التأخير. ولم يحذف هنا لأن المراد من "أخرتني" هو التأخير الحسى بتأجيل الموت إلى وقت آخر غير الوقت الذى حضر فيه الموت لقائل هذا الكلام، فحذف "الياء" مع التأخير المعنوى وثبت على الأصل مع التأخير المادى الظاهر المحسوس.

والسيئات التى اعترها الحذف والاثبات في جميع الأمثلة التى تقدم ذكرها ضمائر متكلمين وموقعها من الإعراب مفعول به. وقوله عز وجل معلما خاتم النبيين: في سورة الكهف.. ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾ والشاهد في هذه الآية هو حذف "الياء" من الفعل المضارع "يهدين"؛ والذى اقتضى حذفه هنا هو الذى مر ذكره في الشواهد السابقة وهو الرمز إلى أن المراد من الهداية أمر معنوى لا مادى محسوس. والدليل على ذلك في الآية نفسها قوله تعالى: (إذا نسيت) والنسيان كيفية نفسية لا صورة من صور الوجود المادى المحسوس، وكذلك الهداية بمعنى التذكر بعد النسيان أمر معنوى لا مادى محسوس.

قارن هذا الموضوع بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) ﴾ . جاء الفعل هنا "يهدين" بإثبات "الياء" فلماذا لم يحذف كما حذف في نظير هذا الفعل في آية "الكهف"؟

والجواب: أن الهداية - هنا - هداية حسية فموسى عليه السلام لما خرج من مصر خائفا يتربص بعد أن علم أن الملأ يتربصون به ليقتلوه رجا ربه أن ييسره بأيسر الطرق

الموصلة إلى مدين.. إذن فهي هداية حسية ظاهرة لا معنوية مستترة. والياء في الموضعين ضميرا متكلمين: محمد وموسى - صلى الله عليهما وسلم. وكلاهما مفعول به للهداية أو الفعل الدال عليهما ولولا هذه اللطائف والأسرار لجاء رسم هذه الكلمات جميعا بإثبات "الياء" ولما حذف "الياء" مما حذف منه ومحال أن يسوى بين دلالتى الإثبات والحذف لأن ذلك يؤدى إلى محذور فى قدسية كتاب العزيز..

وحذف "الياء" كذلك فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وهو يخاطب العبد الصالح: فى سورة الكهف: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رَسُولًا ۗ ﴾ وجاء هذا الحذف رامزا إلى معنى لطيف ؛ ذلك المعنى أن موضوع "التعلم" الذى يرجوه موسى من العبد الصالح غيبى يتصل ببواطن الأمور لا ظواهرها وهى الأسباب الخفية فى: * قتل الغلام. * حرق السفينة. * إقامة الجدار.

فهذه الأسباب من علم الله الغيبى كشف عنها للعبد الصالح ولم يكشف عنها لأحد سواه. وإذا قارنا بين "أن يؤتى" و"تعلمن" وبين قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: فى سورة يوسف: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾ لرسخ فى وجداننا ما قدمناه من تطبيقات صائبة على القواعد التى نص عليها العلماء فى "خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف" فقد ثبت "الياء" فى "آيتى" و"علمتى" فى ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام لأن المعنى فىهما مادى حسى أى الوزارة وفك رموز الرؤى المنامية.

أما معنى "أن يؤتى خيرا من جنتك" فهو أمر غيبى يتعلق برضوان الله ونعيم الآخرة. وكذلك قول موسى "أن تعلمن" فهو يتعلق بالأسرار الإلهية وراء الوقائع الظاهرة. وهذه إضافة قوية- أعنى المقارنة بين هاتى الكلمات الأربع- لتوكيد أن "خصوصيات الرسم العثمانى المصحفى" ذوات دلالات رائعة سواء قلنا إن هذه الخصوصيات "توقيفية" أو "اتفاقية"؛ والخلاف بين هذين الرأيين لا يعيننا وإنما الذى نُصر عليه أن هذه "الخصوصيات" وضعت لمعنى فليست هى عاطلة عن الدلالة يستوى وجودها وعدمها، ذلك ظن يجب أن يتره عنه كتاب الله الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتره عن العيوب وخلا من كل فضول لأنه كلام من أحاط بكل شئ علما.

ومن الكلمات المفردات التى حذف فيها "الياء" قوله تعالى: فى سورة الكهف: ﴿ قَالَ

ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۗ ﴾

حذف "الياء" من الفعل المضارع "تبغ" للدلالة على مافي هذا السعى من "غيبات" فالعبد الصالح لا عهد لموسى به ولا معرفة له سابقة بما خصه الله من العلم "اللدني" وموسى عليه السلام لم يطلب العبد الصالح لذاته وشخصه المحسم الظاهر وإنما طلبه لما عنده من علم "لدني" امتن الله به عليه.

❀ وهنا يحسن بنا أن نضيف رأياً آخر لأحد أعلام اللغة وفرسان البيان في هذا العصر وهو الأستاذ الدكتور: فاضل السمرائي.. حول هذه النقطة ومثيلاًها من الواجهة البلاغية الصرفة ، ونرى كيف حدث الإنسجام والتواؤم الكامل مع رسم الكلمة.. وإليك ما قاله:

ومن الذكر والحذف في الفعل قوله تعالى ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ الكهف. بحذف الياء من الفعل وقوله ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَبِغِي هَذِهِ بِضَاعَتْنَا رُذَّتْ إِلَيْنَا .. ﴾ (٦٥) يوسف. بعدم الحذف ، ذلك أن الحدث مختلف في الآيتين، وأن السياق يوضح ذلك قال تعالى في الكهف ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (٦٤) . ونسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة، وإنما يبغي الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه.

وأما في سورة يوسف، فالطعام هو ما يبعون، وهو سبب رحلتهم، ففرق بين البغيتين، فلما كان ما في الكهف ليس هو ما يبعون (أى: بغية ناقصة) حذف من الحدث إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وإنما هو علامة على الموضوع الذي يجدون فيه بغيتهم.

ولما كان ما في يوسف هو بغيتهم (الكاملة) ذكر الفعل كاملاً ولم يحذف منه... فناسب كل مقامه ، والله أعلم

ومن ذلك قوله تعالى ﴿: فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٠) آل عمران.

وقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨) يوسف.

فقال في الآية الأولى: (ومن اتبعن) بلا ياء، وقال في الآية الثانية: (ومن اتبعني) بالياء،

ذلك أن الآية الأولى في الدخول في الإسلام، قال تعالى: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا إِلِكْتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِفَآيَتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** **﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا إِلِكْتَابَ وَالْأَمِيْعِينَ ءَأَسْلَمْتُمْ ؕ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلِغُ ؕ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** **﴿﴾**

وأما الآية الثانية، فهي في الدعوة الى الله، وهي خصوصية بعد الدخول في الاسلام. ولا شك أن الدعوة إلى الله تتطلب علما وبصراً بأحكام الإسلام أكثر من مجرد الدخول في الإسلام، لأنها مقام تبليغ، وهكذا لا يكون إلا عن علم وبصيرة، وخاصة أنه قال: (على بصيرة).

ثم إنها تتطلب اتباعا للرسول أكثر في القول والعمل، فإن الذي يقف نفسه للدعوة إلى الله ينبغي أن يكون شديد الالتزام بتعاليم الإسلام والاتباع لرسوله الكريم قولا وعملا، حتى يكون مقبولا مجاباً. ((علم وشدة وصرامة على نفسه))

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، أن المذكورين في آية يوسف داخلون في الآية الأولى، فهم مسلمون، وأما المذكورون في آية آل عمران، فلا يشترط أن يكونوا داخلين في آية يوسف، إذ ليس كل مسلم داعيا إلى الله على بصيرة، وبذا يكون اتباع الرسول في آية يوسف أكثر. فهو يشمل الأتباع الأول وزيادة، فكان ذكر الباء فيها أولى من الاجتزاء بالكسرة ؛ لأن الباء عبارة عن الكسرة وزيادة، فلما زاد الاتباع زاد بذكر الباء، فوضع كل تعبير في مكانه المناسب، والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى: **﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾** (٤٦) هود. بحذف الباء من (تسألن).

وقوله: **﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾** (٧٠) الكهف.

إن الآية (الأولى) هي في سؤال نوح لربه بعد ما غرق ابنه قائلا: **﴿.. قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** **﴿﴾** وأما آية الكهف، فهي في اشتراط الخضر على موسى، إذا صحبه أن لا يسأله عن شئ حتى يكون هو الذي يخبره.

فحذف الياء من آية هود وذكرها في آية الكهف. وبالنظر في السياقين يتضح ما يأتي:

١- في قصة موسى والخضر أن الخضر كان يتوقع أنه يسأله موسى عن كل عمل يقوم به مما لا يدرك حكمته. وأحداث المصاحبة بينهما قائمة كلها على أن الرجل الصالح يعمل أعمالا مستنكرة فيما يرى موسى، فيستنكر ويتعرض أو يسأل. إذن فالقصة كلها تدور حول ما يفعله الخضر واعتراض موسى. في حين أنه لم يكن في قصة نوح إلا سؤال واحد، وهو شأن ابنه. فاقترضى مقام الإطالة والتفصيل في الكهف ذكر الياء دون هود.

٢- إن موسى سأل عن ثلاثة أمور مشاهدة، في حين سأل نوح أمرا واحدا، فتناسب الإطالة بذكر السؤالات وتعددتها أن يذكر الياء في الكهف.

٣- كان التحذير من السؤال في هود أشد مما في الكهف. وقد عقب على سؤال نوح، بقوله: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين)، وليس الأمر كذلك في الكهف، بل ألمح إلى أنه سيعلمه حكمة ما يقوم به فيما بعد، فقال (حتى أحدث لك منه ذكرا).

فناسب ذلك حذف الياء في هود إشارة إلى النهي عن أصل الحدث بخلاف ما في الكهف. ومن نافلة القول أن نقول: إن السؤال يختلف في الآيتين. فالسؤال في الكهف هو سؤال الاستفهام والاستفسار، ولذا عداه بعن فقال: (فلا تسألني عن شيء). أما سؤال نوح، فإنه سؤال طلب كما تقول: سألته حاجة، ولذلك عداه بنفسه.

ومن ذلك قوله تعالى: في هود ٤٧. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤٧). بدون توكيد. وقوله: في الأعراف ٢٣. ﴿ قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣). بتوكيد الجواب. وقوله: في الأعراف ١٤٩. ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدِ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٤٩) بتوكيد الجواب وباللام الموطئة قبل الشرط.

فالثالثة أكد من الثانية، والثانية أكد من الأولى، وذلك حسبما يقتضيه السياق. قال تعالى في سياق الآية الثالثة: في الأعراف ١٤٩. ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدِ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٤٩) وهذا في بني إسرائيل بعدما عبدوا عجل الذهب واتخذوه إلهاً لهم وهو كفر صريح وضلال مبین.. ولذلك عند توبيخهم أكدوا قولهم باللام الموطئة زيادة على توكيد الجواب: ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٤٩).

وأما الآية الثانية التي هي: الأعراف ﴿. قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ فهي على لسان آدم وزوجه بعدما أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عنها . وهذه المعصية اقل من معصية بنى اسرائيل ؛ فإن معصية قوم موسى كفر لأنه عبادة لغير الله ولم يفعل ذلك آدم بل هو مقر بربوبية الله ومقر بعبوديته لربه وإنما هي لحظة ضعف أدركته كما تدرك الكثير من الناس من غير أن تخرجهم عن دينهم ثم يتوبون عنها ألم تر كيف وصف بنى اسرائيل بالضلال فقال: (ورأوا أنهم قد ضلوا) ولم يصف آدم بذلك فلما كانت المعصية أقل حذف اللام الموطئة التي تفيد التوكيد . فالأول أكد لأن المعصية اكبر فالتوبة وطلب المغفرة يكونان على قدر المعصية .

وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى: في هود ٤٧ ﴿. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)﴾ فهي على لسان نوح عليه السلام وذلك أنه سأل ربه أن ينجي ابنه من الغرق لأن الله وعده أن ينجي معه أهله فقال: في هود ٤٥ ﴿ وَتَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)﴾ فقال الله له: في هود ٤٦ ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾ فطلب نوح من ربه المغفرة والعتو لسؤاله هذا فقال: في هود ٤٧ ﴿. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)﴾ فهذا ليس بمعصية كمعصية آدم ؛ وإنما فهم نوح أن ابنه يدخل مع أهله الناجين ، فبين الله أنه ليس من أهله لأنه كافر، فطلب من ربه المغفرة لما سأل ولذلك لم يأت الكلام مؤكداً فانت ترى أن التوكيد يتناسب وقدر المعصية فلما لم يكن سؤال نوح معصية لم يؤكد كلامه ولما كان فعل آدم معصية لربه أكده بالنون ولما كان فعل بنى اسرائيل كفراً وضلالاً أكده بالنون وباللام الموطئة فالخسران إنما يكون على قدر المعصية ولاشك .

ثم ألا ترى كيف قدم الرحمة على المغفرة مع بنى اسرائيل (لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) بخلاف الآيتين الأخريين فإنه قدم المغفرة على الرحمة ، وذلك لأن الرحمة أعم وأوسع من المغفرة ، فإن الرحمة لعموم الخلق حتى البهائم ويدخل في رحمة الله المؤمن والكافر فكلهم يعيشون في رحمة الله ، فالبهائم تعيش برحمة الله ، والبهائم تتراحم فيما بينها ، ولا يصح وصفها بالمغفرة ، فإذا طرد أحد من رحمة الله فلا مطمع له في شئ بعد ، فالمغفرة تأتي بعد

الرحمة وهى رحمة خاصة بالمؤمن ، فالرحمة تأتى أولاً ثم المغفرة ؛ فمن لم يرحمه ربه لا يغفر له ومن غفر له كان مرحوماً ، وليس كل مرحوم مغفوراً له ، فالخلق كلهم فى رحمته ولذا قدم هؤلاء الذين كفروا وضلوا الرحمة على المغفرة ، فهم كانوا أحقاء بأن يطردوا من رحمة الله إذا مابقوا على ذلك ، ولذا طلب هؤلاء الرحمة أولاً ليكونوا كعموم الخلق الداخلين فى رحمته ثم المغفرة فيما بعد ، وهذا يتناسب مع كبر معصيتهم فإنهم حذروا أن يؤيسهم ربه من رحمته فأرادوا أن يشملهم ربهم برحمته ليكون ذلك مرقاة إلى المغفرة بخلاف الآيتين السابقتين فليس الأمر فيهما كذلك. فانظر إلى فخامة هذا الكلام وعظمته ونعود للدكتور المطعنى:

وقوله تعالى: فى سورة الصافات: ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كُذِّبْتُ لَأَشْرِدَنَّ ﴾ (٥٦) حذف "الياء" من الفعل المضارع "تردين" لأن المراد منه الإرداء الأخرى لا الدنيوى بدليل قوله تعالى بعده مباشرة: فى سورة الصافات: ﴿ وَأَوْلًا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (٥٧) وحذف "الياء" من الفعل المضارع "ترجمون" فى سورة الدخان: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴾ (٢٠) حذف "الياء" من الفعل المضارع "ترجمون" لأن المراد من "الرجم" البهتان والتكذيب بالرسالة فهو أمر معنوى وليس الرجم بالحجارة وهو أمر حسى وجميع هذه "الياءات" المحذوفة من معمولات الأفعال فهى مفعول به فى كل موضع. وهى كلها ثابتة فى النطق مع حذفها فى الرسم الخطى

وقد جاء الحذف والاثبات فى آيتين متجاورتين فى قوله تعالى: فى سورة يس: الآيتان ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٠) حذف "الياء" من الأول "يحى" لأنه غير موجود حين تساءل عنه منكر البعث. وثبت فى الثانى "يحيتها" لأنه جواب صادق بإحياء الموتى فكأنه لصدق الوعد به وقرب يوم الحشر فى علم الله أحيائها بالفعل وهذا من دقائق المعانى فى هذا الرسم الحكيم. ((ولماذا لاندخل نبرة الحديث ولهجته فى الرد التقريرى ولفظ (قل)- الذى يزيد من قوة الرد والأمر به دون تهاون- وهذا ملحوظ هام ومتكرر كثيراً سنمر عليه)

وقوله تعالى: فى سورة الفجر: وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ (٤) حذف "الياء" فى هذا الفعل المضارع "يسر" ونابت عنه الكسرة تحت "الراء" و"الياء" المحذوفة- هنا- لام الفعل ووزن الفعل بعد الحذف يقع لأنه من سرى يسرى. أما "الياء" المحذوف من الكلمات السابقة فهى- كما تقدم- ضمير متصل مفعول به.

وعلة الحذف في هذا الموضع "يسر" هي علة الحذف في كل ماتقدم. أعنى الرمز إلى التفرقة بين المعاني الذهنية المعنوية التي لا صورة لها محسوسة ماديا في الوجود وبين المعاني المادية المدركة بإحدى الحواس الخمس. والمراد من "يسر" في آية "الفجر" ليس الذهاب بالحس المدرك بالبصر بل الذهاب المعنوي لأن الناس لا يرون سرى الليل بأبصارهم وإنما يدركون ذلك "السرى" بعقولهم وأذهانهم. وفي نقص "الياء" هنا لطيفة أخرى وهي أن سرى الليل يدل على نقصانه شيئا فشيئا.

والنقص الحسى في صيغة هذا الفعل الحادث بحذف "الياء" يشع منه معنى بالغ النهاية في الدقة وهو: نقصان الليل نفسه في الواقع. وهذا المعنى أشبه مايكون بالتفسير "الإشارى" عند المتصوفة (٤)

❁❁ ((وهنا أصيف رأياً آخر مع ما أشار إليه د: مطعنى - والذي نقله عن و قال به الأئمة الأعلام.. ومنهم الإمام الأخفش - حيث قال (عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه.. وهي قاعدة عظيمة وهامة جداً جداً.. ثم يكمل: والليل لما كان لايسرى ، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف ، كما قال تعالى من سورة مريم (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءاً وما كانت أمك بغياً (٢٨) والأصل (بغية) فلما حول عن فاعل نقص منه حرف)).. ويعلق الأستاذ الدكتور محمد ابو موسى قائلاً: (الحذف هنا دليل على شيء في المعنى، أى في دلالة اللفظ على معناه،... وأشار إلى قاعدة النقص في قول الأخفش التي ذكرناها)..

وبعد هذا الكلام الطيب - وارتضائي عن هذا القول البليغ - أقف وقفة لأضيف تعليقاً على قول الإمام الأخفش الذى يقول فيه: (والليل لما كان لايسرى ، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف).. وأقول: أنه - بناءً على ما أخبرنا به العلم - من أن الأصل في الكون هو الظلام (أى: الليل) وأن هذا الظلام ثابت على ظهر الكرة الأرضية ويلف الكرة الأرضية .. وأن هذه الكرة الأرضية تلف بسرعة كبيرة جداً حول محورها أمام قرص الشمس .. مما ينتج عنه أن هذا الضوء - الساقط من الشمس على هذا الجزء من الأرض المواجه له - يقوم بإزالة (ونقصان) هذا الجزء من الظلام. (أى إنقاص الليل) ..

ومع ملاحظة أن الليل (الظلام) هو الذى يسير أيضاً (أى يدور بدوران الأرض به) .. فيكون الليل يسرى أولاً بسرعة - كما ذكرنا- ولكن هذا السريان ليس بسريان ذاتى منه- أى ليس بحركة ذاتية من الظلام منفصلة عن الأرض - ولكنه يحدث بسريان الأرض به. (فالأرض هي التي تسير بالحقيقة وليس الليل، لكنه يوجد سريان ليل ظاهرى فقط).

كما ذكرنا ذلك في مرور الجبال من السحاب ، وقلنا أن الأرض هي التي تمر ولكن لوجود الجبال محمولة عليها (والجبال أوتادا) جاز لنا أن نقول أن الجبال تمر، ولكن ليس بحقيقة المرور الذاتي لها ، بل لمرور الأرض الحاملة لها .. كما تمر السحاب بمرور الرياح الحاملة لها.. وهكذا الحال بالنسبة للظلام فهو يسير ولكنه ليس بذاته.. فأصبح سيرا على غير الحقيقة المعروفة لدينا (فتغير ظاهر الكلمة بالنقص لهذا المعنى العظيم الذي قاله الإمام الأخفش..). وهذا المعنى (السير غير الحقيقي ، وسرعة سيره بالفعل - وإن كان محمولاً-) يشير إليه حذف الحرف .. وهذا المعنى يختلف عن قول الأخفش ((والليل لما كان لايسرى ، ((وإنما يسرى فيه)) ، نقص منه حرف.)- وهو ((وإنما يسرى فيه)) معنى غامض قليلاً عما قلناه. والله أعلم

وبذلك نرى كما رأيت الدكتورة (عائشة عبد الرحمن) بنت الشاطيء.. أن هذا الحذف قد يكون لدلالة معنوية بلاغية، وأيضاً لدلالة فنية جمالية في هذه الآيات، لا لأجل رعاية الفواصل فحسب، أو الفضيلة السجعية كما يظنون - على اعتبار حسن نيتهم وليس أيضاً كما يقولون خطأ من الكاتب.

أما قوله عز وجل: في سورة الفجر: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَنَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَنَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿٢﴾ ﴾ فقد حذف فيه "الياء" في فاصلتي الآيتين هكذا "أكرم من" "أهاتن".

وهذا الحذف في الموضعين رُمز به على خطأ وقع فيه الإنسان القائل هذا الكلام. ذلك الخطأ هو أن من ينعم عليه الله ويسقط له الرزق يعتقد أن هذا الإنعام من الله دليل على حب الله إياه وسمو منزلته عنده. وأما من يضيق الله عليه في الرزق فيرى كذلك أن الله لا يحبه وأن منزلته عنده وضیعة. ووجه الخطأ- هنا- أن كلا منهما جهل سنة الله في خلقه؛ تلك السنة هي أن الله تعالى يتلى الصالح والطالح وأن الابتلاء (= الاختبار) يكون بالنعم كما يكون بالنقم ؛ فليس إغداق النعم من الله على بعض عباده دليلاً على فضلهم وصلاتهم عنده. وليس ابتلاء أحدًا من خلقه بالشرور دليلاً على بغض الله إياه وانتقامه منه. وكان حذف "الياء" في الآيتين مدرجاً للفت الأنظار وإثارة الذهن للتساؤل عن سبب الحذف في الموضعين ويتجه لفهم هذا المعنى اللطيف.

أقول إنه يقصد: (أن يلفت النظر إلى أن الظاهر على خلاف الحقيقة) و"الياء" في الموضعين ضمير المتكلم ومفعول به للفعل قبله وبقيت الكسرة دليلاً عليه.

❁❁ ((وأقول مضيفاً - في هذا الحذف وأمثاله - مثل تكرار قوله: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

وَنُذِرْ (١٨) بحذف الياء من كلمة (نذر)... أن هذه الياء حذفت لوجود قرينة دالة عليها - أي الكلمة قبلها فكيف كان عذابي) فيكون ذلك دليلاً على أن النذر هي (نذرى) أيضاً .. وهذا الحذف أضاف معنى إضافياً لا يستفاد عند الذكر (أي ذكر الحرف "نذرى")، وهذا المعنى هو: الإيجاز والتتره عن اللغو والعبث - كما يقول العلماء- لأن في ذكر (الياء) مع وجود قرينة دالة عليها وتغنى عنها يعتبر إطناباً في العبارة من غير داع، وهذا ما يعده البلاغيون العرب في غير القرآن لغواً وعبثاً ينبغي للمبدع الحكيم أن يتحرز عنها، ويصون كلامه منها؛ إذ أن القرينة في الآيات على وجود المحذوف (الياء) واضحة، فأصبح كالمتممين، فلم تكن الحاجة إلى ذكره لشدة وضوحه، فأثر الحذف بعداً عن اللغو وإسراعاً إلى ما تعلق به الغرض من (النذر).. وهذا المعنى هام جداً جداً لا يتذوقه إلا علماء البلاغة .. ولا بد من تكرار قراءته والتمعن فيه، فهو من أقوى أنواع البلاغة .. وهو ما يسمى ببلاغة الحذف.. إضافة إلى المعاني الأخرى التي ذكرناها ..

ولعلنا نذكر قول الله تعالى في سورة الشعراء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام في أعظم خطبة نقلها القرآن الكريم وهي قوله: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١)). فإن لم يكن وراء هذا الحذف من لطائف - كما تعودنا - أو خفى علينا أمرها - فقد أفاد الحذف معنى إضافياً لا يستفاد عند الذكر، وهو الإيجاز في العبارة - مع وجود القرينة - والإسراع إلى الغرض المقصود من حديثه (عليه السلام) - وهو ذكر صفات ربه عز وجل والثناء والإطراء عليه -: فهو خالقه (خالقني) وهاديه (يهديني).. وهنا نلاحظ أنه قد حذف الياء من (يهديني) ووضع بدلاً منها - وعلامة عليها - كسرة، وذلك لوجود القرينة على أن الهادى هو نفسه الذي (خالقني) في الكلمة السابقة مباشرة.. وهو مطعمه (هو يطعمني) وهو ساقيه (يسقين) ولاداعي لتكرار القول بوجود القرينة في الكلمة السابقة في "ياء" (يطعمني) ويكون ذلك الحذف في مكانه وفي قمة البلاغة والروعة والجمال أيضاً..

وهكذا في (يشفين) من المرض .. (ويحيين) مع وجود القرينة قبلها ونكرر أن هذا الحذف فيه إيجاز في اللفظ، وإسراع إلى ما يتعلق به الغرض. وليس من البلاغة أن يذكر المحذوف إذا دلت عليه قرينة واضحة تدل عليه، إذ يكون حذفه أولى من ذكره وأفضل، لأن ذكره حينئذ يكون نوعاً من الزيادة من غير داع، والعرب تعد هذه الزيادة فضولاً ولغوياً في القول يلزم التتره عنه، فما ظنك ببلاغة رب البلغاء!! وما تقول في بلاغة وحى السماء؟! قل ما شئت ولا حرج.

نوالى الحديث عن حذف "الياء" في الأفعال لأنه لم يتسع المقام لاستيفاء كل المواضع التي حذف فيها "الياء" في المقال السابق وكلمات القرآن حافلة بهذا النوع من الحذف وأول ما نبداً به في هذا المقال هو المقارنة بين موضوعين ورد "الياء" في أحدهما محذوفاً وفي الآخر مثبتاً في فعل واحد ورد في الموضوعين. في سورة البقرة ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) ﴾ وفي سورة البقرة آية ١٥٦. وسورة المائدة آية ١.

وأول هذين الموضوعين هو قوله سبحانه وتعالى: في سورة البقرة آية ١٥٠. وسورة المائدة.. ﴿ . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ وَالْدَّمُ وَالْحَمُّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِعَيْبِرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ أَلْيَوْمَ يَمْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

في آية البقرة ثبت "الياء" في الفعل "واخشوني" وهو ضمير المتكلم مفعول به للفعل قبله. وفي آية المائدة حذف "الياء" في الفعل نفسه "واخشون" وهنا يرد سؤال لحوح: لماذا أثبت "الياء" في الأولى وحذف الثانية؟

والجواب: أن "الياء" في آية البقرة جئ به على الأصل لأن الأصل هو الإثبات لا الحذف. أما في آية المائدة فقد كان الحذف رمزاً على معنى يدل عليه. هذا المعنى هو أن المنهى عن خشيته طائفة خاصة هم الذين ظلموا المؤمنين من الناس لا كل الناس لأن الضمير في "فلا تخشوهم" عائد على أقرب مذكور قبله وهو هنا "الذين ظلموا". ومراعاة لهذا المعنى ذهب بعض العلماء إلى أن ثبوت "الياء" في آية البقرة في "فلا تخشوهم وواخشوني" رمز إلى معنى مقابل للمعنى الذي حذف "الياء" من أجل الدلالة عليه في المائدة ، والمقام ينصر هذا لأن ما في آية البقرة هو "الذين ظلموا" أما ما في سورة المائدة فهو "الذين كفروا" وهم أعم من "الذين ظلموا" ، وعلى هذا فإن حذف "الياء" في آية المائدة رُمز به إلى "العموم" وإثبات "الياء" في آية البقرة رُمز به إلى "الخصوص".

وقد عبر عن هذا الفرق الإمام ازركشى بأن الخشية الكلية رمز لها بحذف الياء ، والخشية الجزئية رمز لها بإثبات "الياء" (١).

﴿ (نلاحظ هنا أن دكتور: المطعنى لم يوجه آية المائة ٤٤ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ نَحْكُمُ بِهَا النَّبِيِّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيِّونَ وَالْأَحْبَارَ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وهي تتحدث عن خشية الناس (بصيغة العموم) وحذف منها الألف ، وهذا المعنى يسير على نفس القاعدة التي ذكرها)

ولكننا نقف وقفة لنضيف رأياً مكملاً للدكتور فاضل السامرائى ليؤكد لنا أن مائدة القرآن لا يشيع منها العلماء ، حيث يقول:

ومن هذا النوع من الذكر والحذف قوله تعالى: في البقرة ١٥٠ ﴿..وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَأْتِمُّوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠).﴾ وقوله في المائة ٣ ﴿. حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فُسُقٌ يَوْمَ يَسُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣).﴾ وقوله في المائة ٤٤ ﴿. إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيِّونَ وَالْأَحْبَارَ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ فذكر الياء في (اخشوني) في آية البقرة وحذفها واجتزأ بالكسرة في آيتي المائة ، وذلك أن السياق في البقرة يستدعى تحذير المسلمين من خشية الناس وعدم الالتفات إلى أراجيفهم كما يستدعى توجيههم إلى مراقبة الله تعالى وخشيته أكثر بكثير مما في الوطنيين الآخرين؛ وذلك أن السياق في البقرة في تبديل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام في مكة، وقد أرجف اليهود والمنافقون بسبب هذا التغيير وأكثروا القول فيه، فاستدعى ذلك توجيه المسلمين إلى عدم الالتفات إلى

أقوال أعداء الله أو خشيتهم ، وإنما عليهم أن يخشوا الله وحده، فأبرز الضمير العائد على الله فقال: (فلا تخشوهم واحشوني) ؛ فقد بدأت الآيات بقوله: في البقرة ١٤٢. ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢).. ﴾ إلى أن يقول: في البقرة ١٤٩ - ١٥٠. ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠). ﴾

في حين كان سياق الآية الثانية يختلف عن ذلك فهو يدور على ذكر المحرمات من الأطعمة قال تعالى: في المائدة ٣ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لغير الله به وَالْمُنْخَنَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَمَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣).. ﴾ ثم قال: ايضاً في المائدة ٣. ﴿ الْيَوْمَ يَمَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ. ﴾ فالكفار ياتسون من محاربة الإسلام بعد أن أظهره الله وأعلى كلمته. فالمحاربة في الموقف الأول ومظنة خشية الناس اكبر بخلاف آية المائدة التي انزلت بعدما اظهر الله دينه.

وكذا الأمر في الآية الأخرى وهي الآية ٤٤ من سورة المائدة فإنه ليس فيها ما يستدعى الخشية من الناس وليس فيها إرجاف ولا محاربة ؛ قال تعالى: في المائدة ٤٤ ﴿.إِنَّمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا التَّيِّبُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤). ﴾

فأنت ترى ان سياق آية البقرة وما فيها من خصومة ومحاجة ومحاربة يستدعى جانباً كبيراً من الخشية فأظهر الله نفسه طلباً لمراقبته وخشيته وعدم الاكتراث بأقوال المرجفين، بخلاف ما في الآيتين الأخيرين.

ثم انظر طول السياق وتكراره في سورة البقرة فقد بدأ بقوله: في البقرة ١٤٢ ﴿.سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢). وقوله: في البقرة ١٤٣. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)..﴾ فذكر أن تغيير القبلة كبير عند الناس. ثم ذكر بعدها: في البقرة ١٤٤ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)..﴾ ثم أخبر أن الذين أوتوا الكتاب لا يتبعون قبلة الرسول مهما جاءهم بالبينات فقال: في البقرة ١٤٥ ﴿...وَلَنْ أُنشِئَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ فِي قِبْلَةٍ بَعْضٌ وَلَنْ أَتَّبِعْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)..﴾ وهكذا فأنت ترى أنه أطلال القول وهنا فكان المناسب أن يطيل بذكر الضمير أيضاً وهو المناسب لإطالة السياق بخلاف ما في الآيتين الأخريين. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إنه أبرز الضمير (الياء) في سياق آية البقرة أكثر مما في الموطنين الآخرين من مثل قوله: (واخشوني) و: (ولأتم نعمتي) (فاذكروني) (واشكروا لي) وغيرها. فناسب كل ذلك ذكر الياء في آية البقرة بخلاف آية المائدة. وهذا كما ترى نظير ما مر من ذكر الياء وحذفها آنفاً.

❀❀❀ وشبهه بهذا الذكر والحذف وليس منه قوله تعالى: في الأنعام ١٥٨ ﴿...هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)..﴾ وقوله: في الأعراف ٥٢-٥٣ ﴿...وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا مِنْ قِبَلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣).﴾ وقوله: في هود ١٠٢-١٠٥ ﴿...وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ

لَا تَكَلِّمْ نَفْسًا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥). فحذف الياء من (يأت) واجتزأ بالكسرة في آية هود دون الآيتين السابقتين ، ولهذا الحذف سببه، فقد ذكر الله في عدة مواطن من هود تعجل الذين كفروا للعذاب كما تردد الوعد بقرب نزوله فقد قال: في هود ٨ ﴿..وَلَكِنَّا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨).﴾ وقال قوم نوح: في هود ٣٢ ﴿..قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)﴾ وقال صالح لقومه: في هود ٦٤-٦٥ ﴿..وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرٌ مَّكَدُوبٍ (٦٥)﴾ وقال في قوم لوط: في هود ٨١ ﴿..قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعَدُهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١).﴾ وقال في موطن آخر: في هود ٨٣ ﴿..مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ ببعيد (٨٣)..﴾ فأنت ترى أنه تردد ذكر استعجال العذاب من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه تردد الوعد بقرب حلوله فكان من المناسب الحذف من فعل الإتيان إشعاراً بقرب حلوله.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنه ذكر في سورة (هود) عقاب الأمم السابقة وهلاكهم ثم ذكر أن يوم القيامة آت وأنه سيحل فيه عقاب الكافرين كما حل عقاب الأمم السابقة وإن هو إلا أجل معدود فيحل، فحذف الياء من فعل الإتيان للدلالة على سرعة الإتيان وليس الأمر كذلك في الآيات الأخرى.

هذا ومن ناحية أخرى أنه تردد ذكر الإتيان باشتقاقاته المختلفة في كل من (الانعام) و (الأعراف) أربعاً وعشرين مرة ، وفي (هود) ثلاث عشرة مرة ، فلما كثر الفعل في سورتي الأنعام والأعراف كثر البناء ، ولما قل تردده في هود قلل من البناء، وهو نظير مافي (المهتد) و(المهتدى) وغيرها مما سبق ذكره.

ويمكن أن يضاف شئ آخر: وهو أنه لما منع الكلام في آية هود إلا بإذنه حذف من الكلام فحذف الياء من (يأتى) وحذف التاء من فعل التكلم فقال: (تكلم) ولم يقل: (تكلم) إشعاراً بقلّة الكلام في ذلك الوقت وهذا مما يدعو إلى العجب.



ويقول د: مطعنى .

وكذلك "الياء" من الفعل المضارع لغير علة نحوية ولا صرفية في قوله تعالى:

في سورة النساء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١٠٠) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠١﴾

إِنَّ حَذْفَ "الياء" من الفعل المضارع "يؤت" دون أن يقتضى هذا الحذف عامل نحوى أو بناء صرفى ، ومعنى هذا أن الحذف هنا له دلالة لطيفة من أجلها كانت هذه الدلالة ؛ هى أن الإتيان الذى وعد الله به عباده المؤمنين الموصوفين بهذه الأوصاف العظيمة وهى:

﴿ التوبة النصوح . ﴿ الإصلاح فى القول والعمل . ﴿ الاعتصام بالله عز وجل . ﴿ إخلاص الدين لله والإعراض عن سواه . هذا الإتيان الذى وعدهم به هو إتيان غيبى أخروى لا يدرك كنهه أحد . فحذف "الياء" للدلالة على هذه اللمحة اللطيفة

﴿ ﴿ (وأقول: لامانع من أن يكون فى ذلك ملحظ السرعة فى إتيان الله المؤمنين الأجر العظيم فى مقابل التشديد على المنافقين وإيقافهم طويلاً أمام شروط زائدة عليهم فى التوبة - لم يشترطها على الكافرين التائبين الذين شرط عليهم (أمنوا وعملوا الصالحات فقط). ولكنه هنا مع المنافقين زاد عليهم ((١) تابوا .. (٢) وأصلحوا.. ثم زاد: (٣) وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ، (٤) وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) ... ورغم ذلك التشديد عليهم نجده سبحانه قد قال بعدها: (٥) فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (ولم يقل فأولئك من المؤمنين). زيادة فى التوبيخ لهم .. (٦) ولم يقل (وسوف يؤتيهم - جميعاً- أجراً عظيماً) بل قال: وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ (الْمُؤْمِنِينَ) أَجْرًا عَظِيمًا وكأنهم ما زالوا من غير المؤمنين..... فجعلهم على انتظار طويل ودائم ...

كل ذلك يقابله المشهد الملائم - والمقابل - وهو: سرعة النجاة والخلاص والفوز السريع للمؤمنين - فيكون ذلك زيادة فى تحسرهم .. مثلما يرى الله الكافر مقاعداً المؤمنين فى الجنة زيادة فى تحسرهم .

وقد حدث هذا التعبير بهذه الصورة (ليوقفنا) على التأمل فى خطورة النفاق .. (ويوقفهم) طويلاً قبل قبول توبتهم - فى مقابل سرعة الفوز للمؤمنين المخلصين .. فهى مقابلة عظيمة أشار إليها الوحي المعجز برسم الكلمة))

ومثل هذه الآية من بعض الوجوه قوله عز وجل فى سورة هود: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنبِهِ ۗ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ﴿١٠٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ

وَشَهِيقٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٠٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠٤﴾ الآية تتحدث عن يوم القيامة الوارد ذكره في الآية التي تقدمت عليها مباشرة وهي: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ (١٠٣) وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) ﴿

والياء" حذف - كما ترى - لغير علة نحوية أو صرفية وحاشا أن يكون هذا الحذف خاليا من الدلالة وإلا ما حذف. إن معناه اللطيف الذي دل عليه هو غيبية مجي يوم القيامة ثم قرب مجيئه، وهذا المعنى درج عليه القرآن كثيرا وإن لم يحدد مدة القرب والحذف من بنية الكلمة وخاصة إذا حدث هذا في أطراف الكلمات يترتب عليه قصر المسافة المكانية، وفي هذا إيجاء بقصر المسافة الزمانية بين الخلق وبين حدوث يوم القيامة فبين المسافتين إيجاء لطيف. (وأطلب من القارئ أن يكمل تعليق د: فاضل)

هذا وفي سورة الأنعام آية وردت فيها أفعال قد تثير تساؤلات على القاعدة التي تقدم في حذف "الياء" من الفعل "يأت" في الآيتين المذكورتين آنفا ولنذكر الآية أول ا: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَّا مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَيُّكُمْ أَتَى رَبُّكُمُ الْيَوْمَ يَكْفُرُ بِالَّذِي تَبَعَتْهُ أَكْثَرُ أُمَّةٍ لَمَّا جَاءَهَا وَالَّذِي يُبَدِّلُ نَافِثًا فِي دِينِهِ أَلَّا يَنْتَظِرَ يَوْمَ تَأْتِي سُحُوفٌ مَوْبِقَةٌ يُجْرِي فِيهَا قَطَرٌ عَسِيفٌ يَهْبِطُ فِيهَا الْمُتَكَبِّرُونَ ﴾ (١٥٨) ورد الفعل "يأت" في الآية أربع مرات و "الياء" مذكور لم يحذف. وموضوع الأفعال الأربعة أمر غيبى هو على التفصيل:

﴿ إتيان الملائكة ﴾ . ﴿ إتيان الله ﴾ (ربك) . ﴿ إتيان بعض آيات ﴾ (مرتان) . فلماذا إذا ثبت "الياء" ولم يحذف على غرار حذفه في (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) . (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) ؟ .

والجواب: الأفعال الثلاثة الأولى:

(تأتيهم الملائكة) . (يأتى ربك) . (يأتى بعض آيات ربك) . هذه الأفعال الثلاثة ثبت فيها "الياء" لأن الفعل الأول تقدم عليه "نأصب" للمضارع هو "أن" فثبتت "الياء" لتظهر عليه "فتحة الإعراب" .

أما الفعلان التاليان له وهما: "يأتى ربك" "يأتى بعض آيات ربك" فهما معطوفان عليه ولا بد من ظهور "فتحة الإعراب" على الحرف الأخير فيهما ، فثبتت "الياء" من أجل هذا. أما الفعل الرابع "يوم يأتى بعض آيات ربك" فهو غير معطوف والظاهر يقتضى حذف "الياء" منه وعليه يرد التساؤل المذكور.

والجواب: هذا الفعل وإن كان متعلقه أمراً غيبياً مثل "وسوف يؤت". ومثل "يوم يأت لاتكلم نفس..". فإن بينه وبينهما فرقا ملحوظا واضحا. ذلك أن متعلق "سوف يؤت" - و"يوم يأت" لن يكون في الحياة الدنيا بل هما أمران من شئون الحياة الآخرة. هذا واضح في "وسوف يؤت" أما في "يوم يأت لاتكلم نفس" فهذا حديث عن يوم البعث من القبور، فهو إذا يوم من أيام الآخرة لا من أيام الدنيا.

أما "يوم يأتى بعض آيات ربك" فهذا من أيام الدنيا قبل نفخة "الصعق" إذا هو يوم سيشهده الناس في يوم من أيام الدنيا ، فالغيبية فيه غير كاملة. هذا الفرق الكبير بينهما هو الذى اقتضى عدم حذف "الياء" في: (يوم يأتى بعض آيات ربك) لأنه - كما تقدم - برم من أيام الدنيا بدليل ما بعده في الآية نفسها ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾

ويرى بعض المفسرين أن "بعض آيات ربك" هو طلوع الشمس من المغرب (٣). وهو - قطعاً - من أيام الدنيا في أواخر عمرها .

هذه المقارنات الدقيقة تظهر لنا بكل وضوح الفعالية وبالغ الحكمة في الخصوصيات التي انفرد بها الرسم العثماني للمصحف الشريف. وأن كل ما فيه مما فارق به الخط الإملائي العام يرمز إلى معان جد لطيفة، منها ما هو مدرك ملحوظ بيسر ومنها ما يحتاج إلى تأمل طويل يضاف إلى تلك الجهود التي بذها علماءنا الأقدمون قريبو العهد بالكتابة الأولى للمصحف في خلافة ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهى لم تحدث في عصره إنما كان للمصحف مدونا بها في عصر الرسالة

ومن المواضع التي حُذِفَ فيها "الياء" في درج الكلام قوله عز اسمه: في سورة

البقرة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ سَجِيْبُوْا لِي

وَلْيُؤْمِنُوْا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ ﴾

حُذِفَ "الياء" في هذه الآية في موضعين الأول من "الداع" وهو اسم فاعل. والثاني من "دعان" وهو فعل ماض كما ترى ونحن وإن كنا بصدد الحذف من الأفعال هنا فإن المقام يقتضى بيان سر الحذف في الموضعين معا لأن مقتضى الحذف فيهما واحد. فالآية تقرر قرب الله من أحوال عباده.

وقيل في سبب نزول هذه الآية ان رجلا أو جماعة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقریب ربنا فتناجیه؟ أم بعيد فتنادیه؟ فأمسك عن الجواب فترل قوله تعالى: (وإذا سألك عبادى..).

هذا هو المقام ولما كانت الإجابة بالقرب لا بالبعد كان حذف "الياء" في الموضوعين لتأكيد ذلك القرب من وجه لطيف بعد توكيده بـ"أن" واسمية الجملة. وحذف "الياء" في الموضوعين قصر المسافة المكانية التي رسمت فيها الآية وتقصير المسافة هو القرب الذي قرره الآية.

فهذا الحذف من ألطف الكنايات على معنى القرب الذي وصف الله به نفسه وهو قرب علم وإحاطة وانعام وتدبير لا قرب مكان ومجاورة، قرب "معية" معنوية لا قرب تضام ومجالسة.

وقد تولد عن تلك الكناية اللطيفة (= دلالة الحذف على القرب) لطائف أخرى يبثها البيان القرآني أرق من نسيم الحداثق في الأسحار. لطيفة سرعة سماع الدعاء لقرب المدعو. ولطيفة سرعة الإجابة إذا كان الداعي من أهل القبول عند الله عز وجل ولم يطعم أو يئس حراماً ولا دعا بسوء ظلماً ولا بشحناء أو قطيعة رحم.

﴿وَأَقُولُ : إِذَا كَانَ دَعَاءُ الدَّاعِي مِنَ الْقَلْبِ الْعَامِرِ بِالْإِيمَانِ .. وَلَيْسَ بِحَرَكَةِ اللِّسَانِ الظَّاهِرَةِ .. فَهَذَا يَأْتِي قَرَبَ اللَّهِ لَهُ .. وَهَذَا يَكُونُ الْحَذْفُ أَيْضًا لِهَذَا السَّبَبِ الْمَعْنَوِيِّ حَسَبِ الْقَاعِدَةِ أَيْضًا﴾

قال الإمام الزمخشري في شرح الآية: تمثيل لخالفي سهولة إجابته لمن دعاه ، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه ، فإذا دعي أسرع تلبيةه ، ونحوه { وَكُنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق : ١٦] . ثم ذكر سبب نزول الآية كما تقدم آنفاً. وهنا يكمل الدكتور فاضل السامرائي حديثه قائلًا:

ومن ذلك ذكر ياء المتكلم أو حذفها والاحتزاء بالكسرة وإن لم تكن ياء المتكلم من الحروف ، وذلك نحو قوله تعالى: في الأعراف (١٩٥) ﴿ أَلْهُمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴾

وقوله في هود ٥٥ ﴿.. إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٥)﴾
فقد حذف الياء واحتزأ بالكسرة في الأعراف فقال: (ثم كيدون) ، وذكرها في هود فقال: (فكيدوني) .

ويمكن هنا أن نذكر أصلاً عاماً في ذكر الياء وحذفها وهو: أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلف عن ذكر الياء في كل ما ورد في القرآن الكريم - عدا خواتم الآي والنداء - ولها في كل ذلك خط عام إضافة إلى السياق الخاص، ففي كل موطن ذكر الياء فيه يكون المقام مقام إطالة وتفصيل في الكلام بخلاف الاجتزاء بالكسرة فإن فيه اجتزاء في الكلام، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن الياء تتردد مظهرة في المواطن التي تذكر فيها الياء أكثر من المواطن التي يجتزأ بالكسرة عنها. وقد تتردد الكلمة ذات الياء المظهرة في السورة أكثر من تردد الكلمة ذات الياء المجتزأة في موطنها.

هذا علاوة على السياق الخاص الذي يقتضى الذكر والحذف كما سنبين.

ونعود إلى الآيتين اللتين ذكرناهما، فإن المقام في هود مقام تحد كبير ومواجهة فأظهر نفسه زيادة في التحدى ، إذ المتحدى وطالب المواجهة لا بد أن يظهر نفسه ، وليس الأمر كذلك في الأعراف فإنه ليس فيها هذا التحدى، يدل على ذلك سياق كل من الآيتين، فقد قال في الأعراف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٣٤) اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْرَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (١٣٥)

وأما هود فالمقام فيها مختلف فقد دعاهم هود إلى عبادة الله وحده وترك ما عداه فقال لهم: في هود ٥٠ ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) ﴾ ونصح لهم بالتوبة والاستغفار ليرضى عنهم خالقهم ويزيدهم من فضله فرفضوا قوله وردوا عليه قائلين: في هود ٥٣-٥٥ ﴿.. قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٥) ﴾

فهم لم يكتفوا برد دعوته وعدم التصديق به بل قالوا له: إن بعض آلهتهم اعتراه بسوء مما جعله يتحداهم ويتحدى آلهتهم فأشهد الله وأشهدهم على البراءة من آلهتهم ثم دعاهم جميعاً إلى كيدهم له ثم لا يمهلونه إن استطاعوا فزاد كلمة (جميعاً) زيادة في التحدى رداً على قولهم: في هود ٥٤ ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) ﴾

إنهم قالوا له: إن أحد آلهتهم اعتراه بسوء فتحدى الجميع ثم اظهر نفسه فذكر الياء زيادة في التحدى. هذا من ناحية

ومن ناحية ثانية إن التحدى والمواجهة في هود أطول وأكثر مما في الأعراف (انظر الآيات ٥٠ - ٥٨) فذكر الياء في هود لأن الياء أطول من الكسرة وحذف الضمير ، واجتزأ بالكسرة في الأعراف فناسب بين طول الكلمة والسياق فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل والكلمة المجتزأة للسياق المجتزأ

ومن ناحية أخرى نرى أنه قد تردد ذكر ياء الضمير في هود في هذا الموطن مرات عديدة ، وليس الأمر كذلك في الأعراف فقد قال: (إني أشهد الله) و (اشهدوا أني برئ) (فكيدوني جميعاً) (إني توكلت على الله ربي وربكم) (إن ربي على صرلط مستقيم) و (يستخلف ربي قوماً غيركم) (إن ربي على كل شئ حفيظ)

وليس الأمر كذلك في الأعراف فإنه لم يظهر الياء في السياق إلا مرة واحدة وهو قوله: (إن وليي الله). فناسب ذكر الياء ماورد في هود وناسب الاجتزاء بالكسرة سياق ما ورد في الأعراف.

ثم انظر من ناحية اخرى كيف قال في آية الأعراف: (ثم كيدون فلا تنظرون) فأدخل (ثم) على الكيد والفاء على الإنظار ، وفي هود العكس : ادخل الفاء على الكيد و (ثم) على الإنظار ، والفاء تفيد التعقيب أما (ثم) فتفيد التراخي ، فقد طلب منهم في الأعراف عدم المهلة في الإنظار وعدم الإنظلهو المناسب لسياق الأعراف فقد ذكر في هذه السورة تعجيل العقوبات لمستحقيها في الدنيا بخلاف سورة هود فإن سياقها في الإمهال في إيقاع العقوبات، فقد بدأت الأعراف بقوله: ٤ ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤)﴾ فذكر حلول العقوبات وإهلاك الأمم، في حين قال في هود ٣ ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)﴾

فذكر التمتع والإمهال. وقال في هود أيضاً: ٨ ﴿..وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)﴾

فذكر تأخير العذاب إلى أجل وهو الإمهال. وقال في الأعراف: ٩٥ ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ فقال: (فأخذناهم بغتة) بعد قوله: (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة)

وهو نظير قوله: (ثم كيدون فلا تنظرون) فالاستدراج المذكور في الآية وهو قوله: (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة...) نظير الكيد في قوله: (ثم كيدون) معنى واستعمالاً، فكلاهما بـثم وكلاهما إمهال.

وقوله: (فأخذناهم بغتة) نظير قوله: (فلا تنظرون) فكلاهما بالفاء وكلاهما عدم إنظار. فانظر إلى التناظر الجميل بين الآيتين.

(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) (فأخذناهم بغتة).

(ثم كيدون) (فلا تنظرون).

ثم انظر إلى القصص في السورتين تر الفرق واضحاً بين السياقين

فانظر إلى قصة نوح في الأعراف فهي موجزة وظاهر فيها عدم الإمهال فقد قال لهم نبيهم: في الأعراف ٦٣ ﴿..أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)﴾. وبعدها قال الله تعالى: في الأعراف ٦٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)﴾. فجاء بالفاء دالاً على سرعة إنزال العقوبة وعدم الإنظار (فكذبوه فأنجيناه).

أما في هود فالكلام طويل وهناك مهلة حتى استبطؤوا ما وعدهم به: في هود ٣٢-٣٣ ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣)﴾.

وكذلك قصة عاد فقد قال في خاتمتها في الأعراف: ٧٢ ﴿..فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)﴾. وقال في هود: ٥٨-٦٠ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ (٦٠)﴾ فانظر كيف عجل العقوبة لهم في الأعراف فجاء بالفاء الدالة على عدم الإمهال بخلاف ما في سورة هود.

وكذا قصة صالح فقد قال في نهايتها في الأعراف: ٧٨ ﴿..فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثمين (٧٨)﴾. وقال في هود: ٦٦-٦٧ ﴿..فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثمين (٦٧)﴾. فذكر إنزال العقوبة بالفاء في الأعراف: (فأخذتهم الرجفة) وقال في هود: (وأخذ الذين ظلموا الصيحة).

وهكذا فأنت ترى أن سياق الأعراف هو عدم المهلة في الإنظار بخلاف السياق في سورة هود: ولذا كان الأليق أن يأتي بالفاء مع عدم الإنظار في الأعراف فيقول: (فلا تنظرون) وأن يأتي بـ (ثم) معه في هود فيقول: (ثم لا تنظرون)

وهناك أمر فني آخر وهو أنه حيث اجتمعت ثم والفاء في الأعراف قدم (ثم) على الفاء ومنها الآية المذكورة ، وفي هود بالعكس فقد قال في الأعراف: ١١ ﴿..وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾. وقال: في الأعراف ٩٥ ﴿..ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ وقال: في الأعراف ١٠٣ ﴿..ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣)﴾

وقال في الأعراف ١٩٥ ﴿..أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصِيرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظَرُونَ (١٩٥)﴾ وقال في هود: ٥٥ ﴿..إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ (٥٥)﴾. وقال في هود: ٦١ ﴿..وَالِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَلَسَّاكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)﴾

وهنا وبعد هذا العرض الرائع من علماء البلاغة وفرسان البيان نقف أيضاً وقفة هامة لإظهار هذا الإعجاز والإيجاز والتناسق المبدع بين رسم الكلمة والإعجاز البلاغي الذي ذكرنا طرفاً منه ونقول:

في سورة الأعراف : الأعداء هنا لا قيمة لهم ولا لوجودهم .. فليس لهم أرجل أو أيدي أو أعين أو آذان - بل إهم في غاية العجز - فهم أصنام وخشب مسندة - ولذلك أمهلهم الرسول (ص) لإحضار وتجميع من يعتد به لديهم فأتى بحرف الإمهال (ثم) ، وقال (ثم كيدون) فلا.. وحذف حرف الياء من الكلمة (كيدون) لأنه بعد هذا الإمهال الذي أعطاه لهم لإتمام كيدهم طلب منهم (سرعة) الحضور إليه (فلا تنظرون) فأتى بحرف (الفاء) الذي يفيد التعقيب والسرعة - أي سرعة الحضور إليه بعد إعطائهم الفرصة (ثم) لإتمام الكيد - فكان المناسب هنا هو حذف الياء من (كيدون) فلا- لإظهار هذه السرعة بعد الكيد - مع ورود حرف السرعة (فاء التعقيب) بعدها- فلا تنظرون - ليتم التناغم الجميل الذي تعودناه في النص القرآني..

وهذا بخلاف آية هود: فالعدو يدعى القوة له ولآلهته المدعاة (إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء..). ولهذا حدث عكس ماسبق في الأعراف في حروف العطف وفي إضافة الياء هنا في (كيدوني) ..

وأدع الأستاذ الدكتور أمين الخضري يقوم بإكمال التوضيح لهذا المعنى تحت عنوان: تطويع الزمن لأغراض النظم فيقول:

الأعراف ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٠٤﴾ ﴾. وفي هود: ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ .. ﴾. وحين نفتش عن سبب هذه المغايرة، فيما يبدو كالموضع الواحد، نجد أن سورة الأعراف سبق فيها التحدى بتحقير الشركاء، والنعى على عقول عبدهما، لأنهم يعبدون مخلوقين أمثالهم، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فضلا عن أن يضرُوا عابديهم أو ينفعوهم، لذلك أمر المشركين أن يدعوا هؤلاء الشركاء، ويتضامنوا معهم في الكيد له، وأمهلهم من الزمن ما يتيح لهم فرصة الاستعداد والاحتشاد له، فعطف الأمر بالكيد على الأمر بدعوة شركائهم بحرف المهلة، إمعانا في الاستهانة بالشركاء، وعدم مبالاة بكيدهم، وجاء عطف عدم الإنظار بالفاء، إغراقا في التحدى والاستهانة، حين لا يطلب لنفسه نفس المهلة للرد على كيدهم، فطلب معاجلته بالقضاء عليه إن استطاعوا، وفي ذلك من التحقير والتهكم مالا مزيد عليه.

أما في سورة هود فإنهم صرحوا بأن آلهتهم قادرة على إنزال الضرب به، والكيد له، بل إنهم ادعوا حدوث ذلك في قولهم: "إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء" فإذا كانوا يثبتون لآلهتهم هذه القدرة على إنزال الشربة، فليس بحاجة إلى أن يطلب منهم دعوتها، وإمهالهم لحشد قواهم، فهم قد بدءوا حربه بالفعل، فطلب منهم التعجيل بالكيد له والقضاء عليه، فأدخل الفاء على الأمر بالكيد لتدل على طلب المبادرة به - لما أن آلهتهم مستعدة لعقابه على مازعموه - فكان الإمعان في التحدى أن يمهلهم وآلهتهم ليلبغوا بالكيد غايته، ويستنفذوا معه كل أسلحتهم، لذلك دخلت "ثم" بين الكيد وعدم الإنظار لتطيل زمن الكيد وترخي لهم العنان فيه، حتى يكون عدم إمهاله هو الغاية والهدف الأسمى من الكيد، على ما يفيد الترخي الرتبى. وانظر إلى هذا الإعجاز في التناغم بين المهلة الزمنية التي أشاعتها "ثم" على فعل الكيد، وبين إثبات ياء المتكلم في قوله "فكيدوني" لتطيل زمن النطق بالكلمة مع طول النطق بـ"ثم"، فيتسق طول النطق في التعبير مع طول الزمن في الإمهال. وبالمقابل حين قصر زمن الكيد بالعطف عليه بالفاء تجاوب قصر الزمن في نطق

الفاء مع حذف الياء في قوله "ثم كيدون فلا تنظرون" ليتناغم قصر العبارة مع قصر زمن الكيد. وهذا آية من آيات الإعجاز في الذكر الحكيم فسبحان من لا تحيط بأسرار بيانه الأفهام وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فما أجمل هذا التناسق وما أجل هذا الكلام!

ويكمل د: فاضل السامرائي حديثه عن إعجاز الحذف في الكلمة فيقول:

ومن ذلك: أى ذكر ياء المتكلم أو حذفها قوله تعالى: في الكهف ٢٤ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

وَأَذْكُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ ﴿٢٤﴾

وقوله: في القصص ٢٢ ﴿..وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ

السَّبِيلِ (٢٢).﴾ فإنه حذف ياء الضمير وأحترزاً بالكسرة في (الكهف) فقال: (يهديني)

وأبرز الضمير في القصص فقال: (يهديني) ، وذلك أن المقام يستدعي إبراز ياء المتكلم ؛

لأنه مقام التجاء وخوف وخشية ، والخوف يستدعي أن يلصق الانسان بمن يحميه ويلقى

بنفسه كلها عليه ، ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكل أحاسيسه

ومشاعره إتجاء كاملاً ، وهذا هو الموقف الأول ، فقد خرج موسى خائفاً يترقب فإراً من

بطش فرعون فالتجأ إلى ربه التجاء الخائف الوجمل طالباً منه أن يهديه سواء السبيل ، ولذا

أظهر الياء دلالة على كمال الاتجاء وإلقاء النفس كلها امام خالقه بخلاف ما في الكهف

فإنه ليس المقام كذلك فإنه قال: في الكهف ﴿..وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣)

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا

(٢٤).﴾

فالفرق كبير بين المقامين فمقام موسى في القصص يستدعي إلقاء النفس كلها امام

ربه وخالقه ، ولما كان الخائف الضعيف يطلب أولاً من يحميه ويلتجئ اليه قدم (الرب)

على فعل الهداية لأنه هو الملجأ فقال: في القصص ٢٢ ﴿..وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ

عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢).﴾

بخلاف ما في الكهف فإن المقام فيها مقام ذكر القول الحق فيما اختلفت فيه

الأقوال وبيان الأمر الصحيح فيما تباينت فيه الآراء وهذا أمر يحتاج إلى الهداية والرشد،

فقدم الهداية ، وهذا من دقيق الاستعمال .

ثم لننظر من ناحية أخرى فإن ياء الضمير تكرر في (القصص) أكثر مما في الكهف

فناسب ذكر الياء في القصص .

((و نقول أن هناك رأياً آخر : وهو أن الهداية في الكهف هداية معنوية يطلبها النبي (ص)

- وهى نزول الوحي لإخباره بالغيبيات المستول عنها وهو معنى علوى تشريفي

(يحذف منه الألف) .. بخلاف لفظ الهداية المطلوبة في سورة القصص - للنبى موسى (عليه السلام) - حيث أنه يطلب هداية مادية أرضية محسوسة - وهو الطريق إلى مدين - فلما توجه تلقاء مدين - فهنا لا يتم حذف الحرف بل يظهر الحرف (يهديني))

ويكمل الدكتور فاضل حديثه قائلاً: ثم إن لفظ الهداية تكرر في القصص اثنتي عشرة مرة أما في الكهف فقد تردد خمس مرات فزاد اللفظ في القصص لما تردده وهذا الأمر مراعى في القرآن الكريم كما ذكرت ألا ترى كيف قال الله تعالى في سورة الأعراف ١٧٨ .

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٧٨) ﴿ بآيات الباء في حين قال في سورة الإسراء: ٩٧... ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنَادُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا رَجَوْا مِنْهُ وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ ﴾

الكهف فلما طول الكلام وتبسط طول الفعل بذكر الضمير في (القصص) ولما اجترأ القول في (الكهف) اجترأ بذكر الكسرة عن الضمير وهو نظير ماسبق ذكره في الآيتين السابقتين. ومما حسن الحذف في الكهف علاوة على ما ذكرنا حذفه الياء من لفظ الهداية في موضع آخر من السورة واجتزأه بالكسرة وذلك هو قوله تعالى: في الكهف ١٧ ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾

هذا علاوة على حذف الياء في مواطن أخرى متعددة من هذه السورة وذلك نحو قوله تعالى: في الكهف ٣٩ (وَلَوْ لَأَمَّا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَأَقْوَءُ بِاللَّهِ إِنْ تَرَى أَنَا أَقْلٌ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩)). بحذف الياء من (ترى) وقوله: في الكهف ٤٠ ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ بحذف الياء من (يؤتي) ، لأن هذا قول المؤمن الذي يتغنى أن يؤتيه الله الإيتاء الأخرى وليس الذنبوى الذى يمر عليه سريعاً محتقراً له

وقوله: في الكهف ٦٦ ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ بحذف الياء من (تعلمني) .. فهو علم للذي غيبى سيتعلمه من الخضر.

وقوله: في الكهف ٦٤ ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ بحذف الياء من (نبغي) ..

فانظر كيف تعاضد المعنى والسياق والألفاظ والإحصاء على وضع كل لفظة في موضعها وراجع بحثنا حول قوله تعالى (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يهد الله فهو المهتدى) ... أما قول موسى للخضر (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) فهو كما هو معلوم لدينا - كان يبحث عن العلم الغيبى للذنبى ، وليس علم الدنيا أو العلم التشريعى الذى يعلمه موسى مباشرة من ربه)

ومن كتابه (بلاغة الكلمة في التعبير القرآنى) يقول:

ومن الذكر والحذف في الفعل قوله تعالى ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (٦٤) الكهف بحذف الياء من الفعل .. وقوله: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ

بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا.. (٦٥) يوسف.. بعدم الحذف، ذلك أن الحدث مختلف في الآيتين، وأن السياق يوضح ذلك..

قال تعالى في الكهف: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۗ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۗ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٨﴾ ﴾ ونسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة ، وإنما يبغى الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه ((وأقول هي هنا بغية ناقصة.. فنقصت الكلمة))

أما في سورة يوسف، فالطعام هو كل ما يبغونه وهو سبب رحلتهم (البغية الكاملة .. ولذلك اكتملت الكلمة) ففرق بين البغيتين. فلما كان مافي الكهف ليس هو ما يبغون حذف من الحدث إشارة على عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام، وإنما هو علامة على الموضوع الذي يجدون فيه بغيتهم (أى على غير الحقيقة - حتى في كتابة الكلمة).. يذكرنا بكلمات (الليل إذا يسر.. والجوار.. و).. ولما كان ما في يوسف هو بغيتهم ذكر الفعل كاملاً ولم يحذف منه.. فناسب كل مقامه والله اعلم.. وهذا هو رأى مكمل لرأى العلماء السابقين الذين نقل عنهم د: المطعني

ومن ذلك قوله تعالى على لسان المتوفى ﴿ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٠) المنافقون.. بذكر الياء في (أخرتني)

وقوله على لسان إبليس: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦٢) الإسراء. بحذف الياء منه

والفرق بين المقامين ظاهر؛ ذلك أن طلب إبليس لايريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريد له ليضل ذرية آدم، ثم إن هذا الطلب لايعود عليه بنفع ولا يدفع عنه ضرراً، وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصحيح، بخلاف الطرف الآخر، فإنه يريد لنفسه حقاً وأنه لاشيء ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه.... فلما كان التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاء لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير. ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليه بالنفع، حذف منه الضمير واحتزراً بالكسرة ثم في الحقيقة ، إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم، فقال (لئن أخرتن) فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح

وأما قوله: (لئن أخرتني) فهو طلب صريح، ففرق بين التعبيرين، فصرح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرح بالضمير.. وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير

((ولعلي - أنا - أضيف رأياً آخر : وهو أن السياق المعبر بحروفه ومداته في قول المتوفى ﴿رَبُّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يصور مشهد مد الصوت بالدعاء لمن هو في العذاب ولا يريد أن ينتهي النداء منه والاستغاثة.. فيقول (لولا) ولم يقل (لو) وواضح أن في الأولى ترداد الصوت وتكرره .. مما يناسب مشهد الإلحاح على ربه.. ويقول (أَخَّرْتَنِي سَسَمَةً إِلَىٰ سَسَمَةٍ أَجَلٍ) وأنت تنطق بين الكلمتين بالمد المعلوم لدينا - وليس المد العادي - (إِلَىٰ أَجَلٍ) هكذا .. وكأنه مد التنفيس عن الكرب الذي يعيش فيه .

بخلاف قول إبليس وهو في الدنيا ولم يعاين الكرب والعذاب بعد

ومن أمثلة الحذف أيضاً

ومن ذلك قوله تعالى في سورة النحل ١٢٧ ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) في سورة النمل ٧٠ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧٠). فحذف نون (تكن) في آية النحل وأبقاها في آية النمل. وذلك أن السياق مختلف في السورتين فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد: "بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة - وقد مثل به - فراه مبقور البطن فقال: "أما والذي احلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك" فترل قوله تعالى: في النحل ١٢٦ - ١٢٨ ﴿. وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨). فكفر عن يمينه وكف عما أراده" فقد أوصاه ربنا بالصبر ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم فقال له: في النحل ١٢٧ ﴿. وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) أي: لا يكن صدرك ضيق مهما قل ، فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلاً. وهذا تطيب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن وتخفيف لأمر

الحدث وهوينه على المخاطب فحذف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر وهوينه على النفس.

أما الآيات الثانية فهي في سياق المحاجة في المعاد وهو مما لا يحتاج إلى مثل هذا التصبير قال تعالى: في النمل ٦٧ - ٧٠ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَذَا كُنَّا ثُرَابًا وَآبَاءُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) ﴾ جاء في (البرهان) للكرمانى: إنما خصت سورة النحل بحذف النون موافقة لما قبلها وهو قوله: في النحل ١٢٠ ﴿.. إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانَا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) ﴾. والثاني: "أن هذه الآية نزلت تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم حين قُتل عمه حمزة ومُثل به فقال عليه الصلاة والسلام: "الأفعلن بهم ولأصنعن".

فأنزل الله تعالى: في النحل ١٢٦ - ١٢٧ ﴿. وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) ﴾. ليكون ذلك مبالغة في التسلي وجاء في النمل على القياس لأن الحزن هناك دون الحزن هنا والله اعلم

ونحو هذا قوله تعالى: في هود ١٧ ﴿. أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا مَوْعِدَهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

وقوله في السجدة ٢٣ ﴿. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) ﴾. فقال في الآية الأولى: (فلا تك في مرية) بحذف نون تكن، وقال في الثانية (فلا تكن في مرية) بذكرها.. وذلك أن السياق في الآيتين مختلف فقد قال في الآية الأولى: في هود ١٧ ﴿. أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا مَوْعِدَهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وقال في

الثانية: في السجدة ٢٣ - ٢٤. ﴿ وَأَلْقَدْنَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣). ﴾ فإن الآية الأولى تثبت للرسول وهي له عن الريب والمرية فقد بدأ الكلام بقوله: إنه كان على بينة من ربه ثم يتلوه شاهد منه ثم قبله كتاب موسى وختمه بقوله: (إنه الحق من ربك) فناسب ذلك أن يقال: (فلا تك في مرية منه) .. بخلاف الآية الأخرى فإنها ليس فيها مثل هذه الدواعي كما ترى.

ثم إن الكلام في الآية الأولى على القرآن الكريم وعلى قوم الرسول وتهديد من يكفر به / والكلام في الثانية على التوراة وبنى اسرائيل. فناسب الحذف في الآية الأولى دون الثانية تثبيتاً للرسول ونهياً له عن الريية فيه وذلك أنه طلب منه أن لا يكون في شئ من المرية اصلاً .. فلما كان الكلام في القرآن وفي قومه ناسب الحذف هاهنا دون الثانية... وجاء في (البرهان) للزركشي أن حذف النون في نحو هذا قد يكون "تنبيهاً على صغر مبدأ الشئ وحقارته وأن منه ينشأ ويزيد إلى مالا يحيط بعلمه غير الله مثل: القيامة ٣٧ ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِى ۗ ﴾ حذفت النون تنبيهاً على مبتدأ الانسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه ثم يترقى في أطوار التكوين: في سورة يس ٧٧ ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ أَلَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧). ﴾ فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون

وكذلك في النساء ٤٠. ﴿ إِنْ أَلَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ حذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة في الاعتبار فإن إليه ترتبها وتضاعفها ومثلها: في لقمان ١٦ ﴿ يَبْنِيْ إِنْهَا إِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ أَلَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ وكذلك في غافر ٥٠ ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَوْا إِلَّا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴾ جاءهم الرسل من أقرب شئ في البيان الذي اقل من مبدأ فيه وهو الحس إلى العقل إلى الذكر ورقوهم من أخفض رتبة وهي الجهل إلى أرفع درجة في العلم وهي اليقين وهذا بخلاف قوله تعالى: في المؤمنون ١٠٥. ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (١٠٥). ﴾ فإن كون تلاوة الآيات قد اكمل كونه وتم وكذلك في النساء ٩٧ ﴿ ..إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ

مَا وَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)..) هذا قد تم تكوينه ... وكذلك في غافر ٨٥ ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾ انتفى عن إيمانهم مبدأ الانتفاع ، وأقله ما انتفى أصله .

ولعلنا نذكر بأن هذا الأمر كان يعلمه العرب في كلامهم ، بل إن الحبيب محمد (ص) - وهو أفصح الفصحاء - نهج نفس النهج القرآني في حذف بعض الحروف من الكلمة في بعض المواقف ، لعلة معنوية بلاغية؛ فقد روى ابن رشيح القيرواني أنه قال : كفى بالسيف (شا) ولم يكمل الكلمة وفهمها القوم أنه أراد (شاهداً) ولم يتمها النبي (ص) للمرور عليها بسرعة وعدم التوكيد عليها وجعلها قاعدة وهي في حالة استثناء.. وقالوا: أن الرسول (ص) لم يرد أن يصير هذا الخبر حكماً شرعياً، فقطع الكلام، وأمسك عن تمامه... وهذا ما يؤكد على أنهم كانوا يدركون أن وراء حذف جزء الكلمة إشارة نصبت دليلاً على شيء

وقد ضرب العلماء أمثلة كثيرة لهذا النوع من الحذف البلاغي وعلى رأسهم الإمام (ابن جني) وقوله (إن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمده ولا معترمة عليه أسرعت فيه ، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه ، وذلك كقوله: قلنا لها قفي قالت قاف (معناه وقفت) فاقترصت من جملة الكلمة (وقفت) على حرف منها، تهاوناً بالحال وتثاقلاً عن الإجابة واعتماد المقال. وهذا كله يدل على أن الأصوات في اللغة تابعة للمعاني ، فمتى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت ، ويكفيك من ذلك قولهم: قطع وقطع، وكسر وكسر.. زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه.. ولعلنا أذكر ما تناوله علماء القراءات حول قول الله تعالى (وَتَادُوا يَمَنَّكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِئُتُونَ ﴿٦٦﴾ الزخرف.. وكيف تعاقبت القراءتان في قراءة (يا مالك) بإثبات الكاف وحذفها (!!)) وما قاله الإمام ابن عباس فيها وما علق عليها الإمام "ابن جني" في كتابه (المحتسب) حيث قال موجهاً القراءة بحذف الكاف (أن فيه في هذا الموضع سراً جديداً، ذلك لأنهم - لعظم ما هم فيه - أهل النار-ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم ، وصغر كلامهم، فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه..) وكأنه يريد أن يقول : أن أهل النار آنذاك عاجزون، وقد ضاق بهم المقام عن إتمام المنادى ، وكأنه يخرج من أفواههم- بل لنقل من أحشائهم - بحسرة في أصواتهم لاتصدر إلا عن مكروب يشارف الهلاك.

وهذا هو نفس الحال في تعاقب القراءات على قراءة الفعل (استطاعوا) و(استطاعوا) بزيادة الـتاء في الثاني (لصعوبة نقب الجدار) وحذفه في الأول (لسهولة استعلاء الجدار عن نقبه) كما وجهها العلماء وسنذكره في حينه.. هكذا في قوله تعالى (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً .. حيث كتبت الكلمة (تستطع) كاملة بحروفها وثقيلة في مبنائها لثقل الموقف على موسى - قبل معرفته لتفسير ما حدث - ، ولكن بعد تفسير الخضر لما حدث وزوال وتخفيف هذا الهم خففت الكلمة وقال بعدها (ذلك تأويل ما لم تستطع" عليه صبراً) وكتبت مخففة بدون تاء ونعود للدكتور: مطعنى.. أكرمه الله.. وعنوان:

حذف "الياء" في فواصل الآي

قدمنا- حتى الآن- نماذج من حذف "الياء" في الأفعال كان أكثرها في درج الكلام والآن نتحدث عن حذف "الياء" في فواصل الآيات الفعلية وهذا الحذف كثير جدا في الأفعال وفي الأسماء أو الصفات المشتقة ، وعلى منهجنا الذي تقدم نمضى بادئين بعرض مستقل لحذف "الياء" في الأفعال الواقعة فواصل للآيات ، وتبين بعض الأسرار واللطائف في بعض النماذج لأن استقصاء الحديث عنها غير مستطاع ولأن بيان اللطائف والأسرار في بعض النماذج يغني عن تتبعها كلها ولنبدأ بنماذج من سورة البقرة أول سورة في المصحف بعد فاتحة الكتاب. سورة البقرة: الآيتان ﴿يَنْبِئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ ﴿١٧﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَاتَّقُونِ ﴿١٨﴾﴾

وقع "الياء" في فاصلتي هاتين الآيتين وهما- أعنى الفاصلتين- فعل أمر: الأول: "ارهبون". والثاني: "اتقون" .. و"الياء" المحذوف فيهما ضمير المتكلم - عز وجل - وموقعه الإعرابي مفعول به ، والحذف في الفواصل كثير ولم يقتصر على حذف المفعول به إذا كان "ياء" بل كثيرا ما يحذف المفعول به وهو ليس ضميرا ومن أمثلة ذلك ما يأتي: في سورة البقرة: آية ١٧. والبقرة آية ٢٢. والبقرة آية ٣٣. والبقرة آية ٥٢. والبقرة آية ٦٣. والبقرة آية ١٣٤. هذه ست فواصل من أوائل سورة البقرة كل فاصلة منها فعل متغير له مفعول به واحد أو مفعولان ولم يذكر النظم القرآني أى مفعول منها بل حذفه ونزل الفعل المتعدى إلى مفعول أو مفعولين منزلة الفعل اللازم الذي لا يحتاج إلى مفعول. وذلك لأن الفواصل القرآنية لها وضع خاص في النظم القرآني لأن رؤوس الآيات ومعاهد المعاني فيها ، فخصت بمنهج

يساعد على أدائها ووظائف في اللفظ والمعنى، وقد أحصى بعض العلماء سمات منهج القرآن في بناء فواصل الآيات فوجدها ثلاثاً وأربعين سمة (٥).؟؟؟؟ ووظائف هذه الفواصل في القرآن كله من أبرزها تيسير القرآن للذكر والحفظ. واحداث إيقاع صوتي (ترنيم) عند تلاوته يجذب الأسماع جذبا قويا ويأسر القلوب أسر بالغا ويضفي على ترتيل الذكر وقعا في السمع لا تجد له مثيلا في أى نظم أو كلام. وكان الحذف الذى نحن بصدد الحديث عنه معوانا على ذلك كله. هذا ما يعود على الألفاظ أو الإيقاع الصوتي الجذاب .

أما ما يعود على المعاني فهو أمران تحتتهما فروع دقيقة.

الأمر الأول: أن جمال الإيقاع الصوتي مصيدة الأسماع والقلوب في الاقبال على القرآن وهذا مدرج يلقي في النهاية في أسر القرآن فتقبل القلوب على حبه والسياحة في حدائق معانيه.

وتقبل العقول على تدبر تلك المعاني وهذا مدرج آخر لحدوث الهداية التي من أجلها نزل القرآن تقوم الحجة لله على من أعرض وتولى وهذا هو الأمر الذى بعث الله من أجله رسله جميعا .

ويضاف إلى جانب خدمة المعاني من سمات الحذف غرض آخر هو الإيجاز في اللفظ والاكثار في المعنى ، وهذا الإيجاز من أبلغ صفات الكلام البليغ.

ونعود إلى آيتي البقرة لندرك دور الحذف فيهما في تحقيق الأغراض البلاغية والتربوية التي أشرنا إليها هاتان الآيتان حذف فيهما "الباء" كما تقدم "فارهبون" والأصل: فارهبوني و"فاتقون" والأصل "فاتقوني" ؛ فمن حيث خدمة الألفاظ والبناء الصوتي الأسر مكنا الحذف من الموقوف على آخر الفاصلتين بالسكون وهذا السكون حقق الانسجام الصوتي بين ما تقدم على هاتين الآيتين وما تأخر عنهما من آيات وبينهما وهذا يقتضى أن نذكر مجموعة هذه الآيات متصلة وهى سورة البقرة: الآيات ٣٨-٤٣ ﴿

فإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنَئِي أَسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّي فَاَرَهُبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنَّي فَاَتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

الرَّكَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿

ندعو القارئ الكريم أن يتلو هذه الآيات بصوت مسموع تلاوة مجودة وأن يتأمل ويتعرف على دور الوقف على السكون في فواصل الآيات الست وأثر هذه التلاوة في القلوب والمشاعر والأسماع. مما ترتب على هذه التلاوة الشجية الحلوة الرنين الطيبة المذاق. ثم لسعد ليتبين بعناية خاصة أثر حذف "الياء" في تمكين القارئ من استمرار التلاوة على نسق ترنيمي واحد اسهم في تحقيق الحذف وحرف المد الواو والياء قبل الحرف الأخير في الفاصلة في الفواصل الست أما حرف الفاصلة فهو "النون" في الفواصل الست مسبقا بحرف المد "الواو" في خمس فواصل وبحرف المد "الياء" في فاصلة واحدة هي الأخيرة: "الراكعين".

وقد عد بعض الدارسين المعاصرين هذا الإيقاع الصوتي الفريد لنظم القرآن سمة قوية الظهور أما من حيث خدمة المعاني فإن هذا النسق العجيب هو الطعم الذي يصطاد به القرآن القلوب من بعيد أو رائحة "الشواء" الشهى الذي يسيل لعاب السامعين فيجدون في أنفسهم جذبا قويا نحوه فإذا وقعوا في أسرهِ فإن معانيه تشرق عليهم من كل جهة ويكون المصير. أما الهداية الجالبة لسعادتي الدنيا والآخرة ، وأما إقامة الحجّة لله على المعرضين ليحيا من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ولثلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل. ويمكن أن تستعير مصطلحا بلاغيا يستثمره البيانين في توجيه أساليب الحذف ونطقه بجدارة على هذه المحذوفات في خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف ذلك المصطلح هو ما يعرف عندهم بـ "توفير العناية بالمعنى" فقوله عز وجل: (وإياى فارهبون) وقوله (وإياى فاتقون) حذف "الياء" منهما لتوفير العناية بالمعنى والمعنى في الآية الأولى هو "الرهة" وفي الثانية هو "التقوى".

أى أن القرآن ركز على تحقيق هذين المعنيين فجردهما من الزوائد لثلا تشغل الذهن ولو برهة من الزمن ، والحذف - بوجه عام - لا يصار إليه إلا بعد توفر أمرين: الأول: أن يكون الحذف من حيث المعنى أولى من الذكر. الثاني: أن يكون في الكلام دليل يدل على المحذوف .

وقد تحقق هذان الشرطان في كل المحذوفات القرآنية ومنها حذف "الياء" في الآيتين اللتين هما موضوع الحديث هنا. فأما من حيث اللفظ فقد ظهر لنا مافي هذا الحذف من خدمة الألفاظ والمعاني ولا حاجة لإعادة ذكره ، وأما من حيث الدليل الذى يدل على المحذوف فإن "الياء" لما حذف في الآيتين وفي غيرهما من كل ما تقدم بقى في الكلام ما يدل عليه من جهتين: الأولى من جهة المعنى: فإن من يسمع "فارهبون" أو "فاتقون" يدرك

لتوه ان هذا حديث متكلم ويدرك- وكذلك- أن ضمير المتكلم في مثل هذه السياقات هو "الياء".

الثانية من جهة اللفظ: فإن الكسرة التي الحقت بالياء تدل دلالة قوية عليه وهو محذوف ومن لطائف ما يضاف هنا: أن الرسم العثماني جمع بين الحذف والذكر في موضع واحد لأن "الياء" في النماذج التي معنا محذوفة جسماً مذكورة عقلاً.

هذا وكنا نود أن نسوق نماذج أخرى غير هذين النموذجين "فارهون- فاتقون" ولكننا أثرنا الاكتفاء بما تقدم توخياً لعدم الإطالة. ولنا إضافة مهمة نذكرها قبل توديع الحديث عن حذف "الياء" في الأفعال وخلصتها:

❁ ان حذف "الياء" في الأفعال الواقعة في فواصل الآيات كثيرة كثيرة مستفضية من العسير الاحاطة بها في هذه المقالات.

❁ وأما على كثرتها تخضع جميعها للطائف والأسرار وخدمة الألفاظ والمعاني التي أجمعنا الحديث عنها فيما تقدم ، وأن الحذف في فواصل الآيات- أياً كان المحذوف- لا يصار إليه من أجل حلية لفظية لا صلة لها بخدمة المعاني؛ هذا محال وإن لم ير بعض الباحثين فيه حرجاً، وما من موضع من الفواصل القرآنية إلا وقد جمع بين خدمة اللفظ والمعنى معا وإن خفى ذلك على قليل من الدارسين.

❁ وأن بعض المحذوفات في الفواصل يكون لها سر آخر غير التي أشرنا إليها قريبا في هذا المقال وقد تقدم لنا نماذج منها في المقال السابق مثل: سورة الصافات: آية ٥٦ فإن للحذف هنا معنى آخر هو الإشارة إلى الإرداء الأخرى غير النبيوى. ومثل: سورة الدخان آية ٢٠، ٢١. فإن للحذف هنا معنى آخر هو الإشارة إلى المراد من الرفع هو التكذيب وليس الرمي بالحجارة.

ونعود للدكتور فاضل السامرائي مع عنوان فواصل الآي

حيث يقول: من المعلوم ان الآيات القرآنية الكريمة تنتهي بفواصل منسجمة موسيقياً بعضها مع بعض مثل: (تعلمون ، تؤمنون، تتقون) ومثل (خبيراً، كبيراً، عليمًا، حكيمًا) . ومن الملاحظ ان القرآن يعنى بهذا الانسجام عناية واضحة لما لذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر في النفس، فقد ترى أنه مرة يقدم كلمة ومرة يؤخرها انسجاماً مع فواصل الآيات فمثلاً يقول مرة: في الشعراء ٤٨ (.. رَبُّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٨)..) بتقدم موسى على هارون فيجعل كلمة (هارون) نهاية الفاصلة انسجاماً مع الفواصل السابقة واللاحقة ومرة يقول: في طه ٧٠. ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) ﴾

بتقدم هارون وجعل (موسى) نهاية الفاصلة لأن الألف فيها هي التي تناسب فواصل الآى في سورة طه .

وقد ترى أنه يحذف شيئاً من الكلم لتتسجم مع فواصل الآى إذ لو أبقى المحذوف لم يتسجم وذلك نحو قوله تعالى: في الشعراء ٧٢-٧٣. ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ إذ الأصل: (أو يضررونكم) مقابل: (ينفعونكم) ولكنه حذف المفعول به من (يضررونكم) إذ لو ابقاه لم تتسجم فاصلة الآية مع بقية الآيات . وقد يزيد شيئاً في الكلمة للغرض نفسه وذلك نحو قوله تعالى: في الأحزاب ٦٧ ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧). ﴾ فقد مد فتحة (السبيل) لتتسجم الفاصلة مع فواصل الآى المتقدمة والمتأخرة .

وقد نرى أنه يبدل كلمة بكلمة أخرى مع أن الآيتين متشابهتان ذلك لأن فواصل الآى في كل من الوطنين مختلفة فيجعل في نهاية كل آية ما ينسجم موسيقياً مع أخواتها وذلك نحو قوله تعالى: في إبراهيم ٣٤ ﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ وقوله: في النحل ١٨ ﴿ ..وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨).. ﴾ فأنت ترى ان الآيتين متشابهتان إلا في خواتم الآى، فإن فاصلة آية إبراهيم وهو قوله: (كفار) منسجمة مع فواصل الآيات قبلها وبعدها (الأهجار، النهار، كفار، الأصنام) .

وفاصلة آية النحل: (رحيم) منسجمة مع فواصل الآيات قبلها وبعدها: (تشكرون، تهتدون، تذكرون) . وقد ترى أنه يضع كلمة في مكان ويضع غيرها في مكان آخر يبدو شبيهاً بالموضع الأول تجنباً للتكرار وذلك نحو قوله تعالى: في النساء ٤٨ ﴿ ..إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨). ﴾ وقوله في مكان آخر من السورة نفسها النساء ١١٦ ﴿ ..إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦).. ﴾ فأنت قد ترى أنه غير بين الفاصلتين تجنباً للتكرار ونحو ذلك مما يبدو فيه مراعاة الانسجام الموسيقى واضحاً .

غير أن الذى نريد ان نؤكد ههنا ان القرآن الكريم راعى في كل ذلك أيضاً ما يقتضيه التعبير والمعنى ولم يفعل ذلك للإنسجام الموسيقى وحده ، فإنه لو لم يكن الجانب الموسيقى مراعى في ذلك لاقترضه الكلام من جهة أخرى فهو لم يحتم آية الشعراء بكلمة

(هارون) وآية طه بكلمة (موسى) مراعاة للانسجام الموسيقى وحده بل اقتضاه الكلام من جهة أخرى ، فهو قد راعى الانسجام الموسيقى وما يقتضيه الكلام فلم يجر موطن على آخر، وهذا غاية الإعجاز ونهاية الحسن في الكلام .

وقد تظن أن في كلامنا هذا غلواً ومبالغة دفعنا إليهما إحساس ديني وتقديس نُكِنه للقرآن الكريم وليس نابعاً من روح عملية ولا من نفس بريئة من العصبية والهوى، ولا نريد أن ندفع عن أنفسنا هذه التهمة أو نقرها وإنما ندع ذلك للبحث يدفعه أو يقره ، غير أننا نود أن نذكر هنا أن كثيراً من علماء السلف ذكروا ذلك فقد قال الألوسي رحمه الله راداً على القاضي البيضاوي قوله في قوله تعالى: في البقرة ١٤٣ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَيَّ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣) "ولعله قدم (الرؤوف) وهو أبلغ محافظة على الفواصل" . "وقول القاضي بيض الله تعالى غرة أحواله: لعل تقدم (الرؤوف) مع أنه أبلغ محافظة على الفواصل ليس بشيء ، لأن فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع ؛ فالمراعاة حاصلة على كل حال ولأن [الرفاة] حيث وردت في القرآن قدمت ولو في غير الفواصل كما في قوله تعالى: في الحديد ٢٧ ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا . (٢٧) ﴾ في وسط الآية" .

صحيح أن قسماً من الذين بحثوا في أسرار التعبير القرآني لم يوفقوا في اكتناه أسرار التأليف بحيث تدرك أن تعليلاهم متكلفة وتأويلاتهم بعيدة وربما أدركت أيضاً أنه لو كان الكلام على غير هذه الصورة لأولوه وعللوه تعليلاً آخر ، ولكن هناك قسم آخر تمكن من أن يضع يده على أنفس الجواهر في التأليف وأن يستكنه أدق أسرار التعبير من غير تكلف ولا غموض .

وأحسب أنه من الأولى ان نضرب أمثلة نوضح بها هذا الادعاء وأن لانظيل في الكلام وتقرير الأحكام. فمن ذلك ما ذكرناه آنفاً وهو قوله تعالى: في الشعراء ٧٢-٧٣ . ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) . ﴾ فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضر، وقد تظن أنه إنما فعل ذلك لفواصل الآي ، ولا شك أنه لو ذكر المفعول به لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآي ، ولكن الحذف اقتضاه المعنى

أيضاً ؛ فقد ذكر مفعول النفع فقال: (ينفعونكم) لأنهم يريدون النفع لأنفسهم ، وأطلق الضر لسببين:

الأول: أن الإنسان لا يريد الضر لنفسه وإنما يريده لعدوه .
والآخر: أن الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر ؛ فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضرر موضع إطلاق ، فخص النفع وأطلق الضرر ، والمعنى أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإضرار بعدوكم كما أنها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها ؟ ولو ذكر المفعول به فقال: (أو يضرونكم) لما أفاد هذين المعنيين فانظر كيف أن الإطلاق في الضر اقتضاه المعنى علاوة على الفاصلة ؟

ومثل ذلك قوله تعالى: في طه ٧٩ ﴿.. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩)﴾ ولم يقل: (وما هداهم) وذلك أنه أخرج الفعل مخرج العموم أى: إن فرعون لم يتصف بصفة الهداية البتة ولو قال: (وما هداهم) لكان عدم الهداية مقيداً بقومه إذ يحتمل أنه هدى غيرهم لكنه قال: (وما هدى) أى: ما هدى أحداً .

فهو قد أضل قومه ولم يهد أحداً لا من قومه ولا غيرهم
ومن ذلك قوله تعالى في طه ﴿.. فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠)﴾
وقوله: في الشعراء ﴿.. فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)﴾

قدم في (طه) ذكر هارون وفي (الشعراء) ذكر موسى وقد تظن أن ذلك ما يقتضيه أواخر الآى ونقول: صحيح أن أواخر الآى في سورة (طه) تقتضى أن يكون (موسى) في آخر الآية ، وفي (الشعراء) تقتضى أن تكون كلمة (هارون) هى الفاصلة، ولكن هناك ملحظ آخر يقتضى تقديم ما قدم وتأخير ما أخر ولو لم تكن أواخر الآى كذلك ، وانظر إلى الفرق بين القصتين في السورتين:

١- إن ذكر (هارون) تكرر في سورة (طه) كثيراً وقد جعله الله شريكاً لموسى في تبليغ رسالته في حين لم يرد في سورة الشعراء إلا قليلاً من ذلك قوله في سورة طه:

أ- ٢٩-٣٢ ﴿.. وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)﴾ .

ب- طه ٤٢ ﴿.. اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ فقد أمر كلا من موسى وهارون بالذهاب بآياته ولم يخص موسى بذلك .

ج- وكرر ذلك فقال: في طه ٤٣-٤٤ ﴿.. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾

د- وكان الجواب صادراً منهما معاً: في طه ٤٥ ﴿. قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥)﴾

هـ- وقد طأتهما ربهما معاً فقال: في طه ٤٦ ﴿. قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)﴾

و- وأمرهما معاً فقال: في طه ٤٧ ﴿. فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى (٤٧)﴾

ز- وكان خطاب فرعون لهما معاً: في طه ٤٩ ﴿. قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩)﴾ ولم يقل له: فمن ربك؟

ح- ونسبهما كليهما إلى السحر فقال: في طه ٦٣ ﴿. قَالُوا إِن هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى (٦٣)﴾

ط- وقد ورد تخليف موسى لهارون في قومه فنصح لهم في غيبته قال تعالى: في طه ٩٠ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠)﴾

ي- ولقد عاتب موسى أخاه هارون بشدة: في طه ٩٢-٩٣ ﴿. قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣)﴾. في حين لم يرد هارون سورة الشعراء إلا قليلاً وهو

قوله: أ- في الشعراء ١٣ ﴿. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣)﴾

ب- وفي الشعراء ١٥ ﴿. قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥)﴾

وفيما كان الخطاب في آيات طه موجهاً إلى موسى وهارون معاً كان موجهاً إلى موسى وحده في الشعراء: ٢٩ ﴿. قَالَ لئنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)﴾

وقد نسب موسى وحده إلى السحر ولم ينسب معه هارون كما جاء في طه فقال: في الشعراء ٣٤-٣٥ ﴿. قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)﴾ ولم يرد ذكر لهارون بعد هذا .

فأنت ترى أن القصة في طه مبنية على الثنية وأنها في الشعراء مبنية على الأفراد .

٢- هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إنه ذكر في آيات طه خوف موسى في ٦٧ .

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى (٦٧)﴾ ولم يذكر حالة الخوف هذه في الشعراء .

فأنت ترى أنه ذكرت جوانب الكمال والقوة في موسى في الشعراء ولم تذكر حالة الضعف البشري الذي اعتراه ، فافتضى كل ذلك المغايرة في التعبير بين القصتين، وأظنك

في غنى عن أن أقول لك: لو قيل لك: قدم وأخر بين الإسمين حسبما يقتضيه السياق
لقدمت هارون على موسى في طه وموسى على هارون في الشعراء .

وفوق هذا الكلام المشيع للغاية نجد من عظمة البيان القرآني أنه لا يشبع منه
العلماء.. ولذلك نجد آراء أخرى في سبب هذا التقديم لهارون على موسى في طه -
يذكره لنا الأستاذ العظيم الدكتور : محمد أبو موسى: في رسالة الدكتوراه الشهيرة له
(البلاغة عند الزمخشري) حيث يركز على جانب آخر في السياق القرآني لاحظته في الآيات
السابقة للآية مع التركيز على تصوير القرآن على حالة القوم النفسية.. فهم في سورة طه
قد قاموا بعمل كافة الاستعدادات وحشدوا كل القوى وترينوا في ذلك لمواجهة موسى -
كما يحكى النص هذا الاهتمام- ﴿ فَلِنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا
تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ
ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ (ثم) أْتَى (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
وَأَسْرَأُوا السَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أُنثَى أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى (٦٣) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ (ثم) انْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) .

.. هنا نلاحظ اهتمامهم بالجمع والحشد والترتيب وتسرعهم على أن يكونوا أول من
ألقي... ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) .
(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقَى مَا فِي
يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) .

وهنا يقف بعض العلماء (الحسناوى في كتابه الفاصلة القرآنية) عند هذا المشهد .. ويرى
أنه : حينما كان كيد القوم كبير ومكرهم وإعدادهم لموسى وأخيه أكبر ، تولى الله تعالى
بنفسه إدارة المعركة وأصبح هو الظاهر أمام أعين السحرة وليس موسى - وكان المعركة
بينهم وبين الله تعالى لا بينهم وبين موسى - كما نقولها دائما في أسلوب التناسق القرآني :-
لكل فعل رد فعل مسوى له في المقدر ومضاد له في الاتجاه.. وهنا نجد أنه قد أختفى دور
موسى وراء سياق الآيات .. قَالَ بَلْ أَلْقُوا .. ويكمل بعدها- دون أن يقول (فألقي
موسى عصاه) - بل إن السحرة قاموا بالسجود بعد قول الله تعالى ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي
يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) .

وكأهم كانوا يشاهدون قوة الله ووجوده أمام أعينهم وأنه هو الذى أدار المعركة - وليس موسى كما قلنا- فاتناهم الرعب والملح وفعلوا ما فعله الرجل الذى خرج فى فلاة ومعه زاده وراحلته ، ونام وقام من نومه فلم يجد الزاد والراحلة ، وييس من طلبهما ، ونام بعدها نومته للموت وأيقن أنه هالك .. ثم استيقظ بعد ذلك فوجد الزاد والراحلة فقال من دهشته وذهوله وفرحته (اللهم أنت عبدى وأنا ربك .. بدلاً من أن يقول : اللهم أنت ربى وأنا عبدك.. فهكذا فعل السحرة وقدموا هارون على موسى.. من ملاحظتهم لله وذهولهم عن أنفسهم)) ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) ﴾

وهكذا تتنوع الآراء والأفكار فى النص القرآنى الواحد .. وكما قال الدكتور أمين الخضرى: إنه نوع آخر من الإعجاز وهو إعجاز الفهم الذى يرتبط بإعجاز النظم.

نقص الياء (= حذف الياء) (٣)

فى الحلقتين السابقتين كان الحديث مقصوراً على نقص "الياء" فى الأفعال، وله مواضع يكثر فيها فى النظم القرآنى الحكيم، هذه المواضع هى فواصل الآيات ، وقد تقدم أن حذف "الياء" فيها يحقق عرضين عظيمين أحدهما ما تعددت علله وأسبابه ، والثانى التوافق الإيقاعى بين ربوع الآيات ؛ وهو عامل جذب نحو القرآن تمهيدا للتأمل فى مراميه والتفقه فى معانيه، ويترتب على ذلك واحد من أمرين:

الأول: تيسير سبل الهداية لطلاب الحق والباحثين عنه.

الثانى: إقامة الحجة لله على المعاندين.

وكنا قد أشرنا إلى حقيقة ذات شأن عظيم وهى أن النظم القرآنى المعجز يخلو تماماً من أى خصوصية فيه تكون لخدمة اللفظ وحده دون خدمة المعنى.

وهب أن بعض المواضع غاب عنا فيه جانب العناية بالمعنى فليس معنى ذلك أن تلك العناية غير موجودة ؛ لأن جهلنا بها لا يعد دليلاً على إنعدامها.

وحذف "الياء" فى أى موضع فعلاً كان أو اسماً مقترن دائماً بدليل يدل عليه هو الكسرة تحت الحرف الذى كان "الياء" تالياً له فى الخط.

حذف "الياء" فى الأسماء.

نبدأ بما ورد فى سورة البقرة وهى قوله تعالى: سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢٥٥)

الداع اسم فاعل من دعا يدعو و"الياء" المحذوف فيها أصله "الواو". وجاء حذفه رمزا على معنى لطيف هو رفعة شأن هذا الدعاء لأنه دعاء ورد في مقام الاستجابة من الله عز وجل. ورفعة شأن هذا الدعاء لها اعتباران:

❁ أنه دعاء قد قبله الله واستجاب لداعيه فحقق له ما دعا به.

❁ أنه دعاء أخلص فيه الداعي العمل لله في السر والعلن لأن الله لا يقبل الدعاء إلا من المخلصين الذين أطابوا مآكلهم ومشربهم وملبسهم ولم يشغلهم أو يصرفهم عن الله شاغل أو صارف.

وقد دل على هذا قوله تعالى في الآية نفسها: (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) فهذا الدعاء الذي أجاب الله دعوته تحقق فيه أمران:

❁ الاستجابة لله عز وجل. ❁ الإيمان الخالص.

وشبيه بهذا قوله تعالى في سورة القمر سورة القمر الآية ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ۖ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۖ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٦﴾

فقد حذف "الياء" من "الداع" وهذا هو وجه الشبه بين آيتي البقرة والقمر. ثم اختلفنا في المقضى الذى كان سببا فى الحذف فى كل منهما، وقد عرفنا لماذا حذف "الياء" فى آية البقرة.

أما السر الذى حذف من أجله "الياء" فى آية القمر فهو أن هذا الدعاء أمر غيبى سيكون يوم القيامة وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذا أنه: شأن ملكوتى أى غير واقع الآن. و"الياء" المحذوف فى الموضعين هو أصل من أصول الكلمة وهى: الدال والعين والواو - وقد انقلب "ياء" هنا كما تقدم - .

ومثلها قوله تعالى: فى سورة القمر ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٦﴾

وقد يرد الذكر والحذف فى آية واحدة فى كلمتين متجاورتين فيهما: من ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِ (١٦) القمر: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِ (١٨) ، (٢١) (٣٠) وقوله تعالى: القمر: (٣٧) ، (٣٩) .

والشاهد فى الآيات الست هو: الآية ﴿ كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِ (١٦) ﴾ وردت تعقيبا على إهلاك الله الكفرة من قوم نوح. والآية (١٨) جاءت تمهيدا لما أهلك به "عاد" لذلك

قدم عليه هكذا: **(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩))** . والآية (٢١) وردت تعقيباً على ما حل بـ"عاد" كذلك فهو لا ما حل بهم.

أما الآية (٣٠) فقد عقب على ما حل بـ"ثمود" قوم صالح عليه السلام. والآية (٣٧) والآية (٣٩) كليهما كانتا خطاباً لقوم لوط لما عاثوا في الأرض فساداً وقلب الله بهم الأرض بطننا على ظهره. هذا هو النسق النظمي الذي ورد في إطاره (عذابي ونذر). والملاحظ أن "الياء" وهو هنا مضاف إليه ثبت في "عذابي" في الآيات الست. وحذف في "نذر" في الآيات الست كذلك. ومن هنا يبرز سؤال مهم.

لماذا ثبت "الياء" في (عذابي) وحذف من "نذر"؟

والجواب: إن العذاب المضاف إلى ضمير اسم الجلالة ومعناه هنا: التعذيب ، هذا العذاب مضى وانتهى بكل صورته وأشكاله المادية المحسوسة. فطوفان نوح وريح عاد وصيحة ثمود وحاصب قوم لوط. كل هذه صور وأشكال يحكمها وصفان:

الأول: أنها صور وأشكال مادية محسوسة.

الثاني: أنها بعد وقوعها في مواقبتها ذهبت ولا وجود لها الآن.

فهى - إذن - أمور مدركة بالحواس.

أما "النذر" فهي المعاني الذهنية المعقولة، ولا تزال تؤدي دورها من الانذار والتخويف لكل من نحا منحى تلك الأقوام والجماعات. ويحكمها كذلك وصفان:

أولهما: كونها معاني ماثلة في الأذهان.

ثانيهما: كونها عظمات وعبرا باقية تندبرها جميع الأجيال.

إذا تقرر ذلك ظهرت لنا اللطائف والأسرار التي رُمز لها بإثبات "الياء" في "عذابي" وحذفها من "نذر" للدلالة في الأول "عذابي" على المادية، والانتهاى للدلالة في الثاني "نذر" على "المعنوية" ، ثم على الاستمرار والدوام.

أى أن إثبات "الياء" فيما ثبت فيه، وأنه هو الأصل، وأن حذف "الياء" فيما حذف رمزاً للدلالة على معنيين في غاية اللطافة ولم يحدثا عبثاً وإنما وراءهما ما اقتضاهما من مجال الإيقاع في "نذر" ، واللطائف والأسرار في كل منهما، والمعروف أن الأصل هو السكون في آخر أحرف كلمات الفواصل ، وسورة "القمر" بنيت فواصلها على حرف "راء" فناسب ذلك حذف "الياء" في "نذر" لأنه لو ثبت لما أمكن الوقوف عليه بسكون "راء" ولحدث "نشاز" في الإيقاع الصوتي الممتع ، لأن ما قبل هذه الفواصل "ونذر" فواصل يوقف على الراء فيها بالسكون وكذلك ما بعدها.

ومما اجتمع فيه الاثبات والحذف في آية واحدة في كلمتين متجاورتين معطوفة ثانيتهما على الأولى قوله تعالى: في سورة إبراهيم: ﴿ وَنَسَكْنَتُكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) ﴾

أثبت "الياء" في "مقامي" وحذف من "وعيد" لأن الأصل في "المقام" هنا هو قيام العبد ومثوله بين يدي ربه وشأنه أن يكون "مبصرا" لذلك أثبت فيه "الياء" المضاف إليه "مقام" جريا على الأصل. أما الوعيد فمعناه حضور الخير التهديدى في الذهن فهو أمر معنوى معقول مستمر لا انقطاع له في الوجود. والوعيد والانذار بمعنى واحد وإن حدث اختلاف في التسمية والحذف - هنا - جرى على خلاف الأصل للدلالة على المعنى المشار إليه .

ومحال ثم محال أن يكون الحذف عاريا من الدلالة على معنى.

ثم إن هذا الحذف كان فيه رعاية لجمال النسق الصوتي، لأن الفواصل التي وردت بعده كانت دالية مسبوقة بحرف المد "الياء" هكذا: في سورة إبراهيم: الآيتان ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) ﴾ . وهذا كان في هذا الحذف لطيفتان:

❁ معنوية كما تقدم.

❁ ولفظية وهي مراعاة مجيء فاصلتين بعدها حرف فيهما الدال التالى لحرف المد "الياء". ومثله قوله تعالى: في سورة ق: الآيتان ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٧﴾ وَأَصْحَابُ الْآيَةِ

﴿ وَقَوْمٌ تَبِعُوا كُلًّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ فَوَقَّعُوا فِيهَا النَّارَ ﴿١٨﴾ ﴾

حذف "الياء" من "وعيد" وهي فاعل "حق" والأصل "وعيدى" فحذف منها "الياء" ونابت الكسرة منابه وصارت دليلا عليه. وعلة الحذف فيه هي التي تقدمت في نظيره وهي الدلالة على مثوله وحضوره في الذهن لأنه معنى واسم لما يعاقب به الله المجرمين.

هذا من حيث المعنى. أما من حيث اللفظ فقد جاءت بعد هذه الفاصلة عشر فواصل كلها دالية مسبوقة بحرف المد "الياء" هكذا: "جديد- الوريد- قعيد- عنيد- تحيد- الوعيد- شهيد- حديد- عتيد- عنيد" وهي فواصل الآيات من (١٥) إلى (٢٤).

وحذف "الياء" كذلك من كلمة "نكير" مضافا إلى ضمير اسم الجلالة في أربعة مواضع هي: في سورة الحج: آية ﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ لَلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) ﴾ وسورة فاطر: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦) ﴾.

وسورة الملك: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (١٨) النكير في هذه الآيات الأربع اسم لعقاب سابق أنزله الله على مكذبي الرسل وصوره وأشكاله كانت مختلفة ولكن معناها وأثرها الذهني ظل موجودا بعد وقوعها وذهاهما من الوجود. والله هنا يذكر بها ويهول ويفزع من شأهما فصاغ الإشارة إلى ذلك في أسلوب الاستفهام المثير: (فكيف كان نكير) وهو استفهام المراد منه التهويل والتعظيم والتفظيع .

وسمى العقاب نكيراً للدلالة على أنه مسبب عن أفعال ومواقف منكراً. وفي هذه التسمية إلماح إلى ضلالهم ونكارة سلوكهم هذا في جانب خدمة المعنى. أما من حيث خدمة اللفظ فإن الذى أداه حذف "الياء" هو تحقيق التوافق الصوتى فى الفواصل حيث أمكن مع حذف "الياء" الوقف على "نكير" بالسكون. حيث كانت الفواصل قبلها هكذا: "الأمر - ثمود - لوط". وكانت الفواصل بعدها هكذا: "مشيد - الصدور - تعدون".

وكذلك حذف "الياء" من "التلاق" و "التناد" فى الآيتين الآتيتين: فى سورة غافر: آية ﴿ لِنُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (١٥) وسورة غافر: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (٣٢) "الياء" المحذوف فى هذين الموضعين ليس ضمير المتكلم كما كان فى الأمثلة السابقة بل هو من أصول الكلمة التى حذف فيها. والذى اقتضى حذف "الياء" فى الموضعين الرمز إلى كلا من "التلاق والتناد" أمر غيبى حتى الآن ولن يكونا إلا يوم القيامة ، وكل منهما كناية عنه. هذا من حيث المعنى .

وأما من حيث اللفظ فلأن "التلاق" لما حذف منه "الياء" سوغ هذا الحذف الوقوف عليه بالسكون كما هو الشأن فى الفواصل التى تقدمت عليه وهى: "ينيب - الكافرون". وكذلك التى أتت بعده وهى "القهار - الحساب - بطاع". أما "التناد" فقد أوفى بهذه المهمة كذلك فكانت الفواصل قبله هكذا: "الأحزاب - العباد". والفواصل التى بعدها هكذا: "هاد - مرتاب - جبار".

ومن نافلة القول أن نذكر - مرة بعد مرة - أن شدة التناسق فى الإيقاع الصوتى هو فى نفسه خدمة جليلة للمعاني ، لأن هذه الخصائص الصوتية تجذب الأسماع نحو القرآن ، وهذا يترتب عليه إقبال القلوب ثم العقول للتدبير، وفى هذا كله تيسير سبل الهداية ثم إقامة الحجة على الجاحدين.

وجاء حذف من اسم الفاعل الرباعى فى قوله تعالى: فى سورة الكهف: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (١٧) . وهذا رمز إلى سرعة هداية من يهديه الله عز وجل هذه واحدة.

والثانية رمز إلى كمال هداية من هداية الله لأنها هديتان: هداية ظاهرة في سلوكه وخلقه وعمله مما يراه الناس ، وهداية باطنة كانت هي المصدر للهداية الظاهرة على حد قول الشاعر الحكيم: وإذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الأعضاء
ويدلك في الآية نفسها على هذا المعنى المرموز له بحذف "الياء" الطرف المقابل وهو: (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا). فهو مهما بُذلت الجهود في تحويله من الضلال إلى الهدى لن تثمر فيه لأنه أغمس في الضلال وحرّم - عقابا له - من رعاية الله عز وجل. فهم مهما دعاهم الدعاة وأخلصوا في النصح لهم فلن ينفعهم شيء لأن الله حرّمهم من الطاعة.

وقد مر بنا أمثلة للحذف في الواو أجمع علماؤنا أن الحذف فيها دليل علي سرعة حدوث الفعل ومن ذلك كان قوله تعالى: في سورة الإسراء: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجْوُولًا ﴾ (١١)

وفي سورتي "النمل" و"الروم" آيتان تكاد صياغتهما أن تكون واحده ومع هذا التشابه الكبير وردت فيهما كلمة واحدة مرتين تلك الكلمة هي اسم الفاعل "هادي" في إحدى السورتين وردت محذوفا منها "الياء" وفي الأخرى أثبت فيها "الياء" ولم يحذف والآيتان هما: في سورة النمل: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِقَائِلَتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾. وسورة الروم: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِقَائِلَتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾

إن النظر في الآيتين يثير في النفس سؤالا مهما جديرا فعلا بأن يثار. لماذا أثبت "الياء" في "هادي" في آية "النمل"؟ ثم لماذا حذف منها في آية "الروم" والآيتان عبارة عن آية واحدة كررت مرتين؟

فأولا نفى نفيا قاطعا أن يكون هذا الاختلاف في رسم كلمة "هادي" خاليا من الدلائل والأسرار. فما علينا - إذا - إلا البحث عن تلك الدلائل والأسرار مقتدين بعلمائنا في هذه السبيل.

وخلاصة ما يقال فيهما إن ما أثبت فيه "الياء" كان المراد منه الهداية الحسية الظاهرة ، وهي محالة في عمى الأبصار.

أما ما حذف منه "الياء" فالمراد به الهداية القلبية الكلية وهذا لا يختص به إلا الله عز وجل. وهاتان الآيتان لهما في النظم القرآني المعجز شأن هو العجب حقا. فقد سُبقت كل منهما بآية تكررت بلفظها ومعناها مع اختلاف في حرف واحد مرتين ؛ مرة قبل آية "النمل"

ومرة قبل آية "الروم". أما التي قبل آية "النمل" فهي: آية ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٨٠) .. وأما التي في آية "الروم" فهي: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٥٢) قارن بينهما فإنك تراهما آية واحدة فعلا كررت مرتين مع فرق طفيف هو:

أن آية "النمل" خلا مطلعها من آية أداة عاطفة ، أما آية "الروم" فقد تصدرها حرف العطف "الفاء": "فإنك".

وكذلك الآيتان التاليتان لهما لا فرق بينهما إلا اثبات "الياء" في "هادى" في آية "النمل" وحذفها فيه في آية "الروم" هكذا: "بهاد".

وإذا توسعت قليلا في النظر بان لك أن هذه الآيات الأربع أو الآيتين المكررتين مرتين جاءت أو جاءتا تعقيبا على مواقف الكافرين وإصرارهم على الجحد مع كثرة العبر والآيات الكونية التي لفت الله أذهانهم إليها في السورتين الكرمتين.

وفي هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم لثلا يأسى عليهم .

ومجموع هذه الآيات فيه تشبيهات ثلاثة للذين كفروا: فهم موتى وهم صم مدبرون وهم عمى لا يبصرون ؛ فلا موت ولا صمم ولا عمى على الحقيقة، وإنما نُزلوا منزلة الموتى في عدم الانتفاع بالهدى ومنزلة الصم في الإعراض عن الإذعان لدعوة الحق ومنزلة العمى في عدم سيرهم وراء الدعاة إلى ما أنزل الله..

وهنا لا بد من وقفة تكميلية لحديث د: مطعني

بِهَيْدِ الْعُمَى ... بِهَيْدِ الْعُمَى

(١) ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (٧٩) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَيْدِ الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ . النمل

(٢) ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَيْدِ الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨١) الروم

ملحوظة: نلاحظ أن كلمة (بِهَيْدِ ، وَبِهَيْدِ) تتفقان في إخفاء الألف بعد الهاء .. ولكنهما تختلفان في وضع الألف في سورة النمل وحذفها من سورة الروم.

أما بخصوص إخفاء الألف في الآيتين فذلك لوجود قراءتين لهما : القراءة بإسم الفاعل (هَاد) والقراءة بالفعل (هَدَى ، هَتَدَى) وهذا ما يقوله علماء القراءات والمفسرون هكذا: (الألوسى: وقرأ يحيى بن الحرث . وأبو حيوة (هَاد) بالتنوين { العمى } بالنصب .. (وهدي) مضارع هدي { العمى } بالنصب ، وقرأ ابن مسعود وما أن هتدي بزيادة أن بعدما ...

(وهذه القراءات - كما قلنا - تشرح السبب في حذف الألف بعد الهاء - إضافة إلى معنى الهداية القلبية في هذه الكلمة - ولكنها لا تشرح سبب حذف الياء التي في آخر الكلمة (هَد) في سورة الروم)

((وَأَنَا - أَيْ الْمُؤَلِّفُ - أَرَى أَنَّ الْجُمْلَةَ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ آيَةِ (هَدَى) - فِي سُورَةِ النَّمْلِ - هِيَ جُمْلَةٌ (فَعْلِيَّةٌ) وَمُرْتَبِطَةٌ بِشَخْصٍ وَاحِدٍ (دُونَ انْفِصَالٍ فِي الْمَقْصُودِ) فِي الْآيَتَيْنِ - هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ (ﷺ) - فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا ، هَكَذَا: فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ (أَيْ يَا مُحَمَّدُ (ﷺ)) إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (فِيهِ جَوُّ التَّطْمِينِ وَالتَّهْدِئَةِ وَليس جَوُّ الْإِنذَارِ وَالرَّجْمَةِ وَالغَضَبِ وَالانتِقَامِ وَالتَّوْبِيخِ وَالرَّجْمِ) (٧٩) ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ لَأَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ... فَفِي هَذَا الْجَوِّ الْهَادِيءِ وَالْمُطْمِئِنِّ وَالتَّوَاصُلِ مَعَ قَلْبِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ﷺ) حَسَنٌ لِذَلِكَ التَّلْمِيحِ فِي الرَّسْمِ إِلَى قِرَاءَةِ (وَكِتَابَةِ) الْكَلِمَةِ عَلَى الصِّيغَةِ الْفَعْلِيَّةِ أَيْضاً (هَدَى) وَالتَّوَكُّلِ وَالْوَقُوفِ الْهَادِيءِ عَلَيْهَا.

مع ملاحظة - كما قلنا - أن الآيات قبلها فيها تطمين وتهدئة (لقلب النبي (ﷺ)) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ .. وَأَيْضاً الْآيَاتُ قَبْلَهَا دَعْوَةٌ بِالْبِرْهَانِ وَاللِّبَنِ (أَمِنْ خَلْقٍ .. أَمِنْ .. أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُنْتُمْ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لَأَعْلَمُنَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلْ إِذْ أَرَاكَ عَالِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلَّ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلَّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَذَا كُنَّا ثُرَابًا وَآبَاءُنَا أَنتُمْ لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ((وراجع درس حذف وإضافة النون في كلمة "تكن" لتعلم لين وهدوء الأحداث هنا في هذه الآيات في سورة النمل وما ناسبها من زيادة الياء أيضاً في "هَدَى")) .. وأكمل بعدها الآيات: (٧٠) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

((وهذه التلميحات ليس فيها دعوة الاستعجال بل على العكس من ذلك فإن فيها الدعوة الصريحة للإمهال والتمهّل وعدم الاستعجال) (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ - هي دعوة هادئة أيضاً- (٧٥) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ((فهنا يتحدث عن قصص لإظهار الحق فيها ، وإثبات صدق الوحي على النبي محمد ﷺ) والدعوة المستمرة والهادئة بالتعقل والتدبر ، وليس فيها عنصر التهديد والعقاب .. الذي في آيات سورة الروم)).

ويقول الألوسي: لما ذكر سبحانه ما يتعلق بالمبدأ والمعاد ذكر تعالى ما يتعلق بالنبوة ؛ فإن القرآن أعظم ما تثبت به نبوة نبينا ﷺ)، فذكر جل وعلا أنه يقص على بني إسرائيل ، والمراد بهم كما روى عن قتادة اليهود ..

ويقول أ السعود: من جملته ما اختلفوا في شأن المسيح وتحزّبوا فيه أحزاباً وركبوا متن العتوّ والعلوّ في الإفراط والتفريط والتشبيه والتثريب ووقع بينهم التناكّد في أشياء حتّى بلغ المشاقّة إلى حيث لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن الكريم بيان كنه الأمر لو كانوا في حيز الإنصاف ((فكلها دعوات للقراءة ولتعقل وتمهّل والتدبر)).... والفاء في قوله تعالى : { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } لترتيب الأمر على ما ذكر من شؤونه عزّ وجلّ فإنّها موجبة للتوكل عليه وداعية إلى الأمر به ، أي فتوكل على الله الذي هذا شأنه ، فإنّه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه ويفوض جميع أموره إليه وقوله تعالى : { إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ } .. فَإِنَّ كَوْنَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَذَلِكَ تَمَّا يُوجِبُ الْوَثُوقَ بِحِفْظِهِ تَعَالَى وَنُصْرَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ لَا مَحَالَةَ .

ويقول أبو حيان: { لذو فضل } : أي إفضال عليهم بترك معاجلتهم بالعقوبة على معاصيهم وكفرهم ، ((إذن الآيات تتحدث عن إقامة الدليل والبرهان في صدق الوحي - الذي يستدعي أيضاً الهدوء والتباطؤ في البحث والتنقيب والتفكير - وليس التهديد والإنذار الذي يحتاج إلى السرعة والمباغنة التي يناسبها حذف الحرف -)،

وأيضاً قوله: قل(عسى). - ولم يؤكد على العقاب لهم- وأن ما سيصيهم هو (بعض..). ما يستعجلونه وسيؤخر عنهم العذاب الأكبر (سواء الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة). وكل هذه المعاني تعطى الإيحاء بعدم توكيد العقاب عليهم ، بل إنها تلمح إلى تهوين شدته (بعض) الذي تستعجلون، والتطمين لقلب النبي محمد ﷺ بأنه على الحق المبين وأن لا يعاب بما هم فيه.

ونلاحظ أيضاً الآية بعدها التي فيها الهدوء والتأمل - حتى في الحديث عن أحداث نهاية الكون - وهو كلام الدابة: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) ﴾ .. ويقول أبو حيان: وفي بعض القراءات: تحدثهم .. تكلمهم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام . وقيل: مخاطبهم ، فتقول للمؤمن: هذا مؤمن ، وللكافر: هذا كافر . وقيل معنى تكلمهم: تجرحهم من الكلم ، والتشديد للتكثير؛ . . . انتهى .

فالسباق كله محاورات - حتى في حديث الدابة السابق ليوم القيامة - وهو إقامة براهين وسباق هادىء - على كل حال - وهو ما يكتنف هذه الآية

إضافة إلى أن سورة النمل تتحدث عن العلم والثقة والظهور - راجع الإعجاز والتكرار في قصة موسى في هذه السورة وما قلناه عن الثقة واليقين في حديث موسى دون تردد منه - وهو ما يلائم الحديث مع محمد (ﷺ) بقوله له: فتوكل على الله إنك على الحق المبين .

بخلاف سورة الروم التي بدنت بالحديث عن حدث غيبي - ﴿ الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾ - وإعجاز بعلم الغيب والتركيز على وقت لقاء ربهم . - وهي أحاديث غيبية يناسبها (الحذف) - كما تعودنا . وإشارات الريح والسحاب - التي ستتحدث عنها في حديث خاص -- وكلها فوق ذلك أحاديث متسارعة ومزججة ومخوفة ، والخطاب للكافرين في الآية قبلها وليس خطاباً متواصلاً عن شخص الحبيب (ﷺ) (كما في آيات سورة النمل السابقة).

ولذلك لا نجد داع لتسارع الأحداث والحروف في آيات سورة النمل بخلاف الآيات في سورة الروم التي يقول قبلها: ﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا (رِيحًا) فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) ﴾ .. فالحديث عن الكافرين ، والحديث أيضاً يروى أحداث متسارعة في وصف الريح واستعجال نصره المؤمنين وعذاب الكافرين .

ويقول في الآيات قبلها (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا) مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا

فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا (لَظَلُّوا) مِنْ بَعْدِهِ (يَكْفُرُونَ) (٥١)» (فهو سيات ملتهب بالوعيد والإنذار وللكافرين . وليس مجادلة بالحسنى والبرهان وتطمين لقلب الحبيب)) ولذلك جاءت الآية بعدها: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢) الروم - بدون الياء في نهاية الكلمة (هدى) للمحى : السرعة والجو العاصف ، وأيضاً لحديث الغيبات في هذه السورة التي كان مطلعها حديث الغيب ، وقد علمنا أن مطلع السورة يحدد جو السورة كله ويرمز إليه (راجع كتبنا : الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم)

وقد لاحظنا أن كلمة (هدى) بالياء وبغير الياء لها قراءتان (قراءة إسمية وقراءة فعلية - هدى) - وقلنا أن سياق سورة النمل يناسبها إبراز قراءة الصورة الفعلية بخلاف سورة الروم .. ولهذا كان الرمز الآسر في رسم الكلمة - الذي أراه أنه أهم وأولى بالدراسة من علم القراءات إن لم يساويه على أقل تقدير- . ونقف أخيراً على تعليق الإمام الزركشى الذي تركه دكتور المطعني - وسنقوم بالشرح له في داخله والتعليق عليه بعده - وهو:

وكذلك وما أنت بهاد العمى في الروم هذه الهداية هي الكلية على التفصيل بالتوالي - أى ليست هداية كاملة من البداية كهداية محمد (ﷺ) في سورة النمل.. فهى هنا هداية كلية على التفصيل)؛ هذه الهداية هي الكلية على التفصيل التي (ترقى) العبد في هدايته من الأرباب إلى ما يدرکه العيان ، ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان، ويدل على ذلك قوله قبلها فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها الآية .. (فهذا النظر من عالم الملك ذاهبا في النظر إلى عالم الملكوت إلى ما لا يدرك إلا إيمانا وتسليما).

وهذا بخلاف الحرف الذى في النمل وما أنت بهادي العمى فثبتت الياء لأن هذه الهداية ((كلية كاملة)) بدليل قوله إنك على الحق المبين (كأنه يقول أن قوله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) في آية سورة النمل: إنك على الحق المبين.. هي هداية كاملة ، من البداية عندك فهديتك كاملة فتكتب الكلمة كاملة أيضاً. (بهادى).

أما في الروم فهى طلب الهداية لباقي البشر (أى: الذين لم يصلوا لكمال الهدى وما زالوا يرتقون ويتدرجون في مدارجها) ، وليست فيها إشارة للهداية الكاملة لمحمد (ﷺ) على وجه الخصوص ، وهى بنصب الأدلة (أى في قوله تعالى: - فانظر إلى آثار رحمة الله كيف

يحيى الأرض بعد موتها) - وهي تناسب (المقام الأدنى والترقى به) إلى الدرجات الأعلى من الهداية - كما هو الحال في باقى البشر غير محمد (ﷺ) - وهذا الترقى يناسبه الحذف كما بينا عند قوله تعالى: (ألم يك نطفة..).. وحذف النون من كلمة (يكن) وراجع هذا البحث كاملاً فى الصفحات الماضية..، وهى على التفصيل، ويبدأ الداعى لهم على لسان نبينا محمد (ﷺ) من أقل درجات الفهم ويرتقى بهم،، "بهاد" - بحذف الياء لأنها غير كاملة))،

ونقول: هذه لفظة جميلة تركها أستاذنا المطعنى، وهى أخرى بالقبول، وخاصة أن آيتنا النمل والروم تتفقان فى سياق الآيتين المشابهتين تشاهياً يكاد يكون كاملاً، فيما عدا الإشارة إلى خطاب الحبيب محمد (ﷺ) وتذكيره بالهداية الكلية فى آية سورة النمل وهى فى قوله: إنك على الحق المبين، وهى التى جعلت الكلمة كاملة - كما أن الهداية كاملة لمحمد (ﷺ) -.. وأرجوا من القارىء مراجعة الإضافات على هذا الشرح تحت باب (هاد، هادى)

(فَهُوَ الْمُهْتَدِي) ... (فَهُوَ الْمُهْتَدِي)

❁❁ وهنا نأتى للحديث عن آيتين مشابھتين لهذا الموقف وهما ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ ... والثانية ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ وندعو القارىء للتركيز على سياق الآيتين والتدبر والتأمل الذى لا يحتاج إلى تعليق وهو:

(١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)﴾ .

ملحوظة: أبو حيان يعرض آراء كثيرة عن هذا الهالك الذى ضل .. وهو أمية بن أبي الصلت الثقفى قرأ الكتب وعلم أنه سيبعث نبي من العرب ورجا أن يكون إياه وكان ينظم الشعر فى الحكم والأمثال فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده ووفد على بعض الملوك وروي أنه جاء يريد الإسلام فوصل إلى بدر بعد الوقعة بيوم أو نحوه فقال من قتل هؤلاء فقيل: محمد

فقال: لا حاجة لي بدين من قتل هؤلاء فارتد ورجع وقال: الآن حلت لي الخمر وكان قد حرم الخمر على نفسه فلحق بقوم من ملوك حمير فنادمهم حتى مات ، وقدمت أخته فارعة على رسول الله (ﷺ) واستشدها من شعره فأشده عدة قصائد فقال صلى الله عليه وسلم: « آمن شعره وكفر قلبه وهو الذي قال فيه تعالى {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها} . » وقال سعيد بن المسيب أيضاً: هو أبو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: الفاسق وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وهو الذي بني له المنافقون مسجد الضرار جرت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم محاوراة فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً ، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بالقوة والسلاح ، ثم أتى قيصر واستجاشه ليخرج محمداً (ﷺ) وأصحابه من المدينة، فمات بالشام طريداً شريداً وحيداً ، وقيل: غير هذا .

والأولى في مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تحمل أقاويلهم على التمثيل لا على الحصر في معين فإنه يؤدي إلى الاضطراب والتناقض والخلاف في { آتيناه آياتنا } مترتب على من عنى الذي آتيناه ذلك اسم الله الأعظم أو الآيات من كتب الله أو حجج التوحيد أو من آيات موسى أو العلم بمجيء الرسول .

والانسلاخ من الآيات مبالغة في التبري منها والبعد أي لم يعمل بما اقتضته نعمتنا عليه من إتيانه آياتنا ، جعل كأنه كان ملتبساً بها كالثوب فانسلخ منها ، ...

(وأقول: وعلى أي حال فهو مجرم عاتى الإجرام - من اليهود على الراجح - أو من غيرهم من الذين يحتاجون إلى هزة قوية وعنيفة .. وهذا لا يتطلب حذف الحرف بل يتطلب نقل الكلمة .. تماماً كما شرحنا معنى وهدف التشديد في قوله تعالى (أفلم يدبروا القول) بتشديد الحرف مع تناسب تشديد الموقف مع الكافرين .. وقوله (أفلا يتدبرون القرآن) بدون التشديد في الحرف ليناسب هدوء الموقف مع المنافقين والتغاضي عنهم وإمهالهم ليسمعوا ويتدبروا طالما قد كفونا هم شرهم من الحرب والإيذاء القولي والفعلی، فكتبت الكلمة - مع هذا الكافر والمجرم العاتى - بكامل ثقلها (المهتدى)

ولزيادة التعرف على هذا المجرم الذي تغير له الحرف في رسم الكلمة وحتى نفهم السبب في ذلك ننقل رأى آخر لعلماء التفسير، حيث يقول عنه الزمخشري: { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها } هو عالم من علماء بني إسرائيل . وقيل: من الكنعانيين ، اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله { فانسلخ منها } من الآيات، بأن كفر بها وبذها وراء ظهره { فأتبعه الشيطان } فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريباً

له. أو فأتبعه خطواته . وقرىء : «فاتبعه» . بمعنى فتابعه { فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ } فصار من الضالين الكافرين..... { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ } فصفته التي هي مثل في الحسنة والضعف كصفة الكلب في أحسن أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله ، سواء حمل عليه - أي شد عليه وهيج فطرده - أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه.

ويقول صاحب الظلال: فهو يمثل حال الذين يكذبون بآيات الله (بعد أن تبين لهم) فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة ، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً!

إنه - في حسنا كما توحيه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهدته في القرآن - ذلك اللهات وراء أعراض هذه الحياة الدنيا التي من أجلها ينسلخ الذين يؤتيمهم الله آياته فينسلخون منها . ذلك اللهات القلق الذي لا يطمئن أبداً . والذي لا يتركه صاحبه سواء وعظته أم لم تعظه؛ فهو منطلق فيه أبداً!(((صورة الدوام طوال حياته - إمتداد الظل والزمن مع امتداد الكلمة - مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي)))

ثم نقف أمام هذا النبأ والتعبير القرآني عنه وقفة أخرى . .

إنه مثل للعلم الذي لا يعصم صاحبه أن تثقل به شهواته ورغباته فيخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلها وجاذبيتها؛(((فهو حديث عن ثقل الشهوات بصاحبها لا يناسبه إلا إبقاء الكلمة بكامل ثقلها "فهو المهتدي" لأن صورة المهتدي المقابلة لا بد أن تكون بصورة المبالغة في الهداية والتمسك بها مقابل المبالغة في الضلال والتمسك به)) . . .

ويقف السياق وقفة قصيرة للتعقيب على ذلك المثل الشاخص في ذلك المشهد ، للذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ، بأن الهدى هدى الله . فمن هداه الله فهو المهتدي حقاً؛ ومن أضله الله فهو الخاسر الذي لا يربح شيئاً :

{ من يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضل فأولئك هم الخاسرون } . . . ((وهنا نلاحظ الأهمية القصوى على (التركيز) على (هداية الله) في هذا الجو الذي يحدث منه الفتنة العظمى . من آتاه الله علماً (كما يقال: إذا زل العالم زل بزله عالم). . .

وذلك كما جاء في الآية التالية في السياق: ﴿ ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ . ((ولاحظ هذه المبالغات في حال هذا

الضال لما يقابلة في المبالغة في هداية هذا المهتدي))) . . .

وهذا المثل .. التصويرى لهذا العالم الكافر (عن علم) ، لاحتاج إلى إقناع عقلى - فهو عالم بذلك - ولكنه يحتاج إلى (هداية الله) التى يركز عليها النص - بخلاف السياق فى الآيات التالية (المهتد).

(٢) ﴿قُلْ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبِكُمَا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَتُنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾ . هم هنا:

(١) (جاهلون) ولم يجادلوا عن علم كحال هذا العالم الذى آتاه الله العلم الظاهرى وأثُلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا..

(٢) فى آية الأعراف السابقة يضرب له مثل سفلى مهين (كالكلب) وصورة حسية معلومة: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ... ولذلك يضغط ربنا فى النص القرآنى على قراءة الكلمة (المهتدى) - مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي - .. وكأنه يستوقنا على هذه الكلمة طويلاً لنعلم وتؤكد أن الهداية ليست عن طريق العلم والتعلم ودراسة الكتب والتضلع بها ولكن لابد من هداية الله - فمن يهديه فهو المهتدي - ولايمل من طلب هدايته فهى الأهم الذى يجب الوقوف عليه - كما نفعل دائماً بأن نطلب من الله الهداية وأن يشبتنا عليها- .. وتالله لولا الله ما هتدينا.. وكما قال ربنا : ثم تاب الله عليهم ليتوبوا ..

ثم إن هذا الحرف الغير محذوف (المهتدى) يؤكد أيضاً على ثقل وخطورة هذا الحدث : فهو عالم أضله الله على علم وله فتنة كبيرة فى أنفس الناس.. مع ملاحظة خاتمة الآية:

﴿وَمَنْ يُضِلُّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٧٨) الأعراف.. بخلاف الآيتين الأخريتين - في الإسراء: ﴿وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧) ﴿وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾. الكهف.. ففي الأولى - الأعراف - شدة وصرامة وتأکید على الخسران المطلق ؛ والذي يعنى عدم الإهداء نهائياً وبأى وسيلة كانت ولو بالصدفة أو المحاولات المنفردة بذاته - ﴿وَمَنْ يُضِلُّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .. بخلاف من لم يجد له ولياً يرشده ؛ إذ ربما يتخيل الذهن أنه ربما يهتدى للطريق بنفسه - بدون مرشد - أو بالمحاولات ، مما يفتح باب التخيل للنجاة والإسترشاد حتى ولو بالصدفة ؛ وذلك كالفرق بين قولك أن فلان هلك وخسر .. وقولك أن فلان لا يجد من يده على الإنقاذ .. إذ - في الحالة الثانية - ربما ينقذ نفسه بنفسه أو عن طريق الصدفة ... بخلاف هذا الحكم النهائى والقاطع بكل أساليب التأکید (فأولئك) .. إشارة عليهم لتعيينهم .. (هم) تؤكد آخر (الْخَاسِرُونَ) بالألف واللام .. وكأنه لا خاسر هذا الخسران الكامل غيرهم ..

أضف إلى ذلك أن آية (الأعراف) تتحدث عن هداية ظاهرية .. وآية (الإسراء) هداية باطنية لأنهم جاهلون بحقيقة النبوة ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ و (الكهف) عن هداية باطنية يطلبونها من الله في قوله:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧) . ومع التركيز على أن قصتهم فيها الغموض وطلب

الهداية القلبية بعد هدايتهم الظاهرية (كما نقول عن كرامات الأولياء) وكما يقول الزمخشري: ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم ، فلطف بهم وأعانهم ، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنوية والاختصاص بالآية العظيمة ، (آيات الحماية لهم هذه الصورة في الكهف والتكريم لهم)

ويقول الرازى: ثم يبين تعالى أنه كما أن بقاءهم هذه المدة الطويلة مصوناً عن الموت والهلاك من تدبيراته ولطفه وكرمه ، فكذلك رجوعهم أولاً عن الكفر ورجبتهم في الإيمان كان بإعانة الله ولطفه فقال : { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ } مثل أصحاب الكهف : { وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } كدقيانوس الكافر وأصحابه ، .
وعلى هذا نرى :

(١) أن آية الأعراف فيها صورة هذا المجرم الذى أضله الله (على علم) وثقل هذا المعنى مع ثقل هذه الكلمة (المهتدى) بالياء

(٢) آية الأعراف ضربت له مثلاً دنيوياً.

(٣) آية الأعراف تؤكد على الخسران المطلق والمؤكد ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ويقابلها التأكيد على الهداية الكاملة (المهتدى).

بخلاف آية الإسراء والكهف: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾،، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

(٤) آية الكهف تركز على الهداية القلبية والأحداث الغيبية.

(٥) وفي النهاية جو الظهور والإعلان والتمثيل - في الأعراف - يناسبه إظهار الحرف (المهتدى)، وجو المحادلة مع جاهلين بالحجة والدليل لإثبات (الوحي)، وجو الغموض والغيبية في الإسراء والكهف يناسبه (حذف حرف الياء - "المهتد")

ونكتفى بهذه الإشارات والدلائل لهذا الإعجاز الواضح في رسم الكلمة، ونقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.. وأنا واثق أن هناك علماء ومتدبرين سيفتح الله عليهم بأسرار لم يصل إليها علمنا القاصر.

ونعود لتكملة حديث د: مطعنى الذى قطعناه حيث يقول:

كما وردت كلمة "عباد" مضافة إلى ضمير اسم الجلالة "الياء". في بعضها نرى "الياء" مثبتة (عبيادي) وفي بعضها نرى "الياء" محذوفاً. ولا بد لهذا من دواع اقتضته في حالتي الإثبات والحذف، وهذا يتضح بعد ذكر الأمثلة إثباتاً وحذفاً.

أولاً: أمثلة الإثبات:

في سورة العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦)﴾
وسورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾

ثانياً: أمثلة الحذف:

في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠١﴾﴾

وسورة الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَمَنبَرٌ

عِبَادٍ ﴿١٠٢﴾﴾

وسورة الزخرف: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

الأمثلة التي حذف فيها قالوا فيها إن الحذف فيها رمز إلى معنى لطيف أو معان لطيفة لا معنى واحد أبرزها ما يأتي:

✽ إنه خطاب غير مباشر لعباد الله لأنه خطاب من الله لرسوله الكريم مأمور فيه بأن يبلغه لعباد الله.

✽ إنه خطاب غيبي بالنسبة للعباد ظاهر بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

✽ إن حذف "الياء" فيه دلالة على قرب هؤلاء العباد بأعمالهم من الله عز وجل ، والمقام يقوى هذا المعنى ، فمثلا ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾. نجد المنادى "عباد" موصوفين بوصف الإيمان وزيادة الترغيب في تقوى الله.

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧)﴾ ، وإن لم يكن منادى فقد أمر الله رسوله أن يبشّرهم وهذا تكريم عظيم. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

المقام في هذه الآيات يقوى معنى أن الحذف فيه دلالة على قرب هؤلاء "العباد" من الله عز وجل. وهذه المعاني لا تراحم بينها ؛ بل يجوز أن تكون هي كلها مرموزا إليها بحذف "الياء".

وبعض العلماء يقول إن سبب الحذف فيها أنها خطاب للرسول ، ولكن هذا الرأي مدفوع لأن قوله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله). الخطاب فيه للرسول وليس خطابا مباشرا للعباد، بدليل قوله في صدر الآية "قل" فإن "الياء" لم يُحذف من كلمة "عباد".

فلو كانت العلة هي مخاطبة الرسول لوجب حذف "الياء" ، ومن قال بهذا الرأي قال: ما كان خطابا للعباد بتوسيط الرسول يقول الله له: "قل" يطرد فيه حذف "الياء" وما كان خطابا للعباد بدون توسيط الرسول بـ"قل" ثبت فيه "الياء".

وهذا- كما تقدم- غير مُسلم على إطلاقه فقد تقدم دفعه بآية "الزمر" (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) لذلك وجب البحث عن علة أخرى لإثبات "الياء" وهي- فيما نرى:

- أن إثبات "الياء" له توجيهان:

الأول: أن الإثبات هو الأصل وما جاء على الأصل فلا يُسأل عنه.

الثاني: أن سبب إثبات "الياء" رمز إلى بُعد المنادى "عبادي" عن الله عز وجل لقصور في علاقتهم به .

والسبب ظاهر جدا في المثالين اللذين ورد فيهما إثبات "الياء" وهما: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) فهم عباد مسرفون على أنفسهم بالمعاصي ، هذا من شأنه أن يبعدهم عن ألطاف الله ورحمته. ثم: في سورة العنكبوت ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) .. فتذكيرهم بسعة أرض الله عز وجل وأمرهم بتخصيصه بالعبادة فيه إلماح إلى نوع تقصير منهم أمام الله عز وجل.

ومما يدفع الرأي الذي أشرنا إليه من قبل أن كلمة "عباد" جاءت محذوفة "الياء" دون أن يكون في المقام توسط للرسول صلى الله عليه وسلم في خطاهم بـ"قل" وذلك قوله تعالى: (يا عباد لا خوف عليكم اليوم). فقد حذف "الياء" في الخطاب المباشر الذي خلا من توسط النبي- عليه الصلاة والسلام- وحذفه هنا رمز إلى قربهم من تكرم الله لهم .

❁ ((مطلوب الإشارة إلى القراءات في آية الزخرف .. حيث أنها قرئت بالإثبات والحذف لتعطي المعنيين، وسنذكره في استعراض رأى الإمام الزركشى)))
وصفوة القول في هذا ما يأتي:

إن حذف "الياء" من كلمة "عباد" المضاف إلى ضمير اسم الجلالة لا يخضع لقاعدة واحدة ؛ وهي كونها خطابا غير مباشر لهم كما تقدم. بل منها ما يسلم توجيهه على هذه القاعدة ومنها ما لا يسلم كما تقدم. كما أن مجئ "الياء" مثنيا وإن كان هو "الأصل" ليس لأنه خطاب مباشر لهم ، بل له فوق كونه أصلا اعتبارات دقيقة أشرنا إليها آنفا.

❁❁ وهنا نقف على ((رأى الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي)) ليزداد الإمتاع والإشباع الروحي والعقلي مع رسم الكلمة في القرآن وعلاقة ذلك بباقي أنواع الإعجاز البلاغي وغيره.. وقد أشرنا من قبل أن هناك نوعاً من الإعجاز هو ما نسميه بإعجاز الفهم وتنوع واتساع مدارك العلماء فيه وتذوقهم لحلاوته .. حيث يقول:

وقد يكون ذكر الياء وحذفها لغرض آخر قريب مما مر وهو أن يكون ما فيه الياء أوسع وأشمل مما حذفته منه الياء، وذلك نحو ما ورد من ذكر ياء التكلم وحذفها من كلمة (عباد) و (عبادي). فما ذكرت فيه الياء أوسع وأشمل مما حذفته منه. فكان طول البناء إشارة إلى سعة المجموعة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣) الزمر.

فالعباد هنا قاعدة عريضة واسعة فالذين أسرفوا على أنفسهم هم الاكثرون. قال تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) يوسف... وقال: ﴿ وَإِن تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ لِّمِ الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (١١٦) الانعام. وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (١٣) سبا فذكر الياء.

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) البقرة.

فالعباد هنا أكثر، وهم عموم العباد، فهم اذا سألوه، فهو قريب منهم يجيب داعيهم، فذكر الياء.

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ (٥٣) الاسراء. وهو طلب من عموم عباد الله لم تقيد بقيد، وانما هي مطلقة فذكر الياء.

وقوله: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا نَرْجِعُونَ ﴾ (٥٧) العنكبوت.

والمؤمنون أيضا طبقة واسعة، إذ هم لم يقيدوا بغير الإيمان.

وقد تقول: ولكنه قال في مكان آخر: الزمر ﴿ قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿

والحق أن الفرق بينهما واضح من وجوه منها:

١- أنه قال في آية الزمر: (قال يعباد الذين امنوا اتقوا ربكم) فخصص الذين آمنوا بطلب التقوى، فضيق دائرة المؤمنين، وذلك أن عموم المؤمنين أكثر من المتقين، في حين أنه لم يقيدهم بغير الإيمان في العنكبوت فهم طبقة أوسع.

٢- طلب في آية الزمر من المؤمنين التقوى، وطلب في آية العنكبوت العبادة، والعبادة أوسع من دائرة التقوى، وبهذا اتسعت الصفة في آية العنكبوت، وشملت جماعة أكبر. فالتقوى أقل ممن يقومون بالعبادات على العموم، فليس كل من يقوم بالعبادة متقيا.

٣- ومما حسن إظهار الياء في (عبادي) في العنكبوت قوله تعالى: (يعبادي الذين آمنوا إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) فأضاف الارض الى الياء (أرضي). فالأرض أرضه والعباد عباده، فأظهر ضمير التكلم في الوطنيين في المسكن والساكن (عبادي).

في حين لم يضيفها الى الياء في آية الزمر، وانما قال: (وارض الله واسعة).

وهنا أمر آخر، وهو أنه لا يحسن إضافة الأرض الى ياء المتكلم في الزمر، لأنه قال: (قل يا عباد) فلو قال: (وأرضي واسعة) لأوهم ذلك أن الأرض أرض المبلغ - أي أرض الرسول، - فيكون المعنى: قل لهم: إن أرضي واسعة، فهذا يجتمل أن تكون الأرض لله،

وأن تكون للرسول, فلما قال: (وأرض الله واسعة) رفع هذا الاحتمال بخلاف ما في آية العنكبوت, فإنه قال فيها: (يا عبادى), ولم يقل: (قل يا عبادى).

إضافة الأرض إلى باء المتكلم فى العنكبوت أنسب, وإضافتها إلى الله فى آية الزمر أنسب. والأرض مما يصح أن تضاف إلى الله وإلى غيره, فتقول: أرض فلان, وأرض الله. قال تعالى: ﴿وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ .. (٢٧)﴾ الاحزاب.

١- ثم إن سعة الأرض مؤكدة فى آية العنكبوت دون آية الزمر, فقد قال تعالى: (إن أرضى وسعة) فوسع مجموعة العباد مناسبة لهذه السعة, فى حين قال فى آية الزمر: (وأرض الله وسعة) من دون نو كيد.

٢- قال فى آية الزمر: (إنما يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب). وقال فى آية العنكبوت: (كل نفس ذائقة الموت ثم إلنا ترجعون). والصابرين قليل ليسوا كثيرا؛ فهم جزء من يذوقون الموت الذين ذكرهم فى قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت.....), فهذه تشمل كل عباد الله بخلاف آية الزمر. فلما توسعت دائرة العباد فى العنكبوت, قال: (يعبادى) بالياء, فأظهر الضمير. ولما قلل العباد فى الزمر حذف الضمير.

٣- ذكر ضمير المتكلم مع العبادة مرتين فى العنكبوت فقال: (فإى فاعبدون). فالضمير الأول هو: (إى) والثانى: (الياء) المحذوفة من (اعبدون). فى حين قال فى الزمر: (اتقوا ربكم) من دون ذكر الضمير المتكلم, فلم يقل: (فاتقون) ولا (وإى فاتقون). فناسب ذلك إبراز الضمير مع العباد فى آية العنكبوت دون الزمر.

٤- قال فى العنكبوت: (إلنا ترجعون) فذكر مرجع الخلق إليه, بذكر ضمير المتكلمين فى (إلنا), فناسب إبراز ضمير المتكلم مع العباد, فإن عباده يرجعون إليه.

٥- قال فى آية الزمر: (إنما يوفى الصبرون أجرهم بغير حساب) وهذا الجزء ليس متسعا اتساع ما قال فى العنكبوت وهو: (إلنا ترجعون) فليس كل العباد يوفون أجرهم بغير حساب, ولكنهم كلهم يرجعون إليه, فأتسعت الدائرة فى العنكبوت فزاد الياء.

٦- ثم إن ضمائر المتكلم فى آية العنكبوت أكثر مما فى آية الزمر. فليس فى آية الزمر غير ضمير محذوف, دلت عليه الكسرة فى قوله: (ياعباد). فى حين أن فى آية العنكبوت خمسة ضمائر للمتكلم والمتكلم المعظم نفسه, وهى ضمير المتكلم فى (عبادى) والضمير فى (أرضى) والضمير (إى) والضمير الذى دلت عليه الكسرة فى (فاعبدون) والضمير المعظم نفسه فى (إلنا). فحسن إبراز الضمير فى آية العنكبوت دون آية الزمر.

٧- ثم إن لفظ العموم (كل) في العنكبوت مما حسن إبراز الضمير، لأنه يدل على العموم والشمول إذ اتسعت به دائرة العباد اتساعاً شاملاً، حيث لم يستثن أحداً منهم بخلاف ما في العنكبوت.

٨- إن سورة الزمر تكاد تكون مبنية على ضمير الغيبة، وعلى الالتفات من المتكلم إلى الغيبة بخلاف سورة العنكبوت، فإنها مبنية على ذكر النفس. فإنه بعد أن قال في الزمر: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) التفت إلى الغيبة فقال: (فاعبد الله مخلصاً له الدين) ولم يقل: (فاعبدني). ثم سار الكلام على هذا النسق فقال: (والذين اتخذوا من دونه أولياء إن الله يحكم بينهم ... إن الله لا يهدي من هو كذب كفار ٣). (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لا مصطفى ... هو الله الواحد القهار. خلق السموات والأرض ... ويكور الليل ... وسخر الشمس والقمر ... ألا هو العزيز الغفر. خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ٤-٦) (ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لکم ... ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم ٧). (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَّهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) .. (٨) فقال: (دعا ربه) ولم يقل: (دعانا) كما قال في موطن آخر ثم انظر إلى التناسب اللطيف بين قوله: (دعا ربه) وقوله (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ .. (١٠) الزمر. يذكر الرب وهكذا يسير النسق.

بل إنه حتى في قوله ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٥٣) التفت من المتكلم إلى الغيبة فقال: ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣) . ولم يقل لا تنقظوا من رحمتي إلى أغفر الذنوب جميعاً إنني أنا الغفور الرحيم .. وقال في الآية التي هي مدار البحث ((اتقوا ربكم .. وأرض الله واسعة) في حين قال في العنكبوت)) إن أرضي واسعة فأيسى فاعبدون) فبنى الكلام في الزمر على الغيبة، وبنى الكلام في العنكبوت على المتكلم وإظهار النفس.

إن سياق سورة العنكبوت مبنية على المتكلم كما ذكرت. فقد قال: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (٣) (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا (٤) .. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا .. فَأَجْتَنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّبِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً

لِّلْعَالَمِينَ (١٥). وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ... الخ. ويستمر إلى أن يقول: ﴿أُولَئِكَ يَكْفُهُمْ
 أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ... (٥١).... يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً
 فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا.. (٥٨)
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ.. (٦٦) أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا.. (٦٧) وختم السورة
 بقوله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾

فأنت ترى أن جو السورة وسياق الآيات في الزمر مبنى على الغيبة، في حين أن السياق
 مبنى على التكلم، فناسب ذكر ضمير المتكلم وإبرازه في العنكبوت دون الزمر
 وقد تقول: ولم قال في الزمر (قل يا عباد الذين آمنوا) بذكر (قل)، ولم يقل مثل ذلك في
 العنكبوت، بل قال (يا عبادي الذين آمنوا) من دون (قل)
 والجواب: أن سياق الآيات في الزمر مبنى على التبليغ بخلاف ما في العنكبوت، فإنه مبنى
 على ذكر النفس.

فقد أمر بالتبليغ بقوله (قل) في الزمر أربع عشرة مرة فقال: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا (٨) و
 قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٩) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا .. (١٠) قُلْ إِنِّي
 أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ اللَّهَ اللَّهُ أَعْبُدُ
 مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) .. قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا (١٥) .. قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ .. قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتَكُمْ (٣٩)
 قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا .. (٤٤) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. (٤٦) .. قُلْ يَا عِبَادِيَ
 الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .. (٥٣) . قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا
 الْجَاهِلُونَ (٦٤)﴾

في حين لم يأمره بالتبليغ بقوله (قل) في العنكبوت إلا ثلاث مرات وهي قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا
 الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ .. (٥٠)﴾ وقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ .. (٥٢) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ فناسب ذكر القول في الزمر دون العنكبوت.

❀❀❀ ومما حذف منه ضمير المتكلم قوله: الزمر ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
 فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧٨﴾﴾ فحذف الياء
 لأنهم قلة. فإنه قيد العباد بالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فهم لم يكتبوا بالحسن
 بل يتبعون الأحسن، ولاشك أن هؤلاء قلة. ثم ذكر أن هؤلاء هم الذين هداهم الله، وأنهم
 أولوا الأبواب. فحذف الياء لقلة المذكورين نسبيًا

هذا إضافة إلى فواصل الآبي، فإن هذه الآية تقع ضمن مجموعة من الآيات خواتمها تنتهي بنحو هذه الفاصلة وذلك نحو ﴿ وَأَوْلَيْكَ هُمْ أَوْلُو الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمَيْعَادَ (٢٠) ﴾ وغيرها فحسن حذف الياء من كل وجه، والله أعلم. ونعود لنناقش آراء العلماء - قديماً وحديثاً - متمثلة في نقل الأستاذ الدكتور المطعني لهم - أكرمهم الله -.

نقص الياء (= حذف الياء)

نعالج في هذه المقالة مواضع لحذف "الياء" في الأسماء يدل الحذف فيها على معان غير التي تقدمت ، وصور ومواضع هذا الحذف كثيرة ، و"الياء" المحذوف فيها قد يكون مضافاً إليه وقد يكون أصلاً من أصول الكلمة المحذوف هو منها. وبعض الكلمات التي اطردها الحذف تكررت كثيراً ، وبعضها قل تكراره وبعضها لم يتكرر.

ولنبداً بأكثرها تكراراً ، و"الياء" المحذوف فيها إسم مضاف إليه ، ومن ذلك كلمة "رب" إذا أضيفت إلى ضمير المتكلم المفرد. سواء كان مذكراً في المعنى أو كان مؤنثاً.

الأمثلة:

سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا .. (١٢٦) ﴾
 و آل عمران : ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي . (٣٥) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) ، : فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ... ٣٦ : قَالَ رَبِّ آتِنِي غُلَامًا .. ﴾ و الأعراف : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) ﴾
 و إبراهيم ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) ﴾ و يوسف : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي .. (١٠١) ﴾ . و الأنبياء ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) ﴾ و المؤمنون : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) ﴾ و طه : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) ﴾

(٤٠) و الحجر : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) و النمل : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ و الفرقان : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) ﴾
 و الزحرف : ﴿ وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

هذه خمسة عشر موضعا وردت فيها كلمة "رب" محذوفة "الياء" المضاف إليه، وتركيز النظر والتأمل فيها يسفر عن الخصائص النظامية والبيانية الآتية:

- إن كلمة "رب" فيها جاءت منادى.
- إنها جاءت مضافة إلى "ياء" المتكلم المفرد مذكرا ومؤنثا والغالب هو التذكير.
- محذوف منها حرف النداء "الياء".
- إن موضعين منها ذكر فيهما حرف النداء "الياء".

- إنها مستعملة في الدعاء إلا نادرا.

- إنها- أعنى كلمة رب- المراد منها "الله" عز وجل.

والذى يدخل معنا فى أصل موضوعنا من هذه الدراسة هو حذف "الياء" المضافة إلى كلمة "رب" المدلول عليه بالكسرة تحت "الباء" ، لأن هذا التصرف يعتبر "خصوصية" من "خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف" ، أما فى الرسم الإملائى الحديث فيثبت حرف الياء هكذا "ربى" ولا يحذف ، فإذا حذف فهو مقتبس من رسم المصحف. أما حذف "ياء" النداء فلا يعد من "خصوصيات الرسم العثمانى". وإنما له دواعى بلاغية سنشير إليها إن شاء الله تعميما للفائدة.

مع ملاحظة أن فى القرآن مواضع أخرى كثيرة حذف فيها "الياء" المضاف إليه أثرنا الاكتفاء بما ذكرناه عنها توخيا للإيجاز. أما السر الذى رمز إليه بحذف "الياء" المضاف إليه فى المواضع المذكورة قبلا وفى المواضع التى لم نذكرها فهو: التخفيف والتيسير لأن كلمة "رب" تستعمل كثيرا فى حياة المسلم فى الدعاء وفى غير الدعاء. ولما كان كل حذف لابد أن يكون فى الكلام دليل يدل عليه كانت الكسرة تحت "الباء" هى الدليل على "الياء" المحذوف ؛ لأن الكسرة من فصيلة "الياء" فى النطق. وقد تقدم مرات أن من قواعدهم فى الحذف الرمز إلى أن المحذوف منه أمر غيبى ، وهذا وارد هنا لأن "رب" من حقائق الإيمان الغيبية أو ما يطلق عليه فى الفكر الفلسفى "ما وراء الطبيعة".

ولهذا ولذاك فإن "الياء" حذف من كلمة "رب" فى القرآن الكريم إذا كانت منادى مضافا إلى ضمير المتكلم المفرد فى جميع مواضع ورودها فى الذكر الحكيم.

أما حذف "ياء" النداء معه - حيث لم يذكر إلا فى موضعين سيأتى الحديث عنهما- فله معنيان متلازمان:

الأول: الرمز إلى أن المنادى (الذات العلية) قريب من الداعى (المنادى) ، وأداة النداء "الياء" ينادى به البعيد ، والله ليس بعيدا كما قال هو عز وجل فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ ﴾ (١٨٦)

الثاني: هو التخفيف والتيسير لأن قوله تعالى: (رب اغفر) أخف في الأداء من: ياربى .
 أما الموضعان اللذان ذُكر فيهما "ياء" النداء وهما: وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا
 هذا القرآن مهجورا). (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) فإن هاتين الآيتين تحكيان
 قول صاحب الرسالة (عليه السلام)، والموضعان واردان في مقام الشكوى من قومه. ففي آية
 الفرقان يشكو عليه السلام قومه إلى ربه لهجرهم القرآن. وفي آية الزخرف يشكوهم إلى
 ربه لإعراضهم عن الإيمان مع حرصه الشديد على إيمانهم وحب الخير لهم.

ومقام الشكوى مقام إطناب لا مقام إيجاز كما هو معروف بلاغة. ولا يفهم من ذكر
 "ياء" النداء هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استشعر بعد ربه عنه - حاش لله - وإنما
 استشعر بعده هو عن ربه متوهما أن تقصير ما في مجال الدعوة حدث كان نتيجته هجر
 قومه للقرآن وإعراضهم عن الإيمان ؛ لذلك ناداه نداء المنادى البعيد عن المنادى القريب .
 وليس هذا الشعور ببعيد عن الذين يخشون ربهم كل الخشية ورسولنا الكريم إمام المتقين
 الذين قال الله فيهم: في سورة المؤمنون : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَلَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٦٠)

ولم يذكر في غير هذين الموضعين حرف النداء "ياء" في القرآن الكريم ، لا في "رب"
 المضاف إلى ضمير المتكلم المفرد وقد مرت بعض شواهده ، ولا في المضاف إلى ضمير
 الجمع المتكلم ومن شواهد ما يأتي:

في سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
 عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ .. ﴾ (٢٨٦) و آل عمران ﴿ رَبَّنَا لَا تُرْغِ
 قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) و ربنا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٩) و المائة: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا
 أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ . ﴾ (١١٤) .

ونقف هنا لنضيف: الملاحظة الثانية هي في رسم كلمة

عبادي

(١) ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) العنكبوت.. دعوة
 للعبادة (وليس التقوى ... لم يناديهم بنداء التقوى، كما قال في آية أخرى: يَعْبَادِ الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ. والتقوى هي الخوف من الجليل و. والخوف يستدعي السرعة بخلاف
 الأيمن.

وفي الآية أيضاً إمهال وتأني عليه ليعبد الله وينتقل من بلد ضيق عليه فيها إلى أرض واسعة وهذا يحتاج إلى وقت وتأني. ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾. فلا مجال لحذف الياء التي تحذف في حال السرعة المطلوبة في تنفيذ الأمر .

(٢) ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ .. وهنا أيضاً دعوة لمراجعة النفس و(لاتقنطوا) ليس فيها ملمح السرعة التي تستدعي الحذف من الكلمة- على منهج القرآن المتكرر-.

(٣) ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩)﴾ .. كل كلمة عبادة كتبت بالألف ماعدا هذه الآية ، مع ملاحظة حرف الظرفية (في) إذا دخل على الكلمة (في أمثلة أخرى شبيهة) وكأنه يحدث تجويفاً ترسمه الصورة كما يرسمه حرف الظرفية.. وملاحظة أن عبادة هنا هم عبادة الصالحين في الجنة.. وليس العباد في الدنيا.. بخلاف كلمة عبادة في باقي القرآن فهم العباد في الدنيا... ولذلك سنجد قراءتين أو رسمين لآية الزخرف على اعتبار الحديث عنهم في الدنيا أو الحديث عنهم في الآخرة (يا عباد لاخوف عليكم.....)

(٤) الزمر ﴿قُلْ يِعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠٦﴾﴾ .. هنا النداء على المؤمنين بتقوى الله (الخوف منه والفرار من المعصية).. والنداء في الدنيا.

(٥) الزمر ﴿هُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ وَيَعْبَادِ فَاَتَّقُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ .. هُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ وَيَعْبَادِ فَاَتَّقُونَ ﴿١٠٧﴾

هنا السياق عاصف وسريع وتخويف لهم (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ فَاَتَّقُونَ)

(٦) الزخرف ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾﴾ يِعْبَادِ لَا خَوْفٌ

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾. والآية قبلها: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وملاحظة أن النص { المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون } يعني : يوم القيامة ثم وصفهم فقال : { الذين ءَامَنُوا بآياتنا وكانوا مسلمين }

يعني : مخلصين بالتوحيد . قوله تعالى : { } يعني : تكرمون وتعمون .. - إذن هي ترسم موقفين لهم أحدهما في الدنيا ، والثاني في الآخرة ، ويكاد يتداخل الموقفان هكذا: الذين

ءَامَنُوا بِبَيِّنَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (دنيا) ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تـُحْبَرُونَ (آخرة).
 .. مع ملاحظة أن هذه الآية لها رسمين وهو يناسب الحالين - حال الدنيا والآخرة - كما
 هو واضح في سياق الآيات -

ومع ملاحظة أن حذف الألف من حرف النداء (يا) لقربه سبحانه من عباده المؤمنين ولا
 يحجبه عنهم شيء، والمتحدث والمنادى هو الله ..

ولكن الأمر يختلف في حال نداء الخلق لله فإنه يكون أحياناً بحرف النداء (يارب) ..
 وأحياناً بدون حرف النداء (رب) .. حسب إحساس العبد أو مقامه مع ربه هكذا:

١- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٢٠﴾﴾ لفرغان

ويقول الإمام البقاعي: .. وعبر بأداة البعد (يا) هضماً لنفسه مبالغة في التضرع.

٢- ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾﴾ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الزخرف.

وقد لاحظ الإمام البقاعي نغمة الإنكسار في دعاء النبي (ﷺ) حيث قال: والحال أن
 قيله كذا في شكائهم ، أفيظنون أنا لا نصره وقد أرسلناه : { وقيله } الذي صار في
 ملازمته وعدم انفكاكه حالاً من الأحوال ، الدال على وجه "قيله" (وانكسار نفسه بما
 دلت عليه كسرة المصدر وياؤه المجانسة لها ، والتعبير بقوله : { يا رب } دال على
 ذلك بما تفيد « يا » الدالة على بعد) ، أو تقديره ، والرب الدال على الإحسان
 والعطف والشفقة والتدبير والسيادة الاختصاص والولاية ، (وذلك على غير العادة في
 دعاء المقربين ، فإنها جارية في القرآن بإسقاط أداة النداء) ، ولما كان الإرسال إليهم -
 والمرسل قادر - مقتضياً لإيمانهم ، أكد ما ظهر له من حالهم بقوله زيادة في التحسر
 وإشارة إلى أن تأخير أمرهم يدل على أن إيمانهم مطموح فيه : { إن هؤلاء } لم يصفهم
 إلى نفسه بأن يقول : قومي ، ونحو ذلك من العبارات ولا سماهم باسم قبيلتهم لما ساءه
 من حالهم ، وأتى بهاء المنبهة قبل اسم على غير عادة الأصل إشارة إلى أن استشعر من
 نفسه بعداً استصغاراً لها واحتقاراً { قوم } أي أقوياء على الباطل { لا يؤمنون } أي لا
 يتجدد منهم هذا الفعل .

{ فاصفح عنهم } أي اعف عمن أعرض منهم صفحاً فلا تلتفت إليهم بغير التبليغ { وقل }
 أي لهم : { سلام } أي شأني الآن متاركتم بسلامتكم مني وسلامتي منكم { فسوف

يعلمون { بوعدا لا خلف فيه ، فهذا ظاهره تهديد كبير. (وأرى أن في نبرة الحديث فيها الشكوى والشعور بطول المعاناة من قومه ناسبها وضع أداة النداء بطولها).

الخلاصة: نلاحظ في الآيتين أنها بث شكوى من النبي (ﷺ) إلى ربه والتطويل في بث شكواه لربه - كما يفعل المهوم - حزنا على قومه - بمد الصوت في النداء - وربما نسميها ألف التنفيس واستصغارا لنفسه وإحساسه بأنه ربما يكون عدم إيمانهم به تقصيرا منه في دعوتهم - وهو الرءوف الرحيم - فاستخدم حرف النداء كاملا (يا) رب.. بخلاف الحال في الآيات التالية: ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ.. ففيها قوة وليس طول معاناة... رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.. وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ.﴾ . وهكذا باقى النداءات في القرآن.



ونعود للدكتور: مطعنى حيث يقول:

ومن الكلمات التي لازمها حذف "الياء" إذا كانت منادى مضافا إلى ضمير المفرد المتكلم كلمة "قوم" فهي دائما في القرآن "يا قوم" محذوفة "الياء" مدلولا عليه بالكسرة تحت "الميم". ومن أمثلتها الآيات الآتية:

سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ .. (٥٤)﴾

وسورة الأنعام: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ .. (١٣٥)﴾

وسورة الأعراف: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ .. (٥٩)﴾

وسورة يونس: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا (٨٤)﴾

وسورة هود: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي .. (٢٨)﴾

وسورة النمل: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ .. (٤٦)﴾

وسورة غافر: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)﴾

وسورة يس: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)﴾

وسورة الصف: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذَوْنِي .. (٥)﴾

وسورة نوح: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢)﴾

هذا قليل من كثير من مجئ كلمة "قوم" مضافة إلى ضمير المفرد المتكلم محذوف منها "الياء" المضاف إليه. ولم يأت هذا الحذف اعتباطا خاليا من الدلالة على معنى بل له معنى من أجله كان حذف "الياء" كما هو الشأن في حذف "الياء" من كلمة "رب" التي تقدم الحديث عنها. بيد أن المعنى المرموز إليه بحذف "ياء" "رب" يختلف عنه المعنى المرموز إليه بحذف

"ياء" - "قوم" . المعنى الرموز إليه بالحذف في "قوم" هو الدلالة على أن المتكلم منفصل عن المخاطب من جهة وممتزج فيه من جهة أخرى. هو ممتزج بالمخاطبين عن طريق اضافتهم إلى ضميره، لأن من يضيف "قوم" إلى ضميره دل على أنه واحد منهم وإلا لما صحت الإضافة. أما انفصاله عنهم باعتبارها مخاطبا لهم وهم يسمعون خطابه فقد رمز للدلالة على هذا المعنى بحذف "الياء" الذي هو كناية عن المتكلم.

ولسائل أن يقول: ما الفائدة من الإيماء إلى أن المنادى قومه منفصل عنهم؟ وهل هذه الإشارة يترتب عليها كبير معنى؟

والإجابة على هذا السؤال نوجزها فيما يأتي:

ليس المراد الإشارة اللطيفة إلى الانفصال الحسى بين القوم وبين من يناديهم بـ"يا قوم" بل المراد فيما نفهم هو الإشارة إلى تفاوت الرتبة بين المنادى والمنادى لأن المنادى رائد قومه يخاطبهم خطاب الرائد الرشيد، وهذا يتضح من النظر في مضامين النداءات الآتية:

- فقول موسى عليه السلام: (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا): يناديهم موسى مناداة الناصح الأمين فيذكرهم بخطئهم الذي وقعوا فيه ويدعوهم إلى التوبة إلى الله ، وفي هذا تمايز بين الرتبتين: رتبة موسى وهو رسول الله المبعوث هاديا إلى بني إسرائيل، ورتبة قومه الوالغين في الآثام والمعاصي. فجاء حذف "الياء" من "يا قوم" مشعرا بأن موسى عليه السلام بريئا مما وقع فيه قومه فرتبته فوق رتبتهم ولم يكن شريكا لهم في معاصيهم.

❁ ((وربما يكون مشهد السرعة في المرور على اللفظ بدون ياء (يا قومي) ودون الوقوف عليه تشير إلى ذلك المعنى ، وذلك يتضح بمحاولة النطق لكلمة (يا قومي) كاملة - التي تشعر بالتوكيد على هذه الرابطة وأهميتها وثقلها عنده- وربما يكون حذف الياء المعنى نقوله كثيراً ، وهو أنه يريد المعنى على خلاف الواقع؛ أى هم قومه في الصورة وليسوا على الحقيقة لأنهم كافرون وهو مؤمن ، وهذا هو الذى نقوله في صورة الجواز التى تستدعى حذف الحرف))

وقول مؤمن (يا قوم اتبعوا المرسلين) دل حذف "الياء" على رفعة رتبة هذا المؤمن؛ إذ هو مؤمن بالرسول متبع لهم وقومه كافرون بالرسول عاصون لهم ، فهو من هذه الجهة منفصل عنهم وإن كانوا قومه فهو واحد منهم وخيط في نسيجهم باعتبارهم قومه ومنفصل عنهم معنى لأنه مهتد وهم ضالون.

- وقول نوح لقومه: (يقوم إني لكم نذير مبين) مخبر لهم بأنه رسول الله إليهم يخاطبهم خطاب العالم لغير العالم فجاء حذف "الياء" في "ياقوم" ليدل على انفصاله عنهم من حيث العقيدة والعمل وإن كان واحدا منهم لأنهم قومه.

- وقول مؤمن آل فرعون لقومه: في سورة غافر: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)﴾ .. فيه تحذير لهم من الركون إلى الحياة الدنيا ويرغبهم في الحياة الآخرة ، فهو ناصح لهم يعلم ما لا يعلمون ويعمل ما لا يعملون. ومن أجل هذه الفروق بينه وبين قومه حذف "الياء" ليدل هذا الحذف على انفصاله عنهم عقيدة وسلوكا وإن كان واحدا منهم لأنهم قومه.

وهكذا اتضح لنا أن حذف "الياء" المضاف إليه في "ياقوم" ليست دلالة الانفصال الحسي بل دلالة الانفصال "الرتبي" فرتبة المنادى فوق رتبة القوم الذين يناديهم. وهذا المعنى جدير بلفت الأذهان إليه فجاءت هذه "الخصوصية" وهي حذف "الياء" رمز له.

❁ (وأقول : أن هذا المعنى قريب مما نردده حولا المعنى الحقيقي للكلمة والمعنى المجازي)

وكذلك حذف "الياء" من كلمة "واد" في المواضع الآتية:

سورة طه: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)﴾ النمل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ .. (١٨)﴾ و القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ .. (٣٠)﴾ و النازعات: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)﴾ .

"السياء" المحذوف من "الواد" في الآيات الأربع ليست إسما ولا ضميرا وإنما هي أصل من أصول الكلمة ، وأسباب الحذف والأسرار اللطيفة التي كان من أجلها الحذف يختلف من موضع لآخر. ففي "الواد المقدس" حذف "الياء" للتنويه برفعة مكانة هذا "الواد" ولسرعة اجراء الوصف بالتقديس عليه.

وكذلك "الواد الأيمن" وقد وصفه الله بما يبين فضله وعلو مكانته. وقد رمز إلى هذا الفضل بحذف "الياء" ثم وصف الواد بالأيمن ثم البقعة المباركة.

أما آية النمل "واد النمل" فإن "الياء" حذف فيها من كلمة "واد" رمزا إلى معنى آخر مغاير لما للمعنى الذي تقدم في حذف "الياء" من "واد" في الآيات الثلاث الآتفة الذكر. ذلك المعنى هو خفاء الوادى وخفاء النمل المقيم فيه ، وقد تقدم أن حذفه في بعض الأفعال كان رمزا على معنى "الغيبة" في مثل: سورة القمر: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦)﴾

وهذا المعنى قد تحقق في "واد النمل" لأن سليمان عليه السلام وجنوده لم يكونوا يعرفون هذا الوادى وهم يبدأون السير فيه ، ولذلك قالت النملة: لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون). فنفت عنهم الشعور بالواد وبما فيه من النمل، والشعور هو أول درجات الاحساس.

❁ (وربما يكون واد النمل واد مجازياً لانعرفه ولا يعرفه مجتمع النمل على الحقيقة.. وربما يكون بمعنى مكان إجتماعهم)

وهكذا كان حذف "الياء" في الآيات الأربع رمزا على معنى لطيف وسر طريف. وحذف "الياء" من كلمة "الجوار" ثلاث مرات في القرآن الكريم. والأصل "الجواري" والمواضع الثلاثة التي حذف فيها "الياء" هي:

❁ في سورة الرحمن: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) ﴾ .
❁ سورة التكويد: ﴿ الْجَوَارِ الْكُنُسِ (١٦) ﴾ . * سورة الشورى: وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) ﴾ . { *الجواري } جمع جارية من الجري وهو المر السريع. وحذف "الياء" في سورتي الرحمن والشورى من كلمة "الجوار" له معنيان. أحدهما: الدلالة على توفير العناية بالحدث (الجرى).

والثاني: سرعة الجرى ويسره بتدبير الله عز وجل بدليل قوله تعالى: (وله الجوار) أى له هو لا لغيره ولو شاء لتوقفت عن الجرى بدليل قوله تعالى: في سورة الشورى: الآيتان ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) ﴾ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) ﴾ أَوْ يُوقِنَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) ﴾ وحذف "الياء" هو الذى أوماً إلى هذين المعنيين ،

أما توفير العناية بالحدث فله دليل آخر هو حذف الموصوف "السفن" وإقامة الوصف (الجوار) مقامه. وقد مر أن "الياء" قد رمز به إلى سرعة وقوع الحدث في مواضع تقدم الحديث عنها في بحثي الأفعال والأسماء الآتفة الذكر.

أما قوله تعالى: (الجوار الكنس) فإن حذف "الياء" مع رمزه إلى سرعة الجرى فإنه رمز كذلك إلى غيبية هذا الجرى وعلويته لأنه لا يدرك بالعين الباصرة وإن كان شأنه أن يدرك بها.

❁❁ ((وأرى - والله أعلم - أن الرسم القرآني يراعى البيان والتوضيح وإقامة الفروق في الكلمات التي تعطى معان مختلفة ربما يذهب وراءها الذهن والتخيل، وهنا يكون مثالنا في كلمة "الجوار" التي من حقها أن تكتب "الجواري" بالياء ، ولكن لأن الذهن ربما يذهب

إلى تخيل معنى قريب ومعلوم لديه وهو "الجوارى" جمع الجارية وهي "البت الجارية" المتزينة والراقصة في مشيتها وهيئتها ، - ولأن النص من الله الحكيم يقصد كلا المعنيين معاً - المعنى القريب والمعنى البعيد : أى السفن السريعة والتي مثل الجارية في زيتها وهيئتها وجمالها وتبخرها- ولكن لأن المعنى المراد هو غير المتبادر إلى الذهن - أى أنه لا يقصد معنى الجارية (البت) على الحقيقة - فخالفت الرسم المعتاد وكتبت بدون ألف رمزاً لهذا المعنى وإعطاء المعنيين معاً (السرعة والجمال) -

والقرآن في بيانه الرائع دائماً يضع أحياناً الكلمة التي توحى بالمعنيين: المعنى القريب والبعيد - المعنى المشترك- فهو في مثالنا هذا يريد أن يقول أن له السفن الجارية (الجوارى) في البحر كالأعلام .. وهو يقصد السريعة.. ولكنه لم يقل (وله السفن السريعة) لأنه يريد منا أن يذهب بنا الخيال لتخيل عنصر ومشهد الجمال في هذه السفن وهي تسير وتمخر عباب البحر برشاقة وخفة وعلو وسمو وتراقص مع الأمواج (وكل هذه المشاهد يتخيلها المرء من مجرد ذكر "الجوارى" ويستعير منها هذه المعاني ؛ فحذف الحرف للوقوف والتأمل على سر هذه المخالفة في الرسم ثم السؤال بعدها لماذا يجعله يخرج بهذه المعاني .

وهذا المعنى الذى أشرنا إليه هو المقصود أيضاً في قوله تعالى في تكلمة الآية (وله الجوار المنشئات في البحر (كالأعلام).. ونحن جميعاً نعلم المعنى القريب لنا من مجرد ذكر كلمة (الأعلام) وهي جمع (علم) - كعلم البلدان المزين بالألوان والمرفوع عالياً - ولكن المعنى البعيد الذى يقول به المفسرون هو (الجبال) ، والله عز وجل لم يقل (الجبال) لأنه يريد المعنيين معاً ويريد أن يذهب الذهن إليهما في تأمل القوة والعظمة في الجبال وتأمل جمال الارتفاع في الأعلام التي نعلمها .. وهذا نجد كثيراً كما في قوله تعالى (الجمل في سم الخياط) ويقصد به (الجبل الغليظ) ويقصد أيضاً أن يذهب النظر إلى صورة الجمل - الحيوان الذى نعلمه- ..

وشرر كالقصر ويقصد به المعنيين: الجبل الغليظ والقصر بعظمته وضخامته التي نعلمها أيضاً.. وهكذا الكثير في النص القرآني والمعنى المشترك للفظ.

.. وهكذا الليل إذا يسر.. حذف الياء لهذا الغرض وللفت الذهن إلى أنه ليس بسريان المشى المعتاد (وإن كان فيه معنى الغموض والمعنى المعنوي أيضاً)

وكذلك حذف "الياء" من ثلاث كلمات في سورة واحدة على الترتيب الآتي:

﴿ سُوْرَةُ الرَّعْدِ: ﴿ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١﴾ ﴾

﴿ سورة الرعد . ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿١﴾ ۞ . وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٢﴾ ۞ ﴾

والحذف في الكلمات الثلاث مرموز به إلى معان دقيقة كما تقدم ففي "المتعال" "الياء" المحذوف أصل من أصول الكلمة وأصله "واو" لأنه اسم فاعل من مادة علا يعلو ولهذا الحذف معان لا معنى واحد ؛ فإذا أجريناه على القواعد التي ذكرت من قبل في المقالات السابقة صح أن يكون المعنى .

- أن الحذف دل على أن الله تعالى الكلى الذى لا يشركه فيه أحد .

﴿ (وهذا يؤيد رأينا السابق أن الحذف للترفة بين تعالى البشرى وتعالى رب العالمين ، وأنه ليس بالتعالى بصورته المادية المعلومة لدينا) ﴾

- وأن يكون الحذف دالا على غيبية هذا تعالى الذى لا يحيط به أحد غير الله عز وجل .

والمعنى الثالث هو تحقيق التناسق الصوتى فى التلاوة لأن فاصلة الآيات التى يقبأها يصح الوقوف عليها بالسكون وكذلك الآيات التى بعدها هكذا .

"متاع - أناب - مئآت - متاب - الميعاد - عقاب - هاد - واق" .

ولو كان "الياء" قد ذكر ولم يحذف ما تحقق هذا التناسق والانسجام .

وقد تقدم مرات أن بناء فواصل الآيات بما يحقق هذا التناسق فيه خدمة للمعنى واللفظ ولا يقتصر على خدمة التناسق الصوتى لأنه يجذب سمع السامعين ، وفى هذا إقبال للقلوب على سماع كتاب الله ، وهذا الإقبال يمكن القلوب والعقول من تدبر معانى القرآن وتذوقها فيدعوهم ذلك للإيمان به والعمل بمقتضاه وإقامة الحجة لله على من أعرض أو كفر .

﴿ (ونضيف أن ذلك متمشياً مع لغة العرب واستعمالاتهم فى الحذف كما يقول الشاعر واصفاً سرعة إجابة السامع للأمر قلت له قف قال قاف .. أى وقفت) ﴾

وأن العرب قد استغنت فى بعض كلامها عن الواو بالضممة، وعن الياء بالكسرة، وعن الألف بالفتحة ، فيكتفون بالأصل عن الفرع لدلالة الأصل على فرعه كقول الشاعر

فلولا أن الأطباء كان حولى وكان مع الأطباء الأشاة

فحذفت الواو من (كانوا) وأبقيت الضمة تدل عليها .. وهكذا كلمة (الأطبا)

وقال الآخر: (دار لسلمى إذه من هواكا) فحذفت الياء من (هى) بعد أن سكنت لدلالة الكسرة عليها .. وقال الآخر:

فييناه يشرى رحله قائل... لمن جمل رخو الملاط نجيب

يريد فيينا هو (فيناه) فأسكن الواو ثم حذفها لدلالة الضمة عليها

ويقولون : أن في الدار . فيحذفون الألف من (أنا) في الدار لدلالة الفتحة عليها
فلو أنك في يوم الرخا سألتني فراقك لم أبخل وأنت صديق.. وهكذا الكثير.
وهذا المعنى ينطبق على حذف "الياء" في الآيتين الأخريين: (وإليه متاب) . (فكيف كان
عقاب) . بيد أن (فكيف كان عقاب) فيه رمز آخر لمعنى لطيف ؛ لأن المراد بـ "عقاب"
المعنى الذهني لما أنزله الله من الجزاء الوفاق لمكذبي الرسل وليس المراد الحدث نفسه
أعني العذاب الذي وقع بهم فعلا ، لأن ذلك العذاب وقع في زمن قديم فلا يمكن مشاهدته
ساعة نزل القرآن فهو مثل (فكيف كان نكير) الذي سبق الحديث عنه في العدد الماضي .
وإن شئت فقل: إن حذف "الياء" في كلمتي: عقاب ونكير يرمز إلى غيبية وقوع الحدث
وبقاء ذكره ، ثم ارجع إلى المصحف وانظر فيما تقدم وما تأخر عن هاتين الكلمتين نجد
أسهما في تحقيق الإيقاع الصوتي الآسر للسمع والقلوب .

وحذف في سورة إبراهيم عليه السلام في كلمتين اسميتين في قوله تعالى: ﴿ وَنَسَكْنَتُكُمْ
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ (١٤) ﴾

وقد تقدم بيانا في المقالة السابقة. وفي قوله تعالى: في سورة إبراهيم: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ
الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ وحذف "الياء" من كلمة "دعاء" رمز إلى رغبته
الشديدة عليه السلام في سرعة استجابة الله له مع تحقيق التناسق في الإيقاع الصوتي . وقد
أشرنا من قبل أن فيه رعاية للمعنى واللفظ معا .

وفي سورة "سبا" ورد حذف "الياء" في قوله في ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ
وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ
(١٣) ﴾ فقد حذف "الياء" من كلمة "الجواب" جمع جابية وهي البئر الواسعة أو الحياض
التي يجمع فيها الماء .

وقد وجه حذف "الياء" الإمام ابن عطية بأنه للتخفيف والإيجاز .
ومعروف أن المفسرين لا يكثرثون كثيرا بخصوصيات الرسم القرآني كعلماء علوم القرآن ،
والذي ترجمه في توجيه حذف "الياء" هنا - بناء على ما ذكره أهل العلم من قواعد في
توجيه هذه الخصوصيات - أن الحذف رمز إلى الفرق بين المشبه (الجفان) وبين المشبه به
"الجواب" . فالجفان مهما كانت ضيقة أو واسعة فهي بارزة فوق الأرض يراها الناظر إليها
من بعيد . أما الجواب فهي أماكن غائرة في الأرض أيا كان المراد منها - آبار أو حياض -
فهى تختفى أمام النظر ولا يدركها إلا من وقف على حافتها .

وقد تقدم كثيرا أنهم فسروا حذف "الياء" بوجوه منها الرمز إلى الخفاء أو الغيبية. وإعمال هذه القاعدة في "الجواب" ليس بمستنكر؛ وهذا التوجيه أحرى بالقبول من توجيه الإمام ابن عطية لأنه لو كان هو المراد لاطرد فيما مائل هذه الكلمة "الجواب" في القرآن كله. وأحرى بالقبول من توجيه الإمام الزركشي لأنه مضطرب العبارة وغير مفهوم.

❁ وقوله تعالى: في سورة ص: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ (١٤)﴾

بعد قوله تعالى كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) فيحتمل حذف الياء من كلمة عقاب وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد من (عقاب) ما حل بمؤلاء الأقسام من عذاب الله العاجل لما كذبوا الرسل، ويكون الحذف رمزاً إلى المعنى الذهني المتعلق بهذا العذاب الذي وقع فل نزول العذاب.

الثاني: أن يكون المراد من (عقاب) ما أعد الله لهؤلاء المكذبين من الخلود في النار في الآخرة، ويكون الحذف حيثد رمزاً إلى غيبية ذلك العقاب لأنه سيكون في الآجلة. فإن كان الأول فالغيبية فيه نسبية، مراعى فيها الزمن الذي وقع فيه ذلك العقاب، والزمن الذي نزل فيه القرآن مخبراً بوقوعه.. وإن كان الثاني كانت الغيبية فيه حقيقية من كل وجه؛ لأنه سيقع بعد الإخبار عنه

❁❁ ومثل هذه الآية في احتمال الوجهين في حذف الياء قوله تعالى ﴿كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِقَابٌ (١٤)﴾. أى ما حل بهم في الدنيا، أو ما أعدده الله لهم في الآخرة

ونختم مبحث حذف الياء بهذه الآية*** ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

وحذف الياء هنا يرمز إلى معنى لطيف، هو الإشارة إلى كمال الدين المضاف إلى ضمير المتكلم محمد (ﷺ).. هذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فهو تحقيق التناسق الصوتي، لأن فواصل السورة كلها مبتناه على أحرف النون- الدال- الميم الصالحة للوقوف عليها بالسكون هكذا (الكافرون - تعبدون - أعبد - عبدتم - أعبد دين) ولو كان قد ذكر الياء في دين هكذا (ديني) لاختل الوقف عليه بالسكون

أما دلالة حذف الياء على كمال الدين فقد تقدمت نظائر منها: (وما أنت بمهاد العمى).. وتقدم أن حذف الياء من (هاد) كان رمزاً إلى الهداية العظمى التي لا يملكها إلا الله عز وجل.

❀❀ وأنا أرى - والله أعلم - أن السورة - قل يا أيها الكافرون - مبنية على الإيجاز والإيجاز بناسبه الحذف - وهذا معلوم في كلام العرب أيضاً.

❀❀ وأرى أنه لم يقل (ولى ديني) وقال (ولى دين) ليشير إلى معنى هام : هو عدم خصوصية هذا الدين به وحده بل هو دين الأنبياء جميعهم ، وليس بدعاً من عنده أو تأليفاً منه - بخلاف دينكم الذى اخترعتموه أنتم (دينكم) - وهذه السورة حاسمة قاطعة (مثل : قل هو الله أحد..).

❀❀ وأرى أيضاً أن تكبير كلمة (ولى دين) - بدون إضافة - يعنى التعظيم والتفخيم لهذا الدين ، وربما أشار إلى ذلك بعض المفسرين مثل الإمام البقاعى حيث يقول: (ولى دين) من واسع روضة الإسلام إلى أعلى مقام : مقام الإيقان والإحسان.... ويقول أبو حيان: وقرأ سلام : ديني بياء وصلأ ووقفأ ، وحذفها القراء السبعة ، والله تعالى أعلم .

راجع ابن القيم وتفسيره القيم

❀❀ وأرى أن هذا المعنى ممكن أن ينطبق على كلمة (عقاب) بالتنكير - إن كُـلِّـلَ إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ (١٤) - لتحويل وتفخيم وتنوع هذا العقاب

زيادة الألف ونقصه: (١)

سورة النمل ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْحِقَنَّه أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾﴾.

وسورة يوسف ﴿يٰٓيٰٓجِبْرِئِ اٰذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَاٰخِيهِ وَلَا تَاٰيَسُوْا مِنْ رُّوْحِ اَللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يٰٓاَيْسُ مِنْ رُّوْحِ اَللّٰهِ اِلَّا اَلْقَوْمُ الْكٰفِرُوْنَ ﴿٤٧﴾﴾

وسورة الكهف ﴿وَلَا تَقُوْلُنَّ لِيْشَآءِ اِنِّىْ فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا ﴿١٢﴾﴾ وسورة الفجر ﴿وَجَآئِءٌ يُّوْمِيْدٍ يُّجْهَنَّمُ يُّوْمِيْدٍ يَّتَذَكَّرُ الْاِنْسٰنُ وَاِنِّىْ لَهٗ لَلذِّكْرِى ﴿٢٢﴾﴾ وسورة

الزمر ﴿وَأَشْرَقَتِ الْاَرْضُ بِنُوْرِ رَبِّهَا وُوضِعَ الْكِتٰبُ وَجَآئِءٌ بِالنَّبِيِّنَّ وَالشَّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ﴿٣٧﴾﴾ وسورة الأحزاب ﴿وَقَالُوْا رَبَّنَا اِنَّا اَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرٰآءَنَا فَاَصْلُوْنَا السَّبِيْلًا ﴿٦٧﴾﴾

الألف. زيادة ونقصا. من خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف وزيادته ونقصه لم يكن عبثا بل له لطائف وأسرار ذات معانٍ لم تكن تتصور إلا من وراء زيادة الألف أو نقصه. وها نحن أولا نعرض بعض المواضع من الذكر الحكيم التى يزداد فيها "الألف" أو

ينقص ، بادئين بمواضع الزيادة وأسرارها لقلّة الكلام على الزيادة بالنسبة للنقص وذلك كله على غرار ما سلكناه في مباحث زيادة وحذف "الواو" وزيادة وحذف "الياء" في الأعداد السابقة.

زيادة "الألف":

من أظهر زيادة "الألف" الألف المزيّدة في قوله تعالى: في سورة النمل: ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنَحِبَنَّهُ أَوْ لِيََأْبِيَّ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ ومن النظر في "لأذنبه" تجده فعلا مضارعاً مسبوقة بـ"لام" القسم أو التوكيد وبعد "اللام" الهمزة التي هي علامة الفعل المضارع وبعد هذه الهمزة تجد ألفا بين الهمزة وبين أحرف الفعل وأولها حرف "الذال" أنطق الفعل في صورته "المضارعية"، ولاحظ كيفية "النطق" "الألف" بعد الهمزة غير منطوقة، وأن وجوده وعدمه سواء في النطق. إذن هو حرف زائد لأنه يكتب ولا ينطق، وهو بهذا الاعتبار خصوصية من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

أما المعنى اللطيف الذي من أجله كانت زيادة "الألف" فهو كما قال العلماء: الإشارة إلى أن ما بعد "الألف" وهو "الذبح" الذي توعد به سليمان عليه السلام الهدهد أقسى وأشد إيلاما مما قبلها وهو "التعذيب" الذي تضمنه الفعل "لأعذبه" (١).

﴿وإن كنت أرى رأياً إضافياً لرأى أستاذنا المطعني - الذي هو رأى الإمام الزركشى والمراكشى - والرأى - والله أعلم - هو:

أن هذا اللفظ أَوْ لَأَذْنَحِبَنَّهُ يحوى أمرين:

أولهما التوكيد "بنون التوكيد" في الكلمة وهذا التوكيد - كما هو معلوم - لا يجتمع معه حرف النفي (لا) - إذ لا يؤكد المنفي بنون التأكيد - معنى ذلك أن (لا) لا بد أن تكون مزيدة للتأكيد - كما قال علماؤنا - . أو

ثانياً: تكون هذه الكلمة تجتمع توكيداً على الذبح (بنون التوكيد) - وربما كان هذا الأمر في لحظة الانفعال الأولى من سليمان عليه السلام - ثم بعد ذلك ظهر تردده في هذا التوكيد وتراجع عنه - رحمة منه - فكانت الإشارة بعد ذلك بنفي الذبح ووضع حرف (لا) .. وبذلك تكون هذه الكلمة تحوى التوكيد على الذبح والنفي له في آن واحد، وكأنها تقوم بتصوير الحالة النفسية لسليمان عليه السلام مع الهدهد بتردده بين العاطفتين (القسوة الطارئة، والشفقة الحانية بعدها) - والله أعلم -.

وهذا المعنى قريب مما ألح إليه الطاهر بن عاشور - وإن كان لا يعطى رأيه في معنى الرسم على هذه الصورة سوى أنه تدرج في إتقان الكتابة !!!- حيث قال: وكتب في المصاحف {لَأَذْمُحَنَّهُ} بلام ألف بعدها ألف حتى يخال أنه نفي الذبح وليس بنفي ، لأن وقوع نون التوكيد بعده يؤذن بأنه إثبات إذ لا يؤكد المنفي بنون التأكيد إلا نادراً في كلامهم ، ولأن سياق الكلام والمعنى حارس من تطرق احتمال النفي ((إي: لا)) ، ولأن اعتماد المسلمين في ألفاظ القرآن على الحفظ لا على الكتابة ، فإن المصاحف ما كتبت حتى قرىء القرآن نيفاً وعشرين سنة . وقد تقع في رسم المصحف أشياء مخالفة لما اصطح عليه الراسمون من بعد لأن الرسم لم يكن على تمام الضبط في صدر الإسلام وكان اعتماد العرب على حوافظهم.

وهنا أضيف لكلام الإمام الطاهر حديثاً آخر للإمام الزركشى يقرب ويؤكد لنا هذا المعنى في آيات شبيهة مثال قوله في الجزء الثالث ص ٧٣:

فإن قوله "فبما رحمة من الله لنت لهم" - ولم يقل : فبرحمة من الله - يقول عن زيادة "ما" في قوله "فبما": معناه "ما" لنت لهم "إلا" رحمة ، وهذا قد جمع "نفيًا" و"إثباتًا" ، ثم اختصر على هذه الإرادة وجمع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي "ما".

وكذا قوله تعالى (إنما الله إله واحد) فإنما ها هنا حرف تحقيق وتمحيق ، "إن" هنا للتحقيق و"ما" للتمحيق فاختصر ، والأصل: ((ما الله اثنان فصاعدا وأنه إله واحد)) فانظر هناك تنبيهات: الأول أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقحم تأكيداً نحو (رحمة من الله لنت لهم) و(إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة) و(كمثله شيء)

ومعنى كونه زائداً أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد، فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة .

وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاط كل الحرف لا يخل بالمعنى فقال: هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، قال ومثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعاً ، فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكروه وقال أجد نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصائها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه ((وأضيف توضيحاً للقارئ العزيز يفهم به قول الإمام الزركشى وهو سؤال

أطلب من القارئ أن يقوم بالإجابة عليه بنفسه هو : حاول أن تقرأ الآية (فيما رحمة من الله لنت لهم) المرة الأولى بزيادة (ما) في (فيما) ، والمرة الثانية بدون هذه الإضافة ، وتأمل وراجع التأمل في كيف سيكون الفرق في استقبال الجهاز السمعي والوجداني لهما ، مع ملاحظة قول بعض العلماء : أن وضع (ما) هذه يستدعي الوقوف فترة على الحرف للتأمل في الكلام الذي سيأتي بعدها وللتأني في استقباله لأهميته ولكونه أمر عجيب ؛ وهو هنا الرحمة العالية من الحبيب محمد (ﷺ) على ما يفعلونه به من الأذى الشديد له .

مع ملاحظة أن هناك اختلافاً في زيادة الألف بعد (لاأوضاعوا ، لأتوها ، لإلى الله) هل تزداد أم لا؟

ويقول الإمام الطاهر بعد عرض آراء باقى المفسرين: لا أراهم كتبوا ألفاً بعد اللام ألف - فيما كتبوها فيه - (أى في الكلمات المذكورة مثلها ومثل لأذبحنه .. لأوضاعوا) إلا لمقصود ، ولعلهم أرادوا التنبيه على أن الهمزة مفتوحة وعلى أنها همزة قطع ... (وربما يقصد أنها لو كتبت بدون الألف الزائدة - يقرأها القارئ بالضم (لأضعوا) أو همزة وصل (لاضعوا).. وهذا الرأى يحتاج إلى تحقيق ومراجعة - والله أعلم بمراده - . وكل هذه المعانى والتأويلات التى ذكرناها لاتغنى عن الرأى بأن إيضاح الفتنة بين الصفوف أثقل وأخطر وأعظم أثراً وتخريباً - كما نعلم من تأثير ذلك الذى هو أقوى من عدم خروجهم مع النبى وتخلفهم عنه .. والفتنة أشد من القتل - وأكبر من القتل ...

وأرى أن هذا التصوير - لخطورة الفتنة والوقوع فيها - هو الذى استدعى زيادة الألف في قوله: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴾ (٥١) ويقول الزمخشري: يريد : ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة - التى يفرون خوفاً منها - مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانتالت على أهاليهم وأولادهم ناهيين سابين ، ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة { الفتنة } أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين ، لأتوها : لجأوها وفعلوها . وقرئ : «لآتوها» لأعطوها.. (وأنا أقول - إضافة إلى المعنيين (جاءوها ، وأعطوها) وإعطاء معنى القراءتين لمعنيين ، وخطورة الفتنة التى هى الردة والرجعة - أقول: كأننى - والله العظيم - استشعر مد الصوت بكلمة «لآتوها»، وفيها نبرة العتاب التى تطيل وتمد الصوت بالنعى عليهم والتحسر عليهم، وأنا أؤكد أن هذا الرسم يحكى صوت وانفعال المتحدث - ولعله هنا النبى محمد (ﷺ) أو غيره من التالين للآية - أو الكاتب الذى يصور المشهد ودخائل النفوس برسم الكلمة.. ولعلك

تراجع رسم كلمة (أنت ولي) تجديء البطة بعد الياء (ولى ي) لإظهار المد الملائم لحال المتكلم.. وراجع ما قلناه في "عليين"، "الإيمين"

ومن هذا يعلم أن الرسمين جائزان - في هذه الكلمات المختلف في زيادة الألف فيهم (لأوضحوا، لأتوها، لإلى الله) -، ولا مانع من الرسمين معاً - كما نفعل في القراءات المختلفة - ولكني أقول وأردد بكل ثقة ما قاله بعض العلماء:

الخلاف في رسم المصحف ليس خلافاً حقيقياً بل هو خلاف صوري، أما الخلاف الواقع في وجوه القراءات السبع فهو خلاف حقيقي ((الظاهر الكردي)). ولعلني أذكر بعض خلاقات القراءات - التي يقرها علماء القراءات في علم القراءات - وينكرون رسم المصحف الذي أجمع عليه اثني عشر ألف صحابي، ومن هذه الاختلافات:

(كانوا أشد منكم... قرئت (منهم)، ما عملت أيديهم.. قرئت: ما عملته أيديهم، (وسارعوا).. قرئت (وسارعوا).. ننشزها، ونشرها.. إلا صيحة واحدة قرئت (إلا زقية واحدة)،..... كالعهن المنفوش.. قرئت كالصوف المنفوش.. طلع منضود، طلع منضود)..... جاءت سكرة الموت بالحق.. قرئت (جاءت سكرة الحق بالموت)..... (إن الله هو الغني). (لقمان ٢٦).. قرئت: (إن الله الغني).. وهلم وتعال وأقبل... وقد تعدمت نقل هذه الأمثلة - وهي من الأمثلة التي ذكرها الإمام ابن قتيبة - الذي ينكر خصوصية الرسم العثماني ويجعله خطأ من الكاتب - وفي نفس الوقت يقر هذه الاختلافات في القراءات ويفسر بها - كباقي العلماء - حديث النبي (ﷺ): أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافية....

وملاحظة أخرى في قوله تعالى (لكننا هو الله ربى)

(وأقول أنه يتضح أن هناك قراءات - كما رأينا - ومنها (لكن هو الله... لكن أنا) فكان خير جمع للقراءتين - كما يرى القارىء - هو ما عليه الرسم (لكننا) - مع ملاحظة تعدد القراءات - . وهناك رأى آخر وهام جداً وهو متكرر كثيراً في الرسم القرآني - وهو: أنه زيدت الألف (لكننا) لزيادة تأكيد حديث القائل حيث يؤكد على أن الله ربه ولا يشرك به شيئاً فكانت زيادة الألف بجوار ضمير القائل (أنا) في (لكننا)، - وكما يقول الطاهر: وموقع الاستدراك مضادة ما بعد (لكن) لما قبلها، ولا سيما إذا كان الرجلان أخوين أو خليلين كما قيل فإنه قد يتوهم أن اعتقادهما سواء .

وأقول أنا مضيفاً: ويزداد التوكيد أيضاً توكيداً وإظهاراً برسم الكلمة بزيادة الألف.

وكلنا يعلم أن الموقف كان موقفاً إنفعالياً بين رجل مؤمن بالله - تعلق فيه نبرته هو فقط - ، والآخر يكفر بالله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه..). وهذا تراه أيضاً واضحاً في رسم كلمة (صاحبه) بالألف الفاصلة والظاهرة والمؤكدة - في قول المؤمن للكافر - **﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ (المؤمن) وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨).﴾** . ولك أن تتخيل كيف كانت نبرة الحديث (من المؤمن للكافر) وهو يقول له مستنكراً بشدة (أكفرت بالذي خلقك ..)..... وهذا بخلاف رسم كلمة (صاحبه) بدون ألف - التي نطق بها الكافر له - المترهل والنائم والغير منفعّل في حديثه والذي ليس له اهتمام أو انفعال لأن القضية لاتعنيه - فرسمت كلمة (صاحبه بدون هذه الألف) هكذا ((وَكَانَ لَهُ أَمْرٌ فَقَالَ لَصَاحِبِهِ (الكافر) وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ٣٤) فما أروع هذا التناسق والتناغم في رسم كلمة (صاحبه ..و.. لكننا) بالألف.. مصورة للمشهد بدواخل النفوس أروع تصوير.

ونعود للدكتور المطعني حيث يكمل:

❁ ومن الشواهد زيادة "الألف" في قوله تعالى: في سورة يوسف: **﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** - الهزمة ليست لها نبرة - الفعل يايئس تكرر في الآية الكريمة مرتين وفي كل مرة جاءت فيه زيادة "الألف" بعد "الياء" الأولى وقبل "الياء" الثانية وعلامة زيادة "الألف" أنه كُتِبَ ولم ينطق لأن الذي يظهر في النطق هو الياء أن متتابعين في النطق بلا فاصل أما في الرسم فإن حرف "الألف" فصل بينهما كما ترى ذلك واضحاً في رسم الفعلين.

أما من حيث المعنى فإن لحرف "الياء" المزيد سرا لطيفا نص عليه العلماء. وبيان ذلك أن "اليأس" مرحلة نفسية لا يكون حدوثها ابتداء بلا مقدمات وإنما يسبقها مرحلة أخرى، والعلاقة بين المرحلتين علاقة السبب بالمسبب أو علاقة المسبب بالسبب. اليأس لا يبد أن يسبقه رجاء وطول ترقب وانتظار.

ومع طول الترقب والانتظار لا بد من الصبر؛ والصبر من الأمور الشاقة على النفس وبخاصة إذا كان طويلاً. ومهما كان الأمر فإن الصبر أخف وقعا على النفس من "اليأس"؛ لأن الصبر يصاحبه أمل في الحصول على المطلوب، أما "اليأس" فهو قطع الرجاء مع خيبة الأمل. لذلك كانت زيادة "حرف الياء" إشارة إلى ثقل "اليأس" وشدة آثاره على النفوس. ومن شأن "اليأس" أن يدعو إلى توقف السعي والاستسلام إلى الأمر الواقع. فإذا عدنا إلى

قول يعقوب عليه السلام إلى بنيه (يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تأيسوا من روح الله إنه لا يائس من روح الله إلا القوم الكافرون). نجد هذا الرسول الكريم يريد أن يثبت بنيه على الصبر والسعى وحسن الظن في الله ونهاهم عن "الإياس" لأنه سوف يثبط همهم ويصيب حركتهم بالشلل التام. ومن أجل هذه "اللطيفة" كانت زيادة "الألف" رمزا للدلالة على هذا المعنى.

﴿﴾ (ونلاحظ أيضاً- إضافة لرأى الدكتور - تعدد القراءات في الكلمة والتي جعلت الرسم على هذه الصورة خير ممثل لذلك.. كما يقول الألوسى: وقرىء { *تأيسوا } . وقرأ الأعرج { *تئيسوا } بكسر التاء..... وهكذا أصبحت الهمزة حائرة فكتبت بدون نبرة مع وجود الألف بدون همزة في هذا المكان

ويقول البحر المحيط: وقرأ الجمهور : تياسوا ، وفرقة : تأيسوا . وقرأ الأعرج : تتسوا بكسر التاء . لا يائس .. استئيس . حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ (وراجع: فصل القراءات) وعودة للدكتور: مطعنى:

﴿﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ ﴿﴾ لاحظ رسم كلمة "شأى" تجده على غير المعهود في الرسم المصحفى ، فعلى كثرة ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم لم تأت فيها زيادة "الألف" بين "الشين" و"الياء" إلا في هذا الموضع، فلماذا جاء حرف "الألف" فيها هنا مع خلو كلمة "شئ" منه وقد وردت فيه مئات المرات؟

إن الإجابة على هذا السؤال توضح لنا المعنى المرموز إليه بهذه الزيادة والجواب هو: إن كلمة "شأى" في آية "الكهف" لها معنى يختلف اختلافاً يسيراً جداً مع معاني كلمة "شئ" بدون زيادة "الألف" الملحوظة في آية "الكهف" .

﴿﴾ وأقول: وربما لتصوير حالة وقول النبي محمد (ﷺ) مؤكداً للقوم على إخبارهم بهذا الشيء وخطورته - من علم الغيب - فزيدت الألف (لشأى) .. ونستأنس لذلك بما أشرفت إليه نفس الإمام البقاعى حيث يقول: { ولا تقولن لشئٍ } أي لأجل شيء من الأشياء التي يعزم عليها جليلها وحقيرها ، عزمتم على فعله : عزمًا صادقًا من غير تردد وإن كنت عند نفسك في غاية القدرة عليه : { إني فاعل ذلك } - والله أعلم- . أضف إلى ذلك أن الحديث فيه نبرة العتاب والترية للنبي (ﷺ) التي تستدعى الوقوف والتوكيد على الحرف .

وهذا المعنى الرموز إليه بزيادة "الألف" هو: أن كلمة "شأى" هي الوحيدة في القرآن التي تدل على أن "شأى" لا يكون موجودا حين اجراء الحديث عليه. والدليل على ذلك قوله تعالى: (إني فاعل ذلك غدا) يعنى أنه "شأى" سيفعل بعد زمن التكلم: غدا أو بعد غد. فالشئ الذى فى آية "الكهف" مقطوع بعدم وجود ساعة التكلم. أما فيما عدا آية "الكهف" فلم تخضع معانيها للقطع بعدم الوجود وهكذا انفرد معناها من بين أحوالها فى القرآن الكريم فانفرد رسمها الخطى تبعاً لانفراد معناها.

❖ إن هذه الخصوصية لى من أبرز وأدق تلك الخصوصيات القرآنية.

وكذلك زيادة حرف "الألف" فى كلمتين أخريين من كلمات القرآن الكريم. الأولى: فى سورة المائدة: (إني أريد أن **تَبُوءَ** بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩)). وفى سورة القصص: (وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ **تَبُوءَ** بِالْعَصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ .. (٧٦))

والكلمتان هما: "تبوء" **تَبُوءَ** والأصل قبل الزيادة "تبوء". والثانية: "لتبوء"، والمعنى الرموز إليه بزيادة "الألف" فى "تبوء" هو الإشارة إلى مضاعفة "الإثم" المشار إليه فى "إثمى وإثمك".

♣ (وأقول للفارسي: أرجوا من القارئ إعادة قراءة الحديث عن رسم كلمة (جزاؤا) فى آيات المائدة، ليرى التناسق العجيب بين رسم هاتين الكلمتين ("جزؤا" الظالمين، "تبوء" بإثمى وإثمك) فى سياق واحد يجتمع فيه تفخيم الجزاء "جزؤا" وتفخيم الرجوع بالإثم "تبوء" والمعنى الرموز إليه فى "لتبوء" ثقل مفاتيح الكنوز التى من الله بها على قارون ونقل ما فى الكنوز من خزائن المال.

فأنت ترى ماذا دلت عليه زيادة "الألف" فى هذين الفعلين وأن الزيادة لم ترد عبثاً بل لمعنى لطيف.

ومما جاءت زيادة "الألف" فيه قوله تعالى: فى سورة الفجر: (وَجَاءَ **يَوْمَئِذٍ** نَجْمٌ مَرْمَرٌ) (٢٣) والزيادة ظاهرة فى الفعل الماضى "جاء"، والأصل قبل الزيادة "جئ"، لأنه فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله. أما المعنى اللطيف الرموز إليه بهذه الزيادة فهو لفت الأدهان إلى أن هذا "الجئ" غير معهود لدى الناس لأنهم فى الدنيا لم يروا جهنم لا قارة ولا قادمة ولا ذاهبة. لكنهم — مؤمنين وغير مؤمنين — سيرونها "جائية" يوم القيامة. ❖ (ولها سبعون ألف زمام فى كل زمام سبعون ألف ملك، ولها شهيق وزفير، وتكاد تميز سن الغيظ.. و..).

ويضاف إلى هذا المعنى معنى آخر يفهم من السياق وهو تهويل وتفضيع هذا الجحى والترجيع منه. ومما يؤكد أن هذه الزيادة قصد منها هذا المعنى قوله تعالى: في سورة الزمر: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالْغَائِبِينَ وَالشُّهَدَاءُ ﴾ ﴿١١﴾ فهذا الجحى مثل الجحى الأول غير معهود لدى المخاطبين لأنهم لم يروا في الدنيا موكبا يسير فيه النبيون والشهداء قادمين في طريق واحد. (وأقول أيضاً: راعى مشهد التفخيم والتعظيم لهذا الموكب). فكانت الزيادة في الموضوعين رمزا على غرابة الجحى وتهويله في الأول ، وعلى غرابته وتعظيمه في الثاني.

﴿ ولنا تعقيب على ذلك أيضاً لما ورد من تعدد الرسم - كما روى الزركشي والداني وغيرهما - في قوله ﴿ وَجِئَ بِالْغَائِبِينَ ﴾ واتفاقهم على رسم جحى جهنم ﴿ وَجِئَ بِالْغَائِبِينَ ﴾ ؛ وهذا - كما سئى - من روائع البيان والإعجاز في رسم الكلمة في القرآن الكريم حيث أنهم جميعاً لم يروا جهنم في الدنيا ولم يروا جحيتها ، بخلاف رؤيتهم لجحى موكب الأنبياء الذي ربما يتشابه مع موكب كان لهم أو لبعضهم في الدنيا ولذلك رسم (جحى الأنبياء) على الرسمين.

وقد يزداد "الألف" في كلمات فواصل الآيات رمزا إلى معنى لا تدل عليه كلمة خاصة به في درج الآية ؛ ومن ذلك قوله تعالى: في سورة الأحزاب: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ﴿٦٧﴾ والأصل في الرسم قبل الزيادة: الرسول فجئى بالألف بعد "اللام" كما ترى. والمعنى الذي رمز إليه بهذه الزيادة هي شدة التحسر والندم لأنهم تمنوا طاعة الله وطاعة رسوله بعد فوات الأوان لأنهم قالوا هذا الكلام وهم في النار .

﴿ (ملحوظة: سنفرد عنواناً خاصاً بهذا الرسم (الرسول، والسبيلا) إن شاء الله) وشبهه هذه الزيادة في قوله تعالى: في سورة الأحزاب: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ﴿٦٧﴾ هذا الكلام صدر منهم عن طريق الشكوى والتفجع فزيدت "الألف" كاشفة عن الأسى الشديد الذي يعتمل في نفوسهم.

ومثل هاتين الآيتين أو قريبة منهما كلمة "سلاسلا" في قوله تعالى: في سورة الإنسان: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ ﴿٤﴾ . لأن كلمة "سلاسلا" ممنوع من الصرف فحقها أن تنصب بالفتحة بلا تنوين ؛ لكننا نراها في الرسم القرآني زيدت فيها الألف بعد اللام الأخيرة ، لكن هذه الألف غير منطوقة فهي زائدة في الخط غير زائدة من حيث

المعنى. لأن المقام مقام تهويل وتفطيع لما أعدّه الله للكافرين من آلات العذاب المهين؛ وهى السلاسل والأغلال والسعير وقد دُل على التهويل فيها بـ"التنكير"؛ لأن الكلمات الثلاث جاءت منكراً لا معرفة. واختصت كلمة: "سلاسلا" بالزيادة دلالة على التهويل لشأها وشدة إيذائها للكافرين تلك هى زيادة الألف فى آخرها.

وكذلك زيد حرف "الألف" بعد الميم فى "مائة ومائتين" فى قوله تعالى: فى سورة الأنفال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ.. (٦٥)﴾ أَلَّا نَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ.. (٦٦)﴾ والأصل أن تكتب "مئة" - "مئتين" بدون ألف، والمعنى الذى من أجله كانت هذه الزيادة هو رفع اللبس إذا كتبنا بدون "ألف" بين مئة وفتة ومئتين وفتتين، لأن الفرق بين مئة وفتة ومئتين وفتتين هو نقطة "الفاء"، وهذه النقطة قد تسقط فى الخط سهوا فجاءت زيادة "الألف" رافعة لهذا اللبس. لا يقال إن كتابة مائة ومائتين بزيادة "الألف" ليست من "خصوصيات الرسم القرآنى" لأنها شائعة كذلك فى الرسم الإملائى الحديث. لأننا نقول: إن الرسم الإملائى الحديث فيه اقتباسات كثيرة من خصوصيات الرسم القرآنى، وكتابة مائة ومائتين من هذه الاقتباسات وغيرها كثير مثل ذلك (هذا هذه، أولئك هؤلاء، الملاء).. الخ.

❖ وهنا أقف وقفة لأشير إلى رأى الإمام الزركشى الذى تركه د: المطعنى وهو:

ومثله زيادتها فى مائة لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبتين آحاد وعشرات (وهذا رأى يستحق الوقوف عليه وهو مقبول لمقارنته بفتة وفتتين)

ولم تزد فى فتة ولا فتتين ((لأن الفاء عليها نقطة فلا يحدث معها لبس ولا تنطق (منه) - كما يمكن أن يحدث مع مئة - والله أعلم))

ولاحظ قراءة وكتابة ﴿فَلَا تَسْتَلِنَ﴾ أن الهمزة بدون نبرة لأنها تقرأ (تسلى)

❖❖ وزيد "الألف" فى كلمة "قواريرا" مرتين فى قوله تعالى: فى سورة الإنسان: الآياتان ﴿وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥)﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)﴾. زيدت "الألف" لأن الأصل: "قوارير" والكلمة ممنوعة من الصرف وحقها النصب بالفتحة بدون تنوين مثل كلمة "سلاسلا" التى تقدمت. والمعنى المرموز إليه بزيادة "الألف" هو التنبيه على شدة بياض الأكواب. لذلك زيد "الألف" للفت الذهن إلى ذلك المعنى الذى يرف وراء تلك الزيادة.

كما وردت زيادة "الألف" فى كلمة "لؤلؤا" فى قوله تعالى: فى سورة فاطر: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣)﴾ والأصل قبل

زيادة "الألف": "لؤلؤ" ومثل هذه الآية، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ لَوْلُؤًا وَلباسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ من سورة الحج. (٢٣)

﴿ وأرجو من القارئ أن يراجع البحث الخاص عن تعدد القراءات أو الرسم لهذه الكلمة في باب (تعدد الرسم في المصاحف)

ومثله: في سورة يونس: ﴿هُنَالِكَ تَتْلَوْنَ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣٠)

وقوله تعالى: في سورة الروم: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْمُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩)

وقوله عز وجل: في سورة الرعد: ﴿يَمْخَرُوا اللَّهَ مَا يُشَاءُ وَيُثِبْتُمْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩)
وقوله جل شأنه: في سورة الزمر: ﴿وَيُخَوِّرُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩).

فالأفعال: ادعوا- يتلوا- تبلوا- يربوا- يمحو- يرجوا. زيد في آخرها "الألف" لأنه لا ينطق وليس من أصول الأفعال التي زيدت فيها. فهو- إذن- زائد في الخط غير زائد من حيث المعنى. لأنه رمز بزيادته للدلالة على تكثيف دلالات الفعل مقارنة بدلالة الاسم. (ملحوظة: سنفرد باباً خاصاً لهذه المفردات ص..)

ومحال أن تكون زيادته لغير معنى لأنه حينئذ يكون حشواً أو لغواً وكتاب الله العزيز ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) فصلت.

التطبيقات التي أجريتها على القاعدة الكلية في زيادة "الألف" في أواخر بعض الأفعال هي الأصل، وقد توسعوا في صور زيادتها في غير الفعل المضارع المسند إلى ضمير الفاعل المفرد، كما نقلوه من الفعل المعتل الآخر (الناقص) إلى غيره من الأفعال الصحيحة الأخر. فقد جاءت هذه الزيادة في الفعل الماضي كما في قوله تعالى: في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَائًا ضَيِّقًا مُّقْرَّبَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣) زيادة "الألف" تلحظها في الفعل "دعوا"، وهو وإن كان معتل الآخر بـ"الواو" فإنه فعل ماض لا مضارع.

ومثله في المضي والاعتلال قوله تعالى: في سورة الحج: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٥١) الفعل "سعوا" زيد فيه "الألف" بعد الواو وهو ماض معتل بـ"الياء" لأن مصدره "السعى" والواو هي واو الجماعة لأن الفعل غير مسند إلى ضمير المفرد، والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو المعنى نفسه الذي كنوا عنه بـ"ثقل الفعل" مقارنة بنجفة الاسم كما تقدم.

﴿ (ونقول: ويبقى (سعو) كتبت بدون ألف في "سبأ" تحتاج إلى تعليل؛ وكما سنرى أن عنصر الإمهال الدنيوى استدعى ابقاء الألف في الحج، وعنصر السرعة والغيبية - كعلم الغيب والساعة - استدعى حذف الألف في سبأ... ولعل هذا الملحظ يجده أيضاً في باقى الكلمات المشار إليها هنا مثل:

(١) ﴿ وَإِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا... ﴾. الفرقان. ومعلوم أنه دعاء طويل وممتد وصراخ لا ينتهى (ليس فيه عنصر السرعة)

(٢) ﴿ أَمِنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩) ﴾ .. وواضح هنا أنه قانت آتاء الليل - أى طوال الليل - يطيل في صلاته ، ويكرر، ويستمتع بطول المناجاة مع ربه ، وله رجاء عريض في رحمة (ربه) - وهذا الرجاء هو رجاء عظيم ومُفخَّم لأنه صادر من هذه النفس الوصوفة بالقنوت والعلم و(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).. فلكل ذلك كان إضافة الألف وتثقيل الكلمة لثقلها في الميزان والملحظ عدم السرعة المشاهد في ذلك. (مع ملاحظة أن (يرجوا) جميعها بالألف لأنها يأتى بعدها رحمة الله أو لقاء الله)

(٤) وهذا ما سنراه أيضاً في سورة الرعد: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) ﴾ .. فهو محو لا يحتاج إلى عجلة في ذلك فهو محو متعدد وكثير للأجال والأرزاق والمعاصى و..و. وغيره - كما تذكر كتب التفاسير في قوله: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ. وهو محو لكثير - كما ذكرنا من قبل من أقوال المفسرين والصحابة والتابعين - بخلاف آية الشورى التى تتحدث عن محو الباطل من على قلب النبي محمد (ﷺ) إذا وقع افتراضاً (فهو لا يحتاج إلى إبطاء ولو للحظة واحدة) ففيها ملحظ السرعة الذى يناسبه حذف الألف؛ كقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ [الأنبياء: ١٨] فقام بحذف الألف من (بجح) هكذا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) ﴾ . وكما يقول المفسرون ومنهم الزمخشرى: يعنى : لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ((وهذا المعنى يلاحظ فيه ملحظ السرعة))

ويكمل الزمخشرى رأياً آخر بأنه هو بشرى للنبي (ﷺ)، وهنا نضيف أن البشرى تحتاج إلى السرعة في زفها إلى صاحبها.

ويقول أيضاً: ويجوز أن يكون عدّة لرسول الله (ﷺ) - أى وعد له - بأنه يحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ، ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مردّ له من نصرتك عليهم ، إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم.

(٥) وكذلك قوله: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُوا .. ﴾ وهنا "ليربوا" وكما هو معلوم أن الربا هو إعطاء لمهلة زمنية ؛ معلوم أنها تطول . وفيها أيضاً طلب الزيادة في الكمية والعنصران يلائهما زيادة الألف مع هذه الزيادات - أى في الوقت والكم - .

(٦) أما آية يونس ﴿ فَكَلِمَى بِاللّهِ شَهِيدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (٢٩) هُنَالِكَ تَتْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوَا إِلَى اللّهِ مَوَّاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ . ﴾ (٣٠) فإنه بالرجوع إلى كتب التفاسير يتضح الآتي:

(١) ثقل هذا البلاء في هذا الموقف العصيب جداً - يوم القيامة - .

(٢) (ظهور) الخفاء من مستور أعمالهم والفضيحة على رعوس الأشهاد .

(٣) وفوق ذلك تروء المعبودون من دون الله منهم، وهذا واضح من أقوال المفسرين هكذا: يقول الزمخشري: **إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ..** وهم الملائكة والمسيح ومن عبده من دون الله من أولي العقل ، وقيل : الأصنام ينطقها الله عزّ وجلّ فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم .. وعن عاصم : نبلو كل نفس بالنون ((ونقف لنقول أنه على هذه القراءة تكون الواو واو الجمع ويزاد فيها الألف)).

(٤) وهنا نضيف رأياً رابعاً نستشفه من هذا الشرح وهو أن هذا الموقف يتم فيه مواجهة هذا الظالم لنفسه بكل (ما أسلفت نفسه) - كل الأعمال صغيرها وكبيرها - ويكون من الأنسب الإطالة معه زيادة في تحسيره وتبكيته (إضافة إلى أن اليوم طويل ومقداره خمسين ألف سنة) - ولعلنا تخيل مثلاً مقرباً لهذا في حياتنا الدنيا: حين يجرم أحداً جرماً ويوقفه القاضى ويقرر فيه ويعيد ويطيل الموقف معه عتاباً أو إيلاماً نفسياً له ، ونحن نعلم أن الجاني في هذا الموقف يتمنى عكس ذلك؛ فهو يتمنى أن يسرع في عرض هذه المشاهد وهو يجد أن عذابه هو في هذا التطويل ... فهذا هو مثال تقريبي لقوله (هُنَالِكَ تَتْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ).

مع ملاحظة أن الموقف مازال في موقف الحساب والمناقشة والأخذ والرد وعرض الأعمال في يوم كان مقدار خمسين ألف سنة.

(٥) ويزيد الإمام الألوسى رأياً آخر يعطينا سبباً خامساً لظهور الألف في كلمة (تبلوا) وهو: { هُنَالِكَ } أي في ذلك المقام الدحض والمكان الدهش وهو مقام الحشر .. وقرأ

حمزة . والكسائي { تَتْلُو } من التلاوة بمعنى القراءة ، والمراد قراءة صحف ما أسلفت ، وقيل : إن ذلك كناية عن ظهور الأعمال . وجوز أن يكون من التلو على معنى أن العمل يتجسم ويظهر فيتبعه صاحبه حتى يرد به الجنة أو النار أو هو تمثيل .

وعلى هذا القول من الإمام الألوسى - صاحب الإشرافات العظيمة- يتضح معانٍ أخرى هي :

(١) شدة هذا المقام وثقله (المقام الدحض والمكان الدهش)

(٢) القراءة الثانية وهي (تلاوة) أعماله وفيها ما فيها من مشهد البطء في التلاوة حتى إنه في هذا الموقف يتلعثم لسانه ولا يكاد يقرأ الكلمة مجتمعة ويردد فيها.

(٣) ثم المشهد الآخر وهو مشهد تجسيم الأعمال (على معنى أن العمل يتجسم ويظهر فيتبعه صاحبه حتى يرد به الجنة أو النار)..... وكفى هذه الآراء شاهداً على عظمة ودقة الكلمة في رسمها حين تُضاف إليها الألف أو تحذف منها.

ونعود - بعد هذه الوقفة منا - لنكمل حديث د: مطعني حيث يقول:

ومن أكثر ما توسعوا فيه في زيادة "الألف" خارج دائرة "القاعدة" ما يأتي:

* كل فعل مضارع صحيح الآخر كان أو معتل الآخر إذا دخل عليه ناصب أو جازم وهما الأمثلة: - سورة البقرة: .. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصْرُمُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٤) والشاهد: "تصوموا" وهو صحيح الآخر منصوب بـ"أن". وسورة الجن: ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) والشاهد "تدعوا" وهو معتل الآخر مجزوم بـ"لا" الناهية.

❖ كل فعل أمر مسند إلى "واو الجماعة" كقوله سبحانه: في سورة آل عمران: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا .. وَاذْكُرُوا﴾ (١٠٣) والشاهد "اعتصموا- اذكروا" وهما صحيحا الآخر. - في سورة الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ..﴾ (٩) والشاهد "اسعوا" وهو معتل الآخر.

❖ كل فعل ماضٍ أسند إلى "واو الجماعة" سواء كان معتلا أو صحيحا كقوله عز وجل: في سورة المائدة: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَاعْمُوا وَصُمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصُمُوا كَثِيرٌ مِمَّنْ﴾ (٧١) والشاهد: "عموا- صموا" وهما صحيحا الآخر.

وقوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ..﴾ (٢٠) والشاهد "مشوا- قاموا" الأول معتل الآخر والثاني صحيح الآخر. وأمثلة هذه الصور لا تكاد تحصى في كتاب الله عز وجل.

❖ ((وكننت أود أن يضيف د: مطعني كلمة- إلا ما استثنى- وهو ما سنراه في ملحقاتنا التي سنضيفها على الصفحات القادمة ولحكمة بالغة - كما سنرى في رسم كلمة (سعو) بألف وبدون ألف (مثلاً). وفيها ما قلناه وما يحتاج إلى تدبير شديد

موقف الرسم الإملائي الحديث

موقف الرسم الإملائي الحديث من هذه القاعدة مزدوج ، فهو لم يلتزم بها في شطرها الأول وهو زيادة "الألف" في الفعل المضارع المعتل الآخر إذا أسند إلى ضمير الفرد مثل: ادعوا- يحجوا- يرجوا- يتلوا. لأن "الألف" لا يزداد في الخط الإملائي الحديث بعد السواو في هذه الأفعال، وما جرى مجراها فعل: يغزو- ينمو- يزكو. أما في شطرها الثاني وهو زيادة "الألف" في المضارع المنصوب والمجزوم والأمر والماضي إذا أسندت إلى "واو الجماعة" فإن الخط الإملائي الحديث قد أخذ منهج الرسم العثماني للمصحف الشريف في كتابة هذه الأفعال قاصداً من زيادة "الألف" الفرق بين هذه الأفعال إذا أسندت إلى واو الجماعة وبين المعتل بالواو إذا أسندت إلى ضمير الفرد مثل: يدعوا للجمع ويدعو للمفرد.

وهاك الأمثلة: سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾. فالفعل "ادعوا" مضارع معتل الآخر بـ"الواو" (= ناقص) وقد أسند إلى ضمير المفرد المستتر الذي تقديره "أنا" وقد زيدت فيه "الألف" بعد الواو (= لام الفعل)، والأصل قبل الزيادة أن يرسم الفعل هكذا "أدعو" بدون ألف ، والألف حرف مزيد على أصول الكلمة (= ع واو) ، وقد رمز بهذه الزيادة إلى ثقل الفعل مقارنا بالإسم (وأقول: أن هذه الإضافة ليست لهذا الملحظ فقط - كما يقول أستاذنا المطعني - ولكنه لأسباب أخرى عظيمة سنبينها في خال التفرقة بين رسم الكلمتين بالألف وبدون ألف)، ويكمل: وقد تقدم أن المراد من (ثقل الفعل) دلالاته المتعددة التي هي الحدث، وهو هنا الدعوة ، والزمن وهو هنا المضارع ، والفاعل وهو هنا الضمير المستتر في الفعل وجوه وهو أنا.

﴿وهنا حتى يعيش معنا القاريء نزيد على كلام د: المطعني: أن هذا الموقف من يوسف - ادعوا - يشير إلى منهج الدعوة في سبيل الله ؛ وهو منهج يحتاج إلى (طول) النفس والصبر والوقت والتكرار والهدوء والمجادلة ... إضافة إلى (ثقل) الدعوة وأعبائها التي يجب أن يعلمها الداعي ... وهي فوق ذلك ثقيلة في ميزان الله- (ادعوا إلى الله) - فهذه الملاحظ لا تحتاج إلى سرعة وحذف للألف.

ومثله قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)﴾ يونس. ... ومثله فعل الجاحد: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَضُرُّهُ وَمَا لَّا نَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢)﴾ الحج . فهو عاكف على هذا الدعاء وهذه العبادة. ، ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣)﴾ ..

وأيضاً الشيطان يتمهل في دعوته ويستخدم كل الحيل ولا يعمل في ذلك: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ فاطر.

والإنسان عادة لا يميل ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .. (٨)﴾ الزمر.. فقد كان في الماضي يدعو (بالخير) لنفسه. فهو دعاء كان في إلحاح .

ولتوضيح هذه المعاني؛ قارن ذلك بآية الأسراء الآتية التي حذف منها الألف (يسدع). وهى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾ .. مع ملاحظة كلمة (عجولا) التي ترسم جو السرعة في هذا الموقف. وقارن ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)﴾ الأحقاف .. والتي يتضح فيها ملحظ الدعاء الملح والمتكرر ويظهر في الصورة مشهد غفلة أهتهم عنهم طوال هذه المدة (إلى يوم القيامة).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١)﴾ الإنشقاق .. ولك أن تتخيل طول الدعاء والاستغاثة وتكرار هذا الدعاء وهو يقول (يا ويلاه .. و ياغوثاه .. ويامصيتاه).

هذا بخلاف الآيات الأخرى التي تلاحظ فيها ملمح السرعة - وحذف منها الألف - كما في قوله :

(١) ﴿قَتَلُوا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرًا (٦)﴾ القمر ..

(٢) ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾ .. وواضح هنا أن الإنسان لا يدعو بالخير - كما في آية (٨) الزمر - حيث أن الإنسان يطيل في دعاء الخير ويكثر منه ولا يكون في لحظة تمور أو انفعال - ، أما هنا فإن هذا الإنسان يدعو بالشر - على نفسه أو أولاده أو .. - وهى لحظة سرعة وتمور يندم بعدها .. ولذلك يعقب ربنا بقوله: وكان الإنسان عجولا.

ويبقى الموقف الثالث في حذف الياء وهو:

(٣) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧)﴾ سَدَّغُ الزَّبَانِيَةِ (١٨) - زبانية جهنم لنصرة محمد (ﷺ) وأخذ هذا الكافر - في الدنيا أو في الآخرة - حسب أقوال المفسرين - وواضح هنا ملحظ السرعة الرهيب الذي ناسبه حذف الألف

يدعو --- يدع

وهكذا (ادعوا) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾. (ملحظ التحدى والإمهال لهم بالمدة الطويلة الكافية لهم لاختيار شركائهم الذين يتقون فيهم ، وهو جمع)

ولكن: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧) المؤمنون.. هنا يسبقها حرف جزم (وَمَنْ يَدْعُ.. أداة الشرط (من) ومثلها: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾. (فعل أمر مجزوم، وفيها ملحظ الشدة والحدة والانفعال).

ومثله قوله تعالى: في سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَهُمْ آيَاتِكَ ﴾ (١٢٩) والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو الإلماح إلى : قيمة التلاوة من رسول الله ﷺ) وثقلها؛ فهي ليست تلاوة فقط بل هي تلاوة مع دعوة مؤثرة في طريق الهداية ، وفيها أيضاً ملحظ التكرار والهدوء.

وهذه المعاني اللطيفة وإن كان بعضها ملحوظا من الكلمة نفسها - في بعض الكلمات التي تقدمت - فإن زيادة "الألف" معواناً قوى على إبرازها ودفع الغفلة عنها(لأن مجيء الكلمة مزيدا فيها حرف غير منطوق يدعو القارئ إلى التساؤل عن سبب الزيادة والتساؤل وسيلة إلى معرفة المعنى المراد).

*** ما تقدم كانت الزيادة فيه في كلمات أفراد ، وبقي مجال آخر لزيادة "الألف" هو بمثابة قاعدة كلية تندرج تحتها كلمات لا تدخل تحت الحصر وإنما يدخل فيها كل ما صلحت له القاعدة. وهذا يتضح من البيان الآتي:

تأتي زيادة "الألف" في كل فعل مضارع معتل الآخر بـ"الواو" إذا أسند إلى ضمير المفرد سواء ورد في جملة تامة المعنى أو قصد لفظ الفعل في نفسه دون قصد فاعله معه. هذه هي القاعدة الكلية مثل: يدعوا- يتلوا- يبيلوا- يربوا- يحوا- ينبوا- يرجوا وما كان على شاكلة هذه الأفعال مندرجا تحت هذه القاعدة. والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو التفرقة بين الفعل والإسم: والفرق بين الفعل والإسم أن الفعل مركب الدلالة. أما الإسم فدلالته مفردة. فـ"محمد" وهو اسم يثير في الذهن عند سماعه مجرد التصور حول شخص اسمه محمد. و"شجرة" وهي اسم لا تثير في خيال السامع إلا شكل شجرة سواء كانت شجرة معهودة عند السامع أو شجرة شائعة في جنس الشجر. أما الفعل فهو بإتفاق العقلاء فإنه يدل على ثلاثة معان: فمثلا الفعل: صام يدل قطعا على ما يأتي:

* الحدث أو المعنى وهو الصوم الذي هو الكف عن الطعام والشراب وشهوة الفرج.

* الزمن الذي وقع فيه الصيام سواء كان نهار شهر رمضان أو غيره .

* الفاعل لأن الفعل أثر يصدر عن مؤثر ومحال أن يتصور فعل في الوجود بدون فاعل فعله. وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذه الدلالة الفعلية مصطلح "النقل" وقالوا إن زيادة "الألف"

في الفعل في الطائفة التي ذكرناها من الأفعال إنما هي رمز إلى ثقل الفعل مقارنة بالإسم وهما الأدوات اللتان تتكون منهما الجملة والتراكيب المفيدة في اللغة العربية وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوي وكتب التراث.

حذف الألف (= نقص الألف)

- ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٦١) البقرة
- ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ .. ﴾ (٩) الحشر.
- ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجَّيْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤١)
- (٤١) هود ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٧٤) الواقعة.
- ﴿ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (١٦) يوسف
- ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴾ (٤١) سبأ

حذف الألف ونقص الألف في الرسم العثماني الشريف أكثر خصوصيات رسم المصحف فلا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن ، وإحصاء المواضع التي وردت فيها هذه "الخصوصية" ليس ميسورا في مثل هذه المقالات بل يحتاج إلى سفر ضخم تسرد فيه صورته ويشار فيه إلى لطائفه وأساره.

ومن اللافت للنظر في صور هذه "الخصوصية" أنك كثيرا ما تجد الكلمة الواحدة محذوفا فيها "الألف" في أكثر من موضع. كما أنك تجد الكلمة الواحدة تأتي مرة أو مرات محذوفا منها "الألف" ومرة أو مرات أخرى مثبتا فيها "الألف" الذي حذف في مواضع منها: مثل "الكتاب" و"القرآن" مقترنين بـ"أل" أو غير مقترنين نرى "الألف" محذوفا في بعض مواضع ورودها ثم تراه مثبتا في مواضع أخرى. ومحال أن يكون الحذف والإثبات خاليين من الدقائق والأسرار التي اقتضت الحذف أو الإثبات، ولا ندعى أننا سنعرض لكل موضع من هذه المواضع وإنما نسير سيرتنا التي ألفناها من قبل وهي سوق بعض الشواهد كي تزيل كثرة التساؤل حول هذه "الخصوصيات" ونكشف عن المعاني الخبيثة وراءها.

وأول ما نبدأ به حذف "الألف" من "باسم" مضافا إلى اسم الجلالة "الله".

هذه "الخصوصية" نراها في أول كلمة من أول آية في أول سورة من سور القرآن الكريم "سورة الفاتحة" حسب الترتيب المصحفي في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) ﴾ من هذه السورة الكريمة. ونراها في قوله تعالى: في سورة هود: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ

اللَّهُ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) ونراها في قوله عز وجل: في سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠)﴾ في هذه الآيات الثلاث وردت كلمة "اسم" مضافة إلى "الله" وقد حذفت همزة الوصل بين حرف الجر "ب" وبين "السين". ثم نرى بعد ذلك أن "الألف" جاء مثبتا في مواضع أخرى وذلك في الآيات الآتية:

في سورة الواقعة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ. الآية (٧٤) و (٩٦)﴾ وسورة الحاقة: الآيتان: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾ هذه ثلاث آيات جاء "الألف" فيها مثبتا على خلاف ماتقدم في الآيات الثلاث الأولى التي جاء "الألف" فيها محذوفا، والآيات الست ورد فيها "اسم" مجرورا بحرف الجر "ب". كما ورد مضافا في الثلاث الأولى وفي الثلاث الثانية، إلا أن الاختلاف بين المجموعتين كان في لفظ المضاف إليه لا في المعنى.

فالإسم في المجموعة الأولى أضيف إلى إسم الجلالة "الله" ، أما في المجموعة الثانية ففسد أضيف إلى "ربك" ومعناه هو: "الله" ، فاللفظان مختلفان وأصل المعنى فيهما واحد. هذه المقدمة تمهد لنا الطريق للإجابة عن هذا السؤال: لماذا حذف "الألف" في آيات المجموعة الأولى؟ ولماذا أثبت ولم يحذف في آيات المجموعة الثانية؟

وخلاصة الجواب عن هذا السؤال: إنهم رمزوا بحذف "الألف" في المجموعة الأولى إلى خصوصية معان يدل عليها اسم الجلالة "الله" ليست لها وجود في كلمة "ربك".

فإسم الجلالة "الله" هو الاسم الخالص في كونه علما فردا على خالق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما؛ هو علم وليس صفة ، ودلالة "العلمية" هي الثبوت الذي لا يعتره أدنى توقف أو انقطاع ، هذا معنى، المعنى الثاني أن اسم الجلالة "الله" لم يسم به كائن غير الله عز وجل ، وإن كان غيره من الأعلام صالحا لوقوع الاشتراك فيه مثل: محمد - أحمد - عمر فهذه وإن كانت أعلاما فإنها وقع ويقع فيها الاشتراك كثيرا، فألاف الأشخاص يسمون محمدا وأحمد وعمر في البلد الواحد والزمن الواحد. لكن "الله" عَلَم فرد على مسمى فرد لا يجوز نقلا ولا عقلا وقوع الاشتراك أبدا.

ومعنى ثالث هو أن اسم الجلالة "الله" لا يضاف إلى أى شئ لأنه المتفرد في الجلال والكمال والجمال. أما ما عداه من أسمائه الحسنی ومنها "رب" فهي صفات لازمة لاسم الجلالة ؛ ف"الله" هو الموصوف وأسمائه الحسنی الباقية (ثمانية وتسعون اسما) هي في التحقيق صفات كمال وصفات جلال وصفات جمال. والموصوف أصل والصفات فروع ، والأصل هو مبدأ الفروع ، والفروع توابع للأصل الذي هو الله عز وجل.

لذلك رُمز في الرسم العثماني للمصحف الشريف بحذف "الألف" من "بسم الله" للدلالة على هذه المعاني ولم يحذفوه عبثاً حاشا لله.

****** أما إثباته في "ربك" في الآيات الثلاث (فسيح باسم ربك) ففيه توجيهان:

الأول: أنه جاء على الأصل وما جاء على الأصل فلا يلمس له علة.

والثاني: أنه مع مجيئه على الأصل يراعى فيه سلب المعاني التي تقدمت مع اسم الجلالة "الله" وتفسير ذلك:

(١) إن كلمة "رب" ليست علماً خالصاً على خالق الخلق، بل هي صفة تدل على التكوين والرعاية والإنعام -

وهو معنى جزئي أيضاً- ((ولكننا سنضيف توضيحاً آخرًا لحذف الألف من الرحمن- وكنت ارجو أن يقول د: مطعني أن هذه القاعدة لها استثناءات لحكمة عالية سنهاها على الصفحات القادمة إن شاء الله))

وهذا هو شأن ما عدا اسم الجلالة "الله" من أسمائه الحسنى لأنها كلمة ينقح في الذهن عند سماعها معنى الوصف مثل: الرحمن- الرحيم- الأول- الآخر- الظاهر- الباطن- المحيي- المميت.... الحافظ- الكبير- المتعال. إلخ.

فهذه الأسماء الحسنى إما صفة صريحة، وإما فيها لمح الصفة، ودلالة اسم "الجلالة" هي مبدأ هذه الصفات جميعاً وموردها الذي ترد إليه...

وأسماءه الحسنى- ماعدا "الله"- يسمى بها ويوصف بها غيره للملابسات تسوغ هذا الاتساع؛ اللهم إلا قليلاً منها مثل: المحيي- المميت- فهي يقع فيها الاشتراك وكذلك فإنها صالحة لأن تضاف إلى غيرها.

فالفروق- إذن- جد كبيرة بين اسم الجلالة "الله" وبين ماعداه من أسمائه الحسنى وإلى هذه المعاني رُمز في الرسم العثماني للمصحف الشريف بحذف "الألف" من "بسم الله" وإبقائه في "باسم ربك"، وهذا يزول التساؤل الذي يثور في ذهن قارئ المصحف الشريف حين يقع بصره على "الألف" محذوفاً في "بسم الله" ومثبتاً في "باسم ربك".

وهنا نضيف لطيفة من لطائف الإمام ابن القيم:

لنرى التكامل المبهر بين أنواع الإعجاز البلاغي ورسم الكلمة، حيث يقول في تفسيره القيم: فإن قيل فما الفائدة في دخول الباء في قوله (فسيح باسم ربك العظيم) ولم تدخل في قوله (سيح اسم ربك الأعلى)؟

قيل: التسييح يراد به التثريه والذكر المجرد، دون معنى آخر. ويراد به مع ذلك الصلاة، وهو ذكر وتثريه (أى الصلاة) مع عمل، ولهذا تسمى الصلاة تسييحاً.

فإذا أريد التسييح المجرد (أى بدون عمل) فلا معنى للباء (أى يقال: سبح اسم ربك)، لأنه لا يتعدى بحرف جر، لا تقول سبحت بالله.

وإذا أردت (أى التسييح) المقرون بالفعل - أى الصلاة - أدخلت الباء، تنبيهاً على ذلك المراد، (أى تسييح مع الصلاة) {و كأنه يقول (الزيادة) مع الزيادة، والحذف مع الحذف.. وهى نفس القاعدة التى نراها فى رسم المصحف أيضاً {

ثم يكمل الإمام: وإذا أردت (أى التسييح) المقرون بالفعل - وهو الصلاة - أدخلت الباء، تنبيهاً على ذلك المراد، كأنك قلت: سبح مفتتحاً باسم ربك، أو ناطقاً باسم ربك.. كما تقول: صل مفتتحاً، أو ناطقاً باسمه،

ولهذا السر - والله أعلم - دخلت اللام فى قوله تعالى (سبح لله ما فى السموات والأرض).. -

أى "الله" - . ويكون المراد التسييح الذى هو السجود والخضوع والطاعة، ولم يقل فى موضع:

سبح الله ما فى السموات والأرض... كما قال تعالى (ولله يسجد من فى السماوات والأرض) -

أى مضافاً إليها حرف اللام (الله) لتعطى معنى إضافة الفعل (الصلاة) مع تسييح اللسان...

ثم يكمل الإمام: وتأمل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ

وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٢٠٦) الأعراف.. فكيف قال (ويسبحونه) - أى بدون إضافة (له) - أى لم

يقول: يسبحون له - التى تعنى التسييح المجرد فقط -.. ولكنه لما ذكر السجود قال (وله

يسجدون) - فهو تسييح مع فعل -.

وقبل ذلك كان الإمام قد أجاب على سؤال مشابه وهو: لماذا قال سبح اسم ربك ولم يقل

سبح ربك بدون كلمة (اسم)؟ وكان مما قاله: فصار معنى الآيتين: سبح ربك بقلبك ولسانك،

واذكر ربك بقلبك ولسانك، فأقحم الإسم (إسم ربك) تنبيهاً لهذا المعنى، حتى لا يخلو الذكر

والتسييح من اللفظ باللسان (وقال: هذه الفائدة تساوى رحلة ولكن لمن يعرف قدرها)

وقال الإمام أيضاً كلام مائع فى قوله (لايمسه إلا المطهرون).. والفرق بين هذا التعبير

القرآنى (لايمسه) وبين (لايمسه..).. ولك أن تعيش الجمال والمتعة مع جرس الكلمة

ورسم الكلمة؛ و(ثقلها فى اللفظ وثقلها المادى فى الموصوف فى قوله (لايمسه))، وخفتها

اللفظية فى الرسم والنطق (لايمسه) مع الخفة الملائكية والروحانية (المطهرون)) لتعلم أنها

قواعد واحدة فى نواحي الإعجاز المختلفة ومنها رسم الكلمة وجرسها فى القرآن الكريم.

✽ الرحمن .. والرحيم

يقول: تمام حسان بعد سرد الآيات التى تذكر كلمة (الرحمن) وكلها بدون ألف ..:

يؤخذ مما سبق (من سياق الآيات) أن الرحمن هو المتصف برحمة (الهيمنة) التى يكون لها

كل ما ينسب إليها فى الآيات السابقة (إسم جامع لكل صفات الخلق والهيمنة فى الدنيا

والآخرة)

ولقد علمنا من السيرة النبوية ومن الاستعمال اللغوي عند العرب أن مسيلمة الكذاب الذى كان يسيطر على إقليم اليمامة من أقاليم نجد كان يلقب نفسه بلقب (رحمن اليمامة) أى المهيمن على هذا الإقليم أما الرحيم فرحمته تقترن بالتوبة والرأفة والمغفرة والود والبر (أى رحمة جزئية متفرعة من الرحمة الكلية (رحمن)... ويقول الزمخشري: . وأما قول بني حنيفة في مسيلمة: رحمان اليمامة، وقول شاعرهم فيه: وَأَنْتَ غَيْثُ الْوَرَى لَا زَلْتَ رَحْمَانًا ... فباب من تعنتهم في كفرهم .. فإن قلت: فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه - الرحمن الرحيم-، والقياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض؟ قلت: لما قال [الرَّحْمَن] فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها - عام -، أردفه (الرحيم) كالتثمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف - خاص -.. ومعنى هذا الكلام أن (الرحمن) لها أيضاً معنى "كلى" استدعى حذف الألف.

قاعدة

القاعدة الإملائية المتبعة في الرسم العثماني للمصحف الشريف وفي الخط الإملائي الحديث في كل فعل ماض أسند إلى واو الجماعة. هى أن تزداد "الألف" بعد واو الجماعة مثل: ذهبوا- كتبوا- أكلوا- قاتلوا- شاءوا وهكذا.

وقد أخذ الخط الإملائي الحديث هذه الطريقة عن الرسم العثماني للمصحف الشريف وفي حلقة الشهر الماضى بينا سر زيادة "الألف" فى الفعل الماضى المسند إلى واو الجماعة وفى غير الماضى فليرجع إليه من يريد. أما الآن فإننا سنبين لطائف وأسراراً لحذف "الألف" فى طائفة من الأفعال الماضية المسندة إلى واو الجماعة خروجاً عن تلك القاعدة التى أثبتوا "الألف" بعد واو الجماعة من أجلها. فنسذكر تلك الأفعال ثم نعقب عليها بالإشارة إلى المعنى الذى جاء حذف "الألف" رامزاً إليه، والأفعال هى الواردة فى الآيات الآتية:

سورة الأعراف : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِخْرِ عَظِيمٍ (١١٦) ﴾

سورة يوسف : ﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾

سورة الفرقان : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) ﴾

هذه أربع آيات- ولها نظائر- جاء فيها الفعل الماضى المسند إلى واو الجماعة هكذا: "جاءوا" محذوفاً منه "الألف" بعد واو الجماعة.

بل إن كل ما في القرآن من الفعل "جاء" مسندا إلى واو الجماعة اطرده فيه حذف "الألف" ولم يشذ من هذا ولا فعل واحد(٣). ((ويعود د: مطعني ليتدارك - في الهامش - موضع واحد غير مستعمل في الشر وهو ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر، ١) ويقول: ولم يوجه العلماء سر الحذف فيه ، والظاهر - بناء على توجيهات مماثلة لهم في مواضع أخرى - أنه للرمز على أن هذا الجيء معنوى عقلى ، لا حسى ولا مادى . وأنه (بعد) زمانى لا مكانى .

ولتوضيح ذلك أقول : أنه لا يقصد من قوله (الذين جاءوا من بعدهم) لا يقصد بعد رحيلهم - جسدياً - من الدنيا، ولكن أراد جاءوا بإسلام بعد إسلام السابقين - وإن كانوا معاصرين لهم في الدنيا أو أكبر منهم سناً ، أو أسبق منهم في الوجود الزمنى والمكانى - ولكن الترتيب هنا - القبلية والبعدية - هو بأسبعية (قبلية) أو بعدية الإيمان ؛ أى ليس بالمعنى المتعارف عليه في لفظ (بعدهم) المكانى ، بل هو (بعدهم المعنوى) الإيمانى . وقد علمنا مما سبق أن كل ما كان خلاف الظاهر في المعنى كتب أيضاً خلاف الظاهر في الرسم . - والله اعلم - .

ويقول د: مطعني: وقد نص العلماء على أن هذا الحذف في كل مواضع هذا الفعل رمز به إلى معنى واحد ؛ ذلك المعنى هو الإشارة إلى ذم الفعل نفسه ؛ يعنى أنه مجئ معيب لأنه في الشر لا في الخير . وإذا التمسنا هذا المعنى في الأفعال نجدها في محاربة الإيمان وفي آية "يوسف" الأولى كان مجئ إخوته يبيحون خداعاً لأبيهم . وفي آية "يوسف" الثانية كان الدم الذى جاءوا به على قميصه دم زور وبهتان . وآية "الفرقان" تصف مجئ المشركين الطاغين في القرآن بأنه "ظلم وزور"

﴿وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ أَنَّ السَّبَبَ هُوَ أَنَّ الْجِيءَ هُنَا هُوَ مَجِيءٌ مَعْنَوِيٌّ (سَوَاءٌ كَانَ خَيْرًا أَمْ شَرًّا) وَكَانَ الْجِيءُ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ المَادِي المَعْلُومِ لِكَلِمَةِ جَاءُوا.. وَتَحْلِيلُ ذَلِكَ كَالآتِي: (أ) ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (١١٦)﴾ هُوَ مَجِيءٌ مَعْنَوِيٌّ؛ لِأَنَّ السِّحْرَ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ.. فَهُوَ لَمْ يَقُلْ: جَاءُوا بَعْضًا أَوْ بِكَذَابٍ مِنَ الأُمُورِ المَادِيَةِ المَعْلُومَةِ لِنَصِّ الْجِيءِ..

(ب) ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَنكِوْنَ (١٦) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ . فَهَمَّ جَاءُوا بِالبِكَاءِ ، وَجَاءُوا بِدَمٍ كَذِبٍ .. وَالمَقْصُودُ فِي الْجِيءِ بِالكَذِبِ (بِكَاءٍ كَذِبٍ) صِفَةُ البِكَاءِ المَخْدَاعِ وَالمُضِلِّ ، وَأَيْضًا وَصِفَ الدَّمِ ب(دَمٍ كَذِبٍ) وَصِفَ مَعْنَوِيٌّ (أَوْ مَجَازِيٌّ)؛ لِأَنَّ الدَّمِ نَفْسَهُ لَا يَكْذِبُ . وَأَعْتَقَدُ أَنَّ النِّصَّ لَوْ قَال: جَاءُوا (بِدَمٍ فَفَقَط) أَوْ (دَمٍ أَحْمَرَ) لِاخْتِلَافِ

رسم كلمة (جاءو) ولكنبت على الحقيقة بزيادة الألف (ألف الجمع) . وهذا هو معنى: أن الجيء جاء على خلاف الواقع - الذى نكمل به رأى الدكتور المطعنى ، وليناسب مع الجيء بالخير فى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ..﴾ (الحشر) فهو يجيء معنى على خلاف ظاهر الجيء المعهود.. سواء كان هذا الجيء بالشر أو بالخير.

(ج) ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤). (ونفس هذا المعنى وهو الجيء المعنوى الذى على خلاف الظاهر المادى المعتاد لكلمة الجيء)؛ فهو لم يصف شكلهم وهيئتهم فى الجيء المادى المعلوم؛ راحلين أو راكبين أو بالعصا أو... ولكن وصف بجيئهم بوصف معنوى غير الظاهر وهو (ظلماً وزوراً).

وزيد د: مطعنى إشارة لطيفة منه وهى قوله: إلا أن هذا الحذف فيه زيادة تركيز ولفت للأذهان الغافلة. (لأنه جاء على غير المعتاد)

ومن هذا القبيل الأفعال الواردة فى الآيات الآتية:

سورة البقرة: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿﴾ فقد حذف "الألف" بعد واو الجماعة من الفعل "فءوا" لا لأن الفعل مذموم بل لمعنى آخر شريف هو الإشارة إلى "الفئ" القلبي، وهو الأساس فى إصلاح ما بين الزوجين وليس المراد الفئ (أى الرجوع) الجسدى المادى؛ لأنه مع انعدام صفاء القلوب لا يعيد الوئام بين الزوجين . وملح آخر يرمز إليه هذا الحذف قد مر بنا نظائر له فى المقالات السابقة وهو سرعة رجوع الزوج إلى الصفا عن زوجته قبل انقضاء الأشهر الأربعة التى أذن الشرع فى هجره إياها.

ومن هذه الأفعال قوله تعالى: فى سورة سبأ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِرِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ﴾ (٥) حذف "الألف" بعد واو الجماعة من الفعل "سعو" زيادة توكيد لذم هذا الفعل وفاعليه لأنه سعى فى محادة الله ورسوله.

﴿﴾ (وأنا أخالف أستاذنا العظيم فى هذا رأى ؛ حيث أنه بعد التأمل المعتاد فى الآيتين المتشابهتين وفى سياق الآيات المجاورة فى السورتين (الحج ، وسبأ) لاحظنا أن هذين الرسمين لا يخرجان عن هذه القاعدة التى سرنا عليها فى حديثنا السابق (السرعة والغيبى يحذف منه الألف والعكس بالعكس) دون تناقض أو اختلاف وبيان ذلك كالتالى:

سعوا.. سعوا

(١) آية الحج: ﴿وَسَتَعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخَلَّفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِنَفْسِهَا فَهِيَ أَخَذْنَا بِهَا

الْمَصِيرُ ﴿٤٦﴾ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٧﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

هُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٤٩﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٠﴾

**١) هنا جاءت الآيات قبلها عن حديث (أرضي)؛ عن نصره الله للمؤمنين ﴿أذن للذين يُقاتلونَ بأنهم ظلموا وإنَّ اللهَ علىٰ نصرهم لقديرٌ﴾ (٣٩) الذين أُخرجوا من ديارهم بغيرِ حقِّ إلا أن يقولوا ربُّنا اللهُ ولولا دَفْعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ سَمَاوَاتُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴿٤١﴾ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ﴿٤٢﴾ وقوم إبراهيم وقوم لوط ﴿٤٣﴾ وأصحاب مدائن وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴿٤٤﴾ فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴿٤٥﴾ أفلتم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿٤٦﴾ ..

**٢) المشهد الثاني هو دعوة للتأمل واتخاذ الوقت الطويل (الإمهال).

**٣) وفي هذه السورة - الحج - : الحديث عن معارك أرضية، ودفع الله الناس بعضهم بعض ، وعن مشاعر الحج. وليس عن علم الساعة (موعدها الغيبى عنا).. بل إنه إذا تحدث عن الساعة فهو يتحدث عن (الأحداث الفعلية) التي ستقع في يوم القيامة ؛ قد أخبرنا عنها وأعلمنا بها، وليس الحديث عن الإستفسار عن موعد مجيئها الغيبى - كما في سبأ - .

**٤) في الآيات السابقة أيضاً يوجد فيها (ظل الإمهال والتأخير) وربما ليوم القيامة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ - يوم القيامة - ﴿٤٧﴾ .. وكأين من قرية أمليت لها.. ﴿ثم أخذتها، ولاحظ: (ثم) وهي حرف يفيد التراخي والمهلة.

**٥) ختام الآية يوحى أيضاً بتأخير العذاب إلى يوم القيامة ((وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾. أخر عذابهم إلى الجحيم وهو الآخرة، ولم يشر إلى العذاب الدنيوى العاجل أو بعضه.

بخلاف سورة سبأ حيث يقول ﴿. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ ﴿مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٥٢﴾ فهو - في سبأ - استعجال لهم بجزء (من) عذاب من "رجز" أليم ..

وهذا يذكرنا بفهم ابن عباس للآية القرآنية الشبيهة (ولنذيقنهم "من" العذاب الأدنى ..) حيث قال: والعذاب الأدنى هو ما قبل يوم القيامة (الدنيا وعذاب القبر) ولفظ (من) العذاب الأدنى جعله عذاب يوم بدر - أى دنيوى عاجل- وبقي لهم الجزء الآخر وهو عذاب القبر. وهنا (عذاب من رجز أليم : أى: عاجل فى الدنيا قبل يوم القيامة)

(٢) أما فى سورة سبأ - التى حذف منها الألف (سعو) - يقول ربنا فى الآيات قبلها: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) - أى: إحاطة علم الله- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) - أى: علم الساعة والغيب- . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِرِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبِينُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾

هنا:

- (١) الحديث قبلها عن الساعة (وهى فى السماء) وليس الحديث عن أحداث أرضية.
- (٢) والحديث أيضاً عن علم الله المحيط (الواسع والغيب).
- (٣) والحديث ليس فيه جو الإمهال السابق الذى فى آيات الحج.
- (٤) والعذاب معجل لهم قبل يوم القيامة (والَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِرِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ، وهذا قد سبق أن بيناه .
- (٥) ويقول: فى الآية بعدها ﴿ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ (وهذا الضلال أيضاً دنيوى. ولذلك سيأتى بعدها بقصص دنيوية مثل: داود وسليمان وسبأ).
- وملاحظة جو الإستهزاء والتحقير (أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) يقابله حديث البشرى بالملك والسلطان الدنيوى العاجل لمحمد (ﷺ) الذى يتمثل فى التناسق المبهر مع نوع القصص القرآنى المعجز الذى قام بسرد قصة الأنبياء الملوك مثل داود وسليمان ..
- وملاحظة أن جو الإستهزاء بالنبي (ﷺ) وإتهامه بالجنون يستدعى سرعة التدخل - كما تعودنا - ويستدعى تسارع الأحداث والحذف من الحروف ...

كل هذه الأمور (السرعة والغيبية) التي يناسبها حذف الألف من (سعو) في آية سبأ. تختلف عن مشاهد الإمهال والأحداث الأرضية التي استدعت وجود الألف وإظهاره كما في سورة الحج

وكذلك قوله عز وجل: في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (٢١)﴾ في صدر هذه الآية حكى الله عز وجل جرائم الذين كفروا بقاء الله ثم تعنتهم وعنادهم حيث جعلوا شرط الإيمان بالله واحدا من أمرين:

* أن يتزل الله عليهم الملائكة يرونهم رأى العين ويسمعونهم. * أو يرون الله عز وجل وتعالى عما يقولون، ثم قضى الله عليهم بأنهم اغتالهم الغرور وأوا انفسهم كبارا لا يخضعون لنداء الحق وتجاوزوا كل مدى معهود في البغي والعناد، وجاء حذف "الألف" من الفعل "عتو" رمزا على قبح هذا الفعل وشناعة إثم فاعليه وتفردهم في الكفر والعناد. ❁ وأضيف رأى الإمام الزركشى وغيره حيث يقول: وكذلك - أى حذف الألف -

وعتوا عتوا كبيرا، هذا عتو على الله لذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود (وأنا أرى ضرورة النظر في قولنا (توكيد الفعل) حيث أن التوكيد هنا هو وضعه على صورة إضافة المصدر له هكذا(عتو عتوا) الذي أعنى عن وجود الألف في (عتوا).

..ويقول الزمخشري: فإن قلت: ما معنى { في أنفسهم } ؟ قلت: معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه. كما قال: { إن في صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه } غافر: ٥٦ { وَعَتَوْا } وتجاوزوا الحد في الظلم. يقال: عتا علينا فلان. وقد وصف العتو بالكبير، فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم، إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو،

((إذن هو استكبار وعتو متأصل في أنفسهم وليس فلتة عابرة، وهو عتو مبالغ فيه وعتوا كبيرا.. واكتفى بهذه الزيادات المؤكدة في النص والمضافة ولم يحتج معها إلى زيادة الألف))
***وكذلك حذف "الألف" من الفعل المسند إلى واو الجماعة في الآيات الآتية: في سورة

البقرة:.. ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .. (٦١) ﴾ .

وسورة البقرة: ﴿ بِنَسَمَاتِهِمْ اشْتَرَوْا بِهِنَّ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَاعْتَرَفُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ (٩٠) ﴾

وسورة آل عمران: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحِجْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِنَ النَّاسِ

وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .. (١١٢) ﴾

في هذه الآيات الثلاث حذف "الألف" بعد واو الجماعة.. هكذا: "باءو". وجاء هذا الحذف مرموزا به إلى ذم الفعل "باء" وذم فاعليه. ومما يؤكد هذا سياق الكلام في الآيات الثلاث؛ ففي آية البقرة رقم (٦١) جاء هذا الفعل في سياق الحديث عن اليهود وجرائمهم الشنيعة التي اقترفوها مع أنبيائهم والمرسلين إليهم. فقد اعتدوا على أنبيائهم بالقتل وكفروا بآيات الله عز وجل مع مخاز أخرى أسندت إليهم فكان جزاؤهم "الوفاق" لإحلال غضب الله في الدنيا وسوء المصير في الآخرة.

وفي آية البقرة الثانية رقم (٩٠) جاءت عبارة: (فبأعو بغضب على غضب) بعد فصل طويل قصة القرآن عن بني إسرائيل (اليهود) من اتباع أهوائهم ورفضهم الإذعان للحق وتكذيبهم وحى الله عز وجل، فجاء تسجيل الغضب عليهم جزاء لهم، وحذف "الألف" من "باءو" إشارة إلى أنه فعل استحقه اليهود على كفرهم وإفسادهم في الأرض وإشارة إلى أن أسباب هذا "البوء" بلغت من القبح والشناعة مبلغا غير معهود في دنيا الناس. أما آية آل عمران رقم (١١٢) فمقام الحديث فيها هو مقام الحديث في آية البقرة الآتية الذكر وما يقال في آية منهما يقال في الآية الأخرى.

وينبغي أن نفرق بين الدقائق والأسرار التي من أجلها حذف "الألف" في الأفعال التي تقدمت: "جاءو- فاءو- عتو" وبين أسرار حذف "الألف" في "باءو".

فحذف "الألف" في "باءو" ليس رمزا إلى ذم الفعل نفسه ولكن باعتبار الأسباب والجرائم التي صيرت بني إسرائيل "اليهود" هذا المصير، وذلك لأن هذا الفعل "باءو" مجازاة من الله لهم على عنادهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حق

❖ (وأقول: ربما جاءت هذه العاني من رسم الكلمة على خلاف المعهود - كما قلنا- أي على المعنى المجازي لكلمة "باء"، ولا أرى مانعا من إعطاء الكلمة معنى سرعة الرجوع بغضب الله، وسرعة غضب الله وانتقامه منهم... أو أن الميء هو ميء معنوى ومجازي وليس مادي).

ويلخص الرازي هذا المعنى فيقول: أما قوله تعالى: { وبأعو } ففيه وجوه . أحدها : البوء الرجوع ، فقوله : { بأعو } أي رجعوا وانصرفوا بذلك ولا يقال باء إلا بشر . وثانيها : البوء التسوية . فقوله : { بأعو } أي استوى عليهم غضب الله . قال الزجاج . وثالثها : باؤ أي استحقوا ، ومنه قوله تعالى : { إني أريدُ أن تبوءَ بإثمي وإثمك } المائدة : ٢٩ أي تستحق الإثمين جميعاً .

(والمعنى المترادف من ذلك هو أنه رجوع معنوى - ومجازى- وليس مادى كالعودة بذواتهم وأجسامهم.. مثله مثل قوله { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ } فالمعنى - كما يقول الرازى: جعلت الذلة محيطة بهم حتى مشتملة عليهم، فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط... فهو ضرب معنوى ولو كانت الكلمة "ضربت" بها ألف لحذف الألف لهذا المعنى - والله أعلم -.

ومما حذف فيه "الألف" بعد واو الجماعة من الفعل المسند إلى هذه الواو موضعان آخران: الأول قوله تعالى: في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾

انظر إلى رسم الآية تجدد الفعل "تبوءوا" حذف منه الألف واستعيض عنه بهمزة رسمت على "الواو" تلتها همزة أخرى رسمت على السطر وفوقها ضمة وهى فى الرسم الإملائى الحديث ترسم هكذا: "تبوأوا". ثم حذف منها "الألف" بعد واو الجماعة الذى هو فاعل الفعل (تبوأ). والذى يعيننا هو "الألف" المحذوف بعد واو الجماعة وقد وجه العلماء هذا الحذف بأنه رمز إلى أن التبوؤ فى الآية معنوى لا حسى؛ هو الاختيار القلبي ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

والتبوؤ فى اللغة هو "التمكن" و"الاستقرار". هذا خلاصة مقاله علماؤنا قديما والمقام يحتمل توجيهها آخر حاصله أن مفعول التبوؤ فى الآية أمران:
الأول: الدار وهو المدينة المنورة وإيقاع التبوؤ عليها بمعنى التمكن فيها سائغ لأنها مكان والتمكن فى المكان حقيقة لغوية لا تحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر.
أما المفعول الثانى فهو "الإيمان" وهو معنى قلبي وليس مكانا حتى يكون صالحا للإقامة فيه مثل الدار.

إذا تمهد هذا فليس بمستنكر أن يكون حذف "الألف" هنا رمزا إلى هذه اللطيفة وهى أن الفعل "تبوءوا" استعمل فى "الدار" على وجه الحقيقة واستعمل فى الإيمان على وجه التزليل للدلالة على رسوخ الأنصار المتحدث عنهم فى هذه الآية فى الإيمان متمكنا فى قلوبهم كتمكنهم هم فى الدار "المدينة" التى يقطنون فيها؛ يعنى: أن لهم مباءتين أو مأويين: المدينة دار إقامتهم ومثواهم آمنين فيها، والإيمان الذى يحقق لهم أمنهم فى الدنيا وأمنهم فى الآخرة.

وهذا الفهم لا يتنافى مع ما ألمح إليه علماؤنا من قبل. وقد أشار إلى قريب مما فهمناه بعض أئمة التفسير والتمس له شاهدا من الشعر العربي المأثور.

هذا وقد سبق في الحلقات السابقة- مرات- أن الحذف- عموما- قد يأتي رمزا إلى المعاني الغيبية غير المحسوسة وحمل التبوؤ على الاختيار يجعله من الأمور الغيبية التي رُمز إليها بحذف "الألف" هنا

❖ ((وأقول : أنه لمن الممتع أن نسمع رأى الإمام الرازي في ذلك المعنى وهو: فإن قيل: في الآية سؤالان أحدهما : أنه لا يقال : تبوأ الإيمان والثاني : بتقدير أن يقال : ذلك لكن الأنصار ما تبوعوا الإيمان قبل المهاجرين؟. والجواب عن الأول من وجوه أحدها : تبوعوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله : ولقد رأيتك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحاً وثانيها : جعلوا الإيمان مستقراً ووطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه ، كما أفهم لما سألوا سلمان عن نسبه فقال : أنا ابن الإسلام وثالثها : أنه سمي المدينة بالإيمان ، لأن فيها ظهر الإيمان وقوي .

والجواب : عن السؤال الثاني من وجهين الأول : أن الكلام على التقدم والتأخير ، والتقدير : والذين تبوعوا الدار من قبلهم والإيمان . والثاني : أنه على تقدير حذف المضاف والتقدير : تبوعوا الدار والإيمان من قبل هجرهم..

((وعلى هذا الشرح السابق يتبين أن هذا التبوء للإيمان هو تبوء مجازي أو معنوي))

ونعود لحديث د: مطعنى: وبقي موضع تحسن الإشارة إليه وهو قوله تعالى: في سورة النساء: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١٠﴾ فَأَوْلَتْكِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿١١١﴾
فالفعل "يعفو" حذف منه "الألف" بعد الواو الأصلية؛ والأصل أن تثبت هكذا: يعفوا، مع أن هذا الألف مزيد في الأصل لمعنى تقدم الحديث عنه في مبحث زيادة "الألف" .

وفي توجيه حذف "الألف" هنا قالوا: إن هذا الحذف رمز إلى أن عفو الله تعالى وهو ترك المؤاخذة عما لا ينبغي أن يكون، وقد كان ، هو أمر غيبي لا يدرك بالحواس.. هذا ما قالوه. وفي المسألة توجيه آخر ذكره في بعض مواضع الحذف فيما تقدم وإن لم يذكره هنا وهو: إن هذا الحذف قد يكون مؤذنا بالإشارة إلى تحقق الوعد من الله وسرعته وهو العفو عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. ❖ وهنا نقوم بمناقشة هذا الرأى من أقوال المفسرين ليكون إضافة لرأى الكاتب هكذا:

(١) ﴿ فَبِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى ﴾ (٢٣٧) البقرة

(٢)* ﴿ إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ (١٤٩)

النساء .. ويؤكد على العفو

(٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا

وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤) . التغابن

(٤) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥) المائدة .. ويقول أبو السعدود:

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ { أي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه ، إذا لم تدع إليه داعية دينية صيانة لكم

عن زيادة الافتتاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الإظهار بالعفو ، وفيه حث لهم على

عدم الإخفاء ترغيبا وترهيبا ، .. وقيل : يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذهم ((تأكيداً على

عفو محمد ﷺ عنهم .. وهذا معلوم لا يحتاج إلى نقاش فيه))

(٥) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢٥) ...

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣٠) .. الشورى

(٦) ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢)

وَلْيَعْفُوا عن ذنب حدث ويؤكد على العفو

(٧) ﴿ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةَ بَأْتِهِمْ

كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٦٦) التوبة. ولكنها هنا مجذومة بأداة الشرط

(٨) ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

شَكُورٍ ﴾ (٣٣) أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفَى عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣٤) الشورى . ولكنها هنا مجذومة

وتبقى الآية التي حذف منها الألف ولها وقفة وهي :

(٩)** ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ

سَبِيلًا ﴾ (٩٨) فَأَوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ (٩٩) النساء

*** إذن جميعها بالألف ماعدا آية النساء ٩٩ هذه التي تتحدث عن حالة معينة: ﴿ إِنْ

الَّذِينَ تَوَقَّفَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ

أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَ مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٣٥﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٥٠﴾ فَأَوْلَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

يقول الزمخشري: { توفاهم } يجوز أن يكون ماضياً كقراءة من قرأ: «توفاهم». ومضارعاً بمعنى توفاهم،.. فإن قلت: لم قيل { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ } بكلمة الإطماع؟ قلت: للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه، حتى أن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني، فكيف بغيره... ((وهنا يتبين السبب في حذف الألف لضيق مساحة العفو وتضييق دائرة الأعداء))

ويقول أبو السعود: وأما إن أريد بهم الأطفال فللمبالغة في أمر الهجرة والإيدان بأنها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم، والإشعار بأنهم لا يحيص لهم عنها البتة تجب عليهم (إذا) بلغوا، حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا أن يهاجروا بهم متى أمكنت.. { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ } حيء بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيداناً بأن الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي أن يُعدَّ تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنباً يجب طلب العفو عنه رجاءً وطمعاً لا جزماً وقطعاً { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } تذييل مقرر لما قبله.

ويقول الطاهر: وفعل { عسى } في قوله: { فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم } يقتضي أن الله يرجو أن يعفو عنهم، وإذ كان الله هو فاعل العفو وهو عالم بأنه يعفو عنهم أو عن بعضهم بالتعيين تعين أن يكون معنى الرجاء المستفاد من { عسى } هنا معنى مجازياً بأن عفوه عن ذنبهم عفو عزيز المنال، فمثل حال العفو عنهم بحال من لا يُقطع بحصول العفو عنه، والمقصود من ذلك تضييق تحقق عذرهم، لئلا يتساهلوا في شروطه اعتماداً على عفو الله، فإن عذر الله لهم باستضعافهم رخصة وتوسعة من الله تعالى، لأن البقاء على إظهار الشرك أمر عظيم، وكان الواجب العزيمة أن يكلفوا بإعلان الإيمان بين ظهراني المشركين ولو جلب لهم التعذيب والهلاك، كما فعلت سُمَيَّةُ أمُّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ. وقال الألوسي: { فَأَوْلَيْكَ } أي المستضعفون { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ } فيه إيدان بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى أن المضطر الذي تحقق عدم وجوبها عليه ينبغي أن يعد تركها ذنباً، ولا يأمن، ويطرد الفرصة ويعلق قلبه بها. { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } تذييل مقرر لما قبله بأتم وجه.

ويقول الرازي: ثم قال تعالى: { فَأَوْلَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ } وفيه سؤال، وهو أن القوم لما كانوا عاجزين عن الهجرة، والعاجز عن الشيء غير مكلف به، وإذا لم يكن

مكلفاً به لم يكن عليه في تركه عقوبة ، فلم قال : { عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ } والعفو لا يتصور إلا مع الذنب ، وأيضاً { عَسَى } كلمة الإطماع ، وهذا يقتضي عدم القطع بحصول العفو في حقهم .

والجواب عن الأول : أن المستضعف قد يكون قادراً على ذلك الشيء مع ضرب من المشقة ، وتمييز الضعف الذي يحصل عنده الرخصة عن الحد الذي لا يحصل عنده الرخصة شاق ومشتبه ، فرمما ظن الإنسان بنفسه أنه عاجز عن المهاجرة ولا يكون كذلك ، ولا سيما في الهجرة عن الوطن فإنها شاقة على النفس ، وبسبب شدة النفرة قد يظن الإنسان كونه عاجزاً مع أنه لا يكون كذلك ، ، فلهذا المعنى كانت الحاجة إلى العفو شديدة في هذا المقام .

❖ معنى ذلك الكلام أنه حذف حرف الألف من (يعفو) إشارة إلى عدم التأكيد على العفو وخاصة ما سمعناه عن الحديث عن مفاد كلمة (عسى) هنا.. وعدم إطماعهم في التأكيد على هذا العفو لعدم خلق الأعذار التي لاتصح لأى أحد بسهولة وممكن التلبس عليه فيها. وهذه لفظة خطيرة بثتها رسم الكلمة (بدون ألف) على هذه الصورة المخالفة للصورة المعتادة وذلك للتوقف على هذا الموقف الغير معتاد أيضاً

ولعلني ألمح قصد المعنيين في هذا الرسم وهما : ملمح سرعة العفو على المستضعفين بعذر محقق منهم دون شائبة من حظ النفس في التقاعد عن الهجرة ، والملمح الآخر في التشديد على هؤلاء الذين لم يكن لهم عذر محقق ، وترك الطرفان على حافة الرجاء لأن صدق العذر أو تحقيقه لا يكون علمه إلا عند الله ولا يعلمه أحد غيره - لأنه أمر باطنى - وتركهم على (رجاء) لحين علمهم العفو من الله . كما أنني أرى ملمحاً آخر في ختام الآية وهو : وكان الله عفواً غفوراً.. فهو لم يقدم المغفرة أولاً كباقي آيات العفو والغفران (غفوراً رحيماً) ولكنه قدم العفو قبل المغفرة لتبيان المبالغة في المسامحة لمن تحقق عذره دون خداع منه لنفسه أو غيره - وبدون معصية- ، وأن علم ذلك عند الله في هذا الموقف الغامض في حقيقته.. وقد تبعت الآيات التي قدم فيها العفو على المغفرة فوجدت فيها شاهداً على ما قلناه كما يلي :

الآية الأولى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ (٤٣)

يقول أبو السعود: { إِنْ اللَّهُ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا } تعليلٌ للترخيص والتيسير وتقريرٌ لهما فإن مَنْ عادتهُ المستمرةُ أَنْ يَعْفُوَ عَنِ الْخَاطِئِينَ وَيَغْفِرَ لِلْمُذْنِبِينَ لَا بَدَأَنْ يَكُونَ مَيْسِرًا لَا مَعْسِرًا، وقيل: هو كنايةٌ عنهما فإن الترفيةَ والمسامحةَ من روادفِ العفوِ وتوابعِ العُفْرانِ .

وزاد الألوسى: وقيل: العفو هنا بمعنى «التيسير» .. واستدل على وروده بهذا المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم: " عفوت لكم صدقة الخيل والرقيق " وذكر المغفرة للدلالة على أنه غفر (ذنب) المصلين سكارى ، .. (أى العفو لغير ذنب سابق - وفيه معنى التيسير والمسامحة - والمغفرة عن ذنب سابق)

ويقول الطاهر: وقوله: { إِنْ اللَّهُ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا } تذييلٌ لحكم الرخصة إذ عفا عن المسلمين فلم يكلفهم الغسل أو الوضوء عند المرض ، ولا ترقبَ وجود الماء عند عدمه ، حتى تكثر عليهم الصلوات فيعسر عليهم القضاء .

(وكل هذه المعاني تجعلنا نميل إلى رأينا الذى ذكرناه فى فى سرعة عفو الله عز وجل لمن تحقق عذره الذى لا يعلم حقيقته إلا الله وربما لا يعلمه هذا الذى تخلف عن المحصرة ويظن أنه تحقق له العذر - بحسن نية ولكنه قصر فى تحقيق العذر - وهو فى الحقيقة كان مقصراً وهو لا يعلم ولهذا السبب جعل العفو عنهم أولاً ومقدماً على المغفرة، وجعل العفو عنهم غير محققاً (عسى الله ...)) وجعلهم على رجاء لأنه أمر غير متيقن علمه منهم - كما ذكرنا- .. وهذا رأى يتمشى مع قول علماء التفسير الذى ذكرناه ({ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا }) وهو كناية عن الترخيص ، والتيسير ، لأن من كان من عادته أن يعفو عن المذنبين ، فبأن يرحص للعاجزين كان أولى، ولكن زاد عليه قوله تعالى (عسى ..) للأسباب التى ذكرناها وذكرها العلماء

أما الآية الثانية: ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ (١٤٩) النساء (فهو هنا أيضاً لم يذكر ذنباً ولذلك فلم يقدم المغفرة وقدم العفو) *** هذه هى المواضع التى حذف الألف من أواخر الأفعال أما ما عداها مما شاهدها فقد وردت كلها مثبتة "الألف" وقد أورد أبو عمرو الداني جملة منها فى أحد مصنفاته فى علوم القرآن (٨).

حذف الألف (= نقص الألف) (٢)

تحدثنا فى المقال السابق (الرابع عشر) عن بعض كلمات فى رسم المصحف الشريف حذف منها الألف وأشرنا إلى المعانى والأسرار اللطيفة التى تكمن وراء ذلك الحذف ، وقد ذكرنا فى بعضها كلمات تقابل الكلمات التى حذف منها الألف جاء الألف فيها

مثبتاً غير محذوف مثل: "بسم الله" و"باسم ربك" حيث حذف الألف من الأولى "بسم الله" ولم يحذف مع الثانية "باسم ربك" وبيننا مقتضى الحذف ومقتضى الإثبات موضحين ما دل عليه الحذف من دقائق ولطائف.

وكان الهدف من هذه المقارنة بين موضعي الحذف والإثبات ، هو توكيد أن ما في الرسم العثماني من خصوصيات تخالف الرسم القياسي الحديث، ليس عارياً من الدلالة ، ولا هو مجلوب لغير معنى ، ولا وليد سهو أو عيب ، أو لأن كتبه الوحي كانوا ضعفاء في معرفة قواعد الخط كما قال ذلك بعض السابقين (مقدمة ابن خلدون).

ونورد في هذه المقالة شواهد أخرى لحذف الألف في مفردات القرآن مع بيان المعاني اللطيفة التي يرمز إليها حذف الألف في لغة القرآن ، وشواهد هذا الحذف لا تكاد تحصى، وتتبعها كلها غير ميسور ، فلنكتف بما تيسر منها:

ففي سورة الفاتحة "أم الكتاب" حذف الألف من ثلاث كلمات هي: "الرَّحْمَنُ - مَلِكٌ - الصِّرَاطُ" والأصل في هذه الكلمات أن تكتب هكذا: "الرحمان - مالك - الصراط" فلماذا عدل عن إثبات الألف إلى حذفها؟

لقد وجه بعض العلماء (علماء علوم القرآن) وعلماء القراءات الحذف في "الرحمن" و"ملك" وهانحن نوجز ما يفهم من كلامهم:

أما "الرحمن" فوجهوا حذف "الألف" فيه بأن رحمة الله ندرتها بآثارها الظاهرة ولا تحيط بها علما كما هي في علم الله ، بل تؤمن بها إيماناً مفوضين علم حقيقتها إلى الله لا على ما يرسم في نفوسنا بالوهم والخيال "لأنه لا يعلم الله إلا الله".

﴿أقول مقرباً : ربما يقصد أن حقيقة الرحمة من الله تختلف عن تصورنا لها ونحن لا نستطيع أن نقف على كنهها.. ولكنني لا أؤيد هذا الرأي حيث أن ذلك المعنى ينطبق على كل صفات الله وأفعاله مثل الجبار والقهار والغفار والستار...﴾

﴿وأضيف ملاحظات على إسم الرحمن) وهي:

أولاً: قيل أن (الرحمن) إسم خاص لله تعالى ولا يثنى ولا يجمع لأنه لا يكون إلا لله عز وجل، أما الرحيم فهو نعت وجمعه رحماء.. يقال رجل رحيم ، ولا يقال : رحمن.. (هذا المعنى نقله د: أحمد عبد المجيد خليفه في كتابه (نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى)

ثانياً : الرحمة لها طرفان (رحمن) و (رحيم).. وحين يكون للكلمة معنيان يفرق القرآن بينهما برسم الكلمة (وهذه ملاحظة هامة جداً لفهم طبيعة الرسم العثماني)

والمعنى الذى شرحناه من نقول العلماء: أن (رحمن) هى صفة (إمتلاء) بالرحمة ، و (رحيم) صفة دوام واستمرار للرحمة (راجع جرس الكلمة حال النطق بها - أيضاً - فإنها تعطيك نفس المعنى) ... فأنت حينما تنطق بكلمة (رحمن) تجد أنك تأخذ - فى حال المد بها - شهيقاً عميقاً يملأ الصدر دون زفير - وهو نفس المعنى المعجمى لها - وهو (الإمتلاء) بالرحمة - - ولك أن تتخيل فى حال رسم كلمة بهذه الصفة - الإمتلاء والتجويف العميق بالشهيق - وليس بالزفير الذى فيه طرد وإخراج - وهذا التجويف العميق بصورته يناسبه حذف الألف ((وهذا ملحظ هام جداً سيُكرر فى شواهد كثيرة))

ثالثاً : حديث القرآن الذى يشير إلى هذه المعانى ويشرحها فى قوله (ورحمتى وسعت كل شىء) فهذا يعطى معنى العموم الذى أشار إليه د: مطعنى من قبل.

لكل هذه المعانى استحق حذف الألف .

رابعاً: معنى الرحمة من الله لنا هو: أن لا يكلفنا ما لا نطيق .. وأن يعفو ويغفر ويصفح ويتنازل عن حقه ولا يعاقب .. وهكذا ترى أنها صفات لله عز وجل من الجانب السلبي - أى التى فيها عدم الفعل - وليس الإيجابي ..

بخلاف الصفات الإيجابية - التى فيها صفة الفعل - وتكتب بالألف الظاهرة .. وهذا مطرد فى الرسم القرآنى فى أسماء الأفعال السلبية والتى يحذف منها الألف ، والإيجابية - التى فيها صورة الفعل - ويظهر فيها الألف ولو اشتركا فى نفس الحروف (مثل : باسط ، - - - - - بسط) وغيرها ،

ومن صفات الله عز وجل أيضاً التى تسير على هذا المعنى - كمثل - هى : ﴿ تَبَرَّكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ . (٧٦) . وواضح أن صفة (الْجَلَلِ) هى صفة عظمة للذات وليس فيها صفة الفعل - فحذف منها الألف - .. بخلاف (الإكرام) التى فيها صفة الفعل (الكرم والعطاء) - فأظهر فيها الألف

*** وأما ﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ فقد حذف منها الألف رمزا إلى أن فيها قراءتين: فقرأ عاصم والكسائى ويعقوب وخلف "مالك" بإثبات الألف بعد الميم على أنه اسم فاعل من "ملك" والمالك هو المتصرف فى الأعيان كيف يشاء. وقرأ الباقون "ملك" بحذف الألف وكسر اللام بعد الميم والكاف على وزن "حذِر" على أنه صيغة مبالغة.

وأما "الصراط" فلم يوجهوا الحذف فيه صراحة ونقول حملا له على ما ذكره من توجيهات فى نظائره: إن الحذف هنا للدلالة على أنه صراط معنوى - وهو الإسلام - لا

مادى .

الأسماء الأعجمية

ومن المواطنين التي شاع فيها أو كاد أن يطرد حذف "الألف" - في الرسم العثماني للمصحف الشريف - الأسماء الأعجمية غير العربية مثل الأسماء الآتية: إبراهيم إسماعيل اسحق هاروت ماروت وهارون وسليمان وقارون وهامان وميكال وإسرائيل ولقمان؛ كل هذه الأعلام غير العربية رسمت في المصحف الشريف محذوفا منها "الألف" هكذا: إبراهيم، إسماعيل، اسحق، هروت، مروت، هرون، سليمان، قرون، همن، ميكل، إسرعيل، لقمن.

ويلاحظ أن هامان حذف فيه "الألف" مرتين: مرة بعد "الهاء" وأخرى بعد "الميم" هذا هو المتبع في الأعجميات إلا "طالوت - جالوت - التابوت" فقد أثبت فيها "الألف"، وكذلك "يأجوج - مأجوج - داود".

وقد وجهوا إثبات "الألف" في "داود" لأنه حذف منه أصل الواوين بعد "الألف" فكروها اجتماع حذفين فيه ولو اجتمع الحذفان لصار "دوود".

وقد يقول قائل إنهم حذفوا من "هامان" حذفين فلماذا كرهوا ذلك في "داود"؟ لم نر لبعض العلماء توجيهها لهذا لكن يبدو أنهم فرقوا بين "همن" و"داود" بأن "همن" كان الحذف فيه لحرف واحد هو "الألف" أما "داود" فإن الحذف كان سيغترى حرفين هما "الألف" و"الواو"، وفي هذا إجحاف بحذف أصليين من أصول الكلمة.

أما عدم الحذف في "يأجوج ومأجوج" فيبدو - كذلك - أنهم فرقوا بين "الألف" الذي هو حرف "مد" ولين وبين "الهمزة"، وهو أقوى وأظهر وجودا في النطق والخط من "الألف" التي هي حركة صوتية ناتجة عن فتح ما قبلها وامتداد لتلك الفتحة.

أما "طالوت - جالوت - تابوت" فلم أر من وجه اثبات "الألف" فيها مع أنها أعلام أعجمية لا عربية سبيلها سبيل غيرها من الأعجميات في حذف "الألف"، لذلك فإن اثبات "الألف" فيها تثير هذا السؤال: لماذا لم تحذف "الألف" في هذه الكلمات الثلاث؟ وفي الحقيقة فإنني لم أجد إجابة عند العلماء على هذا السؤال لكن الذي بدا لي فيه بقوة أن هذه الكلمات أشبه ما تكون بكلمات عربية، لأن تحريرها من المقطع الأخير فيها يسفر عن كلمة عربية أصلية هكذا: طال - جال - تاب، وذلك بعد حذف القطع "وت" (٦).

فهل - ياترى - كان هذا هو السبب في تركهم حذف "الألف" فيها؟

من جانبي أرجح هذا فإن أصبت فمن الله وإن كانت الأخرى فمضى وفوق كل ذي علم عليم. وأيا كان الشأن فإن حذف "الألف" من الأعلام غير العربية في رسم المصحف رمزوا به إلى الدلالة على أعجمية هذه الأعلام ولن يحذفوه عبثا أو جهلا بقواعد الخط.

﴿وهنا أشير إلى أن لنا وقفة خاصة مع (جالوت) وسبب الكتابة على رسمين﴾
 وبعض العلماء أشار إلى أن "سليمان" ليس أعجمياً ثم التمس وجها لحذف "الألف" منه
 ومن صالح ومالك وخالد هو كثرة الاستعمال (٧).

﴿وبقى توجيه كلمة (إِبْرَاهِيمَ) في البقرة فقط ، وفي غير البقرة بالياء هكذا
 (إِبْرَاهِيمَ).. وسنعود إليه على الصفحات القادمة إن شاء الله﴾

ومن الكلمات الأعجمية التي ثبت فيها "الألف" ولم يحذف كلمة "إلياس" الواردة في قوله
 تعالى: في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾. وقد عدلوا عن توجيه
 إثبات الألف فيه. والذي يتبادر إلى الفهم أنهم لم يحذفوا منه "الألف" لأن في حذفه إنهاكا
 في بنية الكلمة بكثرة الحذف منها لأن "إلياس" هذا هو "إل ياسين" في قوله تعالى: في
 سورة الصافات: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ (١٣٠)﴾. ولو كانوا قد حذفوا منه "الألف" لصار
 المحذوف منه ثلاثة أحرف هي: الألف- الياء- النون ، وكلها أحرف يغير بعضها بعضا ،
 وهذا يشير إلى أنهم يميلون إلى حذف الحروف المتماثلة غير المتخالفة؛ فقد رأينا أنهم
 حذفوا "الألفين" من "هامان" هكذا: "هن" وهكذا صنعوا في "طه" والأصل: "طاهها" ،
 فحذفوا منه الألفين لأنهما متماثلان ، وفي هذا إيماء إلى المنهج الدقيق الذي روعى في كتابة
 المصحف الشريف في عصر النبوة لأول مرة واعتمده الأمة، ونص الأئمة الأعلام على
 منع كتابة المصحف بغير الرسم الذي كتب به في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . ثم
 جُمع بعد ذلك في المصحف الإمام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٨)



النداء

كثر النداء في القرآن الكريم بـ"أيها" بإثبات "الألف" بعد "الهاء" وذلك مثل الآيات
 الآتية: في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا (١٠٤)﴾
 وسورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ (١٠٠)﴾
 وسورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ.. (٤٣)﴾
 وسورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ .. (١)﴾
 وكذلك ورد مع غير الذين آمنوا مثل: سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ
 حَلَالًا طَيِّبًا .. (١٦٨)﴾ وقد بلغت هذه الصيغة الندائية أكثر من مائة موضع، وهي مثبتة
 فيها "الألف" ، إلا في ثلاثة مواضع ترى "الألف" محذوفاً فيها ، وهي على الترتيب
 المصحفي على النسق الآتي:

الموضع الأول: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) النور

الموضع الثاني: سورة الزخرف: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ (١١)

الموضع الثالث: سورة الرحمن: ﴿ سَتَفْرُغُ لَكُمْ إِنَّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ (٣١)

ويرد على هذا سؤال لحوج: لماذا أثبت "الألف" في رسم المصحف الشريف في جميع ما ورد فيه من "ياأيها" ، وحذف من هذه المواضع الثلاثة: في النور وفي الزخرف وفي الرحمن؟

إنه لمن المحال أن يكون هذا التصرف لغير حكمة أو لغير معنى مراد أو لغير مقتضى اقتضاه. إذن فما الذي اقتضى الحذف في هذه الآيات يا ترى؟

رحم الله علماءنا خدمة كتاب الله عز وجل فأجابوا على هذا السؤال إجابة صائبة يعاضد ضواها المقام أو السياق الذي ورد فيه هذا الحذف في الآيات الثلاث واليكم البيان:

ذكروا في توجيه هذا الحذف في المواضع الثلاثة عبارة جامعة قالوا فيها: "والسر في سقوطها- يعنى الألف- في هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها غاية في الفهم يمتد النداء إليها.."- فلا يوجد في نهاية الكلمة (مد).

وتفصيل ذلك هو ما يأتي: أن النداء في (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) فإن النداء فيه موجه إلى "المؤمنون" جميعاً بأن يحصلوا التوبة التي يترتب عليها الفلاح وليس بعد تحقيق هذه القيم غاية تتطلب نداء.

وأن النداء في "ياأيها الساحر"، والمراد منه رسول الله موسى عليه السلام ، ليدعو الله بما عهد عنده من الوعد الحسن لعباده المهتدين ، وترتيب هدايتهم على هذا النداء ، غاية قصوى لا تترك نداء لما هو فوق منها .

وأن النداء من الله عز وجل يوم القيامة للإنس والجن لا يترك مجالاً آخر لنداء غيرهم لأن الإنس والجن هم المكلفون.

هذه هي إجابة علمائنا الأقرين (خدمة كتاب الله العزيز) في كشف اللثام عن السر اللطيف وراء حذف "الألف" بعد "الهاء" من الصيغة الندائية الكثيرة الورد في القرآن "ياأيها" .

وفي هذه الإجابة كفاية وشفاء ، وتطبيق قاعدتها على مقام الحديث في الآيات الثلاث يؤازر ما قالوه- رحمهم الله-

﴿وهنا نقف لنحاول أن نتلمس أسراراً أخرى وراء هذا الحذف﴾

أيه المؤمنون (النور)... يا أيه الساحر .. أيه الثقلان

(١) ﴿مَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾ الزخرف

الزخرفى: وقرئ «يا أيه الساحر» بضم الهاء،... وقيل: كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر: { بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ } بعهدك عندك: من أن دعوتك مستجابة. أو بعهدك وهو النبوة. أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة. أو بما عهد عندك من كشف العذاب عن اهتدى.

السمرقندى: { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ } وكان الساحر فيهم، عظيم الشأن يعني: قالوا لموسى: يا أيها العالم

الثعالبي: وقالوا لما عاينوا العذاب لموسى: { يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ } [أي]: العالم، وإنما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير؛ لأنَّ عِلْمَ السَّحْرِ عندهم كان علماً عظيماً، وقيل: إنما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء، والأوَّلُ أَرْجَحُ،

ويقول الطاهر: والمعنى: ولما أخذناهم بالعذاب على يد موسى سألوه أن يدعو الله بكشف العذاب عنهم. ومخاطبتهم موسى بوصف الساحر مخاطبة تعظيم تزلفاً إليه لأن الساحر عندهم كان هو العالم وكانت علوم علمائهم سحرية، أي ذات أسباب خفية لا يعرفها غيرهم وغير أتباعهم.. وكان السحر بأيدي الكهنة ومن مظاهره تحنيط الموتى الذي بقيت به جثث الأموات سالمة من البلى ولم يطلع أحد بعدهم على كيفية صنعه. وقرأ الجمهور { يا أيه الساحر } بدون ألف بعد الهاء في الوصل وهو ظاهر، وفي الوقف أي بفتحة دون ألف وهو غير قياسي لكن القراءة رواية.

من هنا يتضح أن ذهابهم لموسى وندائهم له كان على وجه السرعة والإستجداد السريع به وخاصة بعد قوله: ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾... فهو موقف سرعة وتزلف منهم لموسى ووصفه بصفة العلم وتوقيرهم له ب(أيها).. وكل ذلك (لمصلحتهم في طلب رفع العذاب عنهم.. وبسرعة)

وأقول أيضاً: لاحظ: «بِسَائِبِ السَّاحِرِ» نداء للقرب والزلفى والتملق، بخلاف حكايته عنهم في قولهم للنبي محمد (ﷺ) ﴿بِسَائِبِهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ فإنه نداء للبعد والإستبعاد والتهمك وفيه الهدوء وليس السرعة)..

(٢) أما الآية الثانية فقد وردت في سياق هام وخطير جداً وفي مناسبة عصيبة في سياق آيات سورة النور وحادثة الإفك ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) .. هنا يلاحظ النداء العاجل في نبرة السياق وخاصة بعد الحديث عن العفة .. ((وتوبوا)) إِلَى اللَّهِ (جَمِيعًا)).. وخاصة في سياق السورة المتهبة بأخطر قضية (حادثة الإفك) التي كانت نذير رهيب يهدم المجتمع ، ويحتاج الأمر سرعة إرساء قواعد العفة والتوبة السريعة . ولاحظ تقدم النداء بالتوبة على يا أيها(أى قال: وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون) .. فلم يقل (بأيها الذين آمنوا توبوا).. والتي تعطى ملمح البطء في التوبة .. أما تقديمها فهو للإعتناء بالتوبة والسرعة في طلبها؛ فالأمر لا يمتثل تأجيل أو تماون بعد ما حدث ، وخاصة في معرض الحديث عن أخطر قضية هزت المجتمع الإسلامي كله وكادت تقضى على الدين كله.... ويقول الطاهر: ووقع التفات من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطاب الأمة لأن هذا تذكير بواجب التوبة المقررة من قبل وليس استئناف تشريع . (وأقول: ومن هنا نلاحظ ملمح السرعة والأهمية في ملفت الإلتفات أيضاً)

(إذن هو نداء للسرعة والقرب يناسبه حذف الألف إضافة إلى توجيه الزر كشي السابق)

(٣) ﴿سَفَرُغُ لَكُمْ إِنَّهُ النَّقْلَانِ﴾ . الزمخشري: { سَفَرُغُ لَكُمْ } مستعار من قول الرجل لمن يتهدده : سافر غ لك ، يريد : سأبتعد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك ، حتى لا يكون لي شغل سواه ، والمراد : التوفر على النكاح فيه والانتقام منه (((((وهذا يعنى سرعة الانتقام وأن الانتقام وصل إلى غاية ما بعدها غاية)))))) ،

((وربما نقول أن النص يقصد السرعة في إنهاء الكلام المناسب أيضاً مع جو التهديد الملاحظ .. وهذا بخلاف قول موسى الذي يريد الإطالة والأنس مع الله (قال هي عصاى أتوكؤا) ... ولاحظ النطق بكلمة (أتوكؤا) - بالفتحات المتوالية على الألف والسواو والكاف - وحاول استبدالها بكلمة أخرى مثل (أعتمد ، أو أرتكز عليها) تجدد البطء

والتباطؤ المتعمد واضحاً في حال النطق بكلمة (أتوكوا) بفتحها المتوالية التي تجعل من الكلمة الواحدة عدة كلمات متوالية... ولاحظ قول فرعون: يا أيها الملأ... وغيرها ليس فيها ملحظ السرعة هذه.

إذن - بعد كل ماسبق يتضح أن الحذف للملح السرعة ، وطى الحديث على عجل ؛ إما للتوبة السريعة او للإستنجاد السريع بالمنادى أو بالتهديد العنيف والسريع ((سفرغ لكم أيه)) .. وكل هذا يناسبه عدم الإطالة التي يحدثها وجود الألف والتي تعني الهدوء الذي يناسب جميع الآيات المذكورة سابقاً ؛ من الدعوة إلى التشريع والأمور التشريعية وتقوى الله - التي هي على المدى البعيد وليس على وجه السرعة - .

بينوم

(١) ﴿ قَالَ يَبْتَدِئُونَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ طه .

(٢) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٥٠) الأعراف

نلاحظ في أن النصوص في سورة الأعراف تصور الحدث سريعاً وعنيفاً (.. غَضْبَانَ أَسِفًا.. وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ...) بخلاف المشهد الهاديء في سورة "طه" الذي يناسب هدوء السورة ولينها ولين حروفها، الذي يختلف عن سياق سورة الأعراف ، ولعله - في سورة طه - كان في البداية قبل ارتفاع سورة الغضب - التي يقول قبلها: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَبْتَدِئُونَ... ﴾ (ففي آية طه) هو نص هاديء ولذلك جاء قبلها بحرف النداء (يــــا) .. ثم جمع كلمة (بَتَدِئُونَ) - دون تفرقة لحروفها - ليذكره بالرحم الواحد الذي جمعهما (الصلة) والرابطة القوية بينهما (التي عبر عنها الرسم بوصل وربط الحروف ببعضها) ..

ولكن لما زاد موسى حدة على أخيه - في آيات الأعراف- وأخذ برأسه يجره إليه وألقى الألواح هنا كان رد هارون سريعاً وصارخاً فقام بإلغاء وحذف حرف النداء (وقال ابن أم) .. ثم (زادت) نبرة وحدة الصوت منه - كما هو متخيل - فقطع كلمة يَبْتَدِئُونَ .. وجعلها (ابْنَ أُمَّ) التي تصور المشهد العالي النبرة المتوقف والمظهر والصارخ بكل حرف من حروف الكلمة.. وخاصة وأنت تنطق كلمة أم" جاهراً بحرف الألف الذي هو حرف

الشدة والجهر وبادئاً به ، وهى متفرقة الحروف (ابن أمّ) وأنت تقرأ حرف النون وهو مفتوح قبل ألف كلمة "أم" ، وحاولها على الوجه الآخر المتجمع فى سورة "طه" لترى الفارق .

وبعد أن كتبت هذا الحديث اطلعت على ما قاله الإمام الزركشى ووجدته قد عكس النداءين - وربما يكون على صواب - فقال: ومن ذلك "ابن أم" فى الأعراف مفعول على الأصل، وفى طه روى موصول لسر لطيف وهو: أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناداه من قرب على الأصل الظاهر فى الوجود ، ولما تلمذى ناداه بحرف النداء ينبهه لبعده عنه فى الحال لا فى المكان، مؤكداً لوصلة الرحم بينهما بالربط (ينثوم) فلذلك وصل فى الخط ، ويدل عليه نصب الميم ليجمعهما الاسم بالتعميم



ومما شاع فيه حذف "الألف" ، الجموع السالمة ، وكذلك المكسرة مذكرة كانت أو مؤنثة ، وذلك مثل ما ورد فى قوله تعالى: فى سورة الأحزاب ٣٥ ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فى هذه الآية الكريمة عشرون جمعا سالما ، عشرة جموع مذكرة وعشرة جموع مؤنثة .

وقد ورد حذف "الألف" فى سبع جموع مذكرة هى القاتنين، الصادقين، الصابرين، الخاشعين، الصائمين، الحافظين، الذاكرين . أما الجموع العشرة المؤنثة فقد حذف "الألف" فيها جميعها ، وفى ثلاثة منها حذف "الألف" مرة واحدة وهى: المسلمات، المؤمنات، المتصدقات . أما فى الجموع السبعة الأخرى فقد حذف "الألف" مرتين فى كل جمع منها وهى: القاتنات، الصادقات، الصابرات، الخاشعات، الصائمات، الحافظات، الذاكرات . وفى توجيه هذا الحذف أشاروا أولاً إلى أن هذه "الألفات" المحذوفة زائدة ليست من أصول الكلمة وهذا حق وبيان ذلك:

أن "الألفين" المحذوفين من "القاتنات" مثلاً لا وجود لهما فى الفعل الذى صيغ منه اسم الفاعل المؤنث المجموع ، لأن صيغة الفعل هى: قنت فى الماضى يقنت فى المضارع ، وكذلك: "الصدقت - الصبرت" فهما اسم فاعل من: صدق وصبر و"الألفان" اللذان

فيهما استُجلب أولهما لبناء اسم الفاعل - مذكرا كان أو مؤنثا-: صادق، صادقة، صابر، صابرة. أما "الألف" الثاني فمستجلب للدلالة على الجمع: صادقات، صابرات. ولعل مرادهم من النص على هذه الزيادة أن يقولوا إن الزائد يسهل التصرف فيه مع بقاء ما يدل عليه. ثم أضافوا إلى هذه سببا آخر في حذف "الألف" فيما يحذف منه وهو الاختصار وكثرة الاستعمال. هذا ما ذكره في توجيه الحذف في هذه المواضع.

وبقيت لنا إضافة مستوحاة مما سبق أن قالوه وتقدم ذكره كثيرا في الحلقات السابقة؛ وها نحن نذكر تلك الإضافة كما لاحت لنا بالقياس على بعض قواعدهم - رحمهم الله -. القارئ الذي صحبنا بدقة منذ بدأنا الحديث عن أسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف حتى هذه اللحظة يعرف أن علماءنا الأقدمين الذين عللوا ما كتب في المصحف مخالفاً للخط الإملائي العام قد أفصحوا مرات على أن الحذف يرمز به كثيرا إلى التفرقة بين المعنوي الذي يدرك بالعقل والمادى الحسى الذى يدرك بالحواس الظاهرة: السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس، وقد نصوا كثيرا على أن حذف "الياء" وحذف "الألف" كثيرا ما يكونان رمزا للدلالة على "المعنويات"

وإنعاشا لذاكرة القارئ نعيد المقارنة بين كلمتين مما سبق لنا توجيه الفرق بينهما على الأساس المتقدم. قال الله عز وجل: (في سورة الكهف:) ﴿ إَلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكُرَّا بَلَكًا إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ ﴿٢١﴾

وقال: حكاية عن موسى عليه السلام: في سورة القصص: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢٢)

ورد الفعل في آية الكهف "يهدين" محذوفا منه "الألف" وورد في آية القصص "يهديني" مثبتا فيه "الألف"، قال علماءنا - رضى الله عنهم - إن سبب الحذف في آية الكهف هو الدلالة على أن "الهداية" المطلوبة معنوية - هي التذكر بعد النسيان فهي - إذن - أمر معنوي يحس في فكر الإنسان. أما الحذف في آية القصص فلأن موسى عليه السلام طلب من الله هداية حسية هي معرفة الطريق الذى يسلكه إلى مدين.

إذا تقرر ذلك نقول: إن الحذف في الكلمات الواردة في آية سورة الأحزاب لا يبعد أن يكون رمزا إلى معنوية الصفات المذكورة فيها وهي: الإسلام، الإيمان، القنوت، الصدق، الصبر، الخشوع، التصديق، الصيام، الحفظ المراد به العفة الخلقية، الذكر. لأن المراد من المؤمنات والمسلمات والقانتات ومن بقية الصفات المدلول عليها بأسماء الفاعلين مذكرين ومؤنثات هو الصفات لا الذوات.

وليس في هذا الفهم مصادرة لما قاله علماءنا الأقدمون - رضى الله عنهم - ولكنه اضافة لا تلغى ماقالوه لأنها مسaire لما ذكره لا مغايرة له.

ونحن - كما يعرف القراء الكرام - استوحينا هذه الإضافة من قواعدهم التي نصوا عليها وطبقوها على عشرات الخصوصيات في الرسم المصحفى الشريف.

ومن الآيات اللافنة للنظر في الاثبات والحذف قوله تعالى: ﴿ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ فقد أثبت "الألف" في: الطوفان، والجراد. وحذف في: الضفدع وآيت مفصّلت. وجريا على القواعد التي ذكرت مع تطبيقاتها من قبل يمكن أن يدرك أن "الألف" في الطوفان والجراد لأنهما كائنان ماديان حسيان لهما وجود ظاهر في عالم المحسوسات؛ فالطوفان هو تدفق الماء مع ارتفاعه. والجراد حشرات طائرة وقد تسير في أسراب تحجب ضوء الشمس. فثبت "الألف" رمز على ماديتها وحسيتها الظاهرة.

أما حذف "الألف" في "الضفدع" وإن كانت كائنات مادية حسية فليس لها ظهور حسي كالطوفان والجراد، لأنها تعيش في الماء، ففيها نوع خفاء كما ترى ولا يقدر في هذا الفهم الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ فِي سُوْرَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿ وَسَلَّلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ

حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ﴿١١٢﴾ لأن "الألف" أثبتت في "حيتاهم" وهي كائنات مائة من شأنها الخفاء أكثر من الضفادع؟ لأننا نقول في الرد على هذا الاحتجاج: إن "حيتاهم" في هذه الآية لم تكن خافية في الماء لأن الله عز وجل أثبت لها صفتين قويتين في الظهور وهما: * الإتيان المدلول عليه بـ "تأتيهم" .

* ثم قوله تعالى: ﴿ شرعا ﴾ لأن معناه: ظاهرة على وجه الماء (١٢).

﴿ (وأقول: أنه من العجيب والمدهش أن هناك رسماً (للضفدع والجراد) بالألف مرة وبدون الألف مرة أخرى في بعض المصاحف ، مما أثار نائرة هؤلاء المنكرين لإعجاز الرسم العثماني .. والحقيقة أن توجيه هذين الرسمين لايحتاج إلى هذه المعضلة ؛ فإذا نُظر إلى هيئتها الظاهرية - المادية الملموسة - وما تفعله في عالم المادة والمشاهدة (تظهر فيها الألف) .. وإذا نظر إلى غرابتها في مكانها وفعالها - على أنه آية عجيبة - نقصت وأخفيت منها الألف - وهذا ما يوجهون بمثله القراءات المختلفة في علم القراءات ولايجدون في ذلك أدنى حرج - ؛ وهذا ليس بدعاً خاصاً للرسم العثماني حتى تثار بسببه

شبهة قالها بعض الأخوة العلماء وهي: أننا لا يجب علينا الاعتماد على الرسم العثماني الذي في أيدينا حيث أنه ثبت أن لبعض الآيات رسم مختلف في بعض المصاحف القديمة. والعجيب أنه يسرد هذه الكلمات التي لها رسمان ، وهي القليلة جداً والنادرة جداً وهي تعد على أطراف الأصابع بخلاف ما نراه في علم القراءات وما يعلمونه. والعجيب أيضاً أنهم هم أنفسهم الدارسون لعلم القراءات ، وهم الذين يحاولون محاولات مضنية في توجيه هذه القراءات المختلفة (التي تعد بالمئات إن لم تكن الآلاف) ، ولعلنا نسمع إنكار بعض العلماء وعلى رأسهم الإمام الطبري - وغيره - لبعض هذه القراءات وقوله: أنها كانت رخصة في حينها (لجهل الأعاجم الداخلين في الإسلام حديثاً)؛ ولكن بعد أن توحد اللسان العربي ونزلت العرصة الأخيرة على النبي (ﷺ) زالت هذه الرخصة ؛ ونراه يردد كثيراً أن هذه القراءة (المتواترة) لاتعجبه - وليقرأ الجميع تفسير الإمام الطبري - شيخ المفسرين - ولم يكفر بذلك.....

وقول الإمام الزركشي في البرهان ج ٢ ص ٣١٩ طبعة مكتبة دار التراث القاهرة: (والتحقيق أنها - أى القراءات السبعة - متواترة عن الإئمة السبعة، أما تواترها عن النبي (ﷺ) ففيه نظر؛ فإن إسناده الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة ... ويكمل الإمام الزركشي قوله: وهذا شيء موجود في كتبهم ، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه "المرشد الوجيز" إلى شيء من ذلك) انتهى قول الإمام الزركشي بنصه بل إنه في ص ٣٢٠ يقول: وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كره قراءة حمزة - التي وقفنا على أحد أمثلتها في (الميت) و(الميت) - لما فيها من طول المد وغيره، فقال - أى الإمام أحمد - لاتعجبني ، ويكمل الإمام الزركشي قوله: وإن كانت متواترة لما كرهها - أى الإمام أحمد - . انتهى كلام الإمام الزركشي بنصه

ورغم كل ذلك - وعلمهم بذلك - نجدهم يستكبرون أن توجد رسمتان لكلمة واحدة - في كلمات نادرة جداً تعد على أطراف الأصابع - وتوجيهها لايحتاج إلى كثير من أعمال الفكر - كما رأينا-؛ مع ملاحظة اعترافهم - كما ذكر غانم قدورى في رسالته عن رسم المصحف من الوجهة التاريخية قوله:- أنه لا يوجد مصدر موثوق به يؤكد أن هذه المصاحف - التي يشيرون إليها بالقدمية - هي النسخة الأصلية التي كتبت بخط عثمان . ((راجع مناقشتنا لغانم قدورى))

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ؕ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (١١٦) ويكمل د: مطعنى قوله : وحذف "الألف" فى "مُفَصَّلَاتٍ" ، لأن ذلك التفصیل أمر معنوى فى تدبير الله عز وجل ؛ فهذا التفصیل غيبى من تقدير الله قبل أن يروه واقعا فى حياتهم .

أما الحذف فى "ءآيَاتٍ" فله حديث خاص سيأتى فى موضعه إن شاء الله .

إن فى ما قدمناه فى هذه الحلقة وما قبلها أدلة قاطعة على أن كتبه وحى الله عز وجل لم يكتبوا آيات الكتاب العزيز إلا على منهج حكيم لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه صورة للوحى الإلهى ، وكان رسم المصحف الشريف فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه هو مادون به الكتاب العزيز فى حياة من أرسله الله رحمة للعالمين . ولذلك أطلقوا على عمل عثمان أنه جمع للمصحف وليس كتابته من جديد .

القبض والبسط (١)

وبدءا من هذه الحلقة (الثامنة عشرة) نودع الحديث عن الحذف والاثبات أو النقص والزيادة . إلى الحديث عن سمات أخرى تتصل برسم بعض الحروف فى رسم المصحف الشريف .

وحديثنا فى هذه الحلقة نبدؤه مع كلمات قرآنية محتومة بـ"تاء" التأنيث فعلى الرغم من أن الكلمة واحدة فى ميناها ومعناها تجد "تاء" التأنيث التى هى فى نهاية الكلمة تأتى على صورتين :

إحدهما: أن تكون "التاء" مربوطة (= مغلقة) وهو الأصل مثل رحمة - نعمة - امرأة - كلمة - سنة وهكذا .

الثانية: أن تكون "التاء" مبسوطة (= مفتوحة) وهو خلاف الأصل مثل: رحمت - نعمت - امرأت - كلمت - سنت وهكذا ، وهذه ظاهرة لافتة للنظر مثيرة للتساؤل لماذا ربطت "التاء" فى ما ربطت فيه؟ ولماذا فتحت فى ما فتحت فيه؟

ومحال محال أن يكون الربط والفتح خاليا من الدلالة والمقتضى للربط أو الفتح والبسط ؛ إذ لابد من معنى وراء كل منهما ، وهذا ما نعرض له - الآن - بعون الله وتسديده . ولنأخذ فى سوق الشواهد وتحليلها بما يزيل كل لبس بإذن الله الهادى لأقوم سبيل .

الرحمة مقبوضة ومبسوطة

من الكلمات القرآنية التى ورد رسمها فى المصحف الشريف بقبض "التاء" وبسطها كلمة الرحمة ولها حالتان من حيث البناء الصرفى :

إحداهما: قطعها عن الإضافة ، سواء كانت معرفة أو نكرة ، وفي هذه الحالة تكون "التاء" فيها مقبوضة أو مربوطة، والقبض والربط بمعنى واحد ، ومن أمثلتها قوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ .. (١٧٨)﴾ وقوله تعالى: في سورة آل عمران: ﴿وَهَبْ لَنَا مِّن لَّدُنكَ رَحْمَةً .. (٨)﴾

وقوله تعالى: في سورة الأنعام: ﴿كُتِبَ عَلَي نَفْسِهِ الرِّحْمَةُ (١٢)﴾ .
ثم قوله تعالى: في سورة الإسراء: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرِّحْمَةِ .. (٢٤)﴾ . هذه أربعة أمثلة في أربع آيات من أربع سور ، مثالان منها وردت كلمة "رحمة" نكرة ، ومثالان وردت معرفة "الرحمة" ، وكلها كانت "التاء" فيها مقبوضة مربوطة ، مع ملاحظة أنها كلها مقطوعة عن الإضافة .

أما الحالة الثانية: فوردت كلمة "رحمة- رحمت" مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى ، إما إلى "الله" وإما إلى "ربك" بكاف الخطاب .

واختلاف رسم "التاء" فيها بين القبض والبسط (= ربط التاء وفتحها) هكذا: "رحمة- رحمت" له دلالات ولطائف ، ولم يأت خاليا من الدلالة على معنى قط . ومن مواضع قبض "التاء" قوله تعالى:

في آل عمران: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾

وقوله تعالى: في سورة الحجر: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾

الإسراء: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ (١٠٠)﴾

في سورة ص: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)﴾

في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾

هذه خمسة أمثلة وردت فيها كلمة "رحمة" مضافة إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى، وقد رسم فيها حرف "التاء" مربوطا - أى مقبوضا مغلقا غير مفتوح ولا مبسوط- . وهذا هو منهج لغة القرآن الكريم في رسم هذه الكلمة سواء كانت معرفة أو نكرة أو حتى مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى .

يقول الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المعروف حدثنا محمد بن أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم النحوي قال: "وكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر الرحمة فهو بـ"الهاء" - يعنى التاء المربوطة التي تنطق في الوقف هاء تأنيث- فهو بـ"الهاء" إلا سبعة أحرف" .

يعنى أن هذه الكلمة "رحمة- الرحمة" الأصل فيها ربط تائها لا فتحها ، إلا في سبع مواضع من القرآن الكريم رسمت فيها كلمة "رحمت" بقاء مفتوحة أو مبسوطة أو ممدودة ، وهذه المصطلحات تعنى عند علماء علوم القرآن الكريم معنى واحداً.

وقبل أن نبين لطائف وأسرار هذا الاختلاف في رسم هذه الكلمة نذكر أولاً المواضع السبعة التي وردت فيها كلمة "رحمت" بالباء المفتوحة وهي على ترتيب المصحف كما يلي:

الموضع الأول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢١٨) البقرة

الموضع الثاني: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) الأعراف
الموضع الثالث: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (٧٣) هود

الموضع الرابع: ﴿ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ (٢) مريم
الموضع الخامس: ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (٥٠) الروم
الموضع السادس: ﴿ أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣٢) الزخرف

الموضع السابع: الآية نفسها من سورة الزخرف

هذه هي المواضع السبعة التي وردت فيها كلمة "رحمت" مبسوطة "التاء" غير مربوطة ، وهنا يأتي السؤال المهم: عرفنا أن الأصل في رسم هذه الكلمة في كل مواضع ورودها في القرآن أن يكون "التاء" فيها مغلقاً، فلأى شيء خولف هذا الأصل في المواضع السبعة المذكورة؟

أما كان الأولى هو توحيد رسمها إما مربوطة "التاء" على الأصل؟ وإما مفتوحة "التاء" ؟
والجواب: إن مجيء "التاء" مربوطاً في الأعم الأغلب على الرغم من أنه الأصل فإن له معنى اقتضى ربط أو غلق "التاء" ؛ ذلك المعنى هو الدلالة على مجرد الاسمية دون اعتبار - آخر زائد - على مجرد الاسمية؛ أى المعنى العام للرحمة المقابل لمعنى العذاب.

أما المفتوح "التاء" فإن معناه مختلف عن معنى مربوط "التاء" لأنه أخص منه وذلك أعم لأن المراد منه معنى الفعل لا معنى الاسم، أو بعبارة أشد وضوحاً: المراد من مربوط

"التاء" المعنى العام للرحمة ، وهو يشمل الرحمة المدخرة عند الله إلى أبد الأبدين. ثم الرحمة الواقعية التي يتمتع بها الناس واقعا ملموسا في حياتهم.

أما معنى المفتوح "التاء" فإن المراد منه الرحمة الواقعية فحسب - أى التى ينعم بها الناس الآن -

﴿(وأقول: هذا المعنى - العام والخاص - ليس غريباً على حس اللغة العربية وذوقها - وخاصة فيما نسميه بالمتراقات - حيث أننا نجد الكلمة لها معنى عام ، ومرادفها - الذى يظهر لنا أنه نفس المعنى - نجد له معنى خاص نميزه بجرس الكلمة (راجع أبو هلال العسكري فى الفروق اللغوية... وسنضرب أمثلة لذلك فى نهاية الباب.))﴾

إذن فما كان مدخرا عند الله غير مستعمل فهو "رحمة" بربط "التاء". وما كان مستعملا فى حاضر الناس وآثاره مدركا لهم - كالماء الذى يشربونه والطعام الذى يأكلونه وصحة الأبدان والحواس التى يميزون بها بين المدركات - فهذه "رحمت" بفتح "التاء" ، وما كان عند الله من الرحمة الواسعة التى سينعم الناس بها فى أوقات لاحقة فهو "رحمة" بالتاء المغلقة المربوطة.

وتفصيل ذلك وتوضيحه أكثر فأكثر يتوقف على المقارنة بين ما كان "التاء" فيه مغلقا مربوطا هكذا "رحمة" ، وما كان "التاء" فيه مفتوحا هكذا "رحمت".

على أننا فى هذه المقارنة سنستبعد الأمثلة التى وردت فيها الرحمة معرفة أو نكرة ، ونقصر المقارنة على ما ورد مضافا إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى لأنه هو المقصود لنا من هذه الدراسة .. فنقول مستمدين الهداية والتوفيق من الله عز وجل. ولنبدأ بالمقارنة بين الموضوعين الأولين مما ذكرناه قبلا من أمثلة مقبوض "التاء" و"مفتوحها" وهما:

* (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةٍ اللَّهُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)) آل عمران:

* (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)).

قبضت "التاء" فى الأولى (ففى رحمة الله). لأن الرحمة هنا المراد بها الجنة ، والجنة سيدخلها أهلها فى الحياة الآخرة لا فى الحياة الدنيا، فهى - إذن - رحمة مدخرة عند الله غير مستعملة الآن. ... وفتحت "التاء" فى نظيرة الآية الأولى (أولئك يرجون رحمت الله) لأنها رحمة عاجلة فى المقام الأول؛ فهى رحمة مهيئة للاستعمال والتمتع بها فى الدنيا موصولا بالتمتع بها فى الآخرة. فجاء قبض "التاء" رمزا على الرحمة الآجلة، وفتحتها رمزا على الرحمة العاجلة.

الموضع الثانى مع نظيره:

* (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (٥٦) سورة الحجر

* (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (٥٦) سورة الأعراف

قبضت "التاء" في الأولى (ومن يقنط من رحمة الله)، لأنها وردت في سياق حديث عن الضالين الذين يتسوا من رحمة الله فهم محرومون ، وهي رحمة ممتنعة في حقهم ليس لهم في رحمة الله نصيب ، إنما رحمة مغلقة أبوابها في وجوههم فناسب هذا غلق "التاء".
أما في نظيرتها فقد جاءت كلمة "رحمت" مفتوحة "التاء" لأنها وردت في سياق الحديث عن المحسنين ، ورحمت الله قريب منهم ، فهي رحمة مبذولة لهم في الدنيا "رحمة عاجلة" ليتمتعوا بها في هذه الحياة الدنيا.

رحمة مفتوحة أبوابها للمحسنين من الله عز وجل كما قال سبحانه: في سورة فاطر: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾ فقبض "التاء" رمز به إلى معنى لطيف هو حرمان الضالين من ألطاف الله ورحمته في الدنيا موصولاً هذا الحرمان بمصيرهم في الآخرة

أما مع المحسنين فإن رحمت الله مبذولة لهم كما قال عز وجل: في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾ (وأرى إضافة لهذا الرأي رأياً آخر وهو النظر إلى قوله تعالى (رحمة الله قريب) حيث أنه أخير عن الرحمة - وهي مؤنثة - بقوله "قريب" وهو مذكر ، وقد ذكر الإمام ابن القيم لها إثني عشر مسلكاً، ونختار أعدل ما إختاره هو هو: أن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر، لكونه تبعاً له ومعنى من معانيه مثل قوله (والله ورسوله أحق أن يرضوه) والمعنى : والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فاستغنى بإعادة الضمير إلى الله إذ إرضاءه هو إرضاء رسوله فلم يحتج أن يقول: يرضوهما.

وعلى هذا يكون الأصل في الآية (إن الله قريب من المحسنين وأن رحمة الله قريبة من المحسنين).. وكما يكمل: بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين... وأن الاحسان يقتضى قرب الرب من عبده كما أن العبد قرب من ربه بالإحسان، وأن من تقرب منه شيراً تقرب الله منه ذراعاً...

ففي حذف التاء هنا من (قريب) - رحمة الله قريب - تنبيه على هذه القاعدة العظيمة الجليلة، وأن الله قريب من المحسنين وذلك يستلزم القربين : قربه وقرب رحمته، ولو قال (إن رحمة الله قريبة من المحسنين) لم يدل على قربه تعالى منهم لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته، والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه... فلا تستهن بهذا المسلك فإن له

شأناً وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب... إلى أن قال: ..فكان العدول عن "قريبة" إلى "قريب" من استدعاء الإحسان وترغيب النفوس فيه.. وأكتفى بهذا النقل القيم من الإمام ابن القيم الذي يؤكد فيه على ضرورة فتح التاء لكل هذه المعاني التي يتعاقب فيها رسم الكلمة مع بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

الموضع الثالث مع نظيره:

* ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ (١٠٠) ﴾

* ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ (٧٣) هود) ﴾ .

قبضت "التاء" أو أغلقت وربطت في الآية الأولى من كلمة "رحمة" لأنها رحمة مخزونة بدليل قوله عز وجل: (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) فهي إذن رحمة مخزونة غير مبذولة رحمة واسعة مدخرة عند الله عز وجل.

فناسب هذا المعنى المصرح به إغلاق "التاء" وربطها أو قبضها.

أما في نظيرة هذه الآية فجاءت "رحمت" مفتوحة "التاء" لأنها رحمة مبذولة لأهل بيت نبوة إبراهيم عليه السلام، ومن صورها العاجلة بشرى إبراهيم عليه السلام بالولد رحمة من الله . لأنه قبل هذه الآية ورد قوله تعالى: في سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَأَمْرَاتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) . قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) ﴾ فهذه رحمت منجزة عاجلة من الله بها على أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعلى زوجه فرزقهما إسحاق في سن الشيخوخة الفانية والله على كل شئ قدير. لذلك جاءت كلمة "رحمت الله" هنا مفتوحة "التاء" للإشعار بهذا المعنى من طرف خفى وهذا ملمح جديد من ملامح الإعجاز القرآني في رسمه الشريف.

الموضع الرابع مع نظيره:

* ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ (٩) سورة ص.

* ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ (٢) سورة مريم) .

أغلق حرف "التاء" في الآية الأولى لأن الرحمة فيها هي الرحمة المدخرة عند الله بدليل قوله تعالى: (خزائن رحمة ربك) ، والشئ المخزون مدخر محفوظ كما تقدم في آية الإسراء ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠) ﴾ .

فجاء حرف "التاء" مربوطا مغلقا حتى لكأن ربطه وكاء مطبوع على منافذ أو أبواب خزائن الرحمة المدخرة عند الله عز وجل.

أما في الآية الثانية (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) فكان فتح "التاء" في (رحمت) رمزا لطيفا إلى معنى لطيف هو أن القرآن يتحدث عن رحمة عاجلة مبذولة هي ما أنعم الله بها على عبده زكريا عليه السلام، وجاءت الآيات التي بعد هذه الآية تشرح ذلك وتفصله: * في سورة مريم: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِنْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) ﴾ . إن الخلاصة السريعة لهذه الآيات أن زكريا عليه السلام دعا ربه فاستجاب الله دعاءه ومنَّ عليه بـ"يحيى" عليه السلام.

إذن فإن الرحمة في هذه الآية (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) رحمة عاجلة منجزة لذلك جاء حرف "التاء" فيها مفتوحا على مصراعيه ليومئ إلى هذا المعنى اللطيف ويؤكد بكل قوة صدق القاعدة في ربط "التاء" و"فتحها" .

الموضع الخامس مع نظيره:

* في سورة الزمر: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾
* وسورة الروم: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾

قبضت "التاء" في الآية الأولى لأن الرحمة وردت في سياق الحديث عن المسرفين على أنفسهم في المعاصي حتى صاروا قانطين من رحمة الله ، فهم في هذه الحالة محرومون من الرحمة ما لم يرجعوا ويتوبوا إلى الله عز وجل. وفي الآية ترغيب لهم في الإنابة إلى الله لتناهم هذه الرحمة التي هم محرومون منها قبل توبتهم إلى الله. فأنت ترى أن ربط أو إغلاق "التاء" في (رحمة الله) في هذه الآية جاء رمزا على هذا المعنى ولا ينازع في هذا أحد منصف للحق أين وجده.

أما الآية الثانية فقد فتحت فيها "التاء" من كلمة (رحمت الله) لأنها تتحدث عن رحمة واقعية منجزة عاجلة في الحياة الدنيا ترى بالبصر والبصيرة معا وكفى دليلا على ذلك قوله تعالى: (فانظر إلى آثار رحمت الله). فقد دعانا الله عز وجل إلى النظر إلى آثار رحمته لأنها

مائلة أمامنا حتى أصبحت موضوعا للنظر ثم دعانا إلى التأمل في كيفية إحياء الله للأرض بعد موتها. فقد كانت جرداء قاحلة قبل إنزال الله الماء عليها ثم اهتزت الأرض وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من الزروع والنباتات والأشجار والثمار المختلف الحجم والألوان والطعوم. أليست هذه رحمة حاضرة مفتوحة أبوابها. وهكذا جاء فتح "التاء" في كلمة (رحمت الله) في هذه الآية إشارة لطيفة إلى هذا المعنى اللطيف.

فهل - بعد هذا الوضوح - يشك شك أو يرتاب مراتب في صدق هذه الملاحظات حول ربط "التاء" في "رحمة الله ورحمت الله" في رسم المصحف الشريف؟ وهل يصح في عقل عاقل أن يسوى بين رحمة الله المربوطة "التاء" ورحمة الله المفتوحة "التاء" في الدلالة؟! كلا ثم كلا، فكتاب الله العزيز كل شئ فيه جاء لمعنى لا لغو فيه ولا نقص ولا زيادة.

***بقي موضعان من المواضع السبعة التي جاءت كلمة الرحمة فيها مفتوحة "التاء" وقد ورد في آية الزخرف في قوله تعالى: في سورة الزخرف: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾

فتحت "التاء" في (رحمت ربك) في الموضعين. أما في الأول فلأن المراد من (رحمت ربك) هو النبوة أو القرآن، وهما رحمتان حاضرتان منجزتان. والدليل على أن المراد من هذه الرحمة النبوة أو القرآن قوله تعالى قبل هذه الآية مباشرة (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم). فقد زجوا بأنفسهم فيما ليس هم له بأهل، فرد الله عليهم بأنه هو المتصرف في أحص شئوهم لا هم، فكيف يتدخلون فيما ليس هم له بأهل.

أما الموضع الأخير وهو:

* (ورحمت ربك خير مما يجمعون) فالمراد من الرحمة هنا: هداية الله والفوز بالنجاة في الدنيا والآخرة وهي - كما ترى - رحمة منجزة حاضرة ممتدة آثارها إلى أبد الأبد. وهكذا ظهر لنا جليا من خلال هذه التحليلات والمقارنات أن ربط "التاء" و"فتحها" في كلمة الرحمة مضافا إلى اسم ظاهر من أسماء الله في الرسم العثماني للمصحف الشريف سمة من سمات إعجازه "الخطي" لكل منهما معنى خاص، وما قدمناه في هذه الحلقة كاف شاف في بيان الفرق بين الربط والفتح أو القبض والبسط وسيأتى لهذين نظائر في الحلقات الآتية بإذن الله.

وهنا نكمل البحث باستعراض الآيات وبعض التعقيب عليها

(١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢١٨) البقرة.. الزمخشري: { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا } روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ، ظنّ قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر ، فترلت { أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ } وعن قتادة : هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون . وإنه من رجا طلب ، ومن خاف هرب (ومن هنا نعلم أنها نزلت في خير الصحابة من المجاهدين الذين تناولهم رحمة الله ليس في الآخرة فقط ولكنه يشير هنا إلى رحمته لهم بسرعة العفو عنهم في موقفهم هذا وفتح باب الرحمة بهم واضح في هذا المشهد الذي جعله تطميناً لقلوبهم)

(٢) ﴿أَمِنَ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الزمر. هنا يرجو رحمة ربه يقصد بها (الآخرة) بخلاف رقم (١) - آية البقرة - فهي طلب مغفرة وأمان من العقاب الدنيوي أيضاً...

ويقول ربنا في آيات الزمر هذه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩) فهو ينفى استواءهم في الآخرة لأن الدنيا دار ابتلاء وربما يكون الكافر أوفر حظاً فيها.

وملاحظة أخرى وهي: أن التاء المفتوحة وردت (٧) مرات ، و أنها جميعاً وردت في السور التي بدئت بالحروف المقطعة. وهذا سرٌّ آخر لعل القارئ يفتح الله عليه في ذلك ﴿وهنا ألفت نظر الإخوة القراء بأن هذا الحديث عن كلمة (رحمة) هو للرحمة المضافة إلى اسم الجلالة (رحمت الله أو رحمت ربك).. وهذا يختلف عن (رحمة) مفردة - غير مضافة لإسم الجلالة - (فهذه كلها مغلقة التاء وليست في موقف المقارنة في بحثنا هذا)... وهذا ملفت هام جداً جداً ، لأنه - للأسف الشديد - اختلط هذا الأمر على بعض العلماء الأحناف - دون ذكر لأسمائهم - وأخذوا يضربون الأمثلة على ما يخالف هذه القاعدة: قاعدة (القبض والبسط) دون فهم لهذا الملفت وهو: أننا نقارن الإسم المضاف للفظ الجلالة ، أما الغير مضاف فهي مغلقة دائماً بمعنى الإسم "الرحمة" ..

وأضرب مثال على ذلك الخلط غير المتعمد ضربه عالم فاضل - نكن له كل الاحترام - قام فيه مقارناً بين الآيتين: الأولى: ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢) .. والآية الثانية: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٩٨)

الكهف .. وقال: في الآية الأولى رحمة (فتحت) في مريم ، وفي الثانية- آية الكهف- رحمة مفتوحة أيضاً لأنها هي (بناء السد) وقد تم بناؤه وقد حدث على الواقع ، ويقول بعدها : لماذا لم تكتب آية الكهف مفتوحة هي أيضاً؟..

وعالمنا العزيز لم يلتفت لهذا الملاحظ ، وهو أن (رحمة من ربك) غير مضافة ، بخلاف لو أنه قال (رحمت ربك) ، حينئذ تكون مضافة وتخضع للقاعدة التي سردنا لها الأمثلة السابقة ، وكانت حينئذ ستكتب مفتوحة التاء.

وضرب أمثلة أخرى كلها مقارنة إسم مفرد بإسم مضاف. وهذا بعد عن الحقيقة التي سردناها. ولذلك كان هذا التنبيه))

القبض والبسط (٢)

سورة البقرة ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَالِمًا وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾

سورة آل عمران: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْتُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ ، ، ، ،

سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾

سورة النحل: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَلْيَسَ عِلْمُ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

تقدم في الحلقة السابقة أن هذين المصطلحين (القبض والبسط) أو (المد والقبض) خاصان بـ"تاء التانيث" ، وهذه "التاء" في الرسم الإملائي الحديث لا تكتب إلا مقبوضة (= مربوطة) مثل رحمة- نعمة- شجرة- كلمة- سنة وهكذا.

أما في الرسم العثماني للمصحف الشريف فقد جاءت هذه "التاء" مفتوحة في بعض المواضع وفي بعض الكلمات هكذا: رحمت- نعمت- شجرت- كلمت- سنت- ابنت- امرات. وهذا خلاف الأصل كما ترى لا بالنسبة للرسم الإملائي الحديث فحسب بل بالنسبة للرسم العثماني كذلك ، لأن الأصل الأعم الأغلب فيه أن تكتب هذه "التاء" مغلقة لا مفتوحة .

وقد وضحنا في المقال السابق لماذا عدل عن الأصل إلى فتح "التاء" وسقنا نماذج تطبيقية كثيرة من كلمة "رحمة" حيث جاءت مفتوحة "التاء" أو ممدودة أو مبسوطة وهذا "الفتح أو المد أو البسط لم يأت عبثاً خالياً من الدلالة على معنى مقترن به، بل هو رمز على معنى لطيف سبق ذكره من قبل، وهو أن ماجاء مفتوح "التاء" في بعض الكلمات في القرآن الكريم يدل على حضور معنى هذه الكلمات وظهوره في الحياة الدنيا؛ فكلمة "رحمت الله" بفتح "التاء"، إشارة إلى الجزء المستعمل من رحمة الله الواسعة، والذي يتفضل الله به على المخلوقات في الحياة الدنيا كعطف الأم على وليدها وكالماء الذي يترله الله تعالى لمنافع الناس. أما إذا ربطت "تاء" رحمة فإن معناها يختص بما أدخره الله لعباده من النعم في الدار الآخرة؛ فالمعنى في المربوط التاء عام شامل لكل نعم الله عز وجل. (حاضرة وغائبة)

ومثل كلمة "رحمة" كلمة "نعمة" فقد جاءت في القرآن مربوطة "التاء" في مواضع كثيرة على الأصل. وجاءت مفتوحة "التاء" في أحد عشر موضعاً في كتاب الله العزيز. مراداً منها كلها ما تفضل الله به فعلاً على عباده في هذه الحياة الدنيا إليك بياها في الآتي:

* سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَغْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَغْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ (وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾)

فالمراد من "نعمة الله" في الآية على ما ذكره المفسرون هي الإسلام وهي نعمة حاضرة - الآن - ويؤكد هذا المعنى أن الله عز وجل عطف على "نعمة الله" كلاماً من الكتاب (القرآن) والهدى النبوي (الحكمة) وهي كلها نعم حاضرة يتمتع بها المؤمنون منذ عصر النبوة حتى الآن وإلى أن تقوم الساعة.

﴿وهنا أضيف رأياً آخر وهو: أنه ربما يصح لنا أن نقول: أن سياق الآية من بدايته يتحدث عن الرحمة في تشريع الطلاق بهذه الأحكام العظيمة (الجزئية والواقعة) والرحمات الكبيرة التي كانت قد حرمت منها المرأة طوال حياتها، وكيف أعاد هذا التشريع العدل والرحمة لكلا الطرفين - الرجل والمرأة - وهذا التشريع أصبح واقعاً.. وربما يكون هو المقصود بهذه النعمة هنا... ونقول أنه لا مانع من هذا الرأي، بل إنني أؤيد هذا الرأي، وأنه لا يقصد به نعمة الإسلام بصفة العموم بل بصفة الخصوص لهذا التشريع، وهذا الرأي على هذه الصورة له أهميته لما سنرى في حديثنا القادم في الآيات

المشاهدة وأن الخاص تفتح له التاء بخلاف العام (وأحكام وتشريعات الطلاق أيضاً نعمة مفتوحة) وهو أيضاً من نعمة الإسلام الذي تحقق في الوجود - كما قال عالمنا : (المطعنى))
 * سورة آل عمران: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾ الشاهد في هذه الآية الكريمة هو (نعمت الله) حيث جاءت مفتوحة "التاء" وهي مضافة إلى اسم ظاهر (اسم الجلالة)، أما قوله تعالى بعدها: (بنعمت) فهي مضافة إلى ضمير فلا تدخل معنا في هذا البيان لأن فتح "التاء" فيها لازم.

والسر في فتح "التاء" في (نعمت الله عليكم) الإشارة إلى أن الله عز وجل يمتن على الأوس والخزرج (أنصار اهل المدينة) بنعم منه حاضرة في حياتهم الدنيا وهي كما ورد في الآية. إزالة العداوة التي كانت بينهم في الجاهلية قبل إسلامهم وقبل هجرة النبي (ﷺ) إليهم.

((إذن هي نعمة مخصوصة ومحددة من نعم الإسلام (نعمة جزئية واقعة)))

- كونهم أصبحوا إخواناً متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين .

- إنقاذهم من عذاب النار الذي أشرفوا عليه في الجاهلية لولا أن من الله عليهم بالهداية.

فهي - كما ترى - نعم كانوا يغدون فيها ويروحون وإلى هذه المعاني رمز فتح "التاء" في (نعمت الله) . وبين فتح "التاء" من حيث الصورة والرسم الخطي وبين حضور هذه النعم والاستمتاع العاجل بها صلة وثيقة . لأن فتح "التاء" يدل على سيولة النعمة وفيضاها ، أما ربط "التاء" هكذا (نعمة) فيدل حساً على خزن النعمة وإمسакها، فأنت ترى هذه الإيجاءات اللطيفة الشريفة نوعاً من لغة الترتيل لا عهد للناس به ولا وجود له إلا في كتاب الله العزيز الذي لا تنتهي عجائبه .

* سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾ .

في هذه الآية الحكيمة يمتن الله على عباده المؤمنين بنعمة له عليهم وهي: كشف الكرب عنهم ، ودفع عدوهم دون أن ينالوهم بأذى ، وهي - كما ترى - نعمة أحسن بما المؤمنون وعاشوا في ظلها الوارفة في الحياة الدنيا، فهي - إذن - نعمة مبدولة من الله لهم نعمة خاصة ، عرفوا فضل الله عليهم فيها، فنجوا من بأس عدوهم. من أجل هذا المعنى جاءت "تاء" (نعمت) مفتوحة لا مغلقة .

✽ وهنا نقف وقفة هامة لتعلق ونزيل بعض الغموض

ونبدأ بالتعرف على سبب نزول الآية حيث أننا سنتعرض إلى آية شبيهة ولكنها قبضت
تاؤها (نعمة) لم يتعرض إليها علماءنا السابقون ومنهم د : مطعني:

يقول الإمام الرازي: وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ
قَوْمٌ أَنْ يَسْتَطُوعُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ (١١) المائدة . وفيه مسائل : المسألة
الأولى : في سبب نزول هذه الآية وجهان : الأول : أن المشركين في أول الأمر كانوا
غالبين ، والمسلمين كانوا مقهورين مغلوبين ، ولقد كان المشركون أبداً يريدون إيقاع
البلاء والقتل والنهب بالمسلمين ، والله تعالى كان يمنعهم عن مطلوبهم إلى أن قوي الإسلام
وعظمت شوكة المسلمين فقال تعالى : { اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ } وهو
المشركون { أَنْ يَسْتَطُوعُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ } بالقتل والنهب والنفي فكف الله تعالى بلطفه
ورحمته أيدي الكفار عنكم أيها المسلمون ، ومثل هذا الإنعام العظيم يوجب عليكم أن
تتقوا معاصيه ومخالفته .

الوجه الثاني : أن هذه الآية نزلت في واقعة خاصة ، ثم فيه وجوه :

الأول : خلاصتها أن بني النضير ، قالوا أجلس حتى نطعمك ونعطيك ما تريد ، ثم هموا
بالفتك برسول الله وبأصحابه ، فترل جبريل وأخبره بذلك ، فقام رسول الله (ﷺ) في
الحال مع أصحابه وخرجوا ، فقال اليهود : إن قدورنا تغلي ، فأعلمهم الرسول أنه قد
نزل عليه الوحي بما عزموا عليه . قال عطاء : توامروا (تأمروا) على أن يطرحوا عليه رحاً
أو حجراً ، وقيل : بل ألقوا فأخذه جبريل عليه السلام ،

والثاني : قال آخرون : إن الرسول نزل متراً وتفرق الناس عنه ، وعلق رسول الله
(ﷺ) سلاحه بشجرة ، فجاء إعرابي وسل سيف رسول الله (ﷺ) وقال : من يمنحك مني؟
فقال لا أحد ، ثم صاح رسول الله (ﷺ) بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقبه .

وعلى هذين القولين فالمراد من قوله { اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } تذكير نعمة الله
عليهم بدفع الشر والمكروه عن نبيهم ، فإنه لو حصل ذلك لكان من أعظم المحن .
والثالث : روي أن المسلمين قاموا إلى صلاة الظهر بالجماعة وذلك بعسفان ، فلما صلوا
ندم المشركون وقالوا ليتنا أوقعنا بهم في أثناء صلاتهم ، فقيل لهم : إن للمسلمين بعدها
صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وآبائهم ، يعنون صلاة العصر ، فهموا بأن يوقعوا بهم
إذا قاموا إليها ، فترل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف .

ويقول الألويسي : والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر

وعلى كل هذه الحالات فهو كان أذى مادى (بالقتل) ، وكفه الله عن النبي (ﷺ) وعنهم .. ولكن لا يغفل أبداً النعمة العظيمة التي فتحت على المسلمين بأن حفظ الله لهم نبيهم (ﷺ) من القتل ، فهي فوق أي نعمة خاصة إلا أنها أغلى وأجل نعمة فتحت عليهم ... وأعيد وأذكر بهذه النعمة العظيمة وهي نجاة النبي (ﷺ) من القتل ..

والملاحظة الثانية هي أن هذه الآيات كانت تركز على الجانب المادى دون التركيز على الأذى النفسى والحالة النفسية (كما سنرى فى الآية الأخرى الشبيهة فى سورة الأحزاب) .. كما أن الله عز وجل كف أذاهم فى محاولة قتل النبي (ﷺ) بعد ذلك فى الغزوات التالية (بدر وغيرها) إضافة إلى قيامه بطرد يهود الذين دبروا قتله ، وقام بحصارهم (بالطرق المادية وبالوقائع الخاصة والمعلومة فى كتب السيرة)

ويقول الألوسى: .. وأن ضرر الرئيس ونفعه يعودان إلى المرؤوس . ((إذن هى قضية خاصة بأعظم الخلق وبزعيم الأمة ونبيها) وضررها عام على المسلمين جميعاً وفيها هدم للدين كله - فالنعمة هنا خاصة بالنبي (ﷺ) وهى نعمة خاصة أيضاً لهم - .

وقد تناولنا هذه الآية بالتعقيب والتعليق حيث أن دكتورنا المطعنى لم يذكر توجيه آية تكاد تكون مطابقة لهذه الآية وفى نفس السورة ولكنها كتبت بالتاء المغلقة .. والآية هى: آية المائدة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)﴾

وهنا يسأل السائل: لماذا لم تكتب (نعمت) بالتاء المفتوحة مثل زميلتها الآية (١١) من نفس السورة وهى هى بنفس البداية ونفس المعانى؟؟

وأرى - والله أعلم - أن الأمر يحتاج إلى تدبر أعمق - وسيرى القارئ أن هذه الآية تتحدث عن نعمة (مغلقة) لم تفتح أيام موسى - وهو المتكلم معهم فى ذلك الحديث وتلك الآيات - لأنهم لم يكونوا ملوكاً فى الواقع فى أيام موسى ، فى وقت الحديث معهم بهذه الآية ، ولم يكونوا أنبياء ولم يؤتمم - بعد - ما لم يؤت أحداً من العالمين؛ (بل إننى أرى أنه يحدثهم عن غيب لم يحدث لهم بعد، أو تقدير فى علم الله أخبر به نبيه موسى ولم يتحقق بعد على أرض الواقع حتى فى حياة ووجود موسى .. وهذا لا ينكره أحد من قارئى التوراة أو القرآن الكريم أو دراسى سيرة بنى إسرائيل من يوم خروجهم إلى يوم وفاة نبيهم

موسى عليه السلام - بل إن موسى (عليه السلام) - المخاطب لهم بهذا الحديث - مات وهم مشردون في التيه (أربعين سنة) بنص وإجماع التوراة والقرآن معاً - (تشريد وعقاب متوالى) - ولم يكن شيء من هذه (النعم) قد حدث (أو فتح عليهم) ... بل إن دخول الأرض المقدسة وإتمام هذه الوعود المذكورة جاءت في زمن - وبعد زمن - يشوع - بعد موت موسى .. ولذلك كتبت هذه النعمة (بالتاء المغلقة) ،

وهذا أراه من قمة الإعجاز في مواقف ربما تشابه أو نكاد نراها متطابقة مع الآية الأخرى تطابقاً يكاد يكون بالنظرة العاجلة - تطابقاً كاملاً - والآية تبدأ بنفس قوله في الآيتين (اذكروا) .. والحديث بصيغة الماضي (جعل فيكم ، جعلكم ، وآتاكم) حتى ليتخيل القارئ أن هذا قد حدث من زمن قد مضى قبل أو في وجود المتحدث الذي هو موسى عليه السلام .. وحقيقة الأمر أنه لم يحدث بعد ولكن عبر عنه بلفظ الماضي ليشير لهم إلى تحقق الوقوع وأنه لا بد أن يحدث ؛ كما تذهب أنت لصاحب مصنع وتريد منه توظيف ابنك فيقول لك: إذهب فإن ابنك قد توظف ، ويقول لك ذلك بصيغة الماضي ، رغم أنه يكمل لك الحديث قائلاً: وابعثه لى بعد شهرين أو ثلاثة ليتسلم العمل (أى أنه لم يتوظف أو يتسلم الوظيفة بعد) ولكن صاحب المصنع عبر في حديثه بالماضى لأنه يعلم أن قراره نافذ لا محالة ولا يعقب عليه أو يرده أحد ((وهكذا حال اللغة العربية في أساليب التوكيد على الحدث بجعل صيغته على صيغة الماضي)) ونجد أن القرآن الكريم مليئٌ بهذه الأمثلة التي تفيد التوكيد والتحقيق (مثال قوله تعالى: أتى أمر الله فلا تستعجلوه (وهو لم يأت بعد) .. وقوله: وجاءت سكرة الموت بالحق .. وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد .. وحيء يومئذ يجهنم .. ونفخ في الصور .- (وكل ذلك لم يأت بعد). وهكذا الكثير وخاصة في ذكر أحداث القيامة ، ولا يتغير إلا للحكمة أخرى يقصدها السياق (وراجع سلسلة كتبنا عن الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم) ..

ولا أطلب من القارئ العزيز - عالم أو متعلم - إلا عمق التدبر في كتاب الله - ليرى هذه العجائب المذهلة ويسأل نفسه: أليس هذا هو إمتاع العقل وإشباع العاطفة بكل صورها من الحكمة والجمال والإبهار في البيان القرآني؟؟ ...

ونكمل .. وبقي توجيه آية المائدة (٧) .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ .. مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَسْمَعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾

ومقارنتها بآية البقرة*) سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾ (وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾) والتي قيل فيها أنها نعمة خاصة بهم وهي نعمة الإسلام عاشوها ورأوها بأعينهم
أما آية المائة:

يقول السمرقندي في تفسيره : قوله تعالى : { واذكروا نعمة الله عليكم } يقول : احفظوا من الله عليكم بإقراركم بوحداية الله تعالى { وميثاقه الذي واثقكم به } يعني يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام وقال : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } [الأعراف : ١٧٢] هكذا قال في رواية الكلبي ومقاتل والضحاك . وقال بعضهم : هو الميثاق (الجليلة والإدراك) ، فكل من أدرك فقد أخذ عليه الميثاق ، وشهدت له خلقتة وجيلته فصار ذلك كالإقرار منه ، ثم قال { إِذِ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } يوم الميثاق ، قلت سمعنا قولك يا ربنا وأطعنا أمرك .

((إذن هو ميثاق عام ، وهم لم يروه ، وربما يستشعروه بفطرتهم الدالة على التوحيد الخالص لله ، وربما يكون هذا هو السبب في قبض التاء : اذكروا (نعمة الله))
ويقول أبو السعود: .. وقال مجاهد (وما أدراك ما مجاهد- كما يقول صاحب تفسير المنار-) : هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام... ويقول الألوسي: ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ وهي نعمة الإسلام ، أو الأعم على إرادة الجنس ، ((فعلى أى تفسير من هذه التفاسير فهي نعمة عامة منها ما فتح لهم عياناً وعاشوه ، ومنها ما لم يروه عياناً كالميثاق من لدن آدم))

وآية الأحزاب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾) هو يقصد بها لفت الأنظار (إلى السماء) وإلى الانتباه إلى نعمة النصر بالطريقة الغيبية والخفية ؛ وهي التأيد بجنود لم يروها ؛ فهي نعمة ملكوتية علوية ولم تكن مادية بالقتال بالسلاح والعتاد - كما نعلمه من السيرة عن غزوة الأحزاب - ولذلك كتبت بالتاء المغلقة ليتدبروا كيف حدث لهم ذلك بالطريقة الخفية ، وذلك أيضاً بعد تصوير مشهد الرعب النفسى لهم والتركيـز عليه ، وحديث القلوب التي كادت تزيغ عن دينها ، وحديث المنافقين الخفى، وغير ذلك

من التركيز الواضح على خفايا النفوس وليس الحديث المادى - كما في آية (المائدة ١١) - وهذا يجعل الحديث في هذه الآيات حديث نفسى وغيبى ويناسبه قيض التواء (نعمة الله)

* سورة إبراهيم : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾ (٢٨) .. فتحت "التاء" في هذه الآية في كلمة (نعمت) لأنها نعمة حاضرة أنعم الله بها على فريق من عباده ومكثهم من التمتع بها، بدليل أنهم بدلوها من معنى النعمة وجعلوها كفرا.

فالتبديل هو دليل التمكن من النعمة لأنها لو كانت نعمة غيبية غير واقعة ما استطاعوا تبديلها. فجاءت "التاء" ممدودة (= مفتوحة) للدلالة على هذا المعنى.

وفتح "التاء" في هذه النماذج متسق تماما مع قوله تعالى: في سورة فاطر : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ...﴾ (٢)

كما أن ربط "التاء" في نحو في سورة النحل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) يناسب معنى الإمساك في قوله تعالى: في سورة فاطر: ﴿وَمَا يُمْسِكُ فَلَا

مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) لأن ربط "التاء" فيه دلالة على حصر ما بداخله ، فهو يشمل العاجل المبذول من نعم الله والآجل المأمول

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في نفس السورة: إبراهيم : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) . فعلى الرغم من مجئ الآيتين

على نظم واحد في الألفاظ والتراكيب قبضت "التاء" في الآية الأولى (٢٨) ومدت في الثانية (٣٤) ، والفارق بينهما دقيق هو الذى اقتضى ربط "التاء" في الأولى وبسطها في

"الثانية"

فالنعمة في الأولى عامة شاملة لما هو واقع في حياة الناس ولما هو مدخر مأمول عند الله عز وجل. أما في الآية (ابراهيم) فالمراد النعمة المبذولة المعروفة للناس بذلك على هذا الآيات المذكورة قبل هذه الآية وهى:

* سورة إبراهيم: الآيات ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ذَاتَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ (٣٤) * ثم قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

تأمل ما ذكره الله في هذه الآيات من أصول النعم وفروعها تجدها نعماً حاضرة يتتبع بها الناس في حياتهم العاجلة وهى:

- خلق السموات والأرض . - إنزال الماء من السماء . - إخراج الثمرات من الأرض . -
 جرى الفلك في البحر . - تسخير الأنهار . - تسخير الشمس والقمر والليل والنهار . -
 إجابة الله الدعاء وفق حكمته وإرادته .

هذه النعم يتفيؤ الإنسان ظلها في كل لحظة تمر به من حياته ، فهي نعم مبدولة حاضرة لا
 مأمولة غائبة . لذلك كان فتح "التاء" في (نعمت الله) رمزا واضحا على تدفق تلك النعم
 وانفجارها من أبوابها الإلهية الواسعة ، وهذه أعجوبة من عجائب كتاب الله العزيز، لا في
 مفرداته وتراكيبه فحسب ، بل وفي رسم كلماته المقروءة المرئية بالعين الباصرة .

﴿وهنا أقف موقفاً توضيحياً ومكماً لراي د: مطعني - أكرمه الله - وهو أنه ربما يسأل سائل: إن سياق الحديث في سورة إبراهيم سياق تعداد نعم مفتوحة وموجودة فكان حقها أن تفتح التاء - وهذا نوافقكم عليه - ، ولكن الذي يقرأ آيات سورة النحل من بداية السورة حتى هذه الآية (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفور رحيم) - بالتاء المغلقة (نعمة) - يجد أن سياق هذه الآيات يتحدث أيضاً عن النعم المفتوحة، وإليك الآيات هكذا: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْنٌ وَمَنْفَعٌ وَمَتَاعٌ وَأَمْثَلُهَا كُنُوزٌ لَكُمْ فِيهَا غَمَلٌ حِينَ تَرْجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُثَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً حَلِيقَةً تَلْسُقُوهَا وَتَرَى الْقُلُوبَ تَوَاصِرًا فَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَالْقَلَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)﴾

ويسأل السائل: أليس هذا كله تعداد لنعم موجودة بالفعل ؟ فلماذا كتبت هنا بالتاء المغلقة - ولم تكتب بالتاء المفتوحة كما في سورة إبراهيم-؟

ونقول أن الإجابة على هذا السؤال هامة جداً وقد تعرضنا لسياقات مماثلة تبين الدقة البالغة في الرسم القرآني التي تحرك عقول العلماء وتعطيهم فرصة البحث والإبداع والتأمل

والتدبير --- إضافة إلى الآيات الأخرى التي يستنبطها العامة من الناس وهذا هو قمة الإعجاز دائماً --- كما قال د: دراز: أن النص القرآني هو القادر وحده على مخاطبة العالم والجاهل بحطاب يناسب الإثنين .

ومن هذا النوع هو هذه الوقفة، والتي نقول فيها:
أن المتأمل في سياق الآيات في السورتين يجد الآتي:

(١)* أن سياق سورة إبراهيم هو سياق تعدد النعم (لطلب شكرها) ((ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم - بعدم الشكر- ...)). .. وليس الحديث هنا للوصول بهذه النعم إلى (إثبات الألوهية) - كما في سورة الأنعام - التي تريد أن تصل بهذا المخاطب إلى أن الخالق لكل هذا هو الواحد القهار الذي يجب أن نعبد - كما هو الحال في مخاطبة المنكرين لوجود الله حين أحاطبهم بهذه النعم وأقول لهم : سموات بعظمتها وأرض بسعتها وما خلق فيهما، من يقدر أن يفعل ذلك : أليس هو الله . وهل يعقل أن الذي فعل ذلك بغاية الدقة والتدبير المحكم هل يعقل أن يكون له شريك؟ فيقول العاقل : لا.. لإله إلا الله .. فهذا هو سياق سورة الأنعام؛ مخاطبتهم بالنعم للتوصل إلى إثبات الألوهية والمعاد (أتى أمر الله .. إلى أن وصل إلى قوله (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) - بيده وحده المغفرة لأنه هو الإله الحق .. ولم يقل - كما قال في سورة إبراهيم - (إن الإنسان لظلوم كفار) - أي الإنسان لا يشكر النعم- . ولعلني أقولها بأسلوب آخر تقريري وهو: أنك حينما تقرأ الآية في سورة إبراهيم (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار).. يتجه نظرك إلى الأرض والنظر إلى هذا الإنسان .. والأرض بالنسبة للنعم هي مكان وصولها (أي فتحها) على الواقع فتكتب (نعمت).. ولكنك حين تقرأ آية الأنعام (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) يتجه نظرك إلى السماء (إن الله لغفور رحيم) وفي السماء تكون النعم المغلقة والمدخرة (نعمة).

وهكذا الحال في السورتين : الأنعام- سياق النعم (لإثبات الألوهية والمعاد) ، (ومع قوم منكرين لذلك وكافرين بالألوهية)، وتعريفهم بالله الحق والألوهية الحق (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) . (كلها تعريف بالإله والألوهية والشكر علي معرفة الألوهية الحقة... إلى أن وصل إلى قوله: (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) فكل هذه الآيات مساقاة لهذا الغرض .. حتى أنه ركز في هذه النعم على (وسائل

المواصلات) في البر والبحر وكما قال الطاهر بن عاشور: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)﴾ :

فلما ذكرت نعمة تيسير السبيل الموصلة إلى المقاصد الجثمانية ارتقي إلى التذكير بسبيل الوصول إلى المقاصد الروحية وهو سبيل الهدى ، فكان تعهد الله بهذه السبيل نعمة أعظم من تيسير المسالك الجثمانية ، لأن سبيل الهدى تحصل به السعادة الأبدية . وهذه السبيل هي موهبة العقل الإنساني الفارق بين الحق والباطل ، وإرسال الرسل لدعوة الناس إلى الحق ، وتذكيرهم بما يغفلون عنه ، وإرشادهم إلى ما لا تصل إليه عقولهم أو تصل إليه بمشقة على خطر من التورط في بنيات الطريق .

... ويزيد هذه المناسبة بياناً أنه لما شرحت دلائل التوحيد ناسب التنبيه على أن ذلك طريق للهدى ، وإزالة للعذر ، وأن من بين الطرق التي يسلكها الناس طريق ضلال وجور انتهى...

((وكانه يريد أن يقول أن الله تعالى ذكر النعم التي فيها سلوك (السبيل) الجثمانية من ركوب الخيل والبغال والحمير .. ليصل بها الحديث إلى (السبيل) الروحية الموصلة للألوهية) ومعرفة من هو الإله الحق.

وهذا الحديث الذي ذكرناه عن سورة النحل ومقاصدها وأهدافها وصولاً إلى هذه الآية يوصلنا إلى الآيات بعدها: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِلَهُهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)﴾ ... وليكمل القارئ باقى السياق ليعلم هذه الحقيقة.

(٢)* وهذا السياق في سورة النحل يختلف عنه في سورة (ابراهيم) فإن الحديث في سورة (ابراهيم) من بداية السورة خطاب (لمن يعرفون الله والألوهية - وهم بنو إسرائيل - ولكنهم لا يشكرون النعم) - فهو يتحدث ويركز على النعم التي في أيدينا أو نلسها بأيدينا ولكننا لانشكرها - هكذا:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)﴾

فالسبب هنا لقوم يعرفون الإلوهية ، وهو لبني إسرائيل الذين يقرون بالألوهية ، ويطالبهم بتذكر أيام النعم التي نزلت عليهم ، ويعدها عليهم طالباً منهم شكرها والصبر على البلاء

معها هكذا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوفُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٦١)

إلى أن يصل لبيت القصيد والهدف من السياق وهو : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) .. وهو أقوى سياق في طلب الشكر والحض عليه ، وجعل عدم الشكر كفر.

ثم يعرض علينا مصائر الأقوام التي لم تشكر النعم (ومنها هذا الجبار العنيد) - فهو يتحدث على أرض الواقع وفي رحلة أرضية نزلت إليها النعم وكفروا بها ، ويوجه الأنظار - كما قلنا - إلى المشاهد الأرضية التي فتحت فيها النعم ، إلى أن يصل إلى قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصُونَهَا وَنِسَ الْقَرَارِ (٢٩) .. قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ... (٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَاءٍ سَائِثُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤)

ونلاحظ هنا: أن (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) ... وسخر (لكم) .. (وَأَتَاكُمْ) مِنْ كُلِّ (مَا سَأَلْتُمُوهُ) كلها (بصفة الخصوصية والتملك لهم) ... حتى دعوة إبراهيم (سؤاله لله) بعدها كانت في هذا السياق ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (وَارْزُقْهُمْ) مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧)

والخلاصة: أن سياق تعداد النعم في إبراهيم هو للفت أنظار هؤلاء (المؤمنين) أصلاً بتوحيد الله ولكنهم لا يشكرون النعم (وشكرها هو استعمالها في طاعة النعم - كما يقول العلماء-) ولذلك هو يلفت نظرهم لهذا الطرف (الأرضي) الذي وصلت فيه النعم بالفعل. وشبهه بهذا السياق هو سياق سورة لقمان ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١)

وهذا بخلاف السياق في سورة النحل فهو تعداد النعم للوصول إلى معرفة الإله الحق الذي يعبد ويشكر - كما قلنا - وتوجيه النظر إلى الألوهية وإلى السماء (إن الله لغفور رحيم) وبخلاف إبراهيم (إن الإنسان لظالم) فهنا (الله) وهناك (الإنسان). هنا النظر إلى السماء (الله)، وهناك النظر إلى الأرض (الإنسان)

ونكتفى بهذا القدر في الرد على هذا التساؤل وهذه الآيات التي تركها القدامى..
 ونرجوا أن يكون هذا مثلاً لما نواجهه من الآيات المشابهة وهي كثير ، وربما يوحى
 ظاهرها بالتناقض ، ولكن بعد التأمل والتدبر في السياق نجد فيها الإعجاز والإبهام الذي
 يحترم عقل وفكر العلماء، ويدعوهم دائماً لهذا النداء : أفلا يتدبرون القرآن...
 وربما يستدرك علينا أحد القراء أو يصحح لنا أو يضيف إلينا رأياً؛ وهذا لا بد منه فهذا هو
 طبيعة كل عمل بشري .. ولا يمكن أن يصل أبداً إلى الكمال إلا قول الله تعالى.. ونحن
 لاندعى غير ذلك.. ولكن ندعوا إلى التدبر وليس العجلة .



ونعود لنكمل الحديث العذب مع د: مطعنى بعد هذه الوقفة الطويلة حيث يقول:

وفي سورة "النحل" وردت كلمة "نعمت الله" مفتوحة "التاء"
 ثلاث مرات: في الآية ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ
 وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٢).
 فتحت "تاء" (نعمت الله) هنا لأن ما قبل هذه العبارة في الآية نفسها تعداد لنعم حاضرة
 مبذولة فعلا يستمتع بها المتحدث عنهم هكذا: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل
 لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) فجاء فتح "التاء" دليلا على تمكن
 المخاطبين من هذه النعم: الأزواج- البنون- الحفدة- الرزق الطيب ولذلك حسن أن ينكر
 القرآن عليهم كفرهم بنعم الله وإيمانهم بالباطل وهو الاعتقاد في الأصنام وعبادتها.

ومن اللافت للنظر- حقا- أن قبل هذه الآية (٧٢) مباشرة وردت عبارة (نعمت الله)
 مربوطة "التاء" هكذا: في سورة النحل: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا
 الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾
 (٧١). .. ضرب الله في هذه الآية مثلا للمشركين ينكر عليهم تسويتهم بين الله الخالق
 المدبر وبين أصنامهم ، حيث جعلوهم شركاء لله في ملكه قائلا لهم: إنكم يا معشر
 الأحرار لكم عبيد تملكون أمرهم، ولكم معارف أقل منكم مالا ، فهل أنتم تجعلون
 عبيدكم وفقراءكم شركاء في أموالكم يتصرفون فيها مثلكم دون الرجوع إليكم؟، إن
 هذا محال فكيف تجعلون بعض مخلوقات الله شركاء لله في ملكه؟.

فالآية تنبههم إلى خطأهم واقعون فيه ، وليس فيها تفصيل للنعم ، لذلك جاءت عبارة
 (أفبعزّة الله يجحدون) مربوطة "التاء" ؛ لأن المراد بنعمة الله- هنا- معنى عام شامل لكل
 النعم ، ولولا هذه الفروق الدقيقة لتوحد رسم كلمة (النعمة) في الموضعين.

أجل: إن في ذلك لبلاغاً لقوم يعقلون.

﴿(وأقول قبل أن نغادر هذه الوقفة الجميلة من أستاذنا الدكتور المطعني : أن ما قاله هنا من التفرقة بين الآيتين المتجاورتين بالرجوع إلى سياق الآيات المحيطة بكل آية واستنتاجه أن سياق هذه الآية هو الدعوة إلى توحيد الله فكبت بالتاء المغلقة ، وأن سياق الآية الأخرى عن النعم المبذولة في الزوج والأولاد فكبت بالتاء المفتوحة .. أقول أن ما قاله هذا هو عين ما شرحناه من قبل في الفرق بين آية إبراهيم وآية النحل (وإن تعدوا نعمة - نعمت) الله...وليراجع القارئ ذلك...))﴾

والموضع الثاني في سورة "النحل" هو قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣) فتحت "التاء" في هذه الآية لأن المراد من النعمة نعم خاصة يدركها المتحدث عنهم بدليل قوله تعالى: (يعرفون نعمت الله) فهي نعمة يعيشون فيها صباح مساء.

وقد أجملت الآيات التي قبل هذه الآية تلك النعم فقال عز وجل: في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَاتًا إِلَى حِينِ (٨٠)﴾ فهذه النعم التي عددها الله في هذه الآيات هي الحياة نفسها التي يعيش فيها الناس ، جمعت بين أصول الإنعام وفروعه ، ومن أجل ذلك فتحت "التاء" في (نعمت الله) للدلالة على معنى حضور هذه النعم في حياة البشر.

ويطيب لنا- الآن- أن نعود فنذكر عبارة كنا قد قلناها في بداية الحديث عن خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف، تلك العبارة هي: أن هذه الخصوصيات وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم ؛ هو الإعجاز الخطي في رسم الكلمات . إنه منهج مبتكر في رسم المصحف لا وجود له إلا فيه.. هدى الله إليه كنية الوحي في حياة النبي (ﷺ) حين كان القرآن يتزل ؛ لأن هذا الرسم مأخوذ عن الوثائق النبوية التي كانت محفوظة في بيته يوم انتقل إلى الرفيق الأعلى، وهي التي نسخها عثمان بن عفان رضي الله عنه في "المصحف الإمام" ، وعنه صدرت كل المصاحف (أنظر البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (١/ ٤١٢)).

والموضع الثالث في سورة "النحل" هو قوله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُتُمَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١١٤)

إن هذه الآية تضع المخاطبين أمام "نعمت الله" وجها لوجه حيث تأمرهم بالأكل المباشر من رزق الله ، وفي الأكل أقوى صلة وأقرب حال بين العباد وبين النعم التي أجزاها طيبة سخية في أيدي عباده. .. وهذا يفسر بجي "نعمت الله" مفتوحة "التاء" لأنها نعمة جارية أمام أعين الناس بل وموضوعه أمامه على منضدة الطعام ، والله عز وجل يأمر عباده أن يشكروه على هذه النعم المستخرجة المبذولة متاعا للناس.

فهل - مع هذا - يرتاب أحد في أن خصوصيات الرسم العثماني لم تقم على منهج ولم تدل على معنى؟ أو هي لحن يقومه العرب بألستهم؟! *

وفي سورة "لقمان" ورد قوله جل شأنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣١)

إن القارئ الذي صحبنا في هذا الفرع من الدراسة (القبض والبسط) ليس في حاجة لشرح وبيان لماذا جاءت (بنعمت الله) في هذه الآية مفتوحة "التاء" بعد أن عرف السبب في هذا "الفتح" في النظائر التي تقدمت، لأن تصدير الآية بقوله "ألم تر" مشعر بأن القرآن يلقي الضوء على نعم حاضرة مبصرة هي: جريان الفلك في البحر ولو كانت قد أرادت إرادة الله عدم جريانها ما جرت ولركدت على ظهر البحر أو لغرقت فيه. ثم قوله في عجز الآية: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) إشارة أخرى إلى ظهور هذه النعمة وحضورها لأن الله تعالى لا يحيل فكر الناس إلى شيء مجهول وإنما يلفت الأنظار إلى حقائق مشرقة شروق الشمس.

* وفي سورة فاطر جاء قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلِي تَوْفِكُونَ ﴾ (٣) .. فتحت "تاء" - نعمت - هنا لأنها إشارة إلى رزق الله عباده من السماء والأرض ومن قبل ذلك خلقه لهم من العدم.

والخلق والرزق نعمتان حاضرتان ماثلتان أمام الأعيان لذلك جاء فتح "التاء" رمزا إلى هذه المعاني.

أما آخر المواضع فهو قوله جل شأنه: في سورة الطور: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَتَتْ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢٩). النعمة - هنا - هي النبوة، لأن المشركين قابلوا نوته (ﷺ) فوصفوها بهذه الأوصاف. والنبوة نعمة حاضرة ظاهرة لم تنفك عنه عليه الصلاة والسلام. وهكذا تطرد علة "فتح التاء" في هذه المواضع جميعا لم يشذ منها واحد.

وصفوة القول أن "تاء" - "نعمت" مثل "تاء" - "رحمت" تفتح في الرسم العثماني للمصحف الشريف أو تمد إذا كانت حاصلة بالفعل وتقض فيما عدا ذلك.

(ولعل ذلك يذكرنا بحديث النبي ﷺ): أن الرحمة مائة جزء أمسك الله عنده منها تسع وتسعون جزءاً (المعلق التاء) وأنزل جزءاً واحداً (التاء المفتوحة) منه يتراحم الناس....) وبقيت أية الزخرف.. ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) الزخرف .
.. وربما نقول ((هو يقول (نعمة ربكم) ولم يقل (نعمة الله)) مثل قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَتْرَدِينَ (٥٦) وَلَوْ لَأَنْعَمَ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)﴾ الصفات.. فهما بالتاء المغلقة ..

﴿ولكن لها توجيه آخر (أرى هنا أن هذه الآية مثل آية (وإن تعدوا نعمة الله.. النحل) - نعمة الهداية إلى معرفته الحق وذكره وتوحيده - كما ذكر المفسرون-، والآيات قبلها تبين ذلك ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورًا مُبِينًا (١٥) أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦).... وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) .. بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) .. فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٢٥)﴾
وهكذا نجد أنها كلها دعوة لإبطال الشرك وتوحيد الله وإثبات البعث والخروج ، وليست دعوة للتذكر بالنعمة للشكر عليها فقط- وهي ليست لقوم مؤمنين - بل إنه حديث لقوم (في غاية الشرك) ويحتاجون إلى هذه اللفتة إلى ذكر الله وتوحيده (والهداية الكاملة) وليس النعم الجزئية... وتبقى أجل نعمة فتحت على أعظم أهل الأرض وعاشها وأحس بها وقال لعائشة - حينما دعته أن يرفق على نفسه من قيام الليل وقد تورمت قدماه - قال لها يا عائشة: أفلا أكون عبداً شكوراً: ﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَأَنَّهَا وَلَا مَجْتُونٍ (٢٩)﴾ الطور

(١) إذا كان المقصود من النعمة نعمة الهداية من الله ، أو الإسلام ككل ، فهي نعمة كلية (نعمة) ..

(٢) وإذا كان المقصد من ذكر النعم هو التوصل بهذه النعمة لتوحيده وذكره - فهي نعمة عامة و كلية - (فهى لفتة إلى السماء وهى نعمة كلية) بالتاء المربوطة (نعمة) ..

(٣) وإن كانت هذه النعمة لم يباشروها بأيديهم - وكانت أيضاً نعمة نفسية وروحية - وأصبحت غير مادية فقط - (كما فى آية الأحزاب) فهى نعمة كلية أو على الأقل ليست مادية فقط.. وهى هنا أيضاً تلفت الأنظار والقلوب إلى السماء وليس إلى الأسباب الأرضية. (نعمة)

** أما نعمة الرزق ، والتشريع الخاص ، والنصر فى واقعة معلومة أو خاصة - كما فى نجات النبى (ﷺ) من محاولة قتله - ، أو تكون هذه النعمة قد مارسوها بالفعل وبالمباشرة الأرضية لها، فإنها تكذب (نعمت) بالتاء المفتوحة وهنا يتضح معنى الإشارة إلى المعنى الخاص والمعنى العام .. والأرضى وغير الأرضى ، والمادى وغير المادى ، والفعل والإسم.

وهذا المعنى للقبض والبسط للتاء سنجده واضحاً عند الحديث عن (سنة وسنت) وغيرها .. حيث أننا سنرى أن: نيرة الإنتقام والتهديد و المباشرة المادية - وليست المعنوية أو الروحية أو الفكرية - تستدعى فتح تاء (سنت الأولين) ، وكما يقول د:الزركشى وغيره: فـ(سنت) تشير إلى الوقوع الحسى الذى له صور فى الوجود. و(سنة) تشمل كل تدابير الله وقوانينه فى الكون والكائنات.(الصفة العامة لما وقع ولما لم يقع ولما هو حاضر وما هو غائب)

(سنة - سنت)

وردت كلمة "سنة" فى القرآن مرات عديدة ترسم "التاء" فيها مقبوضة هكذا "سنة" أحياناً ومبسوطة أو ممدودة هكذا "سنت" أحياناً أخرى ، وكما علمنا من قبل محال محال أن يكون هذا "الصنع" عشوائياً خالياً من الدلالة ؛ لأنه كتاب مصون محفوظ من كل خلل فى ألفاظه وفى تراكيبه وفى معانيه وفى مناهج رسم كلماته المقروءة فى صفحاته الورقية.

وينادر - الآن - ونقول: إن ما جاء من كلمة "سنة" مقبوض أو مربوط "التاء" جاء على الأصل وما جاء على الأصل لا يبحث عنه ولا فيه. أما ما جاء على خلاف الأصل فهو الذى يجب البحث عن دلالاته وأسواره التى من أجلها خولف ذلك الأصل

ويعرض علينا د: مطعنى - أستاذ البلاغة والتقد - ملفتاً جميلاً لهؤلاء الذين يفصلون رسم المصحف عن بلاغة القرآن أو إعجازه البلاغى، وهو قوله: (مخالفة الأصل فن بلاغى دقيق المسلك ويعرف عند علماء البلاغة بالإخراج على خلاف الظاهر، وهو العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى لداع بلاغى، وبهذا الفن ألحقنا العدول عن ربط التاء إلى فتحه ، ودواعيه البلاغية هي المعانى اللطيفة التى أشرنا إليها مرات).

وردت كلمة "سنت" مفتوحة "التاء" فى سورة "الأنفال" ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) فلماذا فتحت "التاء" فى كلمة (سنت) هنا؟ ولم تربط والربط هو الأصل؟ لماذا خولف الأصل فيها ياترى؟ والجواب: إن فتح "التاء" هنا جئ به لمعنى لطيف، وهو الدلالة على أن المراد من كلمة (سنت) فى هذا السياق هو الانتقام والإهلاك والعقوبة العاجلة التى لها ظهور فى الوجود. لأن قوله تعالى (فقد مضت سنت الأولين) خير مستعمل فى التهديد وشدة الوعيد: أى: إذا لم ينتهوا عن كفرهم هلكهم فى الدنيا قبل الآخرة.

ويدل على هذا ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿..أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣٧) ، كما يدل عليه ما بعدها وهو قوله تعالى: فى سورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣٩)

﴿(ولاحظ قوله: (قل) والشرط والجزاء بعدها.. والتوكيد بقده.. ويقول الطاهر: ويجوز أن المراد بالأولين أيضاً السابقون للمخاطبين من قومهم من أهل مكة الذين استأصلهم السيف يوم بدر ، وفى كل أولئك عبرة للحاضرين الباقين ، وتهديد بأن يصيروا مصيرهم والموضع الثانى فى سورة "فاطر" وهو قوله تعالى: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَآ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣)﴾

وردت كلمة (سنت) فى هذه الآية مفتوحة "التاء" ثلاث مرات فى المرة الأولى أضيفت لـ "الأولين" لفظاً لا معنى ، وفى المرتين الثانية والثالثة أضيفت إلى اسم الجلالة "الله" ، والأولى وإن أضيفت لـ "الأولين" لفظاً فهى مضافة لله معنى لأن التقدير سنت الله فى الأولين. والمراد منها فى المرات الثلاث هو الانتقام والإهلاك العاجل.

والدليل على ذلك ما ورد فى الآية نفسها (استكباراً فى الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) والمعنى: هل ينظرون إلا أن ينتقم منهم الله ويهلكهم كما أهلك أمثالهم من قبل وانتقم منهم. ((لاحظ صيغة التهديد أيضاً - هل ينظرون إلا

والموضع الثالث في سورة "غافر" ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّتَ اللَّهُ النَّبِيَّ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾

واضح جدا من سياق الكلام في هذه الآية أن المراد من (سنت الله) هو الانتقام العاجل الذي أحله الله بهذا الفريق من الكفار بدليل قوله تعالى في الآية نفسها: (ولما رأوا بأسنا) والرؤية هنا رؤية بصرية؛ أي لما رأوا عذابنا حالا بهم وأبصروه بأعينهم.

ويزيد هذا الوضوح تألقا قوله قبل هذه الآية مباشرة: في سورة غافر: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)﴾ . إن فتح "التاء" أو بسطها ومدّها - هنا - جاء رمزا للدلالة على معنى لطيف هو أن المراد من (سنت الله) هو فعل الانتقام الظاهر في الوجود ، وهذا لم يدل عليه بلفظ أو جملة وإنما كان سبيل الدلالة عليه هو "صورة التاء مفتوحة" .

فهذه خمس مرات في هذه الآيات وردت فيها كلمة (سنت) مفتوحة "التاء" إشارة لطيفة إلى أن المراد من كلمة (سنت) في المرات الخمس هو الانتقام الذي وقع فعلا في الوجود ، إما حقيقة كما أهلك الله أقوام هود وصالح ونوح، وإما إبعادا وتهديدا كما في خطاب مشركي العرب ؛ لأن معنى (سنت الأولين) تهديد لهم بإنزال العذاب الذي أوقعه الله حقيقة بالأمم الغابرة.

أما "سنة" المقبوضة "التاء" فإنها تشمل أمرين: * الانتقام العاجل في هذه الحياة الدنيا.

* قوانين الله ونواميسه في خلق سواء كان ذلك في الكائنات الحية مثل الإنسان والحيوان والنبات. وفي الجُماديات كقوانين الكيمياء والفيزياء وكل ما تخضع له المادة من تغيرات حسب الظروف التي تطرأ عليها مثل تمدد الحديد بالحرارة وانكماشه بالبرودة وتبخّر الماء وتجميده... إلخ.

ففي سورة "الحجر" ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَّتْ سِنَةٌ الْأُولِينَ (١٣)﴾ جاءت كلمة (سنة) بقبض "التاء" للدلالة على قانون من قوانين الله عز وجل في مكذبي الرسل وهو الطمس على قلوبهم لصدهم عن سبيل الله (وهو مظهر معنوي وليس انتقام مادي) بدليل ما ذكره الله قبل هذه الآية مباشرة: في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأُولِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)﴾ هذا التصرف الإلهي هو الذي سماه الله (سنة الأولين) والمعنى هنا أن الله حرّمهم من ألطافه فحجّر قلوبهم، كما قال عز وجل: في سورة البقرة: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمِعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) . فالمراد من "السنة" في هذه الآية ما هو أعم وأشمل من العقاب الحسى والانتقام المادى.

وهنا أنقل أقوال المفسرين تأكيداً لهذا المعنى هكذا: أي هكذا نولج القرآن في عقول

المشركين ، فإنهم يسمعون ويفهمونه إذ هو من كلامهم ويدركون خصائصه؛ ولكنه لا يستقر في عقولهم استقرار تصديق به بل هم مكذبون به ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٤ ١٢٥] . وبهذا السلوك تقوم الحجة عليهم بتبليغ القرآن إليهم ويعاد إسماعهم إياه المرة بعد المرة لتقوم الحجة . فضمير نسلكه و { به } عائدان إلى { الذكر } في قوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾ [الحجر : ٩] أي القرآن . والمجرمون هم كفار قريش .

** وكذلك في سورة الإسراء ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سَنَةً مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لَسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) جاءت كلمة (سنة) في الآية مربوطة "التاء" للدلالة على معنى هو حماية الله رسله جميعا وتبوير مكاييد أعدائهم ، وليس في الآية دليل على أن المراد منها انتقام مادى عاجل ؛ لأن صدر الآية التى قبلها يقول: في الإسراء ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سَنَةً مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لَسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) ﴾ (وكادوا) من أفعال المقاربة والمعنى: أنهم كادوا أن يزعجوك ليخرجوك ، وهم لم يخرجوه بل أمره الله بالخروج من مكة إلى المدينة . فالآية تحمل وعدا من الله لرسوله الكريم بأنهم لو حدث منهم إخراجك فإن الله عز وجل سيشتت جمعهم ويمزق اجتماعهم .

وقد عرفنا من قبل أن "سنة" المربوطة "التاء" معناها أشمل وأعم من "سنت" المفتوحة "التاء" . فـ(سنت) تشير إلى الوقوع الحسى الذى له صور في الوجود . و(سنة) تشمل كل تدابير الله وقوانينه في الكون والكائنات .

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة "الأحزاب" ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْمًا تُقْفُوا أَخْدُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سَنَةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢) ﴾

رسمت كلمة (سنة) في الآية مرتين بقبض "التاء" لأن المراد منها معنى عام يشمل الانتقام وغير الانتقام الحسى المادى، ومن غير الانتقام الحسى المادى في دلالة الآية لعنة الله لهذا الفريق من الناس وحرمانهم من أطفاه ورحمته.

وكذلك جاءت كلمة "سنة" بقبض "التاء" في قوله تعالى: في سورة الكهف: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾

ومعنى الآية الذى لا نزاع فيه هو أن تأخير العذاب عنهم أغراهم على البقاء على الكفر والمعاصى فهو فاعل مجازى لا حقيقى.

وأيا كان الأمر فإن المراد من (سنة الأولين) في الآية هو "التخويف" لا الانتقام الفعلى المادى المحسوس ، لأن الله لم يستأصل شأفة مشركى العرب كما حدث لقوم نوح وهود وصالح ولوط لذلك رسمت كلمة "سنة" مربوطة "التاء" أو مقبوضة "التاء" .
وبعض العلماء يخص كل ما كان مفتوح "التاء" من هذه الكلمات بأن المراد منه "الفعل" وما كان مقبوض "التاء" بأن المراد منه "الاسم" .

ونضيف الآية (٥) الأحزاب: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝٣٨﴾
ويقول الزمخشري: { سُنَّةَ اللَّهِ } . { مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ } كأنه قيل : سَنَّ الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين ، وهو أن لا يخرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره ، وقرئ : «رسالة الله» . (وهذه القراءة تعنى أن سنة الله هنا ليست بمعنى الانتقام ولكنها تعنى الرسالة والهداية).

إمرات - امرأة

وما قيل فى: "رحمت ورحمة- ونعمت ونعمة- وست وسنة" يقال فى: "امرات- وامرأة" حيث جاءت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مقبوضة "التاء" فى مواضع وهو الأصل. وجاءت مفتوحة "التاء" فى مواضع سبعة . ومفتوح "التاء" منها يدل على معنى مغاير للمعنى الذى تدل عليه مقبوضة "التاء" - كما تقدم فى رحمة ونعمة وسنة- .

وهذا يتضح من النظر فى الآيات نفسها ولنبداً بالمفتوح "التاء" فى مواضع السبعة وتوخياً للإيجاز نذكر هذه المواضع دفعة واحدة ثم ننظر فيها:

* الموضع الأول: فى آل عمران: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ .. ۝٣٥﴾

* الموضع الثانى: فى القصص: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ .. ۝٩﴾

* الموضوع الثالث: في التحريم: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ كُفْرًا وَامْرَأَةً لُوطٍ .. (١٠) ﴾

* الموضوعان الرابع والخامس: في التحريم: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتٍ فَرَعَوْنَ .. (١١) ﴾

* الموضوعان السادس والسابع: في يوسف: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ .. (٣٠) .. قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ .. (٥١) ﴾

هذه الكلمات في كتاب الله العزيز وفي الرسم القرآني لها دلالات باهرة معجزة .
إن النظر الدقيق في هذه السياقات السبعة التي وردت فيها كلمة "امرات" مفتوحة "التاء" يسفر عن الحقائق الآتية:

أولاً: أنها في المواضع السبعة جاءت مضافة .
ثانياً: أن هذه "الإضافة" إلى غير الضمائر بل هي إضافة إلى أسماء ظاهرة: فرعون مرتان والعزيز مرتان ونوح ولوط مرة وعمران مرة .
ثالثاً: إن كلمة "امرات" في المواضع السبعة تدل على ذات معينة لا يشترك معها غيرها فهي دلالة خاصة لا عامة.

﴿ وأقول: بهذا يخرج منها الآية : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً..) وقد كتبت مغلقة التاء لأنها لم تضاف إلى إسم ظاهر... لكن يبقى سؤال: ألا يوجد فيها معنى الفعل ؟ والإجابة ربما لأنها فقدت معنى الخصوصية - بل العمومية - أي في أي زوجة ولأى رجل وليست زوجة فلان بالتحديد والخصوص..... مع ملاحظة قوله (بعلها) ولم يقل (زوجها) وربما يكون لهذا الملحظ دخل في ذلك؟ حيث أن (البعل) يقال في منهج القرآن في حالات عدم التوافق في الحياة الزوجية. (وراجع بحثنا عن (البعل والزوج) في كتبنا (الإعجاز القصصي والتكرار)

رابعاً: أن المضاف "امرات" والمضاف إليه في كل موضع بينهما علاقات وروابط زوجية قائمة.

خامساً: أن هذه العلاقات والروابط الزوجية هي الأساس في "الإنجاب" و"التوالد" من حيث الجملة.

وينتج عن هذه الاعتبارات الخمسة أن فتح "تاء" التأنيث فيها جاء رمزاً إلى هذه المعاني ، فقد حولت الأصل في رسم "امرات" ولم تكتب بالتاء المربوطة.

فلله در القرآن الكريم ما أعظمه ، وما أعظم إعجازه من أي جهة نظرت إليه حتى رسم كلماته وحروفه معجز كنظمه وبلاغته ومعانيه .

أما "امرأة" بـ "التاء" المقبوضة أو المربوطة فدلالة عامة على واحدة غير معينة من النساء فهي كرجل تدل على نكرة شائعة في جنسها لا تخصيص فيها، ولنسق على هذا بعض الأمثلة:

في سورة النساء: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً .. (١٢)﴾ تأمل في دلالتى رجل وامرأة في الآية لا تجد أنهما يدلان على رجل معين ولا امرأة معينة، بل تدل كلمة رجل على فرد غير معين شائع في أفراد جنسه، وتدل كلمة امرأة على فرد غير معين شائع في أفراد النساء؛ أى كل من مات من أفراد الرجال وليس له أصل (أب- أم) وارث، وكل من مات من أفراد النساء وليس لها أصل ولا فرع وارث..

وإذا وازنت بين "امرأة" في هذه الآية وبين كلمة امرأة في قوله تعالى: (امرات عمران) ظفرت بوضوح الدلالة فيهما، و(امرات عمران) هى فرد معين مخصص بالاسم والصفة والزمان والمكان. ولهذا فإن فتح "التاء" في "امرات" يدل على التحديد والتخصيص. وقبض "التاء" فيها يدل على التعميم والشيوخ الواسع فيشمل أفراد الجنس كله، وارجع- إن شئت- إلى الخصائص الخمسة التى ذكرناها آنفا التى لوحظت في كلمة "امرات" المفتوحة "التاء" في آيات كتاب الله العزيز لتعلم يقينا أن خصوصيات الرسم القرآنى لها دلالات باهرة معجزة لا كما يدعى قصار النظر أن هذه الخصوصيات وليدة العشوائية أو لضعف كتبة الوحي في فن الإملاء؟

إبنت:

ويلحق بفتح "التاء" في "امرات" فتح "التاء" في "إبنت" في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله عز وجل: في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا .. (١٢)﴾ عوملت (ابنت) معاملة (امرات) وإن لم تضاف إلى رجل هو زوج لها بل إلى رجل هو أبوها، وسبب فتح "التاء" فيها هو "الإنجاب" لأنها- رضى الله عنها- أنجبت عيسى عليه السلام وقد تقدم أن "الإنجاب" معتبر في فتح "التاء".

فسبحان الذى أنزل هذا الكتاب (القرآن) الذى لا تنتهى عجائبه ولا ينضب معينه ولا تجف مجاريه .

لَعْنَتُ .. لعنة

ومن ذلك كلمة "لعنة" فقد جاءت مربوطة "التاء" في الرسم القرآنى في مثل قوله تعالى: في سورة سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ (١٦١). وقوله تعالى: في سورة الأعراف: ﴿ وَكَأَيُّ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابِ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِذَنْ مَوْذَنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾

ومجئ "لعنة" مربوطة "التاء" هو الأصل، وهي حينئذ تدل على المعنى العام لكلمة "اللعنة"، وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل.

وقد جاءت مخالفة للأصل في موضعين في الرسم القرآني الأول في قوله تعالى: في سورة آل عمران: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) ﴾ .

إن فتح التاء في كلمة "لعنت" في هذه الآية جاء رمزا للدلالة على معنى لطيف هو: أن المراد من اللعنة هنا هو غضب الله الذي يحل على الكاذب في الحال؛ أي الطرد العاجل من رحمة الله أو العقوبة العاجلة في وقت الابتهاال. من أجل ذلك بسطت "التاء" في الرسم القرآني هكذا: (لعنت الله على الكاذبين)

أما الموضع الثاني فهو قوله تعالى: في سورة النور: ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) ﴾

هذه الآية من الآيات التي فصلت أحكام اللعان بين الزوجين إذا اتم الزوج امرأته بالزنا ولم يكن له شهود إلا نفسه، فإنه يشهد أربع مرات بالله أنه رآها وفي المرة الخامسة يقول - بعد الإقسام بالله - أن لعنة الله عليه إن كان كاذبا في اتهامه إياها بالزنا، ومجئ "لعنت" مبسوطة "التاء" غير مقبوضة دليل على أن الله يرتب حلول لعنته على هذا الكاذب في الحال قبل المال.

ففتح "التاء" في هاتين الآيتين يرمز رمزا لطيفا إلى حلول العقوبة على مستحقيها في الدنيا قبل الآخرة. وبعض العلماء يقول في المعنى المدلول عليه بربط "التاء" أو "قبضه" أن المراد به الدلالة على مجرد "التسمية" أو على الاسم، أما فتح "التاء" أو "بسطة" فإن المراد منه الدلالة على "الفعل" في الواقع في الوجود، وهذا يعم كل مدلولات الكلمات التي جاءت على رسمين مختلفين في القرآن الكريم.

"شجرة" .. شجرت

فقد رسمت تاؤها مربوطة في مواضع، ورسمت مفتوحة في موضع واحد، فمن رسمها مربوطة قوله تعالى: في سورة الصافات: ﴿ أَدْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) ﴾ . جاءت كلمة "شجرة" مرسومة بـ "التاء" المربوطة لأن المراد تصويرها في الذهن من حيث إنها شجرة عجيبة

فهى نوع من النبات ، والنبات لا ينمو ولا يعيش فى النار لكن قدرة الله لا يعجزها شىء، وأن ثمارها فى بشاعة منظره كأنه رعوس الشياطين فى هولها وفى فظاعتها. فالمراد من ذكرها فى هذه الآيات التعجيب والتهويل والتبشيع.

أما مجيؤها بـ"التاء" المبسوطة أو المفتوحة (قد أخطأ الشيخ وقال عنها (التاء المقبوضة).. وهذا سهو منه فى الكتابة رحمه الله) فهذا تراه فى قوله عز وجل: فى سورة الدخان: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامٌ لِلْآثِمِينَ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ (٤٦) خُدُّوهُ فَاغْتَلُّوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾ فتحت "التاء" فى كلمة "شجرة" فى الآية لأن المراد ليس مجرد "الاسم" بل المراد هو "الفعل" أى: الأكل ؛ فالبيان القرآنى ذكر "شجرة الزقوم" باعتبارها مصدراً لأكل الآثمين فهى - كما صورها البيان القرآنى - بمثابة قصيعة أو مادة طعام يأكله "الآثمون" ؛ فهم قد التهموه لأهم جوعى، وازدردوه فملأوا به بطونهم فطفق يغلى فيها غليانا يشبه غليان السائل فى إناء أوقدت عليه وحوله النار. قارن بين الموضوعين اللذين رسمت فيهما الكلمة: مرة مربوطة "التاء": (أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم). ومرة مفتوحة "التاء" "إن شجرة الزقوم"...

نجدها فى الموضوع الأول كأنها علبه طعام مغلقة، ونجدها فى الموضوع الثانى كأنها مائدة طعام يتكالب عليها أكلوها وهذا هو "الفعل" أو "الحدث" الذى له صورة محسوسة فى الوجود. لذلك ربطت "التاء" فى الأول وفتحت فى الثانى.

﴿ (وأقول أن هذا تشبيه رائع وبلغ ذكى من أستاذنا المطعنى .. وهو ملحظ يجب استيعابه وتطبيقه فى حالات أخرى ربما لم يذكرها الدكتور نفسه) ومنها كلمة

"جنة" "جنت"

هذه الكلمة جاءت فى الرسم القرآنى مربوطة "التاء" وهى مضافة إلى ما بعدها أو غيرها مضافة إلا فى موضع واحد جاءت فيه مفتوحة "التاء" فى قوله تعالى: فى سورة الواقعة: .. ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ (٨٩) ﴾ فتحت "التاء" فى "جنت نعيم" لأن المراد منها هو النعيم الحاضر الذى يكون مصيراً مباشراً لمن مات من "المقربين" فور خروج روحه من جسده. فهو نعيم واقع فعلاً بدءاً من تلك اللحظة التى تفارق الروح فيها الجسد ، دليل ذلك هو سياق الكلام الذى وردت فيه هذه الآية وهو سورة الواقعة: الآيات ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ

(٨٤) وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ (٨٩) .

هذه الآيات الكريمة تتحدث عن مشهد يتكرر آلاف المرات في اليوم الواحد هو ساعة رحيل كل حي من بنى آدم. وعطف (روح وريحان وجنت نعيم) على واقعة خروج الروح من الجسد بالفناء هكذا (فروح وريحان وجنت نعيم) دليل على أن حصول هذا النعيم يكون في الحال لأن القبر كما جاء في الحديث الشريف إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار".

❖ ((وأضيف إلى هذا الملحظ الرائع والتوجيه الحكيم من أستاذنا المطعني - الذى لم أعر عليه في كتب السابقين - أن هذا يشخص حديث النبي (ﷺ): والله لا يخرج أحدكم من الدنيا إلا وقد رأى مقعده من الجنة أو من النار...)) والنص يصور حالة الغرغرة وهي قبل خروج الروح خروجاً هائياً حيث يقول: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ (٨٣) . وهو مازال على قيد الحياة الدنيا. ولم يقل: (فلولا إذا خرجت الروح) وهذا يؤكد على أنه ما زال خاضع للحياة الدنيا .. وهو في الحياة الدنيا يرى الجنة (فهى المرة الوحيدة والحالة الوحيدة التى يرى المرء فيها الجنة مفتوحة أمام عينيه وهو فى الدنيا)..

ومن روائع البيان ما ذكره الإمام ابن القيم حول قوله ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ (٨٣) .)) ولم يقل: فلولا إذا خرجت الروح.. حيث يشير إلى أن هذا مقام التحدى من الله لكل البشر، حيث أنه لو قال فلولا إذا خرجت الروح . لقال هذا المتفلسف أن الروح خرجت ولا أعلم مكانها ولو أعلم مكانها لأرجعتها إلى الجسد .. فإذا بالنص القرآني يصور له الروح بأنها لم تخرج ولكنها هي (في الخلقوم) ولا تحتاج إلى البحث عنها خارج جسدها .. ولو عندكم القدرة أدخلوها من الخلقوم....

وبعد هذا العرض الرائع من أستاذنا المطعني والعلامة ابن القيم نجد المتعة والجمال والإهمار والإعجاز في هذا النص وفي رسم الكلمة فيه حيث أننا كنا نقول دائماً: الجنة غيبية ولن يرها أحد إلا يوم القيامة فمن حقها - دائماً - وحسب حكمة الرسم القرآني للكلمة - أن تكتب (مغلقة) - جنة - ولذلك كان العجب الشديد من ورودها هنا في هذا الموقف الوحيد في القرآن كله لأنه هو الموقف الوحيد الذى يصور صاحبه وهو في حالة الاحتضار.. فأى جمال وأى روعة وأى إعجاز نقولها لهؤلاء الذين لا يتدبرون القرآن ورسمه، وربما يقول قائل: أن جنة هنا فتحت لأنها مضافة أى: (جنت نعيم) .. ولكننا نجد أن هناك آيات فيها هذه الإضافة وكتبت بالتاء المغلقة كما سيكمل أستاذنا المطعني:

قارن هذا الموضع بقوله تعالى: في سورة الشعراء: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (٨٥) وقوله تعالى: في سورة المعارج: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ (٣٨) تجسد دلالة في هذين الموضعين تختلف عن دلالتها في الموضع الأول؛ فقد كانت الدلالة فيه هو النعيم الواقع فعلا، وهو فوق ذلك نعيم خاص.

❖ (وأقول: إن معنى قوله: النعيم الواقع فعلا) (أى الذى يراه المختصر على الواقع)) ،... ومعنى قوله: وهو فوق ذلك نعيم خاص .. ربما استفاده استاذنا من السياق من عطف الجنة في قوله (فروح وريحان وجنة نعيم) والذى يعطى إحياء بالتعظيم لها و بأنها جنة خاصة ومخصوصة من ضمن الجنان، وهذا ملحظ لامانع منه بلاغياً. وأستاذنا هو أستاذ البلاغة والنقد.

ويكمل د: مطعنى:

أما المراد من كلمة "جنة نعيم" في هذين الموضعين (المغلق فيهما تاء الجنة) فهو معنى عام كما ترى وكذلك فإنه غير واقع بالفعل؛ ففى آية "الشعراء" هو مجرد دعاء من إبراهيم عليه السلام أن يجعله الله في المستقبل من أهل الجنة. وأما فى آية "المعارج" فهو الإشارة إلى طمع الذين كفروا فى أن يدخل الله كل امرئ منهم جنة نعيم وهم فى الواقع مبعدون عنها.

من أجل ذلك المعنى "اللطف" فتحت "التاء" فى آية الواقعة: (فروح وريحان وجنة نعيم) ، مع ملاحظة أن نظم الآيات الثلاث واحد، ليس فيه فرق إلا فتح "التاء" فى آية الواقعة، وقبضها فى آية "المعارج والشعراء" .

❖ وهنا أضيف لهذا الجمال جمالاً آخر - لم يذكره أستاذنا المطعنى - ووصفه لنا الإمام المراكشى (مع شرحنا وتعليقنا عليه للتوضيح والإفادة) وهو يستعرض الآية ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٨٨) ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٍ ﴾ (٨٩) .. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذَّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿ ٩٢ ﴾ فَتَنْزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿ ٩٣ ﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿ ٩٤ ﴾ .. وقد لاحظ أن (جنة) كتبت مفتوحة التاء ، وأن (تصلية) كتبت مغلقة التاء.. وكما قلنا من قبل أن فتح التاء دليل الفعل (أى التمتع بها لنفسه وأما فتحت عليه هو - وليس على غيره - بالفعل).. أما إغلاق التاء فهى للإسم وليس للفعل _ أى أنها لم تفتح له (هو) - وربما تفتح لغيره.. وقد لاحظ الإمام المراكشى أن الخطاب فى بداية الآيات (للمؤمنين)؛ والجنة قد فتحت على (المؤمنين) فككتبت (جنة) بالفتح .. ولكن قوله (تصلية جحيم) فإنها بالطبع لم تفتح على المؤمنين (المخاطبين فى الآيات) بل هى (مغلقة بالنسبة لهم) فككتبت (تصلية) مغلقة التاء.. ولو كان

الخطاب للكافرين في بداية السياق لفتحت الجحيم لهم وكتبت (تصليت) بالتاء المفتوحة.. وهذه ملاحظة رائعة يستنبطها العلامة المراكشي من سياق الآية ومن معرفة من هو المخاطب في الآيات .. وهو لون من الإعجاز ليس له مثل.. وإليك ما قاله الإمام:
ومن ذلك: (الجَنَّة) مدت تاؤها في موضع واحد في الواقعة: (وَجَنَّتْ نَعِيم) يدل على أنها بمعنى فعل التمتع بالنعيم اقتراها بالروح والريحان. وتأخرت عنهما وهما من الجنة. فهذه جنة خاصة بالمنعم بها) وقد شرحنا قوله هذا.

وأما: (من وَرَثَةِ جَنَّةِ التَّعِيم) و (أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيم) فإن هذا بمعنى الاسم الكلي. ولم تمد (تَصْلِيَةَ جَحِيم) لأنها اسم ما يفعل بالمكذب في الآخرة " أخبرنا الله بذلك. فالمؤمن يعلمه تصديقا به " ولا يجده بالفعل أبدا في الدنيا ولا في الآخرة. و قال تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ) فكلمة العذاب إنما حقت على الكافرين هم الذين يجدون ذلك بالفعل. وأما المؤمن فلا يجد منها إلا الاسم دون الفعل. والخطاب إنما هو " للمؤمن " فلذلك كانت (تَصْلِيَةَ جَحِيم) بمعنى الاسم في حق المؤمن. وإن كانت بمعنى الفعل في حق الكافر " فهي " على خلاف " جنة " نعيم فإنما يجده المؤمن بالفعل.

"معصية" "معصيت"

جاءت مفتوحة "التاء" في موضعين من سورة واحدة في قوله تعالى: في سورة المجادلة: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِيمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ .. (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِيمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)﴾

وفتح "التاء" في الموضوعين رمز إلى معنى لطيف هو أن "معصيت الرسول" المراد منها الفعل الواقع من المنافقين في حال نجوى بعضهم بعضا بدليل قوله تعالى حاكيا عما كانوا يقولون في أنفسهم. (لولا يعذبنا الله بما نقول)؛ فهم كانوا يعرفون أن فعلهم هذا معصية. أما في خطاب الله المؤمنين فقد نهاهم أن تتضمن مناجاتهم قولا فيه معصية للرسول كما كان يحدث من المنافقين ، لأن المناجاة هي الحديث والحديث واقع فعلا سواء كان طاعة او معصية ، فإن كان معصية فهي معصية واقعة فعلا في الوجود.

"فطرت"

جاءت مفتوحة "التاء" في القرآن مرة واحدة وذلك قوله تعالى: في سورة الروم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ..) لأن المراد من "فطرت الله" هنا الاستعداد للإيمان وعمل الصالحات الذي خلق الله عليه الناس ، يؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".
 فالله - عز وجل - يخلق الناس على صفة الطهر والاستقامة وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذه الفطرة النقية الطاهرة تتعرض للفساد بإهمال الوالدين في التربية وبما تعكسه البيئات السيئة من الفساد والإفساد، ففتح "التاء" في "فطرت الله" رمز إلى الوجود الفعلي لهذه الفطرة في الأطفال حين يولدون ، فمن عُصم منهم لازمته هذه الفطرة ومن ضل أفسدها وصار مسئولاً عنها أمام الناس يوم يقوم الناس لرب العالمين.

"قرة" "قوت"

حيث وردت في القرآن مرتين إحداهما مفتوحة "التاء" والأخرى مربوطة "التاء" وكتلتاهما مضافتان. فالأولى وردت في قوله تعالى: في سورة القصص: ﴿ وَقَالَتْ امْرِأَةٌ فَرِعَوْنَ فَرَّتْ عَيْنٌ لِيْ وَلَكْ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) ﴾
 جاءت كلمة "قوت" هنا مفتوحة "التاء" لأنها بمعنى المسرة والسعادة الحاضرة في الوجود لأنها وقعت خيراً عن موسى عليه السلام، وكان موسى حياً موجوداً في طور الطفولة الباكرة، فالسرور به كان حاصلًا ساعة قالت امرأة فرعون هذا الكلام وجاء فتح "التاء" رمزاً دالاً على هذا المعنى.

أما الموضع الثاني الذي رسمت فيه هذه الكلمة بـ"التاء" المربوطة فهو قوله تعالى: في سورة الفرقان: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا مُّغْسِلِينَ غَيْرًا لِّمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ فمع أنها جاءت على الأصل وما جاء على الأصل لا يسأل عنه، فإن مقارنتها بالأولى يُظهر لها معنى كأن ربط "التاء" جرى به رمزاً إليه. ذلك المعنى هو أن السرور والإسعاد بالأزواج والذريات ليس له وجود فعلي حين يقال هذا الكلام. وذلك لأنه دعاء ، والدعاء لغة وشرعاً وعقلاً وواقعاً يطلب به ما ليس حاصلًا وقت الدعاء. وهذا ظاهر لا يحتاج إلى طول تفكير.

إذن امرأة فرعون كانت تشير بقولها "قوت عين لي ولك" إلى نعمة حاصلية ((موجوده بين يديها وهو الطفل موسى)). أما عباد الرحمن في سورة "الفرقان" فكانوا يطلبون من الله فضلاً لم يكن حاصلًا وقت الدعاء.

"بقيت"

فقد جاءت في الرسم القرآني بـ"التاء" المفتوحة وهي مضافة إلى اسم الجلالة مرة واحدة في قوله تعالى حكاية عن قول شعيب لقومه: في سورة هود: ﴿بَقِيَتِ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦). فتحت "التاء" فيها لأن المراد فيها ما تبقى حلالا من المال الذي في أيديهم بعد أن هاهم الله على لسان شعيب ، وعن الاحتيال لأكل أموال الناس بالباطل؛ وذلك في قوله عز وجل قبل هذه الآية مباشرة. في سورة هود ﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٨٥) بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ...﴾

ولا نزاع أن ما بقي في أيديهم من المال الحلال بعد تنفيذ هذه الأوامر والنواهي هم متمكنون منه منتفعون به، وهو مال حاصل لهم ليس غائبا عنهم ولا محظورا عليهم الاستمتاع به. من أجل ذلك فتحت فيها "التاء" إيذانا بحرية التصرف فيها.

"كلمت"

وبقيت لنا من هذه الكلمات التي توارد عليها قبض "التاء" وبسطها في الرسم القرآني الشريف كلمة واحدة هي "كلمت" مضافة إلى اسم ظاهر وشاهدنا عليها هو قوله عز وجل: في سورة الأعراف: وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (١٣٧) فتحت "التاء" في "كلمت ربك" في هذه الآية لأن "كلمت ربك" هنا تشير إلى واقع فعلى ملموس هو:

* توريث الله الصابرين من بنى إسرائيل في عهد موسى البقاع التي بارك الله فيها

* تم تدمير حضارة فرعون وجنوده وتبوير كل ما عمله هو وقومه فوق سطح الأرض .

وهنا نقف على بحث في (كلمة، كلمت)

(كلمة، كلمت)

** (١) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥)

الانعام .. يقول الرازي: قرأ عاصم وحزمة والكسائي: { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ } بغير ألف على الواحد ، والباقون { كلمات } على الجمع ، قال أهل المعاني ، الكلمة والكلمات ،

معناها ما جاء من وعد ووعد وثواب وعقاب ، فلا تبديل فيه ولا تغيير له كما قال :
 { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ } [ق : ٢٩] فمن قرأ { كلمات } بالجمع قال : لأن معناها
 الجمع فوجب أن يجمع في اللفظ ، ومن قرأ على الوحدة فلاهم قالوا : الكلمة ، قد يراد
 بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد ، كقولهم : قال زهير في كلمته :
 يعني قصيدته ، وقال قس في كلمته ، أي خطبته ، فكذلك مجموع القرآن كلمة واحدة في
 كونه حقاً وصدقاً ومعجزاً . ومن هذا الشرح يتضح لنا قواعد لهذا الرسم :

- (١) واضح أنها تمت في الدنيا .
 - (٢) وقرىء (كلمات) ربك أي ما تكلم به . وقيل : هي القرآن .
 - (٣) الإضافة إلى إسم من أسماء الجلالة . وليست مفردة أو مضافة لغير ذلك
- وأرجو من القارئ الكريم أن يلاحظ هذه الثلاث نقاط فيما يلي من الأمثلة:
- ** (٢) ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
 وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
 وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ الأعراف ..** وقرأ عاصم في رواية : «وتمت كلمات
 ربك الحسنى» ونظيره { من آيات ربه الكبرى } النجم .
- ** (٣) ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . (٣٣) ﴾ يونس .**
 الطاهر : وقوله : { أنهم لا يؤمنون } بدل من (كلمة) أو { من كلمات .
 وقرأ نافع ، وابن عامر { كلمات ربك } بالجمع . وقرأها الباقون بالإنفراد ، وملاحظة
 (وكذلك) وعائد على الأمثلة المضروبة لهم وعدم الإهداء الدنيوى بها . وهى : ﴿ قُلْ مَنْ
 يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ
 رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَلَىٰ الضُّلَالِ أَتَىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) وَمَا كَانَ هَذَا
 الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) .. ﴾ فما قبلها وبعدها أحداث
 دنيوية تمت وشاهدوها أو علموها يقينا، وأن السياق الدنيوى متأكد من قوله تعالى في
 فاصلة الآية ﴿ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وعدم إيمانهم هو (دنيوى) وقد تم في
 الوجود .

** (٥) لاحظ غافر: ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)﴾ غافر.. فهي أيضاً عن كلمات تم تحقيقها في الدنيا على الأقسام السابقين وليس عن يوم القيامة - كما يتخيل القارىء، - ويتبين ذلك من خلال الشرح التالى للإمام الطاهر حيث يقول:

ويجوز أن يكون المراد ب { الذين كفروا } عين المراد بقوله آنفاً : { ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا } [غافر : ٤] أي مثل (أخذ) قوم نوح والأحزاب حقت كلمات ربك على كفار قومك ، أي حقت عليهم كلمات الوعيد إذا لم يقلعوا عن كفرهم . ((فهي أيضاً بمعنى الفعل)) في الدنيا .

و (كلمات الله) هي أقواله التي أوحى بها إلى الرسل بوعيد المكذبين . ويضيف رأياً هاماً يوضح المعنى الدنيوى المراد فيقول: * ويجوز أن يكون - (وَكَذَلِكَ ﴾ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ - على تقدير (لام التعليل) محذوفة على طريقة كثرة حذفها قبل (أن) - أي قبل "أنهم" - . والمعنى : لأنهم أصحاب النار ، فيكون ضمير { أَنَّهُمْ } عائداً إلى جميع ما ذكر قبله من (إهلاك) قوم نوح والأحزاب من بعدهم ومن الذين كفروا .

وقرأ نافع ، وابن عامر { كلمات ربك } بالجمع . وقرأها الباقون بالإفراد) انتهى . ولاحظ استعمال كلمة (وَكَذَلِكَ ﴾ وهي عائدة على السياق قبلها ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرِزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ (٤) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالنَّاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ (فَأَخَذْتَهُمْ) (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (٥)﴾ (وَكَذَلِكَ ..) . تجعل السياق كأنه واقع مشاهد وعائد على مشهد هلاك دنيوى مصوراً قبله .. وهو في السياق هكذا:

(٦) ﴿ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٥)﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)﴾ غافر. { حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ } ولك أن تجعل المشار إليه الأخذ المأخوذ من قوله : { فأخذهم } [غافر : ٥] ، أي ومثل ذلك الأخذ الذي أخذ الله به قوم نوح والأحزاب من بعدهم حقت كلمات الله على الذين كفروا (لأنهم أصحاب النار).

** (٧) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)﴾ يونس. يقول الطاهر: وقوله : { أنهم لا يؤمنون } { بدل من (كلمة) أو { من كلمات . والمراد مضمون جملة أنهم لا يؤمنون }

وقد تم إغلاق ملفهم وعلموه كاملاً في (الدنيا) ويقول الزمخشري: ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره .
 ** (٨) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .. ﴾ .
 وهذه لم يرد فيها قراءتان ، وهى كلمة واحدة، وستحدث يوم القيامة، وليس لها احتمال حدوثها في الدنيا - كما في الآيات السابقة - وهى بمعنى (السنة) الدائمة - وتأخذ بذلك معنى العموم من قوله تعالى عن جميع الخلق في جميع الأزمان ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ وهى مثل (سنة ، سنت ...جنة ، وجنت):

أما الآيات التالية فهى مفردة أو غير مضافة للفظ الجلالة:

(١) ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٠٠) (مفردة وغير مضافة للفظ الجلالة)

(٢) ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ (١٩)

(٣) ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٧١)

(٤) ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ .. ﴾ (٧٤) التوبة

(٥) ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ .. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ .. ﴾

(٦) ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ وكل السابق إسم وليس فعل

(٧) ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ (١٢٩) طه .. والكلمة هنا

هى (تأجيل العذاب إلى يوم القيامة - أى لم يفتح العذاب عليهم في الدنيا - فهى مغلقة - .

(٨) ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ (١٠٠) المؤمنون .. يوم القيامة .

(٩) ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأْتَى تُنْقَذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ (١٩)

(١٠) ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤٥) فصلت . (والقضاء فى يوم

القضاء : أى : الآخرة)

(١١) ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١٤) الشورى .. فهى

لم تحدث - أى لم تفتح بعد - لأنها مؤجلة إلى أجل مسمى .

(١٢) ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢١) الشورى

(١٣) ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ (٢٦) الفتح .. (إسم أيضاً وليس فعل)

***إذن الكلمة تفتح إذا تمت في الدنيا بصورة معلومة لهم - في الدنيا-أى: بصورة الفعل ؛ كالهزيمة أو الإبادة لهم أو لأمثالهم الذين يعلمون قصتهم حق اليقين .أو التمكين لهم في الأرض وتدمير ما كان يصنع فرعون وجنوده - في الدنيا أيضاً - بصورة تمام الفعل-..

وأن يكون ليس المقصود بها الإسم الجامع ، أو السنة الدائمة- الذى هو سنة الله المطردة في الكون- فهذه صورة (الإسم).

وتغلق الكلمة إذا كانت مفردة ومضافة للفظ آخر غير لفظ الجلالة - كما قلنا في سنة ، ونعمة، ورحمة، ولعنة و... -

إضافة إلى جواز قراءتى الجمع (كلمات) والإفراد (كلمة) ولا يصلح لإثبات وحفظ تلك القراءتين إلا حذف الألف.

وهناك الرأى- لبعض النحويين - أن تكون الأسماء بالهاء والأفعال بالتاء - وقال به الإمام الزركشى

ولاحظ صورة الجمع في (كلمت) بدون ألف أيضاً في قوله: ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة).

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٦﴾ الكهف ..

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧) .. فهذه الآيات الثلاثة - من سياق الآيات وتحكيم العقل والمنطق لا بد من قراءة الجمع لها مع قراءة المفرد.

وتبقى هذه الآية الأخيرة التى أفردنا لها مكاناً خاصاً لأهميتها وخطورة معناها وهى:

*** (٣) ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٠) التوبة.

﴿ وأرى - والله أعلم - أن هذه الآية بصفة خاصة كتبت بالتاء المغلقة لتعطى صفة العموم لهذا الحكم لكل زمان ولكل مكان ، ولو أن الرسم القرآنى كتبها بالتاء المفتوحة (كلمت) لأعطت الخصوص لواقعة معينة فقط وفى زمن معين فقط .. وهذا ليس هو المراد فى هذا الحكم الهام والخطير والذى يترتب عليه قاعدة إيمانية هامة مؤداها: أن كلمة الذين

كفروا في كل زمان ومكان هي السفلى ، وكلمة الله في كل زمان ومكان هي العليا -
بصفة العموم والشمول.

(مع ملاحظة أن النص القرآني لايساوى بين كلمة الله وبين كلمة الذين كفروا حتى في سياق الآية ووجود حرف العطف الذى يفيد المساواة في الحكم؛ ولذلك - كما يقول علمائنا - قام النص القرآني بتغيير الإعراب في الآية هكذا: ﴿ وَجَعَلَ (كَلِمَةً) الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى (وَكَلِمَةً) اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ .. والمتبع لإعراب - أو تشكيل - الكلمة (كلمة) يجدها أنها منصوبة بالفتحة (مع الذين كفروا) على إعتبار أنها مفعول (به) منصوب للفعل (جعل): أى أنها (كلمة مجعولة) من الله .. وكان يجب أن تعطف عليها (كلمة الله) لأنها معطوفة بحرف العطف وهو (الواو) - (وَكَلِمَةً) اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا - وكان من حقها أن تكون منصوبة أيضاً وتابعة لما قبلها (المعطوفة عليها - كلمة الذين كفروا) .. ولكن الإعراب لكلمة الله خالف هذا المتعارف لدينا وقام النص بتغيير الإعراب وجعلها مرفوعة وليست منصوبة كالمعتاد ليعطى معنى المخالفة في الحكمين (بين كلمة الله وكلمة الذين كفروا) فأصبحت كلمة الله غير تابعة للفعل (جعل) ولذلك لم يجعلها منصوبة ، بل جعلها جملة مستقلة (مستأنفة وجديدة) وتبدأ بقوله (وكلمة الله العليا) والواو (واو استئناف) و (كلمة الله) مبتدأ مرفوع بالضمة - غير تابع للجملة قبلها - ، (والعليا) خير للمبتدأ .. وبذلك اختلف الحكمان .. ولكن بقى الملحظ الخاص برسم الكلمتين على صورة واحدة من غلق التاء (كلمة) رغم أنها في الثانية (كلمة الله) مضافة إلى لفظ الجلالة، وكان ذلك - كما قلنا - للإشارة إلى معنى (العموم) وليس الخصوص : أى العموم لكل زمان ومكان للحكمين ؛ مع ملاحظة أن كلمة الذين كفروا هي السفلى بصيغة العموم أيضاً (ولكنها مجعولة من الله) أما كلمة الله فهي حقيقة بذاتها ولم يجعلها أحد. وهكذا يكون الإعجاز والإيجاز الذى يتعانق فيه رسم الكلمة وبلاغة السياق المبهر فى آن واحد ليشير إلى حفظه معنى وكتابة إلى أبد الأبدين.

وهكذا اتضح لنا لماذا تقبض "التاء" ولماذا تفتح فى بعض كلمات القرآن وأن القرآن مصون من "العبث" ، إن كل هذه الخصوصيات لم تأت عبثاً بل لها دلالات وثيقة الصلة بمفهوم الإعجاز القرآني المتعددة الوجوه والسمات.



الفصل والوصل

الفصل والوصل

﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (٣٤) سورة إبراهيم
 ﴿ أَنْ وَبَشِّرْ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ لَكُمْ آيَاتٍ ﴾ (٢٥) سورة البقرة
 ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ (٩٢) سورة الشعراء
 ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) سورة البقرة
 ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله ﴾ (٩٠) سورة البقرة
 ﴿ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾ (٦٢) سورة المائدة

لفصل والوصل في الدراسات الأدبية والبلاغية وغيرهما معان مختلفة فيراد منها في فن الإلقاء أن الفصل هو سكوت خاطف بين كلمتين أو جملتين، والوصل هو متابعة القول بدون سكوت بين مفرداته وجمله.

في علوم القرآن فإن المراد من الفصل والوصل خصوصيات في رسم المصحف الشريف تختص بفصل بعض الحروف أو وصلها في الكتابة بعضها عن بعض أو بعضها ببعض ، وهي خصوصيات كثيرة الوجود في المصحف الشريف .
 ويجيؤها موصولة في مواضع ، ومفصولة في مواضع أخرى ، والكلمات التي ورد فيها الفصل والوصل واحدة ، يلفت النظر بشدة ويثير تساؤلا لحواحاً حول:
 لماذا كان الوصل هنا ؟ ولماذا كان الفصل هنا ؟
 ومن تلك الكلمات - مثلاً - ما يأتي:

كلما - كل ما ، أينما - أين ما ، إنما - إن ما ، أما - أن ما ، بئسما - بئس ما .
 وغير ذلك كثير ، والتساؤل اللحوح الذي يثيره اختلاف الكلمات القرآنية في الرسم على النحو الذي تقدم يظل صاحبه حائراً إذا لم يقف على اللطائف والأسرار التي جاء الفصل والوصل رامزاً إليها من طرف خفي .

وهذا الفرع من الدراسة من أهم المباحث التي تضع في أيدينا مفاتيح لفهم كتاب الله العزيز ، وتفتح أمامنا آفاقاً ونوافذ تقربنا من الاطلاع على خبيئات المعاني في كتاب الله

المعجز في ألفاظه ومعانيه ، في مفرداته وجمله وتراكيبه ، بل وفي طريقة رسم كلماته على الورق ؛ وهو ما أسميناه بـ"الاعجاز الخطي" ، وإنه لجدير بهذه التسمية . هذا هو الفصل والوصل في مباحث علوم القرآن الكريم . وبعد هذا التمهيد نشرع في تفصيل ما أجهلناه مستمدين العون والتوفيق من الله .

كلما - كل ما

من يقرأ القرآن الكريم ، يجد أن "كلما" وهي مركبة من حرفين ، موصولة - أعني أن حرف الميم فيها متصل بحرف اللام ، والمواضع الثلاثة هـ

الأول: ﴿ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا كُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مِمَّا رَدُّوا إِلَيْهِ الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ﴾ (٩١) النساء .. يقول الألويسي: أناس كانوا يأتون النبي (ﷺ) فيسلمون رياء ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان يتبعون بذلك أن يأمَنوا نبي الله تعالى (ﷺ) ويأمَنوا قومهم ، فأبى الله تعالى ذلك عليهم .

وقيل : الآية في حق المنافقين ﴿ كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَيْهِ الْفِتْنَةِ ﴾ أي دعوا إلى الشرك كما روي عن السدي وقيل : إلى قتال المسلمين { أُرْكَسُوا فِيهَا } أي قلبوا فيها أقبح قلب وأشنع ، يروي عن ابن عباس أنه كان الرجل يقول له قومه : بماذا آمنت؟ فيقول : آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء ..

يعني هذا أن الفتنة مختلفة الأنواع وليست نمطا واحدا ، مثل الكفر ، والمعاصي ، والنفاق ، وكان هذا هو السبب في الفصل - كما سنرى إن شاء الله - .

والثاني في قوله تعالى ﴿ وَأَتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣٤) سورة إبراهيم

والثالث في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلًّا مَّا جَاء أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤٤) المؤمنون

الموضع الرابع : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (٧٠) المائدة

ومن البداية أن وصل "ما" ب"كل" (كلما) هو الأصل ، أما الفصل فهو خلاف الأصل .

وقبل أن نشرع في بيان السر أو السبب في فصل "ما" عن "كل" في هذه المواضع الثلاثة ، نذكر موضعا واحداً مما وصلت فيه "ما" ب"كل" ليكون معينا لنا على فهم الفروق بين

الحالتين ؛ ذلك الموضع هو قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَسُولْنَا إِيَّيْهِمْ رُسُلًا كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (70) سورة المائدة
والآن نورد هذا السؤال :لماذا فصلت "ما" عن "كل" في المواضع الثلاثة الأولى ، ثم وصلت
"ما" ب"كل" في الموضع الرابع ؟

والجواب: أن الوصل ،مع أنه الأصل (الموضع الرابع) ،يدل على اتصال المعنى في الوجود
سواء كان اتصالا ماديا محسوسا أو اتصالا معنويا معقولا .
فتكذيب الرسل وقتل بعضهم أو العزم على القتل طبع متأصل في اليهود . سواء في ذلك
قداؤهم قبل الإسلام ،أو الذين كانوا موجودين في عصر الرسالة المحمدية ، صلى الله على
حاملها وسلم .

من أجل ذلك وصلت "ما" ب"كل" رمزا إلى اتصال وصف اليهود بتكذيب الرسل
والتمرد عليهم في أى زمان ومكان وجدوا فيها . مع ملاحظة أن الحديث في الآية جرى
على قوم جنسهم واحد ، وعقيدتهم واحدة ولغتهم واحدة .

أما الآية الأولى من الآيات الثلاث التي فصلت فيها "ما" عن "كل"
وهي : (كل ما ردوا إلى الفتنة اركسوا فيها) ، فلأن الفتنة مختلفة الأنواع وليست نمطا
واحدا ، مثل الكفر ، والمعاصي ، والنفاق ، يعنى أهم كل ما لاحت لهم ضلالة وانحراف
سارعوا وتحملوا أثامها (٢) . (حديث عام غير محدد)

وأما الآية الثانية (وآتاكم من كل ما سألتموه) :

فقد فصلت فيه "ما" عن "كل" لأن عطاء الله عز وجل متفاوت لا جنس واحد : عطاء
المال - عطاء الولد - عطاء الصحة والسلامة المواهب - عطاء الأمن والراحة النفسية
الخ . . فلذلك فصلت "ما" ولم توصل ب"كل" .

وأما الموضع الثالث (كل ما جاء أمة رسولها كذبوه) ، فقد فصلت فيه "ما" عن "كل"
لأن الحديث جرى على أمة مختلفة ورسول مختلفين متعددين وغير خاف أن الحديث لما
كان عن أمة واحدة في أية المائدة (٤٤) المتقدم ذكرها وصلت "ما" ب"كل" وهنا
اختلفت الأمم ففصلت "ما" عن "كل" .

ومثل آية المائدة قوله تعالى : ﴿كَلِمًا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ
قَبْلُ﴾ .

وصلت "ما" ب"كل" في هذه الآية الكريمة ، التي تتحدث عن نعيم أهل الجنة ، لأن
رزق أهل الجنة متواصل غير مقطوع لا في الزمان ولا في المكان كما قال عز وجل

(أكلها دائم) الرعد : آية ٣٥ .. وكذلك هو متشابهة في صفات الجودة والاستطابة، بدليل
قولة تعالى في الآية نفسها : (وأتوا به متشابهًا) ، لذلك وصلت "ما" ب "كل" في هذه
الآية.

ومما يزيد المعنى توضيحا قوله : ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا
فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ (٢٠) سورة البقرة. وصلت "ما" ب "كل" في آيتنا هذه لأن مصدر الإضاءة واحد ،
هو البرق ولأن المشى ملازم للإضاءة

✽ ونكمل نحن الأمثلة لوصل (كلما):

(٣) ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠) البقرة

(٤) ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ . (٣٧) آل عمران

(٥) ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَالْغِصَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٤) المائدة

(٦) ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠) المائدة

(٧) ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنِّي
تَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٣٨) هود

(٨) ﴿مَا وَآوَاهُمْ جِهَتُمْ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧) الإسراء

(٩) ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (٢٢) الحج

(١٠) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (٢٠)
السجدة

(١١) ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ (٨) الملك

(١٢) ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ (٧) نوح

واضح في أمثلة الوصل جميعها أنها تتحدث عن شيء واحد متصل في الوجود ويؤكد
على اتصال المعنى في الوجود سواء كان اتصالا ماديا محسوسا أو اتصالا معنويا
معقولا .

إِنَّمَا - إِنْ مَا

وكما فصلت "ما" عن "كل" في المواضع الثلاثة المتقدم ذكرها، فصلت عن "إن" بكسر
الهمزة في موضع واحد في القرآن كله، وفيما عدا هذا الموضع جاءت موصولة ، مثل قوله

تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ
سَعِيرًا﴾ (١٠) النساء

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٠) النحل

وقوله تعالى : ﴿فَذَكَرْنَا أَنْتَ مَذْكَرًا﴾ الغاشية ٢١

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١) البقرة

وهذا كثير جداً في القراءن لا يكاد يحصى .

**أما الموضع الوحيد الذي جاءت فيه "ما" مفصولة عن "أن" فهو قوله تعالى : ﴿إِنْ

مَا تُوْعَدُونَ لَاتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١٣٤) سورة الأنعام.

والسر اللطيف في فصل "ما" عن "إن" في الآية ، أن "ما توعدون" مفصل في الحقيقة وفي

الواقع ، لأنه وعد ووعيد : وعد بالخير للذين أحسنوا باتباع الحق في هذه الحياة الدنيا .

ووعيد بالشر للذين أساءوا بمخالفة الرسل ففكروا وعصوا . فمعنى "ما" مفصول في الوجود

لذلك فصلت "ما" عن "إن" في هذه الآية الكريمة .

أما - أن ما ..

كذلك توارد الوصل والفصل بين "أن" بفتح الهمزة ، وبين الحرف "ما" .

فقد جاءت "أن" موصولة ب"ما" في القراءن كله ، إلا في موضعين فصلت فيهما "ما" عن

"أن" مفتوحة الهمزة . والموضعان هما : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢) سورة الحج .

أما الموضع الثاني فهو قوله عز وجل : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣٠) سورة لقمان

فصلت "ما" عن "أن" في الموضعين ، لأن ما يدعونه - يعنى يعبدونه - من دون الله

كائنات متفرقة متعددة : أصنام - أوثان - نار - كواكب - أهواء - بقر . وهذا هو

الباطل . أما الحق فهو الله الواحد الأحد من بيده مقاليد السموات والأرض ، منه المبدأ ،

وإليه المعاد ولا يشرك في حكمه أحداً .

وإلى هذا المعنى أشار يوسف عليه السلام بقوله : ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرَأَيْتَ أَتَّفَرَّقُونَ خَيْرٌ

أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) سورة يوسف

ولما كان ما يعبدون من دون متفرقين غير موصولين فصلت "ما" عن "أن" رمزاً إلى هذا المعنى اللطيف .

وقد جاءت "ما" موصولة بـ "أن" فيما يشبه هذين الموضعين في قوله جل شأنه حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ غافر ٤٣ .
سر الوصل هنا أن يوسف عليه السلام جمع بين كل ما يصدر من دون الله في صفة العجز الدائم في الدنيا والآخرة .

﴿ وَهنا نبدأ بسرد باقى الآيات التى وصلت فيها الكلمة (أنا) ﴾
﴿ وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١٧٨) آل عمران
﴿ وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (٤٩) المائدة... الزمخشري: يعنى بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه ،
فوضع { بَعْضِ ذُنُوبِهِمْ } موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوباً حجة كثيرة العدد ، وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها ، وهذا الإهتام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه الألوسى: وقال الجبائي : ذكر البعض وأريد الكل كما يذكر العموم ويراد به الخصوص ،

(من هنا يتبين أن الحديث عن ذنب واحد معلوم وموصول في الوجود)
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَّالِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) الأنفال
﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٤) هود..

الألوسى: أي ما أنزل إلا ملتبساً بعلمه تعالى لا بعلم غيره ، قيل : وهو معنى قول من قال : أي ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله تعالى ولا يقدر عليه سواه . (يقصد علم الله بصدق الكتاب وتوحيده واحد ومتصل في الوجود ، ونضيف ملحظ آخر هو: أن الكلام فيه رقة لأن الخطاب لمحمد (ص) وصحبه.. فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ . بخلاف الآية التالية التى نلاحظ فيها ملحظ الشدة لأنه يقرع بها الكافرين وهى ((فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ...))

**وأرى - والله أعلم - أن فصل (فإن لم) فيه تأكيد لهذا المعنى حيث أننا تعودنا في خطاب القرآن .. أنه إذا أراد نصح المؤمن وتبليغه أمر من الأمور أو علم من العلوم فإنه يمر

بالنصيحة أو هذا الحديث له مروراً سريعاً.. بخلاف إذا كان الخطاب للكافر عن هذا الحدث وهذه المعلومة ، فإن النص القرآني يقف طويلاً على كل كلمة وكل أمر كأنه يفصله له ويقرره به - دون المرور عليه سريعاً- لأنه يخاطب جاحد ؛ وخير مثال على ذلك - حتى من الوجهة البلاغية- قوله تعالى نفس المعلومة للمؤمن في سياق ، وقولها له للكافر في السياق الآخر ، فأسرع المرور في الأول ، وأبطأ المرور عليه في الثاني - مع ملاحظة التمثيل لذلك بحرف العطف على نفس الأطوار في خلق الإنسان ب(ثم) - التي تفيد المهلة والتوقف طويلاً - مع الكافر... والتمثيل بالسرعة بحرف العطف (الفاء) - الذي يفيد السرعة والتعقيب - في حال الحديث مع المؤمن المصدق وليس الكافر الجاحد هكذا :

في سورة الحج الخطاب (للكافر) وسورة المؤمنون (للمؤمن) كالاتي.. وإليك البيان:
سورة الحج : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ (ثُمَّ) مِنْ نُّطْفَةٍ (ثُمَّ) مِنْ عَلَقَةٍ (ثُمَّ) مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرُّوا فِي الْأَرْحَامِ مَا تَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَدَّدٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ الحج.....

وفي سورة المؤمنون: نجد نفس الآيات ولكن الخطاب فيها مع (المؤمن) يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً (ف) خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً (ف) خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا (ف) كَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ وفي هذه الآية تجد سرعة الحديث أيضاً متمثلة في استخدام حرف العطف (بالفاء) التي تفيد التعقيب والسرعة لأن الخطاب للمؤمن وليس لتقريره والتوكيد عليه ولكن لإعطائه المعلومة فقط وتذكيره بها بخلاف خطاب آيات الحج التي استخدم فيها حرف العطف (ثم) الذي يفيد التراخي والإمهال لأن الخطاب للكافر ؛ رغم أن المعلومة واحدة في كلتا السورتين وهي عن (مراحل تخليق الجنين في داخل الرحم) .

**ولذلك أرى - والله أعلم - أن الخطاب للكافر الجاحد يكون مفصلاً - والتفصيل يعني أيضاً "التوكيد للمعلومة- فكُتبت (فإن لم) مفصلة - كما في الآية التالية (القصص).. والعكس إذا كان الخطاب مع المؤمنين فإنها رسمت موصولة وسريعة - وفليلة التوكيد - وعبر عن ذلك بالرسم هكذا (فإلم) ، كما هي هنا (آية هود).. وربما يكون هذا الملحظ في باقي آيات الفصل والوصل (بئسما .. بئس ما).. وسنلاحظ أن المفصلة

فيها (بئس ما) تكون مصحوبة بأداة التوكيد "اللام" (لبئس ما) بخلاف الأخرى ؛ فهذا توكيد وعلو نبرة وربما نلاحظ أنها نبرة تحذيرية تحتاج إلى الضغط على كل حرف والوقوف عليه. ونلاحظ ذلك أيضاً مع (إن ما .. وإنما): (فذكر إنما أنت مذكر) فهذا السياق سياق هادئ النبرة وفيه إعطاء معلومة وليس فيه التوكيد واللهجة العالية ، التي ربما تكون لهجة إستنكارية ، مثل سياق الآية التالية : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (استنكار بعد توكيد).. ومثلها:

﴿ وَإِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (استنكار بعد توكيد) أيضاً..
 ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠) القصص

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩) الرعد

﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٥٢) ابراهيم

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠) الكهف

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٨) الأنبياء
 ﴿ الْمُحْسِنُونَ أَنَّمَا يُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ۙ (٥٥) المؤمنون ..

وانظر ما قاله الزمخشري: ف(ما) موصولة اسم (أن) ، ولا يضر كونها موصولة لأنها في الإمام كذلك لسر لا نعرفه. (وأقول: أن هذا هو ما نبحت عنه وما نتحدث بشأنه على صفحات كتابنا هذا وندعو الله تعالى أن يفتح علينا من فضله وعلمه وتوفيقه)

﴿ أَلَحْسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥) المؤمنون
 ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧) ابراهيم

﴿ إِنَّ يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (٧٠) ص
 ﴿ لَا جْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ (٤٣) غافر

﴿ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٦) فصلت

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ .. ﴾ (٢٠) الحديد.. تلاحظ السياق - في الآيات الموصولة.. (إنما) - كأنه يسوق معلومة عامة - مثل الجملة الخبرية - دون تأكيد

شديد عليها ودون استتكار في الشق الآخر.. فكل هذه الآيات الموصولة على هذا المنوال.. بخلاف الآيات المفصولة كما قلنا.

وهناك رأى آخر- في الفصل والوصل - نقله د: غام قدورى.. وهو: (أما اتصال (ما) ب(كل) أو (إن) أو (أن) أو (أين) فقد ذهب علماء العربية إلى أن (ما) إذا كانت موصولة أى بمعنى (الذى) كتبت مفصولة... وإذا كانت غير ذلك وصلت ، لأنه كثر استعمالها مع هذه الأشياء حتى صارت منها..)

وربما يكون هذا الكلام هو عين مقاله الإمام الطاهر حيث قال: ولعل وجه هذا الانفصال أنه طريقة رسم قديم كانت الحروف تكتب منفصلاً بعضها عن بعض ولا سيما حروف المعاني؟

وأرى أنه رأى غير صائب ، والدليل هو قراءة الآيات الأخرى ومنها: ﴿لَا جَرَمَ لَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا﴾ . هنا (ما) بمعنى (الذى) ولكنها موصولة ﴿..وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ... أَفَمَنْ يَعْلَمُ لَنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ .. وأما غنتم.. وعكسها: كل ما ردوا....

وعلى كل حال فإن رأى الإمام الطاهر يحتاج إلى الوقوف عليه لفهم معناه ولعل فيه الصواب الذى يخفى علينا ، وربما يفتح الله على أحد القراء بذلك.

أينما - أين ما

ومن هذه الكلمات التى توصل بها "ما" وتفصل عنها لاعتبارات لطيفة كلمة "أينما" والأصل فيها هو الوصل ، أما الفصل فيطراً عليها في بعض المواضع . وقد جاءت "ما" موصولة ب "أين" في الرسم القرأني الا في ثلاثة مواضع ، هى :

الموضع الأول في قوله جل شأنه : ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢) سورة الشعراء
الموضع الثانى في قوله تعالى : ﴿..يَعْلَمُ مَا يَلْجِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤) سورة الحديد
والموضع الثالث في قوله جل ثناؤه : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١١٢) سورة آل عمران

والذى اقتضى فصل "ما" عن "أين" في المواضع الثلاثة ، لأن ما بعد "ما" مفصول متفرق في الوجود الحسى . بيان ذلك هو الآتى :

في الموضوع الأول كان الاستفهام التحسيري عن معبودات المشركين ، وهي كائنات متفرقة متعددة مفصّولا بعضها عن بعض .

وفي الموضوع الثاني (وهو معكم أين ما كنتم) نجد الأمانة المدلول عليها ب "أين" مختلفة في الوجود، وليست مكانا واحدا . والمعنى : أن الله محيط علماً بالعباد مهما تباينت أماكن وجودهم أو تباعدت أو تقاربت .

أما الموضوع الثالث (ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا). فهذه الآية وعيد شديد لليهود ، وأن الذلة لاحقة بهم في كل الأماكن وليس في مكان دون مكان . فأنت ترى أن ما بعد "ما" متعدد مختلف مفصول بعضه عن بعض . ومن أجل هذا فصلت "ما" عن "أين" للدلالة على هذه المعاني البالغة الدقة .

❖ (وأنا أرى إضافة لهذا الرأي أن سياق الآية فيه كثير من التوكيدات(ضربت عليهم.. وباعوا بغضب .. وضربت (مرة ثانية) ثم يؤكد تأكيداً شديداً على السبب في ذلك ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾) ولم يقل بغير (الحق) كما في آية أخرى وهذا التفسير له أهمية كبرى سنعيش معها مع كتابنا الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم) ، ثم يكرر (ذَلِكَ) (مرة ثانية).. بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (وهو يكاد أن يكون تكراراً للمعنى السابق).

وهذه التأكيدات والترميزات تستدعي، ويناسبها فصل الحروف والوقوف على كل حرف - كما قلنا - وذلك بخلاف الآية الأخرى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَقَتُّلُوا تَقْتِيلًا﴾ . بدون تفصيل وتأكيد - كما في الآية السابقة-.



قارن هذه المواضيع الثلاثة بالمواضع الثلاثة الآتية :

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) البقرة

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَقَتُّلُوا تَقْتِيلًا﴾ (٦١) الأحزاب.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (٧٨) النساء

قارن هذه المواضيع الثلاثة بالمواضع الثلاثة التي تقدمت ، ثم اسأل نفسك هذا السؤال : لماذا فصلت "ما" عن "أين" هناك؟ ولماذا وصلت هنا ؟

والجواب :

تقدم سر الفصل في المواضيع الثلاثة الأولى ، أما سر الوصل في الثلاثة الثانية ، فهو أن معنى ما بعد "ما" في هذه المواضيع متصل بعضها ببعض ، غير منفصل : فالمعنى في الموضوع الأول

فأينما تولوا فثم وجه الله) أن الله موجود في كل مكان ، لا في جهة دون جهة (معنى الاتصال وعدم التجزئة أو التفرقة في ذات الله وصفاته؛ من العلم والقدرة وغيرها....) .
 والمعنى في الموضوع الثاني (أينما تقفوا أخذوا) . الإشارة إلى سنة من سنن الله عز وجل في العصاة الكفرة ، وهي سنة مطردة (أى ثابتة ودائمة وغير متغيرة) بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢) الأحزاب

❁ وأنبه القارىء إلى أن هذه الملحوظة مهمة جداً ؛ وهي ملاحظة الفرق بين أن تكون صورة الفعل .. أو سنة الله .

ولأن الحديث في الآية جرى على قوم مخصوصين - وهم المتمردون في المدينة في عصر الرسالة - بدليل قوله تعالى : ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠) سورة الأحزاب
 أما الوصل في قوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدر ككم الموت ﴾ فلأن المعنى اطراد الموت واستحالة الفرار منه .

وقد يقال : إن أماكن الموت مختلفة فكان أولى الفصل لا الوصل؟ . وليس الأمر كذلك ، لأن المعنى المراد هنا ليس تعدد أماكن الموت ، بل المراد أن الموت الواحد في كل زمان ومكان لا ينجو منه احد، ولا تنفع الحيلة فيه وهذا المعنى دائم ثابت باختلاف الأزمنة والامكانة

ثم نسوق باقى الأمثلة وهى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ النساء

﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ النحل

﴿**مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا ثَقِيلًا﴾ (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ

لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢) الأحزاب

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ البقرة

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ (١٤٨) البقرة

﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا نَفَقُوا إِلَّا بِحِجْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ آل عمران

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَقَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا

وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٣٧) الأعراف

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ ٣١ مريم

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَنِينَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٩٢) مِنْ ذُونَ اللَّهِ . (٩٣) الشعراء
 ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِينَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (٧٣) مِنْ ذُونَ اللَّهِ ﴿ غَافِرٍ
 ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَنِينَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) الحديد
 ﴿ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَنِينَ مَا كَانُوا . ﴾ (٧) المجادلة

وعلى القارئ الكريم أن يعيد التأمل في هذه الأمثلة ويراجع الشرح السابق وسيجد الإجابة واضحة لديه.

بئسما - بئس ما

ومنها "بئسما" جاءت موصولة ب "ما" في الرسم القرآني إلا في موضعين جاءت فيهما مفصولة وهما قوله تعالى ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٢) سورة المائدة

وقوله تعالى : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) سورة المائدة

والذي اقتضى الفصل في الموضوعين كون معنى "ما" مفصل في الوجود .

ففي الآية الأولى (بئس ما كانوا يعملون) جاء الفصل إشارة ورمزا لاختلاف في أعمالهم في الوجود المحسوس .

وفي الآية الثانية (بئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) تفصيل لما قدمت لهم أنفسهم . وهو نوعان :

• حلول سخط الله بهم في الدنيا . • خلودهم في العذاب في الآخرة .
 ولهذا فصلت "ما" عن "بئس" ...

قارن هذين الموضوعين بالمواضع الثلاثة الآتية:

﴿ بئسما اشتروا به أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ .. ﴾ (٩٠) سورة البقرة
 ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بئسما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٩٣) البقرة.

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بئسما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ الأعراف ١٥٠
 إن كل أمثلة "بئس" ترد في مقام الذم . كما أن التركيب اللغوي في الآيات كلها التي وردت فيها "بئس" تركيب واحد في النطق وفي الأحرف المكون منها هذا التركيب، وكل ما بين هذه الصياغات من فروق هي مجيء (ما) مفصولا أو موصولا. فما سر الوصل في هذه الآيات الثلاث بعد أن عرفنا سر الفصل في الآيتين الأوليين؟

الجواب:

إن سر الوصل في هذه الآيات الثلاث هو الرمز إلى المعنى الذى بعد (ما) أو المعنى الذى
أوماً إليه التركيب ، وأنه واحد متصل لامتعدد ولا منفصل .

فهو في الآية الأولى الكفر (أن يكفروا بما أنزل الله).

وفي الآية الثانية هو جهنم - أى اليهود - عبادة العجل .

وفي الآية الثالثة هو اتخاذ اليهود العجل لها يعبد من دون الله بينما كان هو يتلقى الألواح
من ربه .. لذلك وصلت (ما) ب (بئس) لأن المعنى من هذه التراكيب الثلاثة موصول في

الوجود الذهني (المعنوي) والحسي (المادى)

وهكذا اتضح لنا من خلال الآيات التي ذكرت في مبحث الفصل والوصل في

الرسم القرآني أن كلاً من الفصل والوصل لهما دلالات ومقتضيات وأسرار ومعان

لطيفة، فلا يقعن في وهم واهم أن هذه الخصوصيات عيوب في الرسم القرآني ينبغي

تداركها ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

ولكن بقيت آية وهي:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّنَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧) ال عمران .. وربما يقال أن ما يشترون به

آيات الله كثير ومتعدد (وهو الجاه أو السلطان أو المال أو التقرب إلى الآخرين أو

متابعة الآباء والأجداد وحب متابعتهم) ،

❖ وأضيف هنا: ما قلته سابقاً من أن عنصر التوكيد له ملحظ آخر أيضاً في رسم

الكلمة وورودها على هيئة الفصل ، وواضح - أيضاً - أن العطف بالفاء (فبئس) هو على

جواب الشرط وعلى أوامر ونواهي وتوكيدات (لتبينه... ولا تكتمونه... فنبذوه .. فبئس

ما) وكلها أساليب توكيد تتناغم مع بعضها البعض .

ويرى بعض اللغويين أن فصل (بئس) عن (ما) في هذه الآيات الثلاثة لاستطالة الكلمة

بلام (لبئس) أو بالفاء (فبئس) .. وعندما حذف منها هذه الزيادات مالت الكلمة إلى

الوصل (بئسما) وهذا الرأي نسوقه ولا نرتضيه بصورة قاطعة ونقول "والله أعلم".

يوم هم ... يومهم

تتابع في هذه الحلقة ذكر نماذج أخرى منها تأصيلاً لهذا المنهج القرآني الحكيم ، لأن
كل إجراء حصل في الرسم القرآني يرمز إلي دقائق وأسرار قارئ القرآن الكريم في أمس

الحاجة إلى معرفتها لثلاثيهم بعض الناس أن هذه الإجراءات وقعت عفوا خالية من الدلالة والأسرار .

ومن هذه النماذج ما يراه قارئ المصحف الشريف من مجيء (هم) موصولا ب(يوم) هكذا (يومهم) ومجيؤه في بعض الأحيان مفصولا عنه هكذا(يوم هم)، ومحال ألف محال أن يكون هذا الوصل وذلك الفصل خاليا من الدلالة، ومن رأي هذا فقد أساء فهم الكتاب العزيز، فالفصل جاء في قوله تعالى في سورة

(يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ) (١٣) (الذاريات)

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) (١٦).. غافر

أما الوصل جاء في قوله تعالى في سورة الطور: **(فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَأُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) (٤٥)..** وفي سورة الزخرف: **(فَذَرَهُمْ يَخْوَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْتَأُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) (٨٣)**

تأمل قوله تعالى **(فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَأُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ)** وفي قوله تعالى **(فَذَرَهُمْ يَخْوَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْتَأُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)**

تجد (يوم) مضافا و(هم) مضافا إليه . وأن الضمير (هم) في الآيتين جزء من الكلمة التي هو فيها وجزء الكلمة يوصل بها ولا يفصل عنها، هذا حكم القواعد وحكم الذوق والإحساس المرهف بالجمال؛ لهذا كان الوصل بين (يوم) و(هم) في هاتين الآيتين وكان هذا الفصل ضروريا لا اختياريا ، وبقيت لمحتان إحداهما نحوية، والأخرى بلاغية .. أما النحوية فإن (هم) في الآيتين اللتين فصل فيهما (هم) عن(يوم) هو ضمير مبني علي السكون في محل رفع،

لأنه مسند إليه (= مبتدأ) أما الآيتين اللتين وصل فيهما (هم) ب(يوم) فهو مبني علي السكون في محل جر، لأنه مضاف إليه والمضاف إليه مجرورا بالاضافة دائما .

أما اللمحة البلاغية فتتضح بتقدم هذا السؤال والإجابة عليه السؤال لماذا خُصَّص (يوم) بالضمير (هم) ولم يجعل يوما عاما ؟

والجواب إن في هذا التخصيص زيادة زجر وتحويل لسان المتحدث عنه ، وهم الكافرون العصاة العتاة . هذا التخصيص يشير إلي ذلك كأنه لا يقع فيه إلا عقاب أولئك الناس، من فتنهم علي النار، ومن صقعهم وهلاكهم، ووقوع كل ما أوعدوا به من سوء المصير .

وهذه اللمحة البلاغية تضاف إلي دلالة الوصل المتقدم ذكره ، وجهل بعض الناس بهذه الدلالات هو حجة عليهم، ولا يمكن ان يكون الجهل معيارا نحاكم به الرسم القرآني المعجز للإنس والجن .

(١) ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠) البقرة

(٢) ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢) الانبياء

(٣) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٤٨) المائدة

(٤) ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) النور

ومن صور هذا الوصل انفصال (ما) عما بعدها في آيات الذكر الحكيم ، وقد أحصي أهل العلم أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم، فصلت فيها (ما) عما قبلها منها النماذج الآتية .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠) البقرة .. فصلت (ما) عن حرف الجر (في) قبلها ولم توصل بها كما وصلت في مواضع أخرى في الرسم القرآني، من ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٣٤) البقرة

✽ أقول مقدماً وقبل الشرح: لاحظ أن هذه الآية سابقة في ترتيب الآيات حيث أن رقمها هو (٢٣٤) - وسنسميها الآية الأولى - وسابقة عن الآية السابقة - التي رقمها (٢٤٠) - وسنسميها الثانية -

ويقول الدكتور المطعني وغيره من العلماء : الآيتان - كما ترى - في سورة واحدة تفصل بينهما خمس آيات ، والموضوع الذي وردتا فيه واحد هو عدة الزوجة المتوفى عنها زوجها (وهنا أختلف مع عالمنا الجليل - ومن نقل عنهم - في هذا - كما سنوضح بعد قليل - وأقول أن الموقف ليس واحداً ولكنه مختلف)

ويكمل: والفاظ الآيتين تكاد تكون واحدة . ومع ذلك جاءت (ما) مفصولة عن (في) في آية ، وموصولة ب(في) في آية أخرى ، وهذا يدعو إلى التساؤل عن السبب في هذا الاختلاف وطريق التوصل إلى معرفة السبب في فصل ما فصل ووصل (ما) في ما وصل في الآيتين هو التأمل في سياق الكلام الوارد فيه الفصل والوصل .. هذا التأمل

يكشف لنا النقاب عما خفي من أسرار، وهذا يظهر من التحليل الآتي .

إن فصل (ما) عن (في) في الآية الثانية (في ما فعلن) يرجع إلي اعتبارين:

الأول: أن كلمة (معروف) جاءت منكّرة، ومعروف أن التنكير لا يدل على (معيّن) بل يدل على كثيرين دلالة عامة، إما علي سبيل البدل فكلمة (من معروف) في الآية المراد بها تعدد صور المعروف وتفاوتها في الوجود، وليس شيئاً واحداً .. فبينها صورة انفصال لا إتصال ((ونحن نوافقه فبذلك ولكن نختلف معه في التفاصيل القادمة))، لذلك لم توصل (ما) ب (في) في الآية الكريمة لعدم اتصال أفراد (من معروف) في الواقع. وهذا ما أشار إليه أهل العلم المشتغلين بعلوم القرآن .

أما الاعتبار الثاني : فإن هذه الآية تتحدث عن (معروف) تفعله الزوجة في نفسها قبل إتمام مدة العدة بدليل قوله تعالى في الآية نفسها {متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف} .. ومعني ذلك أن الزوجة تكون حريصة عن الإسراف في ممارسة الزينة ما دامت في عدتها ، تمارسها في بعض الأوقات ، وتركها في بعض الأوقات مما يجعل تزينها غير متصل .؟؟؟

أما سبب الاتصال في قوله عز وجل { فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف } فهو كتنظيره في الآية السابقة من حيث أن سبب الوصل بين (في) و(ما) يرجع إلي اعتبارين :

الأول : أن (المعروف) فيها جاء معرفاً بأداة التعريف (الألف واللام) والتعريف يدل على شيء واحد معين .. فهو إذن معروف واحد ليس له أفراد مفصول بعضها عن بعض ، لذلك وصل بينه وبين حرف الجر(في) .

الثاني: أن هذا المعروف الذي تتحدث عنه الآية الكريمة مقصور على تمام مدة العدة و هي أربعة أشهر وعشر ليال . وهي مأذون لها شرعاً بالتزین بعد تمام العدة . ومعني هذا أن هذا المعروف الذي، لا حظر فيه شرعاً من شأنه أن يكون ظاهراً تفعله الزوجة في جميع الأوقات بلا حرج عليها . ودليل هذا قوله عز وجل { فإذا بلغن أجلهن } أي قضين مدة العدة وخرجن من المحظور إلى المباح .

تأمل - عزيزي القارئ- هذه الدلالات التي تشع في لطف من اختلاف الرسم القرآني في كلمة جاءت في أحد الموضعين على رسم خطي، وجاءت في الموضع الآخر على رسم خطي آخر .. تأمل هذا وقل للذين يدعون الى إعادة رسم المصحف على قواعد الرسم الاملائي الحديث أعيدوا نظركم في هذه الدعوة واجثوا على ركبكم أمام روعة الكتاب

العزیز فی مفرداته وجمله وترکیبه ورسمه ومعانیه . فإنه معجز بكل ما هو علیه منذ عصر نزوله وتدوینہ وإلی ان يقوم الناس لرب العالمین .

❖ وهنا وقبل أن نغادر هاتين الآيتين نقف على بعض الملامح الآسرة لنكمل مقالنا العلامة الدكتور: عبد العظيم المطعني وغيره من العلماء القدامى والحداثي؛ مع مناقشة سريعة لما تفضل به سيادته وتوضيح لبعض ماسبق .. ولكي نصل إلى المقصود سريعاً نحاول أن نضع كل آية في جدول مقابل للأخرى - على أن نراعي أسبقية وضع الآية كأسبقيتها في ترتيب الآيات - كما هي في المصحف الشريف - ومع ملاحظة أن الآيتين تتحدثان عن: ﴿الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ - وهنا وقف العلماء في حيرة مع الآيتين؛ حيث أنهم افترضوا - كما افترض علمنا المطعني - أنهما تتحدثان عن موضوع واحد - وهو عدة المتوفى عنها زوجها - وهذا خطأ بين سنرى توضيحه بعد قليل - ، وهذا الخطأ جعلهم يتصورون أن الآية (السابقة في ترتيب الآيات في المصحف) نسخت الآية المتأخرة عنها في الترتيب !!! (وهذا بالطبع أمر عجيب وغريب ولا داعي له - كما سنرى - وليس معهم عليه دليل من الكتاب أو السنة - ولو حتى بحديث ضعيف-)؛ وذلك لأن الآية الأولى (في الترتيب) تتحدث عن مدة أربعة أشهر .. والثانية تتحدث عن مدة حول كامل .. وهم قد علموا أن عدة المتوفى عنها زوجها هي أربعة أشهر - ومن أجل هذا - ولتخليهم أن الآيتين تتحدثان عن موضوع واحد - قالوا أن الآية الأولى (!!) نسخت الآية التالية؟؟!! .. ومن أجل هذا الخطأ الذي يكرر ذكره دائماً - تحت عنوان الناسخ والمنسوخ - الذي كاد أن يقضى على هذا الجمال البلاغي في سياق الآيات وفي رسم الكلمات - نقف هذه الوقفة لنرى الآتي:

<p>﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠) البقرة</p>	<p>﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٣٤) البقرة</p>
<p>(١) أما هذه الآية فهي تتحدث عن أمر آخر غير العدة ، بل تتحدث عن فترة المتعة التي يطلب النص القرآني من الزوج المتوفى - في حال وفاته أو قبل وفاته - أن يوصي بها</p>	<p>(١) هذه هي الآية الأولى وتحدث عن الفترة التي (تربص) فيها المرأة بنفسها ، وتلحم نفسها وتحجمها عن الإقبال على الزواج إلا بعد مرور العدة التي قررها النص للمتوفى عنها</p>

زوجها (أربعة أشهر وعشرا). فالآية ترسم بحروف كليهما حال المرأة المتسرة على الزواج - بعد وفاة زوجها - وهو واضح في رسم الكلمة (يتربصن) بأنفسهن. التي يقول عنها الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل: يتربصن ثلاثة قروء، كما قيل { تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ } وما معنى ذكر الأنفس؟ قلت: في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبن على الطموح ويجبرنها على (التربص).... فهي تصور كأن نفسها تريد أن

تقلت إلى هذا الأمر المعروف - وهو الزواج - ويطلب منها النص أن تنتظر - وتربص بنفسها وتلجمها - فترة العدة - التي هي أقل فترة تمكثها بعد الوفاة - أربعة أشهر وعشرا - (نكرر: فترة العدة) وبعدها تنطلق من هذا العقل

(٢) بعد ذكر فترة العدة - يأتي التأكيد بقوله (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) ، بصيغة التأكيد (فإذا) ولم يقل (فإن) التي تفيد الشك غالبا - وهو بلوغ أجل العدة المذكور والذي لا يجوز لها تغييره أو تناسيه أو الزواج قبل بلوغ أجله

(٣)... وهذا يعني أن هذا الأمر - وهو المعروف، المعروف بالألف والسلام - هو (واحد) وهو الزواج. وهذا المعنى يترتب عليه ما ذكره د: مطعنى .. من أنه - المعروف - واحد وموصول في الوجود - غير

لزوجه - من باب الوصية وليست الفرض كما في فترة العدة - بالمكوث في البيت وعدم إخراجها منه وتمتعها طوال هذه الفترة (وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) .. ولكنها بنص الآية الأخرى - لها حق الخروج منه والزواج (الذي هو المعروف - المعرف بالألف واللام) - بعد فترة العدة (الأربعة أشهر) في الآية السابقة.. ولاحظ قوله (فإن) خرجن .. ولم يقل (فإذا) خرجن، ليتناسب مع جو الوصية بعدم الخروج وعدم التوكيد على خروجهن؛ فهو تناسب مع التمتع في البيت الذي نرى فيه دقة التعبير.

(٢) كلمة: مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ : أى تمتد الأربعة أشهر (إلى) الحول وهو العام - وهي فترة (التمتع) الموصى بها الزوج - وفي هذه الفترة الممدودة وبعدها .. ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ﴾ . وهنا واضح تمام الوضوح أن سياق الآية لا يتحدث عن زواج المرأة، ولكنها تتحدث عن أنواع كثيرة أو متعددة من المعروف لاجرح في أن تأتي المرأة (وهو التزين .. والخروج .. والتواعد على الزواج .. وقبولها الخطاب .. وغير ذلك (من) أنواع المعروف المنكّرة والمتعددة) .. والذي استدعى (الفصل بين "في" و"ما") لهذا التعدد

(٣) هذه المعاني المذكورة تنادى بأعلى الصوت أن هذه الآية ليست منسوخة، ولكنها بسياق الآيات وترتيبها - بل برسم

متعدد ومختلف - فكان سببا في وصل الكلمة
(فيما فعلمن .. بالمعروف).. ولم يقل هنا (من
معروف .. بصيغة النكرة التي تفيد التعدد)..
مع ملاحظة (باء الإصاق) في قوله (بالمعروف)
التي تفيد الزواج أيضاً وهو شيء لصيق بالمرأة
(٤) ختام الآيات؛ التي هي مسوقة لعدة المرأة
التي لا يجوز لها الزواج فيها أو التواعد عليه
يقول فيها: **(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)**
(٢٣٤) .. وهي تناسب وتناغم مع قوله
(يترصدن)

حروفها - ووصلها أو فصلها - تلغى فكرة
النسخ في هاتين الآيتين، بل وتنادى بقمة
البلاغة والحكمة والتقدير في نظمها - كما
رأينا - .
(٤) وختام الآيات تحذر من التلاعب بوضعية
الزوج - في متعة الزوجة بعد موته - من قبل
أهل الزوج - ولذلك يقول فيها **(وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ)** أى قوى قادر على معاقبة هؤلاء
المتلاعبين بوضعية الزوج لزوجته بعد موته
وعدم استطاعته لمعاقبتهم ومنعهم فقال تعالى
مهدداً هؤلاء **(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** وهو عزيز
على هؤلاء و حكيم في تشريعه هذا

فما أروعها وما أعظمها من تناسب بين المعنى واللفظ و(رسم الكلمة)!!!

*** ومن صور الفصل بين (في) و(ما) في الذكر الحكيم

(لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ) (١٠٢) الانبياء

والسبب في الفصل ظاهر، لأن شهوات النفس ليست شيئاً واحداً بل هي أمور متعددة ،
لذلك فصل (ما) عن حرف الجر (في)

وهكذا ترى قاعدة الفصل مطردة ملحوظة في كل ما ورد في القرآن مفصلاً فيه (ما) عن
حرف الجر (في) **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)**
(٣٧) ق

** ومن صور هذا الفصل قوله تعالى في سورة المائدة آية **(.. وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** (٤٨) المائدة
فصلت (ما) عن (في) في هذه الآية الكريمة لانفصال معناها في الوجود عما بعدها، وهو
مدلول ضمير الخطاب (الكاف) لأن المخاطبين وهو الناس شيء والنعم التي أتاهم الله
شيء آخر فالنعم مملوكة للمخاطبين، وغير موصلة بذواتهم وصلاً عضوياً .
لذلك فصلت (ما) عن (في) للدلالة علي هذا المعني .

فأنت ترى أن هذا الفصل لم يجيء عرضاً بل لحكمة لطيفة ترف من وراء هذا الانفصال .
ومثله تماماً في قوله سورة الانعام **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ**

بَعْضِ دَرَجَاتٍ لَيَلُوكُمْ فِي مَا أَنَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)

وتحليل هذا الشاهد هو تحليل الشاهد الذى قبله . جاء فصل (ما) فيه عن حرف الجر (فى) لانفصال الأمرين (=النعم والمخاطبة عن بعضهما فى الوجود الخارجى)

والابتلاء هو الاختيار والامتحان وليس إنزال البلايا والكوراث كما قد يتبادر إلى الذهن .
ومن صور هذا الفصل قوله تعالى سورة الانعام ﴿قُلْ لَأَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥) .

هذا الموضوع قد يبدو مجافيا لقاعدة النصل التي تقدم الحديث عنها فى تحليل الشواهد التي تقدمت ولذلك فإنها تحتاج منا إلى دقة نظر لأن لقاتل أن يقول: لافصل فى الوجود الخارجى بين معنى (ما) و(الوحى) بل بينهما اتصال وطيد ، كان يقتضى أن تأتى (ما) موصولة ب(فى) لافصولة عنها ، ودفع هذا القول ميسور ، لأن المراد ليس الفصل بين ما ووحى الله إلى رسوله الكريم ، بل المراد هو الفصل بين معنى ما وبين ورود التحريم الزائد على الاصناف التي ذكرها القران الحكيم بعد أداة الاستثناء ؛ وهذا التحريم الزائد لاوجود له فى الوحى الإلهى فضلا عن كونه مفصولا أو موصولا فهو تحريم معدوم ، فهو إذن مفصول قطعا عن الوحى فصل انعدام لا فصل وجود وبهذا التوجيه يزول ذلك الوهم الذى قد يتبادر إلى بعض الأذهان ويصبح أعمال قاعدة الفصل بين (ما) وحرف الجر (فى) سائغا مقبولا

ومن صور هذا الفصل قوله عز وجل . فى سورة النور ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) . هذه الآية تتحدث فى إطار مواجهة القران لحديث (الإفك) الذى أشيع حول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها-

وقد جاءت (ما) فيها مفصولة عن (فى) كما ترى . وسبب الفصل إنما هو ما أفاض فيه المخاطبون وهو حديث الافك والافتراء على ربة العفاف والطهر -عائشة (رض) . وهذا الحديث شئ منفصل قائم بذاته وكذلك المخاطبون فى الآية الحكيمة هم شئ آخر مستقل قائم بذاته .

وهذا الانفصال بين حديث الافك والافتراء وبين المخاطبين هو سبب الفصل بين (ما) و(فى) فى الرسم القرآنى الشريف .
وبقيت لحة بلاغية دل عليها الفصل بين (ما) و(فى) فى هذا الموضوع .

تلك اللحمة هي الايمان بأن هذا (الافك) ينبغي على المؤمنين أن يتبرأوا منه حالا ويظهروا منه ألسنتهم وأن لا يكون لهم أى صلة به .

ويؤكد ذلك أن سياق الآيات التي واجهت هذه الفرية الشنيعة ، حذرت الناس من الوقوع فيه، ودعتهم الى إعدامه ، وتجنب الخوض فيه، ومن ذلك قوله عزوجل في سورة النور ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ...

﴿وهنا أطلب من القارئ الكريم أن يراجع هذا الفصل (في ما أفضتكم) الخاص بمحدث الإفك ، ويربطه بموقف آخر - في نفس الحادثة - والخاص برسم كلمة (بأفواهكم) وهي الكلمة الوحيدة التي رسم فيها الألف الفارقة والفاصلة ، بخلاف باقى الكلمات في باقى السور التي رسمت بدون ألف (أفوههم ، أفوهكم) لترى هذا التكامل العجيب والمدهش في رسم الكلمة في المصحف الشريف وأنه ليس فلتة عابرة أو خطأ من الكاتب (!!!))

**** ومن صور هذا الفصل قول الحق جل وعلا في سورة الشعراء ﴿أَتُرْكُونَ فِي سَبِيلِ هَٰؤُلَاءِ آمِنِينَ﴾ (١٤٦) . جاءت (ما) مفصولة عن (في) في رسم المصحف الشريف . وهذا خلاف الأصل الذي جاءت عليه كثير من الآيات .

وهو - كما تقدم رمز الي معني لطيف، وهو وقوع الفصل الخارجي بين معني (ما) ومعني ما بعده . فالآية - كما ترى - استهلت بالاستفهام الإتكاري وهو (أتركون)؟ ومعناه النفي أى : لا تتركون آمنين في هذه الحياة الدنيا، والحياة الدنيا هي المشار إليها في (ههنا) ؛ فالعنيان مفصولان في الوجود الخارجي، غير موصولين، هو فصل بين المخاطبين وهم قوم صالح عليه السلام الذين كذبوه وعصوه، وبين خلودهم آمنين في الحياة الدنيا . هذا الفصل الحاصل بين الأمرين في الوجود كان هو السبب في فصل (ما) عن (في) في الرسم القرآني المعجز .

ومن صور الفصل الإحدي عشرة قوله جل ثناؤه في سورة الروم ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ لِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨)

هذه الآية مضروبة مثلا لجعل المشركين أصنامهم مساوية لله في القدرة والتصرف والنفع والضر ساق الله هذا المثل لإبطال عقيدة الشرك من جذورها لأن المشركين لا يرون عبيدهم وإماءهم شركاء لهم في أموالهم (وانظر تفسير هذا المثل في كتب التفسير) . وقد فصلت (ما) عن (في) في الرسم القرآني لانفصال المعنى في الوجود بين المشركين وبين عبيدهم وإمائهم ، لأن مالك العبد أو الأمة ذات مستقلة قائمة بنفسها ، وكذلك العبيد

والإماء المملوكون هم ذوات تشغل حيزا في الفراغ ، غير الحيز الذى يشغله مالكوهم في الفراغ . لذلك فصلت (ما) عن حرف الجر (في) هكذا { في ما } . وهذا الفصل الحسى المادى بين المالكين والمملوكين يؤازره فصل معنوى ، هو علو درجة المالك ودنو درجة المملوك .

*** ومن صورته كذلك قوله تعالى في سورة الزمر ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَتَىٰ تَحَكُّمٌ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) .

وإجراء هذا الفصل بين (ما) و(في) على قاعدة الفصل المتقدم ذكرها سهل وميسور؛ لأن اختلاف العباد شئ معتبر في الذهن ليس له حيز يشغله في الفراغ، (أمر معنوى معقول لامادى محسوس) وأما العباد فهم شئ اخر غير متصل حسيا بالخلاف .

هذا هو معنى قاعدة الفصل في الرسم القرآنى (ما) وحرف الجر (في) .

وبقى ملمح آخر يحتاج إلى إعمال الفكر ، وهو معزز آخر لقاعدة الفصل، وسيلاحظ

من الاعتبار الزمنى على أساس أن حكم الله بين العباد في الأمور التي اختلفوا فيها سيكون يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين . أما الاختلاف نفسه فقد وقع في الحياة الدنيا .

فزمان وقوع الاختلاف سابق في الوجود على زمن حكم الله فيه .

فتأمل هذه الدقائق الآسرة، التي يدل عليها اختلاف الرسم القرآنى في المواضع المتشابهة

او المتحددة في اللفظ والنطق، المختلفة في الرسم الخطى فقط ، تأمل هذا لتزداد يقيننا

بأن رسم المصحف الشريف وجه من وجوه إعجازه الباهر .

*** ومن صورته عز وجل في سورة الواقعة ﴿نَحْنُ قَادِرُونَ بَيْنَكُمْ الْمَوْتِ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ

(٦٠) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦١)

ولا أرى القارئ الكريم في كبير حاجة إلى توجيه الفصل بين (ما) و(في) في هذه الآية لأن

ماتقدم يغنيه عن التكرار ، وأيا كان الأمر فإن قاعدة الفصل تتجلى في هذه الآية في أنصع

صورها؛ لأن فاصلة الآية (لا تعلمون) تدل على سر الفصل بكل وضوح . لأن الفاصلة

تنفي علم المخاطبين بما يمكن ان ينشئهم الله فيه إذا أراد، وكفى بالجهل فاصلا بين الجاهل

والمجهول

هذا هو سبب الفصل الخاص بهذا الموضوع،

((وقبل التوقف عن هذا الحديث نضع بين أيدي القراء الكرام سمة أسلوبية تتدرج

تحتها مواضع الفصل الأحد عشر .. تلك الكلمة أن (ما) في هذه المواضع جميعها اسم

موصول بمعنى (الذى) وان ما بعده في جميع صورته جملة فعلية هي صلة هذا

ثم : ها انت قد وقفت على الخفايا والأسرار اللطيفة التي دل عليها كل موضع فصلت فيه (ما) عن (في) في الرسم القرآني المعجز ، الذي يدعى البعض أنه خال من كل دلالة ، **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** .



أن لا ... ألا

سورة الاعراف **حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ** (١٠٥)
 سورة الاعراف **أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ** (١٦٩)
 سورة التوبة. **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ** (١١٨)
 سورة هود **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ** (١٤)

سورة الحج **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنَّهُ لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (٢٦)

ونحيط القراء الكرام بأن هاتين الكلمتين قد وردتا في آيات الذكر الحكيم مجتمعين كثيرا وأن الأصل في نون (أن) أن تُدغم في (لا) بعدها ، يعني أنها تسقط في الخط فلا يكون لها وجود إلا في عشرة مواضع نص عليها العلماء ، فإن نون (أن) تظهر في الخط ولا تحذف ، وذلك بإجماع القراء جميعا .

والقاعدة التي روعيت في هذا (= فصل النون عن لا النافية) قاعدة واحدة مطردة في جميع المواضع العشرة الآتى ذكرها مفصلة وهي - أعني القاعدة - : صدق توكيد المعنى المدلول عليه في هذه المواضع .. مع ملاحظة تكذيب من يدعى نفى ثبوت المعنى في الوجود الخارجى وسوف يتضح للقراء الكرام اطراد هذا الصدق الذي جرى بنون (أن) مفصولا في الخط عن (لا) رمزاً إلى توكيده . وهو المعنى اللطيف (=الدقيق) من هذه الخصوصية التي يظن بعض الواهمين أنها تخلوا من آية دلالة ، وجهل من جهل بها لا يصلح ان يكون مقياسا لفهم كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وإليكم الحديث عن هذه المواضع العشرة واحداً واحداً وبالله ومن الله التوفيق .

الموضع الأول: سورة الاعراف ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٠٥)

هذه الآية الكريمة طرف حوار بين نبي الله موسى عليه السلام وبين عدو الله فرعون .
وفصل التون عن (لا) رمز إلى أن موسى عليه السلام - لأنه رسول من رب العالمين - لن
يتقول على الله ولن ينسب إليه باطلا مهما علا فرعون وطغى هذا ما كان في نفس
موسى عليه السلام نية صادقة وعزم مبرم على التزام قول الحق .

ومعروف أن موسى يخبر عن نفسه بهذا الكلام والخبر إذا اقترن ببعض أساليب التوكيد
قوى وعلا سلطانه ، وأسلوب التوكيد -هنا- خاص ببيان القرآن ولغته وهو- كما
علمت- فصل نون (أن) عن (لا) النافية بعدها فتأمل هذا البيان الرائع .

هذا التوكيد المعجز فيه تكذيب من جهة أخرى لمن يدعى أو يتوهم أن موسى عليه
السلام ما كان يريد حقيقة ما قال .

﴿(وأقول مكرراً: وهذا يتمشى مع ما رجحناه من الرمز بالفصل على التوكيد))﴾

ويقول الزمخشري: والرابع : - وهو الأوجه - الأدخل في نكت القرآن : أن يغرق موسى
في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روى أن عدو الله فرعون قال له -
لما قال : { إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } كذبت ، فيقول : أنا حقيق عليّ قول الحق أي
واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ، ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به .

ويقول البقاعي: { حقيق } أي بالغ في الحقية ، وهي الثبات الذي لا يمكن زواله .

((أرأيت معى عزيزى القارىء كل إشارات التوكيد المحيطة بفصل (أن) عن (لا)؟)).

***الموضع الثاني: سورة الاعراف ... ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

هذه الآية الكريمة تقص طرفاً من مساوى بنى إسرائيل (اليهود) وعبادتهم لمطامعهم في

الحياه الدنيا ونقضهم الموائيق المغلظة التي أخذها عليهم .

وأنت تلاحظ أن (أن) ظهرت في الخط، ولم توصل ب(لا) بعدها .

وتقدم أن هذا المنهج يرد في رسم المصحف زيادة في توكيد المعنى من طرف خفى وهو

نهج خاص بالبيان القرآني ولغته المعجزة .

إذن فما هو المعنى الذى أريد توكيده في هذه الآية؟ هل هو التزام بنى إسرائيل بقول الحق

في جانب الله باعتبار أن هذا الالتزام سلوكك خلقى سلوكه في الحياة؟

كلا: لأن بنى اسرائيل كان دأهم الكذب على الله عز وجل إلا الصالحين منهم وقليل ما

هم . بل ان المعنى المراد توكيده وصدقه في الوجود هو كون الله عز وجل أخذ عليهم الموائيق الغلظة ، أما سلوك بني إسرائيل الواقعي فهذا شئ آخر خارج عن إطار هذا التوكيد . بدليل أن الآية نفسها سجلت من مساوئهم ما تقشعر منه الجلود وتخز منه الجبال الرواسي .

قارن هذا الموضوع بالموضع الذى تقدم تر القاعدة في فصل نون (أن) عن (لا) مطردة وأن هذا الفصل لم يأت عبثا كما يتوهم المبطلون .

الموضع الثالث: سورة التوبة ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨)

هذه الآية الكريمة تتحدث عن ثلاثة من أصحاب رسول الله (ﷺ) تخلفوا عنه في غزوة تبوك بلا عذر يبيح لهم التخلف عن الخروج غزاة في سبيل الله .

والملاحظ أن نون (أن) فصل عن (لا) وهذا الفصل جاء رمزا إلى توكيد الظن الذى ظنه هؤلاء الثلاثة حين ندموا على ما بدر منهم وسدّت في وجههم الطرق وضقت الأرض بهم على اتساعها - حتى أنفسهم التى بين جنباثم ضاقت عليهم . - هنا كاد اليأس يستبد بهم، وأدركوا أن خروجهم من الكرب الذى هم فيه ليس له مفرج إلا الله عز وجل الذى وسعت رحمته كل شئ فصدقوا في توبتهم فتاب الله عليهم .

مع ملاحظة أن (أن) هنا ليست هى الناصبة للمضارع، بل هى (أن) المخففة من الثقلية .

***الموضع الرابع سورة هود ﴿إِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤)

نزلت هذه الآية الحكيمة في معرض التحدى بإعجاز القرآن الكريم حيث أمر الله رسوله الكريم أن يقول لمنكرى نزول القرآن من عند الله ، المدعين أنه من كلام البشر ، أن يقول لهم اثبتوا بمثله ، وعجزوا عن ذلك .

ثم يرتب الله على عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن ثلاثة امور:

الأمر الأول: حصول العلم اليقيني بأن القرآن نزل بعلم الله وحده .

الأمر الثانى : العلم اليقيني بأن الوجود يخلو من إله غير الله عز وجل .

الأمر الثالث: حصول الانقياد والاستسلام الكامل لله عز وجل .

والآية التى قبل هذه الآية مباشرة سورة هود ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) . وقد جاءت نون (أن)

مفصولة عن (لا) التي بعدها وهذا الفصل مرموز به في لطف إلى صدق المعنى وقوة توكيده وأنه معنى ثابت لا يتطرق إليه شك، ولا يقبل جدلا. والمعنى الذي قصد توكيده - هنا - هو إنزال القرآن بعلم الله عز وجل و(أن) هي المخففة من الثقلية كما تقدم.

***الموضع الخامس : ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ (٢٦) هود .. وأيا كان التقدير فإن نون (أن) فصلت عن (لا) الناهية بعدها في الخط، وهذا الفصل إشارة موحية إلى صدق المعنى وصحة توكيده ، يعنى أن نوحا عليه السلام قال هذا القول لقومه يقينا لا ريب فيه. أما قوله تعال (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) فهو تعلييل لتهيئهم إياهم أن يخلصوا أحدا بالعبادة من دون الله أو يشركوا معه أحدا في العبادة. وحتى الآن فأنت ترى أن تطبيق قاعدة فصل نون (أن) عن (لا) التي بعدها في المواضع الخمسة التي تقدمت لم يشذ واحدا منها، أو تعترض تطبيق القاعدة صعوبة أو يشوب هذا التطبيق تكلف ومماحكة.

****الموضع السادس:- سورة الحج ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦)

والذي ورد في سياق (أن) و(لا) هو النهى عن الإشراك بالله ، وهو المعنى المراد التنويه بصدقه وصحة توكيده ؛ يعنى حصول عدم الإشراك بالله عز وجل . ف جاء فصل النون (أن) عن (لا) موحيا بهذا التوكيد . أى لا يكن منك إشراك بالله أبدا

***الموضع السابع: سورة يس ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠)

ومعنى (أعهد إليكم) آخذ عليكم العهد بأن تؤمنوا بي وخصوني بالعبادة ولا تعبدوا الشيطان لانه عدو ظاهر لكم.

وقد فصلت نون (أن) عن (لا) الناهية بعدها إشارة شديدة اللطافة إلى صحة المعنى وتوكيده وهو ترك عبادة الشيطان والاقبال على عبادة الله وحده.

***الموضع الثامن : سورة الدخان ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتَيْكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٩) .. المعنى المراد تقريره وصدقه وصحة توكيده هو إذعان فرعون وقومه لامتنال ما نهام عنه موسى عليه السلام من ترك التعالي والتعظيم عليه ، لأنه رسول من عند الله مؤيد بالمعجزات .

❖ (ولكن على القارىء أن يلاحظ قول موسى (أن لا تعلوا على الله) والعلو على الله له الخطورة الكبرى.. بخلاف قول سليمان للملكة سبأ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) (أَلَّا) تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ النمل. أى على شخص سليمان ؛ وهناك فارق فى أقوال الأنبياء بين العلو على الله وبين العلو عليهم (كشتر)، وهذا الفارق العقائدى الخطير - فى أقوال الرسل صفوة الخلق - يجسده رسم الكلمة المعجز فى القرآن الكريم (أن لا) مع الله ، و (ألا) مع سليمان ، وسنشرح ذلك على الصفحات القادمة)

****الموضع التاسع: سورة الممتحنة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢)..** هذه الآية الكريمة تتحدث عن بيعة النساء المؤمنات لرسول الله (ﷺ)، وقد فصلت الآية العناصر التى انعقدت عليها البيعة وهى: ****عدم الإشراف بالله. ****-اجتناب السرقة. ******-اجتناب الزنى. ******-اجتناب قتل الاولاد. ******-اجتناب البهتان ؛ فلا تكذب المرأة فتنسب ولدأ إلى غير زوجها وهى تعلم أنه ليس من انجابها (=التدليس فى النسب) ******-عدم معصية الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر . وكما ترى أن النهى عن الإشراف بالله يتصدر هذه العناصر جميعاً، لفظاعته ولأنه أساس صحة وقبول الأعمال الصالحة التى ذكرت ضمن عناصر البيعة بعده .

وهذه العناصر كلها واقعة فى حيز التوكيد المدلول عليه بفصل نون(أن) عن (لا) التى بعدها ، ولكن ما هو المعنى الذى أريد توكيده على التحديد الدقيق؟

إن إنعدام النظرة فى سياق الكلام يفيد أن هذا المعنى هو كون بيعة النساء المؤمنات للسنبى عليه الصلاة والسلام ينبغى أن تكون جازمة لا تردد فيها أبداً، يعنى قوة العزم عند المبايعات وصدق النية هو المطلوب منهن من جهة وهو الشرط الرئيسى فى قبول تلك المبايعه عند الله . وما يترتب على ذلك مما ذكره الله مخاطباً لرسوله الكريم وهو:

****فبايعهن : أى أقبل مبايعتهن ولا تردها . ****- وأستغفر لهن الله .

إذن فإن التوكيد ليس مقصوراً على عدم الإشراف بالله عز وجل ، وإن كان هو الأساس فى صحة تلك المبايعه وما يترتب عليها، ولكنه يشمل بقية العناصر التى نصت عليها الآية الكريمة . ومن البداية أن (لا) الأولى الداخلة على الفعل "يشركن" هى (لا) النافية، وكذلك ما عطف عليها فى التراكيب التى سردت بعدها، وهكذا تطرد قاعدة فصل النون عن (لا) فى هذا الموضع ، كما اطردت فى المواضع التى تقدمت .

﴿ملاحظة: كتابة (أن لاإله إلا الله) مكتوبة على الفصل دائماً .. وهذا حقها فى التوكيد على كل حرف فيها.. وهكذا أن لايشركن .. أن لا تعبدوا ..﴾

***الموضع العاشر سورة القلم ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ (٢٤)... هذا هو الموضع العاشر والأخير، الذي اتفقت جميع المصاحف على فصل نون (أن) فيها عن (لا) وهي -هنا- نافية وليست ناهية، وفصل النون في الآية جار على قاعدة الفصل التي طبقناها في المواضع التسعة المتقدم ذكرها، ومن الميسور على القراء الكرام إدراك سر الفصل فيها: وهو توكيد المعنى الواقع في حيزها، بيد أن المقام في حاجة إلى شيء من النظر، في تحديد المعنى الذي قصد توكيده في هذا الموضع. إن هذا التوكيد أداة كاشفة عن مشاعر أصحاب اللجنة (الحديقة المثمرة) الذين وردت هذه الآية في سياق الحديث عنهم.

والمعنى الذي كشف عنه هذا التوكيد، الحاصل بفصل نون (أن) عن (لا) هو شدة حرص أصحاب اللجنة عن الاستئثار بثمار اللجنة جميعه، وحرمان المساكين منه. هذا المعنى - بالتحديد الدقيق - هو الذي كشف عنه القرآن بالرمز اللطيف، الذي بيناه مرات من قبل، وهو فصل نون (أن) عن (لا) يريد القرآن أن يقول: إن أصحاب اللجنة عزموا عزمًا أكيدا، وأصروا إصرارًا عنيدًا على حرمان الفقراء والمساكين من ثمار حديقتهم، ولم يكونوا هازلين فيما قالوا

ملحوظة: يقول الزمخشري: { أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا } أن مفسرة . وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول، أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها؛ (وهذا معنى آخر للفصل) فهذا الفصل في المواضع العشرة، الذي جاء على خلاف الأصل لم يجيء اعتباطًا خاليا من الدلالة -حاشا لله- وإنما نوع من البيان القرآني الحكيم لم يرد ولم يعرف في غير البيان القرآني المعجز في مفرداته وفي جملة وتراكيبه، وفي معانيه وفي خصوصيات رسم بعض الكلمات فيه، ومنها (أن) هذه التي فصلت نونها عن (لا) التي بعدها في هذه المواضع العشرة، التي سعدنا بالحديث عنها في الصحائف الماضية، والقرآن كتاب لا تنقضي عجائبه ولا ينضب معينه، ولا تجف روافده حتى يرث الله الكون ومن فيه وما فيه .

﴿وبعد هذا العرض نقف هنا على باقى آيات الوصل وهي:

(١) ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْسَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ..﴾ (٢٨٢) { وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا } وأقرب من انتفاء الريب (ليس بصيغة التوكيد).... لاحظ أن قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) أَلَّا تَكْتُبُوهَا.. تنفى قصد التوكيد أو التشديد فيه ((مع ملاحظة أن الكتابة للدين والإشهاد هو وصية أنت بالخيار في تنفيذها

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) وليست فرضاً على المسلمين - كما قال بذلك علماء الأمة الثقات من المفسرين - ولذلك لم تفصل حروف الكلمة (أن لا).

(٢) ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾. (٤١) مريم .. وهو كلام خبرى وليس بقوة النهى أو الإلزام.

(٣) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) .. جملة خبرية وليست طلبية مثل الممتحنة. . وكلمة (سواء) .. أرى أنها دعوة باللين .. وهادئة النبرة

(٤) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) .. الطاهر: وفي الآية بشارة لأصحاب أحد بأنهم لا تلحقهم نكبة بعد ذلك اليوم. وأرى أن (أن) هنا تفسيرية وليست بقوة النهى والإلزام

(٥) ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦) .. ((فهى ليست بصيغة الأمر أو التوكيد الشديد والكلام عنهم وليس معهم)).

(٦) ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا لَنُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بَقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٨٣) .. وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله ، .. وأهم يقولونها بسرعة خاطفة - وعدم توكيد - لأنهم يدارون كذبهم في ذلك القول فهو قول غير مؤكد وهم لا يقولونه بصيغة التوكيد .. عكس كلام أهل الجنة (الحديقة) في سورة القلم.

(٧) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾ هى بمعنى ظننتم ، وليس فيها التأكد من عدم العدل ، فهو سبحانه لم يقل فإن تأكدتم.

(٨) ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾. وربما يدعوهم بغض القوم على التسرع في عدم العدل فينهاهم الله عن (التسرع) في عدم العدل .. فأسرع في حروف الكلمة.

(٩) ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا﴾. (٧١) المائة ... لاحظ (حسبوا) أى (ظنوا) وليس فيها (قوة) التأكيد، وهو ظن خاطيء لم يبين على يقين ..

(١٠) ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ اللَّهُ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) الأعراف فهو كما نقول مغرر به ومُستَعْلًا لظروفه ومضطراً له ليس

عن اقتناع. وفيها التضمين ؛ الذى معناه أن الفعل يضمن و يضم معينين في معنى واحد وهو: ما الذى (أغراك أو أحوجك) و (اضطرك) لأن لاتسجد .. - كما يقول علماء البلاغة - وهذا الضم يناسبه ضم حروف الكلمة.

(١١) ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْتَبْتُمْ تَقِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢).. لاحظ أن المعنى ليس معنى النهى وقوة تأكيده .. بل أن المعنى لو تأملناه - وأمثاله من الأمثلة الماضية - هو: حزناً من أنهم ما وجدوا ما ينفقونه في سبيل الله.. أو لأنهم لم يجدوا.. فليس للأمر علاقة بتوكيد الخير أو توثيقه أو الأمر أو النهى.

(١٢) ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧).. فهو يحكى عنهم بالغبية ، وهى حالة (جهل) وليس يقين { وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا } وأحقّ بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ، والحديث فيه أيضاً تقدير في القول وليس بالطريق المباشر.

(١٣) ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠).. الجو جو نصح ونصيحة - على سبيل الحكاية - وليس أمر تعنيف ومواجهة وتوكيد لهم من يوسف.

(١٤) ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٢).. كلام الصفوة من الخلق (الرسول) لأنفسهم .. فليس فيه علو النبرة بالتوكيد على ذلك..

(١٥) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣٢) الحجر.. وأرى أن الكلام على تقدير دخول (في) فكأنه يقول - كما يقول الألوسى -: { أَلَّا تَكُونَ } أي (في) أن لا تكون { مَعَ الساجدين } .. فخفضت نبرة الحديث وقوته - فهو كأنه في مقام استفسار - وأخذ ورد كما نقول - وليس توجيه أمر وهى وتوكيده.

(١٦) ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ (٢).. وهى - كما يقول البقاعى أيضاً- { ألا } أي لثلا { تتخذوا } .. والألوسى: { أَلَّا تَتَّخِذُوا } أي (أي) لا تتخذوا على (أن) تفسيرية و(لا) ناهية ، .. وقيل لمحذوف أي آتينا موسى كتابة شيء هو لا تتخذوا..... فهذه الآيات هى تفسيرية فى أسلوبها. وعلى سبيل الحكاية. .. هكذا نرى انخفاض نبرة الصوت فى رسم الكلمة (ألا) بخلاف (أن لا)

(١٧) ﴿قَالَ آيَتِكَ إِلَّا تَكْلَمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (١٠) .. كأنها تفسير وتوضيح وشرح للآية - وليس أمر وتقرير - ومثلها:

(١٨) ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا إِلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٢٤). الألوسي: { إِلَّا تَحْزَنِي } أي (أي) لا تحزني على أن مفسرة أو (بأن) لا تحزني على أنها مصدرية .

(١٩) ﴿وَأَذْعُرْ رَبِّي عَسَىٰ إِلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨) .. انخفاض النبرة.. ويقول الألوسي: وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب.

(٢٠) ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩) كأنها دعوة لتحكيم العقل والمراجعة بالدين والفكر.

(٢١) ﴿قَالَ يَا هَازِرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ (٩٢) ﴿إِلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (٩٣) والتقدير: ما منعك أن تتبعني واضطرك إلى أن لا تتبعني، ونظيره قوله تعالى: { ما

منعك ألا تسجد إذ أمرتك } في سورة الأعراف (١٢)

(٢٢) ﴿إِنَّ لَكَ إِلَّا تَجُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ (١١٨) ليست بصيغة النهي بل هي جملة خبرية

(٢٣) ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) الشعراء..

ونعود لحديثنا واستخدام لفظ (لعلك....) يقول الزمخشري موضحاً أسلوب الشفقة بنبيه محمد (ص) فيقول: يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك { إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } لئلا يؤمنوا ، أو لامتناع إيمانهم ، أو خيفة أن لا يؤمنوا.. وواضح انخفاض نبرة الحديث الذي هو الشفقة بنبيه وصيغة الجملة الخبرية.

(٢٤) ﴿إِلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٢٥) هو هنا لا يقرر أو يؤكد ولكنه يتعجب ويندهش ، والدهشة فيها

ملمح السرعة في الحديث والبهت في القول.. وهناك إشارة أخرى من الإمام البقاعي وهي قوله: فقال: { ألا } أي لئن لا { يسجدوا } أي حصل لهم هذا العمى العظيم الذي استول به عليهم الشيطان لانتفاء سجودهم ، ويجوز أن يتعلق بالتزيين ، أي زين لهم لئلا يسجدوا((فهى هنا أيضاً تعليلية)) وليست أمراً أو نهياً.

(٢٥) *** ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣٠) ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣١) النمل.. وهنا نلاحظ فيها ملمح السرعة التي يشير إليها قوة سلطان سليمان

عليه السلام (بخلاف ضعف موسى بجانب سلطان فرعون فهو لا يملك التهديد بإيقاع

العقاب السريع كما سيفعل سليمان) ولاحظ أن سرعة مرور المشهد مع سرعة مرور الكلمة متمثلة في انضمام حروفها(ألا) - وقارن بما آية الدخان التي تحكى قول موسى - الذى لم يكن يملك سلطاناً في ذلك الوقت وحين صدور هذا القول منه - في قوله لهم " **﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾** (١٩)..

وهنا أمر آخر استدعى التوكيد بفصل الحروف(أن لا) وهو لأن موسى ينهاهم عن العلو على الله - وليس عليه - كما في دعوة سليمان - وأنه سيأتيهم بسلطان مبين (وهو الآيات والمعجزات والبراهين الدالة على صدقه) وكل هذا يستدعى الوقت الأطول من وقت نداء ودعوة سليمان التي يرسم سرعتها السياق وحروف الكلمات كما يلى:

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَالْقَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٨).. وتأمل في سرعة الخطاب (وحرف الفاء الدالة على السرعة والتعقيب) **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾** (٢٩) **﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** (٣٠) **﴿أَلَا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾** (٣١) وتأمل سرعة واختصار الرسالة أيضاً في خمس كلمات.. **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾** (٣٢) **﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾** (٣٣) **﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾** (٣٤) **﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾** (٣٥) **﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ أَيْمَانِي إِيَّاهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾** (٣٦) **﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** (٣٧).. ثم انظر السرعة في تنفيذ الأمر: **﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾** (٣٨) **﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾** (٣٩)

وتأمل بعد ذلك حال موسى - على عكس ذلك من الأمر - وسياق الآيات التي ترسم ذلك أيضاً : **﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾** (١٧) - طريق حكاية القصة الهادىء- **﴿(أَنْ) أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾** (١٨) **﴿وَأَنْ) لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾** (١٩).. **﴿وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تُرْجَمُونَ﴾** (٢٠) **﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونَ﴾** (٢١) **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءَ قَوْمٍ مُجْرِمُونَ﴾** (٢٢)..و(أن) التفسيرية.. مع ملاحظة أن العلو على الله (أن لا تعلقوا على الله) - له ثقله الكبير ، ويتمثل ذلك في رسم الكلمة بالحروف الأثقل (أن لا) .. والعلو على سليمان-(ألا تعلقوا على) يناسبه الثقل الأقل - حتى في رسم الكلمة (ألا)-.. وكأنه في رسم المصحف لا ينسى أن يرسم بريشة

الوحي المعجز - بحروف الكلمات - عدم مساواة الخالق بال مخلوق - كما ذكرنا من قبل في أمثلة كثيرة لهذا المثال حينما تتكرر آيات متشابهة مع الخالق والمخلوق.

(٢٦) ﴿فَقُلْ أَذْذَرْتُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (١٤) فصلت.. فهي هنا تفسيرية لما قالته الرسل على طريق الحكاية وليس التقرير والتوكيد -

(٢٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) فصلت... وقال الرمخشري : بمعنى "أي" أو المحففة من الثقيلة انتهى . ، وهذه آية عامة في كل هم مستأنف ، وتسلية تامة عن كل فائت ماض ، ((أى كلام خبرى عادى وتسلية بخطاب هادىء ليس فيه أمر أو هى أو توكيد لهم)).. مع ملاحظة سرعة زف البشرى لهم (ألا تخافو ..) وهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فناسها سرعة الكلمة (ألا) .. وهكذا - ملحظ السرعة- في الآية التالية:

(٢٨) ﴿وَإِذْ كَرَّ أَخَا عَادَ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّنُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) الأحقاف.. ولاحظ جو الإنذار الذى يتطلب السرعة (إذ أنذر قومه) وكما يقول الألوسى وغيره { وَقَدْ خَلَّتِ النذر { أى الرسل كما هو المشهور (ولاحظ تسمية الرسل هنا بالنذر ليتلاءم مع مشهد الإنذار السريع في وقعه في الصورة وملح السرعة حتى في لفظ الرسل ودعوتهم)،

(٢٩) ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٣٨)..... أيضاً هي تفسيرية وحكاية حال ماضية وشرح لقوله: أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى

(٣٠) ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٨) نبرة هادئة.

(٣١) ﴿لِنَبِّأَ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) الحديد .. الطاهر: وذهب جمهور المفسرين إلى جعل (لا) زائدة . وأن المعنى على الإثبات ، أى لأن يعلم ، وهو قول ابن عباس وقرأ { ليعلم } ، وقرأ أيضاً { لكي يعلم } (وقرأته تفسير).. وأكمل قراءة وتوصيح هذه الآية من تفسير الطاهر بن عاشور هذا ففيه الكفاية هنا - ونخلص من قوله بالآتى: والمعنى : لا تكثرثوا بعدم علم أهل الكتاب بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وبأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، أى لا تكثرثوا بجهلهم المركب في استمرارهم على الاعتراض بأن لهم منزلة عند الله تعالى ، فإن الله عالم بذلك وهو خلقهم فهم لا يفعلون

عنه، وهذا مثل قوله تعالى : { ختم الله على قلوبهم } في سورة [البقرة : ٧ | ١٠] ..
فهي على شاكلة الآيات السابقة من الحكاية عنهم وبنيرة هادئة ليس فيها الأمر والنهي
وشدة التوكيد.

(٣٢) ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ﴾ (٧) عبس.. والمعنى كما يقول الطاهر: والمعنى : عدم
تزكيه ليس محمولاً عليك ، أي لست مؤاخذاً بعدم اهتدائه حتى تزيد من الحرص على
ترغيبه في الإيمان ما لم يكلفك الله به . وهذا رفق من الله برسوله (ﷺ).... وكما يقول
الألوسي: وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى
الإعراض عن أسلم..... فليس في كل ذلك تأكيد لأوامر أو نواهي أو علو للنبرة
التقريرية التي تستدعي فصل (أن لا*)

(لكيلا - لكي لا)

الناظر في المصحف الشريف بوعى وتأمل ، يلحظ أن (كى) وهي من نواصب المضارع
إذا اقترنت باللام قبلها وبعدها، اختلف رسم حروفها فأحياناً تراها وسط اللامين ، وهما
موصولان بها في الخط هكذا : (لكيلا) . وأحياناً ترى اللام الثانية مفصولة عنها في الخط
هكذا (لكى لا) وحاشا أن يكون هذا الاختلاف اعتباطاً خالياً من الدلالة على معنى
لطيف بل له معنى دقيق يشع منه . ومن غاب عنه هذا المعنى عجل وقال : إن رسم
المصحف لا يقاس عليه ، ولا يبحث فيه عن معنى؟ وهذا قول شنيع لا يليق بكتاب الله
عز وجل ، والأصل في رسم هذه الكلمة في القرآن الكريم هو الفصل بين (كى) واللام
التي بعدها، أما اللام التي قبلها فتوصل بها دائماً لذلك كان المفصول هو الأكثر لأنه -
كما قلنا - الأصل . أما الموصول فلم يتجاوز ثلاث مرات في القرآن كله .

والسبب في وصل ما وصل منها ، وفصل ما فصل هو النظر في (اللام) التي بعدها
ومعلوم أن اللام الأولى في (لكيلا) تعليبيه ناصبة للمضارع إذا انفردت أو وصلت بها
أما اللام الثانية فهي نافية لما يقع بعدها ومعنى (النفى) في هذه اللام يأتي على نوعين .
الأول: أن يكون نفياً كلياً عاماً . الثاني أن يكون نفياً جزئياً خاصاً .

فإذا كان معنى النفي ب(لا) كلياً عاماً وصلت اللام بكى .

وإذا كان معنى النفي جزئياً خاصاً فصلت اللام عن (كى) .

﴿تعلیق: وهذا الفصل يتناسب مع الفصل والتجزئة والتخصيص - الذي يفيد أيضاً

التوكيد والتحديد والتركييز من ضمن معانيه - ، وهو ملحوظ دائماً في الرسم القرآني نسراه
أيضاً في رسم الألف وإظهارها في المعنى الجزئي.. وإخفاء الألف في المعنى الكلي - -

هذا هو السر في وصل ما وُصل ، وفصل ما فصل والتطبيقات الآتية تؤكد هذا الكلام
أولا : الموصول

الموضع الأول: سورة الحج ﴿.. وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا

يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ .. (٥)

دقة التأمل في هذه الآية تريك أن معنى (لا) النافية الموصولة ب(كى) معنى كلـى عام
بدليل تنكير (شيئا) الواقع مفعولا به ل (يعلم) ، لأن المراد من التنكير في (شيئا) هو
الاستغراق والعموم .

﴿ ملحوظة وتعليق : أنا أخالف أستاذنا الدكتور في هذا الرأى - في أن سبب
الوصل هو لتنكير "شيئا" التي تفيد العموم- لأن هذا يخالفه آية النحل: لكيلا يعلم بعد
علم "شيئا" .. ورغم ذلك فصلت (لكى لا) ، ونقول أن هذا الوصل والفصل لسبب
آخر غير تنكير (شيئا) سنقوم بتفصيله بعد قليل في التعليق على آية النحل والحج .
ولكننا سنكمل الآن مع د: مطعنى حيث يقول: ومعلوم أن نفي الكلى يستلزم عقلاً
وواقعا نفي كل فرد من أفرادها . ولدلالة التنكير في هذه الآية مثل دلالة التنكير في مثل قوله
تعالى (إن الله على كل شئ قدير) لأن جميع الاشياء خاضعة لقدرة الله عز وجل .

وللدلالة على (كلية النفي وعمومه) وصلت (لا) النافية ب(كى) في الآية المتقدم ذكرها
** الموضع الثانى : في سورة الاحزاب ﴿وَأَمْرًا مِّنْهُمْ أَن يَتُوبَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فَأَن يَتُوبَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

أَن يَتُوبَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٥٠)
هذه الآية تتعلق بزواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش بعد أن طلقها مولاه زيد بن
حارثة وكان يطلق عليه ابنه بالتبني ، وكان المؤمنون قبل هذا الزواج يعتبرون زوجات
أبنائهم بالتبني محرمات عليهم كزوجات أبنائهم من أصلهم ، فأبطل الإسلام هذا السلوك
بزواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش - التي كان مولى النبي زوجها - ثم طلقها ،
وبعد زواج النبي منها اقتدى به المسلمون فلم يعودا يعتبرون زوجات أبنائهم بالتبني مثل
زوجات أبنائهم من أصلهم .

﴿ تعليق : وأنا غير مقتنع بهذا الرأى ، وسبب التزول لهذه الآيات هو في الواهبة
وليس في زواجه ﷺ من زينب وقضية التبني ، وسنين ذلك بعد قليل)

ووصلت (لا) النافية في الآية ب(كى) للدلالة على عموم النفي واستغراقه ، لأن الرسول

في أول الأمر استشعر حرجا من زواجه بزینب حتى أن الله عز وجل عاتبه على ذلك الشعور والدليل على عموم النفي في قوله تعالى لرسوله الكريم : (لكيلا لا يكون عليك حرج) سياق الكلام تم تنكير (حرج) .؟؟؟؟؟ ولعله يقصد السياق قبل الآية المقصودة وهو: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ (عموم المؤمنين) فِي أَرْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ (عموم المؤمنين) لَكِنَّا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ ﴾ (في هذه القضية العامة)؟؟؟؟؟

الموضع الثالث: في سورة الحديد (. لَكِنَّا تَأْسَوْنَ عَلَيَّ مَا فَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُونَ بِمَا آتَاكُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٢٣)

وإذا تأملت الآية الثانية وجدت النفي ب (لا) هو السخط والتحسر في الابتلاءات والمصائب ، والفخر المخرج عن الاعتدال في ظل ما ينعم به علينا من نعم .
ووجدت - كذلك - النفي كليا عاما ، بمعنى أن الله لن يأذن بممارسة شيء مما كرهه لنا ، ولهذا العموم جاء وصل (اللام) ب (كى) للدلالة على ذلك العموم الشامل لجميع أنواع الأسى والحزن والأفتخار والفرح المخرج عن حد الوقار .
تلك هي المواضع الثلاثة التي جاءت فيها اللام النافية موصولة ب(كى) رمزا لطيفا على ذلك المعنى اللطيف .

﴿ (تعليق: لماذا لا يكون المقصود من وصل (لكيلا) هو معنى التواصل والإتصال من البدء للختام - إضافة لما سبق قوله - .. وشرح ذلك كالاتي:

(١) في الآية الأولى من سورة الحج ووجود حرف الإبتداء (من): لِكِنَّا يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا .. التي تفيد فقد العلم (من) بداية الشيخوية دون فترة انقطاع بين فترة العلم وفترة فقدته في الشيخوخة.. وذلك بخلاف آية النحل التي يقول الله فيها ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٧٠). بدون (من). حيث أننا نجد في آية النحل هذه الآتي:

(١) آية النحل لاهتم بتفاصيل المراحل وبتداتها بل إنها اكتفت بمرحلتين - على سبيل الإنفصال ، وليس على سبيل التتابع والإتصال - فقالت (خلقكم ثم يتوفاكم) - ضمت البداية والنهاية (المنفصلتان) في كلمتين فقط - إلى أن قال لِكَيْ لَا يَعْلَمَ (بَعْدَ) عِلْمٍ شَيْئًا وذلك بخلاف التفصيل في آية الحج التي يبدأها ربنا بقوله: خلقكم (من) تراب ثم (من) نطفة ثم (من) علقة... إلى قوله (لكيلا يعلم (من) بعد علم شيئاً) - فزاد (من) مع أخواتها لتنظم في هذا العقد الفريد المعجز،

وإننا لنلاحظ الدقة والروعة والتناسق في وجود حرف الابتداء (من) وتلاصق المراحل إلى أن وصل لمرحلة وصل العلم بمرحلة فقد العلم بدون فاصل لكي لا يَعْلَمَ (بَعْدَ) عِلْمٍ.. بخلاف آية النحل كما قلنا - التي بنيت على الفصل وليس الوصل .. ولذلك فصلت فيها (لكي لا) وحذف منها حرف الابتداء (والتواصل) (من).. بخلاف الأخرى - الحج - التي كان فيها التواصل بحرف الابتداء (من) .. والتواصل في (لكيلا) .. فما أروعه وأبهره من كتاب معجز يحوى بين دفتيه الجمال والكمال ، وفيه الإمتاع المبهر للعقل والإشباع الكامل للعاطفة)

مع ملاحظة أن هناك رأياً لطيفاً سيضيفه الدكتور المطعني على الصفحات التالية فتأمله وضمه إلى هذا الرأي لتعيش المتعة والجمال مع الكمال وإمتاع العقل وإشباع العاطفة ص ٣١٨.

والموضع الثاني: في سورة الحديد ﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣).. واضح هنا الإتصال بين ما فاتكم وما آتاكم.. والآية قبلها ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) .. أى أهما - المصائب - (مجموعة) في كتاب عند الله وليست هذه الحادثة وليدة اليوم أو منفصلة عن التى في علم الله الأزلى ، وبمعنى آخر (قل كل من عند الله).. ويقول الطاهر: والكتاب : مجاز عن علم الله تعالى - وهو متواصل لا ينقطع لحظة ولا يتوقف - ووجه المشاهدة عدم قبوله التبديل والتغيير والتخلف.

وبعد هذا العرض نقول : ربما يكون هذا المعنى الذى أضفناه لرأى د: المطعني يكون قريباً منه وليس مضاداً له .. حيث أن معنى التواصل في الوجود يكون قريباً من (المعنى الكلى) الذى ذكره د: المطعني

الموضع الثالث وهو ما سنقف عليه للمقارنة بينه وبين الآية الشبيهة له ولكنها على الفصل في باب الفصل التالى ؛ والآية هى: في سورة الاحزاب ﴿وَأَمْرًا مُمِئَةً إِنْ وَهَبْنَا نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥٠) .. وهذه الآية أيضاً تتحدث عن التواصل..

وإن كان مقصود الآيات في إباحة الهبة من المرأة للنبي (ﷺ) وإباحة تزوجها للنبي بدون مهر (خالصة له من دون المؤمنين) فيكون المعنى هو:

(١) تواصل الإباحة (نفى الحرج) - ماهر وبدون مهر - كما يقول البقاعي { لكيلا يكون عليك حرج } أي ضيق في شيء من أمر النساء حيث أحللنا لك أنواع المنكوحات وزدناك الواهبة . فهو (تواصل الإباحة) و

(٢) (لشخص واحد) (ﷺ) فحسن تواصل الكلمة في الرسم مع تواصلها في الوجود.

ثانياً : المفصول

المفصول في هذا المقام على النقيض من الموصول ، لأن الموصول يدل على عموم النفي - كما تقدم - أما المفصول فيدل على خصوص النفي المستفاد من (لا) المفصولة عن (كى) ومن أمثلة ذلك في المصحف الشريف قوله تعالى سورة الاحزاب ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُتَيْبًا لَكِيًّا لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣٧) .

فصلت اللام على (كى) لأن المراد منها نفى خاص لا عام .. وإذا قارنا بغير قوله تعالى (لكيلا يكون عليك حرج) الذي تقدم الحديث عنه . وبين قوله عز وجل (لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) وجدنا الثاني مخصصا بوصفين .

الأول: (في أزواج ادعيائهم) الثاني: (إذا قضوا منهن وطرا) .

وهذان الوصفان قيدان أخرجا الحرج من العموم الى الخصوص .

لذلك فصلت اللام عن (كى) .

﴿ وأنا أرى - والله أعلم - أن الأمر في هذه الآية فعله النبي - زواجة من امرأة الابن (بالتين) وليس الابن الصلب - فعله (ﷺ) ليحل له للطرف الآخر - وهو الأمة - (لكى لا يكون على "المؤمنين" حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) . - وهذا يستدعى الفصل في الكلمة كما حدث الفصل في الوجود في هذا الحكم .

إضافة إلى معنى آخر وهو: الآية تتحدث عن ابتداء تشريع للأمة - وعن علاقة قائمة (الإبن بالتين) سيتم قطعها... ففصلت وكتبت (لكى لا) .

أما الموقف الآخر (الواهبة) - الأحزاب ٥٠ الماضية - فقد أحل الله للنبي محمد (ﷺ) الواهبة نفسها .. وفي ذلك استمرار ووصل التحليل (هذه واحدة)... وفيه ملاحظة رفع الحرج وإزالة القطع (أى الوصل) (هذه ثانية)... والحكم عن نفس هذا الشخص - وهو محمد (ﷺ) (لكيلا يكون (عليك) حرج) بخلاف الأخرى (لكى لا يكون على المؤمنين حرج) وهي طرف آخر غير النبي صاحب الحكم الأولى. (هذه ثالثة) . . . وهي أيضاً علاقة

كانت مقطوعة - لا يمارسها - (زواج الواهبة) - وسيتم وصلها (هذه رابعة)
(لكل هذه الأمور الأربعة وصلت الكلمة (لكيلا) هنا وقطعت هناك)
ونعود لأستاذنا العلامة د: الطعنى ليكمل لنا قوله:

وكذلك قوله تعالى في سورة النحل ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٧٠)... لك أن تتساءل وتلج في السؤال : لماذا فصلت (اللام) عن (كى) ولم توصل كما وصلت في نظيره السابق: (لكيلا يعلم من علم شيئا) لأن الظاهر أنهما بمعنى واحد، والفاظ واحدة ؟
والجواب: إذا دقت النظر في الآيتين وجدت بينهما فرقا واضحا من حيث اللفظ:

فأية الحج فيها زيادة كلمة عن آية النحل، تلك الكلمة هي حرف الجر (من) ،
هكذا: (لكيلا يعلم (من) بعد علم شيئا) هذا في سورة (الحج)، أما آية (النحل) فلم يرد فيها حرف الجر (من) . . . (من) في آية (الحج) له دلالة متفق عليها عند اللغويين والبلاغيين والمفسرين ، وتلك الدلالة هي العموم الكلى أو الاستغراق وهو شمول عموم الافراد، بحيث لا يستثنى أى فرد من أفراد الجنس، كما في قوله تعالى سورة هود ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (٦) والمراد من الدابة في الآية: كل مادب على وجه الأرض من عظيم أو حقير ، كبير أو صغير ، مشاهد أو غير مشاهد ، والأصل أن يقال: وما دابة في الأرض . فزيدت (من) قبل (دابة) للدلالة على المعنى الذى بيناه ، وهو شمول جميع أنواع الدواب . ولو قيل: وما دابة في الأرض، لاحتمل هذا القول خروج بعض الدواب عن الحكم الوارد بعدها .

إذا تقرر هذا نقول: أن محيى (من) في آية (الحج) يفيد أن الذى بلغ أردل العمر لم يعد يتذكر شيئا مما كان يعلمه حتى اسمه ينساه، ويكون المعنى حينئذ أنه نسى كل شئ .
فالنفي هنا عام كلى ، فوصلت من أجل الدلالة على هذا المعنى .
إن خلو التركيب من (من) في آية (النحل) يدل على أن الذى بلغ أردل العمر في الآية غابت عنه أكثر الأشياء لا كل الأشياء، فهو ما يزال يذكر شيئا أو أشياء قليلة جداً منها

وعلى هذا فإن النفي الواقع على (شيئا) فيها ليس كليا عاما ولذلك فصلت اللام عن (كى) في هذه الآية الكريمة لأن المنفى فيها أشياء مخصوصة لا عامة . وعلى هذا فإن الآيتين تدلان على ما هو في الواقع المعروف ، وهو أن الذين يبلغون أردل العمر نوعان:
- نوع محيى ذاكراته تماما، فلم يعد يذكر مما كان يعلم شيئا قط .

-ونوع بقى في ذاكرته شيئاً ما أو بعض أشياء ثم غاب عنه ما عداها .
وهذا هو الواقع المشاهد في دنيا الناس ، وكون الآيتين فيهما دلالة على هذا المعنى فإن ذلك من وجوه الإعجاز القرآني الذي لاتنقضى عجائبه ولا تجف ينابيعه مهما طال العهد .

ومحال محال أن يكون مجئ حرف الجر (من) في احدى الآيتين ، وتركه في الثانية ليس لهما معنى . ذلك ظن الذين غفلوا عن فقه معاني التزليل الحكيم

﴿تعليق: وهذا رأى لطيف وعظيم - من علما- نضيفه إلى ما قلناه سابقاً في التعليق على آيتي النحل والحج - ولا تعارض- بحمد الله تعالى .. ولكن يبقى السؤال وهو: لماذا وضعت (من) في سورة الحج ، ورفعت من سورة (النحل)؟..
والإجابة: أنه كشأن القرآن الذي عودنا دائماً على وضع كل كلمة في مكانها المقصود والمخصص لها، بحيث أنه لا يستطيع أحد من البشر أن يستبدل كلمة أو حرف مكان الآخر

فإن التأمل في سياق آيات سورة الحج يجد أنه مقام (تحقير للكافر)، الذي يناديه بقوله:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ - ثم يعدد له منشأه في كل مرحلة من مراحل حياته (من): ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ (مِنْ) تُرَابٍ ثُمَّ (مِنْ) نُطْفَةٍ ثُمَّ (مِنْ) عَلَقَةٍ ثُمَّ (مِنْ) مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّئَبِّنَ لَكُمْ .﴾ . إلى أن يصل: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ فهو يعدد له جميع المراحل من بدايتها وبالتفصيل الواضح لإظهار حالته أمام نفسه وهي في حالة الجهل (الكامل) - لِكَيْلًا يَعْلَمَ (مِنْ) بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا - أى لايعلم أقل شيء من العلم ، أى: من بداية ما يسمى بعلم - ويستمر السياق بعد ذلك ليناسب هذا المقام لهذا الكافر فيقول: وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً^(١)

نعود لنقرر - من خلال السياق القرآني المعجز- أن آيات سورة الحج تتحدث عن مقام التحقير للكافر ، وتحشد له كل صور التحقير المناسبة لشأنه ماثلة أمام عينيه ، فناسب

(١) - ولم يقل خاشعة التي تعطى جو العبادة والطاعة الذي لايناسب مع هذا الكافر- وقاله في سورة فصلت (وترى الأرض خاشعة) لأن السياق في حديث عن جو طاعة وتسبيح من المخلوقات والملائكة لله ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنَ آيَاتِهِ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ (.....)

ذلك استحضار صورة (عموم الجهل) وإضافة (من) ..

وذلك بخلاف سياق سورة النحل - التي تتحدث عن سياق (تعداد النعم) على عباده ؛ فكان المناسب لذلك هو مشهد (بعض الجهل وليس كل الجهل) حتى لا يُفسد جو النعم هذا- وراجع نفس هذا الملحظ الإعجازي حينما شرحنا مراحل خلق الإنسان ووقفنا على مرحلة (صلصال كالفخار) وقلنا أنها هي المرحلة الوحيدة التي فيها صورة النعمة والفائدة - بخلاف التراب - ولذلك وضعها في سورة النعم (الرحمن) للتناسق والإيهار .

وهكذا يستمر موكب الإعجاز من أكثر من زاوية في الآية الواحدة ؛ فالكلمة أو الحرف كاللؤلؤة التي تعطي أكثر من بريق من كل جانب منها - وهي هي نفس اللؤلؤة - وصدق رسول الله (ﷺ) حيث يقول (لا يشبع منه العلماء ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد))، وندعوا الله أن لا يجرمنا لذة النظر والتأمل في كتابه .. آمين .

ونكمل ذكر الأمثلة التي تركها القدامى وهي:

**** (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لَكِنَّا تَحَزَبُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (١٥٣) ..**

وهي شبيهة بآية الحديد .. ولكننا هنا تزيد الأمر إيضاحاً وتوضيحاً لحكمة الوصل في (لكيلا) وهو زيادة النص قبلها (فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ) .. أى غم موصول بغم آخر (دون انقطاع أو راحة لهم بين ذلك) .. والذي أفاد هذا المعنى هو حرف (الباء) - الذي يسميه علماء اللغة (حرف الإلصاق) ، ويكون المعنى غمّاً موصولاً (ملتصقاً) بغم .. وهذا هو عين ما حدث في غزوة "أحد" وكان تصويراً دقيقاً لشدة ما نال المسلمون فيها .. ولذلك لم يقل النص (فَأَتَابَكُمْ غمًا (على) غم .. أو غمًا (بعد) غم ..) أو غير ذلك من الألفاظ التي لاتعطي معنى الإلصاق والتواصل الذي ينسجم مع تواصل واتصال كلمة (لكيلا) في نص واحد .

النص الثاني: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ (مِنْكُمْ) وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) أى أنه ينهى أن يكون المال مخصص عند الأغنياء فقط (مِنْكُمْ) (كي لا يكون خاصاً بهم فقط)

فإن لم -- فإلم

هاتان العبارتان وردتا في الرسم العثماني الشريف ، في العبارة الأولى أظهرت نون (أن) الشرطية . وفي العبارة الثانية أخفيت هذه (النون) ولم تظهر في الخط (= الرسم) .

ومحال أن يكون أظهر ما أظهر ، وإخفاء ما أخفى عبثاً لا معنى له ولا أسباب ، لأن كل ما في المصحف الشريف كان لحكمة ، وضد الحكمة (السهة) وكتاب الله لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه .. فما هو السر فعلاً في هذا الاختلاف بين هاتين العبارتين ؟ نذكر أولاً الآيتين اللتين وردا فيهما هذا الاختلاف .

الآية الأولى هي قوله تعالى سورة القصص ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠) .. جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى سورة القصص ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٩)

الآية الثانية هي قوله تعالى سورة هود ﴿فَإِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤)

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى في سورة هود ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) .

قف قليلاً أمام الآيتين تجد المقام الذي وردتا فيه واحد: ففي آية القصص كانت الآية رد على المشركين في طعنهم في التوراة والقرآن الكريم . وفي آية هود كانت الآية رداً عليهم في الطعن في القرآن الكريم بأنه مفترى وليس من عند الله ؟

وفي سورة القصص أمر الله رسوله أن يقول لهم اتوا بكتاب آخر من عند الله أهدى من التوراة والقرآن ولكم على اتباعه إن كنتم صادقين ، وفي سورة هود أمر الله رسوله أن يقول لهم اتوا بعشر سور مثله مفتريات ، واستعينوا بمن شئتم من دون الله إن كنتم صادقين .

وفي كلتا الآيتين ورد فعل الامر (اتوا) مراداً منه الافحام والتعجيز للخصم، ومع هذا التشابه الكبير في سياق الكلام ومقامه والتماثل التام بين : (فإن لم) و (فإن لم) ترى نون (إن) أظهرت في الأولى خطأ وأخفيت في الثانية فما هو السر في ذلك؟

إن المقارنة بين الآيتين تكشف لنا بكل وضوح عن سبب هذا الاختلاف، وذلك بالنظر في ما بعد (إن) - أي في جواب الشرط الواقع بعدها - فهو (أعني جواب الشرط) في الأولى هو : (فاعلم إنما يتبعون أهواءهم) . وفي الثانية (فاعلموا إنما أنزل بعلم الله) . فالاول ، وهو اتباع الأهواء ، أمر سفلى محسوس مشاهد في سلوك المتحدث عنهم وأخلاقهم الوضيعة .

الثاني ، وهو الإنزال بعلم الله أمر علوى شريف ، غيبي غير مشاهد بالعين الباصرة

فأظهرت (النون) مع الأمر السفلى المكشوف الظاهر . وأخفيت (النون) مع الأمر الغيبي غير المدرك بالابصار . وفي هذا تناسب حكيم بين إظهار (النون) مع الأول وإخفائه مع الثاني .

وهكذا قد تجلّى لنا السر اللطيف في اختلاف الرسم القرآني الذي يزعم قوم أنه مجرد اختلاف خال من الدلالة عار عن الافادة ، هداانا الله إياهم لفقّه معاني هذا الإعجاز المفحم ، الذي أنزل بعلم الله لا يعلم سواه

﴿١﴾ وأرى أيضاً . أن الآية الأولى فيها شدة التوكيد والتقرير على أنهم يتبعون أهواءهم، وهذا شيء ممكن التحقق منه ، بخلاف الأمر الغيبي : أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو.. ولذلك نجد أن القرار هنا للنبي (ﷺ) ليبلغه ويؤكده للأمة ، لأنه ليس في حاجة للتوكيد (كقوله تعالى في أول سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾) (خطاب للنبي في بداية الآية) ثم يقول بعدها: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١) **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** (ما زال الخطاب للنبي (ﷺ) لكنه بعدها مباشرة يكمل الآية: **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**) (انقلب الخطاب بصيغة الجمع للأمة)..

وهنا نفس هذا المعنى فالخطاب بالتوكيد على النبي (ﷺ) - بأهم يتبعون أهواءهم - فاعلم ... - والرسول يعلم ذلك علم اليقين بلا شك أو تردد - ولكنه يراد به إبلاغ هذا التوكيد للأمة الكافرة (الطرف الآخر)^٢ ولذلك كانت اللفظة الآسرة بفصل الكلمة (فإن لم) لتبين هذا الفصل الذي لا بد من وضعه في الذهن حين ورود هذا الخطاب وأمثاله للنبي (ﷺ).. أي الخطاب للنبي (ﷺ) ويراد به الطرف الآخر وهو الأمة الكافرة - يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن .. - فأصبح هناك فصل في الوجود الخطابي يناسبه فصل في حروف الكلمة.

أما آية هود فالخطاب للنبي والمؤمنين ، وطلب العلم لنفس الجهة دون انفصال (أي: فاعلموا - أي يا مؤمنون) - أما أنزل بعلم الله .. فالخطاب من البداية للنهاية متواصل في الوجود - لنفس الجهة - فتواصل أيضاً في رسم الكلمة (أئماً).

(٢) نلاحظ أيضاً أساليب التوكيد والوقوف المؤكد والمطول والمفصل على نفس المعنى .. والسياق العنيف والمتهب والهجومى عليهم (على النيرة) فناسبها الفصل .. ﴿فَإِنْ لَمْ

(٢) (ومثال آخر هو: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء).. فبداية الأمر هو للنبي (ﷺ) لكنه يراد به الأمة - في شخص قائدها - كما يقول رئيس الجمهورية للقائد العسكري عنده: إهجموا .. واضربوا .. والحديث موجه لشخص القائد العسكري ويراد به كل فرد في الجيش)...

يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ (١) أَلَمْآ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ (٢) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ (٣) إِنَّ (توكيد) اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾. وهذا سبب آخر للفصل.



ونكمل ذكر الأمثلة التي تركها علماءنا :

(١) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾.. نرى هنا التوكيد بل وشدة التوكيد بحكم صادر بلا

نقض ولا أبرام ومعه التحدى الكامل (الفصل).. وهو تحدى دنيوى أيضاً.

(٢) ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرْنُورَةٍ

أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصْبِحْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿

٢٦٥﴾. البقرة مثل دنيوى ، وتفرقة بين حالتين.

(٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ

لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. ﴿ (مثل (١))

(٤) ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ فصل

وتفصيل

(٥) ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ﴾ (المقام مقام تفصيل)

(٦) ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ (المقام مقام تفصيل لأنه

تشريع .

(٧) ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بَكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَيَّ الْفِتْنَةَ

أُرْكَبُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾ النساء. فيه شدة وتهديد

(٨) ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ﴾ (٦٠) يوسف فيه شدة وتهديد

(٩) ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (النور) (تشريع وتفصيل)

(١٠) ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانِكُمْ فِي السَّبِيلِ

وَمَوَالِيكُمْ﴾ الأحزاب.

(١٠) ﴿فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢) الحجرات.

نلاحظ فوق ذلك أن هذه الأمثلة (تفاصيل دنيوية) مما يؤكد المعنى السابق (حذف الحرف

في الأمور الملكتوية العلوية والغيبية.. ووضعها في السفلية والمادية الملموسة .. إلا ما استثنى

لغرض بلاغى عظيم نراه في حينه = إن شاء الله تعالى -).

ومن ذلك مجئ نون (أن) الناصبة للفعل المضارع ظاهراً مع (لن) حيناً، وخافياً معها حيناً آخر هكذا. (أن لن - ألن) والفصل والإظهار هو الأصل.. لذلك فإن كل ما في القرآن من هذا النوع مفصول هكذا (أن لن) إلا موضعان خولف فيهما هذا الأصل فجاءت (نون- أن) مخفية لا ظاهرة ونذكر أولاً هذين الموضعين:

الأول: القيامة **(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) (٣)**

الثاني سورة الكهف **(وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) (٤٨)**

أما أمثلة الإظهار والفصل فمنهما قوله تعالى سورة التغابن **(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٧)**.
وفي سورة الجن **(وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) (٧)**

قارن بين الآيات الأربعة تجد النون في الأوليين لا وجود لها في الخط، ولكل من الإظهار والإخفاء فيهما سبب، وله معنى دل عليه وإليك البيان :

في الآيتين اللتين تحكيان ما قاله الكفار تجد : فعلا **إِدْعُوهُ (هم)** ونسبوه إلى الله عز وجل. ففي الآية الأولى منها نسبوا جمع العظام منفيًا إلى الله ، مستبعبدين قدرة الله عليه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وفي الثانية منهما نسبوا الموعد منفيًا كذلك إلى الله ، والموعد هو البعث أى أن الله - على زعمهم - لم يجعل يوماً يبعث فيه الأموات للحساب .

والخلاصة أن المشركين في هاتين يتحدثون عن الله لا عن أنفسهم ، وهذا الحديث كاذب كما ترى ، ومع كذبه هذا أكدوه ب(أن) المخففة من الثقيلة ، فعمد الرسم القرآني إلى حرف التوكيد الكاذب فحذفه في الخط ، هدمًا لما أرادوه منه من التوكيد

وهذا هو السبب في الإخفاء ، رمزًا به إلى معنى لطيف هو تكذيبهم فيما ادَّعوا .

تعليق: ونرى رأياً مكملًا لما سبق وهو: كأن الله يريد أن يقول أن هذا الكلام موصول بهم لادخل لله (الطرف الآخر) بذلك ، وهذا يتمشى مع تعليقتنا السابق الذي ذكرناه في (فإن لم) و(فإن لم)

أما الآيتين الأخرين فظهر (النون) كما رأيت ، مع أن دعواهم فيه كاذبة ، وقد أشار القرآن إلى كذب دعواهم في آية (التغابن) بقوله: **(قل بلى وربي لتبعثن).**

كما أشار إليه في آية القيامة بقوله (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) وتسوية البنان

(نقش الأصابع والكف) أعقد من جمع العظام . فلماذا؟

أما إظهار (النون) مع كذب الدعوة في الآيتين فلاهم يتحدثون عن أنفسهم لا عن الله عز وجل ، فهم الذين زعموا أنهم لم يبعثوا ، والظن في آية الجن (وأهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) هو ظنهم هم ، وهم فاعلوه ، وليس الله عز وجل ، لذلك أظهرت (النون) ولم تدع حاجة إلى إخفائها لأهم قد سول الشيطان صدق ما يقولون ويتوهمون ، وهم يعتقدون أنهم صادقون .

✽ ولنتوضح الحقيقة في باقى الآيات نسردها كالآتى :

(١) ﴿وَذَا الثَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَأِ إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) .. دنيا

(٢) ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥) الحج دنيا

(٣) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَافَهُمْ﴾ (٢٩) دنيا

(٤) ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (١٢) دنيا

(٥) ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧)

(٦) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٥) الجن

(٧) ﴿وَأَلَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (٧) الجن

(٨) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ (١٢) الجن

(٩) ﴿وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾

(١٠) ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (١٤) بَلَى إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) الانشقاق

(١١) ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَأُبَدَأُ (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (٧) البالد

(١٢) ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٣) القيامة .. بلى قدرين على... (و لم يقل (ألن نجمع عظامه .. بالباء وليس النون) .. ولكنه قال : نجمع (نحن) - بصيغة الجمع - والخطاب

المباشر

(١٣) ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٤٨) .. ولم يقل (ألن يجعل لهم) بل قال : نجعل (نحن) - بصيغة الجمع -

والخطاب المباشر ..

تعليق: في آيات الجمع (ألن) يكون الملحظ هو: (عملية تجميع - وليس انتشار-- للعظام أو للخلائق .. وبكيفية غيبية في الآخرة.. وهو ظنهم هم وهم فاعلوه ، وليس الله عز وجل - وهم يؤكدون بشدة على ظنهم هذا

كلمة أخيرة

بعد هذه الاشواط الطويلة التي سرناها مع لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف نشعر أمرين :

الأول: أننا قدمنا قدراً صالحاً من دراسة هذه الخصوصيات والأسرار التي تدل عليها ،
الثاني: أننا سددنا الطريق أمام الدعوة بإعادة كتابة (المصحف الشريف) على منهج الخط الإيماني الحديث ، بحجة واهية ذكروها هي أن هذه الخصوصيات تخلو من الدلالة وأنها لا معنى لها. سددنا الطريق أمام هذه (السخيفة) ، وكشفنا ما تنطوى عليه من غفلة و جهل ، وأننا أن كل خصوصية من خصائص رسم المصحف الشريف تدل على معان ولطائف لا يمكن فهمها إلا من تلك الخصوصيات التي تابعتها فيها قراء (منير الإسلام) وعلى كثرة ما قدمنا من خلال هذه الدراسة المضيئة . فأننا نعتزف بأننا لم نستقص كل ما كان يمكن أن يقال في المجال، آملين أن يهني الله باحثين آخرين يقطعون أشواطاً أخرى في الحديث عما لم نتحدث عنه والحمد لله في الأولى والآخرة .

مناقشة رأى الآخر

يمثله دكتور: غانم قدورى وكتاب (رسم المصحف دراسة تاريخية)

وكما ذكرنا فى المقدمة أن هذا الكتاب (رسم المصحف دراسة تاريخية) هو عبارة عن رسالة دكتوراه قام بها فى هذا الموضوع ، وقد أشار البعض من العلماء بقراءتها لأهميتها القصوى من وجهة نظر المؤيد والمعارض.

وقد بنى الكاتب "قدورى" بحثه ، على التأصيل التاريخى لظاهرة الرسم والكتابة ، وقام بترجيح آراءه هو نفسه لا يقطع بصدقها أو مصداقيتها حيث يشير إليها بقوله "ربما" أو "محمّل" أو "الرأى الأقرب للصواب".... وهكذا كثيراً.

ثم بعد ذلك يحاول أن يخضع البحث لهذه الفكرة التى يقول هو عنها فى ص ٢٢ ((كانت لعلماء العربية روايات فى أصل الكتابة عامة ، والكتابة العربية خاصة، لكن الروايات فى هذا الباب تكثر وتختلف - كما يقول ابن فارس...)) معترفاً باختلاف الروايات المعتمد عليها.

وفى ص ٢٠٢ يقول كلاماً طيباً - نلاحظ أنه سينفضه وسيفهمه فى خلال بحثه - وهو: قوله (ولا ينبغي لدارس الرسم العثمانى إلا أن يستبعد فكرة الخطأ وهو يحاول أن يجد التفسير الصحيح لظواهر الهجاء الواردة فيه ، وأن يتوقف عن القول فى ما لم يتوفر لديه فيه ما يرجح به رأياً أو يقدم به تفسيراً ، لأن جانباً كبيراً من تاريخ الكتابة العربية فى تلك الفترة المتقدمة لا يزال غير معروف، ويظل الرسم العثمانى بكل ما يقدم من أمثلة وصور لرسم الكلمات خير ممثل لواقع الكتابة العربية فى تلك الحقبة.. ثم يزيد قائلاً: ولا شك فى أن أى كشف جديد فى مجال النصوص القديمة المكتوبة سيزيد الحقائق الكتابية التى يقدمها الرسم تأكيداً ووضوحاً بعيداً عن فكرة الخطأ التى يجب أن تكون آخر احتمال فى هذا المجال...)) انتهى.. وحكى كثيراً عن علماء سبقوه فى الكتابة ، وادعى أنهم كلهم لا يقفون على الحقيقة التى توصل هو إليها، مدعياً جهلهم بها ، ومضيفاً إلى ذلك عدم توفر المصادر الموثوق بها !! ورغم ذلك سنجد فى هذا الكتاب (الذى هو رسالة دكتوراه) يرفض مناقشة الرسم على أرض الواقع واستجلاب النصوص والتدبر فيها إلا عن طريق واحد ، ألا وهو الطريق التاريخى الذى يقول فيه: بأن أصل الكتابة كانت اللغة النبطية ، وقد بقيت أثر هذه الكتابة النبطية فى رسم بعض الكلمات فى القرآن الكريم ولم يغيرها كتبه القرآن ، وبعد أن تطورت الكتابة لدى كتبه الوحي قاموا بتعديل بعض هذه الكلمات

وتركوا مثيلاتها على ما هي عليه دون تغيير، أى غيروا البعض وتركوا البعض المشابه له، التي كانت موجودة بما قبل تطور علم الكتابة لدى كاتبى الوحي، مدعياً أنه لا يوجد أى وجه من الحكمة فى وجودها على هذه الصورة وهذا الرسم سوى أنها تشير إلى وجود خطأ سابق لهذا الرسم قبل تطويره، وبقي من أثره هذه الكلمات التي أبقى عليها الرسم القرآنى لتكون دليلاً وشاهداً على هذا التاريخ!؟

بل ويذكر أن علماء السلف وقعوا فى (خطأ جسيم) حينما حاولوا تفهم هذه الصورة التي تتناسب بين المبدأ الصوتى والكتابة، وغيرها مما سنبحثه على الصفحات القادمة؛ وذلك لأنهم يجهلون الوجهة التاريخية التي اهتدى هو إليها.

وفى ص ٦٩ ينقل رأى الإمام ابن قتيبة، ويعجب المرء أشد العجب من أن يسمع من علماء مسلمين يقولون بأن هذه الكتابة وأمثالها خطأ من الكاتب، ومن سوء هجاء الأولين - كما يقول أحدهم، بل ويصرح بها (ابن قتيبة) فى كتابه (تأويل مشكل القرآن) ص ٤٠ - ٤١. مصرحاً بأن كل ماجاء فى رسم المصحف من وجوه مخالفة للمشهور من قواعد الهجاء عند الكتاب هو من باب الخطأ!؟؟!!!! ويقول بعد أن أورد حديث عائشة (المريب والمشكل لدى العلماء) فى غلط الكاتب وحديث عثمان -: (أرى فيه لنا..). - الذى ناقشناه وأثبتنا زيفه وبطلانه على الصفحات الماضية - يقول ابن قتيبة (وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب أو أن تكون خطأ من الكاتب - كما ذكرت عائشة - رض - .

ثم يقول: فإن كانت على مذاهب النحوين فليس ههنا لحن، بحمد الله، وإن كانت خطأ فى الكتاب فليس على الله ولا على رسوله (ﷺ) جناية الكاتب فى الخط، ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجى!!!!

ويقول: فقد كتب فى الإمام (إن هذين لسحرين) طه ٦٣.. بحذف ألف التثنية. ثم يتعرض إلى - ما يسميه خطأ الكاتب - فى كتابة كلمة (الصلوة، والزكوة،... الربوا). ويقول: واتبعناهم - أى كتبه الوحي - فى هذه الحروف خاصة، على التيمن بهم.. وعرج على بعض الأمثلة فى الوصل والوصل - ناقشناها كاملة وكل ماورد فى كتاب د: قدورى على الصفحات الماضية وسنكملها على الصفحات القادمة إن شاء الله).

ولكن العجب العجاب من عالم كهذا كيف يجهل هذه المقدمات التي أشار إليها السابقون؟ وكيف أنه لم يقرأ تعدد القراءات فى الآية (إن هذان لساحران).. وكيف أن

هذا الألف - الذى حذف - قد حذف لحكمة بالغة وعظيمة، حيث أن القراءات قرأت (لساحران ولساحرين) وأنه فى هذه الحالة لو كتبت بألف ظاهرة لقيدت القارىء بقراءة واحدة وهى التى بالألف ، أما فى حالة حذف الألف ووضع إشارة تدل عليه بدلاً منه فهو إشارة أسرة من الرسم بجواز القراءة بالقراءتين) - وقد ناقشنا ذلك بتوسع على الصفحات الماضية- فكيف يكون هذا خطأ (وجناية) من الكاتب!! (وهو الصحابى الذى كتب القرآن وأجمعت عليه الأمة) - كما يقول-!!!؟.

وهكذا - وللأسف- الحال نراه من ابن خلدون ؛ حيث يقول((ولا تلتفتن قى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم - أى الصحابة- كانوا محكمين لصناعة الخط..... وما حملهم (أى بعض المغفلين) على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تزيهاً للصحابة عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط..... وذلك ليس صحيح)!!!؟.

والعجيب أن د: غانم قدورى(صاحب الرسالة المطولة فى الدراسة التاريخية لرسم المصحف) - يقول بعد نقل هذه الأقاويل (ولا ينبغي أن نتخدد بما فى كلام العلامة ابن خلدون- رحمه الله-) وهذا كلام طيب من د: قدورى ، ولكن للأسف سينقضه بعد قليل بعرضه لرأيه ، وكأنه نفس التهجم ولكن بصورة أخرى سنناقشها بعد قليل.

وبعد أن يؤكد على رهافة حس الصحابة للغوى - كما يقول- ويُخطئ ابن خلدون (بأنه كان يتصور بأن هناك نظاماً للكتابة- فى أول الإسلام.. وأن الصحابة قد قصرت همهم عن إجادة استخدام ذلك النظام الكتابي، فوقع نتيجة لذلك ما جاء فى المصحف من(أخطاء)..!!).

وبعد أن يعلق بكلام طيب قائلاً وناقلاً قول المدافعين عن هذا الحق ((وإذا كان سلفنا الصالح من علماء الأمة الذين ذهبوا إلى هذا المذهب قد عصمهم إيمانهم عن الخطل فى القول، فعبروا بأسلوب العالم الأمين المخلص لكتاب ربه ، الجمل حملته وكاتبه عما وصل إليه علمهم وبلغه اجتهادهم فى فهم تلك القضية ، فإن طائفة من المحدثين تنسب إلى العلم أطلقت ألسنتها تصف الرسم بما نجل الرسم والصحابة الذين كتبوه عن مجرد ذكره، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على الجهالة فى العلم والبلادة فى الذهن والقصور فى الإدراك، إن لم يدل على سوء النية وخبث القصد والعداء لكتاب الله العزيز).

ولكنه رغم ما قاله هذا فإنه يصر على أن هذا الرسم ليس له أى وجه من وجوه الحكمة سوى أنه يذكرنا بتطور فى تاريخ الكتابة.. حيث أنه كانت تكتب الكلمات بالواو .. وتطورت الكتابة بعد ذلك فكتبت بعض هذه الكلمات بالألف، وبقيت الأخرى كما

هى بالواو لتدل على هذا التطور التاريخى للكتابة ، دون أن يكون لذلك أى وجه حكمة سوى هذا الجانب التاريخى الذى يجب أن نفهم خصوصية الرسم المصحفى عليه !! - حسبما يقول- وبذلك - حسب زعمه - نحل جميع هذه الإشكالات القائمة ؟؟؟؟!!
ونجد الكاتب - على سبيل المثال - يصر على أن الواو فى (عمرو) يمكن أن تكون من بقايا زيادة الواو فى نهایات الأعلام فى الكتابة النبطية التى هى الأصل بالنسبة إليه ؛ وهكذا سيحدثنا طوال بحثه ولا يذكر لنا لماذا كتبت هذه الكلمة (بالبقايا النبطية) غير المألوفة لدينا، وكتبت أختها على الطريقة المألوفة لدينا؟

وهو يؤكد دائماً أن ذلك تم فى كتابة المصحف نتيجة لتطور علم الكتابة تدريجياً لدى الصحابة كتبة الوحى ، فأبقوا هذه الكلمات بالحروف النبطية لتشهد لهذا التاريخ للكتابتين، أى ليشهد بأنه كانت توجد كتابتان بطريقتين مختلفتين، وهذا هو رأى الصواب بالنسبة له !! .

ويضرب أمثلة سنناقشها على أرض الواقع - منها (الربا .. الربوا) حيث جعل وجه الإعجاز والحكمة العليا فى رأيه هو (إبقاء التى بالواو) لتدل على الأصل النبطى للكلمة قبل تطور الكتابة لدى الصحابة !! ويرد بهذا رأى على كل من يحاول تلمس السبب أو الحكمة وراء ذلك الرسم، ويدعى جهل هؤلاء بأهم سبب - عنده هو - ألا وهو هذا السبب التاريخى ، غير الموثق به وغير المؤكد عنده أيضاً، والمختلف فيه لدى من سبقوه وعاصروه من العلماء.



وهو يقنعنا فى ثنايا بحثه أنه لاثقة عنده بوجود نسخ أصلية لمصحف عثمان الأصيلى الذى بعث به للأمصار، ويحاول أن يجيب على السؤال عن وجود النسخة الأصلية من مصحف عثمان - فى ص ١٥٨ ، ١٥٩ حيث يقول (ومن الملاحظ أن أئمة الرسم كثيراً ما يقولون أنهم رأوا كلمة معينة فى مصحف الإمام مصحف عثمان كالذى يروى عن أبى عبيد ، وعاصم الجدرى، ويحى بن الحارث وابن حاتم. ولعل كلمة (المصحف الإمام) كانت تشمل جميع المصاحف التى كتبت بأمر عثمان - رضى الله عنه - فى أى مصر من الأمصار ، وليس مصحف المدينة أو المصحف الخاص بالخليفة فحسب، وربما تشمل - أيضاً - المصاحف الكبيرة التى كانت توضع فى المساجد الجامعة للقراءة أو لنسخ المصاحف منها والتى نسخت من المصاحف العثمانية الأصلية، ولعل ذلك يفسر لنا أيضاً ما يكتب فى آخر بعض المصاحف من أنه بخط الخليفة عثمان، أى بنفس الهجاء الذى كتبت عليه المصاحف

التي نسخت في خلافة عثمان - رضى الله عنه - ... إلى أن يصل إلى قوله: ويثار السؤال القديم مرة أخرى، في الوقت الحاضر، وهو: هل يمكن أن يكون واحد من هذه المصاحف القديمة الباقية أحد المصاحف العثمانية الأصلية؟

ثم يجيب هو قائلاً: إن أغلب الباحثين يميل إلى استبعاد ذلك، إذ من المتعذر - اليوم - العثور على مصحف كامل كتب في القرن الأول الهجري أو الثاني، وعليه تاريخ نسخه أو اسم ناسخه. وكذلك فإنها في الغالب غير مجردة تماماً من العلامات التي أدخلت في وقت متأخر، إلى جانب أن إقرار ذلك يحتاج إلى أدلة تاريخية ومادية واضحة وقوية، ودراسة متعددة الوجوه وهو ما لم يتح للدارسين - بعد - القيام بها. انتهى الاقتباس.

ولا أدري أى سند تاريخي يعتمد هو عليه بعد هذا القول!! والعجيب أنه - الكاتب - وبعض علماء العصر يعتمدون على قصاصات لا يعلم أصلها - كما قال هو - ثم يستندون عليها وكأنها المصدر المتواتر!! وسنرى إن شاء الله وضوح هذا الخلط في الروايات وتناقضها عند مناقشة أهم الكتب الجامعة في ذلك مثل (المقنع للإمام الداني) مما يسقطها جميعاً أو على الأقل يجعلها قابلة للصدق أو الكذب .. كما رأينا عند مناقشتنا لأهم كتاب في ذلك وهو (المقنع) للداني، و(البرهان) للزر كشي.

ويقول: ص ١٦٥: ويبدو أن محاولات جرت منذ وقت مبكر لإدخال بعض صور الكلمات المستعملة عند الكتاب في المصحف، فيروى الداني أن إمام المدينة مالكاً (ت ١٧٩هـ) رحمه الله سئل فقيل له "أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: "لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتابة الأولى".

ويروى أيضاً أنه سئل عن الحروف التي تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تُغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ فقال: لا. ويعقب الداني على ذلك بقوله: "يعنى الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى المدومتين في اللفظ".

ويقول: وقد أجمع العلماء على مثل ما ذهب إليه الإمام مالك؛ فقد قال الداني بعد أن روى رأى مالك السابق "ولا يخالف له في ذلك من علماء الأمة؛ حتى أن الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١م) قال: تحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك.

وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) في شعب الإيمان: من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير ما كتبوا شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم.

وقال الليب: فما فعله صحابي واحد فلنا الأخذ به والاقْتداء بفعله والاتباع لأمره فكيف وقد اجتمع على كتاب المصاحف حين كتبه نحو اثني عشر ألفاً من الصحابة رضی الله عنهم أجمعين؟

وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وهو يعقب على رسم لام الجر مفصولة في قوله تعالى: في سورة الفرقان: آية ٧. ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ .

(٧) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي ، وخط المصحف سنة لا تغير .. وبعد تعرضه لرأى الإمام العز بن عبد السلام الذى أوهم بإباحة كتابة المصحف بالرسم المعتاد مخالفاً رأى جمهور العلماء (من الصحابة والتابعين) بحده يعلق على هذا الموقف قائلاً: . وقد أداه اجتهاده (أى العز بن عبد السلام) أن في مذهبه مصلحة وتيسيراً على الأمة (يقصد: أى ليستطيعوا قراءة الكلمات دون الخطأ أو التعثر في قراءتها مثل (الملؤا) وغيرها - وربما يقصد (العز بن عبد السلام) هذه الإباحة لغرض التعليم فقط لمن لا يحفظ القرآن - كما نفعل نحن في الكتابات ونكتبها للأطفال (الملأ) - ولكنى لا أرى أنه يقصد تغيير الرسم القرآنى في المصحف الشريف مخالفاً بذلك جمهور العلماء - كما قلنا -) .

ويكمل د: قدورى مناقشته : وقد أداه اجتهاده (أى العز بن عبد السلام) أن في مذهبه مصلحة وتيسيراً على الأمة لكن يبدو أنه قد غاب عنه ما للرسم العثماني من دور في تصحيح القراءات !!، إضافة إلى كونه أثراً من أيدي الصحابة الكرام الذين منهم من تلقى القرآن وسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وأول من خطه في المصاحف !!، "ولم يكن ذلك من الصحابة كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق" وسيوضح لنا صدق هذه المقولة في الصفحات القادمة إن شاء الله. ﴿ انتهى رأيه !!!!. وهو رأى عظيم لينه حاول الوقوف عليه في تدبر النصوص على الصفحات التالية - كما سنرى - .

ويكمل قوله: ونتيجة لعجز بعض العلماء عن إدراك أسباب ورود بعض الكلمات مرسومة بميثة تخالف اللفظ من زيادة حرف أو نقصه، ذهب إلى أن رسم المصحف وهيئات صور الكلمات إنما هي توقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عير عن هذا المذهب بكل أبعاده الشيخ عبد العزيز الدباغ (١٠٩٠ - ١١٣٢هـ) فيما نقله عنه تلميذه أحمد بن المبارك (١٠٩٠ - ١١٥٥هـ) في كتاب الإبريز بقوله "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه

وسلم وهو الذى أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصائها لأسرار لا
تتمتدى إليها العقول... وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب
السمائية... وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز، وكيف تتمتدى العقول إلى سر
زيادة الألف فى (مائة) دون (فئة) وإلى سر زيادة الياء فى (بأييد) فى قوله تعالى: فى سورة
الذاريات وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف
فى (سعوا) من فى سورة الحج: ﴿ وَالَّذِينَ سَعُوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ آية ﴾ وعدم زيادتها فى
سبأ: ﴿ وَالَّذِينَ سَعُوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ فكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية وإنما
خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الربانى...".

وبالطبع كما سنرى، أنه لا يمكن أن يكون ذلك خطأ من الكاتب، أو تطور الكتابة هو الذى
ترك هذه الكلمة بألف والأخرى بدون ألف.. ولينتظر القارئ بحثنا حول هذه الكلمات
ومثيلاً خلال بحثنا هذا.

والعجيب أنه فى ص ١٧٢ وما بعدها تحت عنوان (حمل تلك الظاهرة على خطأ الكاتب)
يقول:

فإن طائفة أخرى من العلماء قد قصر نظرها، وأعجزتها الحيلة فى الوصول إلى تفسير
لذلك، ورأت أن أيسر السبل إلى حسم الموقف القول بخطأ الكاتب، وظنت أنها
أرتاحت وأراحت، ولكن سذاجة هذه المقولة واضحة وستتجلى أكثر فيما سيأتى..
ثم ينقل إلينا رأى الإمام (ابن قتيبة) الذى يشير إلى خطأ الكاتب للمصحف ويرد هو
عليه.. إلى أن يصل إلى قوله ((وسنجد أن الوجوه المخالفة التى أقلقت العلماء على مدى
القرون يمكن أن تكون دليلاً قوياً على رهاقة الحس اللغوى عند الصحابة الذين تولوا
كتابة القرآن العظيم، عندما حاولوا تدوين الظواهر الصوتية التى كانوا يحسونها عند
التلاوة، مع المحافظة على صورة الكلمات القديمة، فجاء الرسم محافظاً على صور
الكلمات المعهودة وممثلاً للعناصر الصوتية الجديدة.

((والعجيب أنه رغم هذا الكلام الطيب سيقوم بتديد رأيه المستمر فى سبب الكتابة على
هذه الصورة (مثل ملاً، وملؤاً)، ويؤكد على أن هذا الأمر خال من الحكمة سوى أن
هذا الرسم (الملؤاً) بالواو هو من بقايا الكتابة النبطية قبل تطور الكتابة لدى الصحابة..
ولا أدرى ما هو الفرق بين هذا الرأى والرأى القائل بأنه خطأ من الكاتب؟ وخاصة أن
رأيه - وإن كان أخف وطأة- يخلى هذا الرسم من الحكمة، التى لرأيناها وسراها على
صفحات بحثنا وتصرخ بأعلى صوتها وتنادى على أعلى درجات الإعجاز والإهمار.

وهو يريد أن يقول - وينقضه في مكان آخر- أن القرآن هنا يمثل خير تمثيل العلاقة بين الصوت اللغوي ورمزه الكتابي الذي يمثله.

فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ... فما تغني الآيات والنذر

وهو يريد أن يدعم قوله هذا برأى الإمام "الفراء" الذي يقول: وذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكتاب (أى الكتابة) على جهة واحدة - أى كاتبوا الوحى - ، ألا ترى أنهم كتبوا ﴿فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ﴾ في سورة القمر - بغير ياء (تغن) - وكتبوها بالياء في يونس، ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١).

وهنا نقف وقفة لا بد منها ونقول : أن موقف الإمام "الفراء" هذا: قد أنكره عليه جل العلماء؛ فهو يذكرنا بموقف عجيب آخر شبيه بهذا الموقف، اتخذه أعداء الإسلام مادة خصبة للطعن في صدق حديث القرآن - وإن كان هذا لا يقلل من شأنه كعالم جليل - وهو كأى عالم آخر، شأنه شأن النفس البشرية دائماً التى ليس لها العصمة المطلقة ، وكل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا المقام (الحبيب محمد ﷺ).

ونذكر مما ادعاه الإمام الفراء - على سبيل المثال - في معاني القرآن ج ٤ ص ١١٨ في قوله تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (الرحمن ٤٦)) قوله : أنه - أى الله - أراد جنة واحدة.. وأنه أتى بالثنى (جنتان) لأجل الفاصلة !! فقال مانصه (ذكر المفسرون أنها بستانان من بساتين الجنة، وقد يكون في العربية جنة تشبهها العرب في أشعارها) وهو بذلك يريد أن يجعل التثنية في (جنتان) ضرورة التجأ إليها القرآن كضرورة التجاء الشعراء للوزن والقافية في الشعر.. وقد رد (ابن قتيبة) عليه رداً قوياً فقال: (إنما يجوز في رءوس الآى زيادة هاء السكت (يقصد مثال (كتابه) و(حسابيه) في قوله: فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ: هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ (١٩، ٢٠) أو الألف في (الرسولاً ، السبيلاً) أو حذف همزة أو حرف (مثل : اخشونى واخشون) . ثم يكمل: فإما أن يكون الله وعد مجتنبين ، فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى (أى الفاصلة) فمعاذ الله! وكيف هذا وهو يصفها بصفات الإثنين ؟ قال ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ (٤٨)﴾ .. فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) .. فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)﴾ .. ولو أن قائلنا قال في خزنة النار : إهْم عَشْرُونَ وَإِمَامَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ تِسْعَةَ عَشَرَ لِرِعَايَةِ الْفَوَاصِلِ فِي قَوْلِهِ (لِوَاحَةٍ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ) المدثر ٣٠ ما كان هذا القول منه إلا كقول الفراء.

وأقول معلقاً: العجيب أنه لا حاجة ولا ضرورة لهذا الرأى الغريب من الإمام الفراء .. وكما تقول د(عائشة عبد الرحمن): أن المراد بهذه الآية جنتان (من الجن والإنس) أى (جنة للإنس وجنة للجن) .

وأقول مضيفاً : أن الذى يقرأ سياق السورة يعلم أنها تخاطب الإنس والجن حتى من بداية خلقهما (خلق الإنسان من .. والجان من ..) و(سنفرغ لكم أيها الثقلان.. و .. و ..) فأى غرابة فى ذكر جنتان ..

ثم إن هناك آراء أخرى تحكى أن للمؤمن جنة (هى جنته الأصلية فى حال طاعته لله ، وجنة أخرى كانت معدة للكافر - إذا عمل صالحاً - وبعد ذهابه للجحيم ورثها المؤمن فأصبحت له جنتان ..) (من قول الله تعالى: الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.. حيث المؤمن يرث الكافر فى مكانه الذى أعده الله له فى الجنة إذا هو آمن..).

وربما تكون للمؤمن جنة بعمله ، وجنة أخرى زيادة له وتفضلاً من الله له فوق عمله. وقال بذلك علماء ومفسرون كثيرون.

والعجيب أن القرآن الكريم حافل بمثل هذا العدول من صيغة لأخرى ، والأمثلة كثيرة منها قوله لآدم (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) ولم يقل (فتشقى) كما هو المتبادر فى حديثنا، وذلك لحكمة عالية أشار إليها العلماء - رداً على مثل هذه الدعاوى الشبيهة - فقالوا : إنه من المعلوم أن الذى يكذب فى طلب العيش ويضرب الأرض ويشقى هو الرجل وليس المرأة معه ولذلك أفرد (فتشقى)، وذلك بخلاف الحديث عن التوبة منهما الذى قال فيه عنهما ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ..)) فالتوبة من الاثنين فدكرها بلفظ التثنية.. وحتى لانطيل فى ذكر الأمثلة فليراجع القارئ سلسلة كتبنا فى الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم) .

ونعود للحديث مع(قدورى) واستناده على رأى الإمام الفراء حول سؤاله عن الآيتين:

﴿فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ﴾ فى القمر. بغير ياء، ووضع الياء فى آية يونس ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِى

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْآيَاتُ وَالتُّدْرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) يونس. بالياء

***وأقول : إنه لو تأمل قليلاً فى السياق السريع والملتهب للآيات فى سورة القمر -

الذى استدعى الحذف لهذه الياء- بل والآيات بعدها.. يدع الداغ.. أو تأمل فى شدة

واختصار نطق الكلمة فى (نكر)، التى تعطى جرس الشدة والقوة فى النطق (وتوالى الضم فى

النون والكاف الذى يحدث ثقلاً رهيباً يصور ثقل الموقف المنكر عليهم، واستخدم لفظ

(نُكِر) الذى يوحى بالسرعة والقوة، بدلاً من(نكير) الذى يوحى بالمط والتطويل والهدوء

الذى لا يتناسب مع جو سورة القمر المهول والمهيب والقوى والعاصف.. وهذه الشدة أيضاً في صورة الفعل ، ومعها السرعة والحسم أيضاً^(١)...
 ونعود ونذكر الكاتب بأنه لو رجع أيضاً لسياق سورة يونس جميعها، فإنه سيجد حوا مختلفاً تماماً، هو جو التفكير والهدوء والإمهال، حتى في سياق الآية المعروضة معنا هنا للمقارنة والتي لم يحدف منها (الياء) وتركها النص على طولها؛ لتناسب جو السورة المعروضة فيها لوجد الآتى:

(١) سياق القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حَكْمَةٌ بِاللُّغَةِ فَمَا تُغْنِ التَّذْذِرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ (٦) خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (٧) مُهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)﴾ القمر.
 (٢) سياق يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ قَرِيَّةً فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)﴾ والإمهال واضح في قصة يونس مع قومه، وهى القرية الوحيدة التى أمهلها الله ولم يعاجلها بالعقوبة) بل إنه يقول: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾..... ويكمل بعدها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَلَّتْ تِكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (في الوقت الذى يحدده الله. ولو شاء ربك، لأراهم علامة ولاضطروا إلى الإيمان ، كما فعل بقوم يونس ، ولكن لم يفعل ذلك لأن الدنيا دار ابتلاء ومحنة .. ولادخل هنا لجو السرعة والعذاب والإنذار المهيب، كما في سورة القمر) .. حتى قوله تعالى بعدها: وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) يقول المفسرون: { وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ } يعنى : الكفر { عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } يعنى : يترك حلاوة الكفر في قلوب الذين لا يرغبون في الإيمان،... ويقال: ويجعل الرجس، يعنى: الإثم، ويقال: الرجس يعنى: العذاب،.....((فليس الرجس هنا معناه العذاب فقط بل معناه الإثم أو الكفر).... ويقول أبو السعود في تفسيره وغيره... { قُلْ } مخاطباً لأهل مكة بعثاً لهم على التدبر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من تعجيب الآيات الأنفسية والآفاقية(ما بداخل النفس والآفاق) ليتضح لك أنهم من الذين لا يعقلون وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْكَلِمَةُ { انظروا } أي تفكروا .. { مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } أي أي شيء بدعيّ فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته

(١)(وراجع التفصيل في كتابنا: الإعجاز القصصى والتكرار في القرآن الكريم لتعرف كيف يرسم القرآن بحروف الكلمة المشهد المعروض وتحكيه بحروفها وجرسها).

..... ثم يدعوهم بعد ذلك دعوة تأمل ونظر وتروى في السموات على اتساعها والأرض -أيضاً- بالسير والنظر والتأمل فيهما، حيث يقول: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عَنِ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١) .. ولاحظ: تكرار لا يؤمنون.. وقبلها: على الذين لا يعقلون.. وكل هذه الألفاظ لاتناسب جو السرعة والإنذار.. بل إنه يقول هنا ﴿وَمَا تُعْطِي السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾. بإضافة كلمة (الآيات) التي تستغرق الوقت الطويل في إحصائها ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ .. فهي ليست نذر فقط-كما في آية القمر(فما تغن النذر)-ولكنها هنا الآيات والنذر، (وهنا طول-أيضاً-في سياق هذه الآية نفسها) يناسبه الطول في حروف كلمة (وما تغنى) بالياء أى أنه إطناب مع إطناب وإيجاز مع إيجاز في روعة وتناسق وإيجاز. بخلاف الآية في سورة القمر: وما تغني النذر .. حيث حذف منها كلمة (الآيات) وقابلها بحذف الياء في كلمة (وما تغني)..... وراجع بحث ﴿وَيَسِّرْ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) . والأمثلة الكثيرة على هذا التناسق والإبداع في تصوير المشهد تصويراً صادقاً بحروف الكلمة وجرسها.. فأى عجب هنا في فكر الكاتب الذي لم يعط نفسه فرصة لقراءة النصوص وظل يردد: أن هذه الإضافة للحرف كانت موجودة (تاريخياً) في اللغة النبطية ، والقرآن سجل ذلك، وبقي أثر هذه الكتابة موجوداً قبل تطور الخط وتحسنه وتقديمه ؟



ويسأل عن سبب كتابة (ثمود) مرة بالألف والأخرى بدون الألف..ونرد عليه بأنه لو حاول استشهاد النصوص على الواقع لتبين له حقيقة ما سأل عنه في كل كتابه وهذا نموذج كنا قد تركناه وتذكرناه الآن ونحن نعيد قراءة كتابه:

ثمود - ثمودا

ويسأل - على سبيل المثال - عن سر زيادة الألف في (ثمودا). ويجعل ذلك من بقايا الكتابة النبطية (بالألف) التي حافظ عليها وسجلها القرآن، دون إبداء وجه حكمة أخرى في ذلك. وعند النظر في سياق آيات (ثمودا) بالألف وبدون الألف يتبين الآتي:

(١) في هود ﴿كَأَن لَّمْ يَخْتَفُوا فِيهَا آلَ آدَمَ إِنَّ (ثَمُودًا) كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ (٦٨) ... نجد أن (ثمودا) منصوبة بأن .. إضافة إلى صورة الهلاك والتشيع باللعنة والإبعاد.

(٢) وفي الفرقان: ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلُوكًا لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٧) وَعَادًا (وَتَمُودًا) وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) ﴿يَقْصِدُ : وأهلكنا عاداً وثموداً .. فثمودا مفعول به منصوب أيضاً).

(٣) وفي العنكبوت: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِاثِمِينَ﴾ (٣٧) وَعَادَا (وَتَمُودًا) وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨). (يقصد : وأخذنا عاداً وثموداً .. مفعول به منصوب).

(٤) وفي النجم: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) (وَتَمُودًا) فَمَا أَبْقَى (٥١)﴾ ((منصوب أيضاً ، ولاحظ أيضاً صورة الإهلاك والإبادة).

ثم يقول هو نفسه: بالرجوع لقراءات الإمامة نجد أن كلاً من : نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي قد قرأ الأربعة بالتنوين. (يقصد التنوين بالفتح والذي عوض عنه في الرسم بالألف في نهاية الكلمة). ويقول: وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص بترك التنوين فيها.. وهذه الألف أصبحت عوضاً عن التنوين - .

وأنا أقول له : هذا الكلام الذي قلته كاف للرد على تعجبك ، ودليل إعجاز على محافظة الرسم لهذه القراءات ؛ حيث أن هذه الكلمات لو كتبت بدون ألف فإنه في هذه الحالة لا يجوز فيها إلا قراءة واحدة وهي التي بدون التنوين ، أما في حالة وجود الألف - بدون تنوين - فسمحت بالقراءتين معاً.

وفوق كل ذلك وتبعاً لباقي تعجباته من بعض الكلمات المشابهة أدعوه ليراجع ما قاله علماء البلاغة في التنوين المخفف عند شرحنا قوله (لنسفعا) و(ليكوناً من الصاغرين) وسيعلم أنها لم تكتب تنويناً لتسمح بتواجد القراءة الأخرى والإشارة إليها ، والحكم أخرى أترك علماء البلاغة وقران البيان يوضحوا له ذلك على الصفحات الماضية، وسيرى أن هذا اللون من الإعجاز في رسم الكلمة هو الذي حافظ على هذه القراءات . ولكن د: قدورى يصر على الإلتزام بهذا المنهج التفسيري الخاص ، ثم يعيدنا للحديث عن المنهج التاريخي حيث يقول معلقاً : في ص ٢٠٤ : (فلعل بعض ظواهر الرسم ترجع إلى فترة تاريخية سبقت نسخ المصاحف واحتفظت بها الكتابة على نحو ما بينا..).

ويصر على أن يأخذنا معه في وهم وسراب دون دليل موثوق به سوى الظن والتخمين ، ودون الوقوف على النصوص ومقارنتها أو سماع رأى علماء البيان وعلماء القراءات فيها- كما رأينا - . وهاهي النصوص وأقوال العلماء:

ونعود لنكمل باقى الآيات التي ذكرت فيها(ثمود) بدون ألف:

ثمود

(٥) ﴿وَأَلَى (تَمُودَ) أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣) الاعراف.

نجد كلمة (ثمود) مجرورة فلا يصح وضع الألف فيها.. وسياق الآيات سياق دعوة هادئة وليس فيها وصف العذاب والهلاك والإبادة الذي ذكر في الآيات الأربعة السابقة التي ركز فيها على (وصف) ذلك الهلاك ، أو نعتهم وتشبيعهم بأقبح الأوصاف - والتي عبر فيها عن ذلك بزيادة الألف - التي توحى بالتركيز والوقوف على الكلمة - كما وقف عليها النص بالوصف والتشيع - . ومثلها الآية التالية:

(٦) ﴿وَالِي (ثَمُودَ) أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَفِرُّوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)﴾. هود.
نجد كلمة (ثمود) مجرورة ، وهذا بخلاف الآية التالية:

(٧) ﴿***فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذْ غَيْرُ مَكْدُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِّنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَسِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا آلَا إِنَّ (ثَمُودًا) كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَثَمُودَ (٦٨)﴾ هود..

وهنا نضيف فوق ما سبق أن هذه الآيات فيها تصوير بالصورة ، مصاحب لهلاكهم ، وفيها التوكيد على شدة هلاكهم - كما في الآيات (الأربعة) السابقة - وقصتهم هنا كاملة.

ويقول الألوسي: ومنعه من الصرف حفص وحمة نظراً إلى القبيلة (يقصد ثمود بدون تنوين) وصرفه (أى نونه-) وذلك بتنوين الألف) أكثر السبعة نظراً إلى الحي كما قدمنا آنفاً ، { ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ } صرح بكفرهم مع كونه معلوماً مما سبق من أحوالهم تقيحاً لحالهم وتعليلاً لاستحقاقهم الدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله سبحانه : { أَلَا بُعْدًا لَثَمُودَ } .. تكرر وتوكيد للنعيم.

(٨) * (كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ (٩٥)﴾ هود.. (هنا مرفوعة) فلا يسأل عن عدم زيادة الألف.

وما زال الحديث يشيع ثمود باللعة ويعيد الصورة للمشاهد.. وهنا نعود للآيات الأربعة مرة ثانية:

(١) في هود ﴿كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا أَلَا إِنَّ (ثَمُودًا) كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَثَمُودَ (٦٨)﴾ ... نجد أن (ثمودا) منصوبة بإن .. إضافة إلى صورة الهلاك والتشيع باللعة والإبعاد.

(٢) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَا هُمْ

وَجَعَلْنَا لَهُمُ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَنُجُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) { تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا } ... والمراد به التمزيق والإهلاك أي أهلكنا كل واحد منهم إهلاكاً عجيباً هائلاً ...

ولاحظ التوكيدات أيضاً على الأمم السابقة بالمفعول المطلق. يقول الطاهر: وتونين { عاداً وثموداً } مع أن المراد الأمتان . فأما تونين { عاداً } فهو وجه وجيه لأنه اسم عربي عن علامة التأنيث وغير زائد على ثلاثة أحرف فحقه الصرف وأما صَرْفُ { ثموداً } في قراءة الجمهور فعلى اعتبار اسم الأب ، والأظهر عندي أن تونينه للمزاوجة مع { عاداً } كما قال تعالى : { سَلَّاسِلًا وَأَعْلَالًا وَسَعِيرًا } [الإنسان : ٤] .
وقرأه حمزة وحفص ويعقوب بغير تونين على ما يقتضيه ظاهر اسم الأمة من التأنيث المعنوي . وتقدم ذكر عاد في سورة الأعراف .

(٣) ﴿وَعَادًا وَنُجُودًا وَقَدْ تَبَّيْنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨) العنكبوت.

(٤) ﴿وَأِنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَنُجُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ (٥١) . النجم

*** ملحوظات على الأربعة آيات السابقة التي وضع بها الألف (ثمودا):

- (١) (أن ثمودا) مكتوب على ألف (ثمودا) علامة الوصل وليس التونين. لتصلح للقراءتين.
- (٢) تصوير لشدة العذاب وتشبيعهم أيضاً بالوصف الذي يستحقون به العذاب، ودعوة للنظر والتأكيد على ما حدث وَقَدْ تَبَّيْنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ .
- (٣) وصف العذاب بصيغة التأكيد (دمرناهم تدميراً) ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ بخلاف السياقات التالية.

وهنا نسأل : فما المانع من إضافة الألف هنا - بهذه الصورة المعجزة- وحذفها هناك؟؟ - كما في الأمثلة التالية التي تحلوا من هذه المعاني.

(٤) ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (٥٩) الإسراء (قراءة واحدة ، وهنا السياق - كما نراه - سياقاً هادئاً).

(٥) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) .. وَلَا تَمْسُوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا سَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٥٩) الشعراء.

أهـى قصتهم بدون هذا التصوير البطيء لعذابهم - كما في الآيات السابقة - وبدون استخدام أساليب التوكيد السابقة على عذابهم واكتفى فقط بقوله، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ.. وبدون تشبيعهم باللعنة، وإليك باقى الآيات التى تأخذ الكلمة (ثمود) صيغة إعرابية أخرى غير النصب ، وفيها لانسأل عن سبب عدم زيادة الألف:

(٢) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥) النمل .. بجزور بالفتحة نيابة عن الكسرة.

(٣) ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٣) الذاريات.

(٤) ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) فصلت .. مرفوع.

(٥) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣) مرفوع.

(٦) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ (٤) مرفوع.

(٧) ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (٥) مرفوع.

(٨) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ (١١) مرفوع.



ثم ينقل أن هذه الكلمات بدون ألف:

قال (رجلسن)... و(امرأتسن)..و (آخرن).. بدون ألف، ولكننا بعد الرجوع للمصحف لدينا نجد أن هذه الكلمات مكتوبة كلها بالألف { قَالَ رَجُلَانِ } .. وربما يكون ذلك بمثابة قراءتين للمثنى كما رأينا ذلك فى تعليقنا على رسم كلمة (هذَن) فى قوله تعالى:

﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا نِسْجَرَانِ ﴾ لمن يقرأ هذا المثنى دائماً بالرفع حتى ولو كان اسم (إن)

فى بعض القبائل، والقبائل الأخرى تحركه بالرفع إذا كان مرفوعاً، وبالنصب إذا كان منصوباً..... ونقول له أن هذه الكلمات (بلفظ المثنى) كتبت بألف ظاهرة، كحال المثنى، إلا ما استثنى - كما سنبينه فى بحثنا - بخلاف رسم كلمة: (قَالُوا إِنَّ هَذَا نِسْجَرَانِ) بدون ألف .. وأرجو من القارئ الكريم أن يراجع كتب التفسير ويراجع تعليقنا على هذا المثال (قَالُوا إِنَّ هَذَا نِسْجَرَانِ) ليعلم لماذا كتبت هذه الكلمة بدون ألف .. ثم يراجع رحلتنا مع

الإمام الدانى وصحة ورود هذه الكلمات على هذه الصورة فى المصاحف الأخرى.

ثم يوقفنا وقفة على كلمة

(نَسْجِي ، نُسْجِي)

(١) ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنبياء.. قال أبو

السعود: { نُسْجِي الْمُؤْمِنِينَ } .. وفى الإمام نسْجِي ، فلذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها

تخفى مع حروف الفم ، وقرىء بتشديد الجيم على أن أصله نُنجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون .. وقيل: هو ماضٍ مجهولٌ أسند إلى ضمير المصدر وسُكن آخره تخفيفاً ورُدَّ بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور ، والماضي لا يسكن آخره .
(إذن هناك ترجيح إلى أنها لم تكن هنا فعل ماضٍ (نَجِي)).

ويقول الطاهر: .. وقرأ جمهور القراء بإثبات النونين في النطق فيكون حذف إحدى النونين في الخط مجرد تنبيه على اعتبار من اعتبارات الأداء.
ونلاحظ أنها مكتوبة بالنون الثانية فوق الجيم.

(٢) يوسف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ .. كتبت بنون واحدة ولا توجد نون أخرى فوق الجيم .. لأنه واضح أن الفعل هنا (فعل ماضٍ) انتهى .. بخلاف (ننجي) فهو مضارع ومستمر ومتكرر، كما توحى به صيغة الفعل المضارع، الذي يؤكد ذلك هو قوله تعالى قبلها (وكذلك) ننجي .. ويقول الطاهر: وقرأ الجمهور {فَنُجِّي} بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء مضارع أنجى، {من نشاء} مفعول {ننجي}، وقرأه ابن عامر وعاصم {فَنُجِّي} بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم مكسورة وفتح التحتية على أنه ماضٍ {نَجَى} المضاعف بني للنائب، وعليه فمن نشاء} هو نائب الفاعل، والجمع بين الماضي في (نَجِي) والمضارع في {نشاء} احتياك ، تقديره فَتَجِي من شئنا ممن نجى في القرون السالفة وننجي من نشاء في المستقبل من المكذبين .

ويقول الرازي: واعلم أن هذا حكاية حال، ألا ترى أن القصة فيما مضى، وإنما حكى فعل الحال كما أن قوله: {هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص ١٥] إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية .

((وإن كنت أرى أن سياق آية يوسف سياق الماضي ويناسبه بالفعل قراءة (نَجِي) فعل ماضٍ خاص بيوسف ومن مضى .. بخلاف سياق الآيات في قصة يونس فالله عز وجل نجى يونس بذكره لله وقال بعدها (وكذلك) ننجي المؤمنين ؛ أى في المستقبل وفي كل زمان فيناسبها قراءة (ننجي) بنونين التي تتحدث عن المستقبل، والعجيب أنها كتبت بنون فوقها نون أخرى لتشير إلى هذه المعاني .

وتقول لهذا أو ذاك من المعاندين غير المتدبرين: إن هناك قراءتين، والراجح هو قراءة النونين هنا .. فهل هناك أروع وأعجب من ذلك . فهذا-والله- قمة الإعجاز .



ويسأل:

لماذا كتبت كلمات بلامين ، وأخرى بلام واحدة ، مثل (اللعنون- التي مفردها اللاعن- اللعن-)، اللغو، اللهو، اللؤلؤ، اللت (اللات)، اللمم، اللهب، اللطيف، اللوامة، الله، اللهم .(وأقول - والله أعلم - أنه لو حذفت اللام لاشتبه الرسم بمعان أخرى ولو وقع اللبس؛ وعلى سبيل المثال في هذه الكلمات على الترتيب سيصبح المعنى: ألعن ، الغو ، أهو، أهب، أطف، أطم ، ألومه ، أله ، أطم (وكلها تعطى صيغة الأفعال وهذا غير مراد).

(ونلاحظ أيضاً الحركة والترديد والظهور الشديد لكلمة (اللؤلؤ)، اللهب .. والتفخيم لفظ الجلالة وصفة اللطيف في الأمثلة السابقة.. بخلاف سكون الليل وهموده وتآكله وتناقضه الذي يستدعي مخالفة الرسم بحذف الألف من -اليل - بلام واحدة- بخلاف (التهار) بالألف- لما فيه من الظهور والإظهار.



أما الأسماء الموصولة (الذي، التي، الذين، التي، التي). فحذفت للتخفيف، ولكثرة الاستعمال، والأمن من اللبس مع كلمات أخرى.



ويسأل عن سبب اختلاف (المصيطنون ، .. بمصيطن .. وَيَبْصُطُ . وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً . يبصط .) ويحاول توجيهها نحوياً، حيث يقول: (وقد أجاز النحويون في كل سين وقعت بعدها غين أو خاء معجمتان أو قاف أو طاء أن تبدل صاداً)، ولم يحاول هو أن يعيد النظر ليرى أن الكلمات واحدة، وتنطبق عليها نفس القاعدة، ولكنها قد كتبت إحداهما بالسين والأخرى بالصاد، فالأمر ليس هذه القاعدة، بل له أسباب ولطائف وإشارات قد أشار إليها الأئمة الأعلام مثل: الإمام المراكشي والزرکشي، وإليك طرفاً مما قالوه على عجاله سريعة:

(بسطة وبصطة)

وهنا أنقل له مؤقتاً رأى الإمام الزرکشي في البرهان: تحت عنوان: فصل حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى :
مثل وزاده بسطة في العلم والجسم، (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً)، (يسبط الرزق لمن يشاء)، (والله يقبض ويبسط) يقول الإمام:
فبالسين (السعة الجزئية) كذلك (علة التقييد).

وبالصاد (السعة الكلية)، بدليل علو معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع الجهازة والإطباق .
 (((وهنا أقف معك عزيزي القارئ لتوضيح مقصود الأئمة الأعلام، ولتوضيح ما
 يقوله الإمام الزركشي نقول: إن الذي يعيش النظم القرآني ويتأمله عن قرب وعمق يرى
 العجب العجاب والإهار والإعجاز: فحينما أراد الله أن يصور فضله على عباده قال
 (يقبض ويبسط) في آية البقرة من ﴿ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا
 كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٠) وقال في آية أخرى عن "طالوت"
 أن الله آتاه (بسطة) في العلم والجسم . ولكن في الرسم القرآني المعجز، عندما يعبر بصورة
 حروفه وجرسها الصوتي عن المشهد الذي تمثله الكلمة، حدث الآتي:

(١) حينما تحدث الله عن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ فهو
 يتحدث هنا عن قدرة الله على (قبض) أرواح الألواف (وبسطها) ثم قال في الآية بعدها ﴿ مِنْ
 ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٤٥) سورة البقرة فهو في الآية الثانية يتحدث عن قبض الرزق -
 تضييقه - وبسطه، وكان من الروعة والإهار في البيان القرآني أن قال: (والله يقبض
 ويبسط) فقط، ولم يقل: فالله يقبض الرزق ويبسطه؛ لأنه راعى سياق الآيتين معاً فهو يقبض
 الروح في الآية الأولى، والرزق في الثانية، ويبسط الروح في الآية الأولى، والرزق في
 الثانية، وهذا من إعجاز اللفظ في القرآن (إذن هو قبض "عام" للأرواح والأرزاق "معاً"
 وللألواف الكثيرة، وهذا هو معنى: السعة الكلية.

و العجيب أن الآية قد كتبت في الرسم القرآني (يبسط) (بالصاد)، ورسم فوقها حرف
 (السين)، مما يدل على أن الأولى في القراءة لكلمة يبسط هنا هي أن تُقرأ بحرف الصاد
 وكلنا يعلم الفارق بين السين برقتها وهمسها، وبين الصاد بتفخيمها، وهو ما يناسب هذا
 الموقف التفخيمي (بسط الأرواح والأرزاق) معاً ولهذا البشرية جميعها، وهذا ما يعنيه الإمام
 في قوله: فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقييد، وبالصاد السعة الكلية، بدليل علو
 معنى الإطلاق وعلو الصاد مع الجهازة والإطباق .

ومثلها الآية ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾
 (٦٩) سورة الأعراف، فهو يتكلم عن قوم عاد المتحجرين والمتكبرين جميعهم. بما أعطاهم الله
 لهم من بسطة واسعة وفخمة في قوتهم وفي النعم العديدة عليهم فكتبت (بسطه) بالصاد
 (حرف التفخيم) الذي يناسب الموقف المفخم بخلاف الآية الآتية:

(٢): ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴿٢٤٧﴾ سورة البقرة فهنا الحديث عن فرد واحد وهو طالوت الذي أعطاه أمراً بسيطاً، بسطة في العلم والجسم، والفرد واحد بالمقارنة مع الموقف السابق، ولذلك كتبت هنا: زاده بسطه (بالسين) وليس بالصاد وهذا معنى قوله: فبالسين (السعة الجزئية) كذلك (علة التقييد).

وهكذا نرى من خلال الرسم المعجز للكلمة أنه إذا تحدث عن جمهور كبير (فخامة العدد) مع (تفخيم الموقف) ناسبها أن تكتب بحرف الصاد، والعكس مع طالوت كتبت (بالسين) لقلة العدد وبساطة الموقف وهذا من روائع البيان في تصوير الحرف للمشاهد المعروض. فلقد رأينا مقدار الإطلاق في القبض والبسط وكيف رسمه حرف السين (الأضعف) أو الصاد (الأقوى)، وعلى الجانب الآخر فقد رأينا في عشر مواضع وجد فيه (البسط) مقيداً بالرزق فقط، فكتبت بالسين هكذا:

اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٢٦﴾ الرعد.

إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٣٠﴾ الاسراء.

يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴿٨٢﴾ الكهف.

اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴿٦٢﴾ العنكبوت.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٣٧﴾ الروم.

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٣٦﴾ سبأ.

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴿٣٩﴾ سبأ.

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٥٢﴾ الزمر.

يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿١٢﴾ الشورى.

ويعلق د: فاضل السامرائي بأن: البسط في غير آية البقرة مقيد كما ترى، فجاء للمقيد بالسين، وللמطلق الذي هو أقوى وأعم بالصاد (آية البقرة هي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣) وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥).

ونعود لنذكر ونكمل ما قاله الإمام الزركشي (في استخدام السين أو الصاد) في الكلمة الواحدة فيقول: عنوان: فصل حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى

مثل وزاده بسطة في العلم والجسم وزادكم في الخلق بصطة يسط الزق لمن يشاء والله يقبض ويصط فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقييد وبالصاد السعة الكلية بدليل علو معنى الإطلاق وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق.

وكذلك فأتوا بسورة في أي صورة، فضرب بينهم بسور ونفخ في الصور؛ فبالسين ما يحصر الشيء خارجاً عنه، وبالصاد ما تضمنه منه.

وكذلك يعلم ما يسرون، وكانوا يصرون؛ فبالسين من السر وبالصاد من التماذي . وكذلك يسحبون في النار ، ومنا يصحبون؛ فبالسين من الجر وبالصاد من الصحبة وكذلك نحن قسمنا بينهم، وكم قسمنا... بالسين تفريق الأرزاق والإنعام ، وبالصاد تفريق الإهلاك والإعدام ((ولاحظ أن علو نبرة التهديد والانتقام يناسبها حرف الصاد بدليل علو معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق... والعكس بالعكس مع حرف السين عند تفريق الأرزاق والإنعام ، وهذا الملحظ الهام جداً سنلاحظه كثيراً في رحلتنا هذه مع الإعجاز في رسم المصحف وخاصة مع زيادة الألف (في الإهلاك والوعيد وعلو نبرة الحديث في سياق الآيات والأحداث) ونقص الألف (في البشارة والوعد وانخفاض نبرة الحديث في سياق الآيات والأحداث) وأرجو من القارئ ألا ينسى هذا الملحظ فهو ليس فلتة عابرة بل هو آية متكررة).

وكذلك وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة؛ بالصاد منعمة بما (تشتبهه الأنفس) ، وبالطاء منعمة بما (تلذ الأعين) . ((وأرجو من القارئ الذي لم يفهم حتى قواعد التجويد، ولم يدرس صوتيات الحروف، أن يتأمل ويتسمع لصوت الضاد والطاء وينطق بهما، وكيف أن ظهور حرف الطاء يناسب الظهور المادي الذي تراه العين بخلاف حرف الضاد ومناسبته لما تشتبهه الأنفس . وهذا الباب كثير يكفي فيه اليسير).

انتهى كلام الإمام الزركشي . مع التعليق المبسط عليه وللقارئ أن يجيب بنفسه على تساؤل صاحب الكتاب د: قدوري الذي يشير بعض العلماء الأفاضل إلى قراءة كتابه لإراحة أنفسهم من عناء البحث والتدبير على أرض الواقع، أو استحضار النصوص والتنقيب فيها، أو سماع آراء العلماء الآخرين الذين أعطوا وقتاً كبيراً وجهداً زائداً لهذا النوع من الإعجاز (رسم المصحف) وإن كنا نعذر بعض العلماء لسعة علمهم في تخصصهم أو توسعهم في كافة علوم القرآن دون التخصص والتركيز على هذا النوع من الإعجاز، وربما يوجد من اللطائف الكثيرة التي تخفى على أمثالنا وأمثال العلماء القدامى أيضاً ، ويأتي الدهر بما يفتح الله على غيرنا ويرون ما لانراه وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ وقد أخبرنا النبي (ﷺ) بأن أجل هذه النعم وهذا الفضل هو (فهم يؤتاه المرء في كتاب الله).

ويقول الإمام الزركشى بعد توضيحه الإعجاز والابهار في قول الله (ذا النون) ولماذا قال عنه في آية أخرى (صاحب الحوت) ...، يقول بعدها: فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب مفترض.

وهنا أسوق له أمثلة مشابهة لما قاله علماء البلاغة وفرسان البيان في عصرنا هذا ومنهم الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي ليعلم أن القرآن الكريم يراعى في رسم الكلمة ما يتلاءم مع صوتها والمشهد الذى تعبر عنه:

وتحت عنوان: التشابه والاختلاف

يقول: في القرآن الكريم آيات وتعبيرات تشابه مع تعبيرات أخرى ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة، كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة أو نحو ذلك، وإذا تأملت هذا التشابه والاختلاف وجدته أمراً مقصوداً في كل جزئية من جزئياته قائماً على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز، وكلما تأملت في ذلك ازددت عجباً وانكشف لك سر مستور، أو كثر مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم.

فمن ذلك استعمال لفظ (مكة)، (بكة) لأم القرى. جاء في قوله تعالى: في آل عمران (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين (٩٦) فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (٩٧) فاستعمل اللفظ (بكة) بالباء في حين قال: في الفتح ٢٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤)﴾ فاستعمل لفظ (مكة) بالميم وهو الاسم المشهور لأم القرى؛ وسبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآية في سياق الحج: (ولله على الناس حج البيت) فجاء بالاسم (بكة) من لفظ (البك) الدال على الزحام لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أى: يزحم بعضهم بعضاً، وسميت (بكة) لأنهم يزدهمون فيها، وليس السياق كذلك في آية الفتح فجاء بالاسم المشهور لها أعنى: (مكة) بالميم فوضع كل لفظ في السياق الذى يقتضيه والله أعلم.

ولعلى أضيف توضيحاً آخر لذلك: هو أن النبي (ﷺ) في يوم فتح مكة كان قد دخلها وقد نخلت الطرقات من أهل البلدة التى تركوها ودخلو بيوتهم وعلو أسطح منازلها، وأصبحت الطرقات بلا زحام أو حرب أو مقاومة، وهذا هو معنى قوله تعالى (من بعد أن أظفركم عليهم)، ولم يقل من بعد أن نصركم عليهم؛ فالظفر دون حرب أو مقاومة بخلاف النصر الذى يستدعى الحرب والمقاومة.

والأمر الآخر هو: أن النبي (ﷺ) دخل وهو المنتصر، خافضاً رأسه تواضعاً لله، وكانت تذرّف العبرات من عينيه (ﷺ) ومن أعين الصحابة فرحاً بالنصر لدين الله وشكراً لله عليه .. وسكب العبرات هذا هو ما تشير إليه كلمة "مكة" - عند علماء اللغة - التي هي من (المك) وهو سكب العبرات، وهو أصل التسمية لهذا البلد الحرام "مكة" حيث إنهم كانوا يأتونها لسكب العبرات وإسقاط الذنوب كما كانوا يدعون ويفعلون!

وهنا أضيف رأياً آخر للإمام الطاهر بن عاشور حيث يقول:

والظاهر عندي أنّ بكة اسم بمعنى البلدة وضعه إبراهيم علماً على المكان الذي عينه لسكنى ولده بنية أن يكون بلداً، فيكون أصله من اللغة الكلدانية، لغة إبراهيم، ألا ترى أنّهم سمّوا مدينة (بعلبك) أي بلد بعل وهو معبود الكلدانيين، ومن إعجاز القرآن اختيار هذا اللفظ عند ذكر كونه أول بيت، فلاحظ أيضاً الاسم الأوّل، ويؤيد ذلك قوله: { ربّ هذه البلدة } [النمل: ٩١] وقوله: { ربّ اجعل هذا البلد آمناً } [إبراهيم: ٣٥]. وقد قيل: إنّ بكة مشتق من البك وهو الازدحام، ولا أحسب قصد ذلك لواقع الاسم.

وعدّل عن تعريف البيت باسمه العَلَم بالعلبة، وهو الكعبة، إلى تعريفه بالموصولية بأئمه (الذي ببكة): لأنّ هذه الصلّة صارت أشهر في تعينه عند السامعين، إذ ليس في مكة يومئذ بيت للعبادة غيره، بخلاف اسم الكعبة: فقد أطلق اسم الكعبة على القليس السدي بناه الحبشة في صنعاء لدين النصرانية ولقبوه الكعبة اليمانية ... والمعنى أنّه أول بيت عبادة حقّة وضع لإعلان التوحيد، بقرينة المقام، وبقرينة قوله: { وُضع للنّاس } المقتضى أنّه من وضع واضع لمصلحة النّاس، لأنّه لو كان بيت سكنى لقليل وضعه النّاس، وبقرينة مجيء الحاليين بعد؛ وهما قوله: { مباركاً وهدى للعالمين }.



وحول الإجابة عن تساؤل حول:

رسم التنوين ألفا في قوله: (ليكونا من الصاغرين، لنسفعاً بالناصية) ولم ترسم (ليكونن ..) ولنسفعن ..) كما هو متوقع في إضافة نون التوكيد للكلمة.

راجع ما قاله الدكتور: فاضل السامرائي وقد عرضناه على الصفحات الماضية.
وكلمة (الرسولا والسبيلا والظنوننا) وقد قال عنها كاتبنا -غانم قدوري- كما قال غيره أيضاً من أهل العلم السابقين والمعاصرين لنا، أنّها جاءت على هذه الصورة بزيادة الألف لتناسب الفاصلة - رعوس الآيات -! وأضافوا لذلك أيضاً كلمتي: (سلسلا.. وأغلالاً).. واختلفت المصاحف في (قواريرا من فضة) الثانية.

وهنا قبل أن نتقل مع الكاتب : غام قدورى لباب آخر، أقف معه على تجاهله - ولا أظن فيه عدم علمه- بأساليب التوكيد البلاغية المختلفة، والتي تساءل هو عن بعضها مثل: لماذا كتبت (لنسفعا) بدون النون ولم تكتب (لنسفعن)؟، ولماذا كتبت (ليكونا من الصاغرين) بدلاً من (ليكونن) بنون التوكيد؟.. وهنا أترك د: فاضل السامرائى ليشرح له ولنا لماذا حدث ذلك؟ ثم تبعه بالدرس البلاغى المكمل، ليعلم السائل والقارئ أن هذا الرسم القرآنى لا يفصل عن الإعجاز البلاغى، وأفهما من نسيج واحد، حيث يقول:

ومن ذلك قوله تعالى على لسان امرأة عزيز مصر فى يوسف: فى سورة يوسف ٣٢ ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَسَبَحْتُنَّ وَليكوناً من الصاغرين (٣٢)﴾. فقال: (ليسجنن) بنون التوكيد الثقيلة ثم قال: (وليكونا من الصاغرين) بتخفيف النون قالوا وذلك "أن امرأة العزيز كانت اشد حرصاً على سجنه من أن يكون صاغراً" فزاد نونا حيث اقتضى المقام زيادة التوكيد وخفف حيث اقتضى تخفيفه

الدكر والحذف

يدخل فى هذا الموضوع ما حذف وأصله أن يذكر، كحذف حرف أو فعل أو اسم مما أصله أن يذكر، كما يدخل فيه فى ما ذكر فى موطن ولم يذكر فى موطن آخر يبدو شبيهاً به لأن الموطن اقتضاه.

القسم الأول:

قد يحذف فى التعبير القرآنى لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق فقد يحذف حرفاً أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف كل ذلك لغرض بلاغى تلحظ فيه غاية الفن والجمال فمن ذلك قوله تعالى فى (الكهف) ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ وهذه الآية قالها ربنا فى السد الذى صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب قال تعالى: على لسان ذو القرنين فى الكهف ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ لِقَطْرًا (٩٦) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ فقال: (فما استطاعوا ان يظهره) أى: يصعدوا عليه فحذف التاء والأصل: (استطاعوا) ثم قال: (وما استطاعوا له نقباً) بإبقاء التاء.

وذلك أنه لما كان صعود السد، الذى هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسر من نقيه وأخف عملاً، خفف الفعل للعمل الخفيف، فحذف التاء فقال: (فما استطاعوا أن يظهره)، وطول الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل فقال: (وما استطاعوا له نقباً) فحذف التاء فى الصعود وجاء بها فى النقب.

ومن ذلك قوله تعالى: في آل عمران ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥٢) وقوله في المائدة ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١١١). فحذفت النون من (أنا) في آية آل عمران وثبتت في آية المائدة فقيل (إننا)، وسبب ذلك والله أعلم "أن آية المائدة لما ورد فيها من التفصيل فيما يجب الإيمان به وذلك قوله: (أن آمنوا بي وبرسولي) فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاهها ناسب ذلك (أننا) على أوفى الحالين وهو الورد على الأصل ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في سورة آل عمران حين قال تعالى: (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله) فلم يقع هنا: (وبرسوله) إيجازاً للعلم به وشهادة السياق، ناسب هذا الإيجاز الإيجاز، كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام فقيل هنا: (واشهد بأننا مسلمون) وجاء كل على ما يجب ولو قدر ورود العكس لما ناسب".

يضاف إلى ذلك أنه قال في المائدة: (وإذا أوحيت إلى الحواريين) أي أن الله هو الذي أوحى إليهم وثبتهم فناسب ذلك زيادة النون تأكيداً لأن النون قد تأتي في مقام التأكيد، ولم يرد مثل ذلك في آية آل عمران فناسب كل في موضعه.

ثم يكمل أستاذنا فاضل السامرائي درسه البلاغي فيقول:

ومن طريف ذلك قوله تعالى: في الواقعة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾.. فقال في آية الزرع: (لو

نشأ لجعلناه حطاباً فظلمت تفكّهون) باللام في (لجعلناه) وقال في آية الماء: (لو نشأ جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون) فتم يذكر اللام؛ وذلك لسر لطيف وهو أنه ذكر عمل الإنسان في الحراثة والزرع وبذل الجهد فيهما فقال: في الواقعة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) ﴿٦٥﴾ فإن الزراعة والحراثة تقتضي بذل جهد كبير ليسوى الزرع على سوقه، بخلاف آية الماء، فإنه لم يذكر بذل جهد فيه للإنسان، بل قال: في الواقعة ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) أَلَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) .

فآية الزرع ذكر فيها بذل الجهد والعمل بخلاف آية الماء فإنه لم يذكر فيها شيئاً. ثم إن الإنسان إذا حرث وزرع وبذل جهداً ومراقبة حتى إذا استوى زرعه على سوقه وحن

وقت الاستفادة منه أصبح حطاماً، كان ذلك أشق شئ عليه، لأنه يرى عمله وكده وإنفاقه ذهب وضاع هباء وضاع سُدى، ألا ترى إلى قوله تعالى فيما بعد: في الواقعة ﴿فَطَلَّكُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) ﴿ ومعنى تفكَّهُونَ: تندمون على اجتهادكم فيه، وتذكرون الحرمان بعد التعب، والمعرم: المثقل بالديون.

ثم انظر إلى فداحة الخسارة الاقتصادية بصيرورة الزرع حطاماً وما ينتج عن ذلك من كوارث جسام تحيق بالبشرية.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الماء الأجاج يمكن تحويله إلى ماء عذب بالتقطير أو بغير ذلك من وسائل التحلية، فيكون صالحاً للاستعمال والشرب، كما نرى الآن في كثير من الأماكن، أما الحطام من الزرع فلا يمكن تحويله إلى حب أو فاكهة يأكل منها الإنسان، فحالة الحرمان والخسارة فيه أكبر، فانظر الفرق بين الحالين، حيث وضع السلام في الموضع الذي يقتضيها.

وجاء في (روح المعاني) نقلاً عن (المثل السائر): "إن اللام أنها أدخلت في المطعوم دون المشروب؛ لأن جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً في العرف والعادة، والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب، وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة، فلم يحتاج في جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيد؛ لذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق.

وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الأشياء الخارجة عن المعتاد، وإذا وقع يكون عن سخط شديد، لذا قرن باللام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره . انتهى ."

ونضيف نحن - مؤقتاً - ملاحظة مهمة تتعلق بهذا الموضوع ، وحول كتابة الكلمة .. حُطْبِمًا . بدون ألف .. وذلك لأن المشهد مشهد تحطيم ونقصان فناسبها غاية التناسب والتناسق نقصان الألف .. أما (أجاجا) .. فكُتبت بالألف لأن المشهد مشهد إضافة وزيادة (للملوحة) فناسبها زيادة الألف .. ونبه القارئ أننا سنرى هذا الملحظ كثيرا (مشهد التحطيم أو الهدم أو النقصان يصاحبه في رسم الكلمة نقصان الألف ..) والعكس بالعكس في مشهد البناء والعلو والارتفاع والزيادة يناسبه ويصاحبه رسم الكلمة بزيادة الألف .. وهكذا إن كان المقصود أمراً معنوياً أو خفياً ترسم الكلمة بإخفاء الألف، وإن كان المقصود أمراً مادياً محسوساً وظاهراً ترسم الكلمة بظهور الألف .. وهكذا كما سنرى إن شاء الله في رحلتنا هذه، وعلى سبيل المثال في مبحث (ترابا-تربا)، (عظاما -عظما) ، (القواعد-القواعد)، (طائف من ربك - طئف من الشيطان) و(سبحن-سبحان) وغير

ذلك من الأمثلة المشاهدة والتي سنقف عليها بنفس هذا المنهج في صفحات الكتاب وهو نفس المنهج القرآني المشار إليه هنا، ويتكرر لهذه الحكم العظيمة وغيرها من الحكم التي سنوضحها في حينها، ونقول معترفين بعد كل شرح: أن ما جهلناه أكثر.



ونعود لنكمل حديث الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي - أكرمه الله - حيث يقول:

ب- ونحو ذلك إدخال نون التوكيد على الفعل في الموضع الذي يقتضيه ذلك نحو قوله تعالى: في البقرة ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ (١٤٧)﴾ وجاء هذا التعبير في الأنعام ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ (١١٤)﴾. وفي سورة يونس - الآية ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ (٩٤)﴾

غير أنه قال في سورة آل عمران: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ (٦٠)﴾ ((وأرجوا من القارئ - قبل أن نعيش مع أستاذنا الدكتور - أن يتخيل جرس الكلمة (صوتها) في حال النطق بها وهي بالنون الزائدة (فلا تكونن) وهي أيضاً بغير هذه النون (فلا تكن) لأن هذا المنهج الصوتي في رسم الكلمة سنعيشه كثيراً عند شرحنا لنقص الألف وزيادة الألف أو غيره من الحروف كالواو أو الياء، وكيف يكون تأثير هذه الزيادة وهذا النقصان في رسم الصورة المعبرة خير تعبير عن حقيقة المشهد المعروض))

ويقول دكتورنا الحبيب: فأكد الفعل (تكون) في سورة البقرة والأنعام ويونس دون آية آل عمران، وذلك أن المقام يقتضى التوكيد في كل موطن أكد فيه الفعل دون الموطن الذي لم يؤكد فيه، فقد أكد في سورة البقرة لأن المقام فيها في تبديل القبلة وما صحب ذلك من إرجاف، وأقويل، وإعلان حرب نفسية على المسلمين، حتى ارتد بعض ضعاف الإيمان؛ قال تعالى: في البقرة ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا (١٤٢)﴾ وقال في البقرة ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)﴾ ثم ذكر أن أهل الكتاب لن يتوجهوا إلى قبلة المسلمين مهما جثمم بالآيات والبيانات والحجج الواضحة فقال مؤكداً بالنسب: في

البقرة ﴿وَلَنْ أَتِيَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾ ثم قرر أن هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، فاحتاج كل ذلك إلى التوكيد فقال: (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) .

وأما في آية آل عمران فليس الأمر كذلك فقد قال: في آل عمران ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَسَا تَكُنُّنَ مِنْ الْمُمْتَرِينَ (٦٠)﴾ .

ففي آيات البقرة من الإرجاف والفتنة مالميس في آية آل عمران فاحتاج المقام في البقرة إلى التوكيد بخلاف آل عمران .

وكذلك السياق في آية يونس فإنه يقتضى التوكيد فقد قال تعالى: في يونس ﴿فَإِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥)﴾ .

فلما قال: (فإن كنت في شك) احتاج إزالة الشك إلى التوكيد، ثم انظر إلى المؤكدات في السياق وهي:

- ١- التوكيد باللام و" قد" في قوله تعالى: (لقد جاءك الحق من ربك) .
 - ٢- التوكيد بالنون في قوله: (فلا تكونن من الممترين) وقوله: ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) .
 - ٣- التوكيد بـ(إن) في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦)﴾ .
- فاقتضى كل ذلك التوكيد إذ السياق كله مؤكد .

♣ ♣ وهنا أقف لأضيف إلى حديث دكتورنا العظيم ملاحظة أخرى في رسم كلمة (فاسأل)، وملاحظة اتفاق كتبه المصاحف على كتابة كلمة (فاسأل) بدون ألف-- في كل القرآن-- هكذا (فاسأل) .. إلا في هذا الموقف من هذه الآيات فقط: (فإن كنت في شك) مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك) وبذلك يكون لها-- وحدها-- رسمان: بالألف (فاسأل) وبدون الألف (فاسأل)، واختصت بالرسم الراءد والاختلاف هنا لاختلاف هذا الموقف الذى يحتاج إلى إظهار التوكيد من الله بعدم الشك للحبيب (ﷺ) في أخطر القضايا على الإطلاق، وربما يكون المعنى (في نقص الألف) هو نفى أقل الشك من جهة النبي (ﷺ) فناسبه الحذف للألف (راجع بحث "فلا تكن، فلا

تك، ولم أكن، ولم أك ..). وهذا التوضيح لا يناقض واقع النصوص ولا تأباه النصوص، تماماً كما نراه في توجيه العلماء للقراءات المختلفة .

وسنرى- إن شاء الله- أن زيادة الألف ليس هنا فقط- تشير إلى هذا المعنى التوكيدي الذى أشرنا إليه آنفاً ومعان أخرى، وتقوم برسم اللوحة الفنية المبهرة للصورة المملوءة بكافة ألوان الإعجاز والإهمار.

ويكمل دكتورنا الحبيب قائلاً: وكذلك ماجاء في آية الأنعام فإن السياق فيها في تكذيب الرسول وعدم الإيمان به حتى قال: في الأنعام ﴿وَلَوْ أَنَّا نُرْتُلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)﴾ ثم قال بعد ذلك: في الأنعام ﴿وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾ فانظر كيف احتاج السياق إلى توكيد أنه على الحق، وأنه عليه ألا يكون من المترين، فأكد في الموطن الذى اقتضى ذلك بخلاف ما لم يقتض ذلك.

♣ ♣ (وأرجو أن يلاحظ القارئ ولا ينسى أن هذه المعاني سردها كثيراً في حديثنا عن رسم الكلمة .. في هذه السورة وغيرها .. مع استصحاب هذه المعاني وعدم نسيانها .. وقد أردنا بهذا السرد إثبات أن رسم الكلمة في المصحف الكريم لا ينفصل- في منهجه- عن باقى نواحي الإعجاز الأخرى، بل هو على نفس المنوال ومن نفس المنبع، من الإضافة للحرف لزيادة التوكيد، ونقصان الحرف لقلّة التوكيد وخفته، وهكذا وغير ذلك من المعاني).

ومن ذلك قوله تعالى: في آل عمران ﴿لَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦)﴾ متاعٌ قليلٌ ثم ماؤاهم جهنم وينس المهاد (١٩٧) .

وقوله: في غافر ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)﴾ فقد أكد النهى في آل عمران بالنون فقال: (لا يغررك تقلب الذين كفروا) بخلاف آية غافر، وذلك أن المقام في آل عمران يقتضى التوكيد، وأقول: لاحظ التوكيد حتى في حال النطق بالكلمة وفيها حرف النون ثم تأمل ثقلها أيضاً، ثم ارجع واقرأها بدون النون، وسنجد أن نطق الكلمة يتجاوب مع رسم الكلمة ويتجاوب مع المشهد الذى رسمت له الكلمة) .

وذلك أن المقام في آل عمران يقتضى التوكيد، إذ الآية في سياق ابتلاء المسلمين في أموالهم وأنفسهم، والأذى الكثير الذى ينالهم من عدوهم الكافر الذى يبطش بهم، ويفتنهم عن دينهم، وينال منهم حتى يبلغ به الأمر إلى أن يخرجهم من ديارهم. قال تعالى: في آل عمران ﴿لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتْوَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ

أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) وقال: في آل عمران ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)﴾ فاقتضى ذلك تأكيد عدم الاغترار بتقلب الذين كفروا في السلاط وسيطرهم عليها، في حين لم يكن السياق في شئ من ذلك في (غافر) فلم يحتج إلى التأكيد والله اعلم.



د- ومن هذا الباب التوكيد بالحروف الزائدة، فإنه من المعلوم أن ما يسمونه بالحروف الزائدة يفيد التوكيد في الأغلب. قال تعالى: في فصلت ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)﴾ وقال: في الزخرف ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ (٣٨)﴾ وقال: في الزمر ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا (٧١)﴾

فزاد (ما) بعد (إذا) في آية فصلت، وذلك لأن شهادة السمع والأبصار وسائر الجوارح "من المعاني القوية التي لا يقتضيها الشرط الذي هو المجيء. ألا ترى استنكارهم لها حتى قالوا لجلودهم: (لم شهدتم علينا؟) فأجابوا بأن قالوا: (أنطقنا الله الذي انطق كل شئ) وليس كذلك: (حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك) أي: قال الآدمي لقرينه من الجن اللذين اشتركا في الدنيا في معصية الله ثم اشتركا في العذاب في الآخرة: ليتني لم اتبعك وكان بعد ما بين المشركين بيني وبينك. وهذا أيضاً مما يتوقع كونه منهما، ثم يتسرى بعضهم من بعض، فليس في الجزاء ما يوجب قوة الشرط الذي لا يتوقع ولا يستفاد إلا به ومنه"، ثم إن شهادة السمع والأبصار والجلود أمر مستغرب بخلاف فتح الأبواب ونحوه، فأكد ذلك .

♣ ♣ (لاحظ وتأمل في معنى هذا الكلام وكيف أن رسم الكلمة بزيادة الحرف (ما) في قوله: إذا ما جاءوها، صور المشهد الثقيل والغير معتاد (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم و.....) وكيف مثل هذا الرسم هذا المشهد خير تمثيل، بل ولفت الأنظار للوقوف على هذا المشهد (فغرابة وجود "ما" في الكلمة لغرابة الموقف) - كما قال بذلك صاحب الظلال: الشهيد سيد قطب - رحمه الله - إنهم يحشرون ويجمع أولهم على آخرهم وأخرهم على أولهم كالقطيع! إلى أين؟ إلى النار! حتى إذا كانوا حيالها وقام الحساب ، إذا

شهود عليهم لم يكونوا لهم في حساب. إن ألسنتهم معقودة لا تنطق، وقد كانت تكذب وتفترى وتستهزئ وإن أسمعهم وأبصارهم وجلودهم تخرج عليهم، لتستجيب لربها طائفة مستسلمة، تروي عنهم ما حسبه سراً... بل كيف وهي أبعاضهم؟! وها هي ذي تفتنح ما حسبه مستوراً عن الخلق أجمعين . وعن الله رب العالمين!.

يا للمفاجأة بسلطان الله الخفي، يغلبهم على أبعاضهم فتلي وتستجيب!.. (فهذه الزيادة العجيبة لهذا الموقف العجيب بثقله وغرابته، وهذا التصوير سنراه عند شرحنا لقوله تعالى (تلك إذن قسمة "ضيّزى") ووقفنا على هذه الكلمة وذكرنا ما قاله الأستاذ صادق الرافعى وغيره : من أن هذه الكلمة الغريبة "ضيّزى" جاءت للموقف الغريب وهو "أفريّتم اللات والعزى....) ولذلك لم يستخدم كلمة "ظلامه" المرادفة لكلمة "ضيّزى" ورأينا أنه لا يمكن أن تحمل أى كلمة مكان كلمة "ضيّزى" لهذا المعنى التصويرى ولغيره من الأسباب التي نراها في حينها، ولكن الذى يهمنا الآن هو التركيز على أن القرآن يزيد حرفاً لهدف وحكمة، وينقص حرفاً لهدف وحكمة أيضاً.. وكيف أن الكلمة (إذا ما جاءوها) بزيادة المبني في الكلمة لزيادة المعنى المراد من هذه الكلمة، وكيف أن الكلمة حينما حلت من هذه الزيادة صورت الموقف الأخف والمتوقع وهو صورة فتح الأبواب فقط... ونكرر: ثقل الكلمة لثقل الموقف، وخفة الكلمة لخفة الموقف؛ وهذا المعنى الذى عشناه بلاغياً سنراه أيضاً في إعجاز رسم الكلمة أيضاً).

وقال تعالى: في البقرة ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذْ يَدْعُوهُ...﴾ (٢٨٢) زيدت (ما) مؤكدة على الشهداء حضور الشهادة عند الدعوة إليها بخلاف قوله تعالى: في البقرة ٢٨٢ ﴿... إِذْ يَدْعُوهُ بَدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتَبُوهُ﴾. وقوله: في البقرة ٢٨٢ أيضاً ﴿... وَأَشْهَدُوا إِذْ تَبَايَعْتُمْ...﴾ وذلك أن الشهيد قد يتباطأ أو يتكاسل أو ينكص عن الشهادة لأنه ليست له مصلحة خاصة به أو قد تلحق به ضرراً فاحتاج الى التوكيد.

♠ ♠ وهنا نقف وقفة مع الأستاذ النجدى ناصف حول هذه الزيادة (وهذا العنوان سنناقشه مناقشة تفصيلية في كتبنا (الإعجاز القصصى والتكرار في القرآن الكريم) وسنوضح بالبراهين الساطعة والأدلة الناصعة أنه لا يوجد ما يسمى حرف زائد وأن معنى "زائد" هو غير المتبادر إلى الذهن من معنى الزيادة التي بلا هدف او معنى مراد)).

هل في القرآن الكريم من أحرف الزيادة.

ويقول النجدى ناصف: ولم أر أحداً ذكر التوكيد أو الحكمة التي زيدت لها "ما" في نحو قوله تعالى: في سورة آل عمران ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ ويبدو -والله أعلم- أن سر زيادتها

هو استحداث صوت جديد ينبعث من "ما" فيمسك القارئ هنيهة ليعرف السبب الذي كان من أجله الحكم الذي تضمنته القضية في العبارة وفي ذلك موعظة له واعتبار.

♠ ♠ وهنا أقف وقفة على موضوع مهم يتعلق ببحثنا هذا في رسم الكلمة في المصحف الشريف، والسؤال الملح: هل يجوز في لغة العرب التي نزل بها القرآن - أن يحذف حرف من الكلمة، أو يزداد حرف فيها؟

وهل تعرف العرب في كلامها وأشعارها مثل هذا الأمر من الزيادة والنقص في الحروف الأساسية للكلمة؟

وهل في هذا السلوك حكمة تعرفها العرب؟

وللإجابة على هذه الأسئلة المهمة في موضوع بحثنا هذا، نذكر بعض الشواهد المؤكدة على أن هذا السلوك متأصل في لغة العرب ويعرفه فرسان اللغة وشعراؤها وفصحاؤها، ونبدأ بأفصحهم وأبلغهم وهو حبينا محمد (ﷺ)، ففي الحديث الشريف أنه لما نزل قوله تعالى في سورة النساء: آية ٢٤ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ وعقوبة قذف المحصنات وجلد هذا الذي لم يأت بأربع شهود، قال سعد بن عبادة - رضى الله عنه -: إن رأى رجل مع امرأته رجلاً فيقتله، وإن أخبر بجلد ثمانين، أفلا يضرب بالسيف؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: "كفى بالسيف شا" أراد أن يقول: "شاهداً" فأمسك، ثم قال: "لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران - أى في القتل لتمت على جعله "شاهداً".

فقد أسرع النبي (ﷺ) بالنطق على كلمة شاهداً واختزل حروفها، لأنه لا يريد التأكيد على جعل السيف شاهداً، وعبر عن هذه السرعة وضعف التوكيد بحذف ثلاثة حروف وليس حرفاً واحداً فقط، وقد فهم العربي الفصيح - من أصحاب النبي (ﷺ) ما أرادته النبي (ﷺ) من هذا الإمساك في القول ونقص الحروف من الكلمة.

ويقول سيويوه: "وسمعت من العرب من يقول: ألا تا، بلى فا، وإنما أرادوا: ألا تفعل، وبلى فافعل، ولكنه قطع كما كان قاطعاً بالألف في أنا".

ويمكن أن يُعد من هذا القبيل حذف التنوين من (حسرة) في آية ٣٠ من سورة يس. (يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)). ومن كلام ابن جني في الاحتجاج لها: "العرب إذا أخبرت عن الشئ غير معتمده ولا معترمة عليه أسرعته فيه

ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه، وذلك كقول الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

قلنا لها: قفى فقالت: قاف لا تحسبينا قد نسينا الإيلاف

معنى "قاف": أى: وقفت - وقام بحذف ثلاثة حروف - من وقفت - للتأكيد على سرعة التنفيذ للأمر بالوقوف، والتأكيد على مبدأ سنعيشه بعد قليل في رسم المصحف

يقول بأن حذف الحرف يوحي بسرعة الحدث، فاقترنت من جملة الكلمة على حرف واحد منها وهو "القاف" لتشير إلى هذا المعنى.

وكما تحذف العرب من اللفظ المفرد أحياناً فإذا هو على شبه من الإيجاز في العبارة - تزيد في أحرفه أو في صوت حرف منه أحياناً أخرى، فإذا هو أيضاً على شبه من الإطناب في العبارة.

ففي أسلوب الندبة تزيد على آخر المندوب ألفاً (كمثال: الرسول، السبيل، الظنون...) فتزيد بها من صوت التفجع أو التوجع إعلماً جهيراً بحرقة الحزن أو شدة الألم، ثم هي تزيد الهاء أيضاً بعد الألف حين الوقف إشباعاً للمد وذهاباً به إلى مدى بعيد.

ويعلل ابن الزمكاني لدلالة (لا) على نفي البعيد، ودلالة (لن) على نفي القريب، فيقول: (لا) آخره ألف، والألف يمكن أداء الصوت به بخلاف النون: بل ربما قام مد الصوت في كلمة إلى أبعد من حدوده مقام الوصف بصفة تزيد من معناها، فقد قال سيبويه: "إنهم يقولون: سير عليه ليل، يريدون: ليل طويل. وهذا إنما يفهم بتطويل الياء (من "ليل") فيقولون: سير عليه ليل، فقامت المدّة مقام الصفة" (طول الليل أو أن ينطق بكلمة طويل) فهذا لون من الإيجاز وشجاعة اللغة العربية - كما يقول عنها العلماء -.

وكانوا ربما عمدوا إلى حرف ليس من حروف المد، فمطوا حركته حتى يجعلوا منه حرف مد لزيادة معنى على الكلمة التي مطلّت حركة الحرف فيها، فقد روي أن رجلاً ضرب ابناً له فقالت له أمه: لا تضربه ليس هو ابنك (ومدت الصوت ومطلته في حرف النون، وزوجها لم يشعر بذلك)، فرافعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له: ليس هو ابنك، ومدت فتحة النون جداً، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا المطل.

فقد فهم الرجل من مقالة امرأته حين سمعها وهو يضرب الولد غير ما فهمه منها حين سمعها وهما بين يدي القاضي، شغله الغيظ من ابنه والاهتمام في ضربه عن الانتباه إلى الصوت الذي أرسلته صاحبته في النون، فوقع في وهمه أنها تنفي نسب الولد عنه حقاً، لكنها لما أعادت الكلمة على ما قالتها تبين أنها إنما أرادت أن تصرفه إلى ما هو أنكى من السخط على ابنها رحمة به وإبقاء عليه. (وأرادت أن تقول له (إنه ليس إبنك - بصيغة المثني - ولكنه إبن وحيد لنا).

يمكن أن يقال إذن: إن الزيادة والحذف من أصول العربية المقررة ، وإن العرب لم تكن تأخذ بهما عبثاً ولكن لفضل معنى).

ويلحق بالزيادة للتنعيم تنوين غير المنون كقوله تعالى: في سورة نوح: ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْزِرُنَا آلِهَتَكُمْ وَلَا تَنْزِرُنَا وَدَاً وَلَا سَوْاعَاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) في قراءة الأعمش وقوله: في سورة الإنسان: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (٤) إن الأبرار يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (٥) في قراءة نافع والكسائي. ليس التنوين هنا بدءاً من العربية فبنو أسد ينونون الأسماء كلها وبعض القبائل لا يمنع من التنوين إلا أفعال التفضيل.

ويحتج أبو تمام للزيادة المؤكدة اقتباساً من التثويب في الأذان فيقول: لو رأينا التأكيد خطة خسف ما شفّعنا الأذان بالتثويب.

. قال أبو حيان: إن أصل (فلا أقسم) فلا أقسم كما كانت في قراءة

قول القائل: أعوذ بالله من العقراب

بدا للزخشرى - رحمه الله - أن يعرض في الكشف لبيان المراد بالتوكيد الذى تفيده " أن " الزائدة بعد لما في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (٣٣). فقال: " أن " صلة أكدت وجود الفعلين مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما ، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير خيفة عليهم من قومه.....

أما إحدى الآيتين فقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ اذْهَبُوا بِقِمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٩٣) وتمضى بنا القصة إلى قوله تعالى: في سورة يوسف ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٩٦)

فإذا " أن " في الآية مزيدة بعدها " لما " وفي مقام لا يحتمل أناة ولا إبطاء؛ فالبشرى الذى يحملها رسول يوسف إلى أبيه ليست بأمر مما ألف الناس أن يستبشروا به ويفرحوا له ولكنها بأمر لا يعلم له نظير سابق ولا يرجى أن يكون له نظير لاحق إلا في طيف خيال أو حلم منام. سيرتد يعقوب بصيراً وسيرى يوسف حياً بعدما نعى إليه فحزن حتى ابيضت عيناه من الحزن عليه، وسيره على حال لا كحال أحد من أبنائه أو خير منها قليلاً أو كثيراً، سيراه أميراً قد ولى حكماً وأوتى سلطاناً، وسيلتئم شمل الأسرة بعد تفرق

وشتات، وستستقبل من أمرها يسراً بعد عسر، وسعادة بعد شقاء. فمن غير حامل هذه البشرية يحق له أن يعد في رحلته السرعة بطئاً والقرب بعداً، ويود لو جاء أباه طيراً لا سعيماً؟ ومن ذا يكون أسرع منه جرياً بل أشد منه وثباً حين يبلغ طيته ويدنو من أبيه ليلقى القميص على وجهه؟

♣ ♣ وأقول: من اللطائف ما ذكره الأستاذ صادق الرافعي حيث قال - فيما معناه -: إن زيادة (أن) في قوله تعالى (فلما أن جاء البشير) ترسم يجرسها وغمتها وتنغيمها في سياق الآية جو التنغيم والموسيقى المصاحبة لموكب البشير وهو يزف البشري إلى يعقوب - عليه السلام - فهي ترسم جو الطرب المصاحب لذلك الموكب المفرح بصوتها في سياقتها، وليجرب القارئ العزیز تلاوة هذه الآية بدون كلمة (أن) فيقول: (فلما جاء البشير...) وسيجد أنه قد ضاع هذا الطرب وهذا النغم العلوى الجميل.

أما الآية الأخرى ففي سورة القصص إذ يقول الله تعالى عن نبيه موسى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)﴾

وتمضى بنا الآيات إلى قوله تعالى: في سورة القصص: آيات ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨)﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)﴾

وهنا أيضاً زيدت أن بعد لما وأيما امرئ يري مصرع المصرى، وكيف قضى عليه موسى، لا بضربة من سيفه ولا طعنة من رمحه ولكن بوكزة من يده، حقيق، إذا كان يعرض وكزة مثلها، أن يكون أسرع من لمح البصر إلى مدافعة موسى واتقاء يده حين يلمح في وجهه إثارة حمية، أو بادرة عزم على البطش به، فلا يسعه إلا أن يفاخته بصرخته المفرعة ويقذف في وجهه بقولته المهولة يحذره ويذكره: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ ويزيد رأى الزمخشري قوة إلى قوته أن الملائكة الذين جاءوا لوطاً كانوا قد جاءوا إبراهيم من قبله ونلاحظ أن آية مجيئهم إبراهيم لم تُرد فيها "أن" بعد "لما" كما زيدت في آية مجيئهم لوطاً. ذلك بأن الحال التي كان عليها إبراهيم كانت غير الحال التي كان عليها لوط. لقد كان إبراهيم راضياً مطمئناً لم يعد ينكر من قومه منكراً أو ينعى عليهم فسداً بعد ما نجاه الله منهم وبدله الله أرضاً خيراً من أرضهم، وكان عليه السلام جواداً

مضيفاً، فلما رأى الملائكة لم يدرُ بخلده إلا أنهم أضياف مثله في ذلك، كمثل كل جواد
مضيف حين يقدم عليه ناس لم تكن له سابقة بلقائهم أو لقاء أحد منهم، فتتابعت لذلك
أحداث قصته معهم بدءاً وانتهاءً، كما تتابع قصص الضيافة على سحيتها وفي سمتها
المعتاد، تحية وسلام، فحفاوة وطعام، ثم كان أن استراب بهم إبراهيم حين رأى أيديهم لا
تصل إلى طعامه وأن عجب منهم حين بشروه بغلام عليهم.

أما لوط فكان ضائعاً بقومه شديد السخط عليهم. فلما رأى الملائكة حسبهم بشراً فحزبه
أمرهم وتسارع إليه القلق والجزع خوفاً من قومه أن يفضحوه فيهم، وهم ضيفه، ولهم عليه
حق الحماية والكرامة. ثم كان من مقاصد القصة هنا أن تصور السرعة التي صاحبت استياء
لوط من قومه وضيق ذرعه بهم تصويراً بالإشارة لا بالعبرة، وكانت الزيادة هي الأداء
المختارة لها، فعبرت عنها بهذا التعبير البارع الذي يتميز بالدقة ولطف المدخل.

بقي أن قصة لوط قد ذكرت مرة ثانية في سورة هود ومرة ثالثة في سورة الحجر وصدرت
في السورتين ب (لما) ولكنها لم تتبع فيهما ب (أن) كما أتبع بها في سورة العنكبوت، مع
أن موضوع القصص الثلاث واحد وهو لوط والملائكة. فهل لهذا الخلاف في التعبير
حكمة ووراءه سر؟

إن الذي يتتبع منهج القرآن الكريم في قصصه يمكن أن يدرك هذه الحكمة ويكشف هذا
السر فسيري أن القرآن لا يلتزم صورة واحدة للقصة التي يعيدها مهما كانت مرات
إعادتها، ولكنه يعيدها في قليل أو كثير من أوجه التنوع، تارة بالذكر أو الحذف، وأخرى
بالإجمال أو التفصيل، وثالثة بالتصريح أو التلميح، وهكذا فإذا لها جدة وعليها طلاوة.
والناس بالجديد أحفل وإليه أميل، لذلك تأخذ كل قصة ببعض ما لم يأخذ غيرها به، وإن
كانت لُتبقى كلها على لباب الموضوع في كل مقام.

فصورت قصة العنكبوت ما أمسكت عن تصويره القصتان الأخريان، وهو سرعة
الأحاسيس التي جاشت بها نفس لوط حين رأى الملائكة مقبلين عليه.

وذكرت قصة هود ما وصف به لوط يومه ذاك فقال (هذا يوم عصيب) وهو وصف يشير
إلى أحاسيسه ويدل عليها وإن لم يصرح بها، ولكنه لا يدل على تسارعها إليه

وأغفلت قصة الحجر حديث الأحاسيس ووصف اليوم معاً، واقتصرت من ذلك على
ارتياب لوط في الملائكة إذ قال لهم (إنكم قوم منكرون). ثم راحت تذكر بقية أحداث
القصة منذ أبلغه الملائكة سبب مجيئهم إليه إلى أن قضى الله قضاءه في المجرمين من قومه.
ذلك إلى أمور أخرى اختصت بها كل قصة من بين أختيها أخذاً بأسباب التنويع

والافتتان. ولنا وقفة ممتعة ومبهرة حول هذه النصوص وسبب الزيادة في هذه السورة والنقص في السورة الأخرى والموقف واحد مع لوط وقومه، وستتناول ذلك بالتفصيل في سلسلة كتبنا (الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم)

والآن هل لنا أن نقيس "ما" حين تزداد بعد "إذا" على "أن" حين تزداد بعد (لما) فيكون لها في جملتها مثل ما (لأن) في جملتها؟

لا أرى أن ثمة ما يحول دون هذا القياس فاللفظان سواء في الحرفية والزيادة والموقع وكل من "لما" وإذا ظرف فيه معنى الشرط.

لا علينا إذن أن نقول: إن "ما" إذ تزداد بعد "إذا" تؤدي معنى "أن" إذ تزداد بعد "لما" أي تفيد أن جواب "إذا" وشرطها يقعان في زمنين متجاورين حتى كأنهما مقترنان بجمعهما

زمن واحد. ونحن إذ نرجع - بعد أن تخلص لنا هذه النتيجة - إلى القرآن الكريم نتحسس من آياته ما عسى أن نلمح فيه أثر "ما" الزائدة مذكورة ومحدوفة - فسنجد في سورة الشورى آيتين متقاربتين في الذكر، ولهما مشاركة مع آيات آخر في تعداد أوصاف المؤمنين الذين هم على ربهم يتوكلون.

فأما الآية الأولى فتذكر من أوصافهم كظم الغيظ وغفران المساءة. وهي قوله تعالى: في سورة الشورى: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٣٧) وأما الآية الأخرى فتذكر مقاومة البغي والانتصار من البغاة وهي قوله تعالى: في سورة الشورى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (٣٩) ونلاحظ أن "إذا" الشرطية مذكورة. في كلتا الآيتين لكنها أتبع في الآية الأولى بما الزائدة ولم تتبع بها في الأخرى. وإذن يمكن أن يقال: إن العفو المذكور في الآية الأولى ليس عفواً مرسلاً لا يخصصه وصف ولا يحده وقت. إنه عفو المبادرة والفور يملك صاحبه عند الغضب وبتزله على حكمه فيمضيه غير متلبث به ولا متردد فيه، فذلك عفو الترفع والقوة، وفي الحديث الشريف: "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" رواه ابن ماجه. والقوة المعنية هنا هي قوة الإرادة والعزم لا قوة البنية ومثانة التركيب. فهذه وحدها - على فضلها وحاجة الحياة إليها - لا تعدو أن تكون سراياً خادعاً أو رثياً كاذباً يوارى خور العزم وسقوط الهمة وانكسار الذلة.

وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشيد بقوة النفس ويحكم لها على قوة الشخص فيقول: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" رواه الإمام مالك في الموطأ والسيوطي في الجامع الصغير.

ذلك- والله أعلم- ما أفادته زيادة "ما" بعد "إذا" في الآية الأولى إذ تذكر العفو عمن المسئ. أما الآية الأخرى إذ تذكر البغى والانتصار من البغاة- فالأمر فيها مختلف والحال غير الحال، لأنها خلت من زيادة "ما" بعد "إذا"، وفي هذا إشارة إلى أنها تدعو إلى إساءة البغى، ومناهضة البغاة، دعوة مطلقة لا تسمى لها أجلا ولا تجعل لها موعداً، لأن أحوال البغاة والمجاهدين ليست سواء فقد تكون المبادرة خيراً في حال وشرّاً في حال أخرى، وإنما الأمر كله بيد أهل الحل والعقد من المجاهدين، الذين يملكون أن يقدروا الأمر بقدره. عجلة وترثاً، على نور من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن التجارب الناجحة والعلم بأحوال الحياة القائمة.

والذي عليهم أن يلتزموا الأخذ به هو ألا ينفروا إلى الجهاد إلا بعد أن يعدوا له العدة ويحكسوا التدبير والكيد؛ ليثبوا وثبتهم على رجاء في النصر صادق، ووعد من الثقة غير مكذوب، وإلا كانت العقاب وبالاً جائحاً ووبلاءً مستطيراً، وهم بعد عصاة متمردون لا يرحمهم راحمٌ ولا يذكرهم أحدٌ بخير.

وكما يؤكد القرآن التعبير قد يخففه إذا اقتضى المقام ذلك، وذلك كأن يأتي بـ (إن) المخففة ونون التوكيد الخفيفة للدلالة على تخفيف التوكيد حسبما يقتضيه السياق ومقتضى الحال، فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: في يوسف ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتٰرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِئِيْنَ﴾ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ (٩٢) وفي يوسف ﴿يَا اٰبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا اِنَّا كُنَّا خٰطِئِيْنَ﴾ (٩٧) قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيْ اِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ﴾ (٩٨).

وهذا الكلام قاله أخوه يوسف، والكلام موجه في الآية الأولى إلى أخيهم يوسف، وفي الثانية إلى أبيهم. وأنت ترى أن أخوة يوسف قالوا لأخيهم: (وإن كنا لخاطئين) بـ (إن) المخففة، وقالوا لأبيهم: (إنا كنا خاطئين) بالمشددة، وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان ينبغي أن يكون التعبير بالعكس، فإنهم مع أنهم أساؤا إليه إساءة مباشرة- أعنى إلى يوسف- كان عليهم أن يأتوا بإن المشددة للدلالة على زيادة التوكيد، بخلاف التعبير مع أبيهم، غير أنك إذا أمعنت النظر وجدت الطريقة التي استعملها القرآن هي المثلى؛ فإن إخوة يوسف لما رأوا أباهم وما حل به من جراء فعلتهم من الوهن واللوعة وحرقة الفؤاد وذهاب عينيه من الحزن دعاهم ذلك إلى توكيد الاعتذار والاعتراف بالخطيئة، بخلاف حالة أخيهم فإن الله أكرمهم بعدهم وبوأه مكانة عالية ومكن له في الأرض وكان فعلتهم تلك عادت عليه بالخير والرفعة، بعكس ماجرت على أبيهم، فهنالك فرق بين الحالتين، فكان الشعور بالخطيئة مع

والدهم أكبر وأعظم فقالوا ما قالوا. والذي يدل على ذلك السياق القرآني فإن يوسف دعا لهم بالمغفرة من دون أن يسألوها منه (قال لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)، وأما أبوهم فلم يستغفر لهم مع طلبهم الاستغفار منه وإنما وعدهم بالاستغفار فقال في يوسف ٩٧-٩٨ (يَا أَبَا نَاسٍ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)...) فوعدهم بالاستغفار في المستقبل. ثم انظر كيف جاء بـ (سوف) لا بالسين، و(سوف) أبعد في الاستقبال من السين، مما يدل على عمق الأثر في نفسه.

ونحو ذلك قوله تعالى: في الأعراف ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أَبْلَغِكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) ﴾ .

وقوله: في الشعراء ١٨٥-١٨٩ ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نُّظَنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾ .

فأنت ترى أنه قال في سياق آيات الأعراف: (وإننا لنظنك من الكاذبين) وفي سياق آيات الشعراء: (وإن نظنك لمن الكاذبين)، ويظهر سياق الآيات أن التكذيب في آيات الأعراف أشد منه في آيات الشعراء؛ والذي يوضح ذلك أنه في آيات الأعراف قال: (قال الملأ الذين كفروا من قومه) بخلاف آيات الشعراء فإنه قال: (قالوا إنما أنت من المسحورين)، وأنت ترى الفرق بين القائلين؛ ففي الآيات الأولى قول الملأ الذين كفروا، والقائلون في الآيات الثانية محتلطون، فإن فيهم شديد التكذيب وقليله، والإمعة، والخائف، فهو تكذيب محتلط لا يصل إلى تكذيب الذين كفروا خصوصاً، والذي يدل على ذلك قوله تعالى بعد آيات الشعراء: (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي: إن فيهم قلة مؤمنة، فهو نسب الكلام في آيات الشعراء إلى أصحاب الأيكة عموماً، بخلاف آيات الأعراف فإنه نسب الكلام إلى الذين كفروا خاصة .

ثم انظر إلى السياق مرة أخرى وكيف تعقب الرسول كلام قومه بعد كل من الآيتين يتبين لك ماذكرته واضحاً، فإن هوداً عليه السلام رد على قومه بآيات عدة: في الأعراف ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) ﴾ بخلاف آية الشعراء فإنه لم يسزد على قوله ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) ﴾ ومن هنا يتبين الفرق واضحاً بين التعبيرين.

التشديد في الحرف وتقل الحرف مع التشديد والثقل في الموقف، والعكس بالعكس، وهذا ما سراه في بحثنا عن زيادة الحرف ونقصانه ليتضح لكل ذى بصر وبصيره أنه منهج واحد في الإعجاز.

♣ ♣ وأنا أجزم أن الذى يتكرر لإعجاز الرسم في المصحف الكريم لم يتذوق أسلوب النظم القرآنى العظيم أبداً.. لذلك قمنا بإيراد هذه الأمثلة لتؤكد له وهم: أنه من نفس هذا النسيج، وأن طريقه ومنهجه هو نفس الطريق ونفس المنهج.



٥- وكما يخفف التوكيد قد يزيد فيه إذا اقتضى الكلام ذلك جاء في (الإتقان): "ويضاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كذبوا في المرة الأولى: (إنا اليكم مرسلون) فأكدوا يان واسمية الجملة..... وفي المرة الثانية: (ربنا يعلم إنا اليكم مرسلون) فأكد بالقسم وإن واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا: (ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون) يشير بذلك إلى قوله تعالى: في يس ١٣-١٧ ﴿وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)﴾ فانت ترى أن التكذيب والإنكار في المرة الثانية كان أشد من المرة الأولى إذ قالوا: في يس ١٥ ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)﴾ وهددوهم بالرجم إن لم ينتهوا عن دعوتهم: ولذا كان الرد في المرة الثانية أقوى ففي المرة الأولى قالوا: (إنا إليكم مرسلون) وفي المرة الثانية قالوا: (ربنا يعلم إنا اليكم مرسلون) فأكد بالقسم وإن واللام .

♣ ♣ (إذن لا بد من ملاحظة السياق وقوته وعلو نبرته أو انخفاضها، هذا الذى يستدعى زيادة أو نقصان حرف في كلمة عن مثيلتها .. وهذا ما نريد أن يلاحظه القارئ ويسلك نمجه بهذه الكيفية في البحث عن السر في رسم الكلمة في القرآن الكريم على الصورة التى عليها والتى تختلف عن مثيلتها بالنقص أو الزيادة أو الحذف أو الإضافة) فهو منهج واحد وطريقة واحدة.. وهذا مانعلمه الآن وماخفى عنا كان وما زال أعظم.

ونكمل مرة ثانية هذا الدرس البلاغى مع د: فاضل السامرائى ليكون هادياً للطريق الذى تنكبه الآخرون حيث يقول في مكان آخر:

وقد يستعمل في مكان ما صيغة ثم يعدل في مكان آخر عن تلك الصيغة، فيحولها إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى. فمن ذلك قوله تعالى في سورة ق ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ

جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢). وقوله في سورة هود (قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَلَدُّ وَالِدًا وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْثٌ لِي مِن شَيْخِي إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)) وقوله في مكان آخر في سورة ص (أَجْعَلِ اللَّهُ إِلَهُهَا وَاحِدًا إِن هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (٥)).

فأنت ترى أنه قال في سورة ق: (هذا شيء عجيب) وفي هود (إن هذا لشيء عجيب) وفي سورة ص (إن هذا لشيء عجاب)، فعدل من عجيب إلى عجاب، وذلك أنه تدرج في العجب بحسب قوته ففي آية (ق) ذكر أنهم عجبوا من أن يجيء منذر منهم فقالوا: (هذا شيء عجيب).

وفي سورة هود كان العجب أكبر لأنه من خلاف المعتاد أن تلد امرأة عجوز وعقيم (انظر سورة الذاريات (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَاصْكَتْ وَجَهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩)) وبعلمها شيخ إذ كل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب؛ فالعجوز لاتلد، فإذا كانت عقيماً كانت عن الولادة أبعد، إذ يستحيل على العقيم أن تلد، فإذا اجتمع إلى كل ذلك أن بعلمها شيخ كان أبعد وأبعد، ولذا أكد العجب بأن واللام فقال: في سورة هود (٧٢) (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) بخلاف سورة (ق) فإنه لم يؤكد العجب .

وأما في سورة (ص) فقد كان العجب عند المشركين أكبر وأكبر؛ إذ كيف يمكن أن يؤمنوا بوحداية الإله ونفى الشرك وهم قوم عريقون فيه؟ بل إن الإسلام جاء أول ما جاء ليرد عنهم عن الشرك ويردهم إلى التوحيد، وحسبك أن كلمة الاسلام الأولى هي: (لا إله إلا الله) وقد استسهلوا أن يحملوا السيف ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يقرؤا هذه الكلمة، فالقتل أيسر عندهم من النطق بكلمة التوحيد، ولذا كان العجب عندهم أكبر وأكبر فجاء (بأن واللام) وعدل من (عجيب) إلى (عجاب) وذلك أن (فُعْلاً) أبلغ من (فَعِيل) عند العرب (فـطُوال) أبلغ من (طويل) فإذا قلت: (هو رجل طويل) فهو الطويل يكون مثله، فإذا زاد عن المعتاد قلت: هو طُوال ونحوه: كريم وكُرام، وشجيع وشُجاع.

فانظر كيف عدل من صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام، وانظر كيف يراعى دقة التعبير في كل موضع، وكيف يلحظ كل كلمة ويضعها في المكان المناسب على تباعد الأمكنة.

ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام (فَلَمَّا رَأَى السَّمَاءَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)) وقوله في مكان آخر على لسانه أيضاً: في سورة الزخرف (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)) فانظر كيف عدل من (برى) إلى (براء) وهي من الصفة المشبهة إلى

المصدر، وأنت ترى الفرق بين المقامين، فإن إبراهيم عليه السلام في آية الأنعام في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة لا يعرف ربه على وجه التحقيق، فقد ظن أن الكوكب ربه ثم القمر ثم الشمس ثم أعلن البراءة من كل ذلك.

♠ ♠ ((وأنا أضيف أنه كان - في الأنعام - في مقام تمثيل المشهد ومجادلة باللين والهدوء وضرب الأمثال والتدرج في الوعظ الهادئ لمعرفة الله تعالى.. والحديث كان مع أبيه آزر... وباب مفتوح مع الله {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤)} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ الْآفَلِينَ (٧٦) .

أما في الآية الثانية فهو في مقام التبليغ فقد أصبح مرسلًا من ربه، وأعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين. ولذا قال في الآبة الأولى (الأنعام الهادئة): (برئ) وفي الثانية - القوية - الزخرف - (براء) وذلك أن (براء) أقوى من برئ فإنها بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد، فإن قولك (هو رجل عدل) أبلغ من قولك (هو رجل عادل)؛ وذلك لأن معناه أنه أصبح هو العدل، أي: لكثرة ممارسته للعدل صار هو العدل نفسه، وقولك: (هو رجل سوء) أبلغ من قولك (هو رجل سيئ) فمعنى رجل سيئ أنه اتصف بالسوء ومعنى (رجل سوء) أنه لكثرة ممارسته السوء أصبح هو السوء.

ومثله قوله تعالى في ابن نوح عليه السلام في سورة هود ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾ ولم يقل إنه عامل غير صالح، والمعنى أن ابنك تحول إلى عمل غير صالح ولم يبق فيه من عنصر الذات شيء، أي تحول إلى حدث مجرد وأن العمل غير الصالح لو تجسد لكان ابنك فالبراءة في آية الزخرف اشد.

ثم انظر كيف ناسب هذه القوة في البراءة والشدة بتوكيد الكلمة بمحجى النون - أعني نون الوقاية - في آية الزخرف زيادة في التوكيد فقال: (إني براء) ولم يأت بها في آية الأنعام بل قال: (إني برئ)، وأن النون في مثل هذا المقام تفيد التوكيد.

فانظر كيف أكد براءته في آية الأنعام بالنون وبتحويل الصيغة إلى المصدر، وهي نظيرة ما مر في آيات العجب السابقة، فانظر إلى جمال هذا التعبير ودقته، وكيف أن القرآن كاللوحه الفنية الواحدة المتناسقة لوحظ فيها كل جزئية من جزئياتها واعتنى بكل لمسة من لمسائها، وصدق الإمام الرازي إذ قال: القرآن كالسورة الواحدة بل كالأية الواحدة.

((وأضيف هنا: أن المقام هنا- في الزخرف- يختلف عن المقام في الآية السابقة- التي وصفناها في الأنعام- وذلك لأن سياق الحديث هنا- الزخرف- ونبرة الخطاب ولهجته تختلف؛ فهو سياق متاركة ومفصلة لهم ومعهم (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم..)) وهذه لاتصال إلا بعد نفاذ كل الحيل والجهد الطويل وفي النهاية المتاركة لهم.. والإنداز لهم من عقابه والتركيز في الحديث مع القوم (لأبيه وقومه).. ويتضح ذلك من سياق الحديث الذي تنقله لنا الآيات هكذا: ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٢٤) فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) ..

لاحظ قوله (سيهدين) بحذف الياء، وكيف أن حذف الياء أعطى التركيز على صفة الهداية فقط وتعظيمها.. بخلاف لو كتبت (سيهدين) فإنه سيعطى انتباه لشخصه وتركيز عليه وسيبعد التعظيم للهداية.. ولذلك يقول الإمام.

البقاعي: { فإنه سيهدين } أي هداية هي الهداية إلى ما لاح لي من الحقائق من كل ما يصلحني لتوجهي إليه وتوكلي عليه، لا مرية عندي في هذا الاعتقاد، وقد أفاد بهذه المقترنة بالسین هدايته في الاستقبال بعد أن أفاد بقوله المحكي في الشعراء { فهو يهدين } الهداية في الحال وكأنه خص هذا بالسین لأجل ما عقبها به من عقبه.

وقبل أن نغادر هذه النقطة نقف سوياً حول لطائف القرآن الكريم في تصوير المشهد أصدق وأصدق تصوير بحروف الكلمة وجرسها- كما ذكرنا من قبل- واليك البيان في هذا الجدول المبين لثلاث أنواع من المخالفات ومعها التصوير الجمالي القرآني لطريقة الاستعفار

نوح	آدم	بنی اسرائیل حين عبدوا العجل
{ ((وَالِإِيَّايَّاءِ)) } تَغْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ {	{ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ (إِن لَّمْ) تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٢٣) سورة الأعراف	{ وَكَلَّمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا ((لَسْنَا لَمْ)) (يَرْحَمْنَا) رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (١٤٩) سورة الأعراف

وهنا نلاحظ أدوات التوكيد مع المقامات الثلاثة:

(١) في معصبة بنی اسرائیل، وهي عبادة العجل والخروج من الدين (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا) قَالُوا ((لَسْنَا لَمْ)) (يَرْحَمْنَا) فاستخدم السياق القرآني (لام التوكيد) و(إن) التوكيدية (لئن) ثم

قالوا (لئن لم يُرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) فقدموا طلب رحمة الله قبل طلب المغفرة - حياءً منهم من الله من هذا الجرم الخطير الذي ارتكبهوه، وكأنهم يقولون نحن لا نستحق المغفرة على ما فعلناه .

(٢) أما الموقف في قصة آدم فهو كما قلنا مخالفة نسيان ولم تخرجه من الدين، وليست كجرم بنى إسرائيل في عبادة العجل من دون الله، ولذلك سيأتي طلب المغفرة بعروف توكيد أقل، ويتغير سياق الآية هكذا:

استخدم أداة التوكيد (إن) ولم يستخدم قبلها (اللام المؤكدة) ثم طلب بعدها (المغفرة) التي تنال الذين قبل الله توبتهم فقالوا (وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا).

(٣) أما المخالفة مع نوح فهي أخف من مخالفة آدم ولذلك لم يأت الأسلوب في طلب المغفرة مؤكداً (فنوح لم يؤكد، وآدم أكد بـ (إن) فقط، وبنى إسرائيل أكد بـ (اللام) و (إن) وزادوا على ذلك طلب الرحمة أولاً التي هي لعموم الخلق - المؤمن والكافر - حتى البهائم وبعدها طلبوا المغفرة التي تنال المقبولين) هذا هو النظم القرآني المعجز فبينامه القارئ.

ثم لنا في النص ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا (تَسْأَلُنِ) مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ونلاحظ كلمة (تَسْأَلُنِ) بدون (ياء) أى لم تكتب: (تسألني) كما في آية الكهف التي في سياق الحديث عن موسى والخضر - والذي نعلمه جميعاً - فإن الآية كتبت بالياء (تسألني) ((قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا (تَسْأَلُنِي) عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)) فلماذا ؟

إن المتأمل في قصة الآيتين يجد التناسق العجيب والمذهل للآيتين مع ما تعرضه النصتين كالآتي:

(١) الأمر مع نوح سؤال واحد (اختصار) وأيضاً في جو السرعة الرهيب والسفينة تعمرى بهم في موج كالجبال والأحداث تتسارع والأنفاس تلهث فناسبه (حذف الياء).

(٢) أما في آية الكهف فالأسئلة من موسى للخضر (كثيرة)، مع (مداراة) الموقف وبسطه سرعته - فاقترضى مقام الإطالة والبطء في الأحداث هنا وضع الياء في ((تسألني)) واقترضى مقام الاختصار والسرعة هناك حذف الياء (تسألن).

**** وهناك رأى آخر يقوله العلماء - كما سنوضح إن شاء الله - أنه تحذف الياء لسبب آخر وهو: (النهي عن أصل الحدث - وعن أقل شيء منه) - كما في قوله تعالى {قَالَ

كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ ((تَكْ)) شَيْئاً { (٩) سورة مريم حيث حذف النون من ((تكن)) لهذا الغرض (أى أنه: خلقه لم يكن شيئاً يذكر - من بداية ما يقال له شيء) وهذا هو نفس ما حدث مع نوح وظهر ذلك من سياق النص حينما قال الله له ((محذراً)) (إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) - فهو تحذيرٌ شديد ينهيه عن ذكر (هذا السؤال من منشئه) فحذف الياء بخلاف سورة الكهف، فقد قال له ((فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)) فهو سيخبره وسيكون حديثاً بيننا فبقيت الياء^(١).

ونعود لكاتبنا د: غانم قدورى وباب له عن:

التاء المربوطة والمفتوحة

وبعد أن سرد أمثلة لكل مثال وقد رجح - في نقله - أن يكون السبب هو فتح التاء في حالة الوصل وهى - على سبيل المثال - الإضافة (مثل رحمت الله ، ونعمت الله ،) .. ولا تفتح التاء في حال الوقف عليها (وربما غير مضافة) .. ولكنه هو - أو هم - نسوا الأمثلة الكثيرة التى تكون فيها الكلمة مضافة ولكنها كتبت (تاء مغلقة): رحمة الله ، ورحمت الله ، نعمة الله ، نعمت الله وهكذا مثل: وإن تعدوا نعمة - (ونعمت) - الله لا تحصوها) فى النحل و ابراهيم على الترتيب، وهو ما سناقشه بالتفصيل على الصفحات القادمة تحت عنوان: القبض والبسط)

مع إضافة (كلمت) موضع واحد بالتاء. (مختلف فى قراءته بين الإفراد والجمع. وأربع مواطن أخرى) راجع الشرح فى لطائف (٥)

***ثم يسأل كيف رسمت (لعنة) و (معصية) بالهاء إلا فى موضعين.. والباقي بالتاء فى موضع واحد (شجرت، قوت، ثمرت، بقيت، جنت، أيت، بينت، فطرت) وغيرها.

والعجيب أنه لو تأمل ما قاله العلماء لوجد الروعة والجمال والإهمار فى قبض هذه الكلمة - أى كتابتها بالتاء المربوطة - وبسط مثيلتها فى كل حروفها ما عدا أنها كتبت بالتاء المفتوحة، وقد قال العلماء أن التاء المفتوحة للنعم التى فتحت وظهرت آثارها فى الدنيا، أى بمعنى الفعل الذى حدث واضح - على سبيل المثال السريع - أن فطرة الله التى فطر الله الناس عليها .. على هذا المبدأ يجب أن تكتب مفتوحة (فطرت) لأنها قد خلقت فى الدنيا، فهى فطرتنا التى خلقنا الله عليها.. فلا بد أن تكون موجودة ومفتوحة، على منهج الاستخدام القرآنى فى رسم الكلمة كما سنبينه شاء الله .

(١) راجع كتبنا (سلسلة الإعجاز القصى والتكرار فى القرآن الكريم) ود: فاضل السمراي

ورغم كل هذا لا يقنعه ذلك.. ويصر على أن فتح التاء راجع إلى بقايا لغة أخرى (هى هنا السامية) فيقول: وذلك أن التأنيث فى الساميات كلها لم تكن له علامة سوى التاء ولكن هذه العلامة قد خضعت للتطور على مر الأيام ويتجلى ذلك فى العربية... .. كما يقول مكملًا فى نفس الصفحة ٢٢٨: والكتابة - فى القرآن- تميل إلى الاحتفاظ بصور الكلمات على حالتها رغم ما قد يطراً عليها من تطور فى النطق، فظلت تاء التأنيث ترسم تاء حتى فى الوقف، ولكنها على المدى الطويل بدأت تستجيب للظاهرة الجديدة التى (ربما) بدأت تدخل مرحلة أخرى من (التطور).

ويكمل بعدها: وبناءً على ذلك يمكن القول بأن رسم تاء التأنيث بالتاء فى تلك الكلمات المشار إليها يحتل أن يكون احتفاظاً بالصورة القديمة لرسم تلك الكلمات - وهو ما أرجحه - !!! ويصل أخيراً إلى قوله: إلا أن ذلك كله لا يمنع أن يكون الكاتب - أى للقرآن - جرى فى كتابة تلك الكلمات على وصل الكلام حيث تلفظ بالتاء. ويكمل قوله: ومع أنه من غير اليسير القطع هنا بأحد هذه الاحتمالات إلا أنه يجب أن يكون فهم تلك الظاهرة من خلال الإطار الذى يرسمه التطور التاريخى لها) انتهى كلامه ..

ولاحظ أنه يرفض التفسيرات التى قدمها علماء السلف على أرض الواقع ، ويتهمهم بالجهل بالتاريخ الكتابى .. فى الوقت الذى يقول فيه: ومع أنه من غير اليسير القطع هنا بأحد هذه الاحتمالات، إلا أنه يجب أن يكون فهم تلك الظاهرة من خلال الإطار الذى يرسمه التطور التاريخى لها.

ولا أدرى ماذا قدم هو سوى آراء جدلية وفلسفية بعيدة عن أرض الواقع والتأمل والتدبر؟؟.. وهكذا رأيه المتكرر دائماً فى شرح ظاهرة الرسم العثمانى - كما يقول - حتى لانزده كثيراً فى كل مرة على القارئ.

ثم يعود ليردد أن زيادة (هاء السكت) فى بعض الكلمات (يتسنه) و(اقتده) (ليه) (وما أدراك ما هيه) فى قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أقرءوا كِتَابِيَهٗ (١٩) إِنْ سِى ظَنَنْتُ أَنْى مُلَاقِ حِسَابِيَهٗ (٢٠) فَهَؤُا فِى عِيشَةٍ رَاضِيَهٗ (٢١) فِى جَنَّةٍ عَالِيَهٗ ... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهٖ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ (٢٥) وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهٗ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَهٗ (٢٧) مَا أَغْنى عَنى مَالِيَهٗ (٢٨) هَلْكَ عَنى سُلْطَانِيَهٗ (٢٩).

يقول عنها: هى أثر تناسب رءوس الآيات وطلب التناسق الصوتى بينها.. ولا أدرى لماذا لا يتعب نفسه قليلاً ليعيش جو وسياق الآيات التى وردت فيها آيات الهاء الزائدة فى نهاية الكلمة ، والتى تصور حالة اللهث وهو ينطق بها، والتى تناسب سياق وجو الآيات

اللاهث في أثناء كربات يوم القيامة وأخذ الكتاب باليمين - حيث يلهث من الفرح - فهو يجرى ويطيير فرحاً - والآخر الذي يأخذ كتابه بشماله يلهث من الكرب واهم الذي رآه وسيلاقه، ولا يمكن تصوير هذه الحالة وهذا الجو اللاهث - برسم الكلمة - إلا بوضع هذه الهاء التي تسمى أيضاً "هاء" اللهث؛ كما نرى في الإنسان أو الكلب الذي يلهث .

ويقول الإمام البقاعي: { اقرءوا كتابيه * } وهاؤه للسكت ، كأنها إشارة إلى شدة الكرب في ذلك اليوم للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت في كل جملة للاستراحة لا يقدر في الكلام على المضي فما الظن بغيره، وتشير أيضاً مع ذلك إلى فراغ الأمر ونجاسة الجزم به والثوق بأنه لا يغير .

فهى ليست أثراً من كتابات قديمة بقيت في المصحف الكريم وتطورت الكتابة لدى الصحابة ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منها - حسب زعمه الدائم والمتكرر - ولو راجع نفسه بعيداً عن هذا الوهم الفلسفي، وعاش المشهد وسياق الآيات المعبر خير تعبير يجرس الكلمة ورسمها عن هذه الحالة لسجد إعظاما وإجلالاً على عظمة ما يسميه بظاهرة الرسم العثماني، ناهيك عن القراءات التي تؤكد على النطق بالهاء حل الوصل أو الوقف على اختلاف بينهم.

وكذلك الحال في قوله (وما أدراك ما هيه) نار حامية - فهى نفس (هاء) اللهث التي تكلمنا عنها وهو نفس الموقف العصيب اللاهث ونقول له: هكذا الحال في كلمة (الرسولا والسبيلا والظنوننا) التي ترسم الألف - الزائدة فيهم - المشهد خير تمثيل بهذه الألف (التي تسمى بأنف الإطلاق أو التنفيس) وهم (تقلب وجوههم في النار) يوم تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} .

ولاحظ أيضاً أنه لم يقل: (كبارنا) ولكنه قال (كبراءنا) التي فيها مد لازم (٦ حركات) تمثل مد الصوت بالاستغاثة والصراخ والعيويل.. وليس ذلك لتناسب رعوس الآيات - كما شرحنا من قبل - .

وكذلك كلمة (الظنوننا) بإضافة ألف المد والإطلاق التي تصور الظنون الكثيرة التي انتابت المسلمين في غزوة الأحزاب (وما أدراك ما غزوة الأحزاب) ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)﴾ . فهل يناسب رسم هذا المشهد إلا هذه الألف في كلمة (الظنوننا) .

والهاء في كلمة (يتسنه)..... كما يقول الإمام الطاهر: ومعنى { لم يتسنه } لم يتغير ، وأصله مشتق من السنّة لأنّ مر السنين يوجب التغيّر وهو مثل تحجّر الطين ، والهاء أصلية لا هاء سكت ، ،ويقول الطبري: وأما قوله: (لم يتسنه) ففيه وجهان من القراءة:

أحدهما: "لَمْ يَتَسَنَّ" بحذف "الهاء" في الوصل، وإثباتها في الوقف. ومن قرأه كذلك فإنه يجعل الهاء في "يتسنه" زائدة صلة، كقوله: (فَبِهَذَا هُمْ أَقْتَدَهُ) [الأنعام: ٩٠].. وقد قال قوم: هو مأخوذ من قوله: (مَنْ حَمَلًا مَسْنُونٌ) [الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣] وهو المتغير. وذلك أيضاً إذا كان كذلك، فهو أيضاً مما بُدلت نونه ياء. وهو قراءة عامة قراء الكوفة. والآخر منهما: إثبات "الهاء" في الوصل والوقف. ومن قرأه كذلك، فإنه يجعل "الهاء" في "يتسنه" لام الفعل. وهذه قراءة عامة قرأها أهل المدينة والحجاز.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندي في ذلك إثبات "الهاء" في الوصل والوقف، لأنها مثبتة في مصحف المسلمين، وإثباتها وجهٌ صحيح في كلتا الخالتين في ذلك.... وغير جائز حذف حرف من كتاب الله.

فإن اعتلّ معتلّ -احتج شخص- بأن المصحف قد ألحقت فيه حروف من زوائد على نسبة الوقف، والوجه في الأصل عند القراءة حذفها، وذلك كقوله: (فَبِهَذَا هُمْ أَقْتَدَهُ) [الأنعام: ٩٠] وقوله: (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ) الحاقة: ٢٥ فإن ذلك هو مما لم يكن فيه شك أنه من الزوائد، وأنه ألحق على نية الوقف. فأما ما كان محتملاً أن يكون أصلاً للحرف غير زائد، فغير جائز.

على أن ذلك، وإن كان زائداً فيما لا شك أنه من الزوائد، فإن العرب قد تصل الكلام بزائد، فتتطرق به على نحو منطقتها به في حال القطع، فيكون وصلها إياه وقطعها سواء. وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك بإثبات "الهاء" في الوصل والوقف. غير أن ذلك، وإن كان كذلك، فلقوله: (لم يتسنه) حكمٌ مفارقٌ حكم ما كانت هاؤه زائدة لا شك في زيادته فيه.

قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها: "لَمْ يَتَسَنَّ" و"فَأَهْلِلِ الْكَافِرِينَ" الطارق: ١٧ و"لَا تَبْدِيلَ لِلْخَلْقِ" الروم: ٣٠. قال أبو جعفر: ولو كان ذلك من "يتسنى" أو "يتسنن" لما ألحق فيه "أبي" هاء لا موضع لها فيه، ولا أمر عثمان بإلحاقها فيها. ((وربما يكون وضع الهاء لهذه التفرقة الهامة))
*** ويقول الإمام البقاعي: { لم يتسنه } ... ومعنى القراءة بهاء السكت أن الخبر بذلك أمر جازم مقنع لا مرية فيه ولا تردد أصلاً.

((((ونرى هنا التأكيد على أن هذه (الهاء) أصلية في الكلمة ولها مكانتها المعلومة مما سبق ..
ويبقى أيضاً أنها بهذه الصورة ترسم حالة الاستغراب والدهشة والتوقف طويلاً (لطول
الكلمة) على هذا المشهد العجيب .))).

ويقول الإمام الرازي: .. وإذا كان كذلك فالهاء في { لَمْ يَتَسَنَّ } لام الفعل ، فلا جرم
يحدث البتة لا عند الوصل ولا عند الوقف .

.. ونضيف قولاً آخر وهو:

أنا قد تعودنا أنه من شأن القرآن أن يأتي بالكلمة الغريبة للموقف الغريب ..
فالموقف هنا غريب فأتى به باللفظ الغريب (يتسنه) (وراجع بحثنا - وما قاله الأستاذ
صادق الرافعي حول هذا المعنى وفي قوله تعالى (تلك إذا قسمة ضيزى) .. في جرس
الكلمة وهي كلمة غريبة لم تستعمل في نثر أو شعر من كلامهم لغرابتها وقبحها لديهم
- فوضعها القرآن في الموقف الغريب والمستقبح ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّكْتَ وَالْعِزَّى ﴾ وَمَنْزُةَ الدَّالِثَةِ
الْأَحْرَى ﴿ أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿ .

فهذا أمر ليس مستغرب على أسلوب القرآن المعجز .. فوضع (يتسنه) على هذه الصورة
العجبية للموقف العجيب .. للغرابة والتثقيب ولرغبة الوقوف عليها - كما سنوضحه
حينما يخالف إعراب الكلمة مثال قوله: (لكن الراسخون .. والمؤمنون .. والمقيمون
الصلاة .. والمؤتون الزكاة) وقوله (الموفون بعهدهم .. والصابرين) .. والنصارى
(والصابين) مرتين و(الصابتون) مرة واحدة... ووضح في كل هذه الأمثلة المخالفة
الإعرابية وليراجع القارئ الهدف من ذلك وحكمته في شرحنا له تحت عنوان (هل في
القرآن لحن؟)

** ونقول مثل ذلك في قوله: و(اقتده) أيضاً .. الألوسى: { فَبِهَدَاهُمْ اِقْتَدَهُ } أي اجعل
هداهم منفرداً بالاقتداء، واجعل الاقتداء مقصوداً عليه ، والمراد بهداهم عند جمع
طريقهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ ..
ففي ذلك تعظيم لهم وتبنيهم على أن طريقهم هو الحق الموافق للدليل والعقل والسمع ،
وحقق القطب الرازي في «حواشيه على الكشاف» أنه يتعين أن الاقتداء بالمأمور به ليس
إلا في الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة كالحلم والصبر والزهد وكثرة الشكر والتضرع
ونحوها ويكون في الآية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم قطعاً لتضمنها أن
الله تعالى هدى أولئك الأنبياء عليهم السلام إلى فضائل الأخلاق وصفات الكمال وحيث
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم جميعاً امتنع للعصمة أن يقال: إنه لم

يمثل ، فلا بد أن يقال : إنه عليه الصلاة والسلام قد امتثل وأتى بجميع ذلك وحصل تلك الأخلاق الفاضلة التي في جميعهم فاجتمع فيه من خصال الكمال ما كان متفرقاً فيهم وحيثئذ يكون أفضل من جميعهم قطعاً كما أنه أفضل من كل واحد منهم وهو استنباط حسن .

.. وفي أمره عليه الصلاة والسلام بالاعتداء بهداهم دون الاعتداء بهم ما لا يخفى من الإشارة إلى علو مقامه صلى الله عليه وسلم عند أرباب الذوق .

ويقول الرازي: والحاصل : أنه حصل الإجماع على إثباتها في الوقف .
ويقول الإمام البقاعي: { فبهدهم } أي خاصة في واجبات الإرسال وغيرها { اقتده } وأشار بهاء السكت التي هي أمانة الوقوف - وهي ثابتة في جميع المصاحف - إلى أن الاعتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء.

لاحظ: إشباع الحرف للوقوف والتركيز والاهتمام بهذا المذكور.. (اقتده).. وأترك للقارىء أن يجرب النطق بها والنطق بدونها ليرى فارق التركيز على هذا الأمر وليرى صيغة الأمر والحسم في أسلوب النطق بالكلمة (اقتده).. بخلاف اللين والمط في (اقتدى) .. ومن الممكن هنا أن نردد ما قاله الإمام البقاعي في الآية السابقة: ومعنى القراءة بهاء السكت أن الخبر بذلك أمر جازم مقنع لا مرية فيه ولا تردد أصلاً. وأن الاعتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء.



ومما يؤكّد حرص القرآن على الإيقاع الصوتي للكلمة هو منهجة الفذ في كتابة ونطق الحروف المقطعة.. ويقول الزركشي: فإن قال قائل: لم كتبوا (حم عسق) بقطع الميم عن العين، ولم يقطعوا (المص) و(كهيعص)؟ قيل له: (حم) قد جرت في أوائل سبع سور فصارت كأنها اسم للسورة، فقطعت مما قبلها لأنها كالمستأنفة.. ويكمل رأى الإمام دون الوقوف عليه.



ويذكر قاعدة هامة حيث يقول: سلاحظ أن إثبات رمز الفتحة الطويلة في وسط الكلمات كان يخضع بصورة عامة إلى أساس يتضح من تتبع الأمثلة التي جاءت مثبتة فيها والأمثلة التي لم تثبت فيها.

ونقول: ليته يطبق هذا المبدأ ولا ينسأه ولا يجرى وراء الوهم التاريخي - الذي لا يعلم هو نفسه حقيقته - ويعيش واقع النصوص.

ويكمل : وخلاصة ذلك أنه كان يخضع لحجم الكلمة (أي عدد الرموز التي يتكون منها هجاؤها)، فكلما ازدادت كان ذلك مسوغاً لعدم إثبات رمز الفتحة الطويلة. أي الألف. ص ٢٣٥..... وأيضاً كراهة اجتماع صورتين متفتحتين في الخط.. (لاحظ أن

فكرة تقصير الكلمة بحذف الحرف يستعمل في اللغة تحت عنوان (الجزم بحذف هذا الحرف) والجزم كما نعلم بأدوات الجزم المعلومة.

تمثيل الكسرة الطويلة

حذف إحداهما إذا كانت الثانية علامة الجمع مثل: (النين، الأمين، ربينين، الحوارين) إلا في موضع واحد اجتمعت عليه المصاحف وهو قوله (لقي عليين) .. مع ملاحظة الياء المشددة ليكون عددها ثلاث ياءات ولم يحذف منها هنا حرف منهم .. وأيضاً (أفعمينا بالخلق الأول) ق.. وكذلك (بحيكم، وحييتهم، وبحيبها، وبحين) ، وما كان مثله إذا اتصل به ضمير، فإن لم يتصل به ضمير ووقعت الياء طرفاً نحو (لحسى ونميت) الحجر .. مع ملاحظة وضع منقار الحمامة (الياء الصغيرة) بعد الياء (وَأَسْتَمِعْ

يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿١١١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿١١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي وَيَوْمَ نُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿١١٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١١٤﴾ وهكذا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا) «أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾» فقد رسم بياء واحدة .. مع ملاحظة ورود كلمة (الأمين) ببياءين في مصحف طشقند.

(وهنا لنا تعليق) إن أول ما نلاحظه في كلمتي (عليين) في ناحية .. وفي الناحية الأخرى (الأمين) في قولهم (ليس علينا في الأمين سبيل .. هو زيادة تعظيم المكانة (في عليين) . كَمَا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عَالِيَيْنِ (١٨) المطففين . كما يقول الزمخشري: وعليون : علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلاح الثقلين ، منقول من جمع «علي» فعمل من العلو كسجين من السجن ، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة ، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون - الملائكة بلغة أهل الكتاب - ، تكريماً له وتعظيماً .

ونقول : يكفى قوله تعالى بعدها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)﴾ . وقد شرح الإمام ابن القيم ذلك في حادي الأرواح قائلاً: أخبر تعالى أن كتابهم (مرقوم) تحقيقاً، لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار: أنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبين سادات المؤمنين. ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار، تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقع لهم به، وإشهاراً له وإظهاراً لمكانتهم بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة،

تتويهاً باسم المكتوب له، وإشهاراً بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته
على عبده) انتهى ج ١ ص ١١٥... وهو كلام لا يحتاج إلى تعليق ويكفي للرد به عن
سبب زياده هذه الياءات وتثقيب وتفخيم الكلمة (عليين)

وتكون الزيادة في كلمة (أميين) - على اعتبار وجود رسم آخر لها - لزيادة تحقير المكانة
والتثقيب على صفة الأمية - من غير جنسهم - أي من غير بني إسرائيل الذين لم يأثم
كتاب وأصبحوا أميين - والتركيز على هذه الصفة في غيرهم هو لزيادة وتفخيم
تحقيرهم.. وكأنك تقف على الكلمة طويلاً لإظهارها - كما نقول - أو كما يفعل أحدنا
حينما يحاول التركيز على براءته مثلاً، فيقول مستغرباً (أنا)؟ ويثقل النطق على حروف
كلمة (أنا).

ومثلها كلمة (أفيعينا)؟ وهو استفهام إنكاري وواضح فيه علو النبوة، والذي يناسبه كما
سنرى الزيادة في حروف الكلمة -، مع إرادة توقيف القارئ على هذا الأمر المستغرب
نسبته إلى الخالق سبحانه وتعالى. (أفيعينا بالخلق الأول).

حذف الكسرة الطويلة في نهاية الكلمة ونقول نحن: أن حذف الياء من: ربي أكرم من ..
أهان. (ربما للإشارة إلى التعجل منه في الحكم وأنه ليس ذلك بالحقيقة)

.. أتمدونن بمال (ربما لاستحقاق أمر المال بجانب ما آتاه الله من الحكم والعلم والنبوة)
أُوْتِرِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) .. قالوا
حذفت الياء من كلمة عذاب لرعاية الفاصلة .. وأنا أرى أنها للتهويل.. ويقول الإمام
البقاعي: وإطابق أهل الرسم وأكثر القراء على حذف يائه رسماً وقراءة إشارة إلى أنه العذاب
الأدنى المذهب لحمية الجاهلية، وإثبات يعقوب وحده لها في الحالين إشارة إلى أنه العذاب
المعد لإهلاك الأمم الطاغية لا مطلق العذاب. (يشير إلى القراءتين (العذاب الأدنى = حذف
الياء، العذاب الأقوى = إضافة الياء).

وحذفها من (وسوف يؤت الله) ولم يحذفها من (أنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها) (إلا أتى
الرحمن عبداً) (سلام عليكم لانتبغى الجاهلين).. ترسم الحلم على الجاهلين.. ونقل قوله:
وأشار القراء إلى أن ذلك جائز - أي عند العرب - سواء أكانت ضميراً أم من بنية الكلمة
(ربي أكرم من .. أهانن .. أتمدونن بمال .. المناد . الداع .. ومن غير

والتأمل في سياق الآية ((وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً)). يجد أنها بشرى عظيمة
للمؤمنين؛ ومن تتميم السعادة بالبشرى هو التعجيل بها.. وهذا يستدعي حذف الحرف كما
نعودنا.. وهذا بخلاف إتيان الأرض ننقصها من أطرافها والتي تعدد فيها آراء المفسرين،
منها ما قاله الألوسي: { أَنَا تَأْتِي الْأَرْضُ } أي أرض الكفرة { نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا }

من جوانبها بأن نفتحها شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء أليس هذا مقدمة لذلك .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : { أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ } [الأنبياء : ٤٤] وروي ذلك عن ابن عباس . والحسن . والضحاك . وعطية . والسدي . وغيرهم ، وروي عن ابن عباس أيضاً وأخرجه الحاكم عنه وصححه أن انتقاص الأرض موت أشرفها وكبرائها وذهاب العلماء منها . . . ، وادعى الواحدي أن تفسير الآية بما تقدم هو اللائق . وتعقبه الإمام بأنه يمكن القول بلياقة الثاني ، وتقرير الآية عليه أو لم يروا أنها نحدث في الدنيا من الاختلافات خراباً بعد عمارة وموتاً بعد حياة وذلك بعد عز ونقصاً بعد كمال وهذه تغييرات مدركة بالحس فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله تعالى الأمر عنهم فيجعلهم أذلة بعد أن كانوا أعزة ، ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين ، وهو كما ترى ، وقيل : نقصها هلاك من هلك من الأمم قبل قريش وخراب أرضهم أي ألم يروا هلاك من قبلهم وخراب ديارهم فكيف يأمنون من حلول ذلك بهم ، والأول أيضاً أوفق بالمقام منه ، . . . (وكل هذه المعاني ليس فيها ملحظ السرعة بل هو عمل متكرر وله وقته الممدود بأمد الحياة ولذلك لم يحذف الياء هنا)) .

وكذلك في قوله : ((سلام عليكم لانبغي الجاهلين)) فهو سلام فيه الهدوء والسكينة . . . ولا يستدعى حذف الألف .

ويسأل عن حذف الياء في (يقوم، يرب، يعباد) إلا في موضعين أثبتوا فيها الياء **(يعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فيآيائي فأعبدوني (٥٦) كل نفس ذائقة الموت نسمة إيتنا ترجعون (٥٧) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتنهم من الجنة عرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين (٥٨) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٥٩) العنكبوت.**

(قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إله هو الغفور الرحيم (٥٣) .. فيها جو الإمهال للتوبة ولا تقنطوا)

واختلفوا في الزخرف : **(هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٦٦) الأخطاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (٦٧) يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (٦٨) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين (٦٩) .**

وملاحظة الحذف أيضاً في فعل الأمر أو النهي (وهذا يلح فيه سرعة الامتثال والتنفيذ) . . وما يصاحب صيغة النداء أو الأمر أو النهي من سرعة النطق بمقاطع الكلمة مما يناسب

سقوط الحركات النهائية أو تقصيرها.. وكذلك لعل مما يشبه ذلك ظاهرة حذف الألف من (ما) حين تكون استفهاماً وقد دخل عليها حرف جر في مثل (يم / عم ، فيم ، لم ،.....).

ثم يسأل عن سبب ورود كلمات موضوع فيها الياء مثل (واخشوني ولأتم ..) و (فاتبعوني يحببكم الله) (فكيدوني جميعاً).. (فاتبعني أهدك) (فاتبعوني وأطيعوا قولي).

ويقول: ولو لحق الكلمة التي آخرها الياء التنوين تحذف (لاغ ، هاد ، وال ، واق ، غواش ، بواد ، مستخف) واعتبروها حالة وصل (فلا تسئلن .. حتى تؤتون موثقاً... وجفان) ..

الجوار .. يناد المناد.. ((وهذا ما تناولناه بالتفصيل الشديد))

وقد تناولنا كل ذلك على الصفحات الماضية.

المواو

ويسأل عن حذف (فأصدق وأكن) ولم يقل (وأكون) يدع ويمح سندع (ويقول حذف لأجل استقبالتها للحرف الساكن؟؟).. وقال ابن جنى (أما حذف لأمن اللبس لأن ذكر الفاعل يمنع أن يكون الفاعل جماعة).

ويسأل ويقول: لماذا لم تحذف من (يمحو الله ما يشاء ويثبت) و (لمن كان يرجوا الله) (لاتدعوا ثبورا واحدا وادعوا..) الفرقان ((وهذا أيضاً ما تناولناه بالرد المفصل على الصفحات الماضية إن شاء الله)).

الألف (الفتحة الطويلة)

تميل الألف إلى عدم الإثبات في صيغة المضارع أو في حالة اتصال الضمائر... ويغلب إثباتها في صيغة الماضي حين يكون الفعل مجرداً من الزوائد (ولعل هذا الملحظ يناسب الفعل في زمن الماضي الذي يوحى بصيغته بانقطاع الفعل وانفصال الزمن مما يناسبه وضع هذا الألف) بخلاف المضارع الذي يفيد الوجود والاستمرار مما يناسبه حذف الألف الفارقة - ولكننا نقول له: إلا ما استثنى - لحكمة عالية - نراها في حينها لتكون شاهداً على روعة وإعجاز هذا الرسم.. والأمثلة:

(تشقون) فيهم. (مضارع).....(تشاقوا)

هنا نلاحظ التعبير القرآني لم يقل (تشاقوهم) .. أى تنفصلون وتبتعدون عنهم ويكون كل منكم في شق (فهذا هو الذى يناسبه وضع الألف الفارقة) .. ولكن النص يحكى أنه (يشاقون) ويمجادلون الأنبياء والصالحين (فيهم) أى في آلهتهم والتقرب لهم والإلتصاق بهم وعبوديتهم.. فهذه المشاقفة (فيهم) هى قرب لهم وتلاصق بهم (يناسبه حذف الألف الفارقة).

وذلك بخلاف الآية (شاقوا) الرسول .. فهي مباحة وافتراق من الرسول وعنه .. وليست
المسألة فعل ماضى أو مضارع ولكنه رسم الصورة والمشهد المعروض بحروف الكلمة
(فلا تصحبنى).....(وصاحبهما)

هنا (فلا تصحبنى) قرئت (فلا تصحبنى) بدون ألف. كما يقول الزمخشري: . وقرىء :
«فلا تصحبنى» فلا تكن صاحبي . وقرىء : «فلا تصحبنى» أي فلا تصحبنى إياك ولا
تجعلني صاحبك..... بخلاف قوله تعالى (وصاحبهما) بصيغة فعل الأمر الذى ليس له قراءة
أخرى .. مع ملاحظة أن فعل الأمر يصاحبه علو النبرة فى صيغة الأمر دائماً (والتي يناسبها
إظهار الألف).

(يُسْرِعُونَ).....(سارعوا)

﴿وَلَا يَخْزُوكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ... فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ
فِيهِمْ .. وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ . إِيَّاهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَآ.. أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ.﴾ . (نلاحظ أن جميع
السياقات (يسارعون فى) - التى تفيد الالتصاق - كما قلنا - وليس (يسارعون (إلى) التى
تفيد البعد والانفصال .. ولكن فى كل السياقات الماضية فهم يسارعون (فى الكفر .. أى هم
واقعون فيه وهكذا يسارعون فى الإثم .. ويسارعون فى الخيرات .. فهم فيها ..). إضافة
إلى القراءة الثانية التى بدون ألف (يسرعون) كما قال المفسرون ومنهم الزمخشري: وقرىء
: «يسرعون فى الخيرات» .

وذلك بخلاف قوله (سارعوا إلى) التى تجمع مشهدين هما : (١) صيغة فعل الأمر وعلو
النبرة .. (٢) قوله يسارعون (إلى) حرف البعد المعلوم لدينا
(أتجوزون).....(حاجوك).....(حاج)

يُجَدُّ فى الآية الأولى التى وردت فى سياق المجادلة (المادة جداً) والمتواصلة بضرب الأمثال
والحجة والبرهان والدليل .. وليس فيها علو النبرة بالخصومة أو التعنيف التى تحتاج إلى
وجود الألف .. كما نرى هنا فى سياق الآيات التى تتحدث عن المجادلة المهادنة باللطف
واللين وضرب الأمثلة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ
أَحَبُّ الْآفَلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ أَحَبُّ الْآفَلِينَ
لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَأَنَا

أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠)
 وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
 الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ... فهو حوار (هاديء ومتواصل) لا يحتاج
 إلى زيادة الألف وإظهارها كما في المثال التالي:

وأيضاً (يحاوكم) به عند ربكم (آل عمران) .. والتي كتبت بالألف ... وحين
 استرجاع النص نلاحظ منه السياق والنبرة العالية ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
 خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
 (٧٦) .. ونلاحظ السياق هنا وتفرع بعضهم لبعض، وختام الآية بالتعريف ولهجة
 الاستنكار (أفلا تعقلون) .. بخلاف سياق مجادلة إبراهيم لقومه ... وهكذا نلاحظ السياق
 وعلو النبرة في قوله (حاجوكم) (حاج) .. والآيات في سياقها كالتالي:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا
 بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ
 لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
 بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ
 حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) .. ولك أن تسترجع
 السياق مرات ومرات وتعيش الجو الملهب في قوله ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ
 سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ و﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
 أَأَسْلَمْتُمْ..﴾ .. بل إنه يعطى وصف هؤلاء القوم الذين يستحقون أقصى أنواع التعنيف
 وعلو النبرة - كما نقول دائما - حيث يقول فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
 وهكذا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ
 الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . فهذا
 سياق مع كافر عنيد ومتسلط وآتاه الله الملك .. إضافة إلى صيغة الماضي ولكنها ليست
 السبب كما رأينا ، بل السبب هو السياق والتعبير عن المشهد أصدق تعبير بحروف الكلمة
 التي ترسم وتصور حتى الانفعالات الداخلية كما كنا نشرح ذلك عند قوله (يتجرعه)
 وكيف أن حروف الكلمة ترسم الصورة على ملامح الوجه حال النطق بها.

والعجيب أن الكاتب يصر على أن هذه التغيرات هي بقايا للغة قديمة لم يستطع الكتابة التلخيص منها بعد تطور علم الكتابة لديهم.. ويردد ذلك.. ويدعى في ص ٢٥٨ ((أنهم كانوا يستخدمون ذلك بطريقة غير منتظمة أو غير مقصودة أو غير واعية - إن صح التعبير -!! ويكمل ويقول: ولذلك فليس من الغريب أن يقترون الفعلان (هاجر) و (جاهد) في آية واحدة في أكثر من موضع مع مجيء الفعل الأول (هاجر) بالألف والثاني (جهد) بدون ألف ورغم تشابههما في الصيغة (فاعل) ، من ذلك مثلاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَرَحِبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢١٨) .. وقد تكرر نفس التركيب في أربعة مواضع أخرى بنفس الطريقة... إلى أن يصل لتبريره العجيب - الذي يحاول أن يقصرنا عليه ويصف العلماء بالجهل بذلك الرأي - حيث يقول: ولعل مجرد اعتياد الكتاب على إثبات الألف في كلمة دون أخرى هو الذي يفسر سلوك هجاء هذين الفعلين) انتهى قوله!!!!!!

والعجيب أنه لم يكلف نفسه التوقف على معاني هذه الأفعال وأمتاها الكثير... كما سنرى - ولكنه طوال بحثه كان متشعباً بمذه الفكرة البعيدة كل البعد عن منهج استفراء الآيات جميعها والوقوف عليها والتدبر لها.. ولو توقف قليلاً مع معنى ومدلول هذين الفعلين (هاجر) و (جهد) وعلم أن الجهاد هو قتل النفس - في سبيل الله - والقتل هدم للبناء يستدعى حذف الألف التي تحذف في حالة الهدم - بخلاف (هاجر) التي فيها معنى (النجاة بالنفس والهروب من الموت وهدم البناء).. فهي عملية إحياء للنفس.. وليس إفناء.. ولذلك يظهر فيها الألف.. وراجع بحث (العظام) بالألف.. حينما كان السياق يشير إلى إعادة أو تجميع العظام كتب بالألف.. وكتب (العظم) بدون ألف حينما كان يتحدث السياق عن عملية هدم وفناء العظام (بالموت والتحلل) ... وهكذا كلمة (تراب) بالألف وبدون الألف. ونقول أيضاً: وربما لأن في الهجرة مفارقة - لا بد منها - للأهل والأوطان. والمفارقة والتباعد يناسبها الألف. وربما لمجاهد الإنسان عدوه دون مهاجرة أو مفارقة للمكان؟؟؟؟... فما المانع في كتابة (هاجر) بالألف و(جهد) بدون ألف - وهذه الكتابة ليست فلتة عابرة ولكنها دائمة على منهج الرسم المعجز في القرآن الكريم؟

أما تعجبه من كتابة هذه الكلمات (يحموا.. يمح) لا تلتصقوا اليوم ثبورا واحداً) فإن العجب الحق من تعجبه هو أنه لا يكلف نفسه أن يعيخ السياق في الآيات المذكورة. وفي البحر المحيط: { لا تدعوا اليوم } يقول لهم { لا تدعوا } أو هم أحق أن يقال لهم ذلك وإن لم يكن هناك قول ، أي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا حزناً كثيراً

وكثرته إما لديمومة العذاب فهو متجدداً دائماً ، وإما لأنه أنواع وكل نوع يكون منه نبور لشدته وفظاعته ... نلاحظ أن الصيغة لهم ليست بالأمر المباشر. وهو كما يقول: بل احزنوا حزناً كثيراً وكثرته إما لديمومة العذاب فهو متجدداً دائماً ، وهذا لا يناسبه الحذف في الكلمة (ادعوا).. (ولذلك لم تظهر صفة الجزم واضحة). والحديث بلفظ الغائب وبأسلوب الحكاية عنهم .. وراجع مثال (تغفر لكم خطاياكم) و (يغفر لهم خطيكم).. الأول فيه المواجهة فأظهر الألف بخلاف الثاني..

وليراجع القارئ الكريم- على الصفحات القادمة - الرد بالتفصيل في باب حذف وإضافة الألف في الأفعال ليتبين له الحكمة العالية في حذف وإضافة الألف في الكلمات السابقة وغيرها الكثير المشيع لكل صاحب فكر ووعي.

وأما تساؤله عن (سيماهم بالألف - في آية الفتح فقط- وبدون الألف في باقي الآيات) فليراجع الصفحات القادمة.

ونقف على باب مهم منه تحت عنوان (الإمالة.. ورسم الألف ياء)

حيث يقول: فقد اتفقت المصاحف على رسم الفتحة الطويلة المتطرفة في كل ما كان أصله من ذوات الياء من الأسماء والأفعال بالياء، وكذلك في ما كان رباعياً مطلقاً سواء اتصلت الكلمة بضمير أم لم تتصل . لقيت ساكناً أو متحركاً.. وذلك نحو ((الموتى، السلوى، المرضى، الأسرى، شتى، صرعى، طوبى، الحسنى، الليسرى، للعسرى، البشرى، موسى، عيسى، إحدى، إحداهما، إحداهن، بشرىكم، آخرىكم، فجرها، مرسيها، الهدى العمى أدنى أزكى أربى سعى رضى يتلى تدعى يخفى آتاكم، أرىكم، أتيتها، يصليةها) وشبه ذلك.

((وأرجوا من القارئ أن يضم هذه الكلمات في باب الإمالة حينما نعود إليها بالشرح والتفصيل في باب خاص "الإمالة والقراءات" والتي تعتبر دليل صدق على حكمة هذا الرسم الذى حافظ برسمه هذا على صور وتعدد القراءات بصورة مدهشة، ولا أدري لماذا لم يقف الكاتب على هذه الدلالات !!)).

ويقول: ورسمت الفتحة الطويلة ياء أيضاً في (على ، إلى ، حتى ، متى ، بلى) هذا إذا لم تجتمع في آخر الكلمة ياءان نحو: الدنيا ، العليا ، الرءيا ، رءياك ، الحوايا ، وأحيا ، وأحياهم ، محياى ، محياهم،) و(هداى ، مئاوى) وما كان مثله فإن هذا النوع رسم بالألف...

باستثناء (يجبى) اسماً كان أو فعلاً.

وجاءت سبع كلمات من ذوات الياء وقد رسمت فيها الفتحة الطويلة ألسف
(عصاني) إبراهيم.. (الأقصا)، و(تولاه) الحج، و(أقصا) المدينة.. القصص. ويسر،
و(سيماهم) الفتح ((وأقول له مؤقتاً: هذا يشير إلى أنها جاءت على خلاف الأصل لأنها
تحدث عن النبي محمد وصحبه وترسم تفرد أصحاب النبي محمد (ﷺ) في الحال (في الدنيا)
والمآل (في الآخرة).. فهم غير كل البشر))..

وراجع رسم كلمة "طغا" بالألف (الحاقة) فقط ، والباقي بالياء (طغي)
واتفقت المصاحف على رسم ما كان من الأسماء والأفعال من ذوات الواو على ثلاثة
أحرف بالألف، وذلك نحو (الصفاء، شفا، سنا، خلا، عفا، بدا، نجا، علا،..) إلا ستة
أحرف فإنها رسمت بالياء (الضحى، زكى (النور)، (دحيها)، (ضحيتها) (تليها، سجي) ..
وأقول له : لماذا لا تقول: ربما يكون ذلك على سبيل الإمالة كما نقلت من أقوال العلماء في
الإمالة.)

والعجيب أنه يقول: ولذلك نرى أن ما كان من ذوات الواو كتب بالألف وذلك لامتناع
الإمالة ، وأيضاً للتفريق بينها وبين ذوات الياء.. وما كتب بالياء لأنها ترجع إلى الياء، إذا
دخلت عليها الزوائد (على .. عليه ، إلى .. إليه، لدى .. لديه) أو كان الفعل غير مسمى
الفاعل.

يقول الداني: وأما قوله في (على وإلى ولدى) كتبوهن كذلك خشية الالتباس بما قد
يشركهن في الصورة.. ((أى تشبته بقولنا : علا: أى ارتفع ، وإلا: تلتبث بأداة الاستثناء)).
ويكمل أيضاً قوله: وكذلك الإمالة ليست لأنه من ذوات الياء فقط ولكنه - أيضاً - من
حيث صحة الرواية .

وأقول: ((وهذا ملحظ مهم جداً جداً في قوله هذا الذي يرجعنا إلى مطابقة القراءة
الصحيحة مع الرسم ، وهذا يرد على الكلمات التي رسمت على غير قاعدة الإمالة
المذكورة.))

مع ملاحظة أن بعض ما ميل قد جاء مرسوماً بالألف مثل (جاء ، شاء ، زاد ، ران ، خاف ،
طاب ، خاب ، حاق ، ضاق ، زاغ) .. ومن الأسماء كل الف بعدها راء مكسورة مثل (النار
القهار الغار بقطار بدينار) ..

ونقول ونكرر لكاتبنا: (إذن هناك أمر آخر وهو : صحة الرواية.. والكسائي يميل ذوات
الياء كلها، وقاعدة الراء هذه)

ويكمل قوله: تشير الدراسات اللغوية المقارنة إلى أن كلمة (الصلاة) بالمعنى المفهوم منها
عند المسلمين هي في بعض اللغات السامية (صلوتا) أو (صلوت) .. (وكأنه يشير إلى سبب

كتابتها على صورة الواو (الصلوة) وأن أصلها الواو، وربما يكون هذا سبباً أو غيره مما سراه في بحثنا هذا عن الصلوة)

***** وكلمة (يستأخرون) بالألف في الأعراف.. (وسوف نذكرها في الصفحات القادمة) و(مستئنين).. عكس (تستأنسوا) بالألف (ولعلى أقول أن النص (تستأنسوا) هو إنشاء الاستئناس عند الإذن بالدخول.. بخلاف النص (مستئنين) الذي يوحي بمشهد التواصل بعد الدخول.. وهذا ما يقوله المفسرون: فهو عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدّثه به . أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت ، واستئناسه : تسمعه وتوجسه ، فهو بعد الدخول ، بل هو بعد المكث فترة أو فترات والاستمرار في ذلك ، بل بعد تناول الطعام أيضاً.... ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ هذا المكث - مع التواصل - الذي يناسبه إنامة الألف أو إخفائها...

ونكتفي بهذا القدر وفيه الكفاية لمن أراد الدلالة والهداية ، وكتابنا كله يعتبر بمثابة الرد الكامل على هذه الآراء وغيرها مما لم نعد ذكره هنا ، وهو دعوة صادقة من القلب لمناقشة هذا الرأي أو ذاك على أرض الواقع ومن واقع النصوص ، وأدعو القارئ أن يكمل معنا المسيرة ومشوار الإعجاز والجلال والجمال في رسم المصحف ، وسنبداه بالجزء الثاني الذي يقع فيه الاختلاف كثيراً وترك الحديث فيه علماؤنا القدامى وهو (حذف الألف) كثيراً في الرسم القرآني ، مكتفين بالقول : أن الألف ليس لها صورة في الرسم القلم فالأصل فيها عدم الظهور وهي بمثابة الفتحة الطويلة .

وإن كنا لاننكر هذا الحديث ولكن يبقى السؤال لماذا أضيف الألف هنا في كلمة وحاف من نفس الكلمة ولكنها في مكان آخر ربما في نفس السورة أو حتى في نفس الآية نجد الكلمة كتبت برسمين مختلفين وهذا هو مايلفت إليه الأنظار والقلوب والعقول للتدبر والتأمل والبحث ، وهذا هو ما سنعيشه على الصفحات القادمة إن شاء الله. ونسأل الله التوفيق والسداد .. آمين.

الجزء الثاني
الألف بين
الحذف والإضافة

مدخل إلى الإعجاز في رسم المصحف عن طريق علم القراءات والإمالة

نوجه نظر القارئ العزيز إلى أننا سنقوم بتيسير العرض في باب القراءات هذا وعلاقته برسم الكلمة في المصحف الشريف، وكعادتنا سنتجنب التعقيد على القارئ بكثرة المصطلحات قدر الإمكان كما هو الحال في باقي بحثنا هذا .

وقد تعرضنا للحديث عن القراءات لبيان كيف أن الرسم القرآني للكلمة -على صورته المتواجدة لدينا والمخالفة لما تعودناه في كتاباتنا المعتادة ؛ من حذف حرف أو نقصانه أو غير ذلك من التغييرات في رسم الكلمة- يتناسب أشد المناسبة ويتناغم مع تعدد وجوه القراءات ، وأن هذا الرسم على هذه الصورة هو الذي قد حافظ على استمرار تواجد هذه القراءات أيضاً حتى يومنا هذا .

وهذا لون هام من ألوان الإعجاز المتنوعة والخطيرة.

وسنأخذ من كتب القراءات ما يتيسر لنا ويناسب هذا البحث ، وللقارئ الاستزادة بعد ذلك إن أراد ، وسيكون كتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهرى أحد أعمدة هذا البحث، وسوف نرسم له باسم صاحبه ، مع الاستعانة بآراء أئمة التفسير وغيرهم ، وسيكون بترتيب السور حتى يستطيع القارئ أن يتابع معنا ،
والبداية من سورة البقرة:

(١) ﴿يُحٰدِثُونَ اللّٰهَ﴾ كتبت بدون ألف : ﴿ اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ يُحٰدِثُوْنَ اللّٰهَ وَهُوَ خٰدِعُهُمْ ﴾
وفي سورة النساء (١٤٢) .. وقوله : { يُحَادِعُونَ اللّٰهَ } قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وحلف (يُحَادِعُونَ) بألف بعد الخاء ، وقرأه ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (يُحَادِعُونَ) بفتح التحتية وسكون الخاء .. واعلم أن قوله : { وما يُحَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ } أجمعت القراءات العشر على قراءته بضم التحتية وفتح الخاء بعدها ألف .


(٢) ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾



يقول الرازي فأما قوله تعالى : { وَإِذْ وَعَدْنَا } فقرأ أبو عمرو ويعقوب وإذ وعدنا موسى بغير ألف في هذه السورة وفي الأعراف وطه وقرأ الباقون واعدنا بالألف في المواضع الثلاثة.

(٣) ﴿ فَأَخَذَتْكُمْ الصَّبَإَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٥٥) يقول الزمخشري: و { الصاعقة } ما صعقهم ، أي أماتهم . قيل : نار وقعت من السماء فأحرقتهم . وقيل : صيحة جاءت من السماء . وقيل : أرسل الله جنوداً سمعوا بحسها فحروا صعقين ميتين يوماً وليلة . وموسى عليه السلام ، لم تكن صعقته موتاً ولكن غشية ، بدليل قوله : { فَلَمَّا أَفَاقَ } . والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله : { وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } - وهذا يعني أنها بالمعنى (العام) وليس (الخاص) ولذلك حذف الألف . وقرأ علي رضي الله عنه { فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعْقَةُ } (٤) ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا ﴾ وقرئ : «تشابه» ، بمعنى تشابه .. وقرأ محمد ذو الشامة : إن البقر يشابه ، بالياء والتشديد .

.. أبو السعود: { إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا } يعنون أن الأوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا تهدي بها إلى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا إن البقر تشابهت .. ((إذن هو يتحدث عن تشابه الصفات (أى تشابه معنوى) وليس تشابه الذوات (المادى) لأنه لم يقل تشابهت))

ولاحظ: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ كَشَفَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ١١٨ (هو تشابه معنوى وليس تشابه مادى للعضو وهو القلب بلحمه ودمه) وقد تعودنا على أن التشابه المعنوى أو الوصف المجازى يحذف منه الألف للتفرقة بينه وبين المادى والحقيقى . (٥) ﴿ وَأَخْطَطْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ وهى إحاطة معنوية وليست مادية ولذلك كتبت بدون ألف (وَأَخْطَطْتُ) . وقرئ : «خطاياها» و «خطيئاته»

(٦) ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَيْكُمْ ﴾  الأعراف. وقرئ : «يفغر لكم خطيئاتكم» «وتغفر لكم خطاياكم» . و «خطيئاتكم» ، و «خطيئتكم» ، على البناء للمفعول . ومن هذه القراءات يعلم أنه لا يوجد مكان ثابت للألف مع قراءة الأفراد .

(٧) ﴿ تَنْظُرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوبِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُمْ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ ﴾   وقرئ : «تظاهرون» بحذف التاء وإدغامها . وتظاهرون بإثابها وتظهورون بمعنى تتظاهرون : أي تتعاونون عليهم .

(٨) ﴿ تَفْدُوهُمْ ﴾ وقرئ : «تفدوهم» ، «وتفادوهم» . «وأسرى» ، «وأسارى»

(٩) ﴿ أَوْكَلَّمَا عِبْهُدُوا ﴾ وقرىء «عوهدوا وعهدوا»

(١٠) ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ أبو السعود: { فَيُضَاعَفُهُ لَهُ } ، وصيغة المفاعلة للمبالغة ، وقرىء فَيُضْعِفُهُ بالرفع بالنصب { أَضْعَافًا } جمع ضَعَف .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّمَّةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وهكذا الآيات: (٢٠) هود .

(٦٩) الفرقان ، (١٣٠) الأحزاب (١١٨) الحديد .. رسمت (يُضْعِفُ)

وقرىء يُضْعَفُ على البناء للمفعول وَيُضَاعَفُ ويُضْعَفُ بنون العظمة على البناء للفاعل ونُصِبَ العذاب

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَلْتَرَبَّوْا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ آل عمران . يقول أبو السعود: وقرىء مُضْعَفَةً

(١١) ﴿ فَرَهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وقرىء فَرَهْنٌ كسُفْفٌ وكلاهما جمع رَهْنٌ بمعنى مرهون وقرىء بسكون الهاء تخفيفاً

ويلخص أبو منصور القول:

(١) يخادعون الله.. وما يخدعون .. يقول: لم يختلف القراء في الأولى بالألف.. واختلفوا في الثانية

(٢) ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٥): يقول: كان الكسائي يميل الألف

فيها "طُغْيَانِهِمْ" ، وفي قوله (وَفِي آذَانِهِمْ) (فأحياكم) و (خطاياكم) و (مرضات الله) و (حق تقاته) و (قد هدان) (يسارعون) (وسارعوا) (حياى) (رؤياى) (ومن عصانى) و (أحسن مثواى) و (ما أنسانيه) و (آتاني الكتاب) و (أوصاني) و (آتاني الله) و (كمشكاة) و (دحيها) و (تليها) (طحيها) (سجى) .. انفرد الكسائي بكسر هذه الحروف وفتحهن حمزة .. وكان حمزة إذا تقدمت قبل (أحيا) واو كسر الحرف، مثل قوله (أمات وأحيا) .. واتفق حمزة والكسائي على إمالة (كلاهما) وعلى إمالة (فائق الحب والنوى) .. وكان ابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب يفتحون هذه الحروف كلها إلا ماروى عن ابن عامر في (التوراة) و (ما أدراك) كان يقرأهما بين الكسر والفتح .. وكان حمزة والكسائي يميلان كل

ذوات الياء.. والعرب تقول هذا (عابد) و(عابد) و(عالم) و(عالم) فيكسرون الألف لإنكسار ما بعدها إلا أن تدخل حروف الإطباق (ص، ض، ط، ظ) ولا يجوز في ذلك (ظالم) ولا (طالب) ولا (صابر) ولا (ضابط).. وكذلك حروف الإستعلاء (خ، غ، ق) ولا يجوز في (غافل) (خادم) (قاهر)...

((ولهذا نلفت نظر القارئ بأن هذه الكلمات التي ذكرت وأمثالها الكثير تجعله يفهم لماذا رسمت هذه الكلمات أو الكثير منها بدون ألف لفتاً لهذه القراءة التي بالإمالة وأحياناً يقوم الرسم بالترجيح القوي كما سنرى ، والإمالة هي ميل الحرف إلى الكسر والياء ولذلك تحذف الألف))

وأما إمالة (سجى) و(قلى) وما أشبههما فالقياس أن ما كان من ذوات الياء مثل (قلى يقلى) (سرى يسرى) أميل .. وما كان من ذوات الواو (علا يعلو) (سما يسمو) لم يميل، على أن الإمالة جائزة في جميعها إذا اتفقت رؤس الآيات... (وكان الرسم بتصوير الإمالة وحذف الحرف يلفت أنظارنا إلى أصل الكلمة وحروفها هل كانت الواو أم الياء؟، وهذا ملفت هام أيضاً يقوم به الرسم القرآني وننبه إليه)

والراء إذا دخلت في أسماء على مثال (فاعل) سهلت الإمالة.. وإذا كان فيها حرف من حروف الإطباق مثل (هذا صارم) يميل الصاد.. ولاتقول في (صالح) ، وكذلك (مررت بضارب) ولاتقول (مررت بضابط)، وهذا الباب انفرد به البصريون وهو باب الإمالة..... والسور الممالة رءوس آياتها لتكون على نسق واحد إحدى عشر سورة (طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، العلق). فلاحظ ذلك ولاتنسى حين قراءتك لهذه السور وملاحظة حذف الحرف - كالألف مثلاً- ولتعلم كيف حافظ الرسم على هذه القراءات ، وكأنه يشخص لك صوت الكلمة وليس رسم حروفها فقط)

**** (وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)**

((ونقول في توجيه هذا الرسم بدون ألف لسبيين : الأول : هو الغفلة المجازية على الرأى الذى شرحناه .. والثانى هو أن أسماء الأفعال تنقسم - فى عرضنا القادم - إلى قسمين ؛ أسماء أفعال إيجابية فيها الحركة وصدور الفعل من صاحبه .. وأسماء أفعال سلبية ليس فيها الحركة أو صدور الفعل منه (كأسماء الجلال والهيبة لله) وكما هو الحال فى مثالنا هذا (بغفل) فالغفلة هنا سواء كان معناها النسيان أو الترك فهى معانى سلبية فتكتب

بدون ألف ، ولقد شرحنا ذلك عند قولنا (بأسط) بالألف، (بسط) بدون ألف ، وقلنا في حينها أن التي بالألف هي التي فيها الحركة بالفعل مثل قول قاتل أخيه من ولدى آدم (ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك) فهو بسط بالقتل والحركة فيه معلومة فكتبت بالألف ، بخلاف (وكلبهم بسط ذراعيه ..) فالبسط هنا بدون حركة (سلبية) فكتبت بدون ألف ، وهكذا في سورة الرعد لمن يسط يده بالماء دون تحريك أو استفادة فكتبت بدون ألف (كبسط كفيه إلى الماء ..) وغير ذلك كثير من الشواهد التي سنعيش معها على الصفحات القادمة إن شاء الله مثل (فاعل ، فعل) ، (الجلل) و(الإكرام) الأولى بدون ألف لأنها جلال وتوقير له مستقر في القلب وليس فيه حركة بخلاف الإكرام والإعطاء

(٣) ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ﴾ ، قرأ عاصم والكسائي ونافع { أسارى تفادوهم } كلاهما بالألف ، وقرأ حمزة { أسرى تفدوهم } بغير ألف فيهما ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر { أسارى تفدوهم } الأول بالألف والثاني بغير ألف

(٤) ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (٢٤١) ابن عامر (إبراهام) في البقرة (واقراً

بختنا عن الأسماء الأعجمية - وكتاب الإعجاز الأعجمي في القرآن الكريم - ولماذا كتبت إبراهيم في البقرة فقط بدون ياء بعد الهاء ، وذلك للإشارة على هاتين القراءتين (إبراهيم ، وإبراهام) ولذلك تم حذف حرف المد لتناسب القراءتين ، ويبقى السؤال: لماذا حدث ذلك الرسم في سورة البقرة فقط ؟ أو لماذا تكون التلميح بقراءة (إبراهام) في سورة البقرة فقط؟ ولم ترسم في أي سورة أخرى في القرآن كله بهذا الرسم ورسمت بالياء ؟ ونقول : أن هذا الرسم على هذه الصورة - والذي شرحنا أنه ليناسب القراءتين - نجد أنه تعدى علم القراءات إلى وجه آخر من وجوه الإعجاز ، ألا وهو: أنه كما هو معلوم لدى أهل الكتاب في كتبهم أن التسمية الأولى لسيدنا إبراهيم كانت (إبراهام) ، ولما همَّ بذبح ولده ونجح في الاختبار سماه الله (إبراهيم) ويقال أن معناه (أب لجمهور كبير) إشاره إلى أن الله سيعوضه بالذرية الكثيرة والأتباع.

وبهذا الشرح يتضح أن ((أول)) تسمية لإبراهيم كانت (إبراهام) فأشار إليها الرسم القرآني أيضاً في ((أول)) القرآن (سورة البقرة) ، وأن التسمية الثانية له كانت إبراهيم، فرسمت على صورتها في القرآن في باقي السور ... فكانت أول التسمية مع

أول القرآن ... وثاني التسمية مع الترتيب الثاني في سور القرآن، وهذه لفظة وإشارة خطيرة من إشارات الوحي في رسم الكلمة في القرآن لا الكريم.

(٥) ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتَهُمْ عَن قِتْلِهِمْ﴾ ١٤٢: قرأ حمزة والكسائي (ما وليهم) مملاً ورواه أبو بكر عن عاصم مملاً.. وفخمه الباقون (أى وضع ألف)

(٦) ﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلَاهَا﴾ .. ابن عامر (هو مولاها)

(٧) ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: أى آثاره (فهذه خطوات مجازية وليست حقيقية ولذلك لم تكتب بالألف)

(٨) ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾ (١١١) قول أبو السعود: وقرىء ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قاتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم قتلهم: قتلنا بنو أسد... وحمزة والكسائي: فإن قتلوكم.. وأجازت العرب قاتله الله بمعنى: لعنه الله.. وقيل في قوله قاتلهم الله: أى قتلهم الله ((وهنا ربما يشير إلى المجاز أيضاً في قوله قاتلهم الله أى لعنهم، وليس بالقتل على الحقيقة))

(٩) ﴿أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (٢٠٧) وقف حمزة على مرضات بالتاء.. ووقف الباقون عليها بالهاء.... قال أبو منصور: أجاز أهل العربية الوقوف على مرضاة وأشباهاها من الهاءات التي ليست بأصلية بالتاء.. وكذلك (هيئات) و (ياأبت) وإن وقف عليها بالهاء فهو جائز.. والتفخيم (أى وضع الألف) في مرضات أحسن من الإمالة.. والإمالة جائزة لأن الواو إذا جاءت رابعة تقلب ياء.. (الحجة في القراءات السبع.. والكشف عن وجوه القراءات).. ونقول هنا: أن الرسم كتبها بالألف (مرضات) ولم يحذف الألف على تجويز قراءة الإمالة، وذلك على ترجيح من الرسم لصورة التفخيم فقط، كما قال: والتفخيم في مرضات أحسن من الإمالة.. وهو ما سنراه عند شرحنا ل(رضوان، ومرضات) ولماذا كتبت مرضات بالألف.. ولكن الذى يهمنا هنا هو ترجيح الرسم لهذه القراءة لحكمة عالية نشير إليها في حينها تحت هذا العنوان.

آل عمران

(١) ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولَ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ﴾ يقول أبو السعود: وأصل (تقاة) وقية ثم أبدلت الواو تاء كتخمة وثمة وقلبت الياء ألفاً وقرىء تقية، ويقول أبو منصور: قرأ حمزة والكسائي {تقاة} بالإمالة. وقرأ الباقون بتفخيم الألف.. قرأ يعقوب (تقية).

(٢) ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ

سَيِّئَاتِهِمْ ﴿ ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ أي الكفار في سبيل الله تعالى ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ استشهدوا في القتال ، وقرىء بالعكس (أى: قتلوا وقاتلوا) لما أن الواو لا تستدعي الترتيب أو لأن المراد قتل بعضهم وقاتل آخرين ، وقرىء وقاتلوا بالتشديد .

ويقول الزمخشري: وقرىء: «وقتلوا»، بالتشديد. «وقتلوا وقاتلوا» على التقديم بالتخفيف والتشديد «وقتلوا، وقاتلوا»، على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول. «وقتلوا»، «وقاتلوا»، على بناءهما للفاعل {ثَوَابًا} في موضع (المصدر) المؤكد بمعنى إثابة أو تنويهاً.. ولهذا حذف منه الألف أيضاً

(١٠) ﴿وَكَايُنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِيثُونَ﴾. قرىء: «قاتل». و«قتل» و«قتل» بالتشديد

النساء

﴿مَثْنَى وَثُلَّةَ وَرُبَاعَ... فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.. لَكُمْ فِيمَا﴾

يقول أبو السعود: وقرىء وثلث ورُبَع على القصر من ثلاث ورُبَاع .. أي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً حسبما تريدون ((إذن هو لا يقصد التعداد - واحد إثنين ثلاثة فقط - ولكن يرمز لهذا المعنى أن (يجمع) إثنين أو (يجمع) ثلاثة ، فأشار بذلك إلى ملفت (الجمع) هذا.. ولاحظ كلمة (طاب) والجانب الروحي والمعنوي الرموز إليه في هذا العدد... بخلاف ثالث ثلثثة (وهم يقولون الثلاثة واحدة (الثلاثة في واحد) ولذلك حذف الألف من ثلاثة هنا وبقيت ثالث بالألف على العد الحقيقي (الأب والإبن والروح القدس) .. مع ملحظ التزاوج والاقتران والصلوق في قوله ثنتين ثنتين أو ثلث ثلاثة .. فهو لا يقصد التعداد الصرف والنظر إلى العدد المادى بل الطيب والتزاوج (والجمع بين الثنتين والثلاث و.....)، وهكذا (ثلثثة سنين ، سيقولون ثلثة رابعهم) .. فهو يقصد عملية الجمع للذين هم من صنف (السنين التي لم تختلف بالنسبة لأهل الكهف وهم على حالة واحدة من فقدان الوعي بهم أو التمييز بينهم) .. وأيضاً الوصف لواحد من هؤلاء الثلاثة من الصنف الواحد الذين تطابقت وتمثلت قلوبهم ، وهم (ثلاثة من الرجال؛ من نوع واحد) و(رابعهم) - أي المختلف عنهم والمفروق منهم - وهو (كلبهم) .. فكتب رابعهم بالألف

الفارقة ، وكذلك (خامسهم) و(ثامنهم) كليهم.. أو ربما لأن (ثاني ثالث ورابع وخامس وسابع وثامن) كلها بالألف كلها تدل على إسم الفاعل المضاف لهم وهو الذى يعطى العد لهم وهو إسم (مفرد) والمفرد يضاف له الألف عادة وخاصة إذا كان قليل الحروف .. كما فى (ثانى إثنين) أيضاً.. وقد رمز لكل هذه المعانى أو بعضها فى رسم الكلمة ؛ إضافة إلى القراءة الثانية لهذا العدد.

(٢) ﴿ دُرِّيَّةٌ ضَعِيفًا ﴾ وقرىء ضعفاءً وضعافى ضعفاً.. نحو سكارى ، وسكرى، بدون ألف .

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتِ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٣٣)..

لاحظ: وما ملكت أَيْمَانُكُمْ (الأيمان هنا على المجاز دائماً)، فهنا لا يقصد باليمين الناحية المادية - أى اليد اليمنى- ولكنها مجاز عن الملك والقدرة على الشئ ، ولذلك لم يقل النص القرآنى عن امتلاك العبيد (ما ملككم) ولكنه قال (وما ملكت أيمانكم)، لأن العبد والأمة ملك لى ولكن ليس كما أمك الدار والدابة وغير ذلك؛ فأنا يجوز لى أن أنقض الدار والبناء ولكن لا يحق لى ذلك فى العبد والأمة ، ولذلك سمى ملك يمين وأيمانكم (بدون ألف) ولم يقل أيضاً (ملككم).. وكذلك عقد الأيمان هو تعبير مجازى لأنه ليس بالعقد المعلوم من عمل عقدة وربطها كما نفع فى عقد الحبال وغيرها ((ونكرر أن التعبير المجازى يعرضه الرسم القرآنى بدون ألف مشيراً إلى هذا الفرق بينه وبين التعبير الحقيقى).

(٣) ﴿ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾: الزمخشرى: وقيل : هو سكر النعاس وغلبة النوم (أى: مجاز) .. وقرىء : «سكارى» ، بفتح السين ، «وسكرى» ، على أن يكون جمعاً ، نحو : هلكى ، وجوعى . . أو مفرداً بمعنى : وأنتم جماعة سكرى ، كقولك : امرأة سكرى ، وسكرى بضم السين كجلبى . على أن تكون صفة للجماعة .

(٤) ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ آَعَزْتُمْ لَوْكُمْ فَلَمْ يُقْتَلُوا وَلَقَوْا إِلَيْكُمْ وَسَلَّمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (١) وقرىء (فلقتلوكم)

(٥) ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا ﴾ وقرىء «مرغماً» وهذا البحث له تكملة هامة لشرح صورة المجاز فيه .

(٦) ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ وقرىء: نافع وابن

عمر: «قيماً»، بمعنى قياماً، كما جاء عوداً بمعنى عباداً. وقرأ عبد الله بن عمر: «قواماً»، بالواو. وقوام الشيء: ما يقام به، كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به.. ومثله

قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قِيَمًا)

(٧) ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعِيفًا..﴾ أمال حمزة وحده..

﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْتُمْ لَكُمْ وَمَنْ أَعْطَىٰ ظُلْمًا فَاعْتَبِرْ﴾ (٣٢) .. ملحوظة: الهمزة

بدون نبرة... قرأ ابن كثير والكسائي (وسلوا). ونظائره (فسل الذين) يونس... سل من أرسلنا (الزخرف) واتفقوا على همز (وليسألوا ما أنفقوا) المتحنة واللام لام أمر الغائب ((ولكنها مكتوبة بدون ألف).. وهنا ملحظ هام جداً وهو أن اللام لام الأمر - فهي فعل أمر ومضاف إليه لام الأمر أيضاً-، ومعلوم أن الأمر فيه الإظهار لهذا المأمور به وعلو النبرة في فعل الأمر، فأصبح المعنى هنا كأنه بمثابة تضييف الأمر)) وهنا يكون التوجيه لهذه القراءة الأخرى على أنهما قراءتان، مثل قراءة آية "يونس" ﴿فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك﴾ التي سنوضحها في حينها وكتب فاسأل بالألف في القراءة الثانية التي لا ترفضها ولا يرفضها واقع النص.

وتكون القراءة الثانية المشددة بالأمر المشدد (في آية المتحنة) لأسباب هي:

أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة ردّ إليهم، ومن أتى منكم مكة لم ردّ إليكم؟ وكتبوا بذلك كتاباً وختموه، فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر المخزومي. وقيل صفي بن الراهب فقال: يا محمد، أردد عليّ امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تحف، فترلت بيانا لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء. وعن الضحاك: كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد: أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا، فإن دخلت في دينك ولها زوج أن تردّ على زوجها الذي أنفق عليها، وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك. وعن قتادة: ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة، فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر والمعنى كما يقول المفسرون:

يقول الزمخشري: ﴿ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلَيْسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا﴾ من مهور نسائهم المهاجرات .

يقول الطاهر: فكذلك إذا فرت إليهم امرأة مسلم كافرة ولا قدرة لكم على إرجاعها إليكم تسألون المشركين إرجاع مهرها إلى زوجها المسلم الذي فرت منه وهذا إنصاف بين الفريقين ، . ثم يقول (والأمر للإباحة) .

ويقول الإمام الألويسي: ﴿ وَلَيْسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا ﴾ أي وليسألکم الكفار مهور نسائهم المهاجرات إليكم ، وظاهره أمر الكفار ، وهو من باب ﴿ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة : ١٢٣] فهو أمر للمؤمنين بالأداء (مجازاً) ونقول: (والمسلم أقرب في جميع تصرفاته حتى مع الكافر إلى العفو ولذلك لم يأت التشديد في رسم الكلمة في طلب المؤمنين بحقهم - وكما قال الإمام الطاهر: والأمر للإباحة أي ليس للوجوب - ولذلك لم توضع الألف في جانب مطالبة المؤمن بحقه وكتبتها (فسألوا ما أنفقتم) وكأنه إشارة إلى ذلك المعنى .

بخلاف مطالبة الكفار بمهور زوجاتهم اللاتي فررن منهم مهاجرات فهنا يكون التشديد مرتين : المرة الأولى تصور أن الكافر لن يترك حقه ، وكما قال الإمام الألويسي: روي أنه لما تقر هذا الحكم أدى المؤمنون مما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن ، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المؤمنين فترل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَانكحُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (١١)

والتشديد الثاني يعبر عن تشديد الله عز وجل على أتباعه المؤمنين بالحرص الشديد على رد المهور لأزواجهن الكفار الذين فررن منهم.

وهذه القراءة أو الرسة الثانية تعطى هذا الملفت الخطير جداً الذي يمثل التشديد في الوفاء بحقوق الغير من جانب المؤمنين ، والتسامح والتساهل والعفو عن حقوقهم ولو على غير المؤمنين.

ونشير على القارئ بالتنبيه على أن تعدد الرسم - في بعض الكلمات القليلة التي تعد على أصابع اليد - يعتبر كتعدد القراءات المعلوم لدينا - علماء وغير علماء - وكان يكتب المصحف لهذا القطر بهذه القراءة ويكتب المصحف للقطر الآخر بالقراءة الثانية لبيان هذا الجواز، وهذا النموذج الذي بين يدينا هو مثال على ذلك.

فما أروع وما أعظم وما أهر هذا الرسم المعجز!!

(١١) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ . نافع وابن عامر وحمزة:

(السَّلَام). وهو بمعنى الإستسلام. وروى شيبان عن إبان عن عاصم (السَّلَام) ويكون بمعنى الصلح والإسلام.

(١) ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١) وسُبُلُ السَّلَامِ : طرق السلامة التي لا خوف على السائر فيها . وللعرب طرق معروفة بالأمن وطرق معروفة بالخافة ، مثل وادي السباع (فهو على هذا المعنى طريق مجازي ومعنوي)

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا (٩٤)﴾ ومن قرأ { السلام } بالألف فله معنيان : أحدها : أن يكون المراد السلام الذي يكون هو تحية المسلمين ، أي لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية إنه إنما قالها تعوداً فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا واقبلوا منه ما أظهره . والثاني : أن يكون المعنى : لا تقولوا لمن اعتزلكم ولم يقتلكم لست مؤمناً ، ((وهذا معنى سلبي - كف نفسه فقط - والمعنى الأول إيجابي - إلقاء السلام -)) وأصل هذا من السلامة لأن المعتزل طالب للسلامة . قال الزمخشري : وقرئ : «السلام» . و«السلام» وهما الاستسلام (هذا أيضاً معنى سلبي)

تنبيه : والمعنى السلبي دائماً حينما نقوله لانقصد به المعنى السيء ، ولكن نقصد به السكون وعدم الحركة أو الفعل ، لأننا سنستخدم هذا المعنى كثيراً حتى في صفات الله عز وجل - كما ذكرنا في صفتي (ذي الجلال ، والإكرام)

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧) وقال الزجاج والجبائي : { السلام } بمعنى السلامة أي دار السلامة من الآفات والبلايا وسائر المكاهر التي يلقاها أهل النار . وقيل : هو بمعنى التسليم أي دار تحيتهم فيها سلام .

الأنعام : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ...﴾ ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾
 ((هذه المعاني كلها ترجح حذف الألف)) حيث أنها ليست بالمعنى المادي فقط

(٢) ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ { وقرئ : «رسالاته»

(٣) ﴿هَدِيًّا يَلْبِغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَّرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ (١١) المائدة { بالغ الكعبة } لأن إضافته غير حقيقية . ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم.... وقرأ الأعرج : أو كفارة طعام مسكين

(٤) ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ...﴾ .. المائدة هو لايعن القيام المادي الذي هو ضد الجلوس ولذلك يقول المفسرون : { قِيَامًا لِلنَّاسِ } انتعاشاً لهم في

أمر دينهم وديناهم ، وهو ضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم .. ويقول أبو السعود: وقرىء (قِيماً)

(٥) ﴿ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ لَّمْ يَأْتُواكَ ... سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْبُونَ لِلْحَقِّ بَلْ هُوَ عَلَى الْحِجَازِ .. سَمِعُونَ : عمل سلبى) بخلاف (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) بالألف ..

(٦) ﴿ وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرَضُوا فَلِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ . مكتوبة بواو كبيرة والثانية واو صغيرة .. وهنا نسمع لتفسير هذه الظاهرة من علم القراءات ، حيث يقول: وقرأ عامر وحمزة: (تلوا) بواو واحدة وضم اللام .. والباقون بواوين وسكون اللام .. (ولهذا كتبت على هذه الصورة المذكورة!!)

(٧) ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ . مكتوبة (شنان) ولكن الهمزة ليست على نبرة - . وحققا أن تكب (شنان) . ونلاحظ من علم القراءات قول ابن عامر، أبو بكر عن عاصم (شنان) ... خفيفة .. وحفص بالتثنية (المد) مثل حمزة .. وقرأ الباقر مشددا .

(٨) ﴿ نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ١٣ ﴾ . عامر والكسائي (قسيّة)

الأنعام

(١) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . ومكتوبة (أرأيتكم) وقال الأزهرى: قرأ نافع كل هذا فى القراءان بألف، فى تقدير الهمز ولا يهمز . وقرأ بالتخفيف أيضاً أبو جعفر .. (أرأيتكم) وقرأ الكسائي بغير ألف وبغير همز (أرأيتكم) وقرأ الباقر بالمهمز فى هذا ..

وقال أبو منصور: من قرأ (أرأيتكم) و (أرأيتم) بالهمز فعلى أن أصل الحرف مهموز .. ومن قرأ (أرأيتم) فعلى تخفيف الهمز .. ومن قرأ (أرأيتم) فعلى حذف الهمز .. وكلها لغات صحيحة .. والعلة فى قوله (أرأيتكم) هو خطاب للجماعة، ولم يقل (أرأيتموكم) لأن العرب إذا أرادت بمعنى (أرأيت) الإستخبار تركوا التاء مفتوحة فى الواحد والجمع والمؤنث، وإذا أرادوا رؤية العين ثنوا وجمعوا وأثنوا فقالوا للرجلان (أرأيتكما) وللجماعة (أرأيتموكم) وللنساء (أرأيتكن) وللمرأة (أرأيتكِ) .. (إذن هى على هذا المعنى هى على

المجاز ولا يقصد الرؤية البصرية) فاعرف الفرق بين العنيين.. ومعنى (قل رأيكم) استفهام معناه التقرير يستخبرهم ليقررهم

والذى يعنينا هنا هو أن الهمز مكتوبة على السطر بدون ألف لتتناسب جميع وجوه هذه القراءات، وربما يلاحظ القارئ الحيرة في وضع الألف والهمزة أيضاً وهل توضع أم لا؟ وأين توضع؟ فلذلك تم إلقاؤها على السطر وليس على الألف.

(٣) ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ ﴾ .. ابن عامر وحده (بالغدوة) بواو في السورتين (الكهف)

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ (٦١) وعن حمزة: (توفاه) بألف الإمالة

(٤) ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ ﴾ . مكتوبة (راء)، وغيرها ما عدا آية النجم.. و عن أبو عمرو: بفتح الراء وكسر الهمزة في هذه الحروف كلها.. وابن عامر وحمزه والكسائي.. (رئى)

﴿ رَأَىٰ قَمِيصَهُ، رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ، رَأَىٰ كَوْكَبًا.. فقط)..... وعند أبي عاصم وابن مجاهد كسر الراء عند الظاهر والمكنى في كل القرآن، وروى نصير عن الكسائي ومنه ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَنهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ، ﴾ (وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ ۗ) ﴿ أَنْ رَأَىٰهُ اسْتَغْفَىٰ)﴾

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ أُنْتَخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤) .. (وعلى هذا يتضح كسر الألف في هذه القراءات، إضافة إلى المعنى الآخر الذى سذكره على الصفحات القادمة إن شاء الله.)

(٥) ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١٥) .. والسؤال: لماذا فتحت التاء في (كَلِمَتُ)؟ والإجابة من مراجعة القراءات فيها:

ابن كثير وأبو عمرو (كلمات ربك) جماعة.. وفي يونس (كلمة ربك في موضعين). (٣٣)، (٩٦) .. وفي المؤمن (حقت كلمة ربك) .. وقرأ نافع وابن عامر هذه الأربعة مواضع على الجمع .. وقرأهن الباقون على التوحيد. ولم يختلفوا في غير هذه الأربعة الأعراف (١٣٧)، هود. (١١٩).

وقال أبو منصور : الكلمة تنوب عن الكلمات .. والعرب تقول قال فلان في كلمته أى في قصيدته، والقرآن كله كلمة الله، وكلم الله، وكلام الله ، وكلمات الله وكله صحيح في كلام العرب

الأنعام: ﴿ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٣١٦﴾ وقرىء : «أكبر مجرميها» على قولك : هم أكبر قومهم ، وأكابر قومهم

الأعراف.

ولاحظ ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ ﴿ قَابِلُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ وقائلين من القيلولة نصف النهار .. الألوسى : وقال الليث : البيوتة الدخول في الليل .. أو القيلولة هي (الراحة والدعة) نصف النهار وإن لم يكن معها نوم كما في «النهاية» ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَأً وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ إذ الجنة لا نوم فيها. (وهذا ملحظ هام جداً في توجيه رسم الكلمة فالليل ليس فيه حركة ، مع ملحظ كلمة البيوتة ، لذلك كتبت بدون ألف (بَيِّنًا) .. بخلاف مشهد النهار (نصف النهار) ، مع ملحظ عدم شرط النوم فيها - أى مازال هناك عنصر الحركة- مما ناسب ظهور الألف في (قائلون).

مع ملاحظة الصيغة في التعبيرين التي ترسم المشهد في كل منهما ؛ فكلمة (قائلون) إسم فاعل - فيه الحركة والفعل ، ولذلك لم يقل (بائتون) في الكلمة الأخرى ، بل قال (بيئتا) ، وأنا أقسم بالله أنني ألحظ وأشعر بملحظ النوم والتنسيم في حال النطق بها - حتى ولو لم أعلم شيئاً عن صيغ الكلمات ومعناها الذى ذكرناه - ولو قال النص (بائتون) لشعرنا بملحظ التحريك ولو حتى في مشهد النوم ..

وأذكر القارىء أن الكلمة في القرآن هي مختارة بالدقة الكاملة لترسم المشهد بالصورة الحية وتعبر عنه - بحرس حروفها - خير تعبير. (وراجع في نهاية الكتاب عنوان "حرس الكلمة"). ويأتى على خاطرى الآن ما قاله الشهيد : سيد قطب في ظلال القرآن حول قوله تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمْ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ وكيف وقف على حرس كلمة (النعاس) والكلمتان بعدها (أَمَنَةً مِّنْهُ) بفتحاتها المتوالية على الحروف والمبطنة للمشهد الذى يتناغم مع مشهد النعاس المحرك بركة وببطء إلى النوم .. وزاد في كتابه التصوير الفنى في القرآن الكريم تعليقا لطيفاً حول كلمة (أمنة) وكيف أنه لاحظ الفتحات المتوالية على

حروف هذه الكلمة التي كادت تميم القارىء حال القراءة بها، وليجرب ذلك القارىء بنفسه وهو يقرأ (أمنة) منه.. بخلاف الإيحاء بالأمن مع النوم.. ويعلق أيضاً على المشهد الذي رسم فيه هذا الجو، ورسمت فيه هذه الكلمات بهذه الرسمة الموجودة عليها فيقول:

ولفظ { يعشيكم } ولفظ { النعاس } ولفظ { أمنة } . . كلها تشترك في إلقاء ظل لطيف شفيف؛ وترسم الظل العام للمشهد، وتصور حال المؤمنين يومذاك، وتحلي قيمة هذه اللحظة النفسية الفاصلة بين حال للمسلمين وحال غيرهم. انتهى ونترك حديثنا عن (بيئنا) لنقف على ملاحظة أخرى في طريقنا وهي:

ملاحظة رسم كلمة (اليل) بحذف اللام.. أما رسم كلمة النهار فهي بإظهار الألف.. فإخفاء مع مشهد الإخفاء، وإظهار مع مشهد الظهور. هكذا النص القرآني يجرس كلماته ورسمها))

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً ﴾. يقول أبو السعود: وعن ابن عامر أنه همزة تشبيهاً له بصحائف ومدائن، والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع، أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها (أسباباً) تعيشون بها (ولذلك تكتب "جاعل" جميعها بالألف، بخلاف (خالق) التي تكتب بدون ألف لأن من معانيها التقدير والتصوير فقط. وهكذا كلمة (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ)

(١) ﴿ طَرَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي سبب خيرهم وشرهم عند الله

يقول أبو السعود: وقرئ (بها طرهم)، وهو اسم جمع طائر وقيل: جمع له

(٢) ﴿ وَخَوَّزْنَا بِنَجْوَى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾. وقرئ جوزنا بالتشديد

(٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

يقول الزمخشري: وأن المتقين هذه عادتهم: إذا أصابهم (أدنى) نزع من الشيطان

وإمام بوسوسته { تَذَكَّرُوا } . (لاحظ قولهم: "أدنى" وليس أعلى، وعلاقة ذلك بحذف الألف - كما في قوله ولم "تك" شيئاً مذكورا-، وقد قال الإمام الزركشي فيه: أن من بداية ما يقال له شيء للتصغير والتقليل) فهكذا هنا (أقل طائف من الشيطان) فتصغير الكلمة وتقليل حروفها يتناسب مع صغر وقلة هذا الطائف الذي يجر كلوب المؤمنين له وهو على أدنى مرحلة من هذه القلة ولا يتركونه حتى يستفحل).

ويقول أبو السعود: أدنى لمة منه ، أو من طاف به الخيال يطيفُ طيفاً أي ألم (وهذا سبب آخر للرسم - طيف الخيال من الشيطان-) ، وقرئ طيفٌ على أنه مصدر (معنى ثالث أراد به الإشارة إليه للترفة بين الاسم والمصدر) ، أو تخفيفٌ من طيف من السواوي أو اليائي كهين ولين ، والمراد الشيطان الجنس ((ولذلك حذف منه الألف على إرادة الجمع الذي يعنيه.. وهكذا الإنسان)) ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي ..

ويقول الطاهر: ، والطيف خيال يراك في النوم وهو شائع الذكر في الشعر .(ولذلك أرى أنها لا تصح حذف الألف في طائف أهل الجنة في سورة القلم - طاف عليها طائف من ربك- وما حدث لهم من (طائف من ربك) فقد كان حقيقة لاخيالاً: فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فأصبحت كالصريم .. ولكن الطاهر يوضح ملفتاً آخر يفيدنا في سبب الرسم لهذه الكلمة بالألف (طائف من ربك) حيث يقول: وعُدِّي (طاف) بحرف (على) - طاف عليها - لتضمينه معنى : تسلط أو نزل .(وهذا سبب آخر في الفرق بين الطائفين وسبب لوضع الألف هنا(طائف من ربك) وحذفها من طائف الشيطان)

(٢) ﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأَنَّ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَئِينَ ﴾ . قرأ أبو بكر وحمزة ويعقوب (استحق) الأولين) على الجميع - وليس المثني.. وحفص عن عاصم على المثني(الأوليان).

الأفعال

(١) ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ يقول الزمخشري: وقرئ: «بكلمته» ، على التوحيد .
 (٢) ﴿ يَبِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقرأ مجاهد : «وتخونوا أمانتكم» ، على التوحيد

التوبة

(١) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٨﴾
 يقول الزمخشري: { مساجد الله } أي المسجد الحرام ، وإنما جمع لأنه قبله المساجد وإمامها ؛ فعامره كعامرها ، أو لأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد(مسجد)

(٢) ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (٤١). و يقول الزمخشري:

{خلاف رَسُول الله} خلفه .. لها معان

(١). يقال : أقام خلاف الحي . بمعنى **بعدهم** (٢) ظعنوا ولم يظعن معهم

(فهى على هذا المعنى تعبير مجازى، وبهذا يكون حذف الألف كما قلنا)، وتشهد له قراءة أبي حيوة : خلف رسول الله .

(٣) وقيل : هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض (وهذا يعنى المعنى المعنوى وليس الخلف الذى هو (وراء الظهر) أيضاً)، وانتصابه على أنه مفعول له أو حال .

(٤)، أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له . (صورة الفعل).

((أربع أسباب لحذف الألف))

وركز الإمام الطاهر على الرأى الثالث فقال : . ومن نكتة اختيار لفظ خلاف دون خَلَفَ أنه يشير إلى أن قعودهم كان (مخالفة) لإرادة رسول الله حين استنفر الناس كلهم للغزو (أى أن هذا الرسم يعطى المعنيين معاً، وهذا من روائع البيان فى استخدام اللفظ الذى يعطى المعانى الكثيرة فى آن واحد)). ولذلك جعله بعضُ المفسرين منصوباً على المفعول له ، أى بمقعدهم لمخالفة أمر الرسول . (ونقول فى النهاية أيضاً: أن هذه من لطائف الرسم حيث أنها لو كتبت بالألف فإنها حينئذ لا تتحمل إلا قراءة واحدة ، ولكنها بدون الألف احتملت القراءتين والمعنيين). وسنعود لهذا اللفظ (خلاف) فى درس خاص.

(١) ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢). يقول أبو منصور يقول حمزة والكسائى : (إن صلاتك) وفى هود (أصلاتك) وفى المؤمنين (على صلاتهم) على التوحيد.. وقرأ حفص (إن صلاتك) و(أصلاتك) و(على صلاتهم) وقرأ الباقون (كلهن) على الجمع (صلواتك ، صلواتهم).. وقال الأزهرى: إن صلاتك تعنى دعاء.. أما (أصلاتك تأمرك) فمعناها (أعبادتك) وكله جائز: أصلاتك وأصلواتك ((وهنا لا بد من وقفة لمراجعة الآيات الملحظ جديد))

يونس

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٣)

الطاهر: وقوله : { أنهم لا يؤمنون } بَدَل من (كلمة) أو من (كلمات) . والمراد مضمون جملة أنهم لا يؤمنون .

وقرأ نافع ، وابن عامر { كلمات ربك } بالجمع . وقرأها الباقون بالإفراد ، والمعنى واحد لأن الكلمة تطلق على مجموع الكلام كقوله تعالى : { كلا إنها كلمة هو قائلها } [المؤمنون : ١٠٠] ، ولأن الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات أو باعتبار تكرار الكلمة الواحدة بالنسبة لأناس كثيرين . ((وهذا يعنى أنها ربما تكون كلمة واحدة تكررت على الجميع أو كلمات الله وأوامره (بجاز) عن أوامره الكثيرة))

(١٢) ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ﴾ (١٦) .. ألف صغيرة

مكتوبة على نبرة إشارة إلى القراءة بالإمالة وإلى أصل الكلمة في فعلها (يدري) بالياء ويقول الزمخشري: وقرأ الحسن: «ولا أدراكم به» على لغة من يقول: أعطاته وأرضاته، في معنى أعطيته وأرضيته. وتعضده قراءة ابن عباس: «ولا أدراكم به». ورواه الفراء: «ولا أدراكم به» وبالهمز. وفيه وجهان، أحدهما: أن تقلب الألف همزة.. والثاني: أن يكون من درأته إذا دفعته، وأدراته إذا جعلته دارئاً. والمعنى: ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤوني بالجدال وتكذبوني. وعن ابن كثير: «ولأدراكم به» بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه: لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري، ولكنه بمنّ على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلاً دون سائر الناس....

ويقول أبو منصور: قرأ نافع وحفص والحضرمي (أدراكم به) و (أدراك) - ١٤ مرة كلها في قصار المفصل وكلها مسبوقة ب(ما) - بالفتح في كل القرآن.. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بين الفتح والكسر. وقرأ أبو عمرو وهمزة والكسائي (أدراكم به) كسراً حيث وقع

هود

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) ويقول الزمخشري: وقرئ: «وبطل» على الفعل .

يوسف

(١) ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّابِقِينَ﴾ (٧)

قرأ ابن كثير آية بغير ألف حملة على شأن يوسف ، والباقون { آيات } على الجمع ؛ لأن أمور يوسف كانت كثيرة وكل واحد منها آية بنفسه .

(٢) ﴿ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ (١٠) ﴾

يقول الرازي: قرأ نافع { فِي غَيْبَةِ الْجَبِّ } على الجمع في الحرفين - أي : غيابات... هذا والذي بعده ، والباقون { غَيْبَةَ } على الواحد في الحرفين وقراءة أبي عمرو « ﴿ قَلْبٌ حَشِيٌّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ » بحذف الألف الآخرة . وقراءة الأعمش « ﴿ حشا لله ﴾ » بحذف الألف الأولى (ولعل هذا هو السبب في كتابتها بدون ألف "حشيش" لله)..
أبو منصور:

(١) ﴿ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بِضَعَعَتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ (بدون ألف). قرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، في رواية حفص { لِفَتْيَانِهِ } بالألف والنون ، وقرأ الباقر { *لِفَتْيَانِهِ } . فقال أهل اللغة : الفتيان والفتية بمعنى واحد .. (حجة القراءات) ..

(٢) ﴿ قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾

(٣) ﴿ فَأَلَّفَهُ خَيْرٌ حَفِظًا (٦٤) ﴾ حفص وحمزة والكسائي (حافظا) وقرأ الباقر (حفظا) أما (سنرود) و (رودته) بدون ألف ، فأرى - والله أعلم - كتبت كذلك لتدل على أنها مفاعلة من طرف واحد - وهي امرأة العزيز - لم يشترك فيها يوسف ... ويقول الطاهر: . وقيل : المفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب والممانعة من الجانب الآخر من العمل بمترلة مقابلة العمل بمثله .. (فمنها المحاولة والتكرار ومنه الثبات على حاله) ..
(٤٧) ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ٨٠ . وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ ﴾ ابن كثير (استياسوا) .. (ولا تايسوا) (حتى إذا استياس) بغير همز... وقرأ الباقر (فلما استياسوا) بالهمز (ولا تياسوا) (حتى إذا استياس) وكتبت (ولا تايسوا) إنه (لا ياييس). الطاهر: وقرأ البيزي بخلف عنه { وَلَا تَأْيِسُوا } و { إنه لا ياييس } بتقديم الهمزة على الياء الثانية .

البحر المحيط: وقرأ الجمهور : تياسوا ، وفرقة : تايسوا . وقرأ الأعرج : تتسوا بكسر التاء . ((فلكل هذه القراءات كان لابد من حذف الألف وتوضع على هذا الرسم الفريد لتناسب هذه الوجوه بحكمة عالية من الحكيم العليم)

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ (٤٢) الرازي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو :
 {وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ} على لفظ المفرد والباقون على الجمع ، قال صاحب «الكشاف»
 قرىء : (الكفار ، والكافرون ، والذين كفروا ، والكفر) أي أهله..
 لاحظ أن جميع لفظ الْكُفَّارُ بدون ألف

ويوضح أبو منصور الأمر: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ (٤٢) ﴾ ... ابن كثير
 ونافع وأبى عمرو(الكافر).- إسم جنس وهو أكثر- مثل كثر الدينار والدرهم. والباقون
 (الكفار).. وأيد الطبري قراءة الجمع .. وقال ابن خالوية : من وحد فقد أراد به أبو جهل
 فقط .. ومن جمع فقد أراد كل الكفار.. وقال : إنما وقع هذا الخلف لأنه في خط الإمام
 بغير ألف، وإنما هو الكفر) الحجة في القراءات السبع وحجة القراءات

﴿فَأَتَى اللَّهَ بِنبئتِهِمْ مِنْ آلِقَوَاعِدٍ﴾ وقرأ الجمهور : بنيانهم ، وقرأت فرقة بنيتهم . وقرأ
 جعفر : بيتهم ، والضحاك : بيوهم .

(٢) ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ٢٨ .. قرأ حمزة (بياء وتاء في الموضعين - ٣٢- مع
 الإمالة .. وكذلك روى أبو عمارة عن حفص عن عاصم مثل حمزة

﴿وَكُلٌّ إِنْ سَنَّ أَلْزَمْنَهُ طَيْرَهُ، فِي عُنُقِهِ﴾ الطاهر: وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء {طيره }
 ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ لِيَسْتَعْفُوا وَجُوهَكُمْ﴾.

كتبت: لِيَسْتَعْفُوا .. بدون نبرة للهمزة..

ويقول الألوسي والطاهر: : وقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ، وأبو جعفر ،
 ويعقوب (ليسووا) بضمير الجمع مثل أخواته الأفعال الأربعة . وقرأ ابن عامر ، وحمزة ،
 وأبو بكر عن عاصم ، وخلف (ليسوء) بالإنفراد والضمير لله تعالى . وقرأ الكسائي (لِئْسَاءِ)
 بنون العظمة . وتوجيه هاتين القراءتين من جهة موافقة رسم المصحف أن
 الهمزة المفتوحة بعد الواو قد ترسم بصورة ألف ، ، فالرسم يسمح بقراءة واو الجماعة
 على أن يكون الألف ألف الفرق ، وبقراءتي الأفراد على أن الألف علامة الهمزة ...
 ويقول أبو السعود: وفي قراءة علي رضي الله عنه : (لِنَسُوَان) على أنه جواب إذا ،

وقرىء (لتسوان) بالنون الخفيفة و(ليسوان).. وللقارىء معرفة الإجابة على السؤال بنفسه.

(٣) ﴿ كَتَبًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣). ﴾. أمال القاف حمزة والكسائي

(٤) ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (٣١). ﴿. كتبت هكذا ، ولكن بدون نبرة

تحت الهمزة.(وهنا - كما تعودنا - نبحث عن وجوه القراءات المحددة لوضع الهمزة) ويقول الطاهر: وقرأ الجمهور (خطأ) بكسر الخاء وسكون الطاء بعدها همزة ، أي إنما . وقرأه ابن ذكوان عن ابن عامر ، وأبو جعفر { خَطَأُ } بفتح الخاء وفتح الطاء . والخطأ ضد الصواب ، أي أن قتلهم محض خطأ ليس فيه ما يعذر عليه فاعله . وقرأه ابن كثير { خِطَاءً } بكسر الخاء وفتح الطاء وألف بعد الطاء بعده همزة ممدوداً . وهو فعال من خَطِيءَ إذا أجرم ، وهو لغة في خِطْءٍ ، وكان الفعال فيها للمبالغة وزاد الألوسى: وقرأ الحسن { *خطاء } بفتح الخاء والطاء مع المد وهو اسم مصدر أخطىء كالعطاء اسم مصدر أعطى ، وقرأ الزهري . وأبو رجاء { *خطا } بكسر الخاء وفتح الطاء وألف في آخره مبدلة من الهمزة وليس من قصر الممدود لأنه ضرورة لا داعي إليه ، وفي رواية عن ابن عامر أنه قرأ { *خطا } كعصا - أي أنه لا يوجد همزة في هاتين القراءتين-.

(وهنا وبعد استعراض هذه القراءات يتبين لنا لماذا لم توضع الهمزة على نبرة ، وكأنه لا يوجد لها مكان مستقر مع هذه القراءات)

(٤) ﴿ وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦٦). ..و عن أبو السعود: { خلفك } أي بعدك قال: خلت الديار خلفهم فكأنما ... بسط الشواطئ بينهم حصيراً أي لو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرىء خلفك.

وزاد الألوسى : وقرأ أهل الحجاز . وأبو بكر . وأبو عمرو { خَلْفَكَ } بغير ألف والمعنى واحد

(٥) ﴿ وَإِذَا أْتَعَمَّنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُعْرَضَ وَنَافًا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْكَانَ يَتُوسَّأ ﴾ (٨٧).

وكتبت هكذا(ونافا).. ولكن بدون نبرة للهمزة.. ويقول الألوسى: وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان { *وناء } هنا وفي فصلت ٥١ وهكذا تجد أنه لا يوجد مكان ثابت للهمزة.. وزاد أبو منصور: وروى يحيى عن أبي بكر (ونائي)بوزن (ناعي).. وكذلك روى خلف عن سليم عن حمزة وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم (وتئي)بكسر النون والهمزة.. ويقول : فإنه لما أمال الهمزة كسر النون والهمزة لاتباع الكسرة.. والتفخيم أفصح اللغتين.

الكهف

(١) وعن الألويسي: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾ وقرأ الحرميان .
وأبو عمرو: { تَزَاوُرُ } بفتح التاء وتشديد الزاي وقرئ: { *تزور } كتحمر .. عن أبي
أيوب { *تزوار } كتحمار وهو في البناء كسابقه ، وقرأ ابن مسعود . وأبو المتوكل
{ *تزوئر } بهمزة قبل الراء المشددة كتطمئن ،

(٢) ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾
يقول الرازي: قرأ ابن عامر بالغدوة بضم الغين والباقون بالغداة وكلاهما لغة . المسألة
الثانية : في قوله : { بالغداة والعشي } وجوه : الأول : المراد كونهم مواظبين على هذا
العمل في كل الأوقات كقول القائل : ليس لفلان عمل بالغداة والعشي إلا شتم الناس
(هو يشير إلى أنها ليست المقصودة بالوقت المعلوم فقط ولكنها تعبير (مجازي) عن
الوقت كله)

(٣) ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ﴿٧٧﴾ يقول الطاهر: وقرأ الجمهور { لَاتَّخَذْتَ
بهمزة وصل بعد اللام وتشديد المثناة الفوقية على أنه ماضي (اتخذ) . وقرأ ابن كثير ،
وأبو عمرو ، ويعقوب لتَّخَذْتَ بدون همزة على أنه ماضي (تَخَذَ) المفتوح بناء فوقية .
(٤) ﴿ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١٠٩) .

الثاني : فَلَا تُصِحِّبْنِي الكل قرأوا : { لَا تُصَاحِبْنِي } بالألف إلا يعقوب فإنه قرأ : (لا
تصحبني) من صحب والمعنى واحد

(١) ﴿ وَكَلِمَاتُ رَبِّي مِثْلُ مَنِّ السَّمَوَاتِ سَمَاتٍ وَكَانَ زَيْدٌ رُحْمًا ﴾ (٢٥) . قرأ حمزة والكسائي
(ثلاثمائة) مضافة .. وقرأ الباقون (ثلثمائة سنين) منونة (ثم راجع باقي كلام أبو منصور
في توجيه الإعراب ورد الشبهة)

(٣) ﴿ وَمَا أَتَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ . أمال الكسائي السين

مریم

﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ ﴾ { تساقط } فيه تسع قرآت : «تساقط»
بإدغام التاء . و«تساقط» بإظهار التاءين . و«تساقط» بطرح [التاء] الثانية .
و«يساقط» ، بالياء وإدغام التاء . و«تساقط» و«تسقط» و«يسقط» ، و«تسقط» ،

و«يسقط» التاء للنخلة ، والياء للجدع . (أرجوا من القارىء أن يتأمل في هذه القراءات ، ونذهب سوياً لنسأل هؤلاء الذين يتكرون لرسم المصحف بحجة أنهم وجدوا بعض الرسم مختلف في بعض المصاحف التي لم تصل إلى حد التواتر باعترافهم ، وهذه الكلمات قليلة العدد ولا تتعدى أطراف الأصابع - كما رأينا وسنرى في رحلتنا إن شاء الله - ونقول لهم أيهما أولى بصدق العزيمة والهمة في البحث والتدبر؟).

(١) ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ وكان حقها تكتب الهمزة على ياء (ورائي) ولكن ذلك لم يحدث لما تعودنا عليه بعد البحث في علم القراءات والتي روى عبيد عن شبل عن ابن كثير (وراي).... أبو السعود: وقرىء وراي بال قصر وفتح الياء.

ولاحظ أن معنى: { من ورائي } أي: من بعد حياتي . وليس بمعنى الخلف المعلوم وراء الظهر (فهو على الجاز أيضاً).

(٣) ﴿هُمَّ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾ وكان حقها أن تكتب (ورئياً) ويقول الألويسي: ... وقرأ الزهري . وأبو جعفر . وشيبة . وطلحة في رواية الهمداني . وأيوب . وابن سعدان . وابن ذكوان . **ورياء** بتشديد الياء من غير همز فاحتمل أن يكون من ذلك على قلب الهمزة ياء وإدغامها . واحتمل أن يكون من الري ضد العطش والمراد به النصارة والحسن . وقرأ أبو بكر في رواية الأعمش { *ريئا } بياء ساكنة بعدها همزة وهو على القلب ووزنه فلعا ، وقرىء { *رياء } بياء بعدها ألف بعدها همزة حكاها البيهقي . ومعناها كما في «الدر المصون» مراعاة بعضهم بعضاً .

وقرأ ابن عباس أيضاً . وابن جبير . ويزيد البربري . والأعصم المكي { *زيا } بالزاي وتشديد الياء وهو المحاسن المجموعة يقال : زواه زيا بالفتح أي جمعه ، ويراد منه الأثاث أيضاً والظاهر في الآية المعنى الأولى .

(ولاداعي - بعد هذا العد لوجوه القراءات - لإعادة السؤال: لماذا كتبت الهمزة هكذا أو لماذا حذف الحرف أو زيد؟)

طه

وعن الزمخشري: ﴿يَنْبِيَّ إِسْرَاءَ يَلْ قَدْ أَحْبَبْتُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْتُمْ﴾ وقرىء «أنجيتكم» إلى (رزقتكم) ، وعلى لفظ الوعد والمواعدة..أبو السعود: وقرىء واعدتكم

وواعدناكم.. قرأ حمزة والكسائي (أنجيتكم.. وواعدتكم.. ورزقتكم) ثلاثهن بالتاء

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾..أبو منصور : قرأ الكوفيون(مهدا).. وفي الزخرف:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)﴾.. وقرأ

الباقون (مهادا).. ملحوظة: كتبت بدون ألف - ولو حتى الألف الصغيرة - في السورتين . . وهذه من إعجاز الرسم الذي تعدى القراءات. (وسنعيه في باب خاص تحت هذا العنوان ومقارنته بكلمة: لهم من جهنم مهاد - بالألف - على الصفحات التالية). مع ملاحظة أن رسم كلمة (فراشاً) كتبت بغير ألف ظاهرة ولكنها كتبت بالف صغيرة ، لترسم في الذهن لوحة فنية تفرق بين المهاد والفراش.

(٢) ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانٌ﴾. أبو السعود: وقرىء بتشديد نون هذان ، وقيل : هي نافية واللام بمعنى إلا أي ما هذان إلا ساحران ، وقرىء إن بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فإنهم يُعربون التثنية تقديراً ، وقيل : اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها ، وقيل : إن بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما أن اللام لا تدخل خبر المبتدأ ، وقيل : أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف ، وقرىء إن هذين لساحران وهي قراءة واضحة.. (بلاحظ هنا تعدد القراءات التي تستدعي حذف الألف لتناسب جميع القراءات في - هذان ، هذين - ولنا وقفة أخرى معها في باب قادم إن شاء الله). وكذلك (فذك برهنان)

(٣) ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاجِرًا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ﴿١١٦﴾ حمزة والكسائي الأولى بغير ألف

(٤) ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ (٧٧) .. قرأ حمزة وحده (لاتخف) على الجزم

(٥) ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾

الأنبياء

(١) ﴿جَذَذَا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ يقول الزمخشري: وقرىء بالكسر والفتح . وقرىء : «جَذَذَا» جمع جَذِيد ، و«جَذَذَا» جمع جذة.

﴿وَحَرِّمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٥﴾ يقول الزمخشري: وقرىء : «حرم» و«حرم» ، بالفتح والكسر . وحرّم وحرّم { وحرّم على قَرْيَةٍ } أي ممتنع على أهلها غير متصوّر منهم ، وقرىء حرّم وهي لغة كاللحل والحلال

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿١١١﴾

(٦) ﴿ قِيلَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

(وحفص عن عاصم قرأها (قال))

(٧) ﴿ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٢٣) الحج ..

وأما من نصب التي في الحج وجر التي في فاطر فلأن مصاحف أهل البصرة والكوفة اجتمعت على الألف (ولؤلؤا) في الحج .. وعلى حذف الألف في فاطر فاتبعوا رسم المصحف (ولكنها مكتوبة بألف في المصاحف معنا) وهذه لها بحث خاص سنعيثه على الصفحات القادمة

(٩) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ وقرىء يدفع والمفعول محذوف

(١٠) ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْتِهَائِهِمْ تَطَلُّمًا ۗ ﴾ وقرىء على صيغة المبني للفاعل أي يريدون أن يقتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه ..

(١١) ﴿ فَكَايَيْنَ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ (٤٥) وقرىء (أهلكتها) (١٢)

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ .. ﴾ ابن كثير وأبو عمرو بغير ألف .. وكذلك في سبأ (وهذه لها بحث خاص وهام جداً) المؤمنون

(١) ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ﴿٨﴾ قرأ نافع وابن كثير { لأمانتهم } واعلم أنه يسمى الشيء المؤمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهداً .. ويقول أبو منصور: ابن كثير (لأمانته) واحدة .. وكذلك في سورة (واقع) ... وهكذا (صلاقم) قرأها بالإفراد حمزة والكسائي

(٢) المرتبة الخامسة : قوله ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعَظْمَ لَحْمًا ﴾ وقرأ ابن عامر (عظماً) والمراد منه الجمع كقوله : { والملك صدقاً صفاً } .

(٣) ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَآ تَهْجُرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع ، وقرىء (سمراً) و(سامراً) يهجرون . وقرىء : «سمراً» و «سماراً» وقرىء سَمْرًا وَسَمَارًا (أبو السعود)

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِيبِينَ﴾ (١١٧) . قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ . حمزة والكسائي (قل) للإثنين .. وابن كثير (قل كم لبستم) ، (قال إن لبستم) .. والباقون (قال) في الإثنين

النور

﴿الَّذِي تَرَىٰ اللَّهَ يُزجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَىٰ الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَاهِ﴾ (١١٩) . ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلَاهِ﴾ أي من فوقه... والخلال جمع خلل كجبال وجبل ، وقيل : مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده أنه قرىء من خلله. و(أبوالسعود) قرىء : «من خلله»

الفرقان

(١) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (١٢٠) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿١٢١﴾ قرىء : «الريح» و «الرياح نشرا» : إحياء . (وهذه لها بحث خاص وهام) .

(٢) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (١٢٢) وقرىء : «سرجا» وهي الشمس والكواكب الكبار معها الطاهر: وقرأ حمزة والكسائي { سُرُجًا } بضم السين والراء جمع سراج فيشمل مع الشمس النجوم ، فيكون امتناناً بحسن منظرها للناس كقوله { ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح } [الملك : ٥] ((وأقول أنه ملحظ جميل يتناسق مع سياق الآيات المفصل كما سنوضحه في مكان آخر)

(٣) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (١٢٣) قرىء : ذريتنا و«ذرياتنا» و«قرة أعين» و «قرات أعين» وقد وضحننا لماذا لم تفتح تاء (قرة) وتكتب (قوت) وكيف أن الرسم هنا (يهيمن على القراءات ويرجح الأوفق منها)

الشعراء

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَائِدُونَ﴾ (١٢٤) . يقول أبوالسعود: وقرىء حَذِرُونَ .. فالأوّل دالٌّ على التَّجَدُّد ، والثاني على الثبات وقيل : الحاذِرُ المؤدّي في السّلاح . وقرىء حَادِرُونَ بالذال المهملة أي أقوياء وأشداء وقيل : مدحجون في السّلاح قد أكسبهم ذلك حادارة في أجسامهم .

(٢) ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ كتبت (تراءءا)

هكذا... قرأ حمزة وحده بكسر الراء ، ثم يأتي بألف ممدودة بعد الراء ، ولا يهمز في الوقف (كسر الراء لغة لبعض العرب)..... ويقول الألوسي: وقرأ الأعمش . وابن وثاب { *تراءءا } بغير همز على مذهب التخفيف بين بين ، .. وقرأ حمزة { *تريئي } بكسر الراء وبعد ثم همز ، وروى مثله عن عاصم وروى عنه أيضاً { *تراءءا } بالفتح والمد ، وقال أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري في كتابه الإقناع { التقى الجمعان } في الشعراء إذا وقف عليها حمزة . والكسائي أما لا الألف المنقلبة عن لام الفعل ، وحمزة يميل ألف تفاعل وصلاً ووقفاً كإمالة الألف المنقلبة . وقرىء { فَلَمَّا تَرَاءَا } { الفتنان .

((ر-ن هنا يعلم للناس في وجوه هذه القراءات إختلاف موقع المد بالألف وإختلاف موقع الهمزة فكان هذا الرسم الجامع لكل هذه القراءات وليتأمله القارئ جيداً))

(٢) ﴿ وَتَنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوْتًا فَرِهِينَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ الألوسي: أي أشرين بطرين كما روي

عن ابن عباس . ومحمد بن العلاء ، وجاء في رواية أخرى عن ابن عباس تفسيره بنشطين مهتمين ، وقال أبو صالح : أي حاذقين وبذلك فسره الراغب ، وقال ابن زيد : أي أفوياء ، وأنت تعلم أن هذه الجملة داخله في حيز الاستفهام السابق والأوفق به على القول الأول القول الأول وعلى القول الثاني كل من الأقوال الباقية وكلها سواء في ذلك إلا أنه يفهم من كلام بعضهم أن الفراهة حقيقة في النشاط مجاز في غيره وعليه يترجح تفسيره بنشطين إذا أريد التذكير . وقرأ عبد الله . وابن عباس . وزيد بن علي . والكوفيون . وابن عامر { فارهين } بالف بعد الفاء ، وقراءة الجمهور (بدون ألف) أبلغ لما ذكروا في حاذر وحذر . وقرأ مجاهد { *متفريين } .

(٣) ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١٧١﴾

.. من قرأ (ليكة) جعلها اسم بقعة ولم يُجرها لأن آخرها هاء التانيث.. ومن قرأ (الأيكة) أجزاها لدخول الألف واللام عليها.. وأما الغيضة) التي تضم الشجر فهي (الأيكة) والجمع الأيك والفصل بين جمعه وواحد الهاء

النمل

﴿ قَالَ طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ ﴿١٧١﴾ . وقرىء : «طيركم» أي سبب

شؤمكم معكم وهو كفرهم ((أي أن هناك معنى آخر وهو المجاز بجانب توجيه القراءات - كما ذكر-)...

﴿ بَلِ ادْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ (٦٦) (بغير الألف هكذا (إدرك).. الرمحشري: وقرىء: «بل أدرك»، «بل ادراك»، «بل ادراك»، «بل تدارك»، «بل ادراك» بهمزتين «بل أدرك»، بألف بينهما . «بل ادرك»، بالتخفيف والنقل «بل ادرك» بفتح اللام وتشديد الدال . وأصله : بل أدرك؟ على الاستفهام «بلى أدرك»، «بلى أدرك»، «أم ادراك»، «أم ادراك» فهذه ثنتا عشرة قراءة :

((وأرجوا من قارئنا الكريم أن لا ينسى هذه الوجوه المتعددة على كلمة واحدة، ويتذكر ما يردده هؤلاء حول كتابة بعض الكلمات المعدودات برسمين مختلفين ويجعلون ذلك مطعناً في إعجاز الرسم !!، ولا أدري كيف يكيلون بمكيالين في التعامل مع كتاب الله))

(٤) ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ النمل(٨١) ﴾ : قرأ حمزة وحده (هـدى) وكذلك في الروم.. والباقي وقفوا على التي في النمل(بهادى) ولها تفصيل خاص.

القصص

(٥) ﴿ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ

عاصم وحمة والكسائي (سحران) بغير ألف .. عنوا التوراة والإنجيل، أو جعلوها سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر . أو أرادوا نوعان من السحر.... والباقون (ساحران).

الألوسی: وقرأ الأكثرون { *ساحران } وأراد الكفرة بهما نبينا وموسى عليهما والسلام. الطاهر: وقرأ الجمهور { ساحران } تشنية ساحر . وقرأ عاصم وحمة والكسائي وخلف { قالوا سحران } على أنه من الإخبار بالمصدر للمبالغة ، أي قالوا : هما ذوا سحر . قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأه (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) . بمعنى: كتاب موسى وهو التوراة، وكتاب عيسى وهو الإنجيل.

وإنما قلنا: ذلك أولى القراءتين بالصواب، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب، وهو قوله: (قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) والذي يليه من بعده ذكر الكتاب، وهو قوله: (فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ) فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبهه بأن يكون من ذكر غيره. وإذا كان ذلك هو الأولى بالقراءة، فمعلوم أن

معنى الكلام: قل يا محمد، أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل؟ وقالوا لما أوتي موسى (١) من الكتاب وما أوتيته أنت: سحران تعاوننا؟ وفي الألوسى والبحر المحيط: وقرأ طلحة ، والأعمش : اظاهرا ، بهمزة الوصل وشد الظاء ، وكذا هي في حرف عبد الله ،

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَى فَرِغًا﴾ (كتبت في المصحف بدون ألف). ويدل عليه قراءة من قرأ : فرغاً . وقرىء : «قرعاً» أي خالياً من قولهم : أعود بالله من صفر الإناء وقرع الفناء . وفرغاً ، من قولهم : دماؤهم بينهم فرغ ، أي هدر ، يعني : بطل قلبها وذهب ، وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها . ويجوز : وأصبح فؤادها فارغاً من الهم ، حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأن ولدها؛ لأنها لم تملك نفسها فرحاً وسروراً بما سمعت ، لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقة الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج ، لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه .

العنكبوت

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

﴿يقول الزمخشري: قرىء «آية» و«آيات» أرادوا : هلا أنزل عليه آية مثل ناقة

صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك

الروم

(١) ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ (٢٩). الروم.. كتبت يالوا بعدها ألف (ليربوا).. وقال الأزهرى: من قرأ (ليربو) بالياء - كلهم ماعدا نافع ويعقوب - لم يثبت الألف - مفرد - ومن قرأ (لتربوا) - أى أنتم - كتبه بالألف.. اعتبرها واو الجمع.. وكان أصلها تربون وسقطت النون علامة النصب

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ ﴿٥﴾

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم { إلى أثر } بالافراد

لقمان

﴿أُمُّهُ وَهَنَّا عَلَيَّ وَهَنٍ وَفَصَّلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾.. وقرىء : «وفصله»

الأحزاب

﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ أَلْتَى تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (١)

وتظاهرون : من ظاهر . وتظاهرون . من اظاهر، بمعنى تظاهر . وتظهرون : من اظهر، بمعنى تظهر . وتظهرون : من ظهر ، بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد . وتظهرون : من ظهر ، بلفظ فعل من الظهور . ومعنى ظاهر من امرأته : قال لها : أنت عليّ كظهر أمي (١) كتبت (الَّتَى) ولكن الهمزة ليست على نبرة..قرأ ابن كثير ونافع ويعقوب (اللاء تَظْهَرُونَ).. وقرأ أبو عمرو (اللاي).. وكذلك قرءوا في المجادلة والطلاق.... وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمر و يعقوب (تَظْهَرُونَ) وابن عامر (تَظَاهِرُونَ)..وعاصم (تَظَاهِرُونَ) ..وحمزة والكسائي (تَظَاهِرُونَ)

(٢) الظنونا .. الرسولا .. السبيلا.. كانت قواريا (اختلفوا في قراءتها وصلاً ووقفاً. ولكنهم اتفقوا على السبيل - الآية الرابعة من الأحزاب - كما هي مرسومة في المصحف - بدون ألف (وهذا ملحوظ هام نحتاجه على الصفحات التالية).

(٣) ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَظَلُّونَ﴾ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ (٢٠) كتبت ((يسئلون) ولكن الهمزة ليست على نبرة . وهنا يتبين لنا السبب بعد الوقوف على أوجه القراءات في الكلمة هكذا: وقرأ يعقوب وحده (يسأءلون).. وأصلها يتسأءلون.. ومن هذا يتبين عدم استقرار الهمزة على نبرة لوجود هذه القراءات .. وهي لمحة أسرة من آيات الذكر الحكيم

(٤) ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَبْحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعِّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾. قرأ ابن كثير وابن عامر (نُضَعِّفْ).. وابوعمر و يعقوب (يُضَعِّفْ) والباقي (يضاعف).

سبأ

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَآ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (١٥) وقرىء بلفظ الجمع أي مواضع سكناتهم وهي باليمن يقال لها مَأْرَبٌ بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليالٍ

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بِنَعْدِ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (١٩) وقرىء : «ربنا باعد بين أسفارنا» وبعد .

وقرىء : «ربنا بَعْدَ بين أسفارنا» وقرىء : «ربنا باعد بين أسفارنا» و... «بين سفرنا»

﴿ وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورَ ﴾ (١٧) وقرىء يُجَازِي على البناء للمفعول وهو الله عزَّ

وجل . وهل يُجَازَى على البناء للمفعول ورفع الكفور ، وهل يُجْزَى على البناء للمفعول أيضاً .

﴿ قُرَى ظَهْرَةٌ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرُ ﴾ ((متواصلة)) يُرى بعضها من بعض لتقاربها؛ (فهى ظاهرة لأعين أهلها) ، أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسَّابِلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم... فالظهور هنا "مجازى" ومعنى (التواصل واللصوق) وغير بعيدة (ليس لها عمق) ولذلك حُذف الألف الفارقة والمباعدة

(٣) ﴿ فَأَوْلَتْكَ هُمْ جِزَاءَ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ (٢٧) . وعن أبو السعود: وقرىء جزاء الضَّعْفُ أي فأولئك لهم الضَّعْفُ جزاءً ، وجزاء الضَّعْفِ على أن يجازوا الضَّعْفَ ، وجزاء الضَّعْفُ بالرفع على أن الضَّعْفُ بدلٌ من جزاء... وقرىء في العُرفة على إرادة الجنس (حمزة وحده)..

وهنا نقول أن كلمة جزاء لم تكتب على صورة التفخيم (جزاؤا) - كما في الآيات الأخرى رغم تطابق الشرط فيها وهو قوله (جزاء الضعف) - وذلك لتوافق مع القراءة التي قرئت بالتثنية (جزاء) و بدون الإضافة على أن الضَّعْفُ بدلٌ من جزاء.

فاطر

﴿ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ ﴾ (٤٠) .. يقول أبو السعود: وقرىء على بيناتٍ

يس

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴾ (٥١) وعن أبو السعود: وقرىء فاكهون للمبالغة و فاكهون بضم الكاف وهي لغة كَنْطُس ، و فاكهين و فكهين على الحال من المستكن في الظرف . و الفاكهة من التفكه .. و قيل فاكهون ذوو فاكهة

(٣) ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظُلُلٍ عَلَى الْأَرَابِكِ مُكْتُونُونَ ﴾ (٥٢) والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده - قراءة حمزة والكسائي - في ظُلُل (والأرائك جمع أريكة وهي السَّرِيرُ المزين بالثياب والسُّتُورِ قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة، وهذا الارتفاع وهذا الظهور والتزين يناسبه ظهور الألف في الأرائك)

(٥) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٢١) الحزرمي وحده (يقدر).. وكذا في الأحقاف (وهذه لها بحث كامل إن شاء الله على الصفحات القادمة)

الصفات

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَرْعُونَ﴾ (٧٠)، (فهي آثار مجازية ، وليست آثار حقيقية)

ص

﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ (٤٥) ابن كثير وحده (عبدنا).. خالفت القاعدة في عباد الرحمن .. وكل كلمة عباد بالألف ماعدا ﴿فَأَدْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ (٦٦) وهذه الأخرى وأذكرُ عبدنا..... وفي الزخرف: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ ١٩. الزخرف..... قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو جعفر (هم عند الرحمن) .. أما في الفرقان (عباد الرحمن) بالألف .. لأنه يقصد البشر الذين يمشون على الأرض وليس الملائكة الذين هم "عند" الرحمن. وفي الزخرف (ياعباد لاخوف عليكم... ٦٨.. نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (ياعبادي) بالياء في الوقف والوصل... وفتحها عاصم في رواية أبي بكر .. وحذفها ابن كثير وحفص وحمزة والكسائي في الوصل والوقف وأرجو من القارئ مراجعة كلمة (عباد) على الصفحات القادمة.. الزخرف ٥٨.. ﴿وَقَالُوا يَا لَيْسَ خَيْرٌ أَمْرُهُمْ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٦٦) .. كتبت ((ءأهنتا) .. قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب (أهنتا) - حذف حرف الإستفهام - لدلالة أم عليها - والباقون (أهنتا) بهمزتين بعدهما مدة (الهمزة الأولى للإستفهام .. والثانية همزة الجمع .. والثالثة همزة أصلية) قرأ ابو بكر وحمزة والكسائي (أعجمي وعربي) والباقون (أعجمي) بهمزة مطوله.. وقرأ قبل ورويس (أعجمي) بهمزة واحدة وكتبت في المصحف هكذا (أعجمي وعربي) تشير إلى هذه الحيرة في وضع الهمزة مع ملاحظة وضع علامة ألف الوصل على الألف

.. وهذا هو الإعجاز في رسم الكلمة التي تحافظ على كل أنواع القراءات بإشارة معجزة

الزمر

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمخشري: وقرئ: «كذاب وكذوب»، ولذلك لم يثبت الألف.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ (سَاجِدًا وَقَائِمًا) يقصد بهما مشهد الحركة بهما في الليل بدلاً من السكون والهجوم فيه، وهذه (الحركة) المقصودة هي التي يصورها وضع الألف - كما هو متعارف عليه - وسنراه كثيراً - في رسم المصحف.

غافر

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٦) وقرئ: «كلمات».

فصلت

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ وقرئ «من ثمرات من أكمامهن».. السعدود: وقرئ من ثمرة على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع. وقد قرئ بجمع الضمير أيضاً،

كبائر (قرأها حمزة والكسائي (كبير)).
الأحقاف ١٥ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِالذِّكْرِ الْإِحْسَانِ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتَهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ قرأ يعقوب وحده (وفصله)
والله يعلم أسرارهم .. قرئت (أسرارهم) ... ومحمد ٣٨ (هَتَأْتُمْ) .. بألف صغيرة بعدها ألف مهموزة وطويلة .. وقد قرئت أبي عمرو (ها أنتم) .. وابن كثير (هأنتم)

﴿آتَتْونِي بِكَتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنزِلْتَنِي مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤) الأحقاف.
(هي أولاً على الجواز وليس بمعنى البقية المادية. وثانياً: قرأ علي . وابن عباس رضي الله تعالى عنهم بخلاف عنهما . وزيد بن علي . وعكرمة . وقتادة . والحسن . والسلمي . والأعمش . وعمرو بن ميمون { أثاره } بغير ألف وهي واحدة جمعها أثر كقتره وقتر ، وعلي كرم الله تعالى وجهه . والسلمي . وقتادة أيضاً بإسكان التاء وهي الفعلة الواحدة مما يؤثر أي قد قنعت منكم بخير واحد أو أثر واحد يشهد بصحة قولكم؛ وعن الكسائي ضم الهمزة وإسكان التاء فهي اسم للمقدار كالغرفة لما يغرف باليد ، أي اتتوني بشيء ما

يؤثر من علم ، وروي عنه أيضاً أنه قرأ { أثاره } بكسر الهمزة وسكون التاء وهي بمعنى الأثره بفتحتين .

محمد

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤)

وقرىء : «قتلوا» بالتخفيف والتشديد : وقتلوا . وقتلوا .

الفتح

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٦) وقرىء : وما عاهد وعاهد

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ (١٥)﴾ حمزة والكسائي ((كلم الله)) بكسر اللام بغير ألف

(١) ﴿كَرَزِعٍ أَخْرَجَ شَطَطَهُ، فَكَازَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ، يُعَجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ

بِهِمُ الْكَفَّارَ .﴾. كتبت (شَطَطَهُ) بدون ألف و الهمزة ليست على نبرة.. ونعرف السبب

في ذلك بعد استعراضنا للقراءات في ذلك .. بقول الألوسى : وقرأ ابن كثير . وابن ذكوان

{ شَطَّاهُ } بفتح الطاء . وقرأ أبو حيوة . وابن أبي عبلة . وعيسى الكوفي كذلك وبالمد .

وقرأ زيد بن علي كذلك أيضاً وبالف بدل الهمزة ، وقرأ أبو جعفر { شطه } بحذف

الهمزة وإلقاء حركتها على الطاء ، .. ، وعن الجحدري أيضاً { شطوه } بإسكان الطاء

وواو بعدها ، أ السعود : وقرىء (شَطَّاهُ) بفتحات . وقرىء (شَطَّاهُ) بفتح الطاء

وتخفيف الهمزة وشَطَّاهُ بالمد ، وشَطَّه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها (شَطَّوه) بقلبها واواً

ق

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ (٤)

وواضح من ذلك أنه لايعنى الدبر الذى بمعنى الظهر. - أى على المجاز فحذف الألف -.

بخلاف قوله : فلا تولوهم الأدبار - أى الظهور على الحقيقة - ولذلك كتبت بالألف

الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ ﴿فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا﴾ ﴿فَالْجُرَيْتِ يُسْرًا﴾ ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ (٦)

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٦) وقرىء : «سلاما» قال

«سلاما» والسلام : السلام . وقرىء «سلاما قال سلم» وجعله في «البحر» على معنى نحن

أو أنتم سلم ، وقرأ الجمهور : { قال سلام } . وقرأه حمزة والكسائي { قال سلم }
بكسر السين وسكون اللام .

النجم

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١)) ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كلها بفتح أو احرر
آياتها.. وقرأ نافع وأبو عمرو بين الفتح والكسر.. وقرأ حمزة والكسائي بالكسر..
وكان يميل (رآه) و (رأى).. وقرىء (بالألف الأعلى) و(دنا فتدلى) بمالة
(٢) (أَفْتَمْرُوتُهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ) حمزة والكسائي (أفتمرونه)

(٣) (وَمَنْوَةٌ الثَّلَاثَةُ الْأَخْرَىٰ) (٢٠) ابن كثير والأعشى عن أبي بكر عن
عاصم (ومناة).. وقرىء : «ومناة» وكأنها سميت مناة لأن دماء النساءك كانت تمني
عندها ، أي : تراق ،

(٤) (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١)).. قرأ نافع وأبو
عمرو والحضرمي (عاداً لولى) مدغمة التنوين موصولة الألف.. وروى عن نافع لولى..
أما أبو عمرو فإنه لم يهمز

(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ) (٧٤) الهمزة ليست على نبرة

• (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) (٧٥). حمزة والكسائي (بموقع النجوم) .. ويقول
الطبرى: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة بموقع على التوحيد،
وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بموقع: على الجمع.

(إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ
وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (كتبت بدون ألف). قرا حمزة (ينتجون) .. ويعقوب
الحضرمي (فلا تنتجوا.. وينتجون)

(٥) (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَلْسِ فَأَفْسَحُوا) عاصم فقط والباقون بدون ألف (المجلس)
الملك: (مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ) قرأ حمزة والكسائي (من تفوت) { من
تفاوت } وقرىء : «من تفوت» ، ومعنى البناءين واحد ، كقولهم : تظاهروا من
نسائهم . وتظاهروا . وتعاهدته وتعهدته ، أي : من اختلاف واضطراب في الحلقة ولا
تناقض؛ إنما هي مستوية مستقيمة . (وأقول أن هذا الرسم يعطى القراءتين مع إرادة

العنين وهما: لا تجد تفاوت في المظهر الخارجي في السماء ، ولا في إحكام والصنعة من الداخل.. وهذا من قمة الروعة والإبهار يشير إليه رسم الكلمة)))
 (٦) أأمنتم .. مكتوبة (ءأمنتم).. قرأ ابن كثير (وأمنتم) بترك همزة الإستفهام.. وأبو عمرو ونافع (ءأمنتم).. عاصم وهمزة والكسائي وابن عامر (أأمنتم).. وهذه الأسباب وضعت الهمزة الأولى على السطر ولم توضع على الألف.

المطففين

﴿حِثْمُهُمْ مِسْكَ﴾ (٢٦) الطبري: ختأمة - بدون ألف - وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: (ختأمة مِسْكَ) سوى الكسائي، فإنه كان يقرأه (ختأمة مِسْكَ) .
 الفجر

﴿فَادْخُلِي فِي عِبْدِي﴾ (٦٠) وقرأ أبي: «أنتي ربك راضية مرضية ، ادخلي في عبدي» .
 وقرأ ابن عباس: «فادخلي في عبدي» ، وقرأ ابن مسعود: «في جسد عبدي»

المعارج

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ (٤٤) الزمخشري: وقرىء: «برب المشرق والمغرب» ولها وقفة هامة على الصفحات القادمة.

الإنسان

﴿عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سُنْدُسٍ﴾ (٦٠) الطاهر: وقرأ نافع وهمزة وأبو جعفر {عَالِيهِمْ} بسكون الياء... وقرأ بقية العشرة {عَالِيهِمْ} بفتح التحتية على أنه حال مفرد (ولها توجيه آخر)

النبأ

﴿كذابا بالألف وبدون ألف﴾ (١٠) و﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا﴾ (١٠) . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿١٠﴾ (وهذه لها وقفة هامة جداً في شرحنا بعنوان خاص لها على الصفحات التالية)
 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (١٠) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿١٠﴾ . قرىء: «بشهادتهم» و«بشهاداتهم»

(مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا ﴿٢٥﴾) نوح. وَقُرِئَ مِمَّا خَطَبَاهُمْ ، وَمِمَّا

خطبتهم أي بسبب خطبتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم

(إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأَةً وَأَاقُومٌ قِيلاً ﴿٦﴾) .. الهمزة بدون نبرة.. { هِيَ أَشَدُّ

وَطْأً } أي هي خاصةً أشدُّ ثبات قدم ، أو كلفة - أي مشقة - فلا بدَّ من الاعتناء بالقيام .
وقرئ **وَطْأَةً** ؛ أي أشدُّ مواطأةً يواطىء قلبها لسائها إن أريدَ بها النفسُ ، أو يواطىء فيها
قلبُ القائم لسائها إن أريدَ بها القيامُ ، أو العبادةُ أو الساعاتُ ، أو أشدُّ موافقةً لما يراؤ من
الخشوع والإخلاص (ومن هذا يعلم ماتشير إليه القراءات من ألوان المجاز في هذه الآية،
إضافة إلى تعدد القراءات التي لا يثبت فيها مكان للهمزة ولذلك وضعت بدون نبرة)

(١٧) (كَانَتْهُ جَمَلَتْ صُفْرًا ﴿٣٣﴾) المرسلات.. أ السعود: وَقُرِئَ جَمَالَاتٌ جَمْعُ

جمال أو جمالة ، وَقُرِئَ جَمَالَاتٌ جَمْعُ جَمَالَةٍ ، وقد قرئَ بها وهي الجبلُ العظيمُ من جبال
السفنِ وقلوسِ الجسورِ والتشبيهُ في امتداده والتفافه

(١٨) { لِسَبْثِينَ فِيهَا } النبا.. وَقُرِئَ لِسَبْثِينَ

(١٩) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.. همزة والكسائي بكسر الراء .. ولكن لم يحذف الألف
لأنها ثلاثية وقليلة الحروف

(٢٠) (خَتَمُهُ مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾).... الكسائي

(خاتمه) .. (إذن لابد من حذف الألف لتناسب القراءتان)

(٢١) فاكهين .. كتبت وقرئت (فكهين)

(٢٢) (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾) الغاشية.. يقول أبو السعود: لغواً أو كلمة ذات

لغو أو نفساً تلغو فإن كلام أهل الجنة كله أذكارٌ وحكمٌ . وَقُرِئَ لَا تُسْمَعُ عَلَى الْبِنَاءِ
للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية

الألوسى: فِيهَا لاغية {.. وجوز على تقدير كوفها صفة كون الإسناد مجازياً لأن الكلمة
ملغو بها لا لاغية. (لاحظ هنا: المجاز)

(٢٤) (لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِطِرٍ ﴿٢٢﴾) الغاشية.. (بمصيطر وتحتها (س)).. الكسائي فقط

بالسين

(٢٥) (وَلَا تَحْضُونَ).. الألوسى: وقرأ أبو عمرو ومن سمعت الحسن ومن معه ولا

يحضون بياء الغيبة ولا ألف بعد الحاء ، وباقي السبعة بتاء الخطاب.. ويقول أبو
السعود: وَقُرِئَ تَحْضُونَ مِنَ الْحَاضَةِ ، وَقُرِئَ يَحْضُونَ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ

(٢٦) ﴿ الشمس وضحها ﴾ . كل السورة قرأها نافع وأبو عمرو بين الفتح والكسر .. وكسرها الكسائي كلها .. وكذا سورة النازعات .. وكذا والضحي .. قرأ نافع ياءاتها بين الفتح والكسر . وكذا أبو عمرو .. وكذا (أن راه استغنى) كان حمزة والكسائي يكسران الراء (راه) .. و(أرأيت) الذى يكذب بالدين قرأ نافع (أرايت) بألف ولا يهمز .. الكسائي (أرأيت) .. شائتك ... قرئت (شانيك) .. (أفواجا) .. إجتماع القراء على تفخيمها فلا يجوز فيها الإمالة ومعناه كان يسلم الحى بأسره .. وهكذا كان يميل النون من (الناس) (ولكنها ثلاثية لا يحدف ألفها)

إضافة للحدِيث عن الإمالة

راجع ما قاله أبو منصور الأزهري:

وَيَمْدُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْْمَهُونَ (١٥): كان الكسائي يميل الألف فيها ، وفي قوله (وفي آذاهم) (فأحياكم) و (خطاياكم) و(مرضات الله) و(حق تقاته) و (قد هدان) (يسارعون) و(سارعوا) (محيى) (رؤياى) (ومن عصاني) و (أحسن مشواى) و (ما أنسانيه) و(آتاني الكتاب) و(أوصاني) و(آتاني الله) و(كمشكاة) و(دحيها) و(تليها) (طحيها) (سجى) .. انفرد الكسائي بكسر هذه الحروف وفتحهن حمزة .. وكان حمزة إذا تقدمت قبل (أحيا) و او كسر الحرف، مثل قوله (أمات وأحيا) .. واتفق حمزة والكسائي على إمالة (كلاهما) وعلى إمالة (فالق الحب والنوى) .. وكان ابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب يفتحون هذه الحروف كلها إلا ماروى عن ابن عامر في (التوراة) و (ما أدراك) كان يقرأهما بين الكسر والفتح .. وكان حمزة والكسائي يميلان كل ذوات الياء .. والعرب تقول هذا (عابد) و(عابد) و(عالم) و(عالم) فيكسرون الألف لأنكسار ما بعدها إلا أن تدخل حروف الإطباق (ص، ض، ط، ظ) ولا يجوز في ذلك (ظالم) ولا (طالب) ولا (صابر) ولا (ضابط) .. وكذلك حروف الإستعلاء (خ، غ، ق) ولا يجوز في (غافل) (خادم) (قاهر) ... وأما إمالة (سجى) و(قلبي) وما أشبههما فالقياس أن ما كان من ذوات الياء مثل (قلبي يقلبي) (سرى يسرى) أميل .. وما كان من ذوات الواو (علا يعلو) (سما يسمو) لم يميل، على أن الإمالة جائزة في جميعها إذا اتفقت رؤوس الآيات .

والراء إذا دخلت في أسماء على مثال (فاعل) سهلت الإمالة .. وإذا كان فيها حرف من حروف الإطباق مثل (هذا صارم) يميل الصاد .. ولا تقول في (صالح) وكذلك (مررت

بضارب) ولا تقول (مررت بضابط)، وهذا الباب انفرد به البصريون وهو باب الإمالة.... والصور الممالة رءوس آياتها لتكون على نسق واحد إحدى عشر سورة (طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، العلق) لا تنسى ذلك عزيزى القارئ وتذكر دائما أن الرسم تابع للقراءة ومثل له.

من كتاب العنوان في القراءات السبع

أجمعوا على الفتح في الأفعال الثلاثية من ذوات الواو نحو: دعا عفا ونجا وما أشبه ذلك حيث وقع إلا أربعة أفعال منها وهي: (دحاها) و (طحاها) و (تلاها) و (سجا) لسان الكسائي أمالها، وكذلك الأسماء الثلاثية من ذوات الواو.

وأجمعوا أيضا على فتحها نحو: (الصفاء) و (عصاه) و (شفا جرف) وما أشبهه إلا ثلاثة أحرف منها: (الربا) و (الضحى) حيث وقعا نكرتين أو معرفتين. والثالث قوله: (أو كلاهما) في سبحانه فإن الأخوين أمالا هذه الثلاثة، وكذلك أمالا كل ألف منقلبة من ياء أو في حكم المنقلب في الأفعال والأسماء:

فالأفعال نحو: (أتى) و (سعى) و (كفى) و (هداكم) و (قد نرى) و (يسعى) و (يرضى) و (ثم توفى) و (لا يلقاها) و (حتى نؤتى مثل) و (تولى) و (تغشاه) و (يتوفاهن الموت) و (تلقاهم) و (تتجافى) و (ما ولاهم) و (إني أراك) و (كيف أسى) و (استسقى) و (استغنى) و (تعالى) و (تعاطى) ونحو ذلك. والأسماء نحو: (ولا أدنى من ذلك).

(وأزكى لكم) و (أرى لكم من أمة) و (أعمى) و (من أوفى بعهدته) و (الأعلى) و (أبقى) و (أتفاكم) و (أحوى) و (أخرى) و (أشسقاها) و (الينسامى) و (الحوايا) و (الأيامى) و (كسالى) و (سكارى) و (فرادى) و (موسى) و (عيسى) و (يحيى) و (انثى) و (الدنيا) و (العليا) و (السوى) و (السلوى) و (الموتى) و (مجاوهم) و (إحدى) كيف تصرف و (بسيماهم) و (الترى) و (الهدى) و (الزنا) حيث وقع و (المولى) و (المأوى) كيف تصرفا - و (مثنى) حيث وقع (يا ويلنا) و (يا أسفا) و (بصاعة مرجاة) و (مرساها) و (مقى) و (أنى لك هذا) و (أنى يؤفكون) ونحو ذلك. وكذلك أمالا بلى - وهو حرف - فأما (أحيا) و (فأحياكم) و (أحيا به) - كيف تصرف - فإن حمزة لم يعل إلا ما كان قبله واو فقط، ماضيا كان أو مستقبلا، فإن كان قبله فاء أو ثم أو لم يكونا قبله فتح.

وأمال الكسائي الباب كله على أصله. وقرأ أبو عمرو ما كان من ذلك كله رأس آية، وليس في آخره راء بعدها ياء في الخط بين اللفظين، وأماله منه ما كان فيه راء بعدها ياء في الخط رأس آية كان أو غيره وفتح الباقي وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين، وأمال منه ما كان فيه راء بعدها ياء في الخط رأس آية كان أو غيره وفتح الباقي وقرأ نافع جميع ذلك بين اللفظين.

وفتح الباقون جميع ذلك كيف تصرف إلا مواضع يسيرة ربما اختلفوا فيها على غير هذا الترتيب، نحن نذكرها في مواضعها من السور إن شاء الله تعالى.

باب ما انفرد بإمالاته الدوري عن الكسائي

من ذلك قوله: (بارئكم) في الموضعين و (البارئ)، و (طغيانهم) حيث وقع (في آذانهم) و (آذاننا) حيث وقع (محمي) و (متوي) و (من أنصاري) في " آل عمران " " ٥٢ " والصف ١٤ و (الجار ذي القربى) و (الجار الجنب) في النساء و (جبارين) في المائدة و " الشعراء " و (الجواري) حيث وقع (وسارعوا) و (يسارع) حيث وقع (وكمشكاة) في النور.

باب ما انفرد بإمالاته الكسائي في كلتا روايتيه

من ذلك قوله: (مرضاة الله) و (مرضاتي) و (مرضاة أزواجك) حيث وقع و (خطاياكم) و (خطايانا) حيث وقع (حق تقائه) في " آل عمران ١٠٢ (وقد هذان) في الأنعام ٨٠ (ومن عصاني) في إبراهيم ٣٦ و (وما أنسانيه) في الكهف (وأوصاني بالصلاة) في " مريم ٣١.

وفيهما (آني الكتاب) ٣٠ وفي " النمل " : (فما أتاني الله) ٣٦ " النمل " و (محيهم) في " الجاثية " ٢١ والأربعة الأفعال التي تقدم ذكرها، و (الرؤيا) كيف تصرف إلا أن أبا الحارث خالف أصله في قوله: (لا تقصص رؤياك) في " يوسف " ففتحه وحده.

فصل

واختلفوا في عشرة أفعال ثلاثية ماضية، وهي: جاء، وشاء وزاد، وضاق، وخاف، وخاب، وحق، وطاب، وزاغ و (بل ران) فأمالها كلها - كيف تصرفت - حمزة إلا قوله: (إذ زاغت الأبصار) في " الأحزاب " ١٠ و (أم زاغت عنهم الأبصار) في " صاد " ٦٣ وأمال منها ابن ذكوان: شاء، وجاء، كيف تصرفا و (فراذهم الله مرضاً) في " البقرة " ١٠ لا غير.

وأمال منها الكسائي وأبو بكر (بَل رَانَ) فقط الباقون: بالفتح فيها كلها - كيف تصرفت - فأما المستقبل من هذه الأفعال والرباعي فغير محال بإجماع.
فأما ما كان في آخره راء مكسورة قبلها ألف من الأسماء على أي وزن - كان مفردا أو جمعا - نحو: (على أبصارهم) و (من أنصار) و (بالأسحار) و (مع الأبرار) و (النار) و (الغار) و (آثارهم) ونحو ذلك.

فقرا أبو عمر والدوري - عن الكسائي - جميع ذلك بالإمالة - كيف تصرف - وقرأه نافع وحزمة وأبو الحارث بين اللفظين وهم إلى الفتح أقرب إلى ما تكررت فيه الراء نحو: (الأبرار والأشرار) وقرار، فإن حمزة وأبا الحارث قرآه بالإمالة، وقرأه نافع وابن ذكوان بين اللفظين... الباقون: بالفتح في جميع ذلك.

باب مذهب الكسائي في إمالة ما قبل هاء التانيث في الوقف
أعلم أن الكسائي يقف على ما قبل هاء التانيث بالإمالة سواء كان في الكلمة قبله كسرة أو ياء أو غيرها، إلا أن يقع قبل الهاء أحد عشر أحرف يجمعها أو آخر كلمات هذا البيت: يروغُ أخ لفراط حريق غيظ... يُمصُ لَنصّ داع راح يلحى.
فإنه يقف حينئذٍ بالفتح. وكذلك يقف على ما قبل هاء السكت بالفتح نحو (يَنسنه) و (كتابه).

وأما الكاف: فإن وقع قبلها كسرة أو ياء وقف بالإمالة نحو: الملائكة والأيكه، وإن وقع قبلها فتحة أو ضمة بالفتح: نحو: التهلكة ومباركة.
وأما الهاء فإن كان قبلها كسرة وقف بالإمالة نحو: آلهة وفاكهة، وإن لم يكن قبلها كسرة وقف بالفتح نحو: سفاهة.

الباقون: يقفون على ما قبل هاء التانيث بالفتح في جميع القرآن.
ثم ذكر أمثلة كثيرة منها:

- (فناداه الملائكة) ٣٩ بألف مماله، الأخوان. (الخراب) بين اللفظين حيث وقع، ورش وقرأ ابن ذكوان ما كان منه في وضع خفض بالإمالة وهما موضعان هاهنا: (يُصلي في المحراب) وفي "مریم" (فخرج على قومه من الخراب) وفتح الباقي. الباقون بالفتح فيه حيث وقع.

- (هأنتم) ٦٦ مثل (هعنتهم) حيث وقع قبل. (هأنتم) ممدودا غير مهموز، نافع وأبو عمرو. الباقون بالمد والهمز حيث وقع.

((وأقول لاحظ ولا تنسى هذه الكلمات المظلمة - على الأقل - والتي يسألون عن السبب في حذف الألف منها ، وتذكرها جيداً في رحلتنا))

فصل؟

فإذا قلت الحرميان فهما: ابن كثير ونافع.....الإبنان فهما: ابن كثير وابن عامر.
الأخوان فهما: حمزة والكسائي.....الأبوان فهما: أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم.
النحويان فهما: أبو عمرو والكسائي.....الكوفيون فهم: عاصم وحمزة والكسائي
فاعلم ذلك.

فصل؟

ابن كثير يضم ميم الجمع في الوصل، ويتبعها واوا في اللفظ نحو: "عليهمو" و "على سمعهمو" و "أبصارهمو" ونحو ذلك.

وكان ورش يشبع المد في حروف المد واللين الواقعة بعد الهمزة نحو: (أمنّا) (وآدم) (وأوتيناها) (والسينات) (وأوتينا العلم) (وإيتاء الزكاة) (والموودة) (وإسرائيل) وما أشبه ذلك. (ولذلك سنجد حتمية وجود الألف في كلمة (السيئات) لهذا المعنى ولمعنى آخر سنعيشه على الصفحات القادمة).

ونقف أخيراً قبل ختام هذا الباب مع الإمام الداني في بعض الملاحظات الهامة التي نريد أن نستصحبها معنا - مع ملاحظة أن الكلام بين الأقواس هو كلامنا نحن لهدف لتوضيح فقط - والملاحظات قوله:

كذلك اتفقوا على حذف الألف من الجمع السالم الكثير الدور في المذكر والمؤنث جميعاً:

" فالمذكر " نحو : العلمين، والصبرين، والصدقين، والفسقين، والمنفقين ، والكافرين، والشيطين، والظلمون، الخسرون، والسحرون، والكفرون.

و" المؤنث " نحو المسلمت، والمؤمنت، والطيبت، والخبيث، والكلمت، وفي ظلمت، والظلمت، وبكلمت، والمتصدقت، وثبيت، وبيت، والغرفت، وما كان مثله.

فإن جاء بعد الألف الهمزة أو حرف مضعف نحو " السائلين " و " القائمين " و " الخائنين " و " الصائمين " و " الضائنين " و " الضالين " و " العاديين " و " حافين " وشبه أثبتت الألف في ذلك.

(هذا قول الإمام "الداني" وأنا أقول إلا ما استثنى وما سنعيش أمثاله على الصفحات

التالية - كنموذج لذلك -).

ثم يكمل: على أي تتبععت مصاحف أهل المدينة وأهل العراق العتق القديمة فوجدت فيها مواضع كثيرة مما بعد الألف فيه همزة قد حذفت الألف منها ، وأكثر ما وجدته في جمع المؤنث لثقله والإثبات في المذكر أكثر. (وكنا نتمنى أن نسمع منه ماهي هذه الكلمات حتى يمكن لنا توجيهها وخاصة أنه - كما سنرى - هناك أسماء كثيرة خالفت هذه القاعدة ولهدف بلاغي عظيم يشترك فيه أحياناً جرس الكلمة ونبرة الصوت أو التركيز والإظهار أو لفت النظر للوقوف والبحث على المعنى الآخر الذي ربما يكون معنى مجازياً. أو غير ذلك من المعاني التي سنعيشها على الصفحات القادمة.)

ويكمل: وما اجتمع فيه ألفان من جمع المؤنث السالم فإن الرسم في أكثر المصاحف ورد بحذفها معاً ، سواء كان بعد الألف حرف مضعف أو همزة ، نحو: الصلحت، والحفظت، والصدقت، والترعت، والصفت صفاً، والنفتت، والعديت، والسبقت، والصمئت، وغيبت، والمنفتت، وتبتت، وسئحت، وشبهه . وقد أمعنت النظر في ذلك في مصاحف أهل العراق الأصلية إذ عدت النص في ذلك فلم أراها تختلف في حذف ذلك.

ويقول: أعلم إن المصاحف اتفقت على رسم ما كان من ذوات (الياء) من الأسماء والأفعال بالياء على مراد الإمالة وتغليب الأصل ، وسواء اتصل ذلك بضمير أو لم يتصل أو لقي ساكناً أو متحركاً، وذلك نحو " الموتى (الموتى)، والسلوى (السلوا)، والمرضى (المرضا)، والأسرى (الأسرا)، وشتى (شتا)، وصرعى (صرعا)، وطوبى (طوبا)، والحسنى (الحسنا)، ولبسرى (اليسرا)، وللعسرى (العسرا)، والبشرى (البشرا)، وموسى (موسا)، وعيسى (عيسا)، واحدى (إحدا)، واحديهما (إحدهما)، واحديهن (إحدهن)، وبشريككم (بشراكم)، وفي اخريككم (في أخراكم)، ومجربها (تنطق مجراها= فعلها "يجرى" بالياء)، ومرسيها (تنطق مرساها فعلها "يرسى" بالياء)، والهدى (تنطق "الهدا"، فعلها "يهدى" بالياء)، والهو (تنطق "الها"، فعلها "يهوى" بالياء)، والعمى (تنطق "العماء"، فعلها "يعمى" بالياء)، وأدى (تنطق "أدنا"، فعلها "يجرى" بالياء)، وأزكى (تنطق "أزكا"، فعلها "يزكى" بالياء)، وهكذا باقى الأمثلة القادمة التي أرجع الرسم العثماني للكلمة أصل الحرف فيها ملفتاً النظر إلى ذلك..، وأربى (وأربا)، وهدى (وهداً)، وفقى (فتناً)، ومولى (مولاً)، ومصلى (مصلاً)، ومصفى (مصفاً)، ومسمى (مُسمياً)، وقرى، وعمى (عماً)، وغزى، وأبى (تقرأ "أبا" وربما يكون الرسمة

بهذه الياء للتفرقة بين (أبا) هذه التي بمعنى "رفض" وبين كلمة "أبا" التي هي بمعنى "الأب" وهذا ملحظ خطير يلاحظه القارئ المتأمل كثيراً في كلمات كثيرة مشابهة لذلك عشنا بعضها وسيمر علينا البعض الآخر، فتأمله ولا تنساه...، وسعى (سعا)، ورمى، ويتلى، وتدعى، ولا تعرى (ولا تعرا)، وإيكم (وإياكم)، وأريكم (أراكم)، وأتياها (أتاها)، ولا يصلها " (لا يصلها) وشبهه إلا في أصل مطرد .

وسبعة أحرف فإن المصاحف لم تختلف في رسم ذلك بالألف ؛ فالاصل المطرد هو ما وقع قبل الياء فيه ياء أخرى نحو قوله " الدنيا، والعليا، والرؤيا، ورؤياك، ورؤياي، والحوايا، وفأحيا به، وأحياهم، وأحياكم، أحياها، ومحياهم، ونموت، ونحيا، وأمات وأحيا، ومحياي " وما كان مثله حيث وقع كراهة الجمع بين ياءين في الصورة ، على أتي وجدت في مصاحف المدينة وأكثر الكوفية والبصرية التي كتبها التابعون وغيرهم " يبشرى " في يوسف بغير ياء ولا ألف ، (وأقول: لذلك قرئت على القراءتين: يا بشرأيـ بالتشديد (الثقليل) على الياء الأخيرة- (أى : أنا)، والقراءة الثانية: يا بشرأ(أى: يا بشرى عامة للجميع وليست لى وحدى) ، والقراءتان مناسبتان في المعنى لمن يدرس قصة يوسف عليه السلام فكانت البشرى للملك ولغيه أيضاً ومنهم امرأة الملك (العزیز) ، أما حذف الألفات في الكلمة فهذا يناسب مقام البشرى التي يفيد شدة الفرح والسرعة في زف هذا الخبر وهذا يناسبه حذف ألف النداء والألف الأخرى - بل أحياناً يحذفون حروفاً أصلية من الكلمة لهذا الملحظ - كما شرحنا مطولاً بالأمثلة المتعددة -

حدثنا محمد بن علي قال حدثنا ابن الانباري قال حدثنا إدريس قال حدثنا خلف قال سمعت الكسائي يقول انما كتبوا " أحيا " بالألف للياء التي في الحرف فكرهوا أن يجمعوا بين الياءين، قال وكذلك " الدنيا " و " العليا " فأما قوله " يحيى " إذا كان اسماً نحو قوله " و يحيى وعيسى " و " يحيى خذ الكتب " و " بغلام اسمه يحيى " وشبه اسمه يحيى " وشبهه من لفظه وقوله في الأنفال " ويحيى من حي عن بيئة " وقوله في طه وسبح " ولا يحيى " فإن ذلك مرسوم بالياء على الإمالة

فأما قوله " خطينا " (أصلها خطاينا) وخطيكم " و " خطيهم " (أصلها: خطاينا و خطاياهم) حيث وقع بغير ياء ولا ألف وفي أكثر المصاحف الألف التي بعد الطاء محذوفة أيضاً.

** وبعد هذا القول الهام للإمام الداني سنرى أن هناك استثناءات إستثنائها الرسم القرآنى لأغراض بلاغية وعلوية شريفة سندرك مغزاها على الصفحات التالية إن شاء الله.. ولكن أرجو من القارىء أن يلاحظ دور الإمالة في كتابة الكثير من الكلمات التى أصل حرفها الياء حتى أنه وصل بالإمام الكسائى أن يميلها جميعها - كما رأينا من قوله - .والإمالة كما علمنا يكون صورتها في الرسم (حذف الألف) لأنه سيكون نطقها ممالاً إلى الياء .. وملاحظة أن حذف الألف يكون هو القاعدة لأنهم لا يعتبرون لها وجوداً في أصل الرسم ويعتبرونها في مقام الفتحة التى ربما يطول زمن النطق بها فتكون ألفاً لذلك ولأسباب أخرى سنعيشها على الصفحات التالية ، ونقول ونكر ذلك حتى لا يتعجب القارىء .. وهذا سيكون من أحد الملاحظات الهامة في كثير مما سيقابلنا في مشاهد حذف الألف - ولذلك ترك العلماء توجيه حذف الألفات أو زيادتها في رسم الكلمة تارة بهذه الحجة وتارة أخرى لأن البحث فيها شائك ومعقد ويحتاج إلى دراسة متأنية وعميقة ومقارنات تطول وتطول - كما سنرى - ، وليتذكر القارىء دائماً أن رسم الكلمة في القرآن تكون معبرة تعبيراً كاملاً عن صوت الكلمة من فم ناطقها (ﷺ) وانفعاله بها ، ومطابقة له بإشارة من الوحي معجزة سنعيشها إن شاء الله .

وبعد هذا العرض للقراءات وأقوال علمائها وبعد هذه المقدمات نعيش مع هذا البعض الكثير مما ترك توجيهه العلماء القدامى والحداثى على الصفحات التالية بعنوان (ملحقات) ونسأل الله العفو والغفران لما يكون منا من خطأ أو نسيان وهذا شأننا دائماً والله الموفق .

ملحقات هامة وتطبيق عملي
على
حذف الألف وإضافته

ملحقات هامة وتطبيق عملي على حذف الألف وإضافته.

والذى لاجدال فيه أنك تجد دائماً أن الرسم القرآني يتعاقب مع الإعجاز البلاغى ؛ وعلى سبيل المثال: حينما كنا نشرح فى الإعجاز البلاغى فى التكرار فى القرآن الكريم ، وكنا نشرح قوله تعالى (فأتوا بسورة مثله) فى يونس، وأتوا بسورة (من) مثله.. بإضافة (من) فى سورة البقرة هكذا:

- (١) ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) ﴾ البقرة.
- (٢) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾ يونس.

وقلنا وقتها أن التحدى فى سورة البقرة أقوى ؛ فهو يتحداهم أن يأتوا بسورة (مثله) فى يونس ، وفى البقرة يتحداهم بسورة (من) مثله .. و(من) هنا تبعيضية .. أى يتحداهم بأن يأتوا بالبعض وليس الكل فعجزوا؛ كما يحدث عندما أتحدى البتاء أن يبني هذا المسجد ، أو أن يبني بعض هذا المسجد - أى (من) المسجد - ويكون بالطبع التحدى الثانى أقوى . وهنا يبرز السؤال : لماذا التحدى فى سورة البقرة : فأتوا بسورة (من) مثله.. أقوى منه فى سورة يونس ؟

وقلنا وقتها أن هذا يستدعى النظر - كما تعودنا مع القرآن وكما هو شأن القرآن دائماً- أن نسمع إلى سياق الآيات التى نقارن بها فى السورتين .. وكانت نتيجة استرجاع الآيات أننا وجدنا أنه فى آيات سورة البقرة المتحدث (أو المتحدثى) فيها هو الله ، وبلفظ الجمع، وبالخطاب المباشر وليس الغائب، هكذا ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (فأتوا) بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ.. وهنا تلاحظ (نزلنا) نحن - بلفظ الجمع تعظيماً من الله لنفسه ، وأيضاً للأمر المتحدث عنه ، ومثله (عبدنا) .. ثم الخطاب المباشر والمواجهة المباشرة بدون واسطة ، وليست كقوله فى السورة الأخرى (قل) - أى يا محمد - والى ستكون فيها المواجهة مع محمد (ﷺ) - بخلاف حديثنا هنا فى سورة البقرة فهى مواجهة مباشرة مع الله وبصيغة الجمع: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (فأتوا) بِسُورَةٍ

مِنْ مِثْلِهِ.. (فأتوا): فإن المواجهة مع الله رأساً وبدون واسطة في القول وبصيغة الجمع التعظيمي .. فلا بد حينئذ أن تكون المواجهة قوية والتحدى أقوى ...
 بخلاف الحديث في سورة يونس: أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ - أَى يَا مُحَمَّد - فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) وهنا لا يحتاج الأمر إلى تعليق لأن المواجه هنا هو محمد (ﷺ) والحديث من الله بلفظ (الغيبية) وليس الحضور، ومن هنا كانت المواجهة أضعف.. على خلاف ما وجدناه أيضاً في سورة البقرة .

وعلى نفس القاعدة - من التناسق والإعجاز - نجد ذلك في آيتين شبيهتين في سورتي البقرة والأعراف وهما:

(١) ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٠﴾... وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ البقرة.. هنا نجد هذه الآيات المتحدث فيها - أيضاً- هو الله وبالخطاب المباشر وبصيغة الجمع (وكما قلنا أن ظهور المولى المباشر وبصيغة الجمع يستدعى أن يكون التحدى قوياً وظاهراً)، وترتب على ذلك أن قال (فقلنا اضرب .. فانفجرت) ولم يقل (فانبجست) - كما في سورة الأعراف.

وليس الأمر ذلك وحده بل رأينا إعجازاً متواكباً في رسم الكلمة في المصحف في كتابة كلمة (الغمام) في قوله ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا﴾ فقد كتبت (بالألف) مع حديث المواجهة المباشرة - أى قوله(عليكم) وليس (عليهم) - كما في سورة الأعراف - ولفظ الجمع (وظللنا عليكم).. وهذا بخلاف سورة الأعراف هكذا:

(٢) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٠﴾﴾. وبقراءة وتدبر هذه الآيات يلاحظ أن الحديث في الأعراف بصيغة الغائب (عليهم وليس عليكم) فناسب ذلك ضعف خروج الماء أيضاً فقال (فانبجست) .. وأيضاً رسم كلمة (الغمام) بدون ألف في ظل الخطاب بلفظ الغائب ؛ وكان الحديث هنا بلفظ الغيبية يناسبه تغييب الألف - الغمام - والحديث هناك بلفظ الحضور والظهور يناسبه إظهار الألف في - الغمام .

فأى إعجاز هذا الذى يتعاقب فيه الإعجاز البلاغى مع إعجاز رسم الكلمة نفسها^(١).

(الكتاب). الكتب.

والذى نلاحظه: أن (الكتاب) تكتب دائماً بدون ألف إلا ما استثنى - كما سنرى - وربما يكون ذلك للملحظ الذى ذكره الإمام الرازى وهو: أن أصل الكلمة من "الكتب" وهو (الضم والجمع) ومنه "الكتيبة" سميت بذلك لأنها تضم النجوم بعضها إلى بعض وتضم ماله إلى ماله. وقبل سرد الآيات نلاحظ :

أولاً : الكتاب معناه (الجمع والضم) ... ومعناه إخفاء المعلومات بداخله .. وتوثيق المعلومات إلى أجل، فحق فيه - على منهج الرسم القرآنى المعجز - إخفاء الألف التى تفرق وتظهر .. ولذلك نجد الكتاب - فى جميع القرآن - بدون ألف - إلا ما استثنى من أربع مواطن خالفت هذا المعنى وسنوضحه بعد قليل.

ثانياً : والقرآن - الذى يعنى القراءة - عكس ذلك (فهو نشر وتفريق وليس جمع وضم ، وهو (إظهار) وليس إخفاء لما فى داخله .. وهو إذاعة للمعلومات) ، فحق فيه إظهار الألف .. لمعنى التفريق والإظهار هذا .. ولذلك نجد كلمة القرآن مكتوبة بالألف دائماً إلا ما استثنى فى موضعين - سنجد ما لهما من الحكمة العالية والغالية فى مشوارنا القادم.

ثالثاً : بقى معنى آخر نجده فى النصوص القرآنية وهو أن الكتاب له وجهان: فإن كان علوياً.. أو بمعنى الأحكام والتشريعات ، أو (جامعاً - فى المعنى - وليس جزئياً) أو (كتاب الغيوب التى لا يعلمها أحد إلا الله) أو (ما ذكر فيه صفات التشريف والتكريم)؛ مثل "كتاب كريم" .. وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) .. فى كل هذه الأصناف تكتب الكتاب بدون ألف .. وتكتب أيضاً بدون الألف فى حكم الله المعنوى .. وعلم الغيب .. أو كتاب الأعمال الذى لن نره إلا يوم العرض على الله... أو علم الله الشامل (فكل هذه المواطن يحذف منها الألف فى كلمة "الكتاب").

وغير هذه الحالات (المعنى الجزئى والمادى) يوضع فيه الألف "كتاب"

رابعاً : الكتب السماوية - التى لم ينلها التحريف - لها طرفان :

(١) وراجع لزيادة التفصيل والمتعة كتابنا ((الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم)) وراجع تكملة البحث تحت عنوان (الرياح) وهى عكس الغمام فى كل شىء - حتى فى رسمها مع ظهور لفظ الجلالة وخطاب الغيبة - .

١- الطرف العلوى (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) .. وهذا يكتب بدون ألف (لأنه ملكوتى .. غيبى).

٢- الطرف الأدنى إلينا والذى نزل إلى كوكب الأرض للعمل به (وفيه صيغة الفعل أيضاً) هنا يكتب بالألف ، لظهوره بالقراءة والتلاوة والعمل به ... كما فى سورة النمل ﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ . وسيوضح ذلك ماجاء فى تكملة النص بعدها من أوامر تكليفية بالعمل بهذا الكتاب - الذى ظهر فيه حرف الألف- مثله مثل كلمة (القرآن) أيضاً كما سنرى .

خامساً : بخلاف ذلك (أى ما له معنى جزئى وليس معنى كلى جامع). مثل : كتاب .. فى قوله ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ . (فهو كتاب خاص "كتاب الآجال للأمم التى أبيدت على ظهر الأرض ، أو الأشياء" .. فهما معنى جزئى من الذى كان غيباً وجامعاً ولكنه ظهر للوجود وعلمته الأمم) .. فيكتب بالألف (ولها كتاب).

وأيضاً قوله تعالى لنبىه بعد حادثة أهل الكهف وإجابة النبى (ﷺ) عن هذه (القضية الجزئية) ، طلب الله منه أن يتلوا عليهم (هذه الجزئية من الكتاب الجامع) - وهى قصة أهل الكهف - فقال له : ﴿ وَأْتِلْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَسَحِّدًا ﴾ (٢٧) . فهو تلاوة لهذا الجزء . (وهذا الجزء مضاف : أى كتاب ربك ، ولم يقل : من الكتاب - كما فى الآية الأخرى التى كتب فيها بدون ألف لهذا النص العام بهذه الصيغة-).

والمعنى الآخر: أن هذا الجزء كان مخفياً وأصبح الآن ظاهراً . وقيل معناه - فى آية الكهف - الأمر بالتلاوة والعمل والاتباع (وهو أمر عملى يناسبه إظهار الألف - كما هو الحال مع إسم الفاعل (العملى) ، بخلاف إسم الفاعل السلبى (مثال كلمة ((باسط .. بسط)) و(الجلل والإكرام) والسلبى هنا هو الذى لا يظهر فيه عنصر الحركة ، والإيجابى هو الذى يظهر فيه عنصر الحركة منه؛ فالسلبى يحذف منه الألف ، والإيجابى يوضع فيه الألف). وكما يقول الألوسى: وجوز أن يكون { اتل } أمراً من التلو بمعنى الاتباع أى اتبع ما أوحى إليك والزم العلم به ، وقيل وجه الربط أنه سبحانه لما فاه عن المرء المتعمق فيه وعن الاستفتاء أمره سبحانه بأن يتلو ما أوحى إليه من أمرهم فكأنه قيل اقرأ ما أوحى إليك من أمرهم واستغن به ولا تتعرض لأكثر من ذلك أو اتبع ذلك وخذ به ولا تتعمق فى جداهم ولا تستفت أحداً منهم فالكلام متعلق بما تقدم من النواهي ، والمراد بما أوحى الخ هو الآيات المتضمنة شرح قصة أصحاب الكهف) انتهى كلام الإمام الألوسى ، وهذا يعنى المعنى الجزئى (أى جزء من الكتاب).

ويقول الإمام المراكشي: وفي الكهف: ﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ هذا الكتاب هو أخص من الكتاب الذي في قوله تعالى: ﴿أَتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ لأنه أطلق هذا (أى في قوله من الكتاب: أى كل الكتاب) وقيد ذلك بالإضافة إلى الإسم المضاف إلى معين في الوجود(أى قال: كتاب ربك- في الكهف - فهو مقيد)، وخصوصية الواقعة في الحديث عن أهل الكهف. والذي هو أخص أظهر تزييلاً. (لكل ذلك وضع الألف في آية الكهف وحذف من الآية الأخرى التي هي بالمعنى الجامع لكل الكتاب.

وبقى الموقف الرابع الذى ذكر فيه الألف في لفظ الكتاب وهو وجوده مع القرآن على صورة البديل منه وليس العطف عليه؛ - القراءان الذى هو الطرف الأدنى إلينا (ولا أقول الأرضى.. لعدم سوء الفهم) - كما ذكرنا في سورة النمل وكما ستريد ذلك توضيحاً أكثر إن شاء الله.

وسنقف بعد هذا الشرح والملاحظات على الأمثلة التي تحتاج إلى تعليق وتوضيح فقط. والأمثلة الآتية جميعها بدون ألف لما سبق شرحه وهى:

(١) ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة. والآيات ٤٤ ، ٥٣

٧٨، ٨٥، ٨٧، ١٠١، ١٠٥، ١٠٩، ١١٣، ١٢١، ١٢٩، ١٧٦،

(ففى هذه الآيات من سورة البقرة ومثيلاً نجدتها تتحدث عن الكتاب الذى نزل على الأنبياء(وَأَنْزَلْ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ، ذلك الكتاب لاريب فيه ، وآتينا موسى الكتاب) أو وصفهم (بأهل الكتاب، يتلون الكتاب- أى: كل الكتاب-) وهى كما قلنا يحذف منها الألف.. ولكننا سنقف على بعض الايات التي ربما يحدث للقارئ لبس في معناها والقاعدة التي ذكرناها ومنها:

(٢) ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ الْبَيْكَا حَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ...﴾ البقرة ﴿فما معنى هذا

الكتب الذى كتب بدون ألف .. يقول أبو السعود: { حتى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ } أى (تَبْلُغَ) العدة المكتوبة المفروضة آخرها.... والمعنى: تبلغ العدة المفروضة آخرها ، وصارت منقضية .

((فعلى هذا المعنى يكون الكتاب هنا كتاباً "مجازياً" وليس حقيقياً؛ فمعنى (يبلغ الكتاب) ليس معناه الكتاب المعلوم لدينا - الذى هو الكتاب بغلافه وأوراقه- بل هو مدة العدة للمرأة - ولذلك تكتب الكلمة على خلاف الظاهر أيضاً- أى بدون ألف - وهكذا

الحال مع كل حالة مشابهة - أى يحذف الألف من المعنى المجازى ويثبت في المعنى

الحقيقي - وهذه قاعدة هامة جداً جداً سنعيشها كثيراً على الصفحات القادمة))

والمعنى الثاني : أن يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض كقوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّبَاغُ } [البقرة : ١٨٣] فيكون المعنى حتى يبلغ هذا (التكليف) آخره ونهايته ، وإنما حسن أن يعبر عن معنى : (فرض) ، بلفظ { كُتِبَ } لأن ما يكتب يقع في النفوس أنه أثبت (وأكد) انتهى كلام العلامة أبو السعود ؛ وهو قاعدة نسوقها لفهم الآيات القادمة التي تشير إلى هذه المعاني المجازية أو المعنوية (مثل الفرض مثلاً أو غيره) وليس بمعنى الكتاب الحقيقي والمادى الذى نعلمه ولذلك يكتب بدون ألف . ومثلها الآيات التالية :

(٣) ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ

مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ الأنعام.. ويقول الزمخشري فيقول: { في الكتاب } في اللوح المحفوظ (ومن هذا يعلم أنه ليس المراد به الكتاب المعلوم لدينا).

(٤) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِقَائِيَتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ... ﴾ ﴿٣٧﴾ الأعراف (٣٧) يقول الزمخشري وغيره: { أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ

مِنَ الْكِتَابِ } أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار، (أى في اللوح المحفوظ).

(٥) ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ﴿١٣﴾ ..الرعد { يَمْحُوا اللَّهُ مَا

يَشَاءُ } أي ينسخ ما يشاء نسخه من الأحكام .. ، أو يمحو من (ديوان الحفظ) الذين

ديدهم كتب كل قول وعمل .. ويثبت الباقي ، أو يمحو (سيئات التائب) ويثبت مكائدها

الحسنة ، أو يمحو (قرناً) ويثبت آخرين ، أو يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت

الكائنات ، أو يمحو (الأجل أو السعادة والشقاوة) ، .والأنسبُ تعميمُ كل من المحو

والإثبات ليشمل الكل . ((معنى ذلك - وبعد عرض كل هذه المعاني - يتبين أنه ليس

هو الكتاب المعلوم لدينا بالمعنى المعروف)) { وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } أي أصله وهو اللوح

المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو .

(٦) ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ

عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ﴿١٣﴾ الرعد...أبوالسعود: { وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } أي علم القرآن

وما عليه من النظم المعجز أو من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون

ببعثه عليه الصلاة والسلام في كتبهم ، والآية مدنية بالاتفاق ، أو مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

المحفوظ وهو الله سبحانه أي كفى به شاهداً بيننا بالذي يستحق العبادة ، فإنه قد شحَن كتابه بالدعوة إلى عبادته وأيدي أنواع التأييد ، وبالذي يختص بعلم (ما في اللوح) من الأشياء الكائنة الثابتة التي من جملتها رسالي ((فهو المعنى الجامع كما رأينا)).

(٧) ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء.. ويعنى بها التوراة بالمعنى الجامع.

(٨) ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ آلِفَيْمَةَ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (الإسراء). { في الكتاب } أي اللوح المحفوظ { مَسْطُورًا } مكتوباً.. ولاحظ قوله العام والجامع لكل القرى التي مضت وعلمم أجلها وظهر في الوجود وأيضاً الأمم التي لم تأت بعد وهي في علم الغيب وفي اللوح المحفوظ بالمعنى الجامع والشامل لكل الأمم (وإن من قَرْيَةٍ إلا...) بخلاف قوله في سورة الحجر (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) فهو حديث آجال (خاص) بأمم (مضت) وقد علم) أجلها (وظهر) لنا في الوجود.. ولذلك كتب هذا الكتاب بالألف (كتاب) مع ملاحظة أن حرف (الواو) في قوله (إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) يقول عنها العلماء - الزمخشري وغيره - أنها (واو) الحال.. والحال هو وصف الواقع والظاهر للأعين.. وستريد ذلك توضيحاً عند الوقوف على نفس هذه الآية في سورة الحجر لخصوصية وضع الألف فيها ولخصوصية معناها - كما رأينا -.

(٩) ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا... ﴾ (الكهف)

(١٠) ﴿ يَبْيَحِثُّ حُدِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴾ (مريم) ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم)، وهنا لا يقصد الكتاب بأوراقه ولكنه يقصد به (العلم والوحى من الله).

(١١) ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (مريم)، ويقول الألوسي: والمراد بالكتاب عند بعض المحققين السورة الكريمة لا القرآن كما عليه الكثير.. ولكن الطاهر يقول: والكتاب: القرآن ، لأن هذه القصة من جملة القرآن . (وهو الرأى الأمثل في نظرنا). (فهو على هذا يعنى المعنى الشامل والجامع لكل الكتاب وليس جزءاً من الكتاب كما في سرد قصة أهل الكهف التي سيكتب لخصوصيتها الكتاب بالألف.

(١٢) ﴿ وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ
الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۗ ﴾ (النور. الألوسى:
والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة ونظيره العتاب والمعاتبة أي والذين يطلبون منكم
"المكاتبة" .. ويقول الطاهر: والكتاب : (مصدر) كاتب إذا عاقد على تحصيل الحرية من
الرق على قدر معين من المال يُدفع لسيد العبد منجماً ، أي موزعاً على مواقيت معينة
، وسموا ذلك كتابة لأن السيد وعبده كانا يسجلان عقد تنجيم عوض الحرية بصك يكتبه
كاتب بينهما ، (فلما كان في الكتب حفظ لحق كليهما أطلق على ذلك التسجيل كتابة)
لأن ما يتضمنه هو عقد من جانبين ، وإن كان الكاتب واحداً والكتاب واحداً . وفي
حديث عبد الرحمن بن عوف : كاتبت أمية بن خلف كتاباً - أي عهداً بيننا - بأن
يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ...

أما الرازي فيقول: وفي اشتقاق لفظ الكتابة وجوه : أحدها : أن أصل الكلمة من
الكتب وهو الضم والجمع ومنه الكتيبة سميت بذلك لأنها تضم النجوم بعضها إلى بعض
وتضم ماله إلى ماله وثانيها : يحتمل أن يكون اللفظ مأخوذاً من الكتاب ومعناه
(كتبت لك على نفسي) أن تعتق مني إذا وفيت بالمال ، (وكتبت لي على نفسك) أن
تفي لي بذلك ، أو (كتبت لي كتاباً) عليك بالوفاء بالمال وكتبت على العتق ، وهذا ما
ذكره الأزهري .

وأقول: ((معنى ذلك أنه لا يقصد الكتاب بمعناه المعلوم لدينا بأوراقه وأغلفته ولكنه
يقصد الوعد الموثق سواء في ورقة أو بدون ورقة ولا يقصد الكتاب المعلوم ، ومثله قوله
تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) فلا يقصد أنه سجله في كتاب ولكنه يقصد ألزم
نفسه الرحمة وجعل من طبعه الرحمة .. فهو كتاب باللفظ وليس مطابقاً للمعنى . ولهذا
وكما تعودنا في مثل هذه الحالات وجدناها تخالف أيضاً في رسم الكلمة - أي بدون
ألف -)) وثالثها : إنما سمي بذلك لما يقع فيه من التأجيل بالمال المعقود عليه ،
فسمى لهذا المعنى هذا العقد كتاب لما يقع فيه من الأجل (وهذا معنى ثالث يؤكد المعاني
السابقة) .

(١٣) ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۗ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ

لِنَفْسِهِ ^ط وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١٤﴾ النمل.. وواضح أن المراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المتزلة أو اللوح ، وفيه مشهد الغيبية أيضاً.
 (١٤) ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ... ﴾ العنكبوت .. كما قلنا يقصد الكتاب كله - العموم - .

(١٥) ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنْكُمْ فِي الْمَوَاطِنِ وَمَا يُغْنِي عَنْكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فِي شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ يُخَبِّرُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ يُغْنِي عَنْكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فِي شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الأحزاب.. ويقول أبوالسعود: { في كتاب الله { في (اللوح) أو فيما أنزله وهو هذه الآية أو آية الموارث أو (فيما فرض) الله تعالى.
 (١٦) ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ ﴾ الزمر... وهذا لا يحتاج إلى توضيح وكما يقول أبوالسعود: { وَوُضِعَ الْكِتَابُ { الحساب والجزاء .. وقيل : اللوح المحفوظ يقابل به الصحائفُ .

(١٧) ﴿ حَمِّمْنَا لَكُمْ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَ الْمُبِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾ الزخرف .. يقول الألوسي: { وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ { أي في اللوح المحفوظ على ما ذهب إليه جمع ، فإنه أم الكتب السماوية أي أصلها لأنها كلها منقولة منه ، وقيل : { أُمُّ الْكِتَابِ { العلم الأزلي ، وقيل : الآيات المحكمات ..

(١٨) ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيقُولُ هَؤُلَاءِ مَن أقرءوا كِتَابِيَةَ ﴿١٨﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلِيَّتِي لَمْ أوتِ كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ الحاقة .. وهاتان الآيتان لا تحتاجا إلى تعليق حيث أنهما تتحدثان عن الكتب الغيبية يوم القيامة.

(١٩) ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَُ ﴾ (النساء) ويقول الرازي: بقوله : { كتاب الله عَلَيْكُمْ { وفيه وجهان : الأول : أنه (مصدر) مؤكد من غير لفظ الفعل فان قوله : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ { يدل على معنى الكتابة ، فالتقدير : (كتب) عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات كتابا من الله ، وجمعي المصدر من غير لفظ الفعل كثير نظيره { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ { [النمل : ٨٨] - وهذا هو يريد أن يقول: أن كتاب الله أى فرض الله .

الثاني : قال الزجاج : ويجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر ، ويكون «عليكم» مفسراً له فيكون المعنى : الزموا كتاب الله . أى أمر الله وحكمه أو أحكامه .

(٢٠) ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ الأنعام... ويقول الرازي: قوله: { إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } فيه

قولان : الأول : أن ذلك الكتاب المبين هو علم الله تعالى لا غير . وهذا هو الصواب .

والثاني : قال الزجاج : يجوز أن يكون الله جل ثناؤه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من

قبل أن يخلق الخلق كما قال عز وجل : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا } [الحديد : ٢٢] وفائدة هذا الكتاب أمور :

أحدها : أنه تعالى إنما كتب هذه الأحوال في اللوح المحفوظ لتقف الملائكة على نفاذ علم

الله تعالى في المعلومات وأنه لا يغيب عنه مما في السموات والأرض شيء . فيكون في ذلك

عبارة تامة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لأهم يقابلون به ما يحدث في صحيفة

هذا العالم فيجدونه موافقاً له . (وعلى كلا الأمرين فأمر العمومية والشمول والغيبية

والجواز واضح في ذلك).

(٢١) ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ الأنفال . يقول

الزنجشري: لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح وهو أنه لا يعاقب أحد بخطأ ، وكان هذا

خطأ في الاجتهاد .

(٢٢) ﴿أَوَلَوْ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ..

الألوسی: أي في حكمه أو في اللوح المحفوظ ، ومثلها الآيات التالية

(٢٣) ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴿٦١﴾ (التوبة).

(٢٤) ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ

وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ يونس ، وقيل في اللوح .

(٢٥) ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ هود وهكذا الآيات التالية:

(٢٦) ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٦١﴾ طه .

(٢٧) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨)﴾ الحج، هو علم الوحي المظهر للحق.

(٢٨) ﴿وَلَا تَكْلَفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ المؤمنون. كتاب الأعمال.

(٢٩) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ النمل (لاحظ: كتاب كريم، وهو باسم الله...، وكتب في سرية ولم يعلم بما في داخله أحد إلا بعد أن فتحته هي).

(٣٠) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ الروم بالطبع لا يقصد الكتاب بأوراقه وصفحاته ولكن كما قال أبو السعود: في علمه أو قضائه أو ما كتبه وعينه أو في اللوح أو القرآن

(٣١) ﴿... وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴿١٧﴾﴾ فاطر

(٣٢) ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ ق.

(٣٣) ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)﴾ الواقعة، مثل قوله (أم الكتاب).

(٣٤) ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ الحديد.

(٣٥) ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿١٧﴾﴾ القلم.

(٣٦) ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٨﴾ ... كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ المطففين.

(٣٧) ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ ﴿١٧﴾ .. كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿١٨﴾﴾ المطففين.

(٣٨) ﴿وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ الجاثية. { كل أمة تدعى إلى كتابها } إلى صحيفة أعمالها. (٢٩) الجاثية. كقوله تعالى: { وَوَضِعَ الْكُتُبَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْتَشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ } [الكهف: ٤٩].

** ونقف عند هذا القدر من الآيات التي تكفي لبيان المطلوب وتوضيح ما قلناه لنعيش بعد ذلك مع الآيات التي كتبت (كتاب) بالألف:

(١) *** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (١) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ

﴿الرعد﴾. ووضح أن في هذه الآية كتابين (كتاب الآجال الخاص) بالآيات التي أعطاه الله لكل نبي وانقضى أجلها وجاء النبي الآخر بآية أخرى وانقضى أجلها (ولكل أجل - أى الآية والمعجزة- كتاب - أى موعد تنتهى فيه لهذا النبي وتأتى آية ومعجزة أخرى لنبي آخر لأجل معين وهكذا) ووضح من هذا الشرح الذى عليه محققى العلماء من الأمة من المفسرين وغيرهم أن هذا الكتاب هنا هو عن الآيات المعلومة لكل نبي والتي شاهدها الناس المعاصرين لكل نبي وليس لها معنى الغيبية أو المعنى العام والشامل) وذلك بخلاف قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) الذى هو: العلم الشامل والجامع فى اللوح المحفوظ فحذف منه الألف.

(٢) أما الآية الثانية: *** ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا (و) لَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (٤) مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ (٥) .. فقد شرحنا خصوصيتها على الصفحات الماضية مع إضافة بعض الملاحظات - كما يقول الطاهر-: أى ما أهلكنا أمة إلا وقد متعناها زمناً (ماضٍ ومعلوم فى الوجود يشير الله عز وجل إليه لنا لأنه معلوم) وكان هلاكها أجل وقت محدود. ويضيف معنى ثان يكون سبباً آخر لوضع الألف وإظهاره وهو قوله: وهذا تعريض (لتهديد ووعيد) مؤيد بتنظيرهم بالمكذبين السالفين. (وأقول وأكرر: أن التهديد والوعيد - دائماً فى القرآن - يكون مُصاحِباً بإظهار الألف مشيرة إلى علو النيرة فى الحديث التى يناسبها علو وإظهار الألف. وهذه قاعدة ذكرناها كثيراً وسنعيشها مراراً وتكراراً).

(٣) والآية الثالثة: *** ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَأ مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (٢٧) مريم. وقد شرحنا أنها خاصة بقضية جزئية وهى تلاوة حادثة مخصوصة عن (أهل الكهف) فقط .. وقارن بينها وبين قوله (واتل ما أوحى إليك من الكتاب) أى كل الكتاب بالمعنى العام والجامع.

(٤) والآية الرابعة: *** ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١) النمل.. وهذه سنعيش مع خصوصيتها فى شرحنا للآيات التى نتحدث عن كتابة كلمة (القرآن) بدون ألف وبالألف، وخصوصية تقدم القرآن - الطرف الأدنى والظاهر - قبل الكتاب مما جعله يأخذ حكم القرآن فى إظهار الألف (كتاب) ولأسباب أخرى نعيشها على الصفحات التالية فى التطبيق العملى.

وهكذا نكون قد استعرضنا الأربع مواضع للكتاب بالألف

قرءان .. قُرءَانًا

أما (القرءان) فقد ورد جميعه بالألف - وهذا حقه كما قلنا - ولكننا سنلاحظ أنه إذا أضيف إلى الكتاب وقصد به "البديلية عن الكتاب" فهنا بأخذ حكم الكتاب (ويكتب بدون ألف).. وهذا حدث في الآيتين الوحيدتين في القرآن كله وهما: (أول سورتي يوسف والزخرف) ونلاحظ أيضاً أنهما ذكرا بعد ذكر الحروف المقطعة فيهما - وهى الجوهولة السر والمعنى بالنسبة لنا - ولهذا ملحظ هام في تركيب الآيتين، وهما:

(١) الأولى في سورة يوسف ﴿الرُّبُّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ فالآية هنا:

أولاً: بدئت بالحروف المقطعة وهذا ما يشير إلى جانب الخفاء - كما قلنا -.

ثانياً: قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا.. أى أنزلنا هذا الكتاب الذى هو نفس القرآن ؛ فهما هنا واحد- على البديل - ..معنى: إنا أنزلناه هو(القرءان)..وهو نفسه في هذا السياق: الكتاب) ولذلك سيأخذ "القرآن" حكم "الكتاب" - في الطرف العلوى والجامع - في إخفاء الألف ؛ لأنه - كما قلنا - بدلاً عنه في هذا النص.

(٢) الآية الثانية في سورة الزخرف - كما سنرى - نفس السياق - ﴿حَمَّ ﴿١٠١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ أى هو هو (الكتاب .. هو.. القرءان) ولعله يقصد به المقروء في المبدأ الأعلى .. أى الطرف العلوى .. وإن كنت أرى أن (الكتب) بدون ألف يشير إلى الطرف العلوى الذى لم يطلع عليه أحد - حتى جبريل نفسه - .. والكتاب بالألف يحمل أيضاً الصورة الغيبية (عن أهل الأرض) ولكنه قد تم الاطلاع عليه (من جبريل) وبلغه محمد (ﷺ)، ولكنه مازال لم تعلم به الأمة . (وسنبين ذلك في استعراضنا لآيات سورة النمل).

أما القرآن فهو الطرف المقروء للأمة.. إلا إذا حذف منه الألف لعله شرحناها.

(٣) هكذا - كما قلنا.. بداية السورتين بالحروف المقطعة قبل النص مباشرة ، ومعها الإشارة للكتاب المبين .. وجعله (أى: إنا جعلناه) (هونفسه الكتاب) قرآنا. وكتب قرآنا (بدون ألف) ناظراً للطرف العلوى - على البديل من الكتاب(الكتاب المبدل منه) - . والدليل على أنهما - (أى الكتاب والقرآن) - واحدٌ في هذا النص هو الحديث عنهما

بنص الأفراد وليس الثنية - فقال ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝ وَلَمْ يَقُلْ (وَإِنَّمَا) ۝ ومعلوم ماهي (أم الكتاب) و(لدينا) و(لعليّ) و(حكيم).. ولهذا حذفت الألف من القراءان في هذين الموطنين ، وقال بعدهما ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وهذه الفقرة - أيضاً - تكررت في الآيتين بعينها.

ويقول الإمام المراكشي: . قال الله تعالى في يوسف: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا). وفي الزخرف: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) والضمير في الموضعين ضمير الكتاب المذكور قبله. (أى على البديل) وقال بعد ذلك في كل واحد منهما: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) فعربيته هي من الجهة المعقولة.(ومعلوم أن المعقولة ليست أمراً مادياً بل معنوياً).
وقال في الزخرف: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾.

** وهنا أضيف رأياً للإمام الداني خاص بهذا الرسم ونقوم بالتعليق عليه وهو:
(وكذلك حذفت الألف بعد الهمزة في قوله " قرآنا " في مكانين في يوسف ^١ أنا انزلنه قرآنا عربيا " وفي الزخرف " أنا جعلنه قرآنا عربيا " ويقول الداني: رأيت أنا هذين الموضعين في مصاحف أهل العراق وغيرها بالألف) انتهى.
(وأنا أقول أنه لآمانع من هذه القراءة التي تناسب أيضاً الأحداث الأرضية على اعتبار قولنا: أن الكتاب هو القرآن في هذين النصين فقط - فهو الطرف السماوى (في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وهو الطرف الأدنى (قرآنا عربيا) - ، وقد ذكرا (الكتب والقراءان) على سبيل البديل وليس على سبيل العطف الذى يفيد التغاير .. وكأن هاتين القراءتين تُرسمان هكذا على اعتبارين:

الاعتبار الأول: (الكتب) الذى هو الطرف العلوى ؛ والسورتان تحكيان وتشيران إلى الجدل فى إثبات أن هذا (الوحى) هو من عند الله .. وتحكيان صورة الإنزال من عند الله .
والثانى: اعتبار وجوده على ظهر الأرض يحكى لهم هذه (القصص الغيبية) التى تؤكد مصدره السماوى - قصة يوسف هنا ، وقصة موسى هناك - ... مع ملاحظة أن السورتين لاتعطيان تكليفات أو أوامر أو تشريعات ولكنهما تحكيان (ذكر لقصص غيبية - دليل المصدر السماوى - ومجادلة فى (الألوهية) الحققة) .. مع ملاحظة قوله (قرآنا عربيا) و(إنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) مما يناسب ولا يتعارض مع القراءتين دون تمحك منا أو لى لعنق للنصوص.

((ونعود ونذكر القارىء بهذه الملاحظة وهى: أن هذه الأخبار - كما رأينا فى حديث خاص بذلك - هى أخبار آحاد يجوز فيها الصدق والكذب .. وأن العمدة الأساسية عندنا هو فى هذا الرسم المتناول لدينا بلا خلاف)).

بقى لنا أن نعيش تطبيق هذه المعاني الخطيرة على أرض الواقع لنرى مدى الإعجاز في هذا الكتاب المحكم ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الذى هو محفوظ - كما هو - بنصه وحروفه ورسمه - فى الصدور وبين السطور.

وحق لاتتوه منا هذه المعاني نذكر - باختصار - أن الكتاب (الذى يراد به وحى الله - القرآن الكريم -) إذا أريد بذكره الإشارة إلى الطرف العلوى (السماوى .. الغيبى) كتب بدون ألف (الكتب) ... وكما قلنا: (الكتب) بدون ألف يشير إلى الطرف العلوى الذى لم يطلع عليه أحد - حتى جبريل نفسه - .. و(الكتاب) بالألف يحمل أيضاً الصورة الغيبية ولكن عن أهل الأرض وربما يكون قد تم الاطلاع عليه من جبريل وبلغه محمد (ﷺ) - ولكنه وصل إلى الأرض - ولكن مازال لم تعلم به الأمة. أما القرآن فهو الطرف المقروء المعلوم للأمة.. إلا إذا حذف منه الألف لعلنا شرحناها سابقاً.

وهذا ما رددته أيضاً د: المطعنى - ناقلاً عن الائمة الأعلام - كالإمام الزركشى والمراكشى وغيرهم - قولهم: والقاعدة التى تحكم هذا التصرف - وهو إثبات "الألف" فى "القرآن وقرآن" - هى أن هذا الإثبات يرمز به إلى أن المراد هو القرآن فى طرفيه الأدنى ؛ أى المصحف المسطور فيه آيات الذكر الحكيم نقرأها مخطوطة بأعيننا وتلونها مسموعة بألستنا، فهو متداول بين أيدينا: نقرأه ونسمعه وتندبر معانيه متمكنين منه كما نستمكن من الانتفاع بضوء الشمس وطاقاتها الحرارية دون أن تنالها أيدينا وهى ساجحة فى علياتها. فالكتاب رمز إلى الذكر الحكيم فى علياته ولوحه المحفوظ ، والقرآن رمز إلى الذكر الحكيم من قربه منا وتمكننا منه.

وهذا ملحظ لطيف لأن كتابة أى شئ تكون سابقة فى الوجود على قراءته؛ فالناس يقرأون "المكتوب" ولا يكتبون "المقروء" وإلا كان ذلك تحصيل حاصل ويخرج عن عمل العقلاء ، لأن تحصيل الحاصل باطل فى حكم العقل.) انتهى.

معنى هذا أنه إذا ذكر (الكتب) - بدون ألف - تتجه أنظارنا إلى العلو - أى إلى السماء - كما سنرى وإذا ذكر (الكتاب) بالألف - مثله مثل (القرءان) بالألف - يكون ذلك إشارة ولفتاً للأنظار إلى جهة أهل الأرض والأحداث الأرضية. ولكنها مازال فيها عنصر الغيب (الكتاب بالألف) رغم نزولها إلى الأرض.

وبعد هذا العرض المبسط السريع نبدأ استعراض هذا المعنى - على أرض الواقع - ونرى: هل تناقض القرآن - والرسم القرآني معه - في ذلك أم لا ؟ ونحب أن نبدأ ذلك بإجابة سؤال - سئلت فيه على قناة البركة الفضائية - وهو مفتاح للإجابة والتوضيح لما قلناه .. والسؤال هو:

لماذا في بداية سورة الحجر يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (١) وفي أول سورة النمل ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١) والسؤال هو:

(١) لماذا تم تقديم (الكتاب) في سورة الحجر على (القرآن) وتم تأخيره في النمل؟
(٢) ولماذا كتب (الكتاب) بدون ألف في الحجر . وكتب (الكتاب) بالألف في النمل ؟. والسؤال هو: لماذا؟ وهل لذلك من حكمة ؟

والإجابة هي - بعد استحضار ما قلناه عن الطرف العلوي (للكتاب) والنظر إلى السماء .. والطرف الأرضي (الكتاب) والأحداث الأرضية (وملاحظ الغيب مع الكتاب) .. نستعرض السورتين سريعاً.. وأرجو من القارئ فتح المصحف الشريف أمامه وبين يديه واستحضار المعاني السابقة.

ونبدأ بسورة النمل التي بدأها الله تعالى بقوله ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) .. وهنا نرى أنه بدأ بذكر (القرآن) .. وكما قلنا أن (القرآن) إشارة إلى الطرف الأرضي والأحداث الأرضية، وإلى التنفيذ والتطبيق الفعلي على الواقع (الأرض) .. ثم لتأمل ما بعد هذه المقدمة .. حيث أنه كتب الكتاب - وهو التالي في الذكر - بالألف (الكتاب) - الذي يعني أيضاً التأكيد على الطرف الأرضي والنظر إليه (بجانب الملاحظ الغيبي الذي يعلمه محمد ﷺ) فقط في كلمة "الكتاب" .

وهذه المقدمة تعتبر في بلاغة وعظمة القرآن بمثابة العنوان (أو البرواز) - كما يخلو له أن يسميه بذلك الشهيد سيد قطب رحمه الله - وهذا يعني أن تكون المشاهد في جميع هذه السورة مشاهد أرضية (باعتبار تقدم القرآن - طرف أرضي ، وكتابة الكتاب بالألف - وهو أيضاً طرف أرضي) - (مع ملاحظة أن ختام السورة الذي يشير إليه "الكتاب" - بالألف - يتحدث عن الطرف الأرضي الغيبي عن أهل الأرض في آن واحد ؛ حيث أنه سيشرح معجزة علمية أرضية (تغيب عن أهل الأرض) ولكن أعلمها الله لنبيه محمد ﷺ) وأطلعها عليها (وهي علم الغيب في دوران الأرض) كما سنشرحها تفصيلاً إن شاء الله.

وهذا إذا افترضنا التعامل مع كتاب معجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وعلى هذا يكون سيرنا وبجثنا في الكتاب الذي كلما ازدددت فيه تعمقاً وتدبراً أكرمته وعظمته - بخلاف غيره من الكتب المدعاة سماوية - التي كلما ازدددت فيها تأملاً هدمتها وقوضتها وأثبت زيفها وتحريفها دون حاجة إلى شاهد من خارجها - وانظر سلسلة كتبنا في مقارنة الأديان - .

ومن هنا كانت دعوة القرآن الدائمة ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) النساء.. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) .

من هذا المنطلق نبدأ البحث في سياق السورة كلها (التي خضعت لهذا الرسم) ونحيب على السؤال: لماذا بدئت سورة النمل بقوله ﴿تلك آيات (القراءان) وقدمته على (الكتاب) ، وذكرت (الكتاب) بالألف ؟.. وقد رأينا في بداية السورة - وبعد رسم البرواز للأحداث الأرضية(فقط) - أن السورة ((جميعها)) بالفعل تتحدث عن أحداث أرضية ((فقط)) ؛ حتى في أحداث نهاية الدنيا وبداية مرحلة الآخرة تستعرضها السورة بمشاهد أرضية :

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ..﴾ (٨٢) ... ومنها أيضاً(الآية العلمية التي فيها الملحظ الأرضي الغيبي) وهي : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ..﴾ ومن آياته الليل والنهار. ﴿الْمَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٦) . ويحتملها ربنا - بنفس ما بدأ به بالحديث عن القرآن أيضاً - بعد طول الرحلة في خلال السورة - بقوله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١) ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ..﴾ وهكذا يتوافق البدء مع الختام في تناسق وإعجاز وإبهام .

ثم بالعودة لا ستعراض السورة - سريعاً - وكيف أنها تتحدث عن أحداث أرضية فقط - مراعاة لبرواز السورة ، ومراعاة لرسم الكلمة من إظهار الألف وتقديم الطرف الأرضي (القرآن) - .. ننظر إلى السياق بعدها مباشرة ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ (١) هُدًى وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) . - فهو هدى وبشري (للمؤمنين) - الذين يناسبهم الطرف الأرضي الذي يعترفون به ويسمون به وحدهم - "القرآن" .

ثم يبدأ بعدها باستعراض عمل "القرآن" على الأرض حيث يقول ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٣)

...ثم بقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦) ..) وسترى أن السورة كلها تشرح وتبرز هذين المعنيين - حَكِيمٍ عَلِيمٍ - في جميع أشواطها وقصصها .
وبعدها يبدأ السياق في استعراض حدث أرضى في قصة موسى عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَيْفُكُمْ .. ﴾ (٧) ..) وسنقوم في سلسلة كتبنا (الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم) بالشرح والبيان لهذه اللقطات من القصص القرآني .. ولكننا سنعيش هنا ونستعرض الصدق في عرض الأحداث الأرضية المناسبة للبرواز الذي وضعه رسم الكلمات (القرآن والكتاب) مع التقديم هنا والتأخير هناك .. حيث نستمر الآيات بعد قصة موسى في عرضها للقصص الأخر - الأرضي - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا .. ﴾ (١٥) ، ﴿ حَتَّى إِذَا اتَوَّا عَلَىٰ وَادِ التَّمَلُّقِ قَالَتِ نَمْلَةٌ .. ﴾ (١٨) ..
﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ .. ﴾ (٢٠) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٣) (ملكة سبأ والعلم والقوة والحكمة، وظل قوله تعالى (عليم حكيم) ... وكلها قصص أرضي .

ثم يبدأ في قصص آخر - على التواصل للأحداث الأرضية - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا .. ﴾ (٤٥) ..) . ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (٥٤) ..
﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ (٥٩) .. ويعدد بعدها مشاهد أرضية فقط (أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فآتينا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تثبتوا شجرها أنلة مع الله بل هم قوم يعدلون (٦٠) .. أم من جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا أنلة مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (٦١) أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أنلة مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢) أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أنلة مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣) أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أنلة مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤) ..
﴿ قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٦٩) .. إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (٧٦) وإله هادي ورحمة للمؤمنين (٧٧) .. وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (٨٢) ..) ثم تأتي أخطر آية علمية - كما سنشرحه ونشرح الإعجاز في طريقة عرضها من الحكيم العليم - وهي آية أرضية تتحدث عن دوران الأرض (فيها ملحظ الأرضي الغيبي عنا الذي يحقق رسم الكلمة (الكتاب)

بالألف: - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨٨).

وهكذا تعيش السورة كلها لترسم الأحداث الأرضية التي عبرت عنها من البداية رسم حروف كلمة (كتاب) بالألف.. وتقديم كلمة (القرءان) - الطرف الأرضي - هنا، وتأخيرها في سورة الحجر - التي نبدأ الحديث عنها والتعريف السريع بآياتها كما يلي -
سورة الحجر:

تبدأ - كما قلنا - بالكلمتين (الكتـب) - بدون ألف - الذي يدل على حدث سماوي - كما قلنا - ويليهما في الترتيب (القرءان) بالألف (وهو حدث أرضي).. وقلنا أن ذلك - تمشياً مع منهج الإعجاز في رسم الكلمة المتناسق مع إعجاز اللفظ والمعنى في القرآن الكريم - يرسم لنا مضمون السورة وترتيب الأحداث فيها (أو بمعنى آخر: برواز السورة) وهذا يعني أن يكون ترتيب الأحداث هكذا:

البداية سماوية علوية تلفت الأنظار إلى السماء والأحداث السماوية .. وهذا ترسمه وتعبر عنه كلمة (الكتـب) بدون ألف - وتقديمها في السورة -.. ثم تليها الأحداث الأرضية التي رسمتها وعبرت عنها كلمة (القرءان) ومكتوبة بالألف - فهي بالرسم للكلمتين ، والتقديم للكتاب تؤكد على الحدث الأرضي ليكون تابعاً للحدث السماوي ... ومن العجيب أن هذا هو ما سارت عليه آيات السورة - على خلاف سورة النمل - التي استعرضناها -.

ولنبداً استعراض الأحداث في سورة الحجر سريعاً:

(١) ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (١) وقلنا أن تقدم الكتاب يوحى بالنظرة التنظيمية لآيات السورة ، ولكن ليس هذا هو كل المراد فقط ؛ فإن تقدم الكتاب له حكمٌ أخرى تتجاوب مع رسم الكلمة في المصحف ، وتتكامل ولا تختلف أو تتناقض .. ومن ذلك ما قاله الإمام الطاهر بن عاشور: فأما تقدم الكتاب على القرآن في الذكر فلأن سياق الكلام توبيخ "الكافرين" وتهديدهم بأنهم سيجيء وقت يتمنون فيه أن لو كانوا مؤمنين - رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) - . فلما كان الكلام موجهاً إلى المنكرين (أى الكلام في سورة الحجر بخلاف سورة النمل كان مع "المؤمنين") ناسب أن يستحضر المترل على محمد صلى الله عليه وسلم بعنوانه الأعم وهو كونه كتاباً ، لأنهم حين جادلوا ما جادلوا إلا في كتاب فقالوا : ﴿لَوْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الأنعام : ١٥٧] - أى أنهم (أى الكافرون) لم يقولوا لو أنا أنزل علينا (القرءان)

- ولأنهم يعزفون ما عند الأمم الآخرين بعنوان "كتاب" ، ويعرفونهم بعنوان أهل الكتاب . فأما عنوان "القرآن" فهو مناسب لكون الكتاب مقروءاً مدروساً وإنما يقرأه ويدرسه المؤمنون به ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ النمل. ولذلك قدم عنوان (القرآن) في سورة النمل كما سيأتي(انتهى).

وأقول وأكرر: هذا نموذج لتعدد نواحي الإعجاز في النص الواحد ، نقوله دائماً ونلفت إليه أنظار القارئ والتالين لكتابه ، وأنه لمن روائع القرآن وعظمته.

(٢) ثم نستكمل استعراض الآيات في سورة الحجر ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥) .. فهى تحكى عن كتاب آجال الأمم .. وهو رغم أنه من علم الغيب لله الذى اختص الله بعلمه - (وهو أمر سماوى) - ولكنه لأنه أمر جزئى من اللوح المحفوظ فكتب الألف فى هذا (الكتاب) - الذى يعنى كتاب الآجال- .. ولكنه مع ذلك يلفت النظر إلى السماء وإلى علم الله فى اللوح المحفوظ(كتاب الآجال فى اللوح المحفوظ).

(٣) وتبعاً للدقة المتناهية والحكمة العظيمة التى تعودنا عليها فى هذا الذكر الحكيم لاحظنا أن الأحداث التالية مباشرة هى أحداث علوية (ومنها حديث الملائكة عن آدم والملائكة وأمر إبليس) ثم بعدها تأتى الأحداث الأرضية فى المرتبة الثانية أو الترتيب المتأخر .. وبيان ذلك الترتيب كالاتى :

١) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤). أى كتاب الآجال الذى فى السماء.

٢) ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦). وهذه الآية تحمل عنصر

التكريم، وهو نزول هذا الذكر العظيم - من السماء - على النبي العظيم، وتحمل عنصر

الإساءة أيضاً لهذا الذكر الحكيم ولهذا النبي العظيم ؛ حيث تم وصفه بأفطع صفة وهى

الجنون ، مما سترتب عليه حدوث ما يسمى بزوال عظيم فى هذه السورة ، يقلب

الرأس عقباً . (سنعيش معه على الصفحات القادمة) .

وقد استدعى ذلك قسم رب العزة بحياة النبي محمد (ﷺ) فى داخل السورة- حيث قال

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢). فهو قسم عظيم وتكريم ودفاع مجيد عن النبي

(ﷺ) مقابل هذه الإساءة البالغة من هذا العنصر السيئ من نسل آدم والذي - سيفصله

الله من آدم ، وسيشار إليه بعد قليل بالحمأ المسنون ثلاث مرات متتالية!! - فى هذه

السورة فقط- كأنها تأكيد على تحقير هذا العنصر بصيغة التوكيد التي عرفها العرب وسار عليها الإسلام (التوكيد بالثلاثة كما نقول)؛ حيث أنه حينما كان يريد النبي محمد (ﷺ) تأكيد معنى من المعاني فإنه كان يكرره ثلاث مرات .. فكأن هذا التكرار- كما سنرى- لصفة الحمأ المسنون - هو أيضاً من وسائل الدفاع والرد على هذه الإساءة التي نطقت بها هذه الألسن المنتنة التي هي من نسل آدم - (العنصر الثاني وهو: الحمأ المسنون) -- بخلاف العنصر المكرم (الصلصال) الذي يمثله النبي محمد (ﷺ) والتابعين له بإحسان.

والعجيب أن هذه المقولة الآتية التي ردها الكافرون (يا أيها الذي نزل ..) تحمل صفة (التكريم) وصفة (الإهانة) فكأنهم نادوه بمقام التشريف: يا أيها الذي نزل عليه الذكر (وان كان على طريق التهكم .. قاتلهم الله) ثم يأتون بالعنصر الآخر (انك لمجنون) .. وهما عنصران - سماوي (تشريفى) وبعدها أرضى .. بنفس الترتيب أيضاً.

٤- ثم نأتى لتعداد باقى المراحل السماوية التي تعددها هذه السورة الكريمة، وبعد أن قالوا (يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك ..) ... بذكر ربنا تبارك وتعالى قولهم ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. فهم يستعجلون نزول الملائكة بالعقاب الذى يتوعدهم به .. وهذا المطلب من هؤلاء القوم سيكون له أثره فى رسم مشاهد السورة التي رسمت بغاية التناسق والتناغم والإعجاز- إضافة إلى لفت النظر إلى المشهد السماوى-.. كما سنوضحه فى قصة لوط القادمة.

٥- وبعدها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾.

٦- وبعدها ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤)﴾^(٢) - وهى آية علمية ، ولكنها هنا آية سماوية وليست أرضية بخلاف آية سورة النمل.

٧- وبعد ذلك نأتى لمشهد سماوى آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (١٦) (بروجاً) .. (وزيئها) .. ونلاحظ بعدها المشهد المقابل على الأرض ، والذي يرسم فيه الصورة الفنية الجميلة المتناسقة فى الجهة المقابلة ... وهى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (١٩)

(٢) (حديث علمى آخر عن أبواب السماء والعروج إلى السماء ورؤية الظلام الحالك فى السماء فى وضوح النهار بعد الخروج من الغلاف الجوى) .. لقالوا انما سكرت ابصارنا (مناسبة لما يقوله العلم فى الظلام الحالك المخيف والمرعب والذي ينتشر فيه الصمت والرعب كما عبر عنه بحروف وجرس الكلمة (أغطش ليلها) - راجع الحديث عن (جرس الكلمة)

رواسى (على الأرض) - مقابل البروج التى (فى السماء)

وأبتنا فيها من كل شىء موزون - مقابل وزيناها للناظرين

وفيهما - مع هذا التناسق - الصنفين: السهل والوعر فى السماء كما فى الأرض .

تقابل وتناسق وانسجام وروعة وإهمار .

ثم يذكر مضيفاً تناسقاً آخر مع قوله (وزيناها للناظرين) ؛ وهو ذكر قول إبليس فى الآيات

التالية فى نفس السورة: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي "لَأُزَيِّنَنَّ" لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

(٣٤) . ولاحظ ماسبق وقلناه عن تزيين السماء وقول إبليس لأزيين - . ثم قوله (إن جهنم

لها سبعة أبواب) والحديث فى السورة عن (السبع سموات) ... فالزينة هنا .. والزينة هناك،

والزينة على الأرض كما هى على السماء كما هى أيضاً على لسان إبليس.... ثم ذكر

السموات السبع والسبعة أبواب .

٨- ثم مشهد سماوى آخر - فى نفس التسلسل وترتيب الآيات - وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) . ومعلوم أين توجد هذه

الخزائن من علم الله وفصله الذى لا يحيط بعلمه أحد من خلقه، وهو يلفت النظر بقوة إلى

السماء ، وخاصة أنه يقول بعدها (وما نزله إلا) أى: من السماء .

٩- ثم نأتى لمشهد سماوى آخر؛ وان كان قد فهمه بعض المفسرين القدامى - خطأ - على

أنه مشهد أرضى - وهذا المشهد هو قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) ؛ فالرياح هنا ليست لإثارة سحب (وليس

فيها جو الإثارة الذى يناسب مشهد التراب) ولكنها لتلقيح السحاب الذى يتررب عليه

(فأنزلنا) من السماء ماء .. والآية لا تتحدث عن تلقيح النبات - كما فهمها علماؤنا

قديماً وإن كان معناها شامل لذلك أيضاً - ولكن سياق الآية يؤكد على تلقيح السحاب ،

وقد ربطها النص (بفاء التعقيب) فقال : وأرسلنا الرياح لواقح (فأنزلنا) من السماء ماء

(وهى آية سماوية أيضاً) .

١٠- ثم نأتى لمشهد هذا الماء النازل من السماء ونسأل عن الصورة التى يريدنا الله عز

وجل أن تتأملها فيه فنجد قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (٢٢) الحجر .. فهو يريد منا أن تتأمل ماء نزل من

السماء بعد تلقيحه ولم يخزنه الله فى باطن الأرض (وما أنتم له بخازنين) ويأتى السؤال:

فما هو مصير هذا الماء؟ . والإجابة: إنه سيبقى على وجه الأرض إلى أن يكون ماءً وطيناً

منتناً (وهو مشهدٌ مقصود يطلب منا أن تأمله وتتملاه تمهيداً لعرض المشهد القادم ومتناسقاً معه) وهو سياق الآيات القادمة وهي:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾. ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ (٢٧). (٣)

(٣) وقد ذكرنا في معرض حديثنا صلصال كالفخار.. وقلنا أن الصلصال الكامل هو أرقى وأكمل أطوار الخلق من تراب.. وهي مرحلة النعمة أيضاً.. فلذلك ناسب وجودها في سورة الرحمن (سورة النعم). ومن روائع الجمال والكمال في نظم القرآن وآياته وسوره هو حسن التقابل بين صلصال كالفخار = ومقابله مارج من نار؛ حيث أن الصلصال: هو عبارة عن طين سلط عليه نار فإذا كانت النار مثل نار السموم بحيث تدخل المسام - مع ما فيه لفظ (السموم) من إحساس بالإيذاء وليس التكريم والنعمة- ولكن وجود نار السموم الشديدة التي بها الإيذاء أو مازال بها دخان يقابلها صلصال من حمأ مسنون؛ حيث لا يبقى الطين طيناً بعد تسليط هذه النار (نار السموم) عليه ولا يحسن تواجد (نار السموم) في المشهد - فنياً - متقابلاً مع الطين (لأنه حينئذ لم يبق طين).. فإذا بالفن والجمال يجعل المشهد كالآتي:

صلصال من حمأ مسنون ————— يقابله نار السموم

صلصال كالفخار - ————— تقابله مارج من نار

أصفى أنواع التراب وأعلى مرحله - يقابله أصفى أنواع التيران وأشرفها

وكما يقول د/محمد الأمين الحضري: وكما عدل عن ذكر التراب والطين الموحين بحجارة أصل خلق الإنسان إلى الصلصال، لأن السورة (الرحمن) بنيت على تعدد نعم الله على خلقه والامتنان على الإنسان بما أفاض الله عليه من = سبحانه التكريم وأولها وأشرفها تعليمه القرآن (الرحمن علم القرآن... خلق الإنسان علمه) فجاء قوله خلق الإنسان = من صلصال آية من آيات الإعجاز في اختيار المقدرات وتجنب الألفاظ التي تفاجأ النفس بما يعوق وثبتها إلى اكتناه أسرار النظم والوقوف على غاياته. فلو قال خلق الإنسان من تراب أو من طين لنفر غاية النفور في مقام الامتنان على الإنسان بعظيم خلقه.

وهنا نأتي إلى مرحلة خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون.

ولعل القارئ يلاحظ ان هذا الطور يحوى الصنفين في آدم (١) الصنف المكرم: المشار إليه بالصلصال (٢) الصنف (المهان) الذي سيهين نفسه بالمعصية ومخالفة الخالق - وسب نبيه (ص) - ويمثله ويشار إليه هنا بالحمأ المسنون (أى الطين المنتن)... أى أن الله عز وجل - في هذه السورة - فصل النوعين في آدم. وهذا لم يحدث إلا في هذه السورة فقط، وهذا ما يستدعى وقفة متأملة لمعرفة السبب ومناسبة هذا الحدث لهذه السورة المباركة وهي (سورة الحجر) لتعرف على سبب ودلالة ومدلول هذا الفصل والتمييز ومناسيته لسياق هذه السورة من عدمه، وهل يمكن استبدال هذا الطور بأي طور آخر كالتراب أو الطين أو النطفة أو حتى (صلصال كالفخار)؟ أم أنه لا يصلح لهذه السورة إلا هذا الطور بصفة خاصة (حمأ مسنون).. ولك أن تعيش مع السورة لتفهم السبب.

مسنون) ولماذا قام بتفصيل وفصل العنصرين المتواجدين في آدم ... وهو العنصر المكرم (الصلصال) والعنصر المهان (العاصي) وهو الحمأ المسنون. وقلنا أن آدم كان طيناً وبعد أن سلطت عليه النار التي هي أشبه بنار السموم التي تدخل مسام الطين أصبح هذا الجزء صلصلاً (من الطين المتغير.. وهو ما يسمى بالحمأ المسنون) وهذا تناسب جميل وبديع... وقلنا وعددنا أسباباً استدعت هذا الفصل ومنها وأهمها هو:

(١) سب النبي محمد (ﷺ) والقرآن الكريم بهذه الكلمة البذيئة التي خرجت من أفتق الخلق من هذا العنصر (الحمأ المسنون) من نسل آدم . ولقد رأينا هذين العنصرين حتى في إبنى آدم (قاييل وهابيل) ورأينا فيهما الصلصال المكرم ورأينا فيهما الحمأ المسنون (العاصي والمهان على الله ومنه هذا الذي يسب محمداً (ﷺ)).. ولاننسى أن فصل العنصرين هنا يناسب العنصر السماوي (المكرم) والأرضي (المهان = حمأ مسنون) (٤).

ورغم كل ما قيل نجد وجهاً آخر من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم قد استدعى فصل العنصرين بهذه الصورة في أبينا آدم ألا وهو: ...

** أن الله عز وجل في هذه السورة (بصفة خاصة وليس في غيرها) قد فصل إبليس عن الملائكة (أى فصل العنصر المكرم التشریفى عن العنصر المهان التحقيرى).. بخلاف السور الأخرى مثل سورة الأعراف، التي لو قام القارئ باسترجاع مشاهدتها في حديث المسأل الأعلى وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم فإنه - في سورة الأعراف - لا يستطيع القارئ أن يميز فاصلاً بين إبليس والملائكة - بخلاف سورة الحجر - وإليك البيان في السورتين:

الأعراف	الحجر
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١) الأعراف . وهنا لا يمكن للقارئ أن يميز: هل إبليس من الملائكة أم لا ؟ فالأمر صادر للملائكة فسجدوا إلا إبليس ... وهنا ربما يتخيل	(١) هنا تم الفصل من البداية حيث قال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ.. وَالْحَا نَ خَلَقْنَاهُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ .. فهنا عرّف أن الجان خلق مستقل بذاته، وعرّفه منفرداً عن الملائكة ، وعرّفنا خلقه (من نار السموم) بخلاف الملائكة التي هي من نور.
	(٢) ثم قال بعد هذا الفصل والتعريف: إذ قال ربك للملائكة .. وهنا يتضح الفصل الكامل والواضح بين

<p>إبليس (العنصر الأرضي) والملائكة (العنصر السماوي).. وإن الأمر صدر للملائكة.. وكان إبليس متواحداً (معهم) وليس (منهم).</p> <p>(٣) وقال: فسجد الملائكة - إلا إبليس لم يكن (مع) الساجدين: لاحظ أنه قال لم يكن (مع) الساجدين.. ولم يقل (من) الساجدين.. فهنا وضع وضوحاً تاماً وشفافاً أنه (معهم) وليس (منهم).. وبذلك يكون قد اتضح أنه قد تم الفصل الواضح والكامل بين عنصر (النور والخير - الملائكة) وعنصر (الشر والضلال - إبليس) في هذه <u>السورة فقط</u>.. فناسبها أن يفصل النص القرآني المبرر بين عنصر الخير (الصلصال) من عنصر الشر (الحمأ المسنون) في آدم أيضاً (وفصل وترتيب المشهد السماوي من المشهد الأرضي)</p> <p>وهذا هو قمة الروعة والإعجاز ..</p>	<p>القارئ أن إبليس من الملائكة . وقال الله له بعد ذلك (١) فأهبط منها (أول مرحله لعزله) ثم قال له بعدها (٢) فأخرج إنك من الصاغرين.. * (٢) ملاحظة النص هنا الذي يقول: إلا إبليس لم يكن (من) الساجدين وهذا يوحي أنه (منهم) وليس (معهم) على خلاف النص في سورة الحجر. كما سنرى .</p>
--	--

وفي سورة الأعراف سنجد نفس الحديث عن عدم الفصل في رسم كلمة "يستأخرون" على الصفحات القادمة.

ويزداد التناسق والجمال تناسقاً وجمالاً آخر حين أكد إبليس هذا الفصل بنفسه في حديثه عن عنصرى آدم حيث قال : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} ﴾ (٤٠) ورد عليه ربنا قائلاً: (١) ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (٤٢) ثم رسم طريق الاثنين وهو (١) ﴿ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ (٤٤). تحديد وتقسيم أيضاً (٢) ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٤٥) ثم قال (١) ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤٩) (٢) ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (٥٠) الحجر.. ثم العنصر الصالح (إبراهيم ولوط) والطالح (قوم لوط) .

ثم نأتى للمشهد الأرضي والذي يبدوه ربنا تبارك وتعالى بقصة لوط - التي تتناسق كما سنرى مع برواز السورة ومع استعجالهم للملائكة من محمد (ﷺ) والدفاع عن محمد (ﷺ) كما سنرى. وبيان ذلك كالآتي:

(١) كلنا يعلم أنه حينما يذكر قوم لوط فإننا نتذكر ما أمر الله به ملائكته وما فعلته الملائكة هؤلاء القوم ، كما ورد في هذه السورة حيث يقول ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَائِلَهَا

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ ﴿٧٤﴾ الحجر.. ولذلك كان من أشد التناسب والتناغم أن يبدأ الله عز وجل السرد القصصي لقصص الأنبياء هنا بقصة لوط ، وليس ذلك فحسب. بل إنه يقدم - هنا أيضاً - ذكر الملائكة في الحوار معه (قبل حديث قومه له).. وهذا المشهد وهذا الترتيب لم يحدث في أى سورة أخرى سوى هذه السورة .. وهذا ليس اعتباطاً ؛ فقد تعودنا أن يبدأ القصص بذكر قصة النبي التي تناسب وتتناغم مع جو وسياق السورة كلها التي فيها هذا المشهد ؛ فتارة يبدأ القصص بنوح كما في سورة المؤمنون - كما شرحنا ذلك من قبل في سورة الصافات^(٩) ، وتارة أخرى يبدأ القصص بإبراهيم أبو الأنبياء .. وتارة يلدؤه بموسى كما في الشعراء و الأنبياء ، وهكذا كل قصة في مكانها الحقيقي وما والليصيق بها (راجع سلسلة كتبنا عن الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم).

وهنا- كما رأينا- أن المقام الأنسب في تقديم القصص .. هو تقديم قصة لوط .. وحديث "الملائكة" المشهور وفعلهم مع لوط وقومه ثم النهاية المعلومة بحسف الملائكة الأرض بقوم لوط ورجمهم بالحجارة.

ولكن العجيب- والعجب لا ينتهي- لأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه- إن قصة لوط وردت في سور أخرى مثل سورة هود بالترتيب المختلف عن ترتيبها في هذه السورة .. وهو كالاتي : - ففي سورة "هود" يبدأ القصة هكذا:

(١) ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ هود. وهنا يقف الحديث مع الملائكة عند هذا الحد. (كإشارة لقدمهم فقط) ولم يكمل ، ولم يسرد النص القرآني حديث الملائكة المعلوم مع لوط ، أو حديث لوط مع الملائكة وكان ذلك بمثابة إشارة فقط لحضور الملائكة - كما قلنا-.

(٢) ثم يدخل بنا النص سريعاً إلى الآية التالية ٧٨ حيث يقول ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ ﴿٧٨﴾ هود... (ويبدأ الحديث بين لوط وقوم لوط) - أى الحديث الأرضي - ويستمر الحديث مع لوط وقومه من الآيات ٧٨ ، ٧٩ ،

٨٠

(٥) (لأن هذه السورة تحتاج الحديث عن الذرية ... والحديث عن المشارق دون المغارب (رب السموات والأرض .. رب المشارق) فهي إحياء بلا إمامته وغير ذلك من المعاني الجليلة - كما وضحنا ذلك جلياً في سلسلة كتبنا عن الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم .

(٣) ثم يأتي بعد ذلك الحديث مع الملائكة (أى أن حديث الملائكة جاء في المرتبة الثانية والأخيرة).. قالوا يالوط إنا رسل ربك حديثاً كاملاً للملائكة وإن كان مختصراً. ومن هذا يفهم أن الترتيب - في سورة هود- كان كالآتي :-

١- حديث القوم مع لوط .
٢- ثم حديث الملائكة مع لوط .. ويكون حديث الملائكة متأخراً كما رأينا .
ولكن في سورة الحجر- التي تعجل الكفار فيها نزول الملائكة - (الطرف السماوى) (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر .. لو ما تأتينا بالملائكة...)- والتي رسم بروازها كما قلنا (السماوى ثم الأرضى) نجد أن السياق فى قصة لوط فى هذه السورة قد تعجل فيه ذكر الملائكة وحديث الملائكة قبل ذكر حديث لوط مع قومه- .(على خلاف السياق فى السور الأخرى مثل السياق فى سورة هود).
وكما نعلم دائماً أن النص القرآنى يقدم الأهم والأنسب فى السياق- وهو هنا الملائكة (المشهد العلوى - السماوى - قبل المشهد الأرضى) وهى تسرع لإهلاك هؤلاء القوم .
مع ملاحظة مناسبة الإساءة للنبي محمد (ﷺ) فى أول السورة ؛ لتؤكد على انشغال المسأ الأعلى بذلك) ، ويأتى ذلك تكريماً لنبي الله لوط وإشارة لتكريم النبي محمد (ﷺ) برابط فني وبلاغى عجيب.

وهذا ما يؤكد السياق؛ حيث أنه بدأ المشاهد بذكر حديث الملائكة من الآية (٥٧-٦٦) - عشر آيات عن الملائكة- يبدوها بقوله فما خطبكم أيها المرسلون - الملائكة- (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨)) الحجر (لاحظ البداية) .. فلما جاء آل لوط المرسلون قال .. قالوا... بل جئناك، وأتيناك بالحق (لاحظ ذكر الحق) .

ثم بعد ذلك جاء بذكر حديث لوط مع قومه فى الآية ٦٧: وجاء أهل المدينة يستبشرون.(العنصر الأرضى). ويأتى فى خلال هذا السياق قول الله تعالى ﴿لعمرك ألهى سكرهم يعمهون﴾ ؛ وكان الله عز وجل يقطع الحديث المثير عن لوط وقومه والملائكة ويلتفت إلى نبينا محمد (ﷺ) ليطمئن قلبه فى أخرج المواقف والمشاهد . وهذا من بدائع أسلوب الالتفات فى القرآن الكريم.. حيث أنه يقطع المشهد وهو فى غاية الإثارة، وقد وصلت المشاهد الى القمة، ويقطعها ليذيع نبأ عظيماً وعاجلاً وهاماً جداً جداً ؛ هو البيان التالى: ﴿لعمرك ألهى سكرهم يعمهون﴾ - وهو قسم بحياة النبي محمد (ﷺ)- ثم يعود السياق مرة ثانية إلى مشهد تدمير الملائكة على قوم لوط فى الأرض، ولذلك قال بعدها

(إن في ذلك آيات للمتوسمين) ولم يقل: ان في ذلك (آية) (للمؤمنين).. كما قالها في الآية بعدها... (٦)

ونحن هنا نستكمل الحديث مع المتوسمين وآيات المتوسمين ونصل إلى مشهد آخر من المشاهد السماوية في تناسق الآيات والعبر وبعد ذكر استعجالهم لتزول الملائكة وقد رأينا ما حدث حيث يقول ربنا بعدها في ختام السورة ما يناسب بدايتها :

(١) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) سورة الحجر — مناسبة لقوله (تلك آيات القرآن .. والسبع سموات .. والسبع أبواب من جهنم .. وقوله عنه: يأبها الذي نزل عليه الذكر).

(٢) ﴿لَا تَمُدَّنْ عَيْنِيَ إِلَى (مَا مَتَعْنَا) بِهِ أَزْوَاجًا ... وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ﴾. (ما متعنا) مقابل حديث الزينة السابق (وزيناها..، ولأزينن لهم في الأرض).

(٣) كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين .

(٤) وقوله "فاصدع" فيها (مشهد) (الفصل) بين الحق والباطل. ليتناسب مع مشهد الفصل في قصة آدم وإبليس والملائكة — الذي ذكرناه من قبل — مع مراعاة جرس الكلمة وصورها. وكل هذه المشاهد الأرضية التي جاءت في الترتيب الذي رسمه البرواز بإعجاز متناسق ومتناغم مع الرسم العثماني).

(٥) ثم قوله (إنا كفييناك المستهزئين) .

(٦) وهنا يقف علماء البيان ليأملوا ويحاولوا ان يفهموا سر سياق هذه الآية ولماذا جاءت بصيغة الجمع هكذا (إن في ذلك آيات للمتوسمين) ... وكل يدلى بدلوه في بحر الإعجاز العميق والمستمر إلى يوم القيامة والمفتوح لجميع الأجيال.. وإن كنا سنقف على واحد من هذه الآراء واللطائف في شرح هذا الموقف — الذي ذكرناه في سياق قصة لوط — وما رأينا من:

(١) تقديم الملائكة وحديثها على حديث لوط مع قومه — قوم لوط — وهذه تحتاج إلى فهم أصحاب الفراسة (المتوسمين) .

(٢) أيضاً ما حدث من أسلوب الالتفات هذا الذي يحتاج لفهم أصحاب الفراسة (المتوسمين). وما زالت القصة مع ما قبلها تحتاج لأصحاب الفراسة والبصيرة وليس لأصحاب البصر فقط .

أما حينما ذكر بعدها مشاهدة ما حدث لقوم لوط من الدمار والذي لا يحتاج إلا إلى المشاهدة فقط لآثارهم بالبصر قال : وانها لبسبيل مقيم (أى آثار قوم لوط وديارهم) إن في ذلك (آية للمؤمنين) وذلك لأن أصحاب الفراسة كانوا يستنبطون الآيات الكثيرة من السياق والقصة بخلاف غيرهم ، كما أن القصة الأولى فيها العبر الكثيرة للمتوسمين ... بخلاف هنا في رؤيتهم لمشاهدة الدمار فهي آية واحدة وللمؤمنين .

(٦) ثم في النهاية : ولقد نعلم ... ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)..﴾
 وذلك مناسبة لقول الله عز وجل - في الصورة المقابلة- عن إبليس ((إلا إبليس (أبي) أن يكون (مع) الساجدين)).

فيأتي التناسق الجميل البديع:	ومحمد يقول له ربه : ﴿فسبح بحمد ربك وكن (من) الساجدين﴾
﴿إلا إبليس لم يكن (مع) الساجدين﴾	و ليس (مع) الساجدين.. واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

فأصبح من الواضح الجلي أن برواز السورة ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ مُبِينٍ (١)﴾.. قد رُسم خصيصاً (بإعجاز الرسم العثماني - كما يقال-) ليناسب جو السورة وترتيب أحداثها ، وإن شئت فقل أن السورة قد رسمت خصيصاً لهذا البرواز .. وهكذا يتكامل النص القرآني بألوان الإعجاز المختلفة فيه ؛ من رسم الكلمة والتقدم والتأخير مع إعجاز اللفظ والمعنى ونكتفى بهذا القدر و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾.



أسمائه.. أَسْمَائِهِ

(١) ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الزمخشري: واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى ، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه ، كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم : يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه ، يا نخي . أو أن يابوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى . نحو أن يقولوا : يا الله ، ولا يقولوا : يا رحمن وقد قال الله تعالى : { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [الإسراء : ١١٠] ويجوز أن يراد : والله الأوصاف الحسنى ، وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فوصفوه بما ، وذروا الذين يلحدون في "أوصافه" فيصفونه بمشبهة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها ، وقيل : إلحادهم في أسمائه : تسميتهم الأصنام آلهة ، واشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز.

ويقول السمرقندي: يعني : "الصفات" العلي { فادعوه بها } الطاهر: ووصف الأسماء ب { الحسنى } : لأنها دالة على ثبوت (صفات) كمال حقيقي ، .ومعنى الإلحاد في أسماء الله جعلها مظهراً من مظاهر الكفر، وذلك بإنكار تسميته تعالى

بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له ، وهو الأحق بكمال مدلولها فإنهم أنكروا الرحمان ، كما تقدم ، وجعلوا تسميته به في القرآن وسيلة للتشنيع ، ولمز النبي عليه الصلاة والسلام بأنه عدد الآلهة ، ولا أعظم من هذا البهتان والجور في الجدل ، فحُق بأن يُسمى إلحاداً؛ لأنه عدول عن الحق بقصد المكابرة والحسد .

وهذا يناسب أن يكون حرف (في) من قوله : { في أسمائه } مستعملاً في معنى التعليل - أى بسبب أسمائه - كقول النبي صلى الله عليه وسلم « دَخَلَتْ امرأة النار في هرة » الحديث ونقول بناءً على هذه الأقوال من أئمة التفسير (من هنا يتبين أن أَسْمَاءَهُ " هنا بمعنى صفاته) وأنها خاصة بالذات العلية ، ونلاحظ أيضاً ورود حرف (في) أَسْمَاءَهُ وهذا الحرف - الظرفية كما رأينا في أكثر من موطن - يرسم المشهد بعدها بحذف الحرف من الكلمة . - والأمر الثالث هو معنى العلة فيه (أى بسبب أسمائه) وليس (في أسمائه) بالمعنى الآخر الذى سنراه في الآيات التالية:

(٢) ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ (بالألف).

ملحوظة : في (أَسْمَاءَهُ) هى عدة أسماء لذات واحدة - ذات الله تعالى - وهى "الصفات" وهم يلحدون فيها - أى فى الصفات - وملاحظة حرف (في) ، وحذف الألف من الكلمة أيضاً دليل الملكوتية والتشريف لهذا الاسم وللذات العلية التى لا يعلم كنهها إلا هو ، كما يقول ربنا: (الرحمن فاسأل به خبيراً) ولم يقل فاسأل عنه خبيراً؛ لأنه لا أحد يعلم أو يستطيع أن يعلم صفاته سبحانه وتعالى ويخبرنا بها إلا هو سبحانه؛ فأنا أسأل (به) سبحانه أن يعرفنى (هو) من صفاته التى لا يعلم حقيقتها أحد من الخلق؛ ولذلك لم يقل (الرحمن فاسأل "عنه" خبيراً) ، وهذا من لطائف وإشارات الحرف فى القرآن الكريم.. بخلاف قوله: يا آدم أنبئهم (بأسمائهم) فهى أسماء لذوات متعددة ، ومخلوقة لله ، ومادية وليست ملكوتية .

ونكرر: هى أسماء لغير الله من البشر أو غيره.. وبذلك لا يستوى - برسم الكلمة فى القرآن أيضاً - أسماء الله وأسماء خلقه ، وسرى إن شاء الله أنه - عن طريق رسم الكلمة فى القرآن أيضاً - أنه لا تستوى صفات الله وصفات خلقه .

(تعالى)... تَعَلَّى

ملحوظة: كلمة (تعالى) كتبت بدون ألف هكذا:

(١) الأنعام. ﴿ .. وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الظاهر: ومعنى : { تعالى } ارتفع ، وهو تفاعل

من العلوّ . والتفاعل فيه للمبالغة في الاتّصاف . والعلوُّ هنا مجاز ، أي كونه لا ينقصه ما وصفوه به ، أي لا يوصف بذلك لأنّ الاتّصاف بمثل ذلك نقص وهو لا يلحقه النقص ، فشبهه التحاشي عن النقائص بالارتفاع ، لأنّ الشّيء المرتفع لا تلتصق به الأوساخ الّتي شأنها أن تكون مطروحة على الأرض ، فكما شبه النقص بالسفالة شبه الكمال بالعلوّ ، فمعنى (تعالى عن ذلك) أنّه لا يتطرّق إليه ذلك .

(٢) ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) ﴾ النحل !

(٣) ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾ النمل !

(٤) ﴿ وَاللَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) ﴾ الجن !

(٥) ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿ الأعراف ﴾ أي هو أعلى وأجل من أن يوصف بالشرك .

(٦) ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ (١١٤) ﴾ طه !

(٧) ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ المؤمنون !

(٨) ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴾ المؤمنون .

إلى هنا والحديث عن علو الذات الإلهية وكلنا يعلم أنه ليس علواً مكانياً مادياً - كما نعلمه - بل هو علو مجازي وملكوتي وغيبي، ولذلك كتبت جميعها بدون ألف . بخلاف الآيات التالية التي تتحدث عن علو البشر الدنيوي والمادى والكلمة ترسم علوهم من الحضيض فلا بد من الرسم بالألف التي تفيد التحول والتغيير أيضاً في هذا المشهد الذي لا يليق مثله بذات الله :

(٩) ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا.. ﴾ الشعالي : { وَتَعَالَوْا } : تَفَاعَلُوا ؛ مِنَ الْعُلُوِّ ، وهي كلمة قَصْدٌ بها أولاً تحسينُ الأدب مع المدعوِّ ، ثم اطردت ؛ حتى يقولها الإنسان لعدوِّه ، وللبهيمة... ولكنها على حالها بمعنى الدعوة - للبشر - إلى العلو عن ما هم فيه من الحطيط .. ويتضح ذلك من استقراء الآيات جميعها .. فهي دعوة لتحكيم العقل والشرع وإلى ما أنزل الله والرسول والوصول إلى الحق والبحث فيه والقتال في سبيل الله .. ولا توجد آية تدعوهم للإنحطاط أو الرزيلة بكلمة تعالوا - أي

لم يقل تعالوا إلى الرزيلة أو المعصية أو الكفر .. وهذا ما يميز ويفرد به النص القرآني في الإستخدام الأمثل للكلمة.

(١٠) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ التوبة.

(١١) ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا...﴾ آل عمران.

(١٢) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ (٦١)﴾ النساء.

(١٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ (١٠٤)﴾ المائدة.

(١٤) ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الأنعام.

(١٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ (٥)﴾.

(١٦) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْتَهَا فَضَالًا﴾ أمّتكُنَّ

الأحزاب. الألوسي: أي أقبلن بإرادتكُن واختياركُن لإحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني ، واصل تعالى أمر بالصعود لمكان عال ثم غلب في الأمر بالجحىء مطلقاً .

(١٧) ﴿وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾ يونس ... الألوسي: أي

لعالب قاهر في أرض مصر ، واستعمال العلو بالغلبة والقهر مجاز معروف. (ولكن الكلمة من ثلاث حروف فلا يحذف منها الألف).

(١٨) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)﴾ الأحقاف والغاشية

الألوسي: { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } مرتفعة المكان لأنها في السماء فنسبة العلو إليها حقيقة ويجوز أن تكون مجازاً .

والآن أصبح واضحاً - برسم الكلمة - الفرق بين صفات الخالق والمخلوق ، وأنهما - في الرسم القرآني للكلمة - لا يستويان.. وأن الكلمة لم تُرسم اعتباطاً أو كيفما اتفق ، أو جهلاً من الكاتب - حاشا لله - كما يردد الجاهلون وغير المدققين.



بعض ملامح الإعجاز في رسم الكلمة في القرآن الكريم

تراب .. (تُرَابًا) . عظام . عِظْمًا

وردت كلمة التراب مرسومة بألف ظاهرة (تراب) ووردت بغير ألف ظاهرة (تُرَابًا) وهذا مما أثار داغية البحث في ذلك واستدعاء واستعراض الآيات جميعها التي ورد فيها كلا الرسمين وهذا منهجنا دائماً في التعامل مع ألفاظ القرآن ، وقد لاحظنا أن الآيات التي وردت فيها (تراب) بالألف الظاهرة (تراب) هي:

١- *البقرة ٢٦٤ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَّا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ (تُرَابٌ) فَاصْبَابُهُ وَأَبِلٌ (٢٦٤) البقرة.

٢- آل عمران ٥٩ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ (تُرَابٍ) .

٣- الكهف ٣٧ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ (تُرَابٍ) .

٤- الحج ٥ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ (تُرَابٍ) .

٥- الروم ٢٠ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ (تُرَابٍ) ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِشَرٍّ تُنْتَشِرُونَ .

٦- فاطر ١١ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ (تُرَابٍ) ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا .. .

٧- غافر ٦٧ ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا .

٨- *النحل ٥٩ ﴿ أَيْمِسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي (التُّرَابِ) أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .

الأمر الأول الملاحظ أن الآية الأولى مضافاً إليها آية النحل الثامنة (أم يدسه في التراب) فتحدثان عن التراب الظاهر لنا جميعاً والمعلوم لنا.

وباقى الآيات تتحدث عن عملية الخلق والإنشاء وإقامة البنيان للكيان البشري من لدن آدم عليه السلام . وهذا يناسبه ظهور الألف في كلمة تراب.

ولذلك حسن إظهار الألف لحالتى: * (١) البناء والإنشاء * (٢) أو الظهور المادى

وقبل أن نسرد باقى الآيات التي حذف منها ألف (تراب) وكتبت (تُرَابًا) نقول أن هذا الحال حدث لكلمة (عظام) حيث وردت أيضاً مرة بالألف الظاهرة (عظام) وأخرى بدون الألف الظاهرة والاكتفاء بوضع واحد بدل الألف ليدل على حذفه (عِظْمًا) هكذا: بدون ألف:

١- الإسراء ﴿ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفًا آءِنَّا لَمَتَّعُوْنَ خَلْقًا حَدِيدًا ﴿١٥١﴾

٢- الإسراء ﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِقَائِنَتِنَا وَقَالُوا أءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ .

٣- النازعات ﴿ أءِذَا كُنَّا عِظْمًا نُحْرَةً ﴾ .

٤- يس ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ .

والملاحظ هنا في الآيات أنها تتحدث عن العظام الغيبية والغائبة عن أنظارنا ، ومنها أيضاً العظام الغيبية التي توجد في الرحم في قوله:

٥- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ (عِظْمًا) فَكَسَوْنَا (الْعِظْمًا)

لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ مع ملاحظة أن كلمة عظام

هنا في سورة المؤمنون قرئت على صورة الأفراد (العظم) وصورة الجمع (العظام) معاً، فكان لا بد أن تكتب على هذه الصورة (بدون ألف عِظْمًا) لتناسب من يقرأها بالمفرد

على الجنس (بالأفراد) وعلى الجمع ، لأنها لو كتبت بالألف لتحتم عليها قراءة واحدة هي الجمع (عظام). وهذا يتناسب مع القراءات في هذه الآية التي فيها ملحظ إنشاء وتكوين

العظام من ناحية (والتي يستدعى فيها وجود الألف (عظام) ، ولكن مع ملاحظة الملفت الآخر وهو خفاء مرحلة تكوين هذه العظام في داخل الرحم والتي تستدعى إخفاء الألف؛

فكانت الكتابة على هذه الصورة لتناسب الحالين .. فما أعظمه وما أجمله من تصوير عظيم ومبهر لرسم الكلمة في الذكر الحكيم !!

وتحذف الألف دائماً من العظام التي تُهدم وتتحلل (وتتناقص) وتصبح رميمًا ومناكلة (أو يحدث فيها التآكل والنقصان) مما يناسبها ويتلاءم معها حذف (نقصان الكلمة) وحذف حرف الألف - الذي يجوزُ العرب حذفه للتخفيف - كما هو معلوم - .

ولكن إذا وردت الكلمة الواحدة في سياقات مختلفة مرة بالألف ومرة أخرى بدون الألف فهنا نسأل عن السبب ، وعلى سبيل المثال : قوله تعالى لحبيبه محمد (ﷺ): " ولا تك في

ضيق . . . " (في سورة النحل) وقوله مخاطباً - نفس الحديث ولنفس الشخص - وهو الحبيب محمد (ﷺ) - في سورة النمل : " ولا تكن في ضيق " فهنا نسأل عن السبب

.. وهكذا الكثير والكثير مما تناولناه وستناوله على الصفحات القادمة. وانظر بحث (ويصل للمطففين) لتري إهتمام القرآن برسم الكلمة ليجعلها تعبر بصورتها وجرسها عن المشهد الذي تقوم برسمه خير قيام وأبدع وأصدق صورة.

ولكننا سنلاحظ أن هذه الكلمة (عظام) قد رسمت بالألف الظاهرة (عظام) في سورة البقرة ٢٥٩ ﴿ بَل لَّيْسَتْ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٗ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ ٱلْعِظَامِ ۚ كَيْفَ نُنشِرُهَا ۖ إِنَّهَا نَكُوسٌ لَّحْمًا ۖ ﴾ التي نتحدث عن (جمع) عظام (حمار العزير) ، والمشهد - كما نعلم - في (الحياة الدنيا) وليس في الآخرة ، إضافة إلى أن العظام (لم تتغير حالتها ولم يصيبها البلى والنقصان) ، والعملية هي عملية تجميع لعظام و لم يذكر أنها عظام رميم أو بالية. فهي لم تتغير، كما أن طعامه وشربه لم يتسنه (أى لم يتغير) ، ولكن الله أراه القدرة على جمع العظام بعد تفريقها أمام عينيه كصورة مادية ملموسة يناسبها إظهار الألف ، وهو أيضاً مشهد محسوس للعزير في الحياة الدنيا وليس في الآخرة ولذلك حسن إظهار الألف فيها.

وكذلك نجد الألف ظاهرة في (سورة القيامة) حيث يقول ربنا تبارك وتعالى : " أُنحسب الإنسان ألن (نجمع) عظامه " فهو سبحانه: (١) لا يتحدث عن مشهد العظام وهي رميم أو وهي تالفة (٢) وهو سبحانه لم يقرن العظام بحالة التراب - أى لم يقل: عظاما ورفاتا، أو تراباً وعظاماً-) - كما سنراه في المشاهد التالية التي استدعت حذف حرف الألف من العظام التي ارتبط فيها العظام مع التراب مرة ، ولم يرتبط به مرة أخرى - ومن هذا يعلم أن الحديث عن (العظام) إذا كان عن مشهد الموت - الذى يصاحبه البلى والنقصان من العظام --- نلاحظ أيضاً معه نقصان حروف الكلمة وحذف الألف (عظم) وإذا كان الحديث عن إنشاء العظام وتكوينها أو تجميع العظام دون ذكر مشهد بليانها واقترانها بالتراب --- الذى هو صورة الموت والتحلل للجسد والعظام - هنا يقيم الألف ويظهرها (مع المشاهد الإنشاء والجمع).

أما في حال تواجد العظام مع التراب فتحذف الألف ولكن يبقى للتراب وحده حكماً آخر يجليه لنا رسم الكلمة (تراب) مرة بالألف ومرة بدون الألف - كما سنرى - لينشئوا لنا أعظم آيات الإهار والتدبير الممتع والمبهر معاً في القرآن الكريم، وإليك عرض الآيات التي تبدأ بقوله تعالى ((إءذا كنا تراباً...)).

ولكن قبل أن نبدأ في عرض آيات التراب والعظام أرجو من القارئ أن يقف ويتأمل طويلاً في رسم الكلمات التالية في الآيات القادمة وهي:

(١) كلمة (أءذا) ؛ حيث أنها كتبت مرة واحدة فقط على صورة (أئذا) في (الواقعة ٤٧) وَكَانُوا يَقُولُونَ (أئذا) مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا أءنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾، وكتبت (أء ذاء) في باقى الآيات.

(٢) رسم كلمة (أء نا) لمبعوثون .. حيث أنها كتبت فى آية واحدة (أئنا) فى النمل ٦٧ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أءذًا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاءُنَا (أئنا) لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ وكتبت (أءنا) فى باقى الآيات.

(٣) ملاحظة رسم كلمة (تراب) والذى رغم أن الحديث فيها عن دعوى الإخراج والبعث بعد الموت ولكنها كتبت بالألف الظاهرة (ترابا) فى آيات مثل:

١- سورة المؤمنون ٨٢ ﴿ قَالُوا أءذًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا أءنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ .
٢- وآيتا الصفات ١٦ ﴿ وَقَالُوا إِنْ هءَذَا إِلا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ أءذًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا أءنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ .

٣- الصفات ٥٣ ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنى كَانَ لى قَرِينٌ ﴿٥٤﴾ يَقُولُ أءنك لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٥﴾ أءذًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا أءنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٧﴾ فَاطَّلَعَ فَرءَاهُ فى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٨﴾ .

٤- وآية الواقعة ٤٧ - ﴿ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مآ أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴿٤٧﴾ فى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٨﴾ وَظِلٍّ مِّنْ مَّحْمُومٍ ﴿٤٩﴾ لآ بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٥١﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أءبدا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا أءنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٥٣﴾ .
ورسمت نفس الكلمة (تراب) فى باقى الآيات من السور الباقية (بدون ألف).

(٤) الملاحظة الرابعة هى ملاحظة نهاية الآيات التى وضعت بإعجاز رهيب وتناسق عجيب وهى كالآتى:

(أ) أءنا لفى خلق جديد (فى آيات..). (ب) أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً (فى آيات..).
(ج) أءنا لمخرجون (فى آيات..). (د) أءنا لمدينون (فى آيات..).

ثم نسأل أنفسنا السؤال المعتاد فى حديثنا عن البحث عن الجمال والكمال فى القرآن الكريم وهو: لماذا حدث ذلك ؟ وهل يمكن استبدال كلمة مكان أخرى فى هذا النظم القرآنى المعجز؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة والتي أرجو من القارى الوصول إليها بنفسه بعد عرض الآيات عليه وقيامه هو بالتدبر المطلوب منه (أفلا يتدبرون القرآن..) أقوم بعرض الآيات من السور المشار إليها والمبدوءة بقوله تعالى (أءذا كنا...) وهو كما نعلم حديث بمجادلة منهم في أمر البعث والآن نستعرض الآيات وهى بترتيب المصحف الشريف :

- ١- الرعد ﴿ وَإِن تَعَجَّبْتَ فَعَجَبْتُ قَوْلَهُمْ (أءذا) كُنَّا (تُرَابًا) (أءنَّا) (لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) ﴾
- ٢- الإسراء ﴿ ٤٩ وَقَالُوا (أءذا) كُنَّا (عِظْمًا) (وَرُفِينًا) (أءنَّا) (لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) ﴾
- ٣- الإسراء ﴿ ٩٨ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِبَآئِنَاتِنَا (وَقَالُوا) (أءذَل) كُنَّا عِظْمًا وَرُفِينًا أءنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿ ١٠٠ ﴾ ﴾
- ٤- مريم ﴿ ٦٦ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ (أءذا) مَا مِثُّ لَسَوْفَ أَخْرُجُ حَيًّا ﴿ ١٠١ ﴾ ﴾
- ٥- المؤمنون ﴿ ٨٢ قَالُوا (أءذا) (مِثْنَا) وَكُنَّا (تُرَابًا) وَعِظْمًا (أءنَّا) لَمَبْعُوثُونَ ﴿ ١٠١ ﴾ ﴾
- ٦- النمل ﴿ ٦٧ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا (أءذَل) كُنَّا (تُرَابًا) (وَأء أَبَاؤُنَا) (أءنَّا) لَمُخْرَجُونَ ﴿ ١٠٢ ﴾ ﴾
- ٧- السجدة ﴿ ١٠ وَقَالُوا (أءذا) (صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ (أءنَّا) (لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) ﴾
- ٨- الصافات ﴿ ١٦ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿ ١٧ ﴾ (أءذا) (مِثْنَا) وَكُنَّا (تُرَابًا) وَعِظْمًا (أءنَّا) لَمَبْعُوثُونَ ﴿ ١٧ ﴾ ﴾

- ٩- الصافات ﴿ ٥٣ فَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ ٥٤ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنى كَانَ لى قَرِينٌ ﴿ ٥٥ ﴾ يَقُولُ أءنك لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿ ٥٦ ﴾ (أءذا) (مِثْنَا) وَكُنَّا (تُرَابًا) وَعِظْمًا (أءنَّا) لَمَدِينُونَ ﴿ ٥٧ ﴾ قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مُّطَّلَعُونَ ﴿ ٥٨ ﴾ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿ ٥٩ ﴾ ﴾

- ١٠- الواقعة ﴿ ٤٧ ﴾ - ﴿ ٤٨ ﴾ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴿ ٤٩ ﴾ فى سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿ ٥٠ ﴾ وَظَلِىءٌ مِّنْ حَمُومٍ ﴿ ٥١ ﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴿ ٥٢ ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿ ٥٣ ﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿ ٥٤ ﴾ «وَكَانُوا يَقُولُونَ» «(أءنَّا)» «(مِثْنَا)» وَكُنَّا (تُرَابًا) وَعِظْمًا (أءنَّا) لَمَبْعُوثُونَ ﴿ ٥٥ ﴾ ﴾

وهنا وبعد استعراض الآيات وبعد التأمل فى الملاحظات التى ذكرناها قبل سردها نقف بعض الوقفات التالية:

أولاً: نلاحظ أن النص القرآنى يميز بين تراب الميت الذى مات حديثاً وما زالت فيه - كما نقول - رائحة الإنسان الميت ، وبين تراب الإنسان الذى مات من سحيق الأزمان

وضاعت منه رائحة هذا الإنسان ، وهذه الحالة الأخيرة ممكن أن توصف مع استبعاد القوم الشديد لبعث هذه الصورة السحيقة البعيدة في الأزمان - كما سنرى من العرض القرآني واستعراض النصوص - كالاتي:

- ١- نجد كلمة (تراباً) قد وضع فيها حرف الألف الظاهرة في الحالات الآتية :
(أ) - إذا وجد معها كلمة عظاما ؛ مثل قوله " كنا تراباً وعظاما" ولنا أن نقول في هذه الحالة : أن مجرد ورود كلمة (العظام) في النص فإنها تعطى رائحة وصورة هذا الإنسان ، وتعطى أيضاً ملمح الموت الحديث، وحينئذ تظهر الألف في كلمة التراب .
- (ب) - توضع الألف في كلمة التراب ظاهرة حين اقتران الكلمة بقولهم (إذا متنا) لنفس الملمح (الموت الحديث) لأنهم يتكلمون عن أنفسهم وليس آبائهم القدامى .
- (ج) - ملاحظة أنه إذا وردت كلمة (عظاما) مع التراب - فهي جميعها هنا بدون ألف - لصورة البلى والنقص فيها - كما أشرنا من قبل - .
- (د) - نلاحظ أن النص القرآني مع ورود كلمة (عظاماً) في هذا السياق تكون نهاية الآيات هكذا:

(١) كنا تراباً وعظاماً (أءنا لمبعوثون) (٢) تراباً وعظاماً (أءنا لمدينون) أى محاسبون ... وهذا حينما يقف عليه القارىء بقليل من التأمل يجد أن صورة العظام التى هى الهيكل المميز للإنسان عن غيره من باقى المخلوقات) والذى يعطى صورة مجسمة للإنسان هو أقرب الصور وأنسبها لذكر حالة (البعث) و(الوقوف للحساب) أمام رب العالمين، ولذلك ناسبها قوله (أءنا لمبعوثون .. أءنا لمدينون) .
ونترك القارىء في تأمله لنتقل إلى المشهد الآخر وهو رسم كلمة (تراب) بدون ألف في هذه السياقات المذكورة لنلاحظ الآتى:

١١ - سورة النمل ٦٧: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا (أءِذَا كُنَّا) (تُرَابًا) (وَأَبَاؤُنَا) (أءِذَا كُنَّا) (تُرَابًا) ﴾

١ - ونلاحظ هنا ورود كلمة (تراب) بدون ألف حين تم استبعاد الأمور الثلاثة السابقة؛ أى حينما تم استبعاد كلمة (متنا) ، واستبعاد كلمة (عظام) ؛ أى استبعاد (رائحة الإنسان المختلطة في التراب) وهذا يعنى (الموت القديم والسحيق الذى ضاعت منه صورة العظام وذكر الموت).

٢ - وأيضاً وجود إستبعاد الإحياء منهم بعد هذا الزمان السحيق ، يتضح في قولهم (وآباؤنا) فلم يعد الحديث عن ترابٍ حديثٍ ، ولذلك سنجد الألف محذوفة مع قوله :

(أءذا كنا (تُرَبًا) (وَأَبَاؤُنَا)) . مع ملاحظة أن كلمة آباؤنا تطلق على الآباء والأجداد وأجداد الأجداد حتى (أبينا آدم) . ولذلك نلاحظ في هذه الآية (النمل ٦٧) التي ذكر فيها (وآباؤنا) نلاحظ معها إحساس الاستبعاد وثقل الأمر الذي يصورونه لطول البلى ؛ وهذا ما قام بتصويره النص القرآني تصويراً دقيقاً في رسم الكلمة (أئنا) ووضع الشرطة الزائدة تحت الهمزة .

ونعود لاستحضار هذه المفردات وبيانها كالتالي :

أ- رسم كلمة (أئنا) بهذه الصورة في الآية فقط (النمل ٦٧) وكانت تكتب في الآيات الأخرى جميعها (أئنا) ، وما هذا إلا لتصوير هذا الإستبعاد الموضح بكلمة (كنا تراباً وآباؤنا) وهنا -- وفي هذه الآية فقط - ذكر فيها (وآباؤنا) ليزيد الإستبعاد وثقل مهمة الإستبعاد (والمط في المشهد والكلمة) التي ترسمها صورة الكلمة بزيادتها للشرطة تحت الهمزة .

ب- الأمر الآخر الذي ترتب على هذا الإستبعاد (السحيق) هو قولهم في نهاية الآية (أئنا لمخرجون) ولم يقل أئنا لمبعوثون ، أو لفي خلق جديد - كما في الآيات الأخرى - والذي يناسب قرب الزمان بثبته الإنسان ، ولكنه هنا يستبعد مجرد (الخروج) من الأرض على أى صورة كانت سواء بالجسد (البعث) أو غيره ؛ فإن التركيز هنا على استبعاد فكرة الفصل والخروج بعد هذا الذهاب السحيق الذي يستبعد فيه - من باب أولى - ذكر صورة البعث (بعث الأجساد) التي فيها رائحة الإنسان .

والآية الأخرى التي ورد فيها التراب بدون ألف هي: الرعد ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (أءَذَا) كُنَّا (تُرَبًا) (أءِنَّا) (لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)﴾

و نجد فيها - فوق ماسبق - من عدم ورود كلمة (متنا) واستبعاد كلمة (عظما) - مما استعى حذف الألف من (تربا) ، نجد فيها تناسقاً آخر في نهاية الآية وهو قوله: (أئنا لفي خلق جديد) ، وكأنه يقارن خلقاً بخلق جديد وذلك ليتناسب ويتناغم مع بداية الآية (فإن تعجب) (فعجب) ؛ أى: عجب منك مقارناً بعجبهم ومبنياً عليه .

**** وبعد هذه الوقفة وقبل أن نتقل إلى وقفة أخرى نستعرض هذه الآيات الواردة بالألف الظاهرة لكلمة (التراب) وعلاقة كلمة (العظام) ونهاية الآيات هكذا:

١- المؤمنون ٨٢ وملاحظة (أءذا) ، (ترابا) بالألف الظاهرة ، ومقترن معها كلمة (عظماً) لاحظنا أن ختام الآية : قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) .. وملاحظة أن الآيات تبدأ بقوله (قالوا) .

٢- في الصفات ١٦ نفس ما سبق وختام الآية: (أعنا لمبعوثون).

٣- وفي الصفات ٥٣ نفس ما سبق مع تغيير قوله تعالى : (أعنا لمبعوثون) إلى قوله (أعنا لمدينون) وهنا نقف لنسأل عن سبب هذا التغيير ؟ وذلك لأن السياق في المؤمنون ٨٢ و الصفات ١٦ كان يتحدث عن حوارهم وهم مازالو على قيد الحياة ويتكلمون في الدار الدنيا.

أما في آيات الصفات (٥٣) فهم يتحاورون ويتحدثون وهم في الدار الآخرة التي قد تم فيها البعث) وقد بعثوا بالفعل، وهنا يكون المناسب هو الحديث عن الحساب والدينونة ، ولذلك قال (أعنا لمدينون) وهما معاً - فوق ذلك - مناسبان لمشهد العظام (البعث هناك، والدينونة هنا).

٤- أما في آيات الواقعة (٤٧) فإنه في هذه الآية نجد الآتى :-

أ- وجود كلمة (متنا) ، ومعها كلمة (ترايا) بالألف الظاهرة ، وكلمة (وَعَظْمًا)

كما قلنا بنقص الألف لأنها ترسم وتصور نقص وتآكل العظام وليس بنائها .
وهنا نلاحظ ختام الآية بقوله ((أعنا لمبعوثون) ، وهذا كله حينما يتأمله القارئ ويتدبره - كما نرى - يجده في غاية التناسق والتناسب .

ولكن يبقى سؤال هام جداً وهو: لماذا قال (أعنا لمبعوثون) رغم أن الحديث في الدار الآخرة وكان يناسبه (أعنا لمدينون) - كما في آية الصفات (٥٣) السابقة ؟
وللإجابة على هذا السؤال لابد من الوقوف على سياق الحديث في هذه الآية في سورة (الواقعة) والآيات المحاورة لها ، ونسترجع حسن الجوار الذي تحدثنا عنه من قبل ، والذي نلاحظ منه :

أن الحديث هنا في الدار الآخرة ولكنه يحكى ما كانوا يقولونه وهم في الدار الدنيا ، ولذلك يقول السياق - هنا فقط - (وكانوا يقولون) ، ولم يقل (وقالوا) كما في الآيات الأخرى . إذن يتناسب معها قولهم : (أعنا لمبعوثون) لأنه يحكى ويعيد علينا مشاهد في حال وجودهم في الدنيا (وكانوا يقولون).

وبعد الوقوف على هذا الملحظ تتخيل المشهد وهم في عرضات القيامة وقد مدوا طريقاً أو جسراً يرسمه اللفظ بهذه الشرطة تحت الهمزة في قوله : (أئذا) ، وهو يرسم الجسر - كما نقول - إلى الدار الدنيا ليصلهم بها وهم في الدار الآخرة ليعيد مشهد ما قالوه ، وهذا الطريق الممدود من الآخرة إلى الدنيا يستدعى أن تتغير رسم كلمة (أءذا) - المقطعة

الحروف على هذه الصورة - ليكون بدلاً منها (أئذا) الموصولة الحروف مع وصل مشهدى الدنيا والآخرة فى حديثهم، مع ملاحظة التناسق بين (قالوا . . أئذا) و(كانوا يقولون . . أئذا). خفة وقصر مع خفة وقصر ، وثقل واستطالة مع ثقل واستطالة، وكان الكاميرا التى تصور هذا الحدث تفرق بين هذه الكلمة حينما يقولها صاحبها وهو مازال على ظهر الدنيا وبين أن تعاد هذه الكلمة كحكاية عنه وهو فى الدار الآخرة ، ويعد له طريقاً ليربطه بها وهو فى الدار الآخرة ، وهذا أمر عجيب ومدهش نتركه للمشاهد ليتأمله ويعيد تأمله فى ظل تغير سياق النصوص القرآنية المدهشة

ويبقى لدينا قوله فى سورة الإسراء ٤٩ ، ٩٨ (..عظاماً ورفاتاً) ، وما يلاحظه القارى من عدم ذكر التراب ليصور لك حداثة الموت ووجود صورة الإنسان على هيئة (..عظاماً ورفاتاً) ، والرفات : الأشياء المرفوتة ؛ أى المفتتة . يقال : رفّت الشيء إذا كسره كسراً دقيقة والى تحتاج إلى تجميع وترميم لتكون (خلقاً جديداً) فتكون خاتمة الآية هكذا : (أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً) . فسبحان من هذا كلامه وهذا صورة بيانه وتبارك الله رب العالمين.

وحق لايتوه منا القارىء فى نهاية الآيات نسترجع له خلاصة ما قلناه كالآتى:

١- ورود كلمة أئنا لمبعوثون هكذا.

أ - أئنا لمبعوثون (فقط) مع تراباً وعظاماً (الصفات ، المؤمنون، الواقعة).

ب- أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً. مع عظاماً ورفاتاً (الإسراء).

٢- أئنا لمدينون : مع تراباً وعظاماً.

٣- أئنا لمخرجون مع (كنا تراباً وآبأونا) وبدون كلمة (متنا).

٤- أئنا لفى خلق جديد ، وهى تختلف عن قوله (أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً) التى فيها البعث والتراب مع العظام كما أشرنا ، ولكنها هنا فى سورة السجدة يقول : (إئذا ضللنا فى الأرض) ، ولم يذكر صورة الموت أو التراب أو العظام مما لا يستدعى أستحضار صورة البعث، مع ملاحظة صورة المشهد التصويرى الحركى (أئنا لفى خلق جديد) المناسب لقوله : (إئذا ضللنا فى الأرض) وحركة الذهاب المستمر فى داخل الأرض مع حركة الخروج بنفس الصورة (لفى خلق جديد) ؛ أى مستمر ، وهى مراعاة نفسية وجمالية وتصويرية رائعة.

وأخيراً لماذا أستخدم القرآن كلمة العظام مفردة (العظم) - فى قوله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) ﴾ سورة مريم. وهى فى سياق الجمع ودعاء الإستعفاف من زكريا عليه السلام لربه تعالى مما يستدعى جمع

العظام للمبالغة فيما أصابه من الوهن ، على الرغم من جمعه للعظام في مراحل الخلق في قوله ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ المؤمنون؟.

الإجابة: أنه في سورة المؤمنون جاء بالجمع ليناسب مقام إبراز القدرة وبدائع الصنع في تحويل المضغة الضئيلة نوعاً وعداداً إلى عظام كثيرة فانقلب الرخو صلباً والواحد كثرة ، تعظيماً لقدرة الخالق فيما خلقه فتجاوب الجمع مع ظاهر السياق في مقام إمتنان الله تعالى على الإنسان في خلقه في سورة المؤمنون.

وبقى أفراد العظم في دعاء زكريا يتطلب تفسيراً للإفراد ؟

والذى نراه - بعد استعراض جميع التفاسير في ذلك - هو ما كشف عنه الزمخشري بقوله: وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن . ووحدته لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ، وقصده إلى أن هذا الجنس - الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد - قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها) انتهى.

ولذلك لم يقل : وهن الجسم منى لأن العظم هو الهيكل الذى يقوم عليه بناء الجسم وضعفه يستلزم بالضرورة ضعف ما هو قائم به، فهو أشبه بالهيكل الخرساني الذى يعتمد عليه البناء ، فإذا ماهاوى هذا الهيكل تماوى كل البناء (لاحظ الأفراد في الحديث الذى يدل على أن الهيكل العظمى - كبناء واحد متماسك مع كل تفريعاته - يمثل الهيكل الخرساني في حال سقوطه فلا يبقى في البناء شيء - ولذلك أفرد لفظ العظام هنا (العظم) وكأنه يقول: إن عمود الجسم (المتجمع فيه كل العظام كهيكل واحد) قد سقط.. فهو يريد (جنس العظام كله) كما نقول : الرجل هو الذى يتزوج النساء فنحن نعى الرجال جميعاً أو (جنس الرجل) ، ومن هنا كان مناسبة دعاء زكريا لربه ووصفه له حاله .

وهذا بخلاف سورة المؤمنون حين كان الغرض الإشارة إلى الكثرة والتنوع الدالين على كمال القدرة الإلهية في خلق الإنسان وبديع صنعه جمعت العظام ، وهذا أيضاً هو سر الجمع في حديث المشركين عن البعث (الإسراء ٤٣) حيث دل بالجمع على غرضهم من تفرق العظام وتناثرها في أجزاء الأرض واستحالة هيكل الجسم وعموده إلى رفات ضل في أحشاء الأرض، وهكذا في كل أحاديث الكفار عن البعث ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَكَيْسِي خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) ﴾ سورة يس ورد الله عليهم: ﴿ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ... ﴾

شجرة النسب كما عرضها الرسم القرآني

آباء وأبناء وبنات وأزواج

قبل القيام بسرد الآيات التي ترسم شجرة العائلة - يرسم الكلمة - نقف سوياً على بعض الملاحظات وهي:

**تلاحظ أن الذين هم من الصلب وعمود النسب من الرجل (آباء .. أبناء .. بنات (مضافة): أي بناتك ، بنات عمك ، بنات عماتك) يوضع لهم الألف ..

أما البنات (غير المضافة) فلها حكم خاص سيراى فيه الناحيتين بطريقة خاصة - سياتى فيما بعد شرحها - مع مراعاة أن النساء دائماً يحتاجون إلى محرم من الرجال وإلى الإضافة للأب أو للزوج ، وهن بهذا المعنى - أى فى حال الإضافة فقط - تتحقق فيهن شروط النسب من الصلب والاكتمال ويوضع لهن الألف. وبغير هذه الإضافة يلحقهن الضعف أو النقص ، ولهذا يحذف منهن الألف.

بخلاف الولد(الذكر) الذى (يستقل وينفرد) فى حياته للسعى والجهاد والإنفاق على البيت والزوجة فله (القوامة) ويحق معه (إظهار الألف)، وهذا ملحوظ لا بد من الوقوف عليه يلفتنا إليه الرسم القرآني - كما سنرى - .

** وكذلك: (أمهات ، وأزواج) تكتب: أمهت ، أزوج ، بدون ألف . فقد لوحظ فيها علاقة المصاحبة والقرب التي يمثلها الرسم القرآني (يحذف الألف) .

ولكن لا ننسى أن الألف توضع فى علاقة النسب الذى هو من صلب الرجال (أى: الأب ومن علا ، والإبن ومن نزل) ، وكان وجودها يشير إلى عمود وعمدة النسب .

** أما (أخوات، خالات، عمات) فكتبت: أخوت ، خلت ، عمت (فهن فرع النسب) وأيضاً : **وَرَبِّبِكُمْ وَحَلَّلَ...** لذلك فلا توضع فيها الألف .

ومن باب أولى أن لا توضع الألف فى (الولد ن) = الولدان ، التي يقصد بها صغار السن فقط دون الإشارة إلى أنهم أولاد (أبناء) الصلب أو النسب .(والولد ن) ليس فيها تخصيص بصلة القربى المعلومة من البنوة الحقيقية .

مع ملاحظة الروعة والدقة فى استخدام التعبير (بنات خالك .. ولم يقل أحوالك) على أفراد الخال .. وقال: وبنات خالاتك على صيغة الجمع (مع الخالات) - عنصر النساء - وكذلك : بنات عمك (أفراد) ، وبنات عماتك (جمع مع عنصر النساء) .. وذلك بالأخذ فى الاعتبار مراعاة صورة جواز تعدد النساء لرجل واحد .

والآن نقوم بسرد الأمثلة التوضيحية لذلك :

** (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٤٦﴾... وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا... ﴿٤٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْنَهَا أَوْ تَعْرِضُوهَا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٤٨﴾) الكهف.. (لاحظ أن : (أبواه) بالألف .. أما (الوالدين) بدون ألف - رغم أنهما بمعنى واحد - وسنقوم بتوضيح السبب على الصفحات التالية.. ولاحظ (الغلام) بدون ألف

** (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٦٧﴾) البقرة

** (٣٥) وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴿٦٨﴾) النساء

** (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ ﴿١٧٠﴾) الأنعام.. هنا أيضاً (أولادكم) بدون ألف.

** (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٦٧﴾) الإسراء. ولاحظ أن (إحساناً) جاءت في البقرة بالألف ، وباقي القرآن (بدون ألف).

** (وَالِدٌ وَمَا وُلَّدَ (٣)) البلد

** (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴿٦٧﴾) لقمان.. في الآيتين الأخيرتين هنا (والد) مفرد بالألف ، وكان بالثني (بدون ألف).



** (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّةِ... ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا... ﴿١٠٦﴾ وَلَكُمْ بِصَفِّ مَا تَرَكَ أَرْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴿١٠٧﴾) النساء (لاحظ: صغر السن واللصوق (أَوْلَادِكُمْ) ... والصلب من الرجال... (ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ).. واللصوق والقرب في (أَرْوَاجُكُمْ)

** (وَلَا تَبْكُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٠٨﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخُوتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأَخِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْتُمْ وَأَخُوتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُكُمْ

نِسَابِكُمْ وَرَبِّبِكُمْ أَلْتَبِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَابِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ... وَحَلَّتْ بِأَبْنَائِكُمْ
الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ... ﴿١١٢﴾ النساء .

هنا يزيد ملحظ الفروع من النسب وأخواتكم وعمتكم وحلتكم ورببكم ...
وحلتكم ومشهد القرب واللصوق في (أمهتكم) ... مشهد البنات (وهي مضافة)
وتستحق في هذه الحالة ظهور الألف (بناتكم).

** (وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أُنْتُمْ وَلَأَ آبَاؤُكُمْ (٩١)) الأنعام .

** (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) ﴿١١٠﴾ التوبة .

(وَإِذَا تَلَّيْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ
(٤٣)) سبأ . ومثلها : (آبَاؤُنَا .. آبَاؤُهُمْ .. آبَائُهُمْ .. آبَاؤُهُمْ) . كلهن بالألف .

(إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا
﴿١١٤﴾ النساء . نلاحظ هنا حالة الاستضعاف والقلة في الولدان والولدان .

بنات

البنات بالألف (بنات)

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... ﴿١١٠﴾)

وَبَنَاتُ عَمَّاتِكُمْ وَبَنَاتُ عَمَّتِكُمْ وَبَنَاتُ خَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ خَالَاتِكُمْ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ... ﴿١١١﴾)

(يَتَابِعُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ) ﴿١١٢﴾)

**** وباقي الآيات التي كتبت فيها بنات بالألف فهي مضافة وبنات الصلب :

(١) (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ مَا تُرِيدُونَ) هود .. بنات
صلب ومضافة (فاستحقت الألف) .

(٢) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ . (٥٩) .. بنات صلب ومضافة ،
وقيل أنه وضع الألف هنا في (بناتك) حتى لا تقرأ على الأفراد ويختلط المعنى على أنه
بنت النبي (ص) (فاطمة) فقط .

(٣) (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي) هود .
بنات صلب ، ومضافة .

(٤) ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٧١) الحجر ومضافة
 وبقيت آيتي (الصفات والزخرف) سنفردهما حديثاً خاصاً لخصوصيتهما.
 * أما البنات الباقية بدون ألف (بنيت) فهي:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام)
 ﴿ وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (النحل).
 يلاحظ هنا في البنات بدون ألف:

(١) الأسلوب أسلوب خبرى أهدأ في نبرته من آيات الصفات والزخرف - الآيات القادمة.

(٢) البنات هنا ليسوا بنات الذرية.

(٣) وليس فيها إضافة. (أى لم يقل: بناتكم). بخلاف البنات في الآيات السابقة (السبق بالألف) فهي مضافة ومعلومة النسب وصفته.

*** وبقي أن نعلم أنه إذا أريد بالبنات معنى الملائكة فنحن نعلم أن لهم الصفة الملكوتية ولهم الحق في حذف الألف إذا كان الحديث عن عبادتهم هم لله أو كان الحديث عنهم هادئ النبرة فتكتب بدون ألف، إما إن كان الحديث عنهم على النبرة ويصف عبادة الناس لهم فهنا تكتب بالألف رمزاً إلى هذا المعنى في الحديث عن الملائكة.

والآن مع آيتين تتحدثان عن الملائكة كتبنا بالألف في سورتي الصفات والزخرف ولها هذه الخصوصية الهامة، وبعدها تكون المقارنة مع سورة الطور لتوضيح هذا المعنى:

أما آية الصفات التي كتبت بالألف - رغم أنها غير مضافة - فسياقها كالتالي:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ ﴿١٤٤﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمَ لَيَقُولُونَ ﴿١٤٦﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤٧﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٤٨﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٤٩﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٠﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥١﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٢﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ﴿١٥٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ ﴿١٥٤﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٥﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٥٦﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٥٧﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفٰئِتِنِينَ ﴿١٥٨﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٥٩﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٠﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّونَ ﴿١٦١﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٣﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٤﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٥﴾ فَكَفَرُوا بِهِمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ (الصلوات).

وآيات سورة الزخرف هي:

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ آتَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا آلَ مَرْيَمَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ۖ سَتِ كَتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ۗ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۖ فَآتَيْنَاهُمْ مِنْهُمْ فُتْرًا مَكَرًا ۖ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٤﴾

فيلاحظ - في آيات الصافات - الآتي:

(١) فيها تحديد وتخصيص للقضية (وهي أن "الملائكة" هم بنات الله).
(٢) وفيها علو نبرة الاستنكار والتوبيخ الشديد والواضح على هذه القضية المحددة (وحدها) دون الالتفات لغيرها؛ فهناك أكثر من عشر آيات كلها توبيخ بأعلى نبرة على (نفس القضية)، واتخاذهم للملائكة فوق ذلك (معبودات لهم) من دون الله، والملائكة أنفسهم يردون على هذه الفرية ويقولون (وَمَا مَثًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤)، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥)، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)).
وهنا - في الصافات - يزيد التوكيد: { أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ } { أَصْطَفَىٰ البنات على البنين؟؟ }، وهذا الاستنكار الشديد والواضح نجده أيضاً في سورة الزخرف { وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا } [الزخرف : ١٥] .

(٣) وفي الصافات قرىء : « وَلَدَ اللَّهُ » أي الملائكة ولده . - وهي بالنصب في القراءة الموجودة بالمصحف التي على صورة الفعل ((أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ)) (وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٣﴾) ، (وهذا يعني زيادة التركيز والتخصيص أيضاً في هذه القراءة الأخرى) ونعود لآيات الصافات: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ أَلِ رَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ أَمْ خَلَقْنَا آلَ مَرْيَمَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿٢٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١)، وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)، أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتُ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) ﴿ الصافات. لئرى:

(١) الحديث مركز على البنات المولودين من الله فقط - بزعمهم - وليس معه إستنكارات على جرائم أخرى - كما في سورة الطور مثلاً - مما يزيد التركيز هنا على البنات ويقلله في آيات سورة الطور . (فيوضع الألف هنا ويحذف من آية الطور).

(٢) وأيضاً تركيزه على الملائكة الذين هم خلق الله ويدعون ولادة الله لهم ، هذا يعنى (خصوصية) كبرى لهم ، فهم ليسوا خلقاً له فقط بل هم أخص من ذلك - في زعمهم - بل بالغوا في تعظيمهم حتى (عبدوهم) من دون الله ؛ (فهم بنات لهم تركيز وتفخيم ، ولهم إضافة لله ، ولهم عبودية من دونه) .

(٢) التركيز على أن الحديث عن "الملائكة" فقط وعلى أنهم هم المقصودون "بنات" الله ، بل قامت السورة بتحديد هذا الصنف المحدد من الملائكة ؛ وهذا واضح حتى من بداية السورة - أيضاً- بقوله عنهم ووصفه لهم بقوله: الصفات والزاجرات والتاليات .

(٣) نجد في آيات السورة أسلوب الحديث وعلو نبرته من الله ولهجة الإستنكار الشديدة: ***﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ (١٦) . ومثلها في الزحرف - التي كتبت بالألف أيضاً- (وفي جو التفخيم والتخصيص والعبادة لها ثم الاستنكار والتوبيخ لهم) .. ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (١٩) الزحرف.. ولاحظ قوله (مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) فيها التخصيص الشديد الذى يحل محل الإضافة (أى كأنه قال: بنات الله المخصوصين).. وقراءة (الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً) فيها تركيز وتخصيص ؛ وزاد ذلك المعنى من (التخصيص) في قراءة من قرأ: (الذين هم (عند) الرحمن إنثاء) فهو تخصيص وتركيز أكبر، والآية قبلها أيضاً تزيد هذا التخصيص وصفاً آخر في دعوى النبوة والألوهية لهم: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ ويقول الزمخشري ومعنى ﴿ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ أن قالوا الملائكة بنات الله ، فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه ، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً له .

ويقول الرازى: واعلم أنه تعالى رتب هذه المناظرة على أحسن الوجوه ، وذلك لأنه تعالى بين أن إثبات الولد لله محال ، وتقدير أن يثبت الولد فجعله بنتاً أيضاً محال .

إذن مازال الحديث مركزاً هنا في الصفات والزحرف - أيضاً- على الإناث ، وأنهم هم الملائكة على وجه التحديد والخصوص ، وأما جزء من الله - كما يشير الحديث -، وفيها وصف كامل لصفة الأنوثة ، ((ما يوحى بالتركيز الشديد على صفة - بنات الله - فقط ، والتخصيص المعلوم، وشدة النبرة وعلوها في الحديث)).

بخلاف اللهجة الهادئة ، وعدم التخصيص في السور الأخرى؛ حيث سرد هذه الدعوى في ثنايا الحديث عن أنواع كثيرة من الاستنكارات كما في آية سورة الطور:

(أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ (٣٩)) الطور.. فقد جاءت في وسط استنكارات كثيرة ، و الآيات قبلها تعدد أنواع كثيرة من شركهم ، وليس الحديث مركزاً على اتخاذ الإناث لله فقط. (أى ليس فيه تخصيص لله ولا تخصيص في نوع البنات : هل هم بنات الناس أم بنات الله المولودون منه -- كما زعموا من قبل. - ولم يذكر فيه إشارة إلى تخصيص بالملاتكة ولا الخصوصية الشديدة (العبادة لهم) التي لاحظناها في الآيات السابقة- الصفات والزخرف-) .. ومعلوم أن (الخصوصية) تستدعى وضع الألف ، ولكن العمومية تستدعى حذف الألف - كما تعودنا ذلك في منهج القرآن - وكما قلنا ذلك في حالة الإضافة التي هي أيضاً نوع من التخصيص).

وهذا السياق فيه من الإمهال ، وهدوء النبرة ، وعدم التخصيص أو التركيز على هذه القضية - بنات الله - بخلاف سياق سورة الصفات المملوء بالاستنكار بل والسب لهم (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكَهُمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) .

والسياق في آية سورة الطور هكذا: - على هدوء نبرتها وعموم استنكاراتها - يقول:

(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿١﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا لِيُنزِّلَ عَلَيْنَا مِثْرًا كَذَٰبًا ﴿٢﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَهْلِيهِمْ بِتِلْكَ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بِئْسَ الْإِنسَانُ الَّذِي يَأْتِيَنَا بِبَحِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤﴾ أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصِطْرُونَ ﴿٧﴾ أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَاذِ لُبِّ الْمُنِئِينَ ﴿٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿١١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ هُمُ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾)

والخلاصة: أن شدة اللهجة الاستنكارية ، والتخصيص ، والإضافة إليها، كل ذلك وغيره يستدعى رسم الألف في كلمة "بنات" .. والهدوء في نبرة الحديث ، والعموم وعدم التخصيص ، وعدم الإضافة كل ذلك يستدعى حذف الألف "بنت".

(١) لاحظ كتابة (المصطرون) بالصاد .. إشارة إلى إدعائهم التعالي لهم والسيطرة منهم (تفخيم مع

تفخيم)

أما بنات النسل والذرية فقد علمنا أنها تضاف لها الألف إذا كانت مضافة وتحذف منها الألف إذا كانت مفردة وقد علمنا وجه الحكمة في ذلك .



(ولد والد)

(١٠) ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (فيها ملحظ الصغر واللصوق).. يقول د: عبد القادر السعدى ملخصاً: إن لفظ (الأولاد) يجوز إطلاقه على أولاد الصلب وعلى أولاد الابن، أما إطلاقه على أولاد الصلب فعلى سبيل الحقيقة، وأما إطلاقه على أولاد الابن فعلى سبيل المجاز (وإنما أريد بهذا الاسم معناه الحقيقي والمجازى - .

يقوى هذا أن القرآن الكريم قد استعمل لفظاً نظيراً لهذا اللفظ بمعنييه، وهو لفظ (الأب) فإنه يطلق على الأب الأدنى وعلى الجد (وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ يُوعِظُوبَ . (٣٨)... وجاء الخطاب في الآية بصيغة الجمع (في أولادكم) وهو خطاب لجميع الناس، فمن كان عنده أولاد صلب ورثه أولاد صلبه، ومن كان عنده أولاد ابن وليس عنده أولاد صلب ورثه أولاد ابنه... وورد عن ابن فارس أن مادة (ولد) أصل معناها في اللغة (النسل والنجل).. إذن كلمة (الأولاد) هنا تحتل المجاز بخلاف كلمة (أبناء) التي هـى على الحقيقة. ((وقد علمنا أن المجاز يكتب بدون ألف ، والحقيقة يكتب بالألف))

..وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.. إِحْسَانًا

(إحساناً) بدون ألف في كل القرآن إلا في آية البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٨٣)﴾ وهى هنا :
(١) خطاب لبني إسرائيل قساة القلوب .

(٢) ولإنشاء صفة الإحسان ، والتشديد عليهم فيها، والتثقيب على الكلمة والتركيز عليها .. بخلاف إذا كانت الوصية (للمؤمنين) بوالديهم - كما في باقى الآيات في القرآن - فالإحسان موجود في طبع المؤمنين حتى مع الأعداء - فهم لا يحتاجون إلى (إنشاء) هذه الصفة ، ولا إلى التركيز عليها، ولكنهم يحتاجون إلى التذكير فقط ويطلب (مداومتهم) عليها والإستمرار فيها ، مما يستحضر صورة (الوصل الذى يناسبه حذف الألف).

مع ملاحظة أن أسلوب الخطاب - في آية البقرة - هو ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ - ولم يقل بصيغة النهى (أن لاتعبدوا) - وهذا الأسلوب هو أقوى من

أسلوب النهي المباشر^(٢).... وقيل : هو جواب قوله : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } إجراء له مجرى القسم كأنه قيل : وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون . (وهذا ملحوظ هام لأن القسم من الله أقوى أنواع التوكيد وفيه التفخيم والتعظيم وليراجع القارئ التعليق على قوله تعالى عن الأرض مرة (دحاها) بالدال المرققة ، ومرة أخرى (طحهاها) بالطاء المفحمة ؛ وذلك التفخيم بالطاء ورد في السورة التي فيها القسم (والشمس وضحاها) فكان المناسب هو تفخيم الكلمة أيضاً (طحهاها) ، والآية الأخرى (دحاها) وردت في سياق خبرى عادى ليس فيه جو التفخيم بالقسم أو غيره ، والسياق هو : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك (دحاها)).

ولذلك لاغرابة في أن تفخم كلمة (إحسانا) بزيادة الألف أو إظهارها في مقام القسم والتوكيد في النصيحة على اليهود وهم أعتى المجرمين والمفسدين الذين يحتاجون إلى التشديد في النصيحة وعلو النبرة.

فزيدت الألف لكل ذلك ، وأكثر منه هو ملاحظة ماورد في حجة القراءات والبحر المحيط واتحاف فضلاء البشر الذى يحكى: إجماع القراء على (وبالوالدين إحساناً) في سورة البقرة ٨٣ - أى ليست لها قراءة أخرى مثل (حسنا)...أما باقى الآيات في باقى السور فقرأت "إحسانا" و"حسنا"؛ ولذلك حذفت الألف من جميعهم - لتعدد قراءتها- وبقيت الألف لم تحذف في آية البقرة للإتفاق والإجماع على قراءتها قراءة واحدة، وهذا لون من ألوان الإبهار والإعجاز في رسم الكلمة لايعرف مثيله إلا في القرآن الكريم.

مع ملاحظة آية النساء: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ مَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ آرْدَانَنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾. فهو حديث سريع على لسان المنافقين - وفيه مواراة ومدارة - و لا يحتاج إلى الوقوف عليه والتثقيب والتوكيد، بل هى كلمة سريعة ويريدون المرور عليها سريعاً، وليس لها جذور في أعماق نفوسهم (فحاف الألف).

(٢) كما قال الإمام الزمخشري: { لَا تَعْبُدُونَ } إخبار في معنى النهي ، كما تقول : (تذهب) إلى فلان (تقول) له كذا ، تريد الأمر ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي (أى قوله : اذهب إلى فلان فقل..) ، لأنه - أى الأسلوب الخبرى - كأنه سورع إلى الامتنال والانتهاه ، فهو يخبر عنه.

والد .. والدين .. (وبالوالدين إحساناً)

(والد):

(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا.. (٣٣)﴾ بالألف.

(٢) ﴿وَأَلَّتْ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ (٣)﴾ بالألف.

وباقى الآيات التالية بدون ألف (ولكن يوجد ألف التشبية فقط - الألف الثانية -)

(٣) ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٤١﴾﴾ النساء

وَالِدَةٌ وَالْوَالِدَاتُ . . وَالْوَالِدَانِ

(٤) ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ.. ﴿٤٦﴾﴾ البقرة.

(٥) ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّ أَبِي مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ (١١٠)﴾ المائدة
 ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَادُهَا ﴿٤٦﴾﴾ وَالْوَالِدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٤٧﴾﴾.

(٦) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَأُتْرُوهِنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ .. (١٢٧)﴾

﴿يَطُوفُ﴾ عَلَيْهِمَ وَالِدَانِ مُخْلَدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الواقعة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَالِدَانِ شِيبًا ﴿٤٧﴾﴾ المزمّل ((لاحظ "الوالدان" بدون ألف "الوالدان" وهي مفروقة عن كلمة (الوالدان) - بالثنى للوالد - والتي كتبت على

صيغة مختلفة فيها ألف التثنية (الْوَالِدَانِ). ولاحظ كيف عبر الرسم بزيادة عدد الحروف الذى يتناسب مع زيادة العمر والمقام للوالدين .
الملاحظات:

هنا لا بد من وقفة مع استخدام القرآن الكريم للتعبيرين اللذين يكادان أن يكونا مترادفين وهما (الوالدين) و(الأبوين) ونحاول أن نعيش معاً الاستخدام الأمثل الذى سلكه القرآن لكل من اللفظين، ونلاحظ الآتى:

(١) **الوالدة الحقيقية** - لَا تُضَارُّ **وَالِدَةً** بَوَالِدِهَا - والى يوحى النطق بها بصورة الولادة والأمومة - ولذلك تحذف منها الألف لشدة القرب والصلة مع ولدها.. ومراعاة - أيضاً- جانب عدم ظهور النساء ، وعنصر الأنوثة الذى يغلب عليه الستر والإخفاء ، وهذا مانراه فى رسم كلمة **الوالدة** و**الوالدين** - بدون ظهور الألف - .

وهذا بخلاف جانب الأب والأبوين - وفى صوت حروفها إجماع بصورة الأب المذكور- الذى يُذكر فى الحالات التى تستدعى الظهور من جانبهما (وتكتب الأبوان) - ولعلنا نتذكر قوله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين) ، والذكر هو عصبية المتوفى ومعه عنصر التغليب والظهور - فظهر الألف - والأمثلة هى:

(١) ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ (١١) النساء. (الآيات تتحدث عن الموارث وعنصر التوريث، والرجال (أكثر) فى الميراث وأظهر من النساء ، ولهم قوة الحجب، وفى حالة أن يكونا هما الوارثين من غيرهم فيغلب جانب الرجال فيقال (لأبويه وأبواه). أما إذا كانا هما اللذان سيورثان غيرهما - أى بعد وفاتهما - فهنا لا ينظر لجانب التغليب للرجال على النساء ، ولكن ينظر لعنصر القرابة للصيقة وعنصر النسل والنجل ، فيكون الأحق فى ذلك هو تعبير (الوالدين).

ويتجلى توضيح ذلك فى قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا

النساء ﴿٥﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴿ (ونجد أنه إلى هنا والمقام فى الحديث لمن سيودعون الدنيا (من الأب والأم) ويتركون الميراث فلا وجه لصيغة التغليب للرجال وعنصر الأبوة ولذلك قال (الوالدين) ولم يقل (الأبوين) ، ولكن حينما تغير الحال وتغير معه السياق ، وأصبح الحديث عن (الأب والأم) اللذين سيأخذان ويتقاسمان الميراث هنا سيظهر جانب التغليب للذكر على الأنثى؛ وبالطبع - كما نعلم - أن للذكر مثل حظ

الأثنين ، ولذلك سيتغير الحديث ويقال (أبواه) بدلاً من (الوالدين) في الآيات السابقة .
ولنكمل الآيات: ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرَرْتَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ .. (١١) ﴾ فهما هنا سيأخذان الميراث وسيكون جانب الذكورة أغلب من الأنوثة فيصير الحديث عن (الأبوين).

(٢) والمثال الثاني: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رِبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ (هنا نتحدث الآيات عن عنصر النبوة والوحي والإمامة ، وهي في جانب التغيب للرجال فقيل "أبويك").

(٣) والمثال الثالث: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ .. (٢٧) ﴾ الأعراف .. ومعلوم أن خروج حواء كان تابعاً لآدم ؛ فهو المقصود الأول وجانب التغيب في الحديث هنا لآدم ، ولذلك قال (فتشقى) - أى وحدك-: (فلا يخرجنكما (آدم وحواء) من الجنة فتشقى (أى يا آدم)) - وهذا المقام (أى: الشقاء) واضح فيه التغيب للرجل على المرأة لأنه هو المكلف بالشقاء والتعب في جلب العيش والسعى في الأرض ولذلك قال (أبويكم).

(٤) والمثال الرابع: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا .. (١٠٠) ﴾ والرفع هنا هو الظهور ، والظهور أصل في الرجال، فقال (أبويه) ولم يقل (والديه). ملحوظة: نحن في بحثنا هذا نركز على الأبوين - بصيغة المثنى وليس المفرد-.. ونجد ذلك أيضاً في صيغة الجمع:

(٥) بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.. (وهنا القدوة في الرأى والريادة والنبوة والزعامة هي للرجال) .. ونظيره قول يوسف (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .. (٣٨) حيث لم يذكر معهم الأمهات .. (إذن ملحظ (أبواه أو أبويه أو آبائه) جميعها ورد لها القرآن لحكمة بليغة، وهو تغليب جانب الرجال - الذى يعنى تغليب جانب الظهور- ويكون من العظمة والإهمار والتناسق أن يجتمع ذلك مع (إظهار الألف في "أبواه") في منهج الرسم القرآني الحكيم.

** ونكرر مرة ثانية أنه - وعلى قاعدة أسلوب التغليب في اللغة - إذا قلنا الوالدين فهنا تغليب لعنصر الأم (الوالدة) ، أو النجل و النسل - كما قال ابن فارس في مقاييس اللغة- رغم أن الحديث عن الوالدين (مثنى) يشمل الأم والأب معاً.

وهنا نلاحظ مناسبة ورود الوصايا بالعطف عليهما والإحسان إليهما (الإحسان والبر - بالوالدين ولم يقل الأبوين-) وفيها مراعاة للملحظ ضعف الأم (الوالدة) ، وهكذا أيضاً في قوله (والذى قال لوالديه أف لكما) فهو موقف استئثار العطف والشفقة لهما وأحق بذلك جانب الأمومة (الوالدين) ، ولذلك نجد - في أسلوب القرآن الحكيم - أنه إذا نطقنا بالوالدين - بصيغة المثنى - فإننا نلاحظ تغليب جانب الأم هنا - كما قلنا - ويحذف الألف أيضاً من كلمة (الوالدين).

** وهكذا رأينا ذلك في جميع الآيات التي تتحدث عن الوالدين (الحقيقيين - أبي وأمى من الصلب -).... أما إذا كان يقصد بالوالدين عملية التناسل وخروج الذريات من الوالدين (أى: لا يميز هنا بين الأب الذكر والأم الأنثى ؛ لأنه يقصد عملية التوالد فقط) - فهو في هذه الحالة لا يقصد الآباء اللصيقين بنا ، بل يقصد ماتناسلنا نحن جميعاً منهم من لدن أبنائنا آدم .. هنا لا يوجد ما يدعو إلى تغليب جانب الأمومة - التي تستدعي الضعف وحذف الألف - ، بل يتساوى حينئذ عنصر الذكورة والأنوثة اللذان حدث منهما التناسل، فهنا لا مجال لإخفاء الألف من "والد" - الذى يحدث عند قاعدة تغليب الأمومة - ولكن يتم إظهار الألف على عادتها - وخاصة في المثنى - وذلك في مثل قوله تعالى (لَأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَالْوَالِدِ وَمَا وُلِدَ (٣)) ، كتبت بالألف. (بمخلاف قوله تعالى : لانتصار وَالِدَةٍ بولدها.. فهنا وَالِدَةٍ بدون ألف .. وهناك والد بالألف (١١١)).

وهذا الشرح نجدّه واضحاً بعد استعراض الآيات السابقة .. وأيضاً الآية: ﴿بِنَائِمَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرَبُ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ لقمان.. والتي ينطبق عليها ما قلناه من أنه لا يريد فيها الأب الذكر ، أو الأم الأنثى .. بل الأب الذكر والأم سواء.. فالآباء والأمهات لا يجوزون عن أبنائهم شيئاً، والأبناء لا يجوزون عن آبائهم ولا عن أمهاتهم (أصل ولادته) شيئاً يوم القيامة ، فإن لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

فالوالد كما يقول د: مطعنى في هذه الآية مراد منه الآباء والأمهات معاً دون تغليب لجانب الأمومة ، وبناءً على ذلك كتب "والد" بالألف، مخالفاً لحذفها في المواطن الأخرى التي:

(١) أريد فيها الأب والأم على وجه التحديد (أبي فلان وأمي فلانة) والتي يتم فيها التغليب لجانب الأمومة الذي ذكرناه.

(٢) وأيضاً حذف من التي كانت الوصية بالإحسان إليهما في حال الدنيا - وليس في حال الآخرة - كما في آية لقمان هذه -.

والوالدان - في الدنيا - يلحظ فيهما تغليب جانب الأمومة (الوالدة) مما يستدعى - في أسلوب الذكر الحكيم - إخفاء الألف.

ويقول الطاهر. وعبر فيها ب { مولود } دون (ولد) لإشعار { مولود } بالمعنى الاشتقاقي دون (ولد) الذي هو اسم بمنزلة الجوامد لقصد التنبيه على أن تلك الصلة الرقيقة لا تخول صاحبها التعرض لنفع أبيه المشرك في الآخرة وفاء له بما تسمى إليه المولودية من تحشم المشقة من تربيته ، فلعله يتحشم الإلحاح في الجزاء عنه في الآخرة جسماً لطمعه في الجزاء عنه ، ثم يقول : فهذا تعكيس للترقيق الدنيوي في قوله تعالى { وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً } [الإسراء : ٢٤] وقوله : { وصاحبتهما في الدنيا معروفاً } [لقمان : ١٥] انتهى.

((ولعلنا ننتبه ونأمل في هذا الكلام اللطيف الذي قال فيه (أنه تعكيس للترقيق الدنيوي).. فكانت العظمة والإهمار أن يعكس ذلك في رسم كلمة والديه - في الآخرة- وأن تكتب بالألف لتعكس حالنا معهم الذي كان في الدنيا ، ولتوحى ببعده الصلة حينئذ التي كانت قريبة في الدنيا... (إضافة إلى ذلك أن الكلمة بلفظ المفرد (والد).. وهذا من روائع البيان في القرآن الكريم .

وكذلك الحال في الآية التالية

﴿ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ (٣) ﴾ . فهو قسم من الله ليس بأبي وأمي اللصيقين بي ، بل هو قسم تعظيمي يشمل القسم بجميع خلقة وبكل ماتناسل من الذرية على هذه الأرض.. وكما يقول المفسرون مثل السمرقندي وغيره: { وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ } { وَوَالِدٌ } يعني : آدم { وَمَا وَلَدٌ } ، يعني : ذريته . ويقال : كل والد وكل مولود . وقال عكرمة { وَوَالِدٌ } الذي يلد { وَمَا وَلَدٌ } التي لم تلد من النساء والرجال .

ولخص الإمام الألويسي القول في ذلك قائلاً: والمراد بالأول آدم عليه السلام وبالتالي جميع ولده... وقيل المراد آدم عليه السلام والصالحون من ذريته ، وقيل نوح عليه السلام وذريته وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عمران أنهما إبراهيم عليه السلام وجميع ولده ، وقيل إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل عليه السلام والنبي (ﷺ) ادعى أنه ينسب

عن ذلك المعطوف عليه ؛ فإنه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله (ﷺ) عليهم أجمعين .

وقال الطبري والماوردي يحتمل أن يكون الوالد النبي (ﷺ) لتقدم ذكره وما ولد أمته ، لقوله عليه الصلاة والسلام « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد » ولقراءة عبد الله (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) الأحزاب : ٦ وفي القسم بذلك مبالغة في شرفه (ﷺ) وهو كما ترى . وقيل المراد كل والد وولده من العقلاء وغيرهم ... وفي النهاية يقول: ولعل ظاهر اللفظ عدم التعيين في المعطوفين (ولذلك كتب بالألف (والد) لعدم خصوصيتها بأبي من الصلب القريب المعلوم لدينا أو الإبن من الصلب المباشر).

وربما يقال رأى آخر وهو: أن الحديث في هذه الآيات في لقمان - وحدها ولا يوجد في غيرها - يتحدث عن موقف من الإحسان للوالدين في الآخرة وليس على الدنيا ، وهو يشير أيضاً إلى التعكيس الذي ذكره الإمام الطاهر ؛ وتأكيد الإنفصال والبعد (للأباء عن الآباء والعكس) في الآخرة ؛ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه .

وأن هذا الإلتصاق الذي كان موجوداً ومطلوباً في الدنيا (ولد)، سيفصل ويبعد (والد). ولذلك حسن الفصل بوجود الألف .. والتي تفيد أيضاً التوكيد .. وأيضاً كأنه يشدد على التبرة في النطق بها في موقف عصيب في الآخرة وكأنها صرخة عالية للإنتباه .. بخلاف حديث الوصايا بهم - في الدنيا والإحسان إليهم باللين - .

ولكل ذلك - وغيره مما يخفى علينا - أثبت الألف هنا فقط ... وذلك بخلاف باقى الآيات المذكورة في القائمة السابقة وعلى سبيل المثال:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)﴾ النساء .. (فهو يتحدث عن الميراث الذي نرثه من آباءنا على الحقيقة .. أبي وأمي على الواقع .. وكذلك الآيات الأخرى: وَيَأْتِي الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا .. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ .. (١٤) لقمان .. وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَيُؤْتِيهِم مِّنْ رَّبِّهِمْ رِزْقًا غَيْرَ مَمْنُونٍ .. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا .. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ ... وَأَيْضًا الآية: وَالَّذِي قَالَ لِيُؤْتِنَا أَفْ لِكُلَّمَا (١٧) الأحقاف .. وواضح أيضاً أن فيها حالة الضعف لهذين الوالدين واستحقاق تغليب جانب الأمومة - الضعيف - في (الوالدين) .. وهذا من روع الاستخدام الأمثل للفظ القرآني المعجز حيث أنه يستخدم لفظ (الأبوين) (بديل (الوالدين) في الحالات التي يظهر في سياقها الظهور لهما أو الملك لهما مثل (قَلَمًا دَخَلُوا عَلَى يُونُسَ أَوْى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى

العرش. وهنا واضح تمام الوضوح - في أسلوب القرآن المعجز والحكيم أن هذا المشهد - مشهد الرفع على العرش والظهور يحتاج عنصر الرجال وظهور الألف .. وأنه لا يليق بذلك عنصر النساء وإخفاء الألف.. رغم أن اللغة العربية لاتفرق بين الإستعمالين في لفظي (الأبوين والوالدين) ولكنه الأسلوب المعجز للذكر الحكيم.

وكذلك الحال في الآية التالية: ﴿ وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦) وهى نعمة الملك والنبوة... كم يقول الزمخشري: بأن يضم إلى النبوة الاستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تمة لها.

● وحينما يريد القرآن ذكر الأب (بلفظ المفرد) فلا يقول عنه (الوالد) بل يقول (قَالُوا يَا أَبَانَا.. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا... ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا.

● وحينما أراد الإشارة إلى الجانب العاطفي لترقيق قلب الرجل على ابنه لم يقل (الوالد) ولكنه قال: (وعلى المولود له) رزقهن ركسوقهن.

ورغم ما في هذا اللفظ (وعلى المولود له) من الإعجاز في دقة استخدام اللفظ - بإعجاز وإحكام - إلا أننا نلاحظ أن فيه ملفت آخر وهو التذكير بأنه ليس أبوه فقط - من ناحية الإسم فقط - بل أنه مولود له - ليزداد عطفاً عليه وتذكيراً له بهذه الحقيقة(العاطفية) للرجوع إليها والإنفاق عليه- وكما يقول الإمام الطاهر في مكان آخر في سورة لقمان: وغير فيها ب { مولود } دون (ولد) لإشعار { مولود } بالمعنى الاشتقاقي دون (ولد) الذي هو اسم بمنزلة الجوامد لقصد التنبيه على تلك الصلة الرقيقة.. ولكن الملاحظ أنه لا يقول له (وعلى الوالد) - بل قال (وعلى المولود له) على منهج القرآن الحكيم - كما ذكرنا - في الدقة والروعة والإهمار.

ولعلى أخلص ماسبق وأضيف إليه ما قاله أحد العلماء (محمد نور الدين المنجد) من رأى نراه قريباً مما قلناه بعد أن ساق الآيات التي ورد فيها ذكر الأبوين والوالدين؛ وهو المنهج الذى نرتضيه دائماً في بحثنا مع القرآن- وهو قوله: إن لفظ الأب يختص بالغذو (أى يغذى أولاده بالطعام) والتربية الجسمية والعقلية إرشاداً وتوجيهاً (وهنا نوافقه على ذلك وهو مناسب لما قلناه سابقاً).

ثم يكمل: ثم إنه يطلق (الآباء) على الآباء والأجداد عموماً نظراً لكونهم سبباً في الإيجاد ((وهذا المعنى أيضاً نوافق عليه وهو يعطى مليمح استناداً النسب وطوله تحسلاً صفة

الصلوق والمحدودية مع لفظ الوالدين ، ولعل هذا يعطى سبباً آخر لوضع الألف فيها.. وهو قريب من حديثنا السابق)).

ثم يكمل قوله عن الأبوين : كما يعبر بالأب عن كل من يقتدى به مجازاً، كالعلماء والقادة؛ ذلك بأهم قدوة يؤتمر بهم ، أما لفظ الوالد فلا يطلق إلا على الأب المباشر نظراً لمعنى النسل والنجل ، مع مراعاة الجانب الروحي في العلاقة بين الإبن وأبيه .) انتهى وهذه معاني مؤكدة ومتممة لما قلناه.

غلمان.. ولدان

ونعود للمحوظة أخرى عن الولدان - وتكتب (ولدان) -، و(الغلمان) ، وقد حذفت الألف من الولدان في كل الآيات، وذلك لأن الولدان هم صغار السن وجميعهم (لايختلفون) في الفهم والوعى ، وهم متحدون ومتشاهون دون اختلاف في أنهم لايدركون العورات للنساء الطوافين عليهم ، فحسن هنا حذف الألف الفارقة ، ليستمر التشابه والتجانس في هذا الصنف - كما شرحنا ذلك في قوله تعالى (أو الطفل .. ولم يقل أو الأطفال .. بالجمع) - على شاكلة سياق الجمع في الآية التي فيها هذه الكلمة - (فقال : أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء.. ولم يقل أو الأطفال).

والأمر ليس على ذلك في "الغلمان" لكبر سنهم ووصولهم إلى مرحلة التمييز والإدراك للعورات وغيرها ، فهم مختلفون في ميولهم وشهواتهم ولذلك كتبت بالألف الفارقة التي تؤكد على عدم التجانس .

كما أننا لانسى ملاحظ توحيد الولدان الصغار في أنهم على الفطرة لم تغير نفوسهم أو تفرقهم الإهواء وغيرها.. ولذلك وحدهم في اللفظ - بلاغياً- فقال: (أو الطفل).. كما وحدهم في رسم الكلمة بدون ألف (ولدان) .. حتى إذا جمعهم وقال عنهم (الأطفال) في قوله تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا).. فقد جمعهم لأنه قال (إذا بلغ..) والجمع يشير إلى اختلاف ميولهم وشهواتهم حيال النساء بخلاف الأطفال الذين يتوحدون في عدم الشهوة ، وهنا قد راعى لفظ البلوغ الذي تختلف فيه المدارك والفطرة والنظرات وغير ذلك - فقال الأطفال - ولكنه لاينسى أن يكتب لفظ الأطفال - كما قلنا - بدون ألف - لأنه يصف الأطفال الذين لم يصلوا بعد إلى درجة النضوج الكامل كما في الرجال ، ونظر إلى كينونتهم القريبة منهم حيث كانوا أطفالاً في الآيات السابقة - فهو يقول إذا بلغ الأطفال (باعتبار ما كانوا عليه)، (فجمع الأطفال وحذف منها الألف

ليراعى المعينين معاً). مثل قوله عن اليتامى الذين لم يعودوا يتامى ببلوغهم : ﴿وَابْتُلُوا
 (الْيَتَامَى) حَتَّى إِذَا بَلَغُوا (أى اليتامى) النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ
 وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا .. (٦)﴾ النساء.

ولاحظ أيضاً حالة اليتامى وضعفهم وتساويهم - أيضاً - فى عدم إحسان التدبير والحاجة
 والضعف والنقص - مما جعل ذلك يستدعى حذف حرف الألف هنا أيضاً.
 ونعود لسرد الآيات لئرى العظمة والإجمار فى ذكر الولدان هنا، والغلمان هناك فى السورة
 الأخرى .. لئرى تناسق ذلك وانسجامه مع هذه المعانى السابقة ومع الرسم المبهر
 للكلمتين:

الآية الأولى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى
 ﴿٤﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٥﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿٦﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴿٧﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ
 مُخَلَّدُونَ ﴿٨﴾ الواقعة. هنا الحديث عن:

(١) السابقون .. وهم أعلى الدرجات.
 (٢) مشهد متكئين .. والخمر، بأكواب وأباريق وكأس من معين.
 (٣) هنا لم يذكر قوله (ألقنا بهم ذريتهم .) فى النص الذى فيه ذكر الولدان - أى
 (الخدم الطوافون) - وذلك خوفاً من اللبس فى أن يظن القارىء أن يكون هؤلاء (الذرية =
 أولادهم على الحقيقة) هم أنفسهم الأولاد الخدم لهم هنا، وهنا يُضعف البهجة لهم وهم فى
 الجنة.

وذلك بخلاف الآيات التالية - فى سورة الطور - التى تتحدث عن ألقنا بهم ذريتهم ..
 فقام النص القرآنى بتغيير كلمة (ولدان) التى تعطى هذا اللبس ووضع مكانها كلمة
 (غلمان) ، للتحرز من هذه الشبهة فى أن يظن أحد أن هؤلاء الخدم هم أولادهم
 (الولدان). وبهذا يكون إذا ذكر الذرية (ذرياتهم) فى النص يكون معها (الغلمان)، وإذا لم
 تذكر (ذرياتهم) وضع (الولدان) لأمن اللبس. فما أعظمه وأروعته من نص حكيم معجز.
 وإليك النص كما يلى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
 كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِقَافِيَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَزَّلُونَ فِيهَا
 كَأْسًا لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ (غِلْمَانٌ) لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ .﴾ ..
 مع ملاحظة أن المؤلف فى السورة السابقة يحكى عن "السابقين" وعن وصفهم

ب(متكئين) وعن اللذة بالخمر وغيرها ..فناسبها مشهد (الولدان) . بخلاف المشهد هنا الذى فيه الحركة القوية (يَتَنَزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمًا) فكان التناسب بعدها (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ) فيهم مشهد القوة والحركة التى لم تكن فى الولدان ، وأيضاً الملاءمة للتناسق فى اللوحة الفنية الجميلة فى كلام رب العالمين الذى يحوى الجمال والكمال معا ..

مع ملاحظة وصف ولدان ب(مخلدون) أى على هذه الصفة (دون تغير) ودوامهم على صفة واحدة يناسبه حذف الألف الفارقة ليعطى تجانس الكلمة، وهذا ما نشاهده دائماً فى رسم كلمة (خُلدا، خُلدين) بدون ألف .. وهذا لا يتناسب مع مشهد "يتنازعون" فى السورة الأخرى .. بخلاف وصفه غِلْمَانٌ (لَهُمْ) بقوله: كَانَهُمْ (لَوْلَوْ مَكُونٌ).

((وإليك ملخص سريع: من سورة الطور: يطوف عليهم غلمان ..وبالألف ..; كأنهم لؤلؤ مكنون .. أما فى الواقعة: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ - وبدون ألف - مخلدون.

الطور: يطوف عليهم غلمان	الواقعة: وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ
(١) لأنه قال: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أحقنا بهم ذريتهم.. فلو قال (وِلْدَانٌ) ربما يذهب الوهم إلى أن ذريتهم هم (ولدائهم) هم الذين سيقومون بخدمتهم ، فلذلك قال "غلمان"	(١) قال ولدان لأنه لم يتحدث عن إحقاق ذريتهم بهم فأصبح هناك أمن من هذا اللبس.
(٢) رسمت الغلمان بالألف الظاهرة لظهورهم عن الولدان ، ولأنه يصف الشكل الظاهرى فى قوله: (كأنهم لؤلؤ مكنون)	(٢) ووصف ولدان بمخلدون (وبدون ألف) لوصفهم بصفة باطنة وهى (مخلدون) ولصغرهم وعدم ظهورهم كالغلمان التى كتبت بالألف

ويزيد الألوسى احتياطاً آخر فى النص الحكيم فيقول: { غِلْمَانٌ لَهُمْ } أى مماليك محتصون بهم كما يؤذن به "اللام" ولم يقل "غلمانهم" بالإضافة لثلاثيتهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحداً فى الدنيا أن يكون خادماً له فى الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعاً .. ، وفيه أن التعبير عنهم بالغلمان غير مناسب، وكذا نسبة الخدمة إلى الأولاد لا تناسب مقام الامتنان.

ويقول الطاهر والغلام: مَنْ سَنُهُ بَيْنَ الْعَشْرِ وَالْعَشْرِينَ . وكان سنّ يوسف عليه السّلام يومئذٍ سبع عشرة سنة.

وهنا نقف على رسم كلمة غلاما(غُلما) بدون ألف : وهنا يبرز سؤال: لماذا (غلمان) بصيغة الجمع يوضع فيها الألف ، وبصيغة المفرد يحذف منها الألف - عكس ما تعودنا في المفرد (فيه ألف) والجمع (يحذف الألف) - ؟

وللإجابة على هذا السؤال نعود لما ذكر عن الغلام في الصباح المنير: الْغُلَامُ الْإِبْنُ الصَّغِيرُ ... وَيُطْلَقُ الْغُلَامُ عَلَى الرَّجُلِ مَجَازًا بِاسْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ كَمَا يُقَالُ لِلصَّغِيرِ شَيْخٌ مَجَازًا بِاسْمِ مَا يُتَوَلَّى إِلَيْهِ ، وَجَاءَ فِي الشَّعْرِ غُلَامَةٌ بِالْهَاءِ لِلحَّارِيَةِ قَالَ يَهَانُ لَهَا الْغُلَامَةُ وَالْغُلَامُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَسَمِعْتُ الْعَرَبَ تَقُولُ لِلْمَوْلُودِ حِينَ يُوَلَّدُ ذَكَرًا غُلَامًا ، وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ لِلْكَهْلِ غُلَامًا ، وَهُوَ فَاشٍ فِي كَلَامِهِمْ .

((وهذا المعنى الواسع لكلمة غلام (وهو الطفل والشاب والكهل باعتبار حالة المتحدث واتجاهه النفسى) وهذا ينفعنا في التفرقة بين غلمان" و"وَالِدَانِ" بصيغة الجمع ووضع الألف هنا وحذفه هناك)) حيث أن صورة الجمع في الغلمان تعطينا المعنيين المناسبين لحال الجمع الذى نرى معه تعدد الهيئات في الغلمان الذى يناسبه وضع الألف.. أما الولدان فهم يتساوون في توحدهم في نظرهم للميول والشهوات على صورة واحدة فحذف الألف دائما).

لكن ورود كلمة (غلام) بصيغة المفرد كان في حال الحديث عن مولود مريم عليها السلام ، فهنا يحسن فيه معنى واحد من معانيه وهو الطفولة فقط فلذلك كتبت بدون ألف .. وكذلك وردت بالمفرد في غلام سورة الكهف الذى قتله الخضر ؛ فهو لم يبلغ الحلم أو الرجولة كما يصور ذلك في تفسير أبو السعود: كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عُقْبَهُ ، وقيل : ضرب برأسه الحائط ، وقيل : أضجعه فذبحه بالسكين ((هذا لا يمكن أن يحدث لرجل)) و { قَالَ } أي موسى عليه الصلاة والسلام : { أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً } طاهرة من الذنوب ، وقرىء زَاكِيَّةً ((وهذا الوصف لا يطلق أيضاً إلا على الطفل البرىء من الذنوب والمعاصى والذى يُجمع الجميع على ذلك الوصف له دون الحاجة إلى معاشرته ورؤيته أعماله)) ولذلك كان هذا الغلام طفلاً وأصبح يأخذ صفة (الولد) في حذف الألف فكتب (غلم).

طغى .. طغا

(١) ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٢٤) طه، النزاعات ١٧، ٣٧.

(٢) ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (١٧) النجم.

(٣) ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرْحِي الْجَارِيَةِ ﴾ الحاقة.

هنا- في هذه الآية الأخيرة- الطغيان طغيان مادي محسوس للماء (فكتب بالالف الظاهرة).. بخلاف الطغيان في الآيات الأخرى فهو طغيان معنوي.. طغيان فرعون و طغيان البصر (فكتب بالياء التي ترمز إلى الغيبة والملكوتية والمعنوية) بالطاغية. (وهي إسم للصيحة المدمرة .. وهي عذاب مادي أيضاً).

طغيانا.. طغيانا..

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا نُزِّلَ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا... طغيانا ﴾ يعني : تمادياً بالمعصية ، { وَكُفْرًا } و جحوداً بالقرآن..... ﴿ وَتُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (٦٠) يعني : تمادياً في المعصية .

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ الكهف. يقول: تمادياً و إنما

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَبِعْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ البقرة.

﴿ وَنُقَلِّبُ أَقْدَانَهُمْ وَانْبَصُرْنَاهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

﴿ الْأَنْعَامِ... ﴾ ﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ الأعراف.

﴿ فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يونس.

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ اللَّجُوجِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ المؤمنون . السمرقندي وغيره: { في طغيانهم يعْمَهُونَ } ، يعني : في ضلالهم يعْمَهُونَ ، يعني : يتحiron و يترددون ((فالطغيان هنا - في كل هذه الآيات بالافراد والإضافة - هو (الضلال) وليس بالمعنى المادي المعلوم - كجبروت وتسلط الطاغية بالضرب والقتل وغيره - ولكنه طغيان عام في المعصية والضلال وكما قلنا في قوله: وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿ الكهف. يقول: تمادياً و إنما ويقول الألويسي: { طُغْيَانًا } مجاوزة للحدود الإلهية.

ظالم وظالمة

(١) ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ .. ﴾ (٣٥) الكهف.

(٢) ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ (٣٢) لاطر.

(٣) ﴿ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ (٧٥) النساء .

((الظلم في هذه الآيات السابقة ظلم أشخاص أحياء: إما أفراد ، وإما أهل القرية من الأشخاص - الظالم أهلها - وهذا الظلم ظلم حقيقى لأنه ظلم الأشخاص .. بخلاف الآية التالية التي تتحدث عن (القرى وهي ظالمة) والقرى لا تكون (بنفسها) هي الظالمة ، ولكن أهلها هم الظالمون . ولذلك كان الظلم في هذه الآية (ظلماً مجازياً) وليس ظلماً حقيقياً فكان لا بد من لفت النظر إلى هذا المعنى وذلك بحذف الألف - الذى يحذف مع التعسير المجازى في الرسم القرآنى -)).

(٤) ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

﴿١٢﴾ هود.. هنا نكرر أن القرية ليست هي الظالمة ولكن أهلها هم الظالمون - كما في النساء التي كتبت على حقيقتها - ولكنها هنا على المجاز، كما في قوله تعالى : (واسأل القرية) - ونحن نسأل أهل القرية - ولذلك كتبت على غير حقيقتها وحذف منها الألف؛ وهذا ما قاله الإمام الألوسى: { ظالمة } إلا أن وصف القرى بالظلم ((مجاز)) وهو في الحقيقة صفة أهلها.

كذابا... كذاباً

(١) ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ (٢٨) النبأ.. تصوير لشدة الكذب منهم وكثرته وكبره وتكراره بوضع الألف .

(٢) ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴾ ﴿١٢﴾ النبأ. تصوير لقلة الكذب - الذى يقترب من العدم - وأهم لا يسمعون أقل الكذب في الجنة .. فقلل من حروف الكلمة ، وحذفت الألف - رغم أن النطق واحد في الحالتين- (راجع بحثنا حول الآية ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٣) المطففين.. لترى دقة وعظمة وإعجاز اللفظ مع رسم الكلمة في القرآن الكريم. (إيجاز في المشهد مع إيجاز في رسم الكلمة، وإطناب في المشهد مع إطناب في رسم الكلمة).

القواعد... وَالْقَوَاعِدِ

(١) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ (قواعد مادية..).

(٢) ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُتَيْهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ ﴿١١﴾ (قواعد مادية..). وقرىء: «فآتى الله بيتهم» ولذلك كتبت بدون ألف.

(٣) ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ قواعد معنوية فحذف الألف

أيام.. بإيتم .

إذا كانت أيام بالمعنى المادى أى (اليوم المعلوم لدينا: ٢٤ ساعة) أو أيام النعمة والعذاب وعلو النبرة بالتهديد والوعيد فتكتب بالألف (أيام).

وإذا كانت بمعنى آيات ومعجزات ونعم متعددة وليست أيام العذاب أو علو النبرة بالتهديد فتكتب بدون ألف (أيام) هكذا:

(١) ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. ﴾ (البقرة: ١٨٥) أيام (اليوم المعلوم لدينا: ٢٤ ساعة) فكتبت بالألف.

(٢) ﴿ قَالَ آتِيكَ إِلَّا تَكَلَّمُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .. ﴾ اليوم ٢٤ ساعة.

(٣) ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبْرًا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ (١٨) بمعنى اليوم ٢٤ ساعة.

(٤) ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١٤٠) يقول: يوم لكم ويوم عليكم.. وهو يسمح على جروحهم.. ويشير إلى الهزيمة فى غزوة أحد وليس إلى النصر.

(٥) .. ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ (٨٩) بمعنى اليوم ٢٤ ساعة.

(٦) .. ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ بمعنى اليوم ٢٤ ساعة.

(٧) ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ الأعراف.

(٨) ﴿ **فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (١٠٢) يونس.. أيام هزيمة لهم.

(تهديد بعذاب أيام قادمة.. وعلو نبرة التهديد بالعذاب واضحة.. فبقى الألف (أيام) شاهداً على ذلك) ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ .. ﴾ ﴿ قُلْ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾، ومثلها الآية التالية:

(١) ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ لِحِسَاتٍ لَتُدْقَ لَهُمْ عَذَابُ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (١٦) وأيام النعمة والعذاب وهى موصوفة بقوله (لحسات).

(٢) ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤) أيام نعمة وعذاب.

(٣) ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
أُعْجَازٌ نُحْلٌ خَاوِيَةٌ (٧)﴾ . بمعنى اليوم ٢٤ ساعة وأيام عذاب .
وهذا بخلاف الآية التالية:

(٤) ﴿**** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَذَكِّرْهُمْ بِأَيُّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦٠﴾﴾ إبراهيم . ويقول
السمرقندي: يعني : خوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية ، ليؤمنوا . وقال مجاهد : أيام نعمه
(وما أدراك ما مجاهد - كما يصفه صاحب تفسير المنار) وكذلك قال قتادة والسدي .
يعني : ذكرهم نعمائي ليؤمنوا بي .

ثم قال : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ } يعني : في الذي فعلت بالأمم الخالية ، وما أعطيتهم من
النعم لعلامات { لِكُلِّ صَبَّارٍ } على طاعة الله ، والصابر هو البالغ في الصبر { شَكُورٍ }
يعني : شكور لنعم الله تعالى ، وهو على ميزان فَعُول وهو المبالغة في الشكر
..... ويقول الزمخشري: وعن ابن عباس رضي الله عنهما : نعمآؤه وبلاؤه . فأما
نعمآؤه ، فإنه ظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى . وقلق لهم البحر .
وأما بلاؤه فإنه هلاك القرون { لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه
.. ويقول البقاعي: { بأيام الله } أي الذي له الجلال والإكرام من وقائعه في الأمم السالفة
وغير ذلك من المنح لأوليائه والحن لأعدائه .

ووضح الرازي أيام الحن هذه فقال: واعلم أن أيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما
كان أيام الحنة والبلاء وهي الأيام التي كانت بنو إسرائيل فيها تحت قهر فرعون ، ومنها ما
كان أيام الراحة والنعماء مثل إنزال المن والسلوى وانفلاق البحر وتظليل الغمام ... ورجح
الظاهر الرأي الثاني حيث يقول: فالمراد ب { أيام الله } هنا الأيام التي أنجى الله فيها بني
إسرائيل من أعدائهم ونصرهم وسخر لهم أسباب الفوز والنصر وأغدق عليهم النعم في زمن
موسى عليه السلام ، فإن ذلك كله مما أمر موسى عليه السلام بأن يذكرهموه ، وكله يصح
أن يكون تفسيراً لمضمون الإرسال .
** فالأيام - بدون ألف - هنا:

(١) لا يقصد بها اليوم المعلوم لدينا = ٢٤ ساعة . (٢) وهي أيام قد مضت .
(٣) وهي آيات ومعجزات ونعم متعددة وليست أيام العذاب - كما في السورة
السابقة- .

ولكل هذه الأسباب تخالفت في الرسم لانخفاض النبرة والحين في (التذكير بالنعم) .
 وواضح مما سبق أنه إذا كانت الأيام بمعنى اليوم ٢٤ ساعة المعلوم لدينا - مادي ظاهري
 ومعلوم - يرسم بالألف .. وإذا كان بالمعنى الآخر (الوقائع والأحداث) .. على خلاف ظاهر
 اللفظ .. فله حالتان :

الحالة الأولى ترسم بالألف إذا كان الهدف هو العذاب والانتقام ومصاحباً بعلو النبرة
 بالتهديد والوعيد .

والحالة الثانية هي الحالة التي يكون فيها التذكير الهادئ ، وتعداد النعم التي جاءت إليهم ..
 هنا تكون الكلمة بدون ألف (بألفهم) مثل (آية إبراهيم) وهي الآية الوحيدة التي كتبت على
 ذلك الرسم (بدون ألف) .. وراجع ذلك وتأمل في شأن هذا الرسم المعجز .
 ملحوظة : علو النبرة وما يناسبها من ظهور الألف يرد كثيراً في القرآن الكريم وقد
 ضربنا أمثلة كثيرة على ذلك منها هنا ((الرسول .. السبيل)) وكيف ناسب علو
 صراخهم في جهنم وجود ألف الإطلاق في سورة الأحزاب هكذا :
 ((الرسول .. السبيل)) .

(١) ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ
 أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي
 السَّبِيلَ (٤) ﴾ الأحزاب .

(٢) ﴿ يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا
 رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ
 لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾ الأحزاب .

(٣) ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَأْتُمُ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ
 ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) ﴾ الفرقان .

والملاحظة هنا : أنه بمتابعة السياق في الآية (١) ، (٣) التي وردت فيها كلمة (السبيل)
 بدون ألف .. نجد: الجو التشريعي الهادئ والمستقر في قضية النبي في الآية (١) .. وأيضاً
 في الآية (٣) .

ولكن الآية (٣) تحتاج إلى توضيح ومقارنة مع الآية (٢) حيث أن الحديث في الآيتين
 عن الآخرة والحشر ومشهد ما يعبدون من دون الله ، ولكن في آية الفرقان (٣) هم
 مازالوا لم يذهب بهم إلى الجحيم ، بل هم في انتظار ؛ ربما يأتيهم الفرج أو الأمل في
 شفاعة الشفعاء وما يعبدونهم من دون الله ، ورغم أنه موقف صعب ولكنه لا يقارن

بالموقف في الآية (٢) - في سورة الأحزاب - التي تصور حالهم وهم في جهنم يعذبون: (يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) ولك أن تتخيل تقلب وجوههم في النار حتى لا ينفى جزء منها بعيداً عن شوى جهنم.. وتخيل كيف يكون صراخهم وعويلهم وامتداد الصوت لهم، والذي يرسمه ألف التنفيس أو ألف الإطلاق في كلمة "الرسولا" و"السيلا" .. رغم ما قيل - من أغلب العلماء - من أن وضع الألف في الكلمتين هو لأجل التناسب فقط مع الفاصلة في الآيات السابقة واللاحقة وهي: .. ﴿ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) .. سَعِيرًا (٦٤) .. وَكَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) .. يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا أَنْتُمْ ضَعَفْتُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنَا كَثِيرًا (٦٨) وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) قَوْلًا عَظِيمًا (٧١) غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣) ﴾ ... ولكن نسي هؤلاء العلماء أن أية التشريع الأولى والتي هي في نفس السورة (الأحزاب) - ومعها هذه الفواصل أيضاً - لكنها لم يزد فيها الألف رعاية للفاصلة - كما يقولون - .. وهكذا في آية الفرقان التي أتت فيها جميع فواصل الآيات بالألف إلا هذه الآية وحدها فقد جاءت بدون ألف في وسط هذه الآيات هكذا: ﴿ تَغِيظًا وَزَفِيرًا (١٢) .. بُرُورًا (١٣) .. بُرُورًا كَثِيرًا (١٤) .. جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) .. وَعَذَابًا مَسْئُولًا (١٦) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا لَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا... ﴾ . وهكذا نرى أن السياق الهادي هنا - وجو الحوار - هو الذي استدعى حذف الألف .. وأن السياق العاصف والمتهب هناك في آية الأحزاب - تقلب وجوههم في النار - هو الذي استدعى وجود ألف التنفيس أو ألف الإطلاق لهذا الصوت .. فما أروعها من مناسبة يتناغم فيها رسم الكلمة مع عرض الصورة الفنية.. فما أروعها وأعظمها وأعلاها من كلام هو كلام رب العالمين.

الأسباب، الأسباب

﴿وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَئِدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (حب ومودة في الدنيا) وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ (في يوم القيامة) أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (القوة القادرة على تفريق وتقطيع ما بينهم من صلوات العبودية "الأسباب" وغيرها) وَأَنَّ

اللَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا (فرار وقطع الوصل الذي كان بينهم) وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) البقرة.. والمعنى أنه لاتسدم هذه الرابطة اللصيقة التي كانوا عليها في الدنيا ، ويكون الجزاء من جنس العمل ، وتقطع الأسباب (الروابط)، ويصور ذلك المعنى (التقطيع والتفريق) رسم الكلمة بوجود الألف الفارقة فيها (الأسباب).

وهنا نلاحظ أيضاً قوله (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) ولم يقل (وقطعتهم الأسباب) - والأسباب هنا يراد بها (الأنداد) من دون الله -.. فلو قال (قطعتهم الأسباب) فإنه حينئذ يثبت لهذه الأسباب أهم مازالت لديهم القوة والتجمع حتى ولو على أتباعهم ، ولكن سياق الآية يقول: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) وهذا يفيد أن الأنداد نفسها قد تقطعت أيضاً معهم، وتقطعت أيضاً الوصل التي كانت بينهم - أى علاقتهم بأتباعهم -.. وهذا من روائع وإعجاز التعبير القرآني في استخدام الحرف "بهم" في موضعه.

ويقول المفسرون:.. و { الأسباب } الوصل التي كانت بينهم : من الاتفاق على دين واحد ، ومن الأنساب ، والمحاب ، والأتباع ، والاستتباع ،.. والتقطع: الانقطاع الشديد لأن أصله مطاوع قطعهُ بالتشديد مضاعف قطع بالتخفيف .

((وواضح من هذا الشرح أن المقام هنا هو مقام استعراض القوة وأنها لله وحده ، وهذه القوة وهذا التلويح بها والتخويف منها يناسبها إظهار الألف (الأسباب) التي ستقطع بقوة - كما يشير إليها الفعل المضعف والمشدد (تقطعت) ، ولفظ (بهم) (الأسباب))، ويكون من الواضح أن هذه الآية تشير إلى (تقطيع) الأسباب والتفريق (مما يناسبها وضع الألف الفارقة- وهذه قاعدة عامة يلاحظها المتبع للرسم القرآني-)، بخلاف الآيات التالية التي تتحدث عن (وصل) الأسباب (والتي لا يناسبها وضع الألف المفارقة والمقطعة) كآيات التالية:

(١) ﴿أَمْرٌ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ ص.. ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش (فالأسباب لا يوجد بها مشهد التقطيع أو التباعد الذي يستدعى وضع الألف الفارقة بل بها فيها مشهد الوصل).

(٢) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ﴾ .. غافر هنا في الآيتين- كما هو واضح - يطلب فرعون وصل الأسباب وليس

قطعها، ولذلك وصلت الكلمة (الأسباب) ، ونبرة الحديث هنا هادئة ، وهنا أيضاً

يتضح الفرق بين هذا الحديث الهادىء والحديث الملتهب عن الأنداد في الآيات السابقة من آية البقرة.. والتقطيع هناك والوصل هنا.. وحديث في الآخرة هناك وحديث في الدنيا هنا)..... مع ملاحظة أن :

﴿ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ ﴾ غافر بمعنى طرقها وأبوأها وما يؤدي إليها ، وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه - أى أنها أسباب على انجاز هنا- (وهي ليست بالطرق المعلومة لدينا أو حتى المرئية) فأخفى الألف.

باسط.. بَسِط

نلاحظ أنه إذا كان (اليسط) فيه حركة إيجابية يكتب بالألف (إسم فاعل فيه وصف الذات والفعل أيضاً) .. وإذا كان (اليسط) على حالة ثابتة (إسم فاعل فيه وصف الذات فقط) يحذف الألف وإليك الأمثلة.

(١) ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِعُوا أَيْدِيَهُمْ أَوْخَرُوا أَنْفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (٩٣) الأنعام.

(٢) ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾. المائدة.

في هاتين الآيتين البسط فيه حركة إيجابية (باخراج الروح بقوة ، وبسط اليد بالقتل لأخيه) بخلاف الآيتين القادمتين:

(٣) ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَتِيسَطَ كَفِّهِ

إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (١٠٤) الرعد... هنا

البسط حركة سلبية بل وعلى الثبات وليس الحركة.. ، وشرح الآية هو: كمن يبسط يديه إلى الماء ولا يجر كها إلى فمه فالماء لن يصل إلى فمه لأنه ليس له حركة . وقيل :

شبهوا في قلة جدوى دعائهم لأهنتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه ، فبسطهما ناشراً أصابعه ، فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه (فهنا لا نجد صورة لحرارة

اليد فهي مبسوطة وثابتة وغير متحركة ولذلك كتب البسط بدون ألف) وكذلك الآية التالية:

(٤) ﴿ وَكَتَبَهُمْ بَسِطُ ذُرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ (١٨) الكهف.

(فهى أيضاً مبسوطة وثابتة وغير متحركة ولذلك كتب البسط بدون ألف)

ومما سبق يلاحظ أن ظهور الألف مع :

(١) مشهد الحركة في مشهد البسط (وهو البسط للقتل (المائدة).. ومشهد إخراج الروح عن طريق الملائكة (الأنعام)).

(٢) إضافة إلى المشهد التصويرى الذى يعبر عن العنف والشدة والقوة مع وجود الألف في الحالتين (القتل وإخراج الروح).

أما المشاهد السلبية -- التى لا يوجد فيها حركة -- كآية الرعد - كَبَسَطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْغُ فَاَهُ-، وبسط الكلب ذراعيه ساكنا على هذه الحال في سورة الكهف، فيتم فيها همود الألف أى (إخفاء) الألف، المتناسق مع همود الحركة. ((قاعدة هامة جداً ناهما متكررة دائماً)).

بصائر.. بصائر

إذا كانت (بصائر) بمعنى جامع مثل (النهج والشريعة الكاملة والسنة والطريقة العظيمة الشأن - كما يحدث مع المعنى العام فإنها تكتب بدون ألف (بصائر). بخلاف المعنى الخاص الجزئى (كالوحي القرآنى أو المعجزات المادية) فتكتب بالألف (بصائر) هكذا:

(١) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ (١٠٤) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَيَلْقَوْنَ دَرَستَ وَلَيَبَيِّنُهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)﴾ الأنعام.

يقول الرازى و الالوسى: ... وأراد بقوله: { قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ } الآيات المتقدمة وهى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ ثَوْبِكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الثُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَمُ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(التعليق: ونلاحظ أنها كلها آيات مادية محسوسة وملموسة ، وهي مساقاة كدليل على القدرة) وليس تعدادها لطلب الشكر عليها - كما في سياقات أخرى - ، وهي طريق للدعوة وطلب الإيمان عليها) فوضع فيها الألف .

(٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَظِيمِ لَمْ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَأْيَةٌ قَالُوا لَوْلَا جِئْتِنَاهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) ﴾ الأعراف .

فالآية هنا هي القرآن أو آية من القرآن كما يقول الرازي:.. فذكر في وصف القرآن ألفاظاً ثلاثة : أولها : قوله : { هَذَا بَصَائِرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ } ويقول الألوسي: { وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَأْيَةٌ } من القرآن عند تراخي الوحي .. أو بآية مقترحة ويقول الطاهر: .. ويجوز أن يراد بآية آية من القرآن يقترحون فيها مدحاً لهم ولأصنامهم .

فكل هذه المعاني تعطى الخصوصية والمادية لمعنى (بصائر) .

(٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَزْلَزَ هَؤُلَاءُ إِلَّاءِ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) ﴾ الإسراء .. (معجزات مادية) .

(٤) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) ﴾ القصص . يريد : آتيناه التوراة أنواراً للقلوب .

*** وتبقى الآية الوحيدة التي كتبت فيها بدون ألف وهي .

(٥) ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الجاثية .

الزمخشري: وقرئ «هذه بصائر» أي : هذه الآيات

ويقول أبو السعود: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ } أي سنة وطريقة عظيمة الشأن { مِنْ الْأَمْرِ } أي أمر الدين .. { هَذَا } أي القرآن أو اتباع الشريعة { بَصَائِرٍ لِلنَّاسِ } فإن ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمرتلة البصائر في القلوب .

ويقول الطاهر: إن كانت الإشارة إلى الكلام المتقدم وما فيه من ضرب المثل نموسى وقومه ومن تفضيل شريعة محمد على شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام .. (فالحديث

عن الشريعة الكامنة التي فيها القرآن - الوحي - ، والسنة ، والقنوة ، والمنهج = دنيا ودين).

الألوسى: .. وقيل : الإشارة إلى اتباع الشريعة والكلام من باب التشبيه البليغ ، .. وقرئ { هذه { أي الآيات { وهدى } .

من هنا يتبين أن آية سورة الجاثية تتحدث عن الشريعة والسنة والطريقة والمنهج. (وليس القرآن فحسب) .. مع ملاحظة أن سورة الجاثية تسمى (سورة الشريعة). وهذا المعنى أشمل وأوسع من المعنى الجزئي (القرآن أو الآيات الكونية أو معجزات موسى) التي في الآيات الأخرى ، ولهذا كتبت على قاعدة "المعنى الكلى الجامع" الذي يحذف منه الألف ، مثل كتاب بالألف وبدون ألف وغيره.

باطن .. ظـهر

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الحديد

{ والظاهر { أي بوجوده لأن كل الموجودات بظهوره تعالى ظاهر { والباطن { بكنهه سبحانه فلا تحوم حوله العقول .

﴿وَدَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾

ويقول الطاهر: وظاهر الإثم ما يراه الناس ، وباطنه ما لا يطلع عليه الناس ويقع في السرّ ، ((وهذا يعني أن الباطن يحتاج إلى عمق تفكير وبحث للوصول إلى معرفته والوقوف عليه. فوضع فيه الألف).

لقمان: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ .. يقول الزمخشري: .. فإن قلت : فما

معنى الظاهرة والباطنة؟ قلت : الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة ، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل ، أو لا يعلم أصلاً ، .. وقد أكثروا في ذلك .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ آل عمران.

بطانة الرجل ووليجهته : خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بسره ثقة به .

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشِ بَطَانَتِهَا مِنِ اسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ذَانِ (٥٤)﴾

إذن : الباطن بالألف ينظر فيها إلى العمق والغور البعيد بخلاف الظاهر للعيان الذي ليس فيه عمق... ولذلك نجد صفات الله عز وجل لها رسمان (بالألف وبدون الألف) نظراً لقوله تعالى (الظاهر والباطن) في آن واحد.

جاوزا ... وَجَوَزْنَا

(١) الكهف: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَاتِهِ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (٦٢) .. (نلاحظ: أن المجاوزة هنا مجاوزة دون المرور في الشيء.. وعدم ذكر المفعول) فهي

بمعنى: مروا عليه ، وليس بمعنى : مروا فيه. عكس الآية التالية:

(٢) الأعراف: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ فَالُوا يَمْسُونَ آجَعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (٦٦) هنا كان المرور (المجاوزة) مرور في داخل الشيء (البحر).. وقال أبو السعود: وقرئ (جوزنا) بالتشديد وهو أيضاً بمعنى جاز فعُدي بالباء أي قطعنا بهم البحر . ((وأرى - بناء على هذه القراءة الثانية - أن فيها مناسبة جميلة بين شدة المرور في البحر وبين التشديد في الحرف (جوزنا) .. بخلاف آية الكهف فليس فيها هذه الشدة والمخاطرة). ومثلها الآية التالية:

(٣) يونس: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ . (٩٠) ﴾ يقول الألوسي وأبو السعود: وقرأ

الحسن { وجوزنا } بالتضعيف .. بخلاف الآيتين التاليتين:

(٤) *البقرة: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ .. (٢٤٩) ﴾ . وهذه الآية ليس لها قراءة ثانية تستحق حذف الألف ، والمعنى أيضاً مجاوزته دون المرور فيه، بل هو المرور عليه (أى بجواره).

(٥) الأحقاف: ﴿ .. أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ (٦٦) تجاوز معنوى . وبالطبع دون المرور في الشيء نفسه.

((إذن المجاوزة- أى المرور- "على" الشيء تكتب بالألف .. وهى تختلف عن المرور (في) الشيء - أى الغوص والإخفاء الجزئى أو الكلى فيه - الذى يكتب بدون ألف . وهذا الملحظ سنراه متكرراً في مواطن أخرى شبيهة بهذا الموقف)) وهذا الملحظ ربما لأن الذى يمر فى الشيء - البحر مثلاً - فإن هذا الشيء يُخْفَى بداخله ويُمنَع ظهوره أو يُنْقَص من ظهوره- فيخفى الألف-.. بخلاف الذى يمر على الشيء (أى بجواره) فهو ظاهر فيظهر الألف.

آثارهم .. آثارهم

﴿أَتْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٠٠)
 الأحقاف { أو أثارة من علم } أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين .. وقرىء
 «أثرة» بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الناء.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (١٠١) المائدة.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ..﴾ (٦) على توليهم على فراقهم.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ذُرْعُونَ﴾ (١٠٢) الصفات. بتقليد الآباء في أصول الدين. (ففى هذه الحالات (الآثار) ليس المقصود بها آثار الأقدام ولكنه المتابعة لهم ، فأصبح الأمر على المجاز وليس على الحقيقة المعلومة لدينا فكُتبت بدون ألف - كما في قوله تعالى (لاتتبعوا خطوات الشيطان) كتبت خطوات بدون ألف لهذا المعنى المجازى حيث أنه لا يقصد خطوات بالمعنى المعلوم من آثار الأقدام. وهكذا في باقى الآيات الشبيهة:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّا قَالٌ مُّتْرَفُوهَا

إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣) الزخرف.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى .﴾ (٢٧) الحديد.

كل هذه الآيات كتبت بدون ألف لأنها آثار على مجاز وليس على الحقيقة ، أو أنها آثار معنوية - كما يفهم من المعنى -.

ولذلك أثبتوها في قوله (فارتدا على آثارهما ..) لأنها آثار أقدامهم على الحقيقة أى نفس طريق سيرهما .

وكذلك قوله : أو آثاراً في الأرض في آيتين بغافر:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ (٢١)

غافر.. فهذه الآثار في الأرض هي آثار مادية وملموسة تركوها في معالم بنيانهم وحرثهم وزرعهم ، فهي أيضاً آثار على الحقيقة وليست على المجاز فكُتبت بالألف .. وهكذا

الآية التالية في نفس السورة: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴾ (٨٢) غافر.. كما يقول أبو السعود وغيره: مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة .

ولكننا نقف هنا وففة مع آية الروم ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم: ٥٠] التي كتبت بدون ألف رغم أنها تتحدث عن الآثار المادية ، ونسأل : لماذا خالفت هذه الآية القاعدة التي ذكرناها ؟ . وللإجابة على ذلك نستعرض ما قاله المفسرون وعلماء القراءات ، ومنهم العلامة أبو السعود ملخصاً في قوله : { فانظر إلى آثار رحمة الله { المترتبة على تنزيل المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار (إذن هي آثار مادية كما يتول السائل أيضاً) ولكنها كتبت بدون الألف (أثـر). لأنه سيقول بعدها: - وقرئ "أثر" بالتوحيد - أي على الأفراد وليس الجمع. وهذا هو السبب العظيم الذي حافظ به الرسم على وجوه القراءات.

حرام .. حَلَلًا

ومعلوم أن الحرام هو الذي وُضِعَ بينك وبينه حاجز (فكتب بالألف).. والحلال هو إزالة هذا الحاجز (فكتب بدون ألف) وإليك البيان كالتالي:

- (١) المسجد الحرام كله بالألف.
- (٢) ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ البقرة: خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ خطوات مجازية تعني أوامره وأقواله ولذلك كتبت بدون ألف
- (٣) المائدة: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨)
- الأنفال: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنَمْتُمْ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٩)
- يونس: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٥٩)

(٢) النحل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ يقول الألوسي: وقال الراغب : الحرام الممنوع منه إما بتسخير إلهي وإما بمنع فهري وإما بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع أو من جهة من يرتسم أمره.

- وكذلك: ﴿ وَحَلَلْنَا لَكُمْ ﴾ (٢٣) النساء.
- (٣) يونس: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا ﴾ (٥٩) .
- (٤) الحج : ﴿ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ ﴿ حنفاء... حُرْمَتِ ﴾ حذف منها الألف لأنها جمع مؤنث سالم كما سنرى أنه يحذف منه الألف للتخفيف ، وهي ليست بمعنى الحرام الذي نبتعد عن فعله بل هي الحرمات التي نتجذب إليها ونأيتها ونحامي عنها (فحذف الألف منها لذلك.

(٥) وبقيت آية الأنبياء ﴿ وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ (أهلكتها؟؟) لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٥٠) التي كتبت فيها كلمة (حرام) بدون ألف - مخالفة للقاعدة التي ذكرناها - لأن لها قراءة أخرى كما نقل الزمخشري: وقرئ: «حرم» و«حرم»، بالفتح والكسر .
وحرم وحرم .

ملحوظة: كلمة (أهْلَكْنَاهَا) قرئت (أهلكتها) .

أموتاً وأحياء

(١) البقرة: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَهْلًا لَهَا قَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٠٩) دائماً (أموتاً) بدون ألف، وهذا مناسب لمشهد الموت والهمود، ولذلك سيكون السؤال عن الإحياء (بالألف وبدون ألف).

(٢) الحج (وهو الذي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾) (إحياء لم يسبقه موت) .

(٣) المائدة: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾... ﴾ يقصد من أحيائها أى: (لم يقتلها) ، فهو ليس بالإحياء الذى يسبقه عدم أو الذى يسبقه لفظ الموت كما فى الآيات الأخرى المحذوف منها الألف (أحيها).

(٤) فصلت: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (هنا ضرب مثل بإنبات الزرع على إحياء الإنسان ويريد منك أن تركز على المشهد الفعلى لعملية الإحياء بعد الإماتة للأرض لتعلم (إن الذى أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وليس هناك موت على الحقيقة للأرض سبق ذلك الإحياء.

(٥) البقرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (١٠٤) (هنا إحياء سبقه موت بالحقيقة وليس بالمجاز) .

(٦) الأنعام: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مَبْهُتًا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٧) (إحياء معنوى بالمجاز) أى جعله مؤمناً بعد أن كان كافراً) وليس بالحقيقة (وموت) معنوى يسبق الإحياء.

(٧) يس: ﴿وَأَيَّةٌ هُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ أَحْيَيْتُمْهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٧﴾﴾
 ... كل هذه الآيات التي بدون ألف يسبقها العدم (موتو . وميتا) والهدف هنا هو لفت
 النظر إلى تعداد النعم - في إحياء الأرض - للشكر عليها. وليس بغرض النظر إلى فعل
 الإحياء والقدرة عليه ؛ بخلاف آية فصلت التي تقول: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتَى
 إِلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو دليل (القدرة) على الإحياء لطلب الإيمان.

(٨) الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.. هنا لا يقصد عملية الإحياء بعد
 الموت (أى الفعل) ولكنه يقصد المقارنة بحالة الموت وحالة الإحياء كل على
 حدة.. وتشخيص الحالة كما هي.

الزمنخشي: والمعنى: إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا ، وأن يستووا مماتاً؛
 لافتراق أحوالهم أحياء . حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات ، وأولئك على ركوب
 المعاصي . ومماتاً ، حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله
 ورضوانه ، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم . وقيل : معناه
 إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة ، لأنَّ المسيئين والمحسنين مستو محيائهم في
 الرزق والصحة ، وإنما يفترون في الممات ، وقيل : سواء محيائهم ومماتهم : كلام مستأنف
 على معنى : أن محيا المسيئين ومماتهم سواء ، وكذلك محيا المحسنين ومماتهم : كل يموت على
 حسب ما عاش عليه.

(٩) الأنعام: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾﴾
 {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} وما آتية في حياتي ، وما أموت عليه من الإيمان والعمل
 الصالح..(نفس ما سبق: لا يقصد عملية الإحياء والإماتة التي نعلمها(أى: الموت
 بالتحلل وبعده الإحياء بالبعث)، بخلاف الإحياء الذي يسبقه مشهد الموت الحقيقي فإنه
 يكتب بالألف كما سبق.

الخاطئون .. الْخَاطِئُونَ

(١) الخاقعة: ﴿وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴿٣٦﴾ .. لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (خطايا كثيرة
 وعامة وغير محددة أو مخصصة وخطاب بالغبية) فكبت بدون ألف.

(٢) يوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٥١﴾﴾

تعريف لها، وقد سبق إقامة البرهان والدليل على خطئها (وشهد شاهد ..) وخطاب مواجهة (ومباشر وفيه إظهار الألف).. وفاحشة معلومة ومحددة (تخصيص).. والخطاب للمرأة بصيغة: (إنك كنت من الخاطئين ، ولم يقل من الخاطئات كما هو متوقع) وهو على النبرة وكأنها فعلت الفاحشة بالصورة القوية والعننية التي يفعلها هكذا الرجال... والخطأ هنا هو الفاحشة المعلومة والمحددة وهو الزنا .. لكل هذه المعاني ظهر الألف.

(٣) يوسف: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ (٩١) يوسف (ربما هم يريدون أن يعوموا جريمتهم ، وهم يريدون أن لا يشيروا إليها بالتحديد ، ويقولون أنهم أخطأوا إليه أخطاء كثيرة . ويلاحظ فيها أيضاً مشهد (الانكسار) - بإظهار التوبة - وما يناسبه من انخفاض الصوت. وهم يعترفون على أنفسهم ويطلبون العفو؛ بخلاف الآية السابقة فهو اتهام لامرأة العزيز، ومن الغير لها، وتعنيف لها، (وليس فيه انكسار منها). والانكسار أيضاً نلاحظه في الآية التالية:

(٤) يوسف ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِيئِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾

(٥) القصص: ﴿ إِنَّ لِرَعُونَ وَهَامَانَ وَجُودَهُمَا كَانُوا خَاطِيئِينَ ﴾ (٨) ﴿ خطايا كثيرة ومتنوعة وليست واحدة ومحددة وخطاب لهم عن طريق الغيبة وليس المخاطبة المباشرة لهم (فعبث الألف).

إذن لو كانت الخطيئة محددة ومعلومة وعليها التعنيف (يكتب الألف) وعكس ذلك يسير على قاعدة الحذف للعموم والانكسار.



من جهنم مهاد . الأرض مهيداً

الأرض مهدا .. وفي آية أخرى عند الحديث عن جهنم يقول: جهنم وبئس المهاد .. (لاحظ مهاد الأرض غير مهاد النار - حتى في رسم الكلمة - .. فمهاد النار لا يهدأ ولا ينام عليه (فوضع الألف) بخلاف مهاد الأرض ففيه الهدوء والقرار (فحذف الألف).

﴿ .. أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿١٠٠﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿١٠١﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ النبأ . ويقول الزمخشري: { مهادا } فراشاً . وقرئ «مهدا» ومعناه : أنها لهم كالمهد للصبي : وهو ما يمهده له فينوم عليه . ولاحظ ظهور الألف في (أوتادا) وهو من الدقة في التصوير برسم الكلمة . ولاحظ أنه إذا تحدث عن عمق الجبال داخل الأرض لإحداث التوازن قال (الجبال

روسى: وَجَعَلَ فِيهَا رُؤَوسَ مِن فَوْقِهَا ﴿١٤٦﴾ فصلت (رُؤَوسِ) بدون ألف ، شارحا الحقيقة العلمية التي لم يعلمها العلم الحديث إلا أخيراً من أن ثمانين في المائة أو أكثر من حجم و ثقل الجبال مخفي في باطن الأرض (يحدث الاتزان فقال "روسى" بدون ألف ظاهرة)، وكان العلم يظن أن الجبال التي نراها هي مجرد تعرج في القشرة الأرضية فقط وما كانوا يعلمون عن عمقها الذي في باطن الأرض الذي هو (كالوتد- أوتادا).
 فإذا تحدث عن الظهور للجبال قال (أوتادا) وإذا قصد التوازن قال (روسى) بدون ألف لأننا لانشعر به وهو غير ظاهر إلا بالفكر والعلم.

دَخِرِينَ

(١) ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفِرْعَ مِن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَخِرِينَ ﴾ ﴿١٤٧﴾ النمل. يقول أبو السعود: { داخرين } أي صاغرين . وقرى دَخِرِينَ ويقول الألوسى: وقرأ أكثر السبعة أتوه اسم فاعل { داخرين } أي أدلاء ، وقرأ الحسن والأعمش دخرين بغير ألف ((ونلاحظ أنه يصف حالهم من البداية بأنهم مستسلمون ولم يصف جبروتهم و طغيانهم فهم في الموقف متساوون جميعاً في الضعف والذلة والاستسلام الذي يناسبه حذف الألف من الكلمة)).

(٢) ﴿ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ ﴿١٤٨﴾ أوءِ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿١٥٠﴾ الصافات.. هنا مشهد استبعاد البعث لهم وآبائهم بعد أن أصبحوا شيئاً مهيناً وفي غايه الضعف والبعد (تراباً وعظاماً) فجاء الرد عليهم ب(قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ) وحذف الألف هنا في غاية التناسب.

(٣) ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَخِرُونَ ﴾ ﴿١٥١﴾ النحل. { وَهُمْ داخرون } حال من الضمير في ظلاله ، لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل ، وجمع بالواو ، لأن الدخور من أوصاف العقلاء ، (إذن فهنا الحديث عن دخو غير العقلاء وفيها يكون الوصف على المجاز وليس على الحقيقة، وهنا يحذف الألف)... أي : ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقاداً لله ، غير ممتعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ ، والأجرام في أنفسها داخرة أيضاً ، صاغرة منقاداً لأفعال الله فيها ، لا تمتنع .

هذه الثلاث آيات فيها صورة الإستسلام والتصغير والطوعية دون رسم صورة التكبير والإستكبار أو الوعيد بجهنم في الآيات قبلها .. ولذلك تم تصغير وانكماش الكلمة بحذف حرف الألف).. كما أنها تتحدث عن عموم الخلائق ، أو عموم الكافرين المجادلين (أقوياء وضعفاء دون تفرقة بينهم) بخلاف الآية التالية: (٤) * غافر ﴿. وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٥) . هنا الحديث خاص عن فئة محددة (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)..، وهنا نلاحظ ظل الإستكبار (يستكبرون) والوعيد من الله (سيدخلون) وصورة (جهنم) مما يستدعى علو النبرة كما يرسمها حرف الألف .. لأنه يرسم الصورة والصورة المقابلة بتناسق عجيب .

(إذن : فئة مخصوصة - تخصيص - وعلو نبرة، فأظهر الألف).

الداع

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) البقرة (قالوا أنه يشير إلى أن الداعي يدعو لنفسه بسرعة ، ولكني أريد أن يكون حذف الألف إشارة إلى طلب الدعوة القلبية وأن الله يستجيب الدعوة القلبية الخالصة من القلب وليست الدعوة باللسان فقط ولذلك حذف الألف)

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكَرٍ﴾ (٦) ... مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ (٨) . هنا واضح ملحظ الحذف لسرعة الحدث الذي سيخبرنا عنه الزر كشي والمراكشي . مع ملحظ الغيبة .

الداعي

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨) هنا يصور جو السكون كما في قوله: - وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا - ولا يركز على جو العنف والسرعة... بخلاف قوله: (فتول عنهم يوم يدع الداع) ففيه ما فيه من مشهد السرعة حتى في هذه الكلمة وهذا الأمر (فتول عنهم). بخلاف الدعوة الهادئة من الداعي في الدنيا مثل:

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ .

فهنا واضح فيها أن الدعوة كلها باللين والهدوء .

فَأَذَاقَهَا اللَّهُ.. أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل..)

أرى أن حذف الألف من (فَأَذَاقَهَا) ليعين أنه ذوق مجازي - وهو مركب في صورته كما سنرى - وليس بالذوق الحقيقي الذي نعلمه من تذوق الطعام والشراب أو سائر السنعم والابتلاءات وخاصة السياق الذي يرسم هذه الصور المجازية في هيئة (لباس) الجوع والخوف. حيث جعلهما لباساً أيضاً.. ولذلك تكتب الكلمة على خلاف العادة - بحذف الألف - كما سنرى أمثلة ذلك كثيراً في رسم المصحف على هذا المنوال...

ويقرب إلينا تفسير الظلال هذا المعنى في قوله: ويجسم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباساً؛ ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقاً (تصوير مركب).. (واضح أن لصوق حروف الكلمة ببعضها - دون وجود حرف الألف الفاصلة - تصور هذا المشهد التصويري خير تمثيل، وأقول مضيفاً: أنه قال "لباس" الجوع و.. ولم يقل "ثياب" .. حيث أن جرس كلمة "لباس" - المناسب لمعاد - هو شدة اللصوق أيضاً، واللباس هو الذي يوارى السوء (أى العورة)، بخلاف الثياب الذي هو كالعباءة أو غيرها من الثياب الخارجية، ولذلك يقول ربنا في كتابه الحكيم المعجز: في الثياب: حين (تضعون) ثيابكم .. ولكنه يقسول في اللباس: (يترع) عنهما لباسهما.. ولك أن تتخيل المعاني والصور وراء النطق والنصور لكلمة (يترع).. وهنا أدعو القارئ ليراجع النص ويتأمل التناسق المبهر بين لصوق (اللباس)، وبين لصوق حروف الكلمة (أذوقها) هنا بدون الألف الفاصلة.

وهنا نكرر بأن سياق هذه الآيات جاء في الثوب المجازي بالصورة المركبة؛ حيث صور الجوع والخوف باللباس، وصور اللباس بشيء يذاق.. وكما قلنا أنه ذوق مجازي (ذوق "لباس" الجوع والخوف) وليس ذوق حقيقي، وأنه إذاعة غير الإذاقات العادية التي في الآيات التالية التي كتبت على حقيقتها (بالألف) .. وليتأمل ذلك القارئ:

(٢)* ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ (رَحْمَةً) إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾ الروم... والرحمة كثيرة ومنها الأكل والشرب، وكافة النعم. والصورة التشبيهية (غير مركبة).

(٣)* ﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦) ﴾ الزمر { فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ

الخرى { أي الذلّ والصّعار } في الحياة الدنيا { كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ونحو ذلك من فنون التكال والصورة التشبيهية غير مركبة. ولك أن تراجع وتدق الفرق بين هذه التعبيرات وقوله تعالى ((فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ)) وتحاول أن تستبدلها بقولك (فأذاقها الله الجوع) بدون كلمة "لباس" لنعلم الفرق بين السياقين ورسم الكلمة، وتعود وتساءل: لماذا حذف الألف من الأولى ووضعه في الثانية؟



لاحظ: ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٥١)
 .. (الحديث هنا "لمحمد" ((ﷺ)) ولا يريد قوة تأكيد الإذاقة عليه - وهو الحبيب - بخلاف قوله عن عامة البشر: وإنكم لئذ لتفرون العذاب .. حيث وضع فيها الألف لأن الآية وضعت لإظهار صورة القسم والتوكيد لغير محمد ((ﷺ))... وهكذا قوله: لذائقون))،
 لكن أذقنسه نعماء بعد ضراء.. هنا إذاقة النعماء وليس الضراء أو المصائب (فلهذا اللين في مشهد النعماء حذف الألف).. ولا يغيب عن بالنا أن هذه الآيات التي حذف منها الألف (مقرونة بنون الجمع ومضاف إليها الضمير .. وهذا يجيز حذف الألف دائماً للتخفيف كما قلنا) أما: كل نفس ذائقة الموت (فلأنه يصور غلبة الموت - التي لا يهرب ولا ينجو منها أحد وهي واقفة للجميع بالمرصاد - ، إضافة إلى علوه مع علو النيرة والتوكيد ، وأن كل نفس ستذوق الموت مادياً ومعنوياً). وهناك ملحظ آخر يشير إليه العلامة أبو السعود وهو: وقرئ (ذائقة الموت) بالتثنية وعدمه. والتثنية هنا يفرّد الكلمة ويزيدها توكيداً. وفي الخبر «أكثرها ذكر هادم اللذات»..

رَأَى..... رَأَى

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا..... فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ نَسًا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكْرَهُمْ..... لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ..... فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدَّ مِنْ دُبُرٍ.. وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ (٨٥) النَّحْلَ... وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا (٨٦) . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا..... وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ (١٨) وهكذا رَأَاهُ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقْرَأً عِنْدَهُ قَالَ .. ((وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةَ أُخْرَى (١٣) وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ (٢٣) (أى رَأَاهُ نفس الرؤية الأرضية الأولى)). أن رَأَاهُ اسْتَعْنَى.. فَرَأَاهُ فِي سِوَاءِ الْجَحِيمِ ، رَأَاهَا ، أَرَأَيْتَكَ ، أَرَأَيْتَكُمْ أَرَأَيْتُمْ.. نرسك

كل هذه الكلمات على هذه الصورة ؛ من أن الهمزة ليست مرفوعة على ألف ، بل هي على السطر " رءا، رءاه " لتناسب الرؤية الأرضية التي كانت على الأرض، إلا رؤية الحبيب محمد (ﷺ) في الملكوت الأعلى وهو عند سدرة المنتهى - وليست الرؤية الأرضية- فهو عند سدرة المنتهى ويرى بجسده (الديني) - وليس الأخرى- هذه الرؤى الملكوتية العلوية التي كتبها الرسم القرآني بالهمزة (المرفوعة) على الألف هكذا "رأى": مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١). لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى.. (فرع الهمزة يناسب الرفع في السماوات العلى، مع إضافة الياء الملكوتية (ى) - رأى - في نهاية الكلمة .. بخلاف الرؤية الأرضية في الآيات الأخرى التي كتبت بالألف (راء) وبدون الياء الملكوتية (ى). أو الوية في جهنم بالجسد الأخرى.

فما أروع وما أهر هذا الإعجاز.

والرؤية الأخرى بالجسد الأخرى - وليس بالجسد الديني كحال رؤية الحبيب محمد (ص) - تختلف .. وكتبت : رءا (فهي رؤيا أخرى بجسد آخرى فلا اختلاف إذن يستدعى وضع الألف).

(٤) النحل: ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (٨٥) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ لَأَقْفُوا إِلَيْهِمْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٨٦). .. هم في الآخرة ويرونها بالجسد الأخرى. بخلاف قوله:

(٧) النجم: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) ... لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (١٨) .. وهو (ﷺ) وهو بالجسد الديني وقد رأى الله والجنة والآخرة ؛ أى: رأى عالم الغيب وهو في عالم الشهادة ولكنه كان مرفوعاً إلى المقام العالى عند سدرة المنتهى ولذلك كتبت الكلمة بهذه الصورة المخالفة (رأى) برفع الألف.

ر آه رءاه

(١) ﴿ فَلَمَّا رءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ (٤٠) النمل.

(٢) ﴿ وَلَقَدْ رءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (١٣).

(٣) ﴿ وَلَقَدْ رءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ (٢٣) التكوير.

(٤) ﴿ أَنْ رءَاهُ اسْتَعْفَى ﴾ (٤٠).

﴿ وَإِذَا رءَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣٦) الأنبياء .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أٰجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمُ كَالَّذِينَ أَنٰمُوا يَضْحَكُونَ { كانوا من الذين آمنوا يضحكون } ظاهر في أنه حكاية كون ماضي ، وكذلك معطوفاته من قوله : «وَإِذَا مَرُوا ، وَإِذَا انْقَلَبُوا ، وَإِذَا رَأَوْهُمُ» فدل السياق على أن هذا الكلام حكاية قول يُنادي به يوم القيامة من حضرة القدس على رؤوس الأشهاد ، يعكى حالهم (التي كانوا عليها في الدنيا) ، واستكبارهم الشديد الذي رسمته نصوص الآيات (إن الذين إجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ... فالحديث من الأحره ويعكى حالهم في الدنيا) وواضح الاختلاف الشديد بين الحالين وبين الدارين استدسي وضع الألف) ... كما في قوله (أتنا) ، (وأعنا) .. إضافة إلى إرتفاع الهمة (رأوهم) ليعبر حال إرتفاعهم على المؤمنين (في الدنيا الذي يختلف عن الأحره) الذي رسمته الآيات السابقة.

يرجوا

يرجوا .. جميعها بالألف وجميعها (يرجوا رحمة ربه ، ويرجوا لقاء ربه ، ويرجوا الله) .. ومعلوم أن الكلمة إذا زادت في المبنى زادت في المعنى وهو التفخيم لهذا الرجاء الذي ليس رجاءً لدنيا أو عرض زائل سريع الزوال ولكنها رجاء قوي ودائم.

رَضَوْنَ .. مرضات

لاحظ:

- (١) ﴿أَفَمَن اتَّبَعَ رَضَوْنَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ >> ﴿١٦٦﴾ آل عمران.
 - (٢) ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رَضَوْنَ اللَّهِ (١٧٤) آل عمران.
 - (٣) ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رَضَوْنَ اللَّهِ .. (٢٧) الحديد.
 - (٤) ﴿قُلْ أَوْبِيئِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) آل عمران.
 - (٥) ﴿يُسِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) .
 - (٦) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٦﴾ التوبة.
- ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ...﴾

﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ (٢)
 ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)﴾

*** كل "رضوان" بدون ألف فهذا - الرضوان - آت مباشرة من الله ولاياتي إلا من الله

(جهة السماء) ولا يصح أن يقال يتغى رضوان العبد،

والأمر الثاني هم يطلبون أن (يرضى الله عليهم).

ولكن في (مرضات) هم يفعلون أعمالاً (أرضية) ويريدون (أن يرضوا هم الله).. مع ملاحظة أن رضوان الله أسرع وأجمع .. والمرضات (خاصة بعمل ما ينتظرون عليه النتيجة)

ويجب أن يسأل عن فتح التاء فيها (مرضات) ولماذا لم تكتب (مرضاة)؟ وسنجيب على ذلك في خلال بحثنا هذا.

ونعود لسرد الآيات عن "مرضات":

(١) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٠٧)
 يقول الطاهر: .. والمعنى ومن الناس من يبدل نفسه للهلاك ابتغاء مرضاة الله أي هلاكاً في نصر الدين وهذا أعلى درجات الإيمان ، لأن النفس أغلى ما عند الإنسان .

الألوسي: { ابتغاء مرضات الله { أي طلباً لرضاه ، فابتغاء مفعول له ، ، وكتب في المصحف بالتاء ووقف عليه بالتاء .. وأكثر الروايات أن الآية نزلت في صهيب الرومي رضي الله تعالى عنه^٣.

وفي الكواشي أنها نزلت في الزبير بن العوام وصاحبه المقداد بن الأسود لما قال عليه الصلاة والسلام : " من يتزل خبيباً عن خشبته فله الجنة " فقال : أنا وصاحبي المقداد وكان خبيب قد صلبه أهل مكة وقال الإمامية وبعض منا : إنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه حين استخلفه النبي (ﷺ) على فراشه بمكة لما خرج إلى الغار.

(٣) فقد أخرج جماعة أن صهيباً أقبل مهاجراً نحو النبي (ﷺ) فاتبعه نفر من المشركين فترل عن راحلته ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه ثم قال : يا معشر قريش ، لقد علمتم أنني من أركامكم رجلاً؛ وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم . فقالوا . دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك ، وعاهدوه إن دهم أن يدعوه ففعل ، فلما قدم على النبي (ﷺ) قال : " أبا يحيى ربح البيع ربح البيع " وتلا له الآية . وعلى هذا يكون الشراء على ظاهره بمعنى الاثراء .

ويقول أبو حيان: وفي قوله: { ابتغاء مرضات الله } إشارة إلى حصول (أفضل) ما عند الله للشهداء ، وهو رضاه تعالى .

((وواضح من هذه الروايات أنها نزلت في أعلى الصحابة منزلة وجهاداً ، والذين قدموا لله أغلى ما عندهم لنيل أعلى درجات الرضا من ربهم ، وهم السابقون ابتغاء مرضات الله)) ولذلك يقول الإمام البقاعي: { مرضات الله } أي رضى المحيط بجميع صفات الكمال وزمان الرضى ومكانه بما دل عليه كون المصدر ميمياً ، ويكون ذلك - الرضى - "غاية في بابه" بما دل عليه من وقفه "بالتاء الممدودة" - يقصد المفتوحة في "مرضات" - لما يعلم من شدة رحمة الله تعالى به .

ويقصد بالمصدر المسمى أنه هو المصدر المبدوء بميم زائدة (مثل: "مرضات")، ولولاه

ويكون ذلك غاية في بابه ، أى : بلوغ غاية الرضا وكمالها في كلمة "مرضات"

(٢) ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٦٥)

ويقول البقاعي: قال الحرالي : والمرضاة مفعلة "لتكرار الرضى ودوامه" ((فهم يطلبون أعلى درجات الرضا ودوامها وهو (التكرار والدائم) .

ومن هنا نضيف إضافة أخرى لما سبق وهو أنه يوجد مشهد المبالغة ، والتكرار ، في "مرضات" ، وكلاهما يستدعى وضع الألف وليس حذفها .

(٣) ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤) .. لاحظ الأفعال منهم مقدمة على طلب "المرضات" من الله مثال: إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ .. وعلى الوصف المقتضى للرحمة... بخلاف (رضوان) فهو ثواب من الله أو وعد منه لهم (عام للمؤمنين والمتقين) على صفة (العموم) في أفعالهم دون تخصيص وتركيز عليها .

(٤) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَّا لَكَ فِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(١) .. لاحظ هنا لم يقل (تبينغى رضوان أزواجك) وهو جلب رضا الأزواج .. ولعل التسمُّع لجرس (صوت) الكلمة وترديدها - (رضوان) - يعطى للسامع إحساس النعومة وعلوية الكلمة ، وخاصة نهايتها (..وان) ، بخلاف (مرضات) التي فيها من جرس الحركة الصاحبة (الذي تشير إلى صوت الأفعال الأرضية من العبد) حتى في داخل الكلمة ومن بين شروطها ..

فالرضوان من الله (بدون ألف) للمعاني السابقة، والمرضات لا بد معها من تصوير فعل للعبد لنيل مرضات الله (إذن بالألف).

وربما الوقوف منا على الآية: (تبتغي مرضات أزواجك) - والتي لا يصح بدلا منها قولنا (تبتغي "رضوان" أزواجك) - هذه الكلمة ينفر اللسان من ذكرها على هذه الصورة - . والتأمل في ذلك التعبير يعطينا الإحساس بالفرق بين الكلمتين وبالجانب الأرضي في كلمة (مرضات)، ولعل ذلك النص وهذا الإحساس يفتح فتحاً آخر لفهم ذلك الفارق بين الكلمتين .

والنبي (صاحب الخلق العظيم) لا يتبغى رضا أزواجه مرة واحدة أو إرضاءً عابراً ، ولكنه يفعل ويكرر الفعل ويتبغى تكرار رضاهم ودوامه (مرضات) - والمبالغة مع التكرار يستدعي وجود الألف - ، ولذلك يقول الإمام البقاعي: { تبتغي } أي تريد إرضاء عظمة من مكارم أخلاقك وحسن صحبتك { مرضات أزواجك } أي الأحوال والمواضع والأمور التي يرضين بها، وهن أولى بأن تبتغين رضاك ، وكذا جميع الخلق ، لتفرغ لما يوحي إليك من ربك ، لكن ذلك للزوجات أكد .

((ولاحظ قوله "المواضع والأمور التي يرضين بها" التي يناسبها المصدر الميمي - مرضات - كما قلنا .

والملاحظ: أن كلمة ابتغاء مرضات وردت في الآيات التالية: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ.. وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ... إِنْ مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا... ﴾ . . . لاحظ : الرهبانية ليست فعل وحرارة بل هي سكون وتعطيل الحركة والانعزال عن الحياة. وهي أمر روحي خالص (فكتبت بدون ألف)، مما يؤكد أن الرضوان أمر غير محسوس - تلمسه - حتى في صوت الكلمة - (والرضوان من الله فقط - ملكوتي فقط يحذف منه الألف -). وهم يطلبونه من الله عليهم ، بخلاف "مرضات" فهي بعمل أمور محسوسة من العبد ، ويجوز طلبها من الله ومن العبد - مثل نساء النبي - .

شعائر - شعائر

(١) ﴿ إِنَّ الصَّافِيَّ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا .. ﴾ (١٥٨) . هذه الآية وحدها هي التي فيها التخصيص وليس التعميم - كما سنرى - ولذلك كتبت بالألف . إضافة إلى رأي آخر وهو : أنها شعيرة ثابتة غير متحركة أو متغيرة (فهما جبلان "الصفا والمروة") وهما علم ثابت ونحن نطوف حولهما .

الأمر الثاني : أن هذه الآية وردت في سورة البقرة في سياق الحديث عن تولية الوجوه والأجسام إلى القبلة، (تولية جسدية مادية إلى قبلة مادية) وكيف هو لها أعداء الدين واستجاب لهم ضعاف الإيمان واليقين ، وقد تحيلوا أن الإيمان هو (التحويل الجسدى والشكلى) إلى هذا المكان أو ذاك ، فرد الله عليهم في ذلك وقال لهم إن التوجه لأى مكان ما ليس لقدسية هذا الاتجاه المادى ولكن الله موجود فى كل مكان مادى ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١١﴾ ﴾ فالآيات تتحدث عن تولية الوجوه والأجساد وأما توليها لهذا المكان (المسجد الأقصى) أو (المسجد الحرام) أو فى أى مكان فإن الله المشرق والمغرب (من الأماكن المادية) فلا حرج من تولية الوجوه والأجسام (المادية) هنا أو هناك ..

إضافة لذلك أنه كان فى ذلك الوقت يوجد أصنام للمشركين على جبلى الصفا والمروة فتخرج المسلمون من الطواف بهما خوفاً من هذه الأصنام فتزل قول الله تعالى بإباحة الطواف (الجسدى) بالصفا والمروة ، وقال لهم لاجنح عليهم فى ذلك: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . وطالبهم بالتوجه الجسدى إليهما.. وهذا السياق بهذه الصورة والتركيز على المعنى المادى الظاهرى الذى هو موضوع جدال هذه الآيات المحيطة يجعلنا نفهم لماذا وضع الألف فى كلمة (شعائر). وذلك بخلاف السياق فى آيات سورة الحج الذى يتحدث عن عموم الشعائر - أى كل شعائر الحج من الاعتكاف والطواف والهدى وباقي النسك (أى ملحظ العموم) - وليس عن شعيرة خاصة - وأيضاً عن التوجه (القلبى) وليس المادى والجسدى - ففى الحج: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ..

والأمر الثانى هو أن الحديث عن هذه الشعائر فى الآيتين فى سورة الحج عن الحديث القلبى وليس المادى كما قلنا - حتى فى تقديم الهدى - حيث قال بعدها ﴿ لَنْ نَبَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ نَبَالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ . فالحديث عن الشعائر هنا (حديث للوب ، وحديث عام وليس خاص بشعيرة واحدة) وإليك السياق:

﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعِكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ .. ﴾ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عَمِيقٍ ﴿١٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ لِنَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِنُؤْفِقُوا نَذْوَهُمْ وَلِنُطَوِّفُوا بِاللَّيْلِ الْعَتِيقِ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٠﴾ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقَاوِبِ ﴿٢٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَفِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَيْهِمْ كَرُّهُمُ إِلَهُ ۗ وَحَدِّ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْبِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۗ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۗ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ لَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنْ يَسْأَلُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۗ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾

ومثلها آية سورة المائدة:

(٢) ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَاءَ مَنْ ءَابَيْتَ الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ ﴿١﴾ حديث عام - عن الشعائر عامة - وابتغاء رضوان الله. والإحلال والتحريم عمل قلبي وفكري قبل أن يكون سلوك مادي. بل هو أعم من ذلك. فهو عام أيضاً وليس خاص، والشعائر المقصودة هنا عامة أيضاً، كما يقول الطاهر: وقد كانت الشعائر كلها معروفة لديهم، فلذلك عدل عن عدّها هنا. وهي أمكنة، وأزمنة، وذوات؛ فالصفا، والمروة، والمشر الحرام، من الأمكنة... والشهر الحرام من الشعائر الزمانية، والهدي والقلائد من الشعائر الذوات. فعطف الشهر الحرام والهدي وما بعدهما من شعائر الله عطف الجزئي على كليّة للاهتمام به (إذن هذه الشعائر لها صفة العموم التي يهدف لها الألف).

والخلاصة أنه في سورة البقرة توجه لشعيرة خاصة وثابتة والتركيز على التوجه الجسدي والمادي، وفي سورة الحج والمائدة توجه قلبي والحديث عن شعائر عامة ومتغيرة.. وقلنا دائماً أن حذف الحرف أو إضافته هو إشارة للفت الإنتباه لأمر غير الأمر الظاهر أو المتوقع، ويساعدنا في ذلك سياق الآيات بل وجو السورة كلها.

ساحر.. ساحر

الساحر دائما تكتب بدون ألف إلا في ثلاث آيات سنرجي الحديث عن خصوصيتها في آخر العرض للآيات، ولكن الذي نلفت إليه في بداية البحث هو: أنه إذا كان الساحر واحداً (كموسى) - كما يدعون عليه - وكان لأمة واحدة (كقوم فرعون)، (أو محمد ﷺ) مع قومه قريش، كتبت "ساحر" بدون الألف؛ كأنها رمز للتجانس بينهم دون التفرقة التي تحدث بتعدد الأمم وتعدد الأنبياء.

والملاحظة الثانية - في التي كتبت بدون ألف - هي: تعدد القراءات لها، والتي يباسيها حذف الألف. - كما تعودنا.

والملاحظة الثالثة هي: نظرة التحقير أو التكذيب لهذا النبي - الساحر كما يدعون - فيوضع الألف .. وبيانه كالتالي:

(١) ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٨﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٠﴾ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١١﴾ الأعراف. يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ، وقرئ: «سحار».

(٢) ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٦﴾ يونس.. يقول أبو السعود: ، وقرئ سحار.. ويقول الألوسي: وقرأ حمزة والكسائي (ساحر).

(٣) ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا لَسَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٠٤﴾

ص. يقصدون النبي محمد (ﷺ)، مع الأمة الواحدة وهي قريش).

(٤) ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَاْفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ يونس. (أيضاً هو النبي محمد، ولأمة واحدة هي قريش).

(٥) ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْعِنَ وَقَنُوزَ فَقَالُوا لَسَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿١١٤﴾ غافر.

(٦) ﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰنٍ مُبِينٍ ﴿١٠٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿١٠٩﴾ الذاريات.

(٧) ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ الأعراف.

(٨) ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ سَوَّلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ الشعراء.

(٩) ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ طه (كلها عن موسى ولأمة واحدة هي قومه بنو إسرائيل)

وذلك بخلاف الآيات التالية التي كتبت ساحر بالألف:

(١) ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٥٢)

الذاريات.. هنا النبي الذي ادعوا عليه أنه ساحر ليس نبي واحد لأمة واحدة - كدوسى لقوم فرعون ، أو محمد (ﷺ) لقريش - ولكن الحديث هنا عن أنبياء متعددين (كل على حدة ، وعلى تباعد بينهم في الزمان والمكان) ولأمم عديدة ومتفرقة ، وبعيدة زماماً ومكاناً عن أختها) -- مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ -- فلذلك وضع الألف الفارقة في كلمة (ساحر) إشارة إلى هذا المعنى ، بخلاف باقى الآيات السابقة التي تتحدث عن رسول واحد (موسى) لأمة واحدة متجمعة هم بنو إسرائيل ،

(٢) ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦٩). يقول الزمخشري: وقرئ: «كيد سحر» بمعنى: ذي سحر ، أو ذوي سحر . أو هم لتوغلهم في سحرهم كأهم السحر بعينه وبذاته .. ((وهنا لانسأل : لماذا حذف الألف في هذه الجزئية من الآية - كيد سحر - وذلك لتناسب القراءتين))

ويكمل الزمخشري: فإن قلت : لم وحد ساحر ولم يجمع؟ - لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ - قلت : لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية (أى جنس الساحر، أى ساحر) لا إلى معنى العدد ، فلو جمع ، لخليل أن المقصود هو العدد . ألا ترى إلى قوله : { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ } أى هذا الجنس . فإن قلت : فلم نكر أولاً (كيد سحر) وعرف ثانياً (لايفلح الساحر)؟ قلت : إنما نكر من أجل تنكير المضاف ، لا من أجل تنكيره في نفسه .. كأنه قيل : إن ما صنعوا كيد سحري .. وقوله: { حَيْثُ أَتَى } كقولهم : حيث سير ، وأين سلك ، وأينما كان .

((وهنا أضيف على قوله: إن ما صنعوا كيد سحري.. وأقول تكملة لشرح هذه الآية : ولايفلح فاعل هذا السحر حيث أتى (ولهذا وضع الألف في كلمة (الساحر) النانية- ولايفلح الساحر - لأنه ليس لها معنى آخر سوى الرمز للشخص نفسه (الساحر) - ولقصد الجنس أيضاً كما ذكرنا - فلا يصح القول : ولايفلح السَّحْرُ حيث أتى" ، لأن "الإتيان" وصف للشخص الساحر وليس للسحر نفسه، ولو كان للسحر نفسه لكان يمكن أن يقال: ولايفلح السحر حيث وقع أو كان).

ولذلك يقول المفسرون: .. ، أي لا يَنْجَحُ الساحر حيث كان ، لأن صنعته تنكسف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثر بها . وتعريف { الساحر تعريف الجنس لقصد الجنس المعروف ، أي لا يفلح بها كل ساحر . (أي الشخص الساحر أياً كان) .
 وقرأ الجمهور { كيد ساحر بألف بعد السين . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف كيد سحر بكسر السين ((نلاحظ هذا التعدد في القراءات للفقرة الأولى من الآية (كيد سحر)) ، بخلاف قوله: لا يفلح الساحر فليس لها إلا قراءة واحدة.. وهذا من روائع وإعجاز الرسم في النص القرآني المبهر)).

**والآية الثالثة التي وضع فيها الألف هي بهدف التعظيم لموسى، لأن وصف الساحر كما يقول علماء اللغة لها المعنى المذموم وأيضاً لها المعنى الممدوح بحسب زمان وهيئة القوم ، وهي في الآية القادمة للتعظيم وهي:

(٣) ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (٤٩) ﴿ الزخرف (النداء هنا للتعظيم والتملق وإظهار موسى بصفته ؛ التي هي أيضاً للتعظيم - أيها الساحر- ، وسرعة النطق بحرف النداء "أيه" للقربى والزلفى ، ولم ترسم "أيها" التي فيها البعد حتى في طول حروفها).

ويقول الطاهر: والمعنى : ولما أخذناهم بالعذاب على يد موسى سألوه أن يدعوا الله بكشف العذاب عنهم . ومخاطبتهم موسى بوصف الساحر مخاطبة تعظيم تزلفاً إليه لأن الساحر عندهم كان هو العالم وكانت علوم علمائهم سحرية ، أي ذات أسباب خفية لا يعرفها غيرهم وغير أتاعهم ، ألا ترى إلى قول ملاً فرعون له { وابعث في المدن حاشرين يأتونك بكل سحر عليم } [الشعراء : ٣٦ ، ٣٧] . وكان السحر بأيدي الكهنة ومن مظاهره تحييط الموتى الذي بقيت به جثث الأموات سالمة من البلى ولم يطلع أحد بعدهم على كيفية صنعه . وقرأ الجمهور { يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ } بدون ألف بعد الهاء في الوصل وهو ظاهر ، وفي الوقف أي بفتحة دون ألف .. وقرأه أبو عمرو والكسائي ويعقوب بإثبات الألف في الوقف . وقرأه ابن عامر "بضم الهاء" "أيه" في الوصل خاصة .. فحذفت الألف في رسم المصحف رعيّاً لقراءة الجمهور والأصل أن يراعى في الرسم حالة الوقف .
 الرازي: .. أنهم كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر ، لأنهم كانوا يستعظمون السحر . وكما يقال في زماننا في العامل العجيب الكامل إنه أتى بالسحر .

الثاني : { وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ } في زعم الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله { يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ } الذي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ { [الحجر : ٦] أي نزل عليه الذكر في اعتقاده وزعمه .

ويقول الزمخشري: .. { بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ } بعهدك عندك : من أن دعوتك مستجابة . أو بعهدك عندك وهو الدعوة . أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة . أو بما عهدك عندك من كشف العذاب ممن اهتدى .

ولاحظ أيها القارئ العزيز أن : «يا أيه الساحر» هنا هي نداء للقرب والتملق . (أيه) أما في قولهم { يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْتُونٌ } فكُتبت (أيها) بالألف على أنها نداء للبعد والاستبعاد والتهكم كما هو حال القوم "قريش" من النبي محمد (ﷺ) حينذاك . فهناك حذف للقرب ، وهنا إضاف الألف للاستبعاد ، وهذا من روائع الرسم وإعجازه .

ونقف وقفة مع الإمام الداني لنرى حقيقة لإعجاز المتكامل والمتناسق في النص القرآني حيث يقول: وكل شيء في القرآن من ذكر " ساحر " فهو مرسوم بغير الف إلا موشعاً واحداً فإن فيه مرسومة - الألف - وهو قوله في الذاريات " إلا قالوا ساحر (وقد شرحناها تحت هذا الاسم) .

ولكن الإمام الداني سيحدث بعد ذلك عن ذكر روايات آحاد تحتل الصدق والكذب .. وان كان بعضها يطابق الرسم لدينا .. منها: وحدثنا أحمد بن عمر .. عن (نافع) قال: كل ما في القرآن " ساحر " فالألف قبل الحاء في الكُتْب ، وكذلك رسمت الألف بعد الحاء في الشعراء في قوله " بكل سَحَار " ليس في القرآن غيره ، حدثنا أحمد بن عمر .. قال حدثنا قالون عن (نافع) " بكل سَحَار " في الشعراء الألف بعد الحاء في الكُتْب ،

وحدثنا فارس بن أحمد قال حدثنا .. قال حدثنا قتيبة بن مهران قال قال الكسائي لم يكتب " سحر " يعني بالألف إلا التي في الشعراء وحدها .

((وأقول: إن الاتفاق على آية الشعراء التي لها ملحظ بلاغي عظيم يجعلنا نسجد لهذا الإعجاز في هذا الرسم؛ وقد شرحناه في الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن، وشرحنا لماذا وردت على هذا الرسم في سورة الشعراء التي نزل فيها فرعون بنفسه إلى ساحة التحدي مع موسى ، ووقف وجهاً لوجه أمام معجزات موسى ، وأظهر نفسه أمام الملأ أيضاً ، وأراد الملأ أن يطمئنوه بأنهم سيحضروا له أعظم السحرة البارعين في هذا السحر وهو مهنتهم (فجاءت "سَحَار" هنا- بصيغة المبالغة - لتعطي هذه المعاني .. وليس (ساحر) التي تفيد أنه ساحر عادي كأي ساحر ربما لم يتمرس بهذا السحر .. والذي

يراجع سياق الآيات (في الشعراء التي ذكرناها) ثم ينتقل إلى سياق الآيات في سورتي طه والأعراف مثلاً، نجد أن فرعون فيهما لم يظهر في الصورة وأمام الملائ، ولم تظهر أيضاً هذه المحادثة العنيفة منه أمام موسى - كما في الشعراء - بل إن حديثه كان متوارهاً خلف الملائ، والملائ هم الذين يسيرون الأمور ويتخاطبون باسمه، وكأن الآيات ترسم بعد فرعون عن الساحة، مما جعل النص لا يركز على اهتمامه أو خوفه أو رعبه؛ وهذه المعاني لا تستدعي تظمين فرعون بأن يرسلوا إلى (أعظم) السحرة المتمرسين في السحر - (سحار) - كما في سورة الشعراء - ليظمنوه ويهدثوا من روعه ورعبه. ولكن يكفى هنالك في السورتين - أن يقولوا له سنرسل لكل (ساحر) .

وهكذا - على عهدة - نجد أن الآيات ترسم لنا القاعدة التناسقية والتناغمية الحميمة التي تقول: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه (وأرجو من القارئ أن يراجع هذه الآيات في سياقها من هذه السور ويراجع كتبنا (العجاز القمصى والتكرار في القرآن الكريم).

والذي نستخلصه هو اتفاقهم على رسم (سحار) في الشعراء التي تؤكد على إعجاز الرسم الذي يتطابق مع الإعجاز البلاغي في القرآن ولا يتعارض معه، بل إنه يؤكد على اتحاد المصدر لكليهما وأنها من الله.



ولاحظ حذف الألفين في قوله ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا نَسْجَرٌ مِنْهُ وَالَّذِي تَقْرَأُ هَذَا﴾. ولاحظ كتابتها على الصورة الأخرى بحذف ألف واحدة: ﴿هَذَا خُضْمَانٍ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (الحج).

ولاحظ تعدد القراءات وما قيل في قراءة الآية في سورة طه (إِنْ هَذَا نَسْجَرٌ)؛ حيث يقول الإمام الرازي: القراءة المشهورة: { إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ } ومنهم من ترك هذه القراءة وذكرها، وجوهاً آخر. أحدها: قرأ أبو عمرو وعيسى بن عمر: (إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ) قالوا: هي قراءة عثمان وعائشة وابن الزبير وسعيد بن جبيرة والحسن رضي الله تعالى عنه وثانيها: قرأ ابن كثير: (إِنْ هَذَا) بتخفيف إن وتشديد نون هَذَا. وثالثها: قرأ حفص عن عاصم إن هَذَا بتخفيف النون. ورابعها: قرأ عبد الله بن مسعود: { وَأَسْرُوءَ النَّجْوَى أَنْ هَذَا } بفتح الألف وحزم نونه (و) ساحران بغير لام. وخامسها: عن الأخفش: { إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ } خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة

قوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما . وسادسها :
 روى عن أبي بن كعب : (ما هذان إلا ساحران) (ربما قراءة بالمعنى). وروى عنه أيضاً :
 (إن هذان لساحران) وعن الخليل مثل ذلك ، وعن أبي أيضاً : (إن ذان لساحران) .
 (وأقول: ما يعيننا هنا أن هناك تعدد قراءات لهذه الآية بصفة خاصة توضح تنوع
 اللهجات المختلفة وتشرح هذا الوضع الإعرابي الذي لم يفهمه غير المحققين من
 المسلمين وغير المسلمين أيضاً ؛ وأقلها قراءة: (هذان ، هذين) ولاحظنا كيف قام الرسم
 القرآنى المعجز بالتوفيق بين القراءتين ولا يصلح في ذلك التوفيق ويشير إليه إلا إخفاء
 الألفين .. وهذا بخلاف الآية: هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ.. فليس لها إلا القراءة
 الواحدة والرسم الواحد (بالألف).

ونعود لنكرر : ما أروع وما أبهر هذا اللون من الإعجاز لعلمهم يفتقرون)).

تبارك.....تبارك

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾ الأعراف
 ﴿نَمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ
 أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَنَّاكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ المؤمنون
 ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)﴾ الفرقان
 ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ
 قُصُورًا (١٠)﴾ الفرقان
 ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١)﴾ الفرقان .
 ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾﴾ المائدة .

﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون
 (٨٥)﴾ الزخرف .

كل هذه الآيات رسمت بالألف إلا هذين الموضعين التاليين من سورة (الرحمن)
 وسورة (الملك) - وهاتان السورتان لهما خصوصية يحسها المتأمل فيهما مع سياق
 الآيتين - كما سنوضحه في شرحنا التالي:

{ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ دِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ } الرحمن. هنا الملاحظة الواضحة في ذكر (تَبَارَكَ "اسم" ربك) ولم يقل (تَبَارَكَ ربك) - وهي مباركة للذات العلية ولا يقصد الأفعال المادية - والتي استدعت حذف الألف في (تَبَارَكَ).

يقول أبو السعود: وقوله تعالى: { تبارك اسم ربك } تزييه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من آياته الفائضة على الأنام (فهى سورة النعم والآلاء وتعدادها) أي تعالى "اسمه الجليل" ... ، وإذا كان حال اسمه بملابسة دلالة عليه، (أي إذا كان هذا التعظيم لإسمه الذي يدل عليه) فما ظنك "بذاته" الأقدس الأعلى . وكذلك قالها الألوسى.. ويقوم الإمام الطاهر بالتوضيح الشامل والماتع الذي يستشف منه السبب في رسم كلمة (تبارك) على هذه الصفة على خلاف رسمها في باقى السور: فيقول: وأسند { تبارك } إلى { اسم } وهو ما يُعرف به المسمى دون أن يقول: تبارك ربك ، كما قال : { تبارك الذي نزل الفرقان } [الفرقان: ١] وكما قال : { فتبارك الله أحسن الخالقين } [المؤمنون: ١٤] لقصد المبالغة في وصفه تعالى بصفة (البركة) على طريقة (الكناية) لأنها أبلغ من التصريح كما هو مقرر في علم المعاني ، وأطبق عليه البلغاء ، لأنه إذا كان (اسمه) قد تبارك فإن ذاته تباركت لا محالة لأن الاسم دال على المسمى ، وهذا على طريقة قوله تعالى : { سبح اسم ربك الأعلى } [الأعلى: ١] فإنه إذا كان التزييه متعلقاً باسمه فتعلق التزييه بذاته أولى ، ومنه قوله تعالى : { وثيابك فطهر } [التين: ٤] على التأويل الشامل - أى لم يقل فطهر نفسك أو فطهر - ، وقول عنترة :

فشككت بالرمح الأصم "ثيابه" ... ليس الكريم على القنا محرم

أراد : فشككت بالرمح . ((ولكنه يقول في بيت الشعر (فشككت ثيابه).

وهذه الكناية من دقائق الكلام كقولهم : لا يتعلق الشك بأطرافه، (ولم يقل : لا يتعلق الشك به) وقول :. بيت بنحاة من اللؤم "بيتها" ... إذا ما بيوت بالملامة حلت أى أن بيتها لا يلام والمقصود أنها لا تلام .. ونظير هذا في التزييه أن القرآن يقرأ ألفاظه من ليس بمتوضيء ولا بمسك المصحف إلا المتوضيء عند جمهور الفقهاء .

فذكر { اسم } في قوله : { تبارك اسم ربك } مراعى فيه أن ما عدد من شؤون الله تعالى ونعمه وإفضاله - (أى في سورة الرحمن) - لا تحيط به العبارة ، فعبّر عنه بهذه المبالغة إذ هي أقصى ما تسمح به اللغة في التعبير ، ليعلم الناس أنهم محققون لله تعالى بشكر يوازي عظم نعمه عليهم .

إذن لابد من ملاحظة هذه المعاني ومنها المبالغة في صفة البركة (المعنوية) لإسم الجلالة (وعن طريق الكناية).

والآية الثانية التي حذف منها الألف هي: ***" ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ .

ويقول صاحب الظلال: وهذه السورة الأولى سورة تبارك تعالج إنشاء تصور حديد للوجود وعلاقاته بخالق الوجود . تصور واسع شامل يتجاوز عالم الأرض الضيق وحين الدنيا المحدود ، (إلى عوالم في السماوات ، وإلى حياة في الآخرة) . وإلى خلائق أخرى غير الإنسان في عالم الأرض كالجن والطير ، وفي العالم الآخر كجهنم وخزنتها ، (وإلى عوالم في الغيب غير عالم الظاهر) تعلق بها قلوب الناس ومشاعرهم ، فلا تستعرق في الحياة الحاضرة الظاهرة ، في هذه الأرض . كما أنها تثير في حسهم (التأمل) فيما بين أيديهم وفي واقع حياتهم وذواتهم مما يمرون به غافلين .

.. ويقول: الموت والحياة أمران مألوفان مكروران . ولكن السورة تبعث (حركة التأمل فيما وراء الموت والحياة) من قدر الله وبلائه ، ومن حكمة الله وتديبته : { الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، وهو العزيز الغفور } .

والسما خلق ثابت أمام الأعين الجاهلة لا تتجاوزة إلى اليد التي أبدعته ، ولا تلتفت لما فيه من كمال . ولكن السورة (تبعث حركة التأمل والاستغراق) في هذا الجمال والكمال وما وراءها من حركة وأهداف : ﴿ الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير . . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين . . ﴾ .

والحياة الدنيا تبدو في الجاهلية غاية الوجود ، ونهاية المطاف . ولكن السورة تكشف (الستار) عن عالم آخر هو حاضر للشياطين وللكافرين . وهو خلق آخر حافل بالحركة والتوفز والانتظار : { وأعدنا لهم عذاب السعير . وللذين كفروا برهم عذاب جهنم وبئس المصير . إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور .

والنفوس في الجاهلية لا تكاد تتجاوز هذا الظاهر الذي تعيش فيه ، ولا تلقي بالاً إلى (الغيب وما يحتويه) . وهي مستغرقة في الحياة الدنيا محبوسة في قفص الأرض النابتة المستقرة . ((فالسورة تشد قلوبهم وأنظارهم إلى الغيب وإلى السماء وإلى القدرة التي لم ترها عين)) ، ولكنها فادرة تفعل ما تشاء حيث تشاء وحين تشاء؛ وتهز في حسهم ها.

الأرض الثابتة التي يطلسون إليها ويستغرقون فيها { إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير . وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور . أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟ أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً؟ فستعلمون كيف نذير } .

. ((ولكن السورة تمسك بأبصارهم لتنظر وقلوبهم لتدبر)) ، وترى قدرة الله الذي صور وقدر : { أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن؟ ما يمسكهن إلا الرحمن ، إنه بكل شيء بصير } .

وهم يكذبون بالبعث والحشر ، ويسألون عن مواعده . فالسورة تصوره لهم واقعاً مفاجئاً قريباً يسؤوهم أن يكون : { ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ قل إنما العلم عند الله ، وإنما أنا نذير مبين . فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ، وقيل : هذا الذي كنتم به تدعون! } .

وهم يترصدون بالنبي (ﷺ) ومن معه أن يهلكوا. فيستريحوا من هذا الصوت الذي يمدن عليهم مضجعهم بالتذكير والتحذير والإيقاظ من راحة الجمود! فالسورة تذكرهم بأن هلاك الحفنة المؤمنة أو بقاءها لا يؤثر فيما ينتظرهم هم من عذاب الله على الكفر والتكذيب ، ((فأول لهم أن يتدبروا أمرهم وحالهم قبل ذلك اليوم العصيب)) : { قل : أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمتنا فمن ينجي الكافرين من عذاب أليم؟ قل : هو الرحمن آمنا به وعابدهم نوكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين } .

وتنذرهم السورة في احتامها بتوقع ذهاب الماء الذي به يعيشون ، والذي يجريه هو الله الذي به يكفرون! { قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين؟ } . (دعوة للتفكير والتأمل).

إنها حركة . حركة في الحواس ، وفي الحس ، وفي التفكير ، وفي الشعور .

ومفتاح السورة كلها . ومحورها الذي تشد إليه تلك الحركة فيها ، هو مطلعها الجامع الموحى : { تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير } .

ولك عزيزي القارئ، أن تتأمل الفقرات بين الأقواس في هذا الحديث السابق لتعرف جو السورة التي رسمتها بداية السورة (تبارك) بدون ألف. ويكفي قوله: ((فالسورة تشد قلوبهم وأنظارهم إلى الغيب وإلى السماء وإلى القدرة التي لم ترها عين)) إضافة إلى التدبر

*** ولك أن تضيف رأياً آخر من سياق الآيات أضافه أستاذنا الدكتور : محمد عبد

الله دراز وهو يشرح السورة نقتبس منه بعض الفقرات - باختصار وتصرف - حيث جعل مقاصد السورة في عدة مقاصد (الأول) هو التعريف (بالله وصفاته). من الآية ١ : ١٢ (والمقصد الثاني) التعريف (باليوم الآخر) من ٦ : ١٢ (والمقصد الثالث) وهو : (التلطف) في تدبير الأمور وإبصارها إلى غاياتها (سراً في رفق ويسر) (وهو اللطيف الخبير).... ثم يقول : وفي هذه الآيات الكريمة يتعرف الله علينا بمظاهر لطفه وعنايته وتديبه) في أنفسنا وفي الأكوان القريبة منا من تحتنا ومن فوقنا هو ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ (ذُلُولاً) فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (وَالِيهِ النُّشُورُ) ﴿١٢﴾ ومن فوقنا : ﴿ أَوْلَمَ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا (الرَّحْمَنُ) إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١٣﴾ وفي أنفسنا ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿١٤﴾.. الرحمة والحنان والتعطف وصفات الله الملكوتية واليوم الآخر وتوجيه النظر إلى معنى العظمة والعلو اللائقين بجلال الله تعالى وتزيهه عن معنى الدنو والسفلى الذى للمعبودات الأخرى (كل هذه المعاني لا يناسبها إلا إخفاء الألف من تبرك).

*** ولك أن تضيف رأياً آخر (ثالثاً) قلنا به في سلسلة كتبنا (الإعجاز القصصى والتكرار في القرآن الكريم) وهو يعتمد على ملاحظة جو السورة من ((الناحية التصويرية)) وهو : أن جو سورة تبارك هو جو (الجذب) في جميع مشاهدتها حتى في نهاية السورة وقوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ﴿١٥﴾ أى هو وحده الذى (يجمع) علينا الماء بعد تشبته وذهابه في أعماق الأرض ويجمع علينا النعم المتعددة كما (يجمع) الموت والحياة في مشهد واحد والسماء والأرض ... وسير ذلك من مشاهد التجميع ليراجعها القارىء في كتبنا المذكورة منعاً للإطالة والتكرار .. ولكن الذى نريد أن نقوله : أن مشاهد السورة هي مشاهد (تجميعية) حتى في تصوير جهنم حيث يجمع لها تنفسها (أى في حركة الشهيق) فيقول تعالى ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَيَسْتَسْ أَلْمَصِيرُ ﴾ ﴿١٦﴾ إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿١٧﴾. وهذا الشهيق لجهنم يتناسب مع قوله تعالى (إذا ألقوا فيها) ... وهذا بخلاف مشاهد سورة الفرقان - التى كتبت فيها تبارك بالألف - والى سلاحها فيها مشاهد الطرد والتفريق حتى في وصف

حال جهنم وهي لها (زفير) وليس (شهيق) حيث يقول تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ إذا رأتهم من مكان بعيد سَمِعُوا لها تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿٥٠﴾. وهذا الزفير أيضاً يتناسب من ناحية أخرى مع قوله تعالى (إذا رأيتم من مكان بعيد).. وهذا الزفير الذي يحسه المقبل على النار عن بعد إنما هو قذفها بالحرارة واللهب -.. فإذا اقترب منها ودخل باها كان أعظم إحساسه بحركة اجتذابها وابتلاعها كما في سورة تبارك.. فكان الملحظ التجميع - الذي قال بمثله الإمام ابن القيم في شرح سورة القيامة - يناسبه تجميع الكلمة (وحذف الألف تبارك)، ومشهد (التفريق والطرده والمعارك الأرضية) - في سورة الفرقان - يناسبه التفريق الكلمة ووضع الألف فيها - تبارك-).

وذلك بخلاف سورة الفرقان التي كتبت فيها (تبارك) بالألف: فكما قال صاحب الظلال: فهذه السورة المكية تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله (ﷺ) وتسرية، وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه، وتعتتهم معه، وجدالهم بالباطل، ووقوفهم في وجه الهدى وصددهم عنه..... وهي في اللمحة الأخرى تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقة لله ورسوله، وهي تجادل في عنف، وتشرد في جهوم، وتتطاول في قحة، وتعتت في عناد، وتجنح عن الهدى الواضح الناطق المبين.

((فهى معركة أرضية)). والتي لا تكفي هذا الضلال، فإذا هي تتطاول في فجور على رها الكبير: { وإذا قيل لهم: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وزادهم نفورا } أو تنعت فتقول: { لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا؟ } وهي هي من قديم كما يرسمها سياق السورة من عهد نوح إلى موقفها هذا الأخير مع رسولها الأخير. فهنا في هذه السورة يؤويه ربه إلى كنفه، ويمسح على آلامه ومتاعسه، ويهدده ويسري عنه، ويهون عليه مشقة ما يلقي من عنت القوم وسوء ادبهم وتطاولهم عليه، بالهم يتطاولون على خالقهم ورازقهم، وخالق هذا الكون كله ومقدره ومدبره.

(الحديث كله على الأرض والبركة الأرضية على حبيبه (ﷺ)). فلا عليه أن ينالوه بشيء من ذاك! { ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً } واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً } تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين

نذيرا . الذي له ملك السماوات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون؛ ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً؛ ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً { .

إنه البدء الموحى بموضوع السورة الرئيسي : تنزيل القرآن من عند الله ، وعموم الرسالة إلى البشر جميعاً . ووحدانية الله المطلقة ، وتزيهه عن الولد والشريك ، وملكيته لهذا الكون كله ، وتدبيره بحكمة وتقدير .. ولم يذكر لفظ الجلالة (أى لم يقل: تبارك اسم ربك) واكتفى بالاسم الموصول تبارك { الذي نزل الفرقان } لإبراز صلته وإظهارها في هذا المقام ، لأن موضوع الجدل في السورة هو صدق الرسالة وتنزيل القرآن .

وسماه (الفرقان) . بما فيه من (فارق) بين الحق والباطل ، والهدي والضلال . بل بما فيه من (تفرقة) بين فحج في الحياة وفحج ، وبين عهد للبشرية وعهد .

((هنا تصوير للمعركة على الأرض والجدال المحتدم في وحى الله وفي الرسول، و(الفرقان) . بما فيه من (فارق) بين الحق والباطل)) على خلاف سورة الملك التي نجدها تأخذ بهذا الإنسان إلى ما وراء هذا العالم وهو عالم الغيب والآفاق والروح والفكر والتدبر - فالسورة - تبارك - تشد قلوبهم وأنظارهم إلى (الغيب) و(إلى السماء) وإلى (القدرة التي لم ترها عين) - دون رسم لصورة هذه المعركة الأرضية التي في سورة (الفرقان) فوضعت الألف في الفرقان (تبارك)، وأخفيت في سورة تبارك (تبارك) وكأنه يقول في السورتين (تبارك) الذي في الأرض إله - في الفرقان - و(تبارك) الذي في السماء إله - في سورة الملك -.. وتبارك الله رب العالمين مثل هذا الذكر الحكيم.

صاحب .. يَصْصِحِّي

((نلاحظ أن كلمة صاحب تكتب بالألف الفارقة إذا كان هذا صاحب لاتصل درجة لصوقه درجة الزوجة التي تكتب بدون ألف (صحبته) ، ولا درجة الصحة العالية التي بين الحبيب (ﷺ) وأبوبكر الصديق (إذ يقول لصحبه) .. ولعل حذف الألف أيضاً يشير إلى الصحة القلبية والروحية قبل أن تكون الصحة الجسدية.. وهكذا في الآيات التالية:

(١) ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ .. (٣٦) ﴾ النساء.

(٢) ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ .

(٣) ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (١٨٤) الأعراف .

فهى صحبة مقطوعة ؛ وهى صحبة المؤمن بالكافر والله هو القائل بذلك) ومثلها الآيات التالية :

(٤) ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (٢) .

(٥) التكوير ﴿: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ (٢٢) .

(٦) ﴿ فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ (٢٩) . (صحبة أشقياء) .

(٧) ﴿ فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَمَا جِئْتُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (١٥) لقمان . هنا الحديث عن صيغة فعل الأمر الذى يتطلب الوضوح والقوة مثل القسم والتهديد ، وكل ذلك يناسبه اظهار الألف - كما تعودنا فى رحلتنا مع لطائف رسم المصحف - .

(٨) ﴿ قُلْ إِنْ مَأْ أَعْظَمَكُمْ بِوَجْهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرْدَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ (١٥) . سبأ . هنا الحكم (من الله) متصدراً الآية بكلمة "قل" ويقطع الانسجام فى الصحبة بين المؤمن والكافر (ففيه التقرير بالحسم والحقيقة) ، ونداؤهم هم هذه الصحبة المفصلة ، وخاصة فى هذا الموقف الذى يصفونه (ﷺ) بالجنون فقال: "بصاحبكم من الجنة" .

وهذا الفصل فى الصحبة فى هذا الموقف على خلاف آية "يوسف" القادمة التى هى فى مجال الدعوة مع من هم يستمعون إليه ويميلون له . والحكم بهذه الصحبة صادر من يوسف نفسه وليس من الله ، وليس فيه التقرير بالحسم والحقيقة ولكنها دعوة بالملاينة والملاطفة ، مع ملاحظة إحترامهم له وعدم الإساءة إليه . وملاحظة أنه أضاف الى لدائه لهم حرف النداء (يا) ، ولكنها كتبت على صورة التقريب والملاصقة حتى أنه حذف ألف حرف النداء (يا) وكتبت: **يَبْصَحِي** .

(٩) ﴿ يَبْصَحِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّازُ ﴾ (١٥) **يَبْصَحِي** السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ . ﴿ يوسف هنا رسم الكلمة يرسم المنهج الدعوى ليوسف عليه السلام ، وكأن هذا الرسم يعبر عن صوت الداعى ولين نبرته ويرسم حركته وهو يخاطب من يدعوهم ، وكيف أنه يخاطب المخالفين له مظهراً لهم الشفقة بهم والرحمة عليهم وأنه ليس متعال عنهم ، بل إنه يوحى إليهم بأنه قريب منهم قريباً شديداً .. وعبر الوحي عن هذه المعانى بحذف الألف .. التى ترسم طريق دعوة الأنبياء مع أقوامهم والطريقة المثلى

لوصول دعوتكم إلى أفوامهم))) . وهذا ما أشار إليه صاحب تفسير الظلال - عليه رحمة الله - حيث قال: إنه ينخذ منهما صاحبين ، ويتحجب إليهما هذه الصفة المؤنسة ، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة.

**وربما يكون الحذف لمعنى آخر - وهو الإشارة إلى المعنى المجازي للصحة - وهى صحة السجن - كما يقول الطاهر: يريد يا صاحبي في السجن ، فأضافهما إلى السجن كما تقول : يا سارق الليلة ، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة ، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب ، وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ، وعه قوله لصاحبك : يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ، ولا تريد أنهما صاحبا الصدق ، ولكن كما تقول رجلا صدق ، وسميتهما صاحبين لأنهما صاحبك . ويجوز أن يريد : يا ساكني السجن ، كقوله : { أصحاب النار وأصحاب الجنة } .

(١٠) ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنُّ كَصِاحِبِ الْهَوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (٤٨) ،
والصاحب : الذي يصحب غيره ، أي يكون معه في بعض الأحوال أو في معظمها ، وإطلاقه على يونس لأن الحوت التقمه ثم قذفه فصار (صاحب الحوت) لقباً له ، لأن تلك الحالة معبئة قوية ولكنها مقطوعة) وغير مستمرة وفيها (الكراهة والنفور) لهذا المشهد الذي يمتنى صاحبه فراقه والتخلص منه.. ولذلك كتب بالألف (فلا تصحبنى).. (وصاحبهما في الدنيا ..).

(١١) ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكُمْ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ (٦٦) الكهف ورغم أنها بصيغة النهي ولها قوة الأمر أيضاً في أحقيتها بوضع الألف إلا أن هناك سبباً آخر وهو القراءة الأخرى وكما يقول الزمخشري: وقرئ: «فلا تصحبنى» فلا تكن صاحبي . وقرئ: «فلا تصحبنى» أي فلا تصحبنى إياك ولا تجعلني صاحبك.. (أي بفتح التاء وضمها وبدون ألف).

(١) { وصاحبهما في الدنيا مَعْرُوفًا } ((وكل هذا يحمل معاني التوكيد الشديد على هذا الأمر الشاق في البر بهذين الوالدين والخطاب أيضاً بصيغة الأمر المباشر ومن الله)).
الصاحب .. كصاحب الحوت .. ما بصاحبكم .. ما ضل صاحبكم .. فنادوا صاحبهم . كلها بالألف . (ماعداد قول يوسف المقرب لصاحبه في السجن - وهو في حديث الدعوة الهادئة لله عز وجل مع أشخاص يثقون فيه ويميلون إليه) .

(٢) أصحاب جمعها بدون ألف .

(٣) ثم راجع بحث (لصاحبه) الآتي .:

ملحق (صحبه)

(١) ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ (١١).
 الأنعام. (بمعنى الزوجة ويلاحظ فيها دائماً ملحظ الإلصاق وتكتب بدون ألف).
 (١٢) المعارج: ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ (١٢) ((أى الزوجة).

(٢) الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (١٣) ((أى الزوجة).
 (٣) عبس: ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (١٤) ((أى الزوجة).

(٤) ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْرُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (١٥) التوبة.

((ولعل حذف الألف هنا أيضاً يشير إلى الصحبة القلبية والروحية قبل أن تكون الصحبة الجسدية ، هذا الحذف للألف في صحبة أبي بكر للرسول (ﷺ) يشير بإشارة من الوحي إلى شدة القرب واللصوق في هذه الصحبة العالية مع رسول الله ، والرفعة لمكانة أبي بكر من رسول الله (ﷺ) وقد عبر الوحي عن هذه المعاني برسم الكلمة)).

(٥) ﴿وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (١٦) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (١٧) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُودتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (١٨) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (١٩).

((وهنا وقفة مع هذا النص الذى يرسم محاورة بين مؤمن بالله وكافر بالله، والمؤمن دائماً له معيار إيمانى للصدقة ، فإنه يثور ويغضب - حتى على أعلى الناس لديه ومنهم صاحبه هذا - إذا قام هذا الصاحب بانتهاك حرمان الله أو التطاول على مقام الألوهية والتوحيد ، ويحد أن غيرة المسلم تجعله فى ذلك الوقت تعلقو نبرته ويعلن الفصال بينه وبين من يحاوره. (وهذا يستدعى فى منهج الرسم القرآنى إظهار الألف). والكافر على خلاف ذلك فإنه لا يحمل معه هذه الغيرة ولا هذه المعايير ولا يفرق فى صحبته بين من يسىء إلى الله أو من لا يسىء إليه ؛ فهو لا يقطع الصداقة (والصحبة) لذلك ولذلك رسمت الكلمة على مسافة الوصال (لِصَاحِبِهِ)).

وهذه المعاني التي ذكرناها، قام الرسم القرآني بتصويرها بكامل الدقة عن طريق رسم كلمة (صاحبه) مرة بالألف - الفارقة والفاصلة - ومرة بدون الألف لصحبه - التي توحى باستمرار هذه الصلة دون انقطاع - . وبيان ذلك كالتالي:

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ (أى الكافر الذى لا يفرق فى الصلحة) لِيَصْحَبَهُ (عدم وضع الألف يوحى بدوام الصلة بالنسبة لهذا الكافر وعدم انقطاعها) فَقَالَ لِيَصْحَبَهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ..... قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ (أى المؤمن الذى سيظهر عليه الانفعال وتحركه الغيرة على قطع الصلة وهذه المصاحبة ، ولذلك وضع الألف هنا) قَالَ لَهُ مِصْحَبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا (٣٧)﴾ ((ولاحظ هنا علو النبرة والاستفهام الإنكسارى: أكفرت.....؟؟)).

سيماهم .. يسيئهم

(١) البقرة: (٢٧٣) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَرَأَتِ اللَّهُ بِهٖ عِلْمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ الطاهر: { لا يستطيعون ضرباً } .

وسنقوم باختيار قول الرازى حيث يقول:

قال مجاهد { سيماهم } التخشع والتواضع ، قال الربيع والسدي : أثر الجهد من الفقر والحاجة وقال الضحاك صفة ألوانهم من الجوع وقال ابن زيد رثاءة ثيابهم والجوع خفي . ثم يعلق الرازى على هذه الأقوال قائلاً: وعندي أن كل ذلك فيه نظر لأن كل ما ذكره علامات دالة على حصول الفقر ، وذلك يناقضه قوله { يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ } بل المراد شيء آخر هو أن لعباد الله المخلصين هبة ووقفاً في قلوب الخلق ، كل من رآهم تأثر منهم وتواضع لهم وذلك إدراكات روحانية ، لا علاات جسمانية ، الا ترى أن الأسد إذا مرَّ هابته سائر السباع بطباعها لا بالتجره ، لأن الظاهر أن تلك التجرة ما وقعت ، والبازي إذا طار هرب منه الطيور الضعيفة ، وكل ذلك إدراكات روحانية لا جسمانية ، فكذا هاهنا ، .. يحسبهم الجاهل بما وراء الظواهر أغنياء في تعففهم ، ولكن ذا الحس المرهف والبصيرة المفتوحة يدرك ما وراء التجمل . فالمشاعر النفسية تبدو على سيماهم "وهم يدارونها" في حياء .

((إذن هم ضعفاء في الواقع الداخلي غير الظاهر ولكن عليهم سيما التعفف - فكنت بدون الألف - كما تعودنا في الرسم القرآني - إذا كان الظاهر على خلاف الحقيقة، فترسم الكلمة أيضاً كذلك)).

(٢) الأعراف: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ وَتَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَنُمَ عَلَيْكُمْ لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ .

الرازى: ولما بطل هذا الوجه ثبت أن المراد بقوله: { يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ } هو أنهم كانوا يعرفون في الدنيا أهل الخير والإيمان والصلاح ، وأهل الشر والكفر والفساد ، وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على أهل الإيمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية ، وهو تعالى يجلسهم على الأعراف ، وهي الأمكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به ، ويعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات ، وأهل العقاب إلى الدرجات .

واختلفوا في المراد بقوله: { بسيمانهم } على وجوههم .

. والقول الثاني: في تفسير هذه الآية أن أصحاب الأعراف كانوا يعرفون المؤمنين في الدنيا بظهور علامات الإيمان والطاعات عليهم ، ويعرفون الكافرين في الدنيا أيضاً بظهور علامات الكفر والفسق عليهم ، فإذا شاهدوا أولئك الأقوام في محفل القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات التي شاهدوها عليهم في الدنيا ، وهذا الوجه هو المختار .

ويقول الألوسي: .. كما قال أبو مسلم أو بعلامتهم الدالة على سوء حالهم يومئذ (في القيامة) وعلى رياستهم في الدنيا (أى عكس حالهم في الدنيا) كما قيل (ولعله الأولى) . وأقول: ((وأنا أؤيد هذا الرأي - مع ترجيح رأى الرازي أيضاً - من أن صفاتهم وحالهم في الآخرة من الضعف والهوان على عكس حالهم في الدنيا من السلطان والجبروت ، والعكس بالعكس - وتكون هذه السيمة ربما لأناس كانوا ضعفاء في الدنيا وأصبحوا أقوياء وعظماء في الآخرة؛ وسورة الأعراف تتحدث عن المعارك بين المؤمنين الضعفاء في الدنيا والكفار المستكبرين بجاههم وسلطانهم ، ولكن الضعفاء أصبحوا هنا هم الأقوياء والعكس بالعكس ، وهذا يكون الحال في الدنيا مخالف للحال في الآخرة وسيمنا الدنيا مخالفة لسيمنا الآخرة ، ويؤيد ذلك المفهوم والتفسير الآية بعدها التي تتحدث عن هؤلاء الكبراء أصحاب السلاطين في الدنيا والآخرة والآن هم الضعفاء الأذلاء في الآخرة والآية هي: (٣) ﴿ وَتَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

﴿ وكذلك الحال في آية البقرة السابقة عن أهل الصفة ؛ ظاهرهم - سيماهم - التعفف والغنى ، وواقعهم الضعف والمسكنة (ولذلك كتبت الكلمة بدون ألف - على قاعدة الرسم القرآني في مثل هذه المواضع إذا كان رسم المشهد على غير صورته الحقيقية فيحذف الألف - كما في صورة المجاز ليفرقه عن الحقيقة -) .

وذلك بخلاف آية الفتح (محمد رسول الله والذين معه .. سيماهم ..) بالألف . حيث أن الآيات في هذه السورة - سورة الفتح - تتحدث عن أصحاب محمد (الأقوياء) على الحقيقة وفي الواقع المشاهد بعد أن أعزهم الله - كزرع أخرج شطأه فآزره - ((فسيماهم تطابق واقعهم وتوازره)) ، فكتبت على وضعها الحقيقي كالسيما الحقيقية (بالألف) - سيماهم - وهي :

(٥) الفتح: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) .. ﴾ .

فهى سيما تستحق الظهور والمباهاة بها وهى سيما حقيقية مطابقة لما فى الداخل وحالهم فى الدنيا من العزة والتمكين هو نس حالهم فى الآخرة... ويذكر الألوسى ملحوظة أخرى تساعد فى فهم السبب فى كتابتها بالألف فىقول: { سيماهم } أى علامتهم وقرىء { سيماؤهم } بزيادة ياء بعد الميم والمد (أى زيادة فى مبنى الكلمة ؛ وكما علمنا من اللغة أن : زيادة المبنى تشير إلى زيادة فى المعنى) وهى لغة فصيحة كثيرة فى الشعر قال الشاعر :

غلام رماه الله بالحسن يافعا ... له سيمياء لا تشق على البصر .

(وفى بيت الشعر هذا يتحدث عن سيمياء واضحة وشديدة الوضوح لا تشق على البصر وكان زيادة الحرف لزيادة المعنى والوضوح) والياء مبدلة من الواو .

ولعلى أكتفى بما قاله صاحب الظلال فى وصف هؤلاء الذى : ** وهذه الصورة الودينية (فى الدنيا) التى تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة . إنما هى ثابتة لهم فى لوحة القدر ،

ومن ثم فهى قديمة جاء ذكرها فى التوراة : { ذلك مثلهم فى التوراة } . ((لاحظ ملحظ عمق وثبات الصفة)) . . : { كزرع أخرج شطأه } . . فهو زرع نام قوي ، يخرج

فرخه ، من قوته و...سوته . ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده . { فأزره } .
أو أن العود أزر فرخه فشدته . { فاستغلظ } الزرع وضخمت ساقه وامتدأت .
{ فاستوى على سوفه } لا معوجا ومحنيا .

وأقول: (لكل هذه الأسباب تم بقاء وثبات الألف وظهوره).

(٤) محمد: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَّهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) ﴾ .
(هنا يرسم صورة المنافقين وبالطبع فإن سيماهم الخارجى يخالف ما فى داخل قلوبهم)).

(٥) ﴿ الرحمن: يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَانِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) ﴾

((وهنا مثل آية الأعراف فسيماهم فى الدنيا كان السلطان والجاه والتنعيم أصبح مخالفاً لسيماهم التى هى عليهم فى الآخرة - من الذل والمهانة - ولذلك كتبت الكلمة بدون الألف))) .

ملاحظات على سيماهم:

﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ . وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ ﴾ .
ملاحظ أن الألف على نبرة (فهى رؤية سيماء فى داخل المحيم ومضافاً إليها رؤية الشاهد الصدق من أهل الأعراف) فزادت الكلمة (ياء - او نبرة) وهى التى تناسب هذا الموقف وثقله فى الآخرة^٣ .. ولكن:

(١) ﴿بِسِيمَانِهِمْ﴾ بدون نبرة تحت الألف.. البقرة ٢٧٣ ، محمد ٣٠ ، الرحمن ٤١ .

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَقُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَانِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا (٢٧٣) ﴾
البقرة.

{ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَانِهِمْ } من صفرة الوجه وراثثة الحال(هى رؤية دنيوية أقل فى درجة هذا الوسم والسيما.(فرستت الكلمة بدون نبرة للألف). وذلك مثال (ضعفاء)..(الدنيا) السى

(٣) مع ملاحظة أنه زاد الياء التى تناسب الملكتوى أو المعنوى وليس الألف الدنيوى المادى.... كمنال (لدا) الباب .. والقلوب (لدى) الحناجر.. و(راء) كوكبا.. أيديهم .. و(رأى) من آيات ربه الكبرى والجنة وعالم الملكتوى.... وهنا الرؤية فى جهنم وهو عالم ماوراء المادة..

فيها درجة الضعف أقل.. والضعفاء في الآخرة وفي جهنم التي تكون درجة الضعف فيها أقوى وأثقل فرسمت. هكذا (وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَاؤُا).
 ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ .
 ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٣٠) الرحمن.

(نلاحظ هنا هذه الرؤية قبل دخولهم جهنم بالفعل، وليس عليهم شهادة الشهرود.
 { فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي } جمع ناصية وهي مقدم الرأس { وَالْأَقْدَامِ } جمع قدم وهي قدم الرجل المعروفة،) وكتبت بالألف ربما لأن : الأقدام فيها الحركة والتسفل لموضع الألف.. ولكن النواصي فيها عدم الحركة والعلو المعنوي والتشريفى فحذف الألف).
 * (سيماهم) الفتح : ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَعَوَّنُ فَضًّا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ.. ﴾ عمق السيماء الصالحة وأصلاتها فيهم - نابعة من الداخل على وجوههم - وهي مع ذلك في الدنيا. ومثلها مطابق لها في الآخرة. فكتبت بالألف .. وملاحظة أن المؤمن دائماً ظاهره كباطنه لاخفاء عنده .

جاعل . خالق . فاطر

(خالق) جميعها بدون ألف ، و(جاعل) بالألف وبدون ألف ، و(فاطر) بالألف ((وكذلك كل "خالق" و"خالق" و"خالق" جميعها كتبت بدون ألف ؛ فالخلق فيه معنى التقدير والتسوية، والجعل عام - أى فيه معنى الخلق ومعان أخرى - ولا يلزم معنى واحد. مثل الخلق .. والتقدير يعتمد به في بعض الأقوال : التصوير أو التصميم (كمن يصمم هذا المبنى فهذا التصميم والرسم يسمى خلق ، بخلاف الإنشاء (فهو فاطر).. وأرى أن هذا المعنى وراء رسم كلمة خالق بدون ألف ، وفاطر بالألف .. أما جاعل فلها معاني كثيرة منها: الصنع ، والتصيير والتحول ، وبمعنى العمل ، إضافة إلى معنى الخلق أيضاً . وقال القرطبي: في قوله (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور): قال تعالى: (خلق السموات والأرض) السماء والأرض جواهر وليست أعراضاً ، لأنها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وسمى العرض عرضاً لأنه يعرض في الجسم والجوهر ، فيتغير به من حال إلى حال .. ونرى أن هذا رأياً آخر يمكن إضافته ، وأنه من أجل هذا المعنى كتب (جاعل) بالألف، للمحظ الحركة والتغير فيه، وكتب (خالق) بدون ألف لعكس ذلك، إضافة إلى معنى التقدير والتصميم في (خالق).

ويقول القبيسي: الخلاق: تقدير الشيء قبل إيجاده كالتصميم قبل البناء فالتصميم هو الخلق والخلق هو التصميم. خلق الله تعالى الإنسان قبل أن يكون طيناً (ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

جعل: بعد أن يخلق الله تعالى الشيء يهديه إلى وصف جديد أو صفة جديدة. عندما يهدي سبحانه وتعالى المخلوقات الحية إلى وظيفتها يسمى جعلاً (واجعل لي وزيراً من أهلي) أضاف إلى هارون وصفاً جديداً وظفه توظيفاً جديداً سلباً أو إيجاباً. (وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها).

(ومن آياته.. وجعل بينكم مودة ورحمة):

خلق: قدر الله تعالى الرجل والمرأة وخلق من الرجل امرأة وبعد أن قدر الله الرجل والمرأة أضاف الله تعالى لهما وظيفة جديدة بأن جعل بينهما مودة ورحمة وهذا يسمى جعلاً.

(١) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (٣٠) البقرة.

(٢) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ (فاطر).

(٣) ﴿وَجَاعِلِ الَّذِينَ الْبُغُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ (٥٥) آل عمران.

*** وهنا نقف على مشهد هام جداً في الرسم القرآني وهو يفرق بين الجعل بمعنى التحطيم والهدم والفناء (فيهدم الألف) ، وإن كان الجعل بهدف البناء والنشيد والرفعة (أقام الألف).. هكذا:

(٤) ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (الكهف) (جعل فناء وتحطيم).

(٥) ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) القصص .

(خَلِقُ)

﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد).

(٢٨) الحجر (١٠٢) الأنعام (٣) فاطر (٧١) ص (٦٢) الزمر (٦٢) غافر.

وكذلك (الخلاق) تكتب بدون الألف.

﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَاطِمُ﴾ (٨١) يس (٨٦) الحجر.

إني عمل.. عامل.

ملحوظة : قبل البداية في سرد الآيات والتعقيب عليها يحسن بنا أن نبين إشاره سرية بأن (عامل) هي إسم فاعل يدل على الفعل وفاعله ، ولكن له صور منها :

(١) صورة إسم الفاعل الذى يدل على الذات فقط مثل (الزارع مجتهد) فليس فيها صورة وجود الفعل (القيام بالزراعة).

(٢) صورة إسم الفاعل الذى يدل على الذات والفعل معاً ؛ مثل (الزارع أرضه) ففيها صورة الذات وصورة الفعل (عملية وفعل الزراعة) .

وهكذا الحال فى كلمة (فاعل) فإذا كانت فيها صورة الذات والفعل معاً كتبها القرآن بالألف (عامل)، وإذا كانت فيها صورة الذات فقط - كالإسم فقط - كتبت بدون الألف (عمل) هكذا فى الآيات التالية:

(١) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ ﴾ آل عمران .. فهنا صورة الذات = الإسم فقط) .

(٢) ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمَلُوا وَمَا رَبُّكَ بِعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنتَ شَآءُكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) ﴾ (صورة الفعل مع الذات ، وكأننى أقول (وما الله يغفل) ، وفيها فوق ذلك صورة تهديد دنيوى ﴿ إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ . (١٣٤) ﴾ وهذا التهديد بعلو نبرته يستدعى وجود الألف .

(٣) ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) ﴾ الأنعام . والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى ، فإي ثابت على الإسلام وعلى مسابرتكم .

((ففيها صورة الفعل (أى أنا سأعمل الآن وغداً، ولا بد أيضاً أن النبى (ص) أعلنها (بقوة) ووضوح وصوت عالٍ من قلب واثق بالحق الذى معه والذى يجعله لا يترعزع))
{ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } أيما تكون له العاقبة الحمودة .

(ملحوظة : كلام محمد ﷺ) هنا عن الفئة التى تستحق (الفلاح) فى الدنيا والرفعة (والظهور) لصاحب الحق - من نكون له عاقبة الدار- .. فكان إظهار الألف (عامل) مع الرفعة .. بخلاف الآيتين التاليتين - هود ، الزمر - فإنه إنذار للفئة الأخرى (بالإهلاك والتدمير) - مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ - فكان مع التدمير إخفاء الألف فرسمت (عمل).

إضافة إلى ملحظ الرحمة في شخصه (ﷺ) الذي يناسبه (إظهار الألف) ^٤ ونعود
لسياق الآيات المتشابهة إلا في رسم الكلمة:

(١) ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (تهديد دنيوى) ، قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ **فَسَوْفَ** تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) الأنعام. (كلام محمد ﷺ) والحديث عن مشهد البناء والفلاح (مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) بخلاف الآيتين التاليتين اللتين تتحدثان عن الهلاك والتدمير.

(٢) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ هود.

(٣) ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ **فَسَوْفَ** تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠)﴾ الزمر. والعذاب المخزي هو عذاب الدنيا . والمراد به هنا عذاب السيف يوم بدر . والعذاب المقيم هو عذاب الآخرة ، وإقامته خلوده . وتبين {عَذَابٌ} في الموضوعين للتعظيم المراد به التهويل .

وأرى - والله أعلم- أن آية الأنعام ليس فيها التصريح بالعذاب لهم ولكن فيها صورة البقاء والتعمير والتمكين للمؤمنين ، وهنا يناسبها ظهور الألف .. بخلاف الآيتين الأخريين التي فيهما التهديد بالتدمير والإهلاك لهم ، فكان الأنسب هو إخفاء (وليس إظهار) الألف ..

ونعود لنكرر أن المشهدين مختلفان ؛ ففي المشهد الأول يصور عاقبة (الفئة المؤمنة)- الأنعام - ، وفي المشهد الثاني يصور عاقبة (الفئة الكافرة) .. والمشهد الأول (بقاء) والمشهد الثاني (إفناء) .. المشهد الأول يرسم (صورة الرحمة العالية) .. والمشهد الثاني

(٤) كما في قوله إنا (رسولا) ربك في طه- التي يظهر فيها شخصيتهما الرحيمة- .. وإنا (رسول) في الشعراء. بالمفرد لأنه يشير إلى (الرسالة) المنذرة له والتي فيها ملحظ الشدة. وأيضاً راجع مثل ذلك المعنى في بحث التراب والعظام والقواعد.

صورة (الانتقام والتدمير) ... وأترك للقارىء أن يعيش مع الرسم القرآني المعجز ويرى بنفسه كيف يصور الرسم دواخل النفوس وعواقب الأمور بحذف الألف أو إضافته. (٥)
 **﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّشْعَةٌ ﴿١٦﴾ غَامِلَةٌ تَأْسِبَةٌ ﴿١٧﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿١٨﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ﴿١٩﴾﴾ الغاشية... { غَامِلَةٌ تَأْسِبَةٌ } تعمل في النار عملاً تتعب فيه ، وهو جرها السلاسل والأغلال ، وخوضها في النار كما تحوض الإبل في الوحل ، وارتقاؤها دائبة في صعود من نار ، وهبوطها في سطور منها. وواضح فيها صورة الفعل أيضاً في (تصلى، تسقى..).



عبادى....عبدى

كلها تكتب (عبادى) بالألف: (١٨٦) (٢٠٧) البقرة (١٥) (٢٠) (٣٠) آل عمران (٤٢) الحجر (٤٩) الحجر (٦٥) الإسراء (١٠٢) الكهف (١٠٥) الأنبياء (١٠٩) المؤمنون (١٧) الفرقان (٥٦) العنكبوت (١٣) سبأ (٥٣) الزمر (٢٤) يوسف (٦٥) الكهف (٦٣) مريم (٣٢) فاطر (٨١) (١٢٢) الصافات (٥٢) الشورى (١٠) التحريم (٣٠) بس (٤٨) غافر (٣١) غافر (١١) ق (٤٤) غافر كل "العباد" ترسم بالألف المرفوعة تصويراً لحالهم ورفعته وذلك بنسبتهم إلى الله؟؟؟ ماعدا الآيتين :

(١) ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٦﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿١٧﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٨﴾﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿١٩﴾ الفجر ، وذلك لتنوع القراءات هكذا: وقرأها ابن عباس : «فادخلي في عبدي» ، وقرأ ابن مسعود : «في جسد عبدي» . وقرأ أبي : «أتقي ربك راضية مرضية ، ادخلي في عبدي»..

وأقول أيضاً ربما لمشهد الإحاطة بهم من أحبابهم قبل دخولهم الجنة وما نسميه (بزفة العروس) فكان قوله (في) بدلاً من (مع) - أدخلني في عبدي-، والفراغ في وسط

(٥) ويقول الألوسي وغيره: ففي خطاب شعيب عليه السلام قومه من الشدة ما ليس في الخطاب المأمور به السنيء (﴿﴾ في سورة الأنعام جرياً على ما أرسل الله به رسوله محمداً (﴿﴾ من اللين لهم { فيما رحمة من الله لنت لهم } | آل عمران : ١٥٩] . وكذلك التفاوت بين معمولي { تعلمون } فهو هنا غليظ شديد { من يأتيه عذاب يخزبه ومن هو كاذب } وهو هنالك لين { من تكون له عاقبة الدار } [الأنعام : ١٣٥]

كلمة عبادى (عَبْدِي) في قوله (فادخلى في عَبْدِي) يشير إلى هذه الحفلة وهذه الزفة التكرمية وكأنه يصورها بالصورة الصادقة والمعبرة.

(٢) والآية الثانية: ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ص. ومن قرأ: «عبدنا» جعل إبراهيم وحده عطف بيان له ، ثم عطف ذريته علي عبدنا، وهي إسحاق ويعقوب ، كقراءة ابن عباس : وإله أبيك (آبائك) إبراهيم وإسماعيل وإسحاق .

((واضح من ذلك أن الألف قد حذف ليناسب قراءة الجمع والإفراد معاً))

بِظْلَامٍ لِلْعَبِيدِ .. بِظُلْمٍ

(١) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾ آل عمران .
نلاحظ:

(أولاً) أن آية آل عمران خاصة باليهود - فهو خطاب خاص وباليهود- .. وهم المجرمون عن علم وليس عن جهل . وقد آتاهم الله الكتب والنبوات ..
(ثانياً) ثم أنهم هنا قد بلغ تطاولهم بأنهم يسبون الله ..
(ثالثاً) وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
(رابعاً) والله عزوجل يقول : (ونقول) ذوقوا عذاب الحريق ..
مع مراعاة التجانس الجميل بين (قالوا) و(ونقول) .
بخلاف آية الأنفال التي يقول فيها: وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ .. وواضح الفرق البين في فوله تعالى (ونقول) وظهوره بصيغة الجمع في المشهد المناسب لإجرام اليهود ..
(خامساً) مع مراعاة معنى (علو النبرة) .

ولاحظ أسلوب الإنشاف إلى لفظ الجلالة - وأن الله ، ولم يقل وإنه - . لكل ذلك ولتسلك الخصوصية وضع الألف . ودائماً الخطاب عن بنى إسرائيل يأخذ طابع التعنيف والتخصيص لهم بأشد أنواع العذاب والحزى .

(٢) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ثانياً عطفه لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١١﴾ الحج .. هنا الحديث عن قوم كافرين مجادلين ولكن عن جهل ، بخلاف بنى إسرائيل الذين كانوا أشد جرماً وجدالاً عن علم بالحقيقة

وإخفاتها ؛ وكأنه بهذا الرسم يعطى إشارة إلى التخفيف عنهم بالجهل (العدر بالجهل) بخلاف علماء بني إسرائيل. (لم يقل هنا: ونقول ذوقوا..). وهى كما قلنا خطاب عام لأى كافر.

(٣) ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ

(٥١) ﴿ الأنفال.. (لاحظ هنا لم يقل : ونقول ذوقوا.. والخطاب عام لأى كافر وليس لبني إسرائيل.. هنا الحديث عن المنافقين الضعفاء ، والكافرين المنكسرين والمستسلمين للملائكة فى لحظات الموت ، وليس عن اليهود المتمردين والمحرمين فى حال الدنيا)؛ ومشهد الإستسلام والضعف لايناسبه وضع الألف.

(٤) ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ (فصلت (هنا خطاب عام).

(٤) ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) ﴾ (ق(خطاب عام)

ومن هنا يتبين أن الألف وضعت - كما تعودنا فى الرسم القرآنى- فى حالة الخصوصية، ورفعت فى حال العموم الذى ليس فيه تخصيص فئة أو قوم معينين ، بالإضافة إلى أن الألف ترسم بوجودها شدة الجرم الذى ارتكبه وهم قوم يهود.

سبحان.. سُبْحَانَ

فى كل القرآن كتبت (سبحان) بدون ألف (سُبْحَانَ) إلا آية واحدة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ... (١)﴾ الإسراء .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)﴾

القصة.. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يس

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا وَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

يَصِفُونَ (١٥٩) ﴿ الصافات (خطاب للغائب وليس للحاضر)

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)﴾ الصافات.

﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣)﴾ الزخرف.

﴿سُبْحٰنَ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُوْنَ (٨٢)﴾

﴿اَمْ لَهُمْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ سُبْحٰنَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ (٤٣)﴾ الطور... خطاب بصيغة الغيبة.

﴿... الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيْزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ (٢٣)﴾ الحشر.

﴿قَالَ اَوْسَطُهُمْ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ لَوْ اَنَّا نَسْبُوْهُنَّ لَوَلّٰىنَا سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ (٢٩)﴾

القلم .

كل هذه الآيات السابقة هادئة النبرة ولذلك رسمت فيها (سبحن) بدون ألف ، ولم ترسم (سبحان) بالألف إلا في آية واحدة كان فيها السياق عاصف وعالى النبرة ويحتاج إلى فصل الخطاب بهذه الكلمة، والآية هي ﴿قُلْ سُبْحٰنَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ اِلَّا بَشَرًا رَّسُوْلًا (٩٣)﴾ وقصتها أنه لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبيانات ولزمتهم الحجة وغلبوا ، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات : فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة - أي كفروا بالقرآن وطالبوا بمعجزات أخرى على هواهم هم وهي :-

﴿وَقَالُوْا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْاَرْضِ يَنْبُوْعًا (٩٠) اَوْ تُكُوْنَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيْلِ وَعَنْبٍ فَتُفَجِّرَ الْاَنْهَارَ خِلٰلَهَا تَفْجِيْرًا (٩١) اَوْ تُسْقِطَ السَّمٰوٰتَ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كَسَفًا اَوْ تَاْتِيْ بِاللّٰهِ وَالْمَلٰئِكَةِ قَبِيْلًا (٩٢) اَوْ يَكُوْنَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ اَوْ تَرْقٰى فِي السَّمٰوٰتِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيْكَ حَتّٰى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتٰبًا نَقْرُوْهُ قُلْ سُبْحٰنَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ اِلَّا بَشَرًا رَّسُوْلًا (٩٣) ..﴾ .
فقال لهم ليس أمر الآيات إليّ ، إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها عليّ . أو تظنون في الألوهية .. فأتى بالاستفهام الإنكاري ، وصيغة الحصر المقتضية قصر نفسه على البشرية والرسالة قصرًا إضافيًا ، أي لست ربًا متصرفًا أخلق ما يطلب مني ، فكيف أتى بالله والملائكة وكيف أخلق في الأرض ما لم يخلق فيها . (والحديث هنا مواجهة وليس خطاب بصيغة الغيبة، يحتاج - كما يرى القاريء - إلى علو النبرة الاستنكارية في الرد عليهم وإظهار الألف).

***** وواضح من هذا العرض وضوحاً جلياً ، أن رسم الكلمة يحدد أيضاً نبرة الصوت للمتكلم ويصور حالة الهدوء - في حذفها - ، وحالة الإنفعال - في ظهورها - ، ويفرق بين الأسلوب الخبري الهادئ والأسلوب التقريري والاستفهامي أو الإنكاري العاصف ، ويحدد أيضاً ارتفاع نبرة الصوت للمتكلم أو إنخفاضه ، بل أحياناً يرسم هذا الألف فاصلاً هاماً ومقصوداً ، وهنا - في هذه الآية الأخيرة التي رسمت بالألف "سبحان" - - كأنه يفصل بين مقام الألوهية والعبودية بأسلوب حاسم وفاصل لا يقبل التمايع أو الخلط أو الهدوء ..

وقال آخرون أن هذه الألف هي ألف الصلة وامتدادها مع الله . وربما الإستغاثه به أيضاً... والموقف فيه حدة واضحة بخلاف الوارد في سورة يوسف التي فيها مقام المجادلة باللين والهدوء والشرح ، وقد تمثل ذلك في رسم كلماتها وهدوء إيقاعها ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨). فهذه دعوة باللين وفي جو هادىء وفيه تعريف بجلال الله وهيبته التي تتوارى من وراء حجاب (سبحن) ولكن في الإسراء هي صرخة عالية وفارقة والقضية تحتاج إلى هذا الإظهار.

فما أروع هذا الإعجاز وما أبهره لأولى الألباب !

الآن...الآن

(١) ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا آلَيْنِ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَخَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿البقرة﴾

(٢) ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَيْنِ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا ﴾ ﴿النساء﴾

(٣) ﴿ آلَيْنِ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ﴿الأنفال﴾

(٤) ﴿ أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ آلَيْنِ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ﴿يونس﴾

(٥) ﴿ آلَيْنِ وَقَدْ غَضِبْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿يونس﴾

(٦) ﴿ قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ آلَيْنِ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ ﴿يوسف﴾

في كل هذه الآيات نجد أن (آلَيْنِ) عن إزالة حاجز .. وهذا الحاجز معنوى وليس مادى أو معه حرس مادى من الملائكة... وهو كشف للغموض والمستور. وتخفيف.. من أجل هذا أخفيت الألف.. بخلاف الآية التالية..

(٧) ﴿ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ آلَانَ يَحِذْ لَهُ شَيْئًا رَّصَدًا ﴾ ﴿الحن﴾

نجد هنا أن (الآن) في سياق الآية هو إقامة الحواجز- وليس إزالة حواجز- والحاجز هنا مادى (بالرجم والحرس من الملائكة)... والتشديد هنا وليس التخفيف.. من أجل هذا أقيمت الألف.

آياتك ، آياتنا

(١) ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ البقرة.

(٢) يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾
 دعوة للفكر والتعقل. (لتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) ولِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. البقرة.

(٣) يونس ١٥: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي إِنِّي أَخَافُ إِنِّي أَخَافُ إِن غَصَبْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

*** هنا يتضح علو لبرة الحديث من النبي (ﷺ) وهو يقول لهم (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي). وملاحظة كلمة تِلْقَائِي.. بثقلها - كما هي في نطقها من فم الحبيب (ﷺ) - لاستبعاد حدوث ذلك منه ، واستنكار الطلب منهم له بتبديل القرآن بعدد ورود هذه الآيات (الواضحة وضوحاً تاماً) ، ولذلك أوضح الألف في كلمة "تلى عليهم" (آياتنا) - كأنه يقول آياتنا الواضحة جداً جداً، وزاد الياء في قوله من (تلقاىء) - التي توحى باستبعاد ما طلبوه رغم هذا الوضوح الشديد لهذه الآيات -.

(٤) يونس ٢١: ﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١٠١﴾﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ.....

يقول الطاهر: سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ، ثم رحمهم بالحياة ، فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله (ﷺ) ويكيدونه.
 إذن الآيات هنا آيات مادية ملموسة (عذاب وتنعيم) وليست آيات كونية أو وحى سماوى. ولذلك كتبت بالألف. على قاعدة ظهور الألف في المادى المحسوس و إخفاء الألف في الملكوتى العلوى والمعنوى.

(١) ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِمِينَ ﴾ (٧٨) فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ الحجر .. يقول الطاهر: وقد تخفف الأيكة فيقال : ليكة.

(٢) ﴿ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٧٥) كَذَّبَ أَصْحَابُ الْفَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِّنَ الْمُنْخَسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَىٰ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي عَلَّمَ بِنَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٨٩) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ الشعراء.

يقول الرمخشمي: .. وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه ، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ (أى يكتب الكاتب مسمورة مايلفظه القارىء) ، كما يكتب أصحاب النحو لان ، ولولى : على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف ، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل ، والقصة واحدة ، على أن «ليكة» اسم لا يعرف. ويقول الألوسى: وتكتب على حكم لفظ الالفاظ بدون همزة وعلى الأصل بالهمزة وكذا نظائرها .

(٣) ﴿ جُنْدًا مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴿التّيكة﴾ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٤﴾ ص .

(٤) ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَتَمُودُ ﴾ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِعَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي نَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ق .

نلاحظ هنا: أن الأيكة توصل (لتيكة) إذا اتصل الحديث وطال وفُصل عن أصحاب الأيكة ، أو اتصل تكذيبهم للرسول (كما في الشعراء) ، أو ضم إليها أقواماً آخرين على

سبيل الوصل في الحديث - (مثل سورة ص) - حيث قال بعدها : أولئك الأحزاب -
 على سبيل الوصل والدمج بين هذه الأقوام بعضهم ببعض - كما قلنا - .
 بخلاف سورة (ق) التي تقول الآية بعد أن عدت الأقوام المذكورين : إن (كل) إلا كذب
 الرسل - أى كل على حدة وليس على سبيل الوصل - إن (كل). وهناك فرق بين
 التعبيرين؛ فالأخير (ق) - إن (كل) - يعطى إيجاء بانفصال كل قوم على حدة،
 واستقلالته في التكذيب ؛ ولذلك فصلت كلمة الأيكة وقطعت حروفها (الأيكة) ..
 وهكذا الحال في سورة الحجر حيث استقل (أصحاب الأيكة) بالحديث وحدهم وعلى
 انفراد دون اشتراك أقوام آخرين معهم.

وقيل هناك رأى آخر: أن أصحاب الأيكة قوم قليلون في العدد والحجم والمكانة، فإذا
 اتصل الحديث معهم ومع أقوام كبار ظهرت قلتهم فحذف الألف رمزاً لذلك... أما إذا
 انفردوا بالحديث فظهر دولتهم ويظهر فيها الألف - كما في (الحجر) - وأيضاً يحدث
 ذلك إذا اقترن الحديث معها بقوم أقل منهم شأنًا (كقوم تبع) فسيكون لهم الظهور حينئذٍ
 - فتظهر الألف فيها - كما في سورة (ق) - (الأيكة وقوم تبع) .

ويقول الإمام الزركشى: وكذلك الأيكة نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت
 همزة الوصل لتحريك اللام وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام فاجتمعت الكلمتان
 فصارت ليكة علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى وذلك في حرفين أحدهما في
 الشعراء جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان وجعلها جملة ، فهي آخر قصة في
 السورة ، بدليل قوله إن في ذلك لآية فأفردها .. والثاني في (ص) جمع الأمم فيها بالقائم
 وجعلهم جهة واحدة هم آخر أمة فيها ، ووصف الجملة، قال تعالى (أولئك الأحزاب)
 وليس الأحزاب وصفا لكل منهم ، بل هو وصف جميعهم.

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين أحدهما في الحجر (وإن كان
 أصحاب الأيكة لظالمين) أفردهم بالذكر ، والوصف والثاني في ق (وأصحاب الأيكة) ..
 جمعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كل منهم ، لا على الجملة، قال تعالى كل كذب
 الرسل ، فحيث يعتبر فيهم التفصيل فصل لام التعريف وحيث يعتبر فيهم التوصيل
 وصل للتخفيف . انتهى .



مبارك ... مُبْرَك

(١) ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ۞ الأنعام.

وافتتاح الجملة باسم الإشارة (وهذا كتاب..)، وبناء الفعل عليه ، وجعل الكتاب الذي حقه أن يكون مفعول : { أنزلناه } مبتدأ ، كل ذلك للاهتمام بالكتاب والتتويه به ، وقد تقدم نظيره : { وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه } في هذه السورة .

(٢) ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بَلِقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) ۞ الأنعام.. نفس الآية ونفس التوكيدات: وهذا كتاب أنزلناه مُبَارَكًا.

ويقول الطاهر: جملة : { وهذا كتاب أنزلته مبارك } عطف على جملة : { ثم آتينا موسى الكتاب } [الأنعام : ١٥٤] . والمعنى : آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب.

((ففى الآيتين صيغة المقارنة والتفضيل ؛ فهو- القرآن- أظهر من كتاب موسى.. وهذا المعنى يؤيد ظهور الألف أيضاً مثل الآية التالية أيضاً: (((

(٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) ۞ الأنبياء.

((فهو أظهر من كتاب موسى وفيه صيغة المقارنة والتفضيل(((

(٤) ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ﴿٢٤﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٥﴾ ﴿ ص
 (نلاحظ أنه:

(١) لم يرد هنا ذكر الكتاب بعد ذكر كتاب موسى. فهو وحده - أى القرآن - كتاب جامع.. (فلا توجد «سبعة التفضيل بل هو على العموم).

(٢) وأنه قال بعدها ليدبروا آياته .. والتدبر أمر معنوى وفكرى فيحذف له الألف.

(٣) وورود كلمة "إليك" في قوله: أنزلناه إليك.. فيه الخصوصية وعدم المقارنة.

(٤) ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ.... ﴾. البيت أمر مady !! وقيل : مكة ، البلد ، وبكة ، موضع المسجد... وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة : «آية بينة» ، على التوحيد . (وهذه القراءة وحدها كافية لحذف الألف من كلمة "آيات" و "بينات").

(٥) ﴿ وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ.. يتحدث عن البركة في ذاته وشخصه ﴾ (ص).

(٦) ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩) ﴾ المؤمنون.. يتحدث عن منزل السفينة. (مady).

(٧) ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ ﴿ ق (هى بركة من السماء والبركة فيها مجازية، وهى متغيرة ، وليست البركة ذاتية فيها) .

(٨) ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَلِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور.

(٩) ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿

(١٠) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (٣) الدخان.

(١١) القصص. ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُقَ إِلَى - أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿

نلاحظ أنه كتب لفظ مبارك (بالألف) مع :

(١) الأمر المادى والذى فيه البركة على الحقيقة وليس المعنوى أو المجازى (رَبُّ أَنْزَلْنِي مُنَزَّلًا مُبَارَكًا) .

(٢) الكتاب وخاصة بعد ذكر كتاب موسى ، ليعطى معنى المقارنة والمفاضلة التى تستدعى وجود الألف، ومع التركيز على وصف الكتاب بصفاته المذكورة. (أى كتاب محدد ومعلوم ومقارن بكتاب موسى).

ولكن حذفت الألف من الكتاب (مبرك) حينما لم يذكر قبله كتاب موسى - ويكون هو وحده الكتاب الجامع ، وأيضاً حينما خصصه لمحمد (ﷺ) فقال: (إليك). وحذفت الألف حينما قال بعدها ليتدبروا .. ، وليتذكر.. ((وسرى ذلك متكرراً كثيراً فى حالة الدعوة للتفكير أو التعقل والاستنباط (مثل: وما يعقلها إلا العالمون)) فيحذف الألف ، والتدبر كما نعلم أمر معنوى.

(٣) ووضع الألف فى عيسى (عليه السلام)، مبارك بالألف فهى بركة ذاتية منأصلة فيه.

(٤) البيت مبارك بالألف (وله سبب غير السبب المادى).

(٥) المكان الذى دعا به نوح بالتزول إليه... (وأنزلى منزلاً مباركاً - أى مبارك فى ذاته - مبارك بالألف) . وهى شخصية ومادية.

وكل هذه الأسماء البركة فيها أصيلة ونابعة من داخلها (الأصالة والعمق) فهى مباركة بذاتها وتبارك غيرها .. وكلها ذوات مادية ظاهرة بكيفية معلومة. ولذلك وضع فيها الألف ، وذلك بخلاف:

(١) التحية : أمر معنوى ومتغير.

(٢) الشجرة لموسى وقد باركها (الوحى) فهو المبارك على الحقيقة، وهى (بركة طارئة) وهى ليست مباركة من ذاتها ، ومثلها البقعة المباركة والليلة المباركة.

(٣) الشجرة الزيتون (تشبيه لنور الله الجامع والغيبي وليس له وجود فى الواقع نتخيله فليس لمثله شىء ولا لمثل نوره شىء).

(٤) ليلة القدر الليلة المباركة التى بورت بترول الوحى (القرآن فيها) وليس لداها.

فكلها أسماء تحتاج إلى من يباركها وليست هى البركة فى ذاتها فكتبت بدون ألف (مبرك) ، بالإضافة إلى أنها كلها (إما معنوى : كالتحية . ، وإما غيبية فى كنهها :

كشجرة الوحى لموسى ؛ فهى ليست بالشجرة المألوفة - ، وهكذا المثل بشجرة زيتونة

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار....) وإما بركة معنوية وروحية (كبركة ليلة القدر).. ولكل هذه الأسباب وغيرها حذف الألف.

ولكن يبقى السؤال الهام وهو : لماذا وضع الألف في الحديث عن البيت الحرام (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) وحذف الألف من مكان مادي أيضاً وهو الشجرة المباركة لموسى عليه السلام (أَتْنَهَا تُودَى مِن شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ) .

والإجابة على هذا السؤال توضح الفارق الذي من أجله يوضع أو يحذف الألف في هذه الأمثلة السابقة؛ حيث أن البيت الحرام بركته أصيلة ومستمرة ومتعمقة فيه من لدن إبراهيم عليه السلام - وقيل قبل آدم حيث أن الملائكة هي التي قامت ببناؤه - بل ورد في بعض الآثار أنه هو أول ما به الله عز وجل يوم أن خلق السموات والأرض ولم يكن شيئاً قد خلق بعد ؛ فبركته ليست وقتية مثل شجرة موسى تنتهي بمغادره موسى أو الوحي من عليها فكان هذا الفارق في رسم الكلمة.

حاج - حججتم

(١) البقرة: ﴿ أَلَمْ نُرِ الْوَالِدِ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي .. (٢٥٨) ﴾ ماض يتكون من ثلاث حروف فقط (وهناك قاعدة لاتستجيز نقص الحروف في هذا العدد القليل من الكلمة (ثلاث حروف) ولهذا فنحن لانسأل عن بقاء الألف هنا ... ولكننا نقول إلا ما استثناه الرسم القرآني والحكمة بليغة سنها في حينها.

(٢) البقرة ٧٦: ﴿ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ فهنا سياق الآيات فيه توبيخ واضح وعنيف ويقول بعدها (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)؟؟.

(٣) البقرة ﴿ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٧٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿٧٩﴾ أم تقولون إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ... .. في الآيات هجوم متوالي وتوبيخ وموقف عالي النبرة (يستدعى ظهور الألف)

(٤) {فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله} [آل عمران : ٢٠] صيغة الشرط تفيد المستقبل وليس الماضي ، والشرط فيه إلزام وقوة (يستدعي ظهور الألف).

(٥) آل عمران: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٠﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ حَسْبُحَسْبُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

حَسْبُحَسْبُمْ ماضى ومع ضمير الجمع - مضاف إلى ضمير (أنتم) - وأيضاً محاججتهم هنا فيما لهم به علم .

أما (فلم تحاجون..) فهي استفهام إنكارى ، والأمر ليس فيه محاجة من الجانبين مثل آية الأنعام.. وأيضاً الحاجة هنا فيما ليس لهم به علم مما يزيد نبرة الاستنكار. وكأنه يقول : الحاجة بعلم مقبولة ولا تحتاج إنكار أو علو نبرة، أما المحاجة بغير علم فهي مستكرة وتحتاج إلى تعنيف ورد... إضافة إلى ارتفاع نبرة الصوت في الإستفهام والتعجب وقوله أيضاً: (أفلا تعقلون).

(٦) آل عمران: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

(٧) الأنعام: ﴿ ... فَلَمَّا رَأَى السَّمْسُ بَازِعَةً قَالِ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِّرُ إِبْرَاهِيمُ بِرَبِّهِ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ إِبْرَاهِيمُ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَسِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٤﴾ وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ الْمُتَحَبِّطُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٥﴾ وَكَفِيفٌ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ الأنعام . ويقول أبو السعود: { وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ } أي شرعوا في مغالبته في أمر التوحيد (وهي مكتوبة بالألف). وقوله: { أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ } .

((وهنا الحوار هادئ، جدا من جانب إبراهيم ، وهو ما يناسب جو ضرب الأمثلة الهادئة والدعوة إلى التفكير .. مع استخدام لفظ (قال) - أى إبراهيم - بدون أمر له من الله يعطى للسياق القوة والتفسيهيم . بخلاف قوله (قل) في البقرة ١٣٩ (قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ..)).

ويقول الإمام البقاعي رأياً آخر وهو: ولما كان من المعلوم أن محاجتهم - بعد هذه الأدلة الواضحة- في غاية من السقوط ، سفلت عن الحضيض ، نزه المقام عن ذكرها ، إشارة إلى أنها بحيث لا يستحق الذكر (وأقول موضحاً : كأنه بعد هذا البرهان بضرب الأمثلة الهادئة والواضحة والموضحة لا يوجد مجال لأدنى محاجة أو مجادلة- فحذف الألف- .. وهذا مثل الحذف في قوله تعالى "فلاتك" .. "فلا تكن").

(٨) الشورى: ﴿ وَالَّذِينَ يُبْحِثُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٦) ﴿ واضح أن الرد استنكارى عنيف عليهم من الله ** ونلاحظ من أقوال علماء اللغة أن (المحاجة) فيها عنصر المغالبة ولذلك فحقتها أن تكتب بالألف ؛ وحينئذ يسأل عن سبب حذف الألف في الآيات الأخرى فقط... وذلك بخلاف معنى "جدلتم" ، "يجدل" التي يحذف منها الألف دائماً: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (١٠٧).. (١٠٨) هَا أَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ لأنه كما يقول الألويسي: والمجادلة أصلها من الجدل وهو شدة الفتل .

(وأنا أرى أن المحاجة ليس فيها التركيز على محاولة كسب الخصم وضمه إليه بخلاف المجادلة التي فيها معنى التجمع والتقوية وعدم المتنافر الذي يستدعي حذف الألف . وكما يصور ذلك الإمام الرازي في قوله: وجدل الجبل شدة فتلة ((أى لفه على بعضه وتقاربه وتماسكه وجمع بعضه المتنافر لبعضه الآخر)))، ورجل مجدول كأنه فتل ، والأجدل الصقر لأنه من أشد الطيور قوة . هذا قول الزجاج . وقال غيره : سميت المخاصمة (جدالاً) لأن كل واحد من الخصمين يريد ميل صاحبه عما هو عليه وصرفه عن رأيه .

والمصباح المنير: وحاجه فحجه من باب رد أي غلبه بالحجة (إذن المحاجة فيها مشهد المغالبة والارتفاع والعلو على الخصم ، وكما قال الإمام البقاعي: { حاجتكم } أي قصدتم مغالبة من يقصد الرد عليكم . (ولذلك تكتب بالألف - إلا ما استثنى-).. أما المجادلة ففيها مشهد جذب الخصم وضمه إليه - الجدل- (ولذلك كتبت بدون ألف).. وأرى أن هذا المعنى هو السبب في رسم الأولى بالألف والثانية بدون الألف - والله أعلم) وبقي لنا توضيح سبب حذف الألف من بعض مواقف المجادلة وهذا ما نسأل عنه كما قلنا ... وقد لاحظنا أن هذا الأمر يسير على نفس المنهج القرآني وهو: أن المحاجة إذا

صاحبها (مشهد اللين والهدوء وضرب الأمثلة لجذب وإقناع الخصم) - كما حدث من إبراهيم في الأنعام - هنا تكتب (بدون ألف) والعكس بالعكس. ولذلك نجد هذه التفرقة واضحة - في رسم الكلمة أيضاً - في قوله : هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَرَجْتُمْ **﴿فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾** فَلَمْ تُحَاجُّوْنَ **﴿فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾**.. فالذى به علم يجر إلى الإقناع والجذب (فحذف الألف).. بخلاف المحاجة بجهل التي تؤدي إلى التنافر والإنكار (فوضع فيها الألف).

طاغون - طغين

(١) * **﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾** (٥٢) أَتَوَّصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ **طَاغُونَ** (٥٣) الذاريات.
 (٢) * **﴿الطور:﴾** أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ **طَاغُونَ** (٣٢).
 رسمت بالألف في الآيتين، وملاحظة التوبيخ لهم وهم في الدنيا وجبروتهم ظاهر، بخلاف الآيات الآتية:

(٣) ** **﴿الصفات:﴾** وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا **طٰغِيْنَ** (٥١).

(٤) ** **﴿ص:﴾** هَذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِيْنَ لَشَرَّ مَقَابٍ (٥١) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْهَادِ (٥٢) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٍ (٥٣) وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ (٥٤) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٥) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَ الْفَرَارِ (٥٦) قَالُوا رَبَّنَا ... **﴿...﴾** هذا الحوار في الآخرة.

(٥) ** **﴿القلم:﴾** قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَائَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا **طٰغِيْنَ** (٣١) .. **﴿...﴾**

(٦) * **﴿النبأ:﴾** إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّٰغِيْنَ مَأْبَا (٢٢) .. جملة خبرية عما سيحدث.

هنا في هذه المواقف التي رسمت فيها الكلمة بدون ألف نلاحظ أنها حال ماضية ، وفيها التحسر والتندم على مافات ، وفيها (الشعور بالذل والإنكسار)، و يكون الحديث في عرصات (يوم القيامة حساباً على ما فات) ، (لكل هذه المعاني حدث انكسار الألف وإخفائه لانكسار حالهم وغيبية الموقف - يوم القيامة-).

طاغون .. طغين

(١) ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَتَتْ بِمَلُومٍ (٥٤) ﴾ الذاريات.
 ((إذن هو حكم الله عليهم النافذ والثابت الذى لا يتغير، والحكم على لسان رب العزة، وهو حكم عليهم فى الدنيا، وهو جملة إسمية من مبتدأ وخبر. لذلك وضع الألف وللأسباب التالية أيضاً:

حيث نلاحظ أن فى هذه الآيات

- ١ - إتمام الكفار للأنبياء ولنبينا محمد (ﷺ) بالسحر والجنون .. وقد تعودنا فى جميع القرآن أنه حينما يسب النبى (مثل: وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) - نجد أن سياق الآيات بعدها يلتهب وتشتد وتعلوا النبرة للدفاع عن الحبيب (ﷺ).
- ٢ - ونلاحظ أيضاً أن الله تولى الرد عليهم وسجل الحكم عليهم وهم فى الدنيا. وهم فى عنفوان سلطاتهم وطغيانهم .. بخلاف الحديث إذا كان معهم فى الآخرة فهم أدلاء حينئذ، وقد ظهر عليهم الإستسلام والإنكسار... ودائماً رد الشبهات لها المقدمة والأهمية الأولى (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة). ونفس هذه الملاحظات نجدها فى الآية التالية من سورة الطور.

٣ - ملاحظة أن "طاغون" مرفوعة - فى الإعراب - وبصيغة إسم الفاعل.

(٢) الطور: ﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَتَتْ بِبِعْمَةٍ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبِ الْمُتُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) ﴾ الطور.

أبو السعود: .. الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طابعهم..... ((هذا يعنى أن هذا الطغيان ليس طغياناً عابراً أو طارئاً على فطرتهم؛ نتيجة توصية لهم من آبائهم أو رؤسائهم، ولكنه طغيان متأصل فى فطرتهم وثابت معهم منذ ولادتهم فهو ظاهر منهم بدون وصية من أحد))، وهذا معنى آخر يعطى سبباً وجيهاً لإثبات الألف فى الكلمة فى الآية السابقة أيضاً.

(٣) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨)

قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠)﴾

الصفات.. نلاحظ هنا :

** أن الحديث معهم في الآخرة بعد زوال طغيانهم واستسلامهم.. بَلْ هُمْ الْيَوْمَ

مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦). ثم يساق بهم إلى الجحيم فيقال لهم : { مَا لَكُمْ لَا تَنصرون } يعني:

لم ينصر بعضكم بعضاً ، ولا يدفع بعضكم عن بعض كما كنتم تفعلون في الدنيا

قوله عز وجل : { بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ } أي : خاضعون ذليلون

الخلاصة:

١ - الموقف هنا موقف استسلام وانكسار وليس موقف تعالي وتكبر (كحالهم في الدنيا).. حتى أن تكبرهم الذي كانوا عليه في الدنيا لايساوى شيئاً بجانب ما يرونه الآن من سلطان زبانية العذاب عليهم وهوانهم هم .

والحديث هنا بلفظ (بل كنتم).. و(إنا كنا) .. ولعل القارىء يتخيل حالهم وهم يقولون هذه الكلمة وهم في هول يوم القيامة ويتخيل: هل ستعلوا نبرتهم بما أم تنخفض وتخفت ؟

٢ - هنا وصف لحالم - وفي الماضي - وليس بصيغة إسم الفاعل.

٣ - ملاحظة النصب أو الجر في الإعراب. - فليس بقوة الجملة الإسمية التي تدل على الدوام والثبات لهذه الصفة. - وهذا كله أيضاً ملاحظ في الآيات التالية:

(١) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ

(٣١) الْقَلَمِ يَتَلَوَّمُونَ . موقف استسلام أيضاً. قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) . وقوله

كنا .. وليس فيها وصفه بالإجرام وسب النبي (ﷺ).... وهو قولهم وحكمهم على

أنفسهم وليس حكم الله عليهم.... وهم يَتَلَوَّمُونَ (دليل الندم ، وأنهم أقل

طغياناً).. والموقف منهم طغياناً سلبياً ، وليس فيه حرب أو جدال عنيف.... وكان

طغيانهم السلبي هو (منع) حق المسكين في الزكاة فقط^(١). (وهو تصرف وطغيان

(١) وهم قوم من أهل العمالة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين ، فكان يأخذ منها قوت سنته

ويتصدق بالباقي ، وكان يترك للمسكين ما أخطأه المنجل ، وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب ،

وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت ، فكان يجتمع لهم شيء كثير ، فلما مات قال بوه : إن

سلي، وليس بالإعتداء بالقول أو الفعل (أى تحرك وفعل إجرامى إيجابى).. ولذلك نجد أن الله حينما أهلك جنتهم قال { فَطَافَ عَلَيْهَا } بلاء أو هلاك { طَافَتْ } من ربك .. وكتبت (طائف) بالألف لأنها حركة تدمير إيجابية وفيها عنصر الظهور الديوى .. بخلاف كتابتها في قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } (٢٠١).. فهو طيف من الشيطان (وسوسة فقط).. حركة سلبية .. لأنه ليس له سلطان عليهم - كما قال تعالى - وهى طيف وسوسة أيضاً في الخفاء .. وأيضاً وسوسة ضعيفة.. ولذلك رسمت بدون ألف (طيف) .. كما رسمت (طائفين)

أيضاً بدون ألف لنفس الأسباب.

ولذلك يقول أبو السعود: { إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ } أدنى لمة منه ، على أن تنوينه للتحقير .. وقرىء طيفاً على أنه مصدر ، أو تخفيفاً من طيف من الواري أو اليائي كهين ولين ، وهذا توجيه آخر لحذف الألف لتلك القراءة. ((وإن كنت أرى أن قوله (على أن تنوينه للتحقير - أى طيف من الشيطان) ليس بالصحيح على إطلاقه وبدون تحقيق وتوضيح ، لأنه يمكن أن يقال ذلك التحقير على طائف الرب في قوله (طائف من ربك).. ولكننا نقول أن السياق هو الذى يحدد ، وخاصة أنه يقول قلبها : طاف (عليها) .. و(عليها) تعطى معنى الإستعلاء والتدمير والقوة المسيطرة. ولكننا نعود ونقول : ربما نأخذ من قول الإمام أبو السعود: أن التنوين "لطائف من الشيطان" هو للتحقير ، نقول أنه أيضاً يمكن أن يكون للتحقير أيضاً في (لطائف من ربك)، ولكن على معنى بلاغى آخر وهو : أن أحقر وأقل طائف من ربك قد أتى بهذا التدمير لهذه الجنة (فأصبحت كالصريم في لحظة) فما بالك بالطائف القوى لو جاءهم من ربك ؟ .. وهذا مثل قولنا في تنكير قوله تعالى (ورضون من الله أكبر) وقلنا وقتها أن التنكير هنا يفيد التقليل أيضاً : أى أن أقل شأن من رضوان الله أعظم من الجنة وما فيها ، فما بالك بالرضوان الكامل من الله !؟

(٢) ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّائِفِينَ لَشَرًّا مَّآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمَهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَسْذُوقُوا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (٥٧) وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ (٥٨) هَذَا فَوَجَّ مُقْتَحِمًا مَعَكُمْ لَا مَرَحًا بِهِمْ إِنَّهُمْ

فلعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال ، فحلفوا ليصرمنها مصحين في السدف خفية عن المساكين ، ولم يستنوا في عيبتهم ، فأحرق الله جنتهم.

صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْحَاجِبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١). إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٢) ص واضح أن الموقف يعكس تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ.. وهم قد زال طغيانهم وظهر انكسارهم.. ويحكي وصفهم بالطغيان في الماضي.. وهو إسم وليس فعل .

(٣) ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّٰغِيْنَ مَا بَا (٢٢) لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَّا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) ﴾ النبأ.. وهكذا الحديث في الآخرة .

(٤) ﴿ فَأَمَّا تُمُودٌ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) ﴾ {الطاغية} بالواقعة الجاوزة للحد في الشدة . واختلف فيها ، ف قيل : الرجفة . . . وقيل : الباردة من الصر ، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر : فهي تحرق لشدة بردها (لاحظ تكرار الحروف (صر صر) مع تكرار المعنى المراد في الكلمة مع وجود حرف الألف).

(وهنا الحديث حديث هلاك مادي في الدنيا (مثل طائف وطيف) .. وأنه ذكر الإسم .

عَلَيْهِمْ

﴿ وَذَانِبَةٌ عَلَيْهِمْ ظُلْمٌ لِّهَا وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا ﴿١٠٠﴾ عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوتٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَدُهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الإنسان .

الطبرى: وقد اختلف أهل القراءة في قراءة ذلك فقرأته عامة قرآء المدينة والكوفة وبعض قرآء مكة (عَالِيَهُمْ) بتسكين الياء. وكان عاصم وأبو عمرو وابن كثير يقرءونه بفتح الياء، فمن فتحها جعل قوله (عَالِيَهُمْ) اسما مرافعا للثياب، مثل قول القائل: ظاهرهم ثياب سندس. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قرآءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وهنا ملحوظ يشير إليه الإمام البقاعي حيث يقول: { عَلَيْهِمْ } أي حال كون الخادم والمخدوم يعلو أجسامهم (على سبيل الدوام) ((وأرى أن رسم الكلمة (عَلَيْهِمْ) بدون ألف لتفيد هذا الدوام والاتصال وعدم الانقطاع (من وصل الكلمة وحذف الألف الفارقة)، وبذلك أضاف معنى آخر إلى المعنى المتعارف عليه (أنه فوقهم فقط) وأشار إلى

معنى الدوام أيضاً.. واختلاف الرسم كأنه يشير إلى التوقف لفهم هذا المعنى.. فهى ليست عليهم ولكنها (عاليتهم) وعدم إظهار الألف يعطى المعنيين معاً..
 *** ثم كلمة (ثياب) مفردة ومضافة (ثيابهم ثيابهن) كلها بالألف... وأيضاً لباس بالألف مفردة ومضافة يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا... ولكن (سَوْءَ تَهُمَا) رسمت بإخفاء الألف لخفاء العورة أو لما يجب أن نفعله في إخفاء العورة.



أَمْثَالُكُمْ - أَمْثَالُكُمْ

نلاحظ أنه إذا كانت المثلية في نفس الذات الآدمية ، وربما أيضاً يكون هذا التغيير بكيفية غيبية - كما يحدث في يوم القيامة أو بوعده من الله بتبديل أمثالنا - هنا نكتب (أَمْثَالُكُمْ) بدون ألف رامزة لهذا التطابق والتجانس.. وإن كانت المثلية في غير هذا الأصل (أى: الآدمية) فتكتب بالألف رامزة لهذا الفارق الهام (أَمْثَالُكُمْ) هكذا:

(١) ﴿ وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ . أى: مكتوبة أرزاقها وأجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وأجالكم وأعمالكم.. وهذه هى المثلية... فهى ليست مثلية في الآدمية والذات، بل هى مفارقة في ذلك ، ولكنها مثلية في التنظيم فقط .. ((ولذلك كتب بالألف)).... وأيضاً في قوله:

(٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (أى الأصنام) عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) ﴾ الاعراف .. يقول أبو السعود: { عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ } أى مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث أنها مملوكة لله عز وجل مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضرر (أصنام). وقوله تعالى: { أَلْهَمُّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا } الخ .. كأنه قيل: ألهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم؟ ((إذن المثلية هنا مختلفة عن الآدمية الحية)).

(٣) ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُّوْلًا، تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَلِنَأْتِيَنَّاهُ وَنَنْزِلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ محمد... والمعنى: يخلق قوماً (بشراً آدميين مطابقين لنا في المثلية) سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى ، غير متولين عنهما، (وهنا الكيفية والحالة مجهولة ولكنها مشابهة لهم في الأصل وهو الآدمية).

(٤) ﴿ تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ أَلْمُوتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ۝ الواقعة . أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق -

أي الخلق الآدمي ، وعلى أن (نشأكم) في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها - أي

كيفية مجهولة - ، يعني : أنا نقدر على الأمرين جميعاً : على خلق ما يماثلكم ، وما لا

يماثلكم ؛ فكيف نعيد عن إعادتكم . ويجوز أن يكون { أمثالكم } جمع مثل . أي :

على أن نبدل ونغير صفاتكم التي (أنتم) عليها في خلقكم وأخلاقكم ، وننشئكم في

صفات لا تعلمونها . (فهى في هذا الرأى أيضاً بيدل نفس الذات الآدمية لنفس

الشخص ولكن بصفات أخرى) لذلك كتبت بدون ألف .

(٥) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ

كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٤٣﴾ ۝ محمد . يقول المفسرون ومنهم الزمخشري : أنه يضرب

أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم (يضربُ اللهُ للناسِ ..) . فإن قلت : أين ضرب الأمثال؟

قلت : في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار ، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين (أى

المثلية هنا مثلية معنوية وليست شكلية مادية) . أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة

الكفار ، وتكفير السسئيات مثلاً لفوز المؤمنين .. وهي اتباع المؤمنين الحق ولوزهم

وفلاحهم ، واتباع الكافرين الباطل وخيبتهم وخسراهم ،

إذن هى أمثال معنوية وليست جسدية . (ولذلك كتبت بدون ألف) .

ولاحظ : . كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ (٣) .. فهو سبحانه يضرب (للناس)

أمثالهم وليس يضرب (لنا) أمثالهم .. فهو خطاب عن الغيبة وليس الحضور والمواجهة ..

راجع (كلأ ضربنا (له) الأمثل) .

(٦) ﴿ تَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٤٤﴾ ۝ الإنسان ۚ

وَإِذَا شِئْنَا { أهلكناهم و { بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ } في شدة الأسر - والمقصود أمثال آدمية -

يعني : النشأة الأخرى - أى لنفس ذواتهم - . وقيل : معناه : بدلنا غيرهم ممن يطيع -

ولكنهم آدميين أمثالهم - . { تَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ } لا غيرنا { وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ } أى أحكمنا

ربط مفاصلهم بالأعصاب . { وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ } بعد إهلاكهم { تَبْدِيلًا } بدبعا

لا ريب فيه هو البعث - أى إعادة لذواتهم هم - .

الخلاصة : إذا كانت الأمثال المضافة (أمثالهم ، أمثالكم) مطابقة للذات الآدمية ، أو هي نفس الذات الآدمية ، أو أمثال معنوية للهدى والضلال والإيمان والكفر للإعتبار .. فإنه يحذف منها الألف والعكس إذا كانت الأمثال مخالفة للآدمية أو أمثال مادية تكتب فيها الألف)).

وبقى آيتان هما:

(١) ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠).﴾ . هنا يقصد عملية (التضاعف) والتضاعف في المثلية وليست مثلية

واحدة ، ومنهج الرسم القرآني في التضاعف والتكرار هو وضع الألف .

(٢) ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا (١٠).﴾ ليس للتضاعف والتكرار ولكنها هنا مثلية واحدة ، والمثلية

ليست في الشكل ولكنها (في العاقبة) ، فأمثالها لا يقصد بها المثلية الشكلية المطابقة مطابقة كاملة (كأن يكون نفس نوع التدمير يحسف الأرض مثلاً أو غير ذلك مما حدث بنفس الصورة للأمم السابقة) ولكن عذابهم سيأتي بصورة أو بأخرى ربما بغير هذه المثلية المطابقة مطابقة كاملة ، بل هو يشير إلى أنه ستصيبهم نفس (العاقبة) من التعذيب ولا يشترط نفس الصورة المادية للعقاب .. إذن الحديث ليس عن صورة العقاب المادية ولكنه عن (العاقبة) أي كانت .. (وللكافرين أمثلها) أي أمثال العاقبة أما الصورة الشكلية فلا يقصدها هنا .

الأمثال... الأمثل

(١) ﴿فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكْتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)﴾ الرعد .

(٢) ﴿تُؤْتِيهِمْ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَا ذَنْ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾ ابراهيم .

(٣) ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥)﴾ { كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ } من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد ..

{ وَضَرَبْنَا لَكُمْ } الأمثال { كأنه يقول : أظهرناها لكم وأعلمناكم بها - أي صفات ، ما فعلوا وما فعل بهم - فأظهر الألف ، بخلاف قوله تعالى (ضربنا لهم الأمثال) ففيها الغيب عنا ، وأن الإظهار كان لهم هم (فحذف الألف لنا) .. وهذا جاري على نسق الحديث

عن الحاضر والحديث عن الغيبة كما ذكرنا في مثال (وظللنا عليكم الغمام) كتبت الغمام بالألف مع الخطاب المباشر ، ولكن حينما كان الخطاب بلفظ الغيبة غيب الألف (وظللنا عليهم الغمام) حذف منها الألف. وهكذا الكثير مما سنراه في رحلتنا هذه. (فروح وريحان وجنت نعيم .. (فتح التاء - وجنت - لأن الخطاب في بداية الآيات للمؤمنين (أصحاب الجنة) وبعدها قال: وأما إن كان من أصحاب الجحيم فتزل من هميم (وتصلية) جحيم .. وقال (تصلية) بالتاء المغلقة لأن الخطاب في بداية الآيات كما قلنا خطاب مباشر للمؤمنين ويحكي لهم عن الكافرين بطريق الغيبة فأغلقت تاء (تصلية) جحيم).

(٤) ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) ﴾ الرجل .. الألويسي: فكانه قيل: فلا تجعلوا لله تعالى الأمثال والاكفاء ، فالآية كقوله تعالى: { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا } [البقرة: ٢٢] ، وفي لفظ { الامثال } لمن لا مثال له أصلاً (الله) نعي عظيم عليهم بسوء فعلهم . (وأقول: هنا كان لا بد من وجود الألف الفارقة بين الخالق والمخلوق والحسم في ذلك) .

(٥) ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٥٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِذْهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى أَذْنَابِهِمْ كُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) ﴾ .

كل هذه الأمثلة الخمسة بالألف وهي أمثلة (جزئية) وليست كلية فوضع الألف .

(٦) ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ النور . يكفى أن نقول أن الأمثال هنا مثل لنور الله الذي لا تدركه العقول ولا تمتلئه الأمثال وهو غيبي ملكوتي والمثل له الجلال والهيبة ولهذا كتب بغير الألف .

(٧) ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا (١٠) ﴾ الزمخشري: { ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ } أي : قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة . من نبوة مشتركة بين إنسان وملك . (وفي هذه الآية ورد اختلاف في الرسم في المصاحف حيث كتبت على الهيئتين (الأمثال ، الأمتل) لأن هذه الأمثال متنوعة بين المعنوي (النبوة والملائكية والأساطير) وبين المادى (يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ويكون له كثر ..).

(٨) ﴿ وَعَادَا وَتَمُودَا وَأَصْحَبَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٤٥﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الفرقان .

(يقول: كلاً ضربنا (له) ، ولم يقل ضربنا (لكم) أمثالهم، إذن هو يحكى حالهم (حديث الغيبة وليس الحضور والمواجهة فغيب الألف) وأن الله ضرب لهم - هم - أمثالهم في الغيب السحيق الذي لم نر منه هذه الأمثال فهي لم تضرب لنا.. وقارنها بقوله: قال تعالى : { وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ } [إبراهيم : ٤٥] .

(٩) ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) ﴾ .

(يكفى قوله تعالى : وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ .. فهي أمثلة من ناحية المعقولة والتفكير وهي أمثلة تدعو العلماء للتفكير فيها والتدبر، وليس النظر إلى ظاهرها والوقوف عنده). ويقول الطاهر :

{ وما يعقلها إلا العالمون } . والعقل هنا بمعنى الفهم ، أي لا يفهم مغزاها إلا الذين كملت عقولهم فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام .

(١٠) ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿١٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴿الحشر﴾ (هذا المثال هو عن حالة غيبية غير مشاهدة أو معلومة كيفيتها - خشوع الجبال وتصدعها من سماع القرآن -، وأيضاً قوله: "لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" مثل قوله في الآية الأخرى: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ).

(١١) ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكْتُونِ﴾ ﴿١١﴾ الواقعة.. أي في (الصفاء) ، وقيد بالمكتون أي (المستور) بما يحفظه لأنه أصفى وأبعد من التغير ، وفي الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذي لا تمسه الأيدي ، ووصف الحسنات بذلك شائع في العرب ، (فالمثال ليس في الصورة الشكلية الظاهرية بل في الصفة التي وراء ذلك من النقاء والصفاء والعفة العفاف).

الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾ .

((الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ معرف بالألف واللام وغير مضافة - أي: لم يقل رهبانهم - وهكذا في الآية التالية (غير مضافة) فوضع فيها الألف:

(٢) ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قِسْبِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾ المائة.

بخلاف الآيات الآتية التي تحدث عنهم بصفة الإضافة (لقومهم) وهنا سيكون التركيز ليس على ذواتهم فقط ولكن سيكون على الأثر منهم في اتباعهم ، وتأثيرهم في هؤلاء الأتباع ، ولذلك سنجد الأمر يختلف بين الأحبار والرهبان في وضع الألف وإزالته هكذا:

(٣) ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ﴿٣٥﴾ التوبة.. هنا الإضافة لقومهم التي تفيد خصوصية القيادة والقُدوة لهم ، ومن هنا كان لا بد من الوقوف على تأثير كل من الفريقين في أقوامهم ، والقيام بوصف كل منهم في هذه الحالة ، فكما نعلم أن الأحبار هم العلماء (ودائماً دورهم حركي وإيجابي في التعليم والتدريب ، وهو دور محسوس ومادى وملموس - فرسعت بالألف لتشير إلى كل هذه

المعاني-) وذلك بخلاف الرهبان (فهى حالة انعزال -أى: حالة سلبية وليست عملية حركة
 من تعليم وتدريب وغيرها - وكأنها تشير إلى التأثير السلبي أيضاً لهم - وهى فوق ذلك
 قيادة (روحية) صرفة وليست مادية- ومن أجل كل هذه المعاني كتبت بدون ألف زهنتهم
 لتقوم - عن طريق الرسم المعجز - بالإشارة إلى هذه المعاني.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ .. (٢٧)﴾ الحديد.. وكتبت هنا بالألف لأنها (إسم)
 وليست صفة لأصحابها كما رأينا في (رهبانهم).

أعناب ... أعناب

(١) ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَذَّةٌ فِيهَا مِنْ
 كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة).

في هذه الآية نلاحظ:

(١) المبالغة في وصف مفردات الجنة (وهى الحقيقة).

(٢) تعمد إظهار هذه المفردات وبيان صورها وقيمتها لتظهر صورة الحسرة والحسرة والشدة
 الشديد عند ضياعها منه وهو فى أشد الحاجة إليها - وهو يتطلع إلى ثمرها بشدة - فكان
 لا بد من إظهار الألف (أعناب) ليقوم بهذا الدور من الظهور والإبراز ، وتتعانق الصورة
 المرادة مع الرسم المعجز (إبراز ومبالغة فى المعنى مع إبراز ومبالغة فى الرسم.. وفى حالات
 أخرى - إخفاء مع إخفاء).

ونلاحظ فى الوصف الذى صورته الآيات: وقد أصابه الكبر ، وهو ينظر ويتطلع إلى الثمر
 (الأعناب) ويقول عنه النص: وله ذرية ضعفاء (ولم يقل ذرية ضعيفة - كما يتوقع فى غير
 النص القرآنى-) ليرسم صورة المبالغة الشديدة لحال ذريته - المعلقة به - فى الضعف
 والإحتياج .. فهى ذرية ضعيفة فى المال وضعيفة فى القوة وضعيفة فى الفكر .. ولذلك
 قال: (ضعفاء).

(٢) الآية الثانية ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا
 مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِمَّنَّ النَّخْلُ مِنْ تَلْعَاقِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ
 وَالزَّيْتُونِ وَالرَّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٩) الأنعام.

هنا نلاحظ: التركيز على (قدرة الله) فى إخراج الثمرات التى تكاد تكون (مُشْتَبِهًا)
 يصعب التمييز بين صورها وأشكالها ، ولذلك قال : (مُشْتَبِهًا) وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ولم يقل

(متشابه) وغير متشابه - كما في الآية الأخرى - فهنا صورة القدرة التي تجعلك تستشبه في هذه الأصناف ولا تقوم بتمييزها إلا في غاية الصعوبة - وهذا دليل القدرة لهذه اليد التي استطاعت أن تلبس عليك هذا الشبه ، بخلاف قوله (متشابه) في الآية الأخرى التي تتشابه فقط في بعض الصفات ولكن لا يصعب فيها التمييز . وقد جعلت في مقام التصديق والتحليل والتحریم ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ . وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٤٤)

أما الملاحظة الثانية هي: التفصيل الملاحظ .. حيث يقول: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ... ولا يكفى بذلك بل يقوم بالتفصيل لهذا الإجمال فيقول: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا .. وَبَعْدَهَا تَفْصِيلُ الْحَبِّ : ﴿ يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَتَقْدِيرُهُ : والزيتون متشابهًا وغير متشابه ، والرمان كذلك ؛ فهو تفصيل فوق تفصيل.

والملاحظة الثالثة هي: أنه بعد هذا الاستعراض (للقوة) ، والتفصيل الواضح ، يقول بعدها : ((انظروا)) إلى (ثمره إذا أثمر) (ويئنه) فهو يدعوك إلى النظر في هذا الثمر المفصل والمرز أمام العين .. فلا بد من إظهار هذا الذي يطالبك بالنظر إليه فوضع فيه الألف (ولاحظ النظر إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، وليس الثمر فقط) كما يقول المفسرون: استدلال على قدرة مقدّره ومدبره وناقله من حال إلى حال .. فهو إبراز لكل الثمار والوقوف على كل أحوالها وأطوارها.

(٤) والملاحظة الرابعة: أنه بعدها يقول تعالى : إن في ذلكم .. بصيغة الجمع ولم يقل (ذلك) .. لآيات لقوم يؤمنون) ... ولم يقل لقوم يتفكرون أو يتذكرون ((فكان غاية التناسب والتناسق مع كل هذه الملاحظات هو إبراز الألف المبرزة والمركزة والمفصلة حتى في رسم الكلمة).

ومن هنا نلاحظ أنه :

١ - حين إظهار واستعراض القوة ، أو التفصيل والتركيز والمبالغة والمطالبة بالوقوف والنظر .. هنا يتم إظهار الألف (إظهار وتفصيل وتركيز ومبالغة مع إظهار وتفصيل وتركيز ومبالغة في رسم الكلمة) .. مع ملاحظة أن الآيات قبلها تستعرض فيها القوة أيضاً؛ وخاصة من بداية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَلَى تُوْفِكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ مَسْكِنًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦).

٢- وعكس ذلك حين تكون الدعوة للتفكير والتأمل والتدبر. وليس فيها التركيز
والمبالغة. ومصحوبة بالهدوء.. هنا يتم إخفاء الألف .. كما في الآيات التالية:

(٣): المؤمنون. ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَسَمَ لَكُمْ فِيهَا فَوَاقٍ كَبِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴾ (٣٥). (راجع وقارن بآية الأنعام السابقة لترى الفارق وتعلم السبب).

والآيات التالية أيضاً فيها تعميم - وليس فيها تخصيص أو تفصيل - والهدف هو وصف
الجنة وصفاً إجمالياً دون تفصيل أو تخصيص أو مبالغة أو إبراز أو دعوة للنظر للإيمان أو
استعراض القوة)) ولاحظ الفاصلة في الآيات (أفلا يشكرون، لقوم يعقلون، لقوم
يتفكرون) هكذا:

(٤) ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ (٣٦) وَجَعَلْنَا
فِيهَا جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَسَمَ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٧﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ
أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٨) يس.

(٥) ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّتَجَبَرَاتٍ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ
يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴾ (٣٩) الرعد.

(٦) ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (٤٠) الكهف.

(٧) ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤١) النحل.

(٨) ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢) النحل.

(٩) ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ نَهَارًا ﴿٤٣﴾ حَدَاقٍ وَأَعْنَابًا ﴿٤٤﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٤٥﴾ وَكَأْسًا دِهَانًا ﴿٤٦﴾

النبا . ناهيك عن انطباق الأوصاف التي عددناها سابقاً، وأن تضيف فوقها أمثالاً أنساب في
الجنة تأخذ الصورة الغيبية والملكوية... والكواعب : اللاتي فلكت ثديهن ، وهن النواهد

((ولهذا المعنى وضع الألف فيها المشهد الارتفاع) . . والأتراب اللدات : والسدهاق : المترعة . وأدهق الحوض : ملاه حتى قال قطني . ((ولهذا المعنى وضع فيها الألف أيضاً

ظلال

(١) ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّينَ عَلَى الْأَرَابِكِ مُتَّكِئِينَ ﴿٥٧﴾ يس .. ويقول المفسرون: وقرىء: «في ظلل»..... وقرىء متكهن بلا همزة نصباً على الحال.... والفاكهة والفكهة: المتعمم والمتلذذ: ومنه الفاكهة؛ لأنها مما يتلذذ به (وهي صفات معنوية ولذلك كتبت بدون الألف). وكذلك الفاكهة، وهي المراحة. وقرىء فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كئطس وفاكهن وفكهين على الحال من المستكن في الظرف. وهنا نجد أن الرسم يراعى أيضاً الإشارة إلى جذور الكلمة..

(٢) المرسلات. ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّينَ وَعِوِينَ ﴿٥٨﴾ الألوسى: وقراءة الأعمش في (ظلل) جمع ظلة .

(٣) ﴿ وَلِلَّهِ يَسْحَدُونَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلِّينَ لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٥٩﴾ الرعد.

(٤) ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا ﴿٦٠﴾ النحل.

(٥) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلًّا لَهُ عَنِ الشَّمَائِلِ مُجْدًا لِلَّهِ ﴿٦١﴾ النحل.

(٦) ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا ﴿٦٢﴾ الانسان

إذن جميعها بدون ألف وقرئت (ظلل) ومثلها (فكهين، فوكه، فكهة) ومثلها: تجرة، الإنسان، متع (كل هذه الصور إسم جمع ليس له مفرد)، بخلاف (مغانم) مثلاً.

يستأخرون... يستأخرون

(١) ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطِمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَنْبَةٍ وَلَكِنْ

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ لَهُمُ التَّارِ
 وَأَلَّهُمْ مُّفْرَطُونَ (٦٢) ﴿ النحل .

(٢) ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ
 فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا
 يَسْتَجِيبُونَ (٥) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) .

(٣) ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) وَإِنَّمَا لِرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتَوَقَّاتِكَ فَإِنَّمَا
 مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ
 بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ
 لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيبُونَ سَاعَةً وَلَا
 يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠)
 أَنَّمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
 عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢) .

(٤) ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً فَبَعْدًا
 لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) لَمْ أَلْسْنَاكَ مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخِرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا
 يَسْتَجِيبُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤) .

الحديث في الآيات السابقة في سياقها كما رأينا عن أمة واحدة هي الأمم الكافرة - ولم
 يدخل فيها الأمة المؤمنة - فهي أمم واحدة متشابهة ليس بينها اختلاف، ولذلك كتبت
 بدون الألف لتوحى هذا التواصل والانسجام والعجينة الواحدة ، بخلاف الحديث في آية
 الأعراف التالية كتبت (يَسْتَأْخِرُونَ) بالألف الفاصلة:

(١) ﴿ يَبْنَوبِي ۚ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا
 يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٧١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٢﴾
 قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ
 مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ

لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِي ۚ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْصَحُونَ
 عَلَيْكُمْ ۚ إِنِّي طَمَّحْتُ وَأَصْلَحْتُ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ ﴿ هنا الحديث والأوامر
 والنواهي والتحذيرات - حول الآية - للصنفين (المؤمن) و(الكافر) ، وفيه تذكير للطرفين
 معاً بالموت و لقاء الله ، فهو يقول للمؤمنين (خذوا زينتكم .. واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ،
 ويعلن لهم تحريم الفواحش ... وهكذا باقى الآيات خطاب للمؤمن) .. ويذكرهم -
 الطرفين - المؤمن والكافر - بالأجل الذى لا بد منه وهو الموت .. والحديث لسبى آدم
 (أيضاً) من الصنفين (يا بنى آدم..) .. إذن الإنذار هنا للطرفين .. ولذلك كتبت بالألف
 الفارقة لوجود الصنفين فيها ولهذا التنبيه الذى لا بد منه ، وأنها لا يستويان ولا يندمجان ،
 وللعلم والإحاطة بأنهما فريقان فى داخل الكلمة ، وذلك بخلاف باقى الآيات السابقة
 التى تخاطب فريقاً واحداً ..

(ومن العجيب حقاً -- والقرآن لاتنقضى عجائبه - أنه لم يحدث فى سورة الأعراف
 فصل بين الفريقين (المسلم وغير المسلم) وكتبت الكلمة بالألف (لا يستأخرون) وسورة
 الأعراف تصور معركة الأنبياء على الأرض ، والعجيب أنه فى أول السورة - وفى
 حديث الملائكة الأعلى - لم يحدث فصل أيضاً بين إبليس والملائكة فى صورة الخطاب
 الموجه إليهما من الله حيث قال (إلا إبليس لم يكن من الساجدين) ، بخلاف سورة
 الحجر فقد تم الفصل فيها بين عنصرى آدم فى الخلق (صلصال من حمأ مسنون) ومعها
 قام بالفصل بين إبليس والملائكة فى الملائكة الأعلى فقال (إلا إبليس لم يكن (مع)
 الساجدين) .. راجع بحث الكتاب والقرآن والتطبيق العملى مع سورة الحجر .. لترى
 وتعيش هذا التناقض المبهر .
 فما أروع وما أبهر هذا الإعجاز .

سراجا.. سِيرَاجًا

(١) ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٥١﴾ ﴾ الفرقان .
 ويقول المفسرون: وقرئ: «سرجا» - على الجمع - وهي الشمس والكواكب الكبار
 معها (وهذا من الإشارات بالاعجاز العلمى فى الآية، حيث أن الآية تشير إلى ما تعارف
 عليه العلم الآن من أن الشمس والنجوم هى من نوع واحد - سرج - وهى التى تعطى

الضوء فهي شمس أو هي سرج أو هي جميعها نجوم .. إذن هناك سرج كثيرة وليس سراجاً واحداً هو الشمس. وربما يقصد هنا كونهم للزينة أيضاً. ونلاحظ أنه لم يذكر ويحدد قبلها الشمس أو أتى بوصف الشمس (وهاجا) - أي لم يقل: سراجاً وهاجاً - الذي يعطى صفات التحديد والتخصيص وأصبحت الآية للعموم، ولم يذكر هنا رسول الله ، بخلاف الآيات التالية:

(٢) ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (١٦) نوح.

(٣) ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ (١٣) النبأ.

(٤) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَذَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ

وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦)﴾.

هذه الآيات بمعنى المراد وتفيد التخصيص - الشمس (باسمها أو صفتها) أو رسول الله محمد (ﷺ) كما قلنا - فوضع فيها الألف .

قَادِرٌ..... لَقَادِرُونَ

(١) ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ﴾ (١١٠)

المؤمنون.

(٢) ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ (١١٠) المؤمنون.

(٣) ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّكَ الشَّرِيفِ وَأَلْتَعَرِّبُ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (١١٠) المعارج.

(يمكن أن نقول أن الجمع هنا جمع مذكر سالم يحذف منه الألف - كما تعودنا - للتخفيف ولكثرة الاستعمال - إلا ما استثنى لحكم بليغة في مواطن أخرى -)) ولكن الحديث هنا سيكون عن اللفظ المفرد (قادر) بالألف وغير الألف هكذا:

(١) ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧) الأنعام.

(٢) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِّي الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا (١٠٠)﴾ الأسراء.. لاحظ هنا: جو

الإمهال لهم والرحمة بهم في نهاية الآيات (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ... قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ

تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي..)) مما يستدعي مشهد عدم العجلة أو الإسراع الذي يمثله

حذف الألف ؛ ولذلك كتبت الكلمة هنا بالألف.

(٣) الأحقاف ﴿ أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَلْقُهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ نلاحظ هنا إضافة وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَلْقُهُنَّ بِقَدْرِ وفيها صورة الجملة الفعلية (يعي) مما يرجح القراءة الأخرى بالصورة الفعلية (يقدر) - بصيغة النعل المضارع - بدل (بقادر) . وهذا من باب التجانس المحب ، والذي يجعلنا قريبي الفهم لرسم كلمة (بقادر) بدون ألف لتناسب القراءتين هنا في هذه الآية (أى القراءة على: إسم الفاعل - بقادر - ، أو الفعل - يقدر-) ويؤيد ذلك وجود الفعل السابق (و لم يعي) . بخلاف الآية السابقة في سورة الإسراء التي لم يسبقها فعل (مثل: يعي).

مع ملاحظة ختام الآية هنا بقوله تعالى ﴿: وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَلْقُهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ آلَهُ وَتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ . بخلاف آية الإسراء ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ .

ففي الآية الأولى - الأحقاف - صورة (إحياء موتى) والرد التعنيفي السريع عليهم بقوله (بلى) .. وفي الثانية - الإسراء - صورة الخلق: "يخلق مثلهم" - وهى أهدأ نبرة من (إحياء الموتى) ولذلك لم يقل بعدها (بلى) بل قال: وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ . (فيه صورة الإمهال) . ثم الإشارة لهم على خزائن (رحمة) الله المفتوحة وأنه بيده هذه الخزائن يشير بها إليهم تحبباً لهم وليس تهديداً كما في سورة الأحقاف .

بل إن جو السورتين يختلف ؛ فجو سورة الإسراء الهدوء والمجادلة (فوضع الألف) و .. وأخرها السجود والخشوع من العلماء الأتقياء (يخرون للأذقان سجداً وييكون) وجو سورة الأحقاف عاصف بالتهديد والتدمير (تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم .. ﴿ وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ لِي ضَلَالٌ مُّبِينٌ (٣٢) ﴾) ثم يذكر بعد هذه الآيات تهديد لهم بمصيرهم في جهنم ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) ﴾ ... ونهاية السورة بلاغ سريع : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ لِّهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ (٣٥) ﴾ هو بلاغ سريع .

فهو جو سرعة وليس إمهال (وهذا سبب وملحظ آخر مكمل للمحظ القراءات وهو الذى نراه أهم وأوضح) فكثرت الأحقاف بِقَدْرِ بدون ألف ، والإسراء (قَادِرٌ) بالألف .

ومن هنا نجد اختلاف مضمون الآيتين - بل السورتين - مع اختلاف الرسمين .. وهذا نوع من أنواع الإعجاز لم تألفه أى لغة فى الكون إلا لغة القرآن الكريم ؛ الوحي المعجز.

وهنا نقف مع أقوال المفسرين لتوضيح هذا الرسم المتجاوب مع وجوه القراءات ؛ بل والمرجح والموجه لها فى هذه السورة وسورة الإسراء السابقة:
ويضيف الألوسى إضافة أخرى - فى آية الأحقاف - وهى: .. وقرأ الجحدري . وزيد بن علي . وعمرو بن عبيد . وعيسى . والأعرج بخلاف عنه ويعقوب { يُقَدَّرُ } بدل { بِقَادِرٍ } بصيغة المضارع الدال على الاستمرار وهذه القراءة على ما قيل موافقة أيضاً للرسم العثماني.

ويشير الطاهر بإشارات جميلة تعتبر بمثابة لفت الأنظار إلى جمال النص القرآني بمعناه ورسمه حيث يفرق بين (العى) و(الإعياء) وهذا المثال يؤكد صدق مانسب عليه من القواعد التي ذكرناها فى الرسم القرآني فيقول: وكثير من أئمة اللغة يرون أن (العى) - وم يعسى بخلقهن - يطلق على التعب وعن عجز الرأي وعجز الحيلة . وعن الكسائي والأصمعي : العيُّ خاص بالعجز فى الحيلة والرأي . وأما (الإعياء) فهو التعب من المشي ونحوه ، وفعله أعياء ، وهذا ما درج عليه الراغب وصاحب «القاموس» . ((وهذا الرأى اللغوى نسوقه للقارئ لتبين له مدى الحس اللغوى لهذه اللغة الشاعرة التي وظفها القرآن خير توظيف وتحداهم بها ، وملخص ما نقله الإمام الطاهر هو: أن (العى) يطلق على التعب وعن عجز الرأي وعجز الحملة (وفيها الملحظ المعنوى أو الفكرى وليس المادى) ولكن (الإعياء) يطلق على التعب من المشي ونحوه (وهو ملحظ مادى وليس فكرى أو معنوى) ، ولاحظ هنا الظهور الواضح فى حروف الكلمات - وحرف الألف بصفة خاصة - فى الأمور المادية ، وعكس ذلك فى الأمور المعنوية أو الفكرية (العى) ، ولتعلم أن قواعد وإشارات رسم المصحف ليست بدعاً عما تعارف عليه أهل هذه اللغة الشاعرة ، بل إنه ينسجم معها ومع نواحي الإعجاز الأخرى أفضل وأتم انسجام.

(٣) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقُوا مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ يس

لاحظ الرد بحرف الإنكار (بلى) فى السورتين التي حذف منها الألف (يقْدِرُونَ) . أيضاً وجود قراءتين ، ولاحظ قوله (أوليس ، أليس ، وصيغة الفعل بعدها). يقول أبو السعود:

وقرئ يقدر.. ويقول الألوسى: ويعقوب في رواية { يُقَدِّرُ } بفتح الياء وسكون القاف فعلاً مضارعاً.

(٤) ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (١٦) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقُنْدَرٍ عَلَىٰ أَنْ تُحْيِيَ النَّوْتَىٰ ﴿١٧﴾
 (القيامة. الألوسى: وقرأ زيد ((يقدر)) مضارعاً { على أن يحيى الموتى } .
 إذن تعدد القراءات ، وصورة الفعل في السياق ، وراء هذا الرسم.

نسارع .. ويسارعون

** ﴿ أَحْسِبُونَ أَنَّمَا مُعْذِرُكُمْ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ۙ ﴿١٦﴾ نَسَارِعُ هُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿١٧﴾ ﴾ المؤمنون.
 قرنت: ويسارع ، ويسرع ، بالياء (المتحدث هو الله وبصيغة الجمع للتعظيم)
 ** ﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ >> ﴿١٦﴾ آل عمران.
 ** ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ... ﴾ (المائدة).
 ** ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ (المائدة).
 ** ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ ﴾ (المائدة).
 ** ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (الأنبياء).
 ** ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون).

نلاحظ: نسارع (لهم) هي الوحيدة التي كتبت بالألف مع قوله (لهم) ، ويلاحظ أيضاً المتحدث فيها هو (الله) بلفظ الجمع للتعظيم والتفخيم ... وأيضاً في آية : وسارعوا إلى مغفرة (كتبت بالألف لوجود حرف (إلى) .. ولكن (يُسَارِعُونَ في) .. (ويُسَارِعُونَ فيهم) .. كتبت بدون ألف مع وجود حرف الظرفية (في) الذي يحويهم في الداخل بخلاف (إلى) الذي يوحي بالبعد والسفر إليه .. وأرجو من القارئ أن يتخيل المشهدين في ذهنه ومخيلته ويتذوق الفرق بين (إلى) و(في). مع تعدد القراءات مثل قولهم: وقسرىء : «يسرعون في الخيرات».

وهناك توضيح يقرب هذا المعنى يقوله المفسرون في قوله (يسارعون فيهم) وهو: ولتضمن المسارعة معنى (الوقوع) تعدت ب(في) ، دون (إلى) الشائع تعديتها بها، كما في { سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ } [آل عمران : ١٣٣] وغيره ، وأوثر ذلك (٣) قيل :

للإشعار باستقرارهم في الكفر ، ودوام ملابتهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها ، كما في قوله سبحانه : { يسارعون في الخيرات } [الأنبياء : ٩٠] في حق المؤمنين .
وأما إيثار كلمة (إلى) في آيتها - وسارعوا إلى مغفرة .. - فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها .

ملاحظات: **سراعاً** ﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (٤٤)
﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِّضُونَ ﴾ (٤٣) . واضح هنا صورة الفعل نفسه والحركة والحال فوضع الألف .

سلطن

جميعها وردت بدون ألف وكلها بمعنى الحجمة والدليل ، أو السلطان على العقل والفكر وليس بمعنى سلطان التاج والعرش ، وسقف فقط على بعض الآيات التي ربما يحدث للقارئ منها لبس حول هذا المفهوم .

(١) ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَتَشْرُونَ أَبَاؤَكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (٣١)

الأعراف..... ومثلها آية (٤٠) يوسف.. ويقول الألوسي: أي حجة ودليل .

(٢) ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ

عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ مُّبِينٍ هٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١) يونس .

(٣) ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (٢١) إبراهيم

الألوسي: أي تسلط أو حجة تدل على صدقي .

(٤) ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰوِينَ ﴾ (٢١) الحجر . الألوسي:

أي تسلط وتصرف بالاغواء .

(٥) ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴾ (١٠٢) إنه ليس له سُلْطٰنٌ عَلَى

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١٠٢) إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ

هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٢) النحل . ويقول الزمخشري: أي تسلط وولاية على أولياء الله،

يعني : أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته .. الألوسي: أي

تسلط وقدرة على إغوائهم .

(٦) .. وكذلك آية (٢١) سبأ .

(٧) ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ (٧١).

(٨) ﴿**** مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ﴾ (٣٠) الصلوات

الألوسى أي من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم.

(٩) ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) الصلوات

الألوسى لكم حجة واضحة نزلت من السماء بأن الملائكة بناته.

(١٠) ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ (٣٥) غافر.. وقوله سبحانه:

"أتاهم" رسمت { اتبهم } ((لأنها قرئت بالإمالة)) صفة { سلطان } والمراد باتيانه اتيانه

من جهته سبحانه وتعالى، أما على أيدي الرسل عليهم السلام فيكون ذلك إشارة إلى

الدليل النقلي، وأما بطريق الإفاضة على عقولهم فيكون ذلك إشارة إلى الدليل

العقلي، (إذن الإتيان هنا على الجواز وليس على الحقيقة، وهذا سبب آخر لحذف الألف

من "أتاهم") وقد بعمم فيكون المعنى يجادلون بغير حجة صالحة للتمسك بها أصلاً لا

عقلية ولا نقلية .

﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ

مُبِينٍ ﴿١٥٦﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

﴿١٥٦﴾ إبراهيم . يقول الألوسى: * بسلطان: أي بحجة ما من الحجج .

(١٥) ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ (١٥)

﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْذِخْنَهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٥٦) النمل . الألوسى: أي

بحجة تبين عذرة في غيبته . وما أطف التعبير بالسلطان دون الحجة هنا لما أن ما أنى به

من العذر انجر إلى الاتيان بيلقيس ومعها سلطان .

(١٦) ﴿وَأَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ إِيَّاءِ اتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٥٦) الدخان.. أي آتياكم بحجة

واضحة لا سبيل إلى إنكارها أو موضحة صدق دعواي .

(١٧) ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨)

(١٨) ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَسْغِمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨)

(٢٠) ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ .. (١٥١) .

(٢١) ﴿... سَتَجِدُونَ ءآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٢﴾﴾ أى حجة عليهم .

(٢٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) .

(٢٣) ﴿ * فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣) .

(٢٤) ﴿ * وَكَيفَ أَخَافَ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴿١٥٤﴾﴾ الأنعام .

(٢٥) ﴿ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا (٣٢)﴾ .

(٢٩) ﴿ أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَنْكُرُونَهُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)﴾ الروم .

وهنا نقف على بعض الآيات التي ربما يأتي منها بعض اللبس حول هذا المفهوم :

(٣٠) ﴿... يَمَعَنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣١﴾﴾ ونظراً لحصول اللبس الشديد حول تفسير هذه الآية وكثرة التفاسير حولها، نقف على قول الرازي ما معنى : { لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } ؟ نقول : ذلك يحتمل وجوهاً .

ثالثها : أن المراد من النفوذ ما هو المقصود منه (أى أن المقصود هو سبب الهرب) ؟ وذلك لأن نفوذهم إشارة إلى طلب خلاصهم فقال : لا تنفذون من أقطار السموات لا تتخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفوذ وهو الخلاص من العذاب إلا بسُلْطَانٍ من الله يجيركم وإلا فلا مجير لكم ، كما تقول : لا ينفعك البكاء إلا إذا صدقت وتريد به أن الصدق وحده ينفعك ، لا أنك إن صدقت فينفعك البكاء .

رابعها : أن هذا إشارة إلى تقرير التوحيد ، ووجهه هو كانه تعالى قال : يا أيها الغافل لا يمكنك أن تخرج بذهنك عن أقطار السموات والأرض فإذا أنت أبداً تشاهد دليلاً من دلائل الوحداية ، ثم هب أنك تنفذ من أقطار السموات والأرض ، فاعلم أنك لا تنفذ إلا بسُلْطَانٍ تجده خارج السموات والأرض قاطع دال على وحدانيته تعالى والسُلْطَانُ هو القوة الكاملة .

السمرقندی: يعني: إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السماوات والأرض هروباً من الموت، فانفذوا { لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } يعني: أينما أدرككم الموت. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذا الخطاب في يوم القيامة، وذلك أن السماء تتشقق بالغمام، وتزل ملائكة السماوات، ويقومون حول الدنيا محيطين بها، وجاء الروح وهو ملك يقوم صفاً وهو أكبر من جميع الخلق، فحينئذ يقال لهم: { إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } يعني: لا تتجون إلا بحجة، وبرهان.

الطبرى: قالوا: وإنما هذا قول يقال لهم يوم القيامة. قالوا: ومعنى الكلام: سنفرد لكم أنبأ النقلان، فيقال له ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض، فانفذوا هارين من الموت، فإن الموت مُدر ككم، ولا ينفعكم هربكم منه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يقول: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموه، لن تعلموه إلا بسُلطان، يعني البينة من الله جل ثناؤه.

وأما قوله: (إلا بسُلطان)، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم معناه: إلا ببينة وقد ذكرنا ذلك قبل. وقال آخرون: معناه: إلا بحجة.

* ذكر من قال ذلك:.. عن عكرمة (لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) قال: كل شيء في القرآن سلطان فهو حجة... حدثني محمد بن عمرو، عن مجاهد، في قوله: (بِسُلْطَانٍ) قال: بحجة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا بملك وليس لكم ملك.

ثم قال الطبرى: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة وبينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل الملك في ذلك، لأن الملك حجة. ونفس المعنى قاله صاحب تفسير فتح القدير.

ومن هنا يتبين أن السلطان بمعنى الحجة والدليل والبرهان.

(٣١) ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ..(٣٣) ﴾ الزمخشري: { سلطانا } تسلطاً

على القاتل في الاقتصاص منه . أو حجة يشب بها عليه.. الطبرى:..... للمقتول ظله سلطانا على قاتل ولية، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية. (وربما لا يأخذ هذا الحق بيديه أو قوته (أى بالسلطان المادى وهذا أكيد) ظل القانون فإن الذى يأخذ له هذا الحق هو القاضى وربما يكون صاحب الحق أضعف الخلق

جسدياً ومادياً ووجهةً ، ولكنه هذا المعنى له السلطان على القاتل ، ولكنه يقال عنه أنه معه السلطان ، أى الحججة والدليل لتنفيذ الحكم أو العفو).

ويُلخص السمرقندى القول قائلاً: { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا } أي : سيلاً وحجة عليه . إن شاء قتله ، وإن شاء عفا عنه ، وإن شاء أخذ الدية . يعني : إذا اصطلحا . وقال مجاهد (وما أدراك ما مجاهد) : كل سلطان في القرآن فهو حجة ، وكل ظن في القرآن فهو يقين .

(٣٢) الحاققة ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةٌ ﴿٣٢﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ السمرقندى: { هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ } يعني : بطل عني عذري وحجتي .. التعالبي: والسلطان في الآية الحججة ، ... الطبرى: (هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) يقول: ذهبت عني حججتي، وضلت، فلا حجة لي أحتج بها... عن قتادة، قوله: (هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) : أما والله ما كل من دخل النار كان أمير قرية يجيئها، ولكن الله خلقهم، وسلطهم على أقرانهم، وأمرهم بطاعة الله، ونهاهم عن معصية الله... وقال ابن عباس : ضلت عني حجتي . ومعناه : بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا الرازي: مثل ذلك.

(٣٣) ﴿ وَقُلْ رَبِّ اذْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا (٨٠) ﴾ يقول السمرقندى: ويقال : حجة ثابتة ظاهرة .

الطبرى: .اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: واجعل لي ملكاً ناصرًا ينصرني على من ناوأني، وعزاً أقيم به دينك، وأدفع به عنه من أراد به سوء. وقال آخرون: بل غني بذلك حجة بينة... عن مجاهد في قول الله عز وجل (سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا) قال: حجة بينة... حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَاَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا) قال: ينصرني، وقد قال الله لموسى ﴿ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَلِكًا مِّنْ أَوْلَادِكَ فَالْمَلَائِكَةُ يَرْتَضُونَ أَمْرًا لَكَ فَاخْرُجْ أَوْسَطَ الْجَبَلِ لَمَّا سَأَلْنَاكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا وَتَوَكَّلْ عَلَيْنَا لَا يَلْفُتُ الْوَجْهَةَ الْعَالِيَةَ ﴾ .
بأياتنا فلا يصلون إليكم التعالبي: ظاهر الآية : والأحسن أن يكون دعا عليه السلام في أن يحسن الله حاله، في كل ما يتناول من الأمور ويحاول من الأسفار والأعمال ، و ينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة ، فهي على أتم عموم ، معناه : رب ، أصلح لي وردي في كل الأمور ، وصدري . (أى دخولي وخروجي) { واجعل لي من لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا } قال مجاهد : يعني حجة تنصرني بها على الكفار ﴿ قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَلِكًا مِّنْ أَوْلَادِكَ فَالْمَلَائِكَةُ يَرْتَضُونَ أَمْرًا لَكَ فَاخْرُجْ أَوْسَطَ الْجَبَلِ لَمَّا سَأَلْنَاكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا وَتَوَكَّلْ عَلَيْنَا لَا يَلْفُتُ الْوَجْهَةَ الْعَالِيَةَ ﴾ (٣٥) ... السمرقندى: { وَنَجْعَلُ لَكَ مَلِكًا مِّنْ أَوْلَادِكَ فَالْمَلَائِكَةُ يَرْتَضُونَ أَمْرًا لَكَ فَاخْرُجْ أَوْسَطَ الْجَبَلِ لَمَّا سَأَلْنَاكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا وَتَوَكَّلْ عَلَيْنَا لَا يَلْفُتُ الْوَجْهَةَ الْعَالِيَةَ } يعني : حجة ثانية ، وهي اليد والعصا { فَالْمَلَائِكَةُ يَرْتَضُونَ أَمْرًا لَكَ فَاخْرُجْ أَوْسَطَ الْجَبَلِ لَمَّا سَأَلْنَاكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا وَتَوَكَّلْ عَلَيْنَا لَا يَلْفُتُ الْوَجْهَةَ الْعَالِيَةَ } يعني : لا

يقدرّون على قتلكما { أنتمَا وَمَنْ اتبعكما الغالبون } يعني : من آمن بكما الغالبون في الحجة ... الطبرى: وقوله: (وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا) يقول: ونجعل لكما حجة... عن مجاهد، قوله : (لَكُمْ سُلْطَانًا) حجة.

ومعنى الكلام: أنتمَا ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملاّه بآياتنا؛ أي بحجتنا وسلطاننا الذي نجعله لكما... الزمخشري: { سلطانًا } غلبة وتسلطا . أو حجة واضحة .
ابن كثير: وقوله تعالى : { وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا } أي: حجة قاهرة .



بقي: (كُتِبَ . حسابه .. القاضية .. ماله ..)

(فَأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كُتِبَ بِهِ يَمِينَهُ، فَيَقُولُ هَٰؤُمُ أَقْرَبُوا بِكُتِبَ ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَابِيَةٌ ۖ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ وَأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كُتِبَ بِهِ بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لِمَ أُوْتِيَ كُتِبَ ۖ وَلِمَ أَدْرِمَا حِسَابِيَةَ ۖ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةٌ ۖ هَٰذَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ) الحافظ السمرقندي: { في الايام الخالية } يعني : في الدنيا. (فكُتِبَ

بالألف). (كَانَتْ الْفَاسِيَةَ) يعني : المنية (أى التى تعرفها) فكُتِبَ بالألف الألوسى: { مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةٌ } أى ما أغنى عني شيئاً الذي كان لي في الدنيا من المال ونحوه كالأتباع (فالعنى هنا على العموم أى أنه ليس هو المال فقط كما هو متبادر إلى الذهن، ولذلك كُتِبَ على غير الحقيقة بحذف الألف في قراءة أخرى).
(يَا لَيْتَنِي لِمَ أُوْتِيَ كُتِبَ) الكتاب هنا هو الذى لا يعلم كُنهه أو صفته ولا كيفية الكتابة فيه (فكُتِبَ بدون ألف). أما الحساب فهو معلوم بالطريقة التى نعلمها لتخييل الواقع (فكُتِبَ بالألف) .. والقاضية هى التى كان يعلمها ويتمناها ويتمنى أن تأتية وترحمه من هذا الموقف (فكُتِبَ بالألف).

إِصْلَاحٌ - إِصْلَاحٌ

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ . وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)) البقرة... هو سبحانه يطلب (فعل) الإصلاح لليتامى وليس إسمًا أو قولاً فقط، والكلمة يضاف لها الألف إذا كانت فيها صورة الفعل كما رأينا في (عامل ، عمل) و(باسط ، و بسط) وغيرها .. ولذلك يقول المفسرون (إصلاح لهم) أى مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأمواهم من مجابتهم.

ويقول الرازي: المسألة الثانية: قوله: { قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ } فيه وجوه أحدها: قال القاضي: هذا الكلام يجمع النظر في صلاح مصالح اليتيم بالتقويم والتأديب وغيرهما، لكي ينشأ على علم وأدب وفضل لأن هذا الصنع أعظم تأثيراً فيه من إصلاح حاله بالتجارة، ويدخل فيه أيضاً إصلاح ماله كي لا تأكله النفقة من جهة التجارة، ويدخل فيه أيضاً معنى قوله تعالى: { وَعَاثُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ } النساء: ٢].. فهو إصلاح مادي ومعنوي، والتشديد على الوصية فيه واضح، والأمر فيها للني (ص) ب (قل).. والموضوع له خصوصية عظيمة وهو في أمر اليتامى - الضعفاء - الذين ينساهم الخلق ويظلموهم، ولهذا كان لهم هذا التشديد الواضح المتمثل في زيادة الألف.

ثم انظر إلى ختام الآية القوي حيث ختم - سبحانه وتعالى - الآية بقوله: | إن الله عزيز حكيم { أي: إن الله - تعالى - غالب على أمره لا يعجزه أمر من الأمور التي من جملةها إعناتكم، قادر على أن يعز من أعز اليتامى ويذل من يذلهم، حكيم في كل تصرفاته وأفعاله، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها.

وهنا يلفت الإمام الطاهر نظرنا إلى لطيفة عظيمة في الآية (قل إصلاح لهم خير) ويسأل لماذا لم يقل النص: قل إصلاحهم خير؟ ويقول: وصف الإصلاح ب { لهم } دون الإضافة إذ لم يقل (إصلاحهم)، لثلاثتهم قصره على إصلاح ذواتهم... معدل عنها لثلاثتهم أن المراد إصلاح معين كما عدل عنها في قوله: { ايتوني بأخ لكم من أييكم } [يوسف: ٥٩] ولم يقل (بأييكم) ليوهمهم أنه لم يرد أخاً معهوداً عنه، والمقصود هنا جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم؛ فيشمل إصلاح ذواتهم وهو في الدرجة الأولى، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح والآداب الإسلامية ومعرفة أحوال العالم، ويتضمن إصلاح أمرجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض ومداوتهم، ودفع الأضرار عنهم بكفاية مؤتم من الطعام واللباس والمسكن بحسب معتاد أمثالهم دون تقتير ولا سرف، ويشمل إصلاح أموالهم بتنسيبها وتعهدا وحفظها. ولقد أبدع هذا التعبير، فإنه لو قيل (إصلاحهم) لتوهم قصره على ذواتهم فيحتاج في دلالة الآية على إصلاح الأموال إلى القياس...

وأرى - والله أعلم - فوق ما قاله الإمام الطاهر أن الإحساس مختلف في قولنا (إصلاحهم خير) و(إصلاح لهم خير) فالثانيه تطالبنا بأن (نفع) الإصلاح ونقدمه لهم، وربما هؤلاء اليتامى لا يحتاجون إلى الإصلاح في ذواتهم، بخلاف القول (إصلاح لهم) فإن نص الآية يعطى

هذا الإصلاح وزيادة - ، ومن هنا يزداد التأكيد والتفصيل الذى وجدناه فى وضع الحرف (هم) الذى يناسبه وضع الألف فى قوله (إصلاح) مع إضافة صيغة المفاضلة هنا فى كلمة (خير).

وربما يقال رأى آخر : أن (إصلاح) فى هذه الآية يختلف عنه فى الآيات التالية، حيث أن الإصلاح هنا --- مع اليتامى - يأخذ صيغة الفعل؛ كأنه يقول لهم أمراً: أصلحوا بالفعل وليس كلمة تقال.. (وبعد هذا العرض يتبين لنا : قوة الوصية وشدة التأكيد عليها من الله لهذا الجانب الضعيف الذى يحتاج مثل هذا التشديد،) (لاخير فى كثير من نجواهم .. أو إصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ ، إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ، ... إِنَّ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا).

(٢) النساء. ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣١) فهذا سرد خبرى ليس فيه شدة التوكيد بفعل الأمر من الله لنبىه محمد (ص) ولا بلفظ (قل)، والإصلاح هنا بين الناس - الأقوياء وليسوا اليتامى الضعفاء - والحديث هنا حديث عام وغير مخصص باليتامى.. مثل الآية التالية:

(٣) ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ فِكْرَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٣١) هود.

(فهنا الإصلاح إصلاح عام ، وليس بخطورة وتفضيل وتفصيل إصلاح لليتامى وليس بقوة الأمر من الله "قل" ، ولاحظ أيضاً فعل الإرادة (إن أريد).

(٤) ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (٣١) النساء. ((إصلاح فى خلاف زوجى وبين راشدين وليسوا بضعف وضياع اليتامى ، وهنا ربما يشير إلى الإرادة القلبية - أن يريد - التى يرمز لها أيضاً بـ: (مذف الألف)).

(٤) ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣١) الأعراف. هى إسم ، وليس فيها تشديد كما فى الصفات السابقة.

يضاعف .. أضعافاً .. أضعافاً

(١) ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ

سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾﴾ البقرة

السمرقندي: قرأ ابن كثير وابن عامر: والله { يضاعف } بتشديد العين وحذف الألف ،
وقرأ الباقون { يضاعف } بالألف؛ ومعناها واحد.

(٢) ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ

يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ هـ - سود

الزمخشري: وقرئ: «يضعف».. أبو السعود: وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، ويعقوب
بالتشديد.

(٣) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَعِّفُ لَهُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَابًا

(٦٩)﴾ أبو السعود: وقرئ يضاعف ويضعف له العذاب بالتون ونصب العذاب.

(٤) ﴿يَبْسُئُ السَّاءِ الْبِئْسَ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَارِبَ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦٩﴾﴾ الأحزاب.

أبو السعود: وقرئ يضاعف على البناء للمفعول ويضاعف ونصب بنون العنمة على

البناء للفاعل ونصب العذاب.

(٥) ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ

(٦٨)﴾ (الحديد) ويقول أبو السعود: كما سبق.

(٦) ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

الحديد.. ويقول البقاعي: (يضاعفه له) مرغبا فيه يجعله مبالغا بالتضعيف أولاً، وجعله

من باب المفاعلة ثانياً ، وكذا التفضيل في قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب { فبضعفه }

(٧) ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

الغيب والشهدة العزيز الحكيم ﴿٦٩﴾﴾ التغابن.

(٨) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَعِّفْهَا ﴿٦٩﴾﴾ النساء .

(٩) البقرة ﴿. مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرة﴾ (١٠) .
 وصيغة المفاعلة للبياعة ، وقرىء فَيُضْعِفُهُ بالرفع بالنصب { أضعافاً } جمعُ ضِعْفٍ ..
 الألوسى: { أضعافاً } جمعُ ضِعْفٍ وهو مثل الشيء في المقدار إذا زيد عليه
 الرازى: { فيضاعفه } قال الحرايى : من المضاعفة مفاعلة من الضِعْف - بالكسر - وهي
 ثني الشيء بمثله مرة أو مرات يضاعفه .

وبقى لنا أن نقف على الرسم المختلف لكلمة (أضعافاً) التي كتبت هنا - في آية
 الصدقة(القرض لله) - بالألف ، وكتبت في الآية التالية - آية الربا - بدون ألف ..
 ونسأل لماذا؟

وللإجابة نلاحظ وجود ألف التكرار في هذا النص الذي يقول بعدها : أضعافاً كثيرة .-

﴿ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرة﴾ - والحديث في ثواب الصدقة من الله
 معلوم أن ثوابها أكثر من الضعف الواحد بل سبعين إلى سبعمائة ، والله يضاعف أكثر من
 ذلك (أضعافاً كثيرة) (فليس ضعفاً واحداً كما في حال أكل الربا الذي يأخذ الضعف
 الواحد أو أقل من الضعف كالخمس أو الربع أو حتى الضعف الواحد على أعلى تقدير) ،
 ونظراً لأن ثواب الصدقة أضعافاً كثيرة - كما قلنا - وضع الألف الذي يفيد التكرار في
 كلمة (أضعافاً) في ثواب الصدقة ، ولم يوضع في مقدار أكل الربا الذي تذكره الآية التالية:
 (١٠) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضعافاً مُضَاعَفَةً﴾ (١١) آل عمران .

وقد كتبت أضعافاً هنا بدون ألف مع ما يأخذه المرابي من الفوائد القليلة ؛ فهي على أعلى
 احتمال لاتعدى الضعف (المائة في المائة) - أى قدر رأس المال مرة واحدة - ولذلك لم
 تكتب بالألف الظاهرة - ألف التكرار - أضعافاً - لعدم وجود صورة التكرار في
 المضاعفة التي كانت مع الصدقة ، وللتفرقة بين المضاعفة في الحالتين... أما كلمة
 (يضاعفه) فكتبت في جميع الآيات بدون ألف لوجود القراءتين فيها - كما قلنا - .

إِطْعَامُ .. إِطْعَم

(١) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ
 عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ..﴾ (٨٩) المائدة

(٢) ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ .. فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ..﴾ (٤)
 المجادلة . أبو السعود .. وقرىء يُظَاهِرُونَ مِنْ اِظَاهَرٍ وَيُظَاهِرُونَ وَيُظَاهِرُونَ... ملحوظة:

(إطعام) هنا لاتصلح فيها قراءة الفعل (أطعم) في هذه الجملة الشرطية وفي السياق المذكور بخلاف الآية التالية:

(٣) ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ . . . هنا الإطعام ليس في (معصية) مثل كفارة اليمين أو الظهار على المقتدر . ولكنها تتحدث عن أجل الطاعات ؛ وهي عن إطعام في يوم ذي مسغبة ؛ أي في جماعة عامة على الجميع ، والتي يلاحظ فيها شحة الطعام وشدة الحرص والشح عليه في ذلك الوقت ؛ أي في يوم فيه الطعام عزيز ، وتكون النفس فيه على أعلى درجات الشح ، ولكنه يؤثر غيره على نفسه ؛ فهو طعام يختلف في شكله وظروفه عن طعام الكفارة ؛ وهو طعام خارج من القلب قبل أن يكون من اليد ، وهو يحتاج إلى قلب تقي نقي . . ولذلك حذف الألف منه لهذا الفارق (وهذه واحدة).

أما الثانية فهي : أن سياق الآيات تتحدث عن فك الرقبة دون الحديث عن كفارة شرعت لوقوع صاحبها في مخالفة ومعصية . . فهو إطعام خالص من القلب ابتغاء وجه الله وليس تكفيراً عن الوقوع في المخالفة ؛ ولذلك يقول قبلها { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ } أي أي شيء أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة ؛ فَكُّ رَقَبَةٍ { أي هو إعتاق رقبة } أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ { أي جماعة وهناك رأى آخر تشير إليه قراءة أخرى - هنا فقط في هذه الآية - كما نقل النعالي حيث يقول : وأما من قرأ : «فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ أَطْعَمَ عَلَى الْفِعْلِ - بفتح الكاف وتشديدها في كلمة (فك) - وكذلك (أطعم) بالفتح - والفاعل (هو) ، وَنَصَبَ الرِّقْبَةَ (عني أنها مفعول به) ، وهي قراءة أبي عمرو ، بل زاد على ذلك الإمام الطاهر قائلاً : وقرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي { فَكُّ } بفتح الكاف على صيغة فعل المضى ، وينصب { رقبة } على المفعول ل { فَكُّ } أو «أطعم» بدون ألف بعد عين { إطعام } على أنه فعل مضى عطفاً على { فَكُّ } . . أي فلا اقتحم العقبة ، ولا فَكُّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ (أي لا اقتحم ولا فك ولا أطعم) . . كلها أفعال ماضية معطوفة . . ولذلك حذف الألف من إطعام لتناسب هذه القراءة المتواترة .

((إذن هذا الطعام (١) له قيمة روحية عالية (٢) ونابع من قلب تقي وليس هذا الإطعام نتيجة مخالفة يكفر عنها به ، (٣) إضافة لذلك وجود القراءة الثانية بالفعل الماضي (أطعم) بدون ألف بعد العين . . لكل هذه الأسباب جاء الرسم على هذه الصورة المبهرة للتنبيه على هذه المعاني)).

بأفواهكم .. بأفواهكم

(١) **﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَخْسَبُونَهُ مِنَّا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾** (١٥) . واضح هنا التشديد في هذه الحالة - وهي حادثة الإفك - ولها ما لها من الجرم العظيم ، وما أحدثته من الزلزال الرهيب الذي كاد أن يقضى على الدعوة الإسلامية لولا فضل الله تعالى ورحمته بالأمة ، وقال الله عنه **(وَتَخْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)** ، والسورة كلها وردت خصيصاً لهذا الغرض وللتشريع أيضاً من أجله .. حتى أن الزمخشري حكى أن لكل ذنب توبة مقبولة إلا توبة الذين ارتكبوا حديث الإفك - وإن كنا نوافقه أو لانوافقه على ذلك -، ولكنه استند لرأيه هذا على التشديد الرهيب في الآيات القرآنية في هذا الخصوص ، حيث يقول : إن القرآن رتب علي حديث الإفك أبشع العقوبات واللعنات في قوله : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** (٢٣) **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٢٤) **يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** (٢٥) . وهذه العقوبات لم نرد حتى على أفضع الكبائر كالقتل وغيرها . فتأثير هذا الحديث الهادم الذي ارتكبه (بأفواههم) والذي كاد أن يهدم الإسلام من جذوره (فضرره ليس مقصوراً عليهم فقط كما في الآيات القادمة)، وترتيب العقوبات الشديدة عليه ، يرينا السبب في التركيز العالي على هذا القول ورسم الكلمة بالألف ((راجع حديث الوصية باليتامى تحت باب (إصلاح لهم) بالألف)).

(٢) **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاهِكُمْ أَلْتَّى تَظْهَرُونَ مِنِّي أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾** (١٤) الأحزاب. هنا الآيات تحكى عن موقف تشريعى هادى فهو عن دنهار يقع بين رجل وامرأته ؛ وهو أهون وأهدأ آلاف المرات من حادثة الإفك. وكذلك الأمر في الآيات التالية:

(٣) **﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (١٤) آل عمران.

(٤) **﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾** (١٤) إبراهيم.

(٥) ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴾ الكهف.

(٦) ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ﴾ يس.

(٧) ﴿ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ آل عمران.

(٨) ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ لَّا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۗ ۝ الْمَائِدَة .. منافقون ضعفاء.

(٩) ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَّلَا ذِمَّةٌ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۗ وَتَأَنَّىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ التوبة .

(١٠) ﴿ وَقَالَتِ الْنَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۗ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة .

(١١) ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ۗ وَأَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة .

(١٢) ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ۗ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨) الصف .

كل هذه الآيات، الحديث فيها لم تصل خطورته إلى خطورة حديث الإفك الذي، كاد أن يهدم الإسلام كله (دنيا ودين ، أفراداً وجماعات)، ولكن هذه الآيات وما تحكيه من جرائم فإن جرمها على صاحبها (بكفره أو إيمانه) وهم ضعفاء بنفاقهم أيضاً ولذلك كتبت على صورة مخالفة وأقل في مبنى الكلمة حيث حذف منها الألف.

هاجر... وجهد

الزمنحسرى: و (الذين هاجروا) هم الذين خرجوا من مكة إلى المدينة (فراراً بديهم) ، مشتق من (الهجر وهو الفراق) ، وإنما اشتق منه وزن المفاعلة للدلالة على أنه هجر نشأ عن (عداوة من الجانبين) فكل من المنتقل والمنتقل عنه قد هجر الآخر وطلب بعده ، أو المفاعلة للمبالغة كقولهم : عافاك الله فيدل على أنه هجر قوماً (هَجراً شديداً) ، .. والمجاهدة مفاعلة مشتقة من الجهد وهو المشقة وهي القتال لما فيه من بذل الجهد للمفاعلة للمبالغة ، وقيل : لأنه (يضم جهده إلى جهد آخر) في نصر الدين مثل المساعدة وهي (ضم الرجل ساعده إلى ساعد آخر للإعانة والقوة) .

(وهذا يتبين أن المهاجرة هي مفارقة وتباعد - فوضع الألف -.. والمجاهدة فيها مشهد الضم والجمع - كما قال الزمخشري - فلهذا المعنى ، ولمعنى (ذهاب) النفس (وقتلها) (ومعلوم أن الهجرة هي النجاة بالجسد والفرار من القتل - مشهد الإحياء والظهور - ولكن الجهاد والقتال هو قتل النفس .. ولذلك وضع الألف في الأولى - هاجر - وحذف من الثانية - جهد ، قتل) إضافة إلى ملحظ القراءتين في قاتل.

** هاجروا . وَمَنْ يُهَاجِرْ . وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا .. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا بخلاف الأفعال الآتية : وَجَهَدُوا جَاهِدُوا ، قَاتَلُوا .. فَقَاتَلُوا . لا ينهكم الله عن الذين قتلوكم .. يقتلون .. لكن "القتال" (إسم) فيكتب بالألف ،

الميعاد.. الميعاد

نلاحظ أن الرسم القرآني رسم (ميعاد الله) المحقق الوقوع بالألف ، وكتب ميعاد الناس (الناقص) بنقصان الألف هكذا:

- (١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ (٩) ﴾ آل عمران (ميعاد الله).
 - (٢) ﴿ إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴾ (ميعاد الله).
 - (٣) ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ (٣١) ﴾ الرعد. (ميعاد الله).
 - (٤) ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠) ﴾ الزمر (ميعاد الله) .
 - (٥) ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠) ﴾ سبأ (الميعاد من الله).
- في الآيات السابقة جميع المواعيد (من الله) وكتبت بدون ألف . ماعدا آية الأنفال ٤٢ ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاحْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴿١١﴾ ﴾ الأنفال.

لأنه ميعاد بين الناس (دنيوى) ويجوز خلفه وعدم تحقيقه ؛ فكتب ميعاد الله المحقق الوقوع بالألف ، وكتب ميعاد الناس الناقص بنقصان الألف .

كباير... كباير

- (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَظَلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) ﴾ إِنَّ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) ﴾ النساء.

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ هُوَ أمر محدد (مخصص بجرائم محددة- ماتبهون عنه - أى تخصيص-)، إضافة إلى السياق المنهوب والعنيف والحمل بالتهديدات القوية (أسلوب ترهيب، وملتهب وعلى النبرة) و﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانَا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا. ﴾ . مع ملاحظة أسلوب الشرط (الجازم) في الآية: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا.. وكلنا يعلم أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدر ومضاد له في الاتجاه.. وهذا بخلاف السياق في الآيات التالية:

(٢) الشورى ﴿ . وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ وقرىء «كبير الإثم». ونلاحظ أيضاً : هنا أسلوب الوعظ باللين ، والأسلوب خبرى، وليس بصيغة الأمر والنهى الشديدين؛ أى هنا (أسلوب ترغيب). إضافة إلى أنه حديث (عام) (كثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) وليس خاص عن أمور محددة مثل قوله (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ... لكل هذه الأمور حذف الألف. ومثلها الآية التالية:

(٣) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ (٣٢) ﴿ (كَبِيرَ) وقرىء : «كبير الإثم» . نفس ماسبق في الآية السابقة.. ولاحظ الترغيب بقوله { بالحسنى } وقال عن الطرف الآخر: ويجزى الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا (فقط) دون تشديد في العقوبة أو علو في نبرة التهديد لهم.

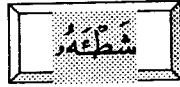
ويتضح أن الأمر لا يخضع للقراءة فقط - كما رأينا في صيغة إسم الفاعل (عامل) - ، وكلنا أنه لابد من النظر إلى أسلوب وصورة هذا الفعل: هل هو عمل هدم أم عمل بناء. هل هو حاد وعلى النبرة أم هو منخفض وهادئ النبرة والرسم يصور كل ذلك.

النشأة

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ (٢٠) ﴾ العنكبوت ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى (٤٧) ﴾ النجم ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ الواقعة. والنشأة تعنى القيام - والظهور بعد الموت والفاء- والإنشاء والإرتفاع.

ويقول الطاهر: وقرأ الجمهور { النشأة } بسكون الشين تليها همزة مفتوحة . . وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وحده بفتح الشين بعدها ألف تليها همزة ، ((أى "النشأة")) . . فهذا الألف أصلية في القراءتين ؛ بل إن القراءة الثانية- "النشأة" - فيها إشباع في المد. لهذه

الألف .. فلا يجوز حذفها .. وأقول ذلك لبعض العلماء الذين يسألون ويتعجبون من إبقاء الألف في هذه الكلمة (النشأة) وحذفها من كلمة (شطئه) !!) وسرى مقاله العاماء وما يستنبطه النبهاء من رسم كلمة (شطئه) أيضاً هكذا.



﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْطُهُمْ فَفَازَرَهُمْ فَأَسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح .

يقول السمرقندي: قرأ ابن كثير ، وابن عامر : { شَطْطَاهُ } بنصب الشين والطاء (أى شَطْطَاهُ). والباقون : بنصب الشين وجزم الطاء { شَطْطَاهُ } . ومعناها واحد . وهو فراخ الزرع . وقال مجاهد : { شَطْطَاهُ } يعني : قوائمه .. ويقول الطاهر: وقرأه الجمهور بسكون الطاء وبالهمز (أى بدون ألف) وقرأه ابن كثير { شَطْطَاهُ } بفتح الطاء بعدها ألف. على تخفيف الهمزة ألفا .

البحر المحيط: . وقرأ أبو جعفر : (شطئه) ، بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الطاء . ورويت عن شيبة ، ونافع ، والجحدري ، وعن الجحدري أيضاً : (شطوه) بإسكان الطاء وواو بعدها .

وهنا نجد أن الألف موجودة في بعض القراءات وغير موجودة في بعضها الآخر، بسبب إهمال كتيب واوا - وليست ألفاً - في القراءة الأخرى ، وأصبح لنا أن نقول أن الهمزة (والألف) هنا ليس لها مكان ثابت ولذلك نجد أن الهمزة ليست مكتوبة على ألف وليست مكتوبة أيضاً على نبرة (فهى بدون نبرة في الرسم).

وبالإضافة إلى هذه القراءات التي ذكرت فإنه معلوم أن فراخ الزرع ضعيفة وتلتف حول الساق لتقويته ولكنها لاتقف بمفردها وعلى ساقها ، بل لو تركت دون التفاف على ساق النبات فإنها تقع على الأرض ؛ فالساق هى التى ترفعها وهى بدون الساق منكسة وتقع على الأرض - كما قلنا - فهنا لا يوجد مشهد القوة والارتفاع (فلذلك لم يرتفع الألف).. وراجع نفس المعاني في حديثنا عن رسم كلمة (الكلالة) و(اليتيمى).

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس . نلاحظ كتابة كلمة (يُحْيِي) هنا - في حالة

سؤالهم هم (بياء واحدة) .. ولكن في حالة الرد التوكيدي والمعنف عليهم سستكتب
بياءين - قل يجيها - للتأكيد ولعلو النبرة).

القاسية... لِلْقَاسِيَةِ

(١) المائدة ﴿ فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ يقول
السمرقندي: قرأ حمزة والكسائي { قاسية } بغير ألف ، وقرأ الباقون { قلوبهم قاسية }
ومعناها واحد ويقال : قست فهي قاسية وقسية . مع ملاحظة أن (قاسية) هنا هي صفة
للقلوب ويدل على الذات فقط وليس على الذات والفعل . ولذلك كتبت بدون
ألف (راجع : عامل ، باسط).

(٢) ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (٥٣) الحج .. نلاحظ هنا:

- ١) سعى منهم إيجابى فيه حركة بالأفساد والفتنة والإضلال بين الناس .
- ٢) وأنه وصف القلب بوصفين (في قلوبهم مرضٌ والقاسية قلوبهم) والقسوة في القلب من
مرض القلوب ولكنه، كررها لزيادة التركيز على هذه الصفة وهي قسوة القلب .
- ٣) وأضف إلى ذلك إلقاء الشيطان مع هذه الحركة الإيجابية منهم .
- ٤) ثم ملاحظة ختام الآية: وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ .. وملاحظة (الظالمين) التي هي
أقسى من الكافرين . والظلم مناسب للقسوة الظاهرة... وصورة (شقاق) و (بعيد) .. ويقول
أبو السعود: ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضة للمبالغة .
- ٥) إضافة إلى أن القصة بأطرافها معلومة - في أعظم فتنة حدثت - وخاصة أنها لحق
النبي (ﷺ) والدعوة وفي تحريف القول في القرآن والإرجاف الشديد الذي حدث جراء هذه
القلوب القاسية .. ولاحظ قبلها: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى
الشيطان في أمنيه... } .

(٦) مع ملاحظة أنه يصف في المقابل الفتنة الأخرى التي بضدها تتميز الأشياء فيصف قلوبهم
ويركز على الصفة المقابلة فيهم وهي: { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } ، يعني : الذين أكرموا
بالتوحيد والقرآن؛ ويقال : هم مؤمنو أهل الكتاب { أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ } ، يعني : القرآن .
{ فَيُؤْمِنُوا بِهِ } ، { فَتُخَيِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } ، يعني : فتخلص له قلوبهم . الألوسى: { فَتُخَيِّتَ لَهُ
قُلُوبُهُمْ } بالانقياد والخشية للقرآن على التخصيص ، وللرب على التعميم .. ويقول
الطاهر: والإخبات : الاطمئنان والخشوع، (إذن الصورة فيها مبالغة لصفة الكفر القسوة
لهؤلاء فوضع فيها الألف).

(٦) ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ ۗ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الزمر. نلاحظ: أنه قبلها دعوة هادئة للتدبر بمثل الزرع والتفكر في أطواره.. وقوله: ذكرى لأولى الألباب.. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١) ﴾ الزمر.

وليس في الأمر فتنة أو إرجاف أو محاربة - كما في آية الحج السابقة - ولكنه هنا يصف القلوب (العاطلة) عن التفكير والتدبر - في آيات القرآن أيضاً - وقسوها عن ذلك التدبر فقط، كما قست عن التدبر في الزرع وخلق الله، وهي أقل قساوة من الصنف السابق (المحارب والمرجف). ثم قال { أولئك } يعني: أهل هذه الصفة { في ضلالٍ مُّبِينٍ } أي: في خطأ بين (ولم يقل في شقاق بعيد)، ولك أن تقارن الفرق في المعنيين والصورتين وجرس الكلمة. ورسم الكلمة بالألف المباعدة والمفارقة مع قوله (في شقاق بعيد)، ثم بعدها يعرض صورة أخرى للتفكير الهادئ: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً..). لكل هذا حذف الألف هنا في الزمر، وبقيت في آية الحج.

كاتب

يقول د: غانم قدورى متعجباً: لماذا "كاتب" في البقرة (٢٨٢، ٢٨٣) بالألف والياء بدون ألف؟ ولكنني بحثت في القرآن فلم أجد كاتب - بالفرد - بدون ألف، ولكنني وجدت (كاتبين) - بصورة الجمع - بدون ألف. وشرحها كالتالي:

(١) ﴿ يَتَأْتِيهَا الْبُرُوقُ إِذَا تَدَايَنُ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَ يَتَيْنِكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۗ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ البقرة.

(٢) ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ.. ﴾ البقرة.

(٣) ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ،

كَاتِبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنبياء.

(٤) ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٢﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الإنفطار. هنا

الكاتبون هم الملائكة.. وفي الأنبياء أيضاً الكاتب هو الله (أيضاً عن طريق الملائكة)..

وهذا بخلاف آيات البقرة الثلاثة: فالكتاب هو آدمي ، و يكتب الدين في الدنيا على الحقيقة الدنيوية الظاهرة ، وليس كما يظن في كتابة الملائكة التي لانعلم كنه كتابتهم (غيبى) ؛ ومن هنا «حسن حذف الألف هنا .. وإظهار الألف في آيات البقرة... إضافة إلى أن الآيتين بصيغة جمع المذكر السالم الذى يحذف منه الألف تخفيفاً.. وبالتأكيد لو وجد كاتب بلفظ المفرد يشير إلى واحد من الملائكة لحذف منه الألف أيضاً.

الأقصا.. القصوى

(٢) ﴿سُبْحٰنَ الَّذِىٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا

﴿الإسراء﴾ «والأقصى» البعيد.. أي : الأبعد.

(٣) ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ اَقْصَا الْمَدِيْنَةِ يَسْعٰى﴾ يس.

(٣) ﴿ اِذْ اَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوٰى وَالرَّكْبُ اَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ

تَوَاعَدْتُمْ لَاحْتَفَفْتُمْ فِى الْمَعِيْدِ ﴾ الأنفال. يقول الألوسى: { بالعدوة القصوى } أي

البعدي من المدينة وهو تأنيث الأقصى ، وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما : {

*القصيا } ، و يقول الطاهر: وهي قصوى بالنسبة لموقع بلد المسلمين .

والوصف ب { الدنيا } و { القصوى } يشعُر المخاطبون بفائدته ، وهي أن المسلمين

كانوا حريصين أن يسبقوا المشركين إلى العدوة القصوى ، لأنها أصعب أرضاً ، فليس

للو صف بالدنو والقصو أثر في تفضيل إحدى العدوتين على الأخرى ، ولكنه صادف أن

كانت القصوى أسعد بزول الجيش ، فلما سبق جيش المشركين إليها اغتم المسلمون ،

فلما نزل المسلمون بالعدوة الدنيا أرسل الله المطر وكان الوادي دهباً فلبد المطر الأرض

ولم يعقهم عن المسير وأصاب الأرض التي بها قريش فعطلهم عن الرحيل ، فلم يلبعوا بداراً

إلاً بعد أن وصل المسلمون وتخبروا أحسن موقع وسبقوا إلى الماء ، فاتخذوا حوضاً

يكفيهم وغوروا الماء ، فلما وصل المشركون إلى الماء وجدوه قد احتازه المسلمون ، فكان

المسلمون يشربون ولا يجد المشركون ماء.

ويقول الرازى: { القصوى } وهو تأنيث الأقصى ، وكل شيء تنحى عن شيء ، فقد

قصا ، والأقصى والقصوى كالأكبر والكبرى.

من هذا يتبين أن (القصوى) كانت فى أمانيتهم وتخيلهم أنه هو هذا المكان ولكن الله عز وجل

أبدل الواقع وغيره .. فكان الواقع خلاف ماتمنوه ، ولذلك فإن الحديث القرآنى يتحدث عن

أمانيتهم وتخيلاتهم وليس عن الواقع الحقيقى الذى دارت عليه المعركة.

وأرى - والله أعلم - أن اختيار كلمة (القصوى) - التي تنتهى بالألف اللينة ، مع صورة التأنيث وما يشيعه من جو اللين الذى يتناسب مع جو الأمانى الكبيرة التي كانت نصاحبهم في حالة الكرب المتواجدة معهم والتي كانوا يتخيلون فيها الراحة لهم واللين معهم (فهى تتمشى مع حالة الأمانى ، والأمانى التي وصلت إلى أقصاها) .. مع ملاحظة اختيار العدوة بالتأنيث وهو شفير الوادي وحرْفُهُ الذي يتعذرُ المشيُّ فيه بمثلة رَجَا البئرُ..... فكان لابد من تأنيث القصوى على الحالتين.. وأدعو القارئ أن يقوم باستبدال الآية بقوله (إذ أنتم بالمكان الأدنى وهم بالمكان الأقصى) وسيرى أنه النشاز وعدم التجانس وسيكون المعنى دالاً على بعد المكان فقط (والبعد المكاني) وليس فيه أى إشارة لما ألحنا إليه ... وذلك بخلاف قوله تعالى في الآيتين السابقتين: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ الأسراء.. (فهو يقصد بالفعل البعد المكاني الحقيقي) فكتب بالألف ، وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ .. ﴾ يقصد نفس المعنى.. مع ملاحظة (الألف) في الأمور المادية أو المسوسة ، والياء في الأمور الغيبية (أو التخيلات والأمانى).

أصابكم - أصببكم

قاعدة: المصيبة تنقسم إلى نوعين:

- (١) النوع الأول هو الانتقام، والانتقام معلوم أن فيه ملحظ الشدة والقوة فوضع فيه الألف وتكتب (فأصابهم).
- (٢) والنوع الثاني هو الإبتلاء ، وينظر فيه إلى ملحظين :
الملحظ الأول: إن كان الخطاب للتسلية ولتهوين أمر المصيبة التي أصابتهم - وهم في الغالب المؤمنون - كتبت بدون الألف (فأصببهم) - تقليل في المعنى مع تقليل في اللفظ - ، وكأنه يقول لهم لا تخزنوا فالمصيبة كانت هينة ولا تهولوها ...
والملاحظ الثاني إن كان الخطاب بغرض التشريف وإعلاء الشأن والمدح لمن وقع عليه هذا الإبتلاء (وهذه المصيبة) هنا يبرز السياق كبر المصيبة ولكن إيمانهم لم يتزعزع (رغم كبر المصيبة) - فما وهنوا لما أصابهم .. وما ضعفوا وما استكانوا - رغم كبر المصيبة - ولهذا الملحظ التكريمي لهم كتبت الإصابة بصيغة التهويل والتفخيم (أى بالألف - فأصابهم -)
**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاحْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَبْتُمْ مَّصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسُوتُوهَا

مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ
شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٦١﴾ المائدة. ومصيبة الموت ليس فيها ملحظ الانتقام أو

التحويل لأنها تعم الجميع وهي هينة ويتوقعها الجميع

** (وَأَنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ
شَهِيدًا ﴿١٦٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبَسْنِي كُنْتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٦٣﴾ النساء.. الخطاب خطاب تهمين للمصيبة التي أصابت
المؤمنين، أو إصابة الفضل.

** (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمْتُمْ
لَكِيلًا تَخْزُونَا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ آل عمران نفس
ما سبق. ومثلها ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾

****) أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَلَيْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ

الله على كل شيء قدير ﴿١٦٥﴾ آل عمران نفس ما سبق

** (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ البقرة.. (المصيبة هينة
بتذكر رجوعهم - المؤمنون - إلى الله وأنه سيأجرهم عليها خيراً عظيماً يجعلهم في فرح
من هذا الابتلاء وليس غم أو ألم

** (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿١٥٧﴾ النساء.. المصيبة هنا (قليلة) لعلهم يرجعون إلى الله (كأنها تذكرة
هم فقط)

** (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿١٥٨﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٥٩﴾ الشورى.

بخلاف الآيات التالية:

** (وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا
أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُجِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٠﴾ آل عمران.. فهنا تعظيم وتحويل للمصيبة بفرض
مدح هؤلاء الفئة أصحاب المقام العالی التي لا ترحزهم هذه المصائب المهولة عن
إيمانهم.. وهكذا الآيات القادمة:

** (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)) .. فهو قرح عظيم ولكن صبرهم وإيمانهم أعظم. وهكذا الآية التالية:
 ** (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُكْرِمِينَ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)) الحج

** (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)) الشورى. (أى لا ينتصرون - أى لا ينتقمون - إلا مع البغي الشديد - أى المصيبة الشديدة -)

*** أما الآيات القادمة فهي تصويرٌ للإنتقام من الله - وهو شديد - فتكتب الكلمة بالألف (فأصابهم) -- كما قلنا من قبل - وهاهى الأمثلة:..

** (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣)) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)) النحل.

** (إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ (٨١)) هود
 ** (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهَا عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩)) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠)) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١)) الزمر..

ويقول الألوسي: والمراد به العذاب الدنيوي وقد قحطوا لسبع سنين ، وقتل : يسدر صناديدهم وقيل العذاب الآخروي ، وقيل : الأعم ، ورجح الأول بأنه الأوفق للسياق ، وأشير بقوله تعالى : { وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ } أي بفاتين على ما قيل إلى العذاب الآخروي ويقول البقاعي: { سيئات ما كسبوا } أي عقوبات ما عملوا .

(وَقَفُوهُمُ بِهِمْ مَسْئُولُونَ (١٤)) مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ (١٥) بَلْ هُرِّ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (١٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (١٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (١٨) قَالُوا بَلْ أَمْرٌ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (١٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغِيينَ (٢٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٢١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غُيُوبِينَ (٢٢) فَلَيْسَ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٢٣) إِذَا كَذَّبَكَ

تَفَعَّلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٢٤)) الصافات

نلاحظ أنه إذا كان الوصف عن حال قد مضت في الدنيا (كنتم ، كنا) يكتب الفعل بدون ألف (طغين ، غوين) ... ولكن حينما أرادوا أن يصفوا حالهم (الحاضرة)

وشدة العذاب الذى هم فيه قالوا (إنا لذائقون) بالألف ((فالرسم القرآنى يفرق بين المشهد التصويرى (الحالى) وبين حكاية حال غائبة أو ماضية ..، وبين شدة وضراوة المشهد ولين وهدوء الموقف الآخر، .. وبين مشهد السرعة والعجلة ومشهد البطء والهدوء ..، وبين الانفعال وعلو النبرة وبين الهدوء وانخفاض النبرة و...، ويفرق بين مشهد النصيح باللين أو التعنيف والشدة ،... وبين موقف تعلق فيه نبرة التهديد والوعيد وعذاب جهنم ، وبين آخر يسود فيه موقف البشارة والتبشير بل أحياناً يرسم صورة الشيء المتحدث عنه بارتفاعه أو انخفاضه ،... أو إذا كان يحتاج الستر والإخفاء أو يحتاج الظهور والاستعلاء ،... ويصور عمق الشيء أو سطحيته ،... ويعرض علينا عرضاً صادقاً يرسم الكلمة إن كانت الكامير المصورة تصور على الأرض أو تصور فى السماء،... وأحياناً يلفت النظر إلى معنى غير المعنى المعروف لدينا فيقوم بتغيير رسم الكلمة - بحذف الألف مثلاً- إشارة إلى هذا المعنى ، والذى ينطبق ذلك على مانسميه بالمعنى الحقيقى والمعنى المجازى ،... أو يرسم الكلمة على صورة وحقيقة الفعل نفسه : فإن كان الفعل يشير إلى الهدم والإفناء كتبت بغير الألف (القواعد.. القواعد) ، وإن كان عكس ذلك كتب بالألف ،... وكذلك يصور صورة الفعل والصفة : إن كان فعل حركة ، وحركة إيجابية - كتب بالألف- ، وإن كان يشير إلى حركة سلبية كتب بغير الألف ،(باسط ، عامل) وهكذا))

(«وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ ، «وَمَا تَغْضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ» ، «وَتَقْرَأُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ» ، «وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» ، «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» ، «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَنْقُطُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)» «لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ (٣)» المتحنة

((مشهد الإظلال والحماية فى الرحم (العضوى أو المعنوى - القرابة -) يكتب بالألف. ويقوى هذا الملحظ فى الرسم تشبيه آخر فى قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ﴾ (٦٦) فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٦٧) الرحمن. وهنا نلاحظ المشهد التصويرى للأرحام وما تحويه وتظلل عليه فى داخلها ، وكذلك مشهد الخيام أيضاً وكتابة الإثنيين بالألف .. وكتابة كلمة (مقصورات) بدون ألف (فهى المكنونة والمستورة) وفيها جانب الستر والإخفاء.. وكلمة (خيرات) بدون ألف لأنه يقصد. الخيرية المعنوية فى الصفات والأخلاق وليس فى الشكل والهيئة ، وذلك بخلاف كلمة (حسان)

فهو يقصد : حسان في الشكل والهيئة فكتبت بالألف ، ولاحظ أيضاً كيف حذف الألف من كلمة (الإحسان) لأنه إحسان معنوي فحذف منه الألف.. وهو القرب الشديد واللصيق من الله : أن تعبد الله كأنك تراه .. ((وهكذا كلمة "الغائظ" .. يلاحظ فيها جانب الستر (على) الشخص في كلمة (الغانظ) وكتبت بالألف .

**وكذلك راجع رسم (الأحداث) و(المقابر) بالألف : (يخرجون من الأحداث) (حتى) زرتهم المقابر) أى القبور؛ ولكنه يريد أن يرسم في المخيلة معنى آخر يشعر به القارىء وهو يقرأ هذه الكلمة في سياقها، ألا وهو (عمق) هذه القبور وذهاهما في باطن الأرض بما تحويه من رفات الأجساد الكثيرة على مدى تطاول الأيام والسنين ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ يس ..

﴿ خُشِعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ القمر
فهي لاتصور حفرة فقط ولكنها تصور عمق هذه الحفرة الشديد حيث حوت المليارات من البشر في داخلها .. وهكذا المقابر التي هي جمع الجمع (أى جمع القبور) هي من الجمال والتناسق والابهار بحيث ترسم الصورة المقابلة لقوله تعالى (أهلأكم التكائر) أى الكثرة الكثيرة .. فكان المناسب قوله بصيغة جمع الجمع (حتى زرتهم المقابر.. وليس القبور) ***

***** ﴿ إِن هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٩)

يقول الرازى: وقوله : { وباطل ما كانوا يعملون } قيل : البطلان عدم الشيء ، إما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ومقصوده .. فهو ليس إسم فاعل (إيجابى)، بل فيه صورة الهدم (راجع : عامل بالألف، وبدون ألف).

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ هود ،

ويقول الزمخشري: وقرىء : «وبطل» على الفعل .

ملاحظة: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨) وكما يقول الزمخشري: وهو إثبات الإسلام وإظهاره ، وإبطال الكفر ومحقه . ((واضح أن الباطل على هذا المعنى من الحق والإخفاء لا بد أن تحفى فيه الألف بخلاف ظهور الحق)).. وكما يقول النبي (ﷺ): الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك.

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الاسراء).

(١٨) الأنبياء (٦٢) الحج. و (٣٠) لقمان. (٤٩) سبأ. (٤٢) فصلت. (٢٤) السورى (٣) محمد

وهكذا الضلال (ضليل) الذى هو عكس (الحق) يكتب بدون ألف .. وهذا المعنى الذى ذكرناه من علو الحق وظهوره وتنكيس الباطل ودحوره هو ما يعبر عنه الزمخشري فى شرح قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ):

فإن قلت : كيف خولف بين حرفي الجرّ الداخلين على الحق والضلال؟ - أى (لعلي) هدى أو (في) ضلال .. فقال فى الهدى (على) وفى الضلال (في) - قلت : لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يدري أن يتوجه .

وهكذا تجد الرسم القرآني للكلمة القرآنية يتعاقب مع الإعجاز البلاغى الذى نزل به القرآن الكريم.

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف).

الرازى: بل الواجب أن يكون المراد من الطيبات الأشياء المستطابة بحسب الطبع وذلك لأن تناوؤها بفيد اللذة ، والأصل فى المنافع الحل فكانت هذه الآية دالة على أن الأصل فى كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل إلا للدليل منفصل .

قوله تعالى : { وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ } وأقول : كل ما يستخبثه الطبع وتستقدره النفس كان تناوله سبباً للألم ، والأصل فى المضار الحرمة ، فكان مقتضاه أن كل ما يستخبثه الطبع فالأصل فيه الحرمة إلا للدليل منفصل.

ومكتوبة فى كل كتب التفسير - عند الشرح - هكذا: { وَيُحِلُّ لَهُمُ (الطيبات) وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ (الخبثات) } . وهذا يعنى أن (الطيبات) لها رسمان : بالألف وبدون الألف. ومعلوم أن الطيبات - وهى كنعم الله - كثيرة (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ، بخلاف الخبثات والجرمات - كما هو الحال فى الحن بالنسبة للنعم - فإنها قليلة وربما نادرة ، فتكرار النعم وكثرتها ناسبه وجود الألف ، وندرة الخبثات والجرمات حذفت منها الألف. وهذا رأى.

والرأى الآخر إذا نظرنا إليهما من جهة (التلذذ) - الذى مر بنا فى الشرح -- فتكتبنا بدون ألف (للإثنين).

ونقول لعلها: قرئت (الخبث)، أما الطبييات فلها صفتان: أولهما: لكونها ملكوتية - إذا حذف الألف --، والثانية: لمراعاة جانبها الدينوى والكثرة فتكتب بالألف.

ونضيف ملحظ آخر هو: أننا نجد أن (الخبث) و (الفواحش) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَلهٗمَ بَشَرٍ مَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَرَ﴾ كتبتا بدون ألف، ولكن (السيئات) كتبت بالألف.. ولعل جرس الكلمة (سوقها) - كما تعودنا - يقرب إلينا فهم السبب.. لأنه أحياناً كثيرة يشعر المرء بالفرق والإحساس بالمعنى فى داخله ولكنه يعجز عن التعبير عنه بما يقرب هذا الإحساس.. ولعل السيئة يجرسها توحى بالفعل السيء الذى يسوء الآخرين؛ أى فيه التعدى للغير، بخلاف وصف الخبائث الذى ذكرناه-، أو لعل الخبائث لفظ فيه العموم، والسيئات لفظ فيه الخصوص.

وكما يقول: أبو السعود والألوسى: وجعُ السيئات باعتبار تكرر وقوعها فى الزمان المديد لا لأن المراد بها جميع أنواعها، وبما مر من السوء نوعٌ منها. ((ونقول أن الذى مر من السوء فى الآيات قبلها هو قوله تعالى: ﴿وَاللّٰتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مَنْ نَسَانَكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥١﴾ واللذان...))

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۝١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا...﴾
ولاحظ جرس كلمة (الأغلل) و (الخبث)، (السيئات) وربما تتذوق حدة الحروف فى كلمة (السيئات) وربما تجد السبب فى نفسك.

{ والأغلل التى كانت عليهم } هذه الأغلال ليست الأغلال المادية المعلومه - كقيود الحديد مثلاً - ولكنها كما يقول الألوسى: أى يخفف عنهم ما كلفه من (التكاليف الشاقة) كقطع موضع النجاسة من الثوب أو منه ومن البدن، واحراق الغنائم، و... و... ويكمل: ولا يخفى ما فى الآية من الاستعارة.

(إذن هى أغلال على الحجاز و ليست على الحقيقة) ولذلك كتبت بدون ألف.



ولاحظ الفرق بين (مسجد) و(محراب) حيث أن المساجد لا تطلق إلا على دور العبادة فقط .. أما المحارِب (فهى للعبادة ولأماكن الخلوة والاجتماع ، وهى أيضاً لكل ما ارتفع وعلا؛ فلذلك كتب فى الأفراد بالألف "المحراب" لهذه الخصوصية).

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ۗ إِنَّهَا يَوْمَئِذٍ لَمَسْجِدٌ لِلَّهِ مِّنْ أُمَّةٍ ۗ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ﴾ التوبة



وقوله ﴿ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ أى بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر وإن أبوا أن يقولوا : نحن كفارٌ كما نقل عن الحسن رضى الله عنه (((إذن هى ليست هذه الشهادة المعلومة باللسان - بل هى مجاز أيضاً- حيث يشهد عليهم عملهم- ولذلك حذفت الألف))))،

ملاحظة: ﴿ وَاذْأُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) - (ليست بمعنى الشهادة الجسمانية المعلومة لدينا فالله ليس ذات ولا يتجسد... وهكذا قوله تعالى عن نفسه { وَكُنَّا فَاعِلِينَ } أى قادرين على أن نفعل هذا ولكنه ليس بالصورة المادية المعلومة لدينا فقدرتة تعالى فوق التخيل أو الوصف)..... إضافة إلى ملاحظة أن الحذف دائماً فى جمع المذكر السالم - إلا ما استثنى - مثل.. شَكْرُونَ.. عَمَلِينَ.. حَفَظِينَ.. كل هذه الأسماء المجموعة جمع مذكر سالم أو مؤنث، يحذف منها الألف - إلا ما استثنى لحكمة عالية تبين فى حينها - وهى كثيرة.. ولكن السؤال يكون عن حذف الألف أو وضعها فى الأسماء المفردة مثل (شاهد).

(شاهداً .. شَهِدَاً)

﴿ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَتَذِيرًا ﴾ (٨) الفتح ﴿ إِذَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْنَا كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ المزمّل
هذه الآيات كتبت، فيها (شَهِدَاً) بدون ألف ، وكلها خاصة بشهادة الحبيب محمد ﷺ بخلاف الآيات التالية التى كتبت فيها بالألف:

- (١) ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ (١٧)﴾ هود. الرخشسرى: .. { شَاهِدٌ مِنْهُ } شاهد من كاد، على بيّنة . كقوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ الأحقاف : ١٠ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الرعد: ٤٣
- (٢) ﴿قَالَ هِيَ رَأَوْذَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا .. (٢٦)﴾ يوسف
- (٣) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ .. (١٠)﴾ الأحقاف

فالشاهد الذى هو خاص بشهادة دنيوية فقط ، أو الشاهد شهادة جزئية وليس كلية، أو الشاهد الشهادة المعلومة لدينا - كالذى يشهد فى قضية أو غير ذلك - كل هذه الأنواع تكتب بالألف .

ولكن الشهادة الكلية الجامعة (عامة) ، والتي على الخلائق أجمعين ، .. والشاهد فى (الآخرة) أيضاً، .. والشهادة (الملكوية العلوية التشريفية) ؛ وكل هذه المعانى فى الشاهد، ولم تتوفر إلا فى الحبيب محمد (ﷺ) فكتبت الكلمة بدون الألف



﴿ وأسرحكن سراحاً جميلاً .. ﴾ . ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾ ﴿وَوَظَنَ اللَّهُ الْفِرَاقَ (٢٨)﴾ ﴿أَوْ لَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ..﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلُقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَلِمَ إِسْمَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ .. يريد أن لا يؤكد (الطلاق) أو حتى يذكر اسمه - فهو أبعض الحلال-، إضافة إلى قوله (مرتان) أى فى أضيق الحدود .. بما يناسبها انكماش الكلمة بحذف الألف .. أما الإمساك فهو يؤكد عليه ويعلى فيه النبرة فوضع له الألف .. وحذف الألف من (إحسان) لأنه يريد الإحسان القلبي قبل المادى

* ﴿وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ ﴿إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ولاحظ ثقل الضرر على الإنسان الواقع عليه الضرر وتصوير ثقل الكلمة بوضع الألف .

ونلاحظ أن السراح هو مثل الطلاق ، ولكن الطلاق مكروه كما نعلم - وقاس على القلب - ولذلك يقول ربنا بعدها مهدياً ومشعراً بعلمه بما يفعلون ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، ولذلك حذف الألف للتلطيف والتهوين على هذه القلوب ورسم سمورة الانكسار فيها .

أما السراح ففيه جرس الكلمة لمن لا يستطيع أن يفهم معناها، ولعله يوحى بالرضى من الطرفين وكل منهما يريد سراحاً وانطلاقاً . ويكفى فيها قوله تعالى بعدها (سراحاً

جَمِلاً فَالجمال المذكور لا يستدعى الخفاء والترضية بل إن فيه الظهور والحركة والرضا .. وهكذا: فارقوهن بمعروف ؛ (الفراق) وصورته والذي يستدعى حتماً وجود الألف ، وفراقاً بالمعروف . مع ملاحظة صيغة المفاعلة بين الطرفين والتراض بينهما وحد المعروف الذي فيه إرضاء الطرف الآخر فيه إظهار الألف مثل (لا تواعدوهن)

وهكذا الفصال هنا - رغم أنه بمعنى الطلاق - ولكنه يقول فيه (عن تراض منسهما) .. وهو قد كتب بالألف لأنه فصال جسدى بين الرجل والمرأة على الصورة المعلومة لدينا .. **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا)** - بقصد الطلاق والفراق بين الرجل وامراته - فوضع الألف .. أما قوله **(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَيَّأَ عَلَيَّ وَهَنَ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ)** ﴿٢٧﴾ لقمان فهو فطام الطفل اللصيق بامه وما زال لصيقاً. لأنه ليس بالانفصال الجسدى بين الأم وإسها - كما هو الحال في حال الطلاق بين الرجل والمرأة

من صفات الله تعالى

(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) الأنعام .. (قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ (١٦) الرعد .. (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) الحجر .. وخلق .. راجع خالق وجاعل وفاطر

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا غَافِيًا (٦٥) الأنعام .. وهكذا كل (قادر) بالألف (٣٧) الأنعام .. (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادرٌ على أن يخلق مثلهم .. (٩٩) الإسراء .. ما عدا (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلق العليم ﴿٢٧﴾) وقد شرحناها تفصيلاً.

(وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴿١٨﴾) الأنعام (٦١) الأنعام (٢٨) الفرقان .. (وواضح صفة القهر والعلو). (غافر الذب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴿٣﴾) غافر.

والجلل والإكرام (قراءتان) - كما نقل الزركشى - ((والظاهر أن في البعض من أسماء الله الحسنى يوجد قراءتين لاعتبار قوله (هو الظاهر الباطن) في آن واحد



﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَبْدٍ لِي مِن نَّبِيِّ لَهَا﴾
﴿هود.. يقول الرازي: قرأ حمزة والكسائي { قَالُوا سَلَامٌ قَالَ سَلَامٌ } بكسر السين وسكون اللام بغير الهاء (سَلَمٌ)، وفي الذاريات مثله . قال الفراء : لا فرق بين القسراءتين كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام لأن في التفسير أنهم لما جاؤا سلموا عليه . قال أبو علي الفارسي : ويعتدل أن يكون سلم خلاف العدو والحرب ، كأنهم لما امتنعوا من تناول ما قدمه إليهم نكروهم وأوجس منهم خيفة قال إنا سلم ولمست بحرب ولا عدو فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو .



أَنْ تَقُولَ لَأَ مَسَّاسٍ . (أي إن قولك : لا مساس ثابت لك كائنًا في الحياة أي مدة حياتك أن تفارقهم) مفارقة كلية ، لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ إليها ، وذلك أنه تعالى رماه بداء عقاقم لا يكاد يمس أحدًا أو يمسه أحد كائنًا من كان إلا حمى من ساعته حمى شديدة ، فتحامي الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى طوقه : لا مساس ، وحرّم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته و...ابعته وغيرها مما يُعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات ، وصار بين الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحش النافر في البرية ، (فهى المفارقة الدائمة والتي ينادى بها بأعلى الصوت ولذلك وجدت الألف).

يَتَأَيُّهَا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾

﴿لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ يقول الرازي: اختلف المفسرون في اللمس المذكور ههنا على قولين : أحدهما : أن المراد به الجماع (أى المعنى المجازى) ، والثاني : أن المراد باللمس ههنا التقاء البشريتين (المعنى الحقيقي) ، سواء كان بجماع أو غيره ثم قال : واعلم أن هذا القول أرجح من الأول ، وذلك لأن إحدى القراءتين هي قوله تعالى : { أو لمستم النساء } - بدون ألف - واللمس حقيقة المس باليد ، فأما تخصيصه

بالجماع فذاك مجاز ، والأصل حمل الكلام على حقيقته . وأما القراءة الثانية وهي موله :
{ أو لامستم } فهو مفاعلة من اللمس ، وذلك ليس حقيقة في الجماع أيضاً ، بل يجب
حملة على حقيقته أيضاً ، لئلا يقع التناقض بين المفهوم من القراءتين المتواترتين .

إذن هناك قراءتان - بالألف وبدون ألف - ولا يناسبهما إلا رسم الكلمة بدون الف . بل
لقد رجح معظم المنسرين القراءة بدون ألف حملاً على الكناية كما يقول الطاهر:
وقرىء { لامستم } بصيغة الفعل كما سيأتي ، وهما بمعنى واحد على التحقيق . ومن
حاول التفصيل لم يأت بما فيه تحصيل إلى أن وصل إلى قوله: فأحمل الصحيح أن
الملامسة كناية عن الجماع ... إلا أن مالكاً قال : إذا (التذ) اللامس أو (قصّد اللذّة)
انتقض وضوءه (وهذا هو ملحظ اللذّة والتلذذ الذي يناسبه أيضاً حذف الألف - كما
قيل في "الطيبت" و"الخبث") ، وحمل الملامسة في هذه الآية على معنيها الكنائي
والصريح ، لكن هذا بشرط الالتذاذ ، وبه قال جمع من السلف .

وأقول أنا الكاتب : (ولعل هذا هو السبب أيضاً بالتعبير بالملامسة دون الجماع لتعطي
المعنيين (الجماع) ، (والملامسة بشهوة وتلذذ) .. مع ملاحظة (لامستم) يقال فيها ما يقال
في (قاتلهم الله) بدون ألف (راجع شرحها) ...
ولاحظ قوله (من قبل أن يتماسا) (بالألف) لأنه ليس لها إلا معنى واحد - وهو الجماع
في سياق الآية - وقراءة واحدة لدى جمهور العلماء .

ويقول أ السعود : { مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَّاسَا } أَي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَمَعَ كُلٌّ مِنْ الظَّاهِرِ
وَالْمُظَاهِرِ مِنْهَا بِالْآخِرِ جَمَاعاً وَلَمَّسَا وَنظراً إلى الفرج بشهوة (ولاحظ هنا جو كلمة
(يستمتع) كل منهما بالآخر وما فيه من القصد والتوجه والحركة .. وجرس الكلمة
ورسمه في قوله: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ .. (٢٣٧) .. ﴾ حتى أن نفس
العلماء يشرحونها هنا بقولهم : ﴿ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ ما لم تجامعوهن
(فقط دون زيادة) والفقهاء أيضاً مختلفون في هذا الحكم (هل هو المراد منه العند .. أم
المعاشرة) .

وهنا ربما يقال : كتبت (لنتمستم) بغير ألف لأن الراجح في توجيهها هو (كناية) عن
الجماع وليس اللمس المعلوم لدينا باليد .. ولذلك كتبت على غير أصلها في الرسم ...
ولكن لماذا كتبت (العائط) بالألف رغم أنها كناية ؟ هنا أقول ربما لأن الغائط يسواري
ويظل على صاحبه ويستتره ، وهذا يحتاج مشهد العلو على الداخل فيه .. وأيضاً كما

قال العلماء أنه (الغانط) مجاز في الخارج من الإنسان (فهذا مشهد خروج وانفصال وبعد، بخلاف الجماع والمباشرة الجنسية والتزواج و... فهو مشهد قرب وملاصقة). إضافة إلى أن ابن مسعود قرأها بصيغة (لمستم) وهي قراءة متواترة.

مُرَاعِمًا

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ النساء. قيل أنه المال الكثير (جانب مادي). كان حقه أن يوضع فيه الألف، ولكنه لسبب آخر حذف الألف حيث أن الإمام الرازي يؤكد على المعنى الآخر وهو: الوجاهة والنعمة الجليلة واستقامة الحال والسيادة وكل هذه المعاني التي تغيظ الأعداء والتي حصلت لأتباع محمد (ﷺ). وكلها أمور معنوية تستدعي حذف الألف.

ويقول الرازي: وعندني فيه وجه آخر، وهو أن يكون المعنى: ومن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلده الأصلية، وذلك لأن من فارق وذهب إلى بلدة أجنبية فإذا (استقام أمره في تلك البلدة الأجنبية)، ووصل ذلك الخير إلى أهل بلده خجلوا من سوء معاملتهم معه، ورغمت أنوفهم بسبب ذلك، وحمل اللفظ على هذا أقرب من حمله على ما قالوه، والله أعلم. والحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان إنك كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك خوفاً من أن تقع في المشقة والخنعة في السفر، فلا تخف فإن الله تعالى يعطيك (من النعم الجليلة والمراتب العظيمة) ما يهاجرتك ما يصير سبباً لرغم أنوف أعدائك، ويكون سبباً لرغبة عيشك، ((إذن المراغمة ليست هي كثرة الأموال والأعراض المادية فحسب ولكنها النعم الجليلة والمراتب العظيمة التي ترغم أنوف الأعداء)).... ويقول الزمخشري: ولقريء «مرعماً».



ملاحظات متفرقة

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطِئًا﴾ (١٦). كتبت الهمزة بدون نبرة.. وحققها أن تكتب (خطأ). ولعل السبب فيما يقوله الزمخشري وغيره: وقرئ: «خطاء» بالمد و«خطا»، بوزن عمى - بتخفيف الهمزة... ويقول أبو السعود: وقرئ خطاء بالمد وخطاً كعصا بتخفيف الهمزة. ومن هذا تلاحظ أن الهمزة ليس لها مكان تستقر فيه على ألف فكتبت بدون نبرة ولعله إشارة أيضاً إلى أن أصل الكلمة - فعلها - بالألف وليس بالياء (خطا)

*** ولاحظ: الناس (جمع في صيغة الكلمة مطابق للجمع في المعنى) بخلاف الإنسان (كتبت بدون ألف لأنها جمع في المعنى ولكنها مفرد في اللفظ ، وربما لأن الإنسان معنى عام.. بخلاف (الناس) معنى خاص- وربما للنظر لأصل منشئه (الضعيف): كما يقول الرمخشمى: { وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا } والمعنى أنه تعالى لضعف الانسان خفف نكليفه ولم يثقل....

وكما يقول المصباح المنير: (وَالْإِنْسَانُ) مِنَ النَّاسِ اسْمٌ جِنْسٍ يَفْعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْوَّاحِدَ وَالْجَمْعَ (إذن الإنسان معنى كلي .. والناس معنى جزئي) وَأَخْتَلَفَ فِي اسْتِفَاقِهِ مَعَ اتَّفَاقِهِمْ عَلَى زِيَادَةِ التُّونِ الْأَخِيرَةِ فَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ (مِنَ الْأُنْسِ) (ومعنى الأنس هو الاجتماع والتانس) ، وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ مُشْتَقًّا (مِنَ النَّسِيَانِ) (إذن فيها معنى النسيان وهو الإزالة والنقص لما في الذاكرة).

أما (أناسي) فقد كتبت بالألف لأن فيها الجمع والتشريف والتعظيم لهذا الإنسان وهو على الأرض، لذلك قال معها ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ ولم يقل ماءً فقط - كما في باقي الآيات في السور الأخرى) - وذلك لوجود لفظ (أناسي). ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴾ الفرقان..



﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (فهو لفظ عام) (ش ي ط) كما ورد في قواميس اللغة: شَاطِئُ الشَّيْءِ يَشِيطُ (احترق) وَأَشَاطُهُ صَاحِبُهُ إِشَاطَةٌ وَشَاطِطٌ يَشِيطُ (بَطَلٌ) . وَالشَّيْطَانُ مِنْ هَذَا فِي أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ. (إذن نلاحظ هنا مشهد : الاحتراق والسبطلان وكلاهما نقص يتناسب مع نقص الألف).

أما (الجان) فهو لفظ خاص وفيه مشهد الخصوصية).



((لَوَاقِحٌ)) ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ ، فكما قال المفسرون أن { لَوَاقِحٌ } معناها: ملقحة - تلقح غيرها-؛ وحيث أن المعنى المتبادر من (لواقح) هو أنها هي التي تلقح غيرها، لكنها كما يقول الألوسي: واللواقح جمع لاقح بمعنى (حامل) (أى هي التي تم تلقيحها هي - وأصبح المعنى على خلاف اللفظ-) يقال: ناقة لاقح أي حامل ، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ ، شبهت الريح التي بالسحاب الماطر (بالناقة الحامل)

، لأنها حاملة لذلك السحاب أو للماء الذي فيه ((إذن هي على خلاف حقيقة اللفظ فكتبت بدون ألف.. وهذا السبب سنمر عليه كثيراً في نفس هذه المواقف اللغوية التي تستدعي أيضاً حذف الألف إذا كان المعنى على خلاف الواقع)).



﴿ **أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا** إِنِّهَا **لَمِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ (١) ﴿ **مِنَ الْغَابِرِينَ** { الطاهرو: ومعنى ا من الغابرين } من الهالكين.. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث ((إذن حذف الألف للمعنيين: معنى الهلاك والإفناء وهو دائماً يرسم بدون ألف ، على عكس معنى الإقامة والعلو.. والمعنى الآخر هو التذكير لهذا الإسم المؤنث - مع جواز ذلك لغوياً - ولكن الرسم يشير إلى هذا المعنى برسم الكلمة للإنتباه).



مواخر: المخر: شق الماء مجزوماً.. ((فهي على صفة الفعل والحركة ، حتى في جرس الكلمة ومقطعها الثاني (خر) والذي يصور بصوت الكلمة صوت شق الباخرة للداء .. مثل كلمة (صر صر) التي تصور بالصوت صوت الرياح الشديدة وهي تزجر .. والمواخر أيضاً على الحقيقة المادية - فكتبت بالألف - وهي ليست على المجاز أو التشبيه. مثل (لوقح) التي حذف بها الألف)).



** غلاظ ، شداد (جرس الكلمة وتعديها على الغير ، وفيها الفعل والحركة الإيجابية)
 ** أما : "باخع" ﴿ **فَأَمَلَكُ بَنَجٍ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ** **إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ : أي قاتلها من الغم والهم . (فهي حركة سلبية من كظم الهم والغم - مثل رسم الكلمة "والكظمين الغيظ" بدون ألف ، بخلاف "والعافين عن الناس" بالألف ، كما أن "بَنَجٍ نَفْسَكَ" على المجاز وليس بحقيقة القتل المادى المعلوم . ولذلك يقول الرازي: البحث الأول: المقصود منه أن يقال للرسول : لا يعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم (فهذا هو البخع أو القتل المجازي كما نسميه) ،



ويكمل الرازي: البحث الثالث : قوله: ﴿ **فَأَمَلَكُ بَنَجٍ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ** ﴾ آثار على المجاز وليس على الحقيقة : أي من بعدهم ، يقال مات فلان على أثر فلان أي بعده ، وأصل هذا أن الإنسان إذا مات بقيت علاماته وآثاره بعد موته مدة ثم إنها تمحى وتبطله

بالكلية ، فإذا كان سوته قريباً من موت الأول كان موته حاصلًا حال بقاء آثار الأول ، فصح أن يقال مات فلان على أثر فلان. ((أى ليست آثاراً مادية حقيقية كآثار الأقسام المعلومة ولكنها آثار مجازية مثلما نقول ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ والشيطان ليس له خطى على الحقيقة ولكنها مجاز عن اتباع أوامره ووسوسته)) وهذا بخلاف قوله تعالى: فارتدا على آثارنا أى رجعا على آثار سيرهما ، أى رجعا على طريقهما الذي أتيا منه (آثار مادية)...



أحاديث

أحاديث إذ الحديث هو الكلام الطويل المتضمن أخباراً وقصصاً . سمي الحديث .- لدينا باعتبار اشتماله على الأمر الحديث ، أي الذي حدث وجد ، أي الأخبار المستحاجة التي لا يعلمها المخاطب ، ((وهذا يقرب إلينا كتابة "جاعل" أيضاً بالألف))



متفرقات تفهم من مجرد النطق بالكلمة وتخيلها:

جدارا... هذا فراق .. مدادا (تكرار الإمداد).. فراا .. إني فاعل ، بأكواب وأباريق (مادية وظاهرة وتطوف على الناس) ،

** أيقاظا (أى صورهم توحى أنهم فى غاية الانتباه واليقظة والحركة ولا يمكن أن يعلن أحد أنهم موتى أو حتى نيام ؛ فأعينهم مفتوحة، وهم تحرك وتقلب وغير ذلك ...)

** يتنزعون بينهم أمرهم ، أو كأساً (فليس هنا نزاع بمشاجرة مادية - كما نهلمها-)

** مرء "ظهِراً" أى سطحى ليس فيه عمق وليس فيه تطويل المدة معهم فى الحديث فهو حديث سطحى وسريع) .

** سرادقها (وهو الذى يحيط بالشىء من الخارج .. أحاط بهم سرادقها)، الأرائك (الشىء الظاهر والمتسع)، الثواب ، العقاب، أقفالها ،

** بارزة، بروزون (فبروزهم فى يوم القيامة لا يخفى على الله منهم شىء لا يقصد منه البروز المادى والجسدى فقط بل بروز بواطنهم وخفايا أعمالهم .. وربما يكون الحذف أيضاً لصورة الجمع بالواو والنون التى يجذف فيها الألف تخفيفاً)، ...لواحة (تكرار)،

** خوار (صوت مرتفع)، **الكواكب (البارزة للأعين)، **الكوافر (صيغة مبالغة فى كفرهن بخلاف : الكسفرين)، .. لهى الحيوان (مشهد المبالغة والظهور فى الحركة والصفة فى كل ماسبق) ... **أواب (التكرار).

**﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (بدون ألف لأنها قرئت بالإمالة).

**﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَةَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١٢٧)

النساء ليس بالاختلاف الظاهري والمادى ، ولكنه الاختلاف الذى يستنبطه الفكر - وهو معنوى وفكرى وتدرجى - وليس بمعنى اختلاف المشاجرة أو اختلاف الألوان والصور .

**﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسًا مِنْ فَوْقِهَا﴾. لأنه ثبت علمياً أن ما يقرب من أكثر من ثمانين بالمائة

من هذه الجبال الرواسى تحت الأرض وفى باطنها ، ولذلك يقول النص القرآنى "وألقينا فيها رواسى" - ولم يقل "عليها" - على عكس المتبادر إلى الذهن الذى يتخيل أن المعنى الصحيح هو "وألقينا عليها رواسى" ، كما كان يتخيله العلماء القدامى حتى القرن العشرين من أن الجبال هى عبارة عن تعرج للقشرة الأرضية : أى أن جميعها فوق سطح الأرض والجبال تكون على الأرض وليس فيها ، ولكن العلم الحديث أصبح يصور الآن ويبرز ما قاله القرآن الكريم بل وما سماه القرآن فى مواضع أخرى : أوتاداً).

**﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعَّتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ...﴾. قرئت لفتيته...

ولكن الملاحظة الأخرى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَسِيحَتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ (بجذف الألف مراعاة

لعنصر النساء وتغليب الستر والإخفاء الملاصق لهن وملاحظة أن الحديث هنا فى هذه الآية عن النهى عن إكراههن من أسيادهن على البغاء ، فهى حالة استضعاف واضحة). بخلاف

"إمائكم" ، "عبادكم" . ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (١٢٨)

(كتبنا بالألف لأنه كما قلنا ذكر قبلها (و"الصالحين" من عبادكم وإمائكم) وهذه تستحق الإشادة والظهور.. إضافة إلى أنها خطاب تعليمى لنا عن الحديث عن الأمة والعبء تعليمياً لنا للأدب فى الحديث عنهم بصورة الرفعة وليس التحقير .

ويقول الطاهر: والأيامى : جمع أيم بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة بوزن فَعْلَل وهو المرأة التى لا زوج لها كانت ثيباً أم بكرة . والشائع إطلاق الأيم على التى كانت ذات زوج ثم خلت عنه بفراق أو موته ، وأما إطلاقه على البكر التى لا زوج لها فغير شائع فحمل على أنه مجاز كثر استعماله ((وهذا المعنى يزيد من تصوير حالة الضعف لهذه المرأة الثيب التى فقدت زوجها وهى حالة ضعف معلومة لدى الجميع)) . . . وظاهر وصف العبيد والإماء بالصالحين أن المراد اتصافهم بالصلاح الدينى ؛ أى الأتقياء وقيل أريد بالصالحين الصلاح للزوج بمعنى اللياقة لشؤون الزوج ، أى إذا كانوا مظنة القيام

بحقوق الزوجية. ((وهذا المعنى وحده - اتصافهم بالصلاح الديني . أي الأتقياء،
والصلاح للزوج بمعنى اللياقة لشؤون الزوج ... - كاف لإظهار الألف)).

ويضيف الرازي معان هامة مكملة؛ حيث يقول: إنما خص الصالحين بالذكر لوجوه:

الأول: ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم

الثاني: لأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم (و) يتزلوهم منزلة
الأولاد في المودة (أي في منزلة الرفعة لهم التي تناسب رفعة الألف في الكلمة)، فكانوا مظنة
للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم، وأما المفسدون منهم فحالهم عند
مواليهم على عكس ذلك (أي التحقير والانكسار)

الثالث: أن يكون المراد الصلاح لأمر النكاح حتى يقوم العبد بما يلزم لها، وتقوم الأمانة بما
يلزم للزوج.

الرابع: أن يكون المراد الصلاح في نفس النكاح بأن لا تكون صغيرة فلا تحتاج إلى
النكاح.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ النساء.. فالحديث في جانب الستر للمرأة بزواجها من رجل
يعفها ويحصنها.

﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا.. (٣٣)﴾ النور. ويقول الألويسي وأبو
السعود: أي إماءكم فإن كلاً من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة والسبي
ذلك مبني قوله عليه الصلاة والسلام: «ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمّي
» ولهذه العبارة في «المقام باعتبار مفهومها الأصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله
تعالى: { عَلَى الْبِغَاءِ } وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي ينوع
منهن ذلك غالباً ذون من عداهن من العجائز والصغائر، ((يقصد بذلك عنصر الجذب
في النساء، وربما لضعف الفتاة - الأمة - في هذا الموقف الذي تكون فيه الفتاة أمة
وعبدة عند أسيادها من الرجال فهي لا تستطيع أن ترفع صوتها بالاعتراض، والرسم
يصور حالة ومشهد إكراههن وانكسارهن؛ وهي من هي على حالتها هذه من الذلة
والانكسار، ولا يناسب كل ذلك إلا حذف الألف))



*** حذف ألف في قوله (وَسْتَل) .. لأن السؤال ليس فيه جهد أو مشقة على القائم به ، وخاصة أن نوعية السؤال هنا فيها من الهدوء والتأني والدعوة للتفكير، وليس فيه طلب الصفح من الطرف الآخر ، وليس فيه من خوف العاقبة مثل واستغفر - أي طلب الغفران - نتيجة الذنب الذي فعله .

*** والألف لم تحذف من (واستغفر) ، لأن (استغفر) هو طلب الغفران من الله . وذلك مستنبط من المقطع الأول: "إس" - الذي يعرف لغوياً بأنه طلب الشيء - أي المغفرة - وهو متوقف على الطرف الآخر.. فلا بد أن تكون الكلمة كاملة بمقطعيها .. **

ومثلها: واستغنى واستغشوا.. (فهو تصوير للحالة الفعلية والتي لا بد من مراعاتها وتخيّلها.. فهي ليست نداءً غنياً بدعوة كلامية فقط ، ولكنها تصوير لصورة وحركة فعلية).

** (وَاحْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَابِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿١١١﴾) (لا يقصد الألوان المعروفة - الأبيض والأسود..و.. - ولكنه يقصد الأصناف والأنواع - من الخلق - كما سنبين في حينه)

** (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ ﴿١١٢﴾) (فيها لحة من الله تعالى للتذكير بحقارة المال وأنه مال الله وهو إعارة لنا).

** (يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصُّوْعِ حَذَرًا لِّمَوْتٍ ﴿١١٣﴾) (جمع صاعقة أو صعقة.. - لأن الصاعقة قرئت "الصعقة" - . ولذلك كتبت على هذه الصورة لحة للأصل في الكلمة) ولم يحذفوها من (الواقعة) ... وذلك للملاحظة الأوصاف بعدها التي تعطيك السبب: إذا (وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦)) .. فهي تصور هذه المشاهد الحركية المذكورة) .

** وأثبتوها في كلمة لاهية قلوبهم.. لأنها تصف الفعل وليس الذات فقط وكأنه يقول : قلوبهم تلهوا وعن عمد.

** (لَا تَسْمَعُ فِيهَا أَبْهَةً ﴿١١٤﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١١٥﴾) (رَبَّنَا : إسم) .. بخلاف قوله: لاهية قلوبهم .. وربما يكون المعنى: لا تسمع فيها "أقل لغو" - في الجنة - فيراعى مشهد التقليل من اللغو .. مثل كذايا وكذايا - التي بدون ألف - تعني أقل الكذب (

لِقَابِهِ: ﴿١١٦﴾ أَقْمَنَ وَعَدَدْتَهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لِنَفْسِهِ ﴿١١٧﴾) (القصص. الألوسي: فَهُوَ لِقَابِهِ: مدركا لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ، ولذلك جرىء بالجملة الاسمية المفسدة

لتحققه البتة.. أى سيحقق الوعد ولا يقصد هنا "اللقاء الجسدى" بين الأشخاص (إذن هو معنى مجازى).

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِنَا ﴾ ﴿ الأنبياء (٣٨) الدخان
** ونلاحظ أن (لاهية) لَاهِيَةٌ قُلُوبُهُمْ بالألف ، (لَعِينِنَا) بدون ألف .

واللعب خلاف اللهو ((راجع د:المطعنى فى الخصائص) ولعل المعنى : أن اللعب، لمرحلة الطفولة (وقلة شأنه) -- فناسبه حذف الألف - واللهو لمرحلة الرجولة والإدراك والمسئولية عما يفعل ؛ فله شأن وأهمية وسيحاسب عليه. - فناسبه زيادة الألف - .

**الْحَوَارِيُّونَ... يقول أبو السعود: فقليل قال : { الحواريون } جمع حَوَارِيٍّ بمال : فلان حَوَارِيٍّ فلان؛ أى صفوته وخالصته - من الحَوَر وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحَصْرِيَّاتِ لخلوص ألوانهن ونقاتهن - سُمِّيَ به أصحابُ عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نياتهم ونقا، سرائرهم ، وقيل : لما عليهم من آثار العبادة وأنوارها ((وإن كنت لا أميل لمثل هذه التأويلات - والله أعلم - وهو رأى الإمام الطاهر أيضاً- ، ولكنه ربما يكون ذلك الرسم أيضاً لتصوير معنى ثقل مكانتهم من الاتباع والمبادرة والسبق وعدم المكث عنه وموازرتهم)). ويؤيده إضافة الألف فى وصفهم ب (أنصارالله).



الأجر والثواب والجزاء

(الثواب) ، (ثواباً) يقول البقاعى: { ثواباً } وهو وإن كان على أعمالهم فهو فضل منه. (فالثواب فى اللغة هو الفضل "الزيادة"). ..

وهنا لا بد من وقفة لمعرفة الفرق بين الأجر والثواب والجزاء... ولعلى أقوم بتأخيص أقوال أكابر العلماء بعد دراسة أقوالهم والشواهد القرآنية المؤيدة لذلك ، ونحاول تلخيصه فى سطور قليلة نظراً لضيق المقام هنا ، والخلاصة التى ارتحنا إليها هى:

أولاً: الأجر هو لما يكافىء العمل (دون زيادة) ، والثواب هو ما زاد على ذلك والدليل هو قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦) يونس . فالحسنى أجر والزيادة ثواب. (والزيادة يناسبها زيادة الألف)

ثانياً: أن الله جعل الأجر عاماً يكون من الله عز وجل كقوله تعالى (فلهم أجرهم عند ربهم) البقرة ٦٢ ، ويكون بين الناس أيضاً كقوله تعالى ﴿ فَإِنِ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ .. ﴾ (٦) الطلاق.

في حين لم يذكر القر أن الثواب مسنداً للبشر ، فكان الثواب خاص بجناب الله تعالى والأجر عام . (ومعلوم أن الخصوصية لها الألف ، والعمومية يحذف منها الألف)

ثالثاً: الأجر على الأعمال فقط لكن الثواب على الأعمال والأقوال معاً ؛ ولعلنا ألمح من جرس كلمة (الأجر) : - وحرف الجيم والراء - أنها تعطي جرساً يتناسب مع خشونة العمل والفعل والتأسيس... أما كلمة (ثواب) - وحرف الثاء والنواو مع المد... - فإنه يعطي انتفاش الزينة واللباس ، وفيها من العلو والزيادة والرفقة أيضاً ، كل ذلك يتمشى مع معاني الزيادة الأجر والفضل الذي يأتي خصيصاً من الله.

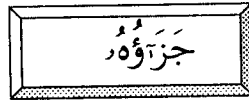
وقيل أن الثواب مشتق من أصل صحيح يدل على "العود والرجوع" .. وهذا أيضاً يناسبه إظهار الألف.

أما الجزاء فيطلق باعتبار قيامه مقام غيره والثواب يطلق باعتبار رجوعه وعوده إلى مستحقه - ولكنه مسمو الثواب أى مثله - وكتب أيضاً بالألف

﴿ أَوْلَيْكَ جَزَاؤُهُمْ أَدَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) ﴾ آل عمران ، ﴿

آل عمران ، (٩٣) النساء ﴿١٨﴾ (٦٣) الإسراء ، (١٠٦) الكهف (٨) البينة

*** مَتَّع : المنفعة العاجلة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْغُرُورِ ﴾ آل عمران : ١٨٥ . الحياة كتبت بدون ألف مراعاة لوجه المقارنة بضرمتها وهي الدار الآخرة والتي قال فيها (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) وهذا المتاع أيضاً بالنسبة لما أعده الله في الآخرة (قليل) ، فروعى ملحظ القلة بحذف الألف .. إضافة إلى ملحظ آخر وهو أن المتاع جمع ليس له مفرد .



وحذفوا الألف من آية يوسف .

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ﴿١٠١﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ

كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٠٢﴾ . وهنا الجزاء هو إبدال السارق مكان سرقة - وهو ليس من نوع المسروق - والمشهد ليس فيه مشهد السجن أو التعذيب والتعنيف أو إحصار المسروق الذي نقص من مكانه ، وهو إقرار لشريعتهم ، وأن مشهد الحنان والرفقة نلدحه في سياق الآيات البن تخير أن يوسف هو الذي سيقوم برعاية أخيه الذي سيؤخذ مكان المكيال المدعى سرقة - وما يعلمه القارىء مما حدث بين يوسف وأخيه .. فهو جزاء

ناقص وليس كامل ، وفيه مشهد اللين وليس التعنيف والتعذيب على (خلاف). الأصل من معنى الجزاء) في مثل تلك الأحوال وتطبيق القوانين والشرائع ، ولذلك كتبت الكلمة على خلاف الأصل : (أى بدون ألف)

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى). (فهو.. ا ليس بجزء على الحقيقة - أى أنه جزء مجازى- لأن رد السيئة ليس بسيئة، ولكنه يسمى كذلك على طريق المساكلة في الحديث فقط) وأيضاً الآيات: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة).. ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المائدة).. وربما حذفت في هذه الآيات الثلاثة لأنه تم تعويضها بالواو الزائدة في نهاية الكلمة التي تحدثنا عنه في بداية الكتاب))

ولم يحذفوها من جزاؤكم جزاء. (توكيد). وجزاؤهم عند ربهم. وذلك بالنظر إلى الصفات التي تليها لصفوة البشرية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) البينة. ولهم جزاء الضعف... وهما نلاحظ التضعيف والتشديد في كلمة "الضعف" ... وقرئت أيضاً بصورة مخصصة وهى بتنوين (جزاؤ) فتكون غير مضافة على هذه القراءة وتكتب بالألف.

وأيضاً آيات التعذيب، والتهديد: (٩٨) الإسراء، (١٠٦) الكهف وآل عمران ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٧)، بخلاف: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران في نفس السورة). (التي قيل أن لها قراءة أخرى)..

. (ومن هنا يتبين السبب ؛ حيث أننا نجد في كل هذه الآيات - التي فيها الألف - صيغة المبالغة - في الثواب والعقاب -، والتوكيد ، وعلو النبرة بالتهديد والوعيد)

(الديار) بالألف .. (مَسْكِن) بدون ألف ..

نبدأ بالحديث والمقارنة بينهما

أولاً: في حال الأفراد (دون الإضافة) حيث كتبت (دار) بالألف والجمع (ديار) بالألف بغير إضافة إلى ضمير المالكين لها (الديار) أو الساكنين فيها(المساكن).. فالدارو الديار ينظر فيها إلى المباني المكشوفة والظاهرة فقط (فكتبت بالألف) - أما المسكن والمساكن فهو

المكان المحاط والمعد للسكنى فيقصد به توجيه النظر إلى الساكنين (فيه) - وفي داء اللام في ستر وإخفاء - ولذلك أخفيت الألف (في حال الإفراد والجمع أيضاً) ..

ولكن في حال الإضافة لأهلها (أى أشير للساكنين فيها - دياركم ومساكنكم) فالأمر أصبح متساوياً في الناحيتين فكتبتا الاثنتان بدون ألف .. ديرهم ، ومسكنهم

ولاحظ: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسْكَانِهِمْ ﴾ ﴿ مِّنْ دِيرِهِمْ تَبْطَرُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٥٥﴾

ديركم مع ملاحظة أخرى هي: أن (مساكنهم) بدون الألف لأنها قرئت على الإفراد أيضاً؛ ولذلك تكتب (مسكنهم) - كما في الأحقاف، وطه والقصاص والعنكبوت والسجدة -.

*** لاحظ: ﴿ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ (٥) الإسراء... يقول الطاهر:

والجوس : التخلل في البلاد وطرقها ذهاباً وإياباً لتتبع ما فيها . وأريد به هنا تتبع المقاتلة فهو جوس مضرة وإساءة بقرينة السياق (فوضع الألف (جاسوا).

و (خلال) اسم سماء على وزن الجموع ولا مفرد له ، وهو وسط الشيء الذي

يتخلل منه . قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [الروم: ٤٨] . وللملك يكتب بدون ألف (إى: وسط الشيء أو فيه).

الوهاب .. كَبَّارًا (مسيخ مبالغة). والكَبَّار أكبر من الكبار ، ونحوه : طوال ودوال الطاهر: و { كَبَّارًا } : مبالغة ، أي كبيراً جداً.

الكفَّار: أرى فيها مشهد المبالغة أيضاً في الكفر وأنها أقوى من الكافرين - حتى من جرس الكلمة والتشديد في رسمها - . وكأنه الكافر الذي يزرع الشر ويرعاه ، ولذلك أتلق على الزارع ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ .. (٢٠) . بخلاف (الكافرين) كلها بدون ألف ...

(١) ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ (١٠٩) الفقرة.

(٢) ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كُفَّارًا ﴾ (٢٧) الألوسي: وقيل أراد من جبل على المعجور والكفر . ويقول الطاهر: والكفَّار : مبالغة في الموصوف بالكفر ، أي إلا من يجمع بين

سوء الفعل وسوء الاعتقاد ، قال تعالى: { أولئك هم الكفرة الفجرة } [عبس: ٤٢] . *** ولاحظ: (شاقو الله.. أو الرسول) بالألف التي تعنى القطع والبعد من الله أو الرسول،

أما تُشَقُّونَ منهم ﴿ - ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ

تَشْتَقُونَ فِيهِمْ ﴿٢٧﴾ كتبت بدون ألف : أى تجادلون وتقاطعون الآخرين لأجل أن (تصلو معبوداتكم) هذه وتتقربون إليها وتلتصقون بها (مشهد الوصل)؛ وليس بمعنى تقطعونها - كما فى شاقوا الله وشاقوا الرسول- وهذا هو المستفاد من كلمة (لهم) - (تشتقون فيهم) وما رمز إليه بحذف الألف.

** ﴿وَلَا تَحْضُورُونَ﴾ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٨﴾ وَقُرَىءَ تَحَاضُونَ مِنَ الْحَاضَةِ ، وَقُرَىءَ يَحْضُونَ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ.

*** ولا يحذفون ألف المد فى صيغ المفرد غالباً نحو: عالم القادر ناصر ساجد كاذبة فاعل فاسق شاكر قائماً كاشفة صابراً وكان الكافر وعمارة وسقاية وقد يحذفوها منها نادراً نحو (وهى ظلمة- وقد تم شرحها بالتفصيل)..

*** وإنى لأظنه كذبا. ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٩﴾ غافر...

(وهذه التفرقة فى الرسم بين (ككذبا) و(صادقا) لمن العجائب فعلاً... ولاحظ (كذبا) فعليه كذبه... أما صادقاً فهو يفيض على غيره ويفيد وينفع غيره ، يصبكم بعض الذى يعدكم).. فهو متعدى لغيره بالنفع (فكان وضع الألف) لهذه القاعدة العظيمة : فالكاذب، وباله على نفسه - وهو الخسران - والصادق نفعه وخيره يتعدى لغيره وهو (الربحان) ولكن لاينسى الرسم القرآنى الإشارة إلى صيغة المبالغة فى وضع الألف فى كلمة (كذاب) بالألف لأنه صيغة مبالغة ومن حقها ذلك).

فما أروع وأعجب هذا الإعجاز والإبهار فى رسم الكلمة....
(وراجع حذفها من ﴿ وَلَا كَذَّابًا ﴾ (التي لم ترد إلا فى سورة النبأ فقط).

مِيقَاتٍ .. ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .. ﴾
﴿ لَمَجْبُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٥٠ الواقعة . ((المِيقَاتُ هنا لا يوجد إلا فى هاتين الآيتين فقط ، وهو يتحدث عن مِيقَاتِ ملكوتى (مِيقَاتِ ربه) أو مِيقَاتِ غيبى (مِيقَاتِ يوم معلوم)..

وكذلك (مِواقِيت) ﴿ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مِواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ ﴾ (٣١)
المواقيت هنا ليست الأهله بنفسها ولكنها تعطينا القياس الذى نضبط عليه مواقيتنا.

* أما حذف ألف المد في صيغ الجمع فمطرد

بحسبان. (دقة الحساب ، ولكن لها توجيه آخر نراه قريباً)

﴿... فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١) ﴿وَلِيِّ﴾ (ونلاحظ نطقها باستمرار الكسر حتى نهاية الكلمة ، لأن بعدها حرف مجرور "في")... بخلاف قوله " (إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ...﴾ (كلهم بياء واحدة) لأن نطقها بالفتح على الياء الأخيرة. لأن بعدها ألف مفتوحة "الله"..... وهكذا النبيين.

لكلمت

(١) الانعام ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ) ﴿لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لمواعيده من قوله : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾. إذن هي على الجاز.

(٢) (٦٤) يونس ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ، كقوله تعالى : ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ﴾. إذن على الجاز.

﴿... قُلْ لَوْ كَانُوا الْبَحْرَ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جَنَّتَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩) ﴿إذن على الجاز.

فكلها ليست بمعنى الكلام المتعارف عليه لدينا (باللسان والأفواه) ولذلك كتبت أيدماً بدون الألف حتى في غير جمع المؤنث السالم أيضاً، مثل (كلام الله) فقد كتبت أيضاً بدون ألف.

(٤) **: البقرة ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَاتِ اللَّهِ ثُمَّ خَلَفْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة الزمخشري: وقرىء «كلام الله»

(٥) **: التوبة : ﴿... وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَاتِ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَعَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿ذُرُوبًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (١٥) الفتح... يقول الزمخشري: ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ وقرىء : «كلام الله» أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية ، وذلك أنه وعدمهم

أن يعوضهم من مغنم مكة مغنم خيبر إذا قفلوا مواعيد لا يصيبون منهم شيئاً .

رَاضِيَةٌ

﴿ فَهُوَ فِي عَيْشَةِ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ غَالِيَةٍ (٢٢) ﴾ الحاقة

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَنشِيَّةِ ﴿٦﴾ ... وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٧﴾ لَسَعِيَ رَاضِيَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ الغاشية

﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) ﴾ الفجر

﴿ فَأَمَّا مَنْ تَقَلَّدَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) ﴾ القارعة. (ذكر الإمام الداني

أن (راضية) كتبت في هذه الآية فقط على رسمين: (بالألف وبدون الألف) ، ذلك يتمشى مع تخيلنا لهذه الموازين التي تثقل بالأعمال؛ فهي موازين بالصورة التي نعلمها تقيس بالدقة المتناهية، ولا تترك ذرة واحدة - ومطلوب من المؤمن تخيل ذلك المعنى أمام عينيه بمثل يعلمه ... فهو بهذا المعنى تظهر فيه الألف (كالمثال الديوى) ، ولكن بالنظر إلى وزنه للأعمال (وهي معنوية لانتخيلها في الوجود الديوى) فهي حينئذ تكتب بدون الألف. وذلك على مثال كتابة آية المائة ﴿ رَأْيَوْمَ أُحُلِّلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) حِلٌّ لَكُمْ (وَطَعَامُكُمْ) حِلٌّ هُمْ ﴿٤﴾ التي ورد فيها قراءة أخرى فيها هذا الملحظ وهي كتابة ﴿ (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) ﴾ كما هي بالمصحف (أى بالألف) لأنه طعام لا تكتمل فيه الطهارة (فهو دنيوى) بخلاف طعام (المؤمنين) حيث ورد له رسمه أخرى بدون الألف (ناظراً إلى ملحظ طهارته المعنوية) بجانب الرسمه المتواجدة بالألف لمشهد الطعام المادى الذى يشترك فيه المسلم وغير المسلم .. وكانت هاتان الرسمتان لطعام المؤمنين إشارة معجزة من الوحي بذلك المعنى.

مَقْعَدُهُمْ خِلْفٌ

﴿ إِنَّمَا جَزَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُسَلَّبُوا أَوْ

تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ... ﴿١١٠﴾ ﴾ المائدة. الألوسى: أي

تقطع مختلفة بأن تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى.

يقول الطاهر: وقد علم من قوله: { من خلاف } أنه لا يقطع من الحارب إلا يد واحدة أو رجل واحدة ولا يقطع يده أو رجلاه؛ لأنه لو كان كذلك لم يتصور معنى لكون القطع من خلاف . فهذا التركيب من بديع الإيجاز . ((ونقول إن حذف الألف ربما يكون لهذه الإشارة: أى أنه لا يقطع العضوان في وقت واحد (كيد يمنى ويد يسرى في وقت واحد حيث أنه في هذا الوقت سيكون معنى "من خلاف" كاملاً... ولكن لأن

القطع حدث (ناقصاً) من حيث هذا المعنى وكان الأمر بقطع عضو واحد في المرة الواحدة .. (مثل اليد اليمنى مثلاً) ويكون في المرة الثانية (الرجل اليسرى وليست اليد اليسرى - كما هو متوقع) فلهذا المعنى الناقص - كما تخيلناه - نقص الحرف من كلمة (خلف) للإشارة إلى الوقوف على هذا الحكم بهذه الصورة الناقصة على ما شرحناه) .. ولو رسمت الكلمة بالألف (خلاف) كما تعودنا لما كانت هذه الوقعة الهامة في هذا الأمر التشريعي... وهكذا في الآية التالية:

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ (١٢٤) الأعراف أي يقطع من كل جانب عضواً مغايراً للآخر كاليد من جانب والرجل من آخر، وفي وقت آخر.

﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ (٧١) طه (٤٩) الشعراء

** وتبقى كلمة الخلاف (خلف رسول الله) وهي خلاف مجازي، بيانه كالتالي:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ..﴾ (٨١) يَقَالُ : أقام خلاف الحري . بمعنى بعدهم - ظعنوا ولم يظعن معهم -، (أي خلاف مجازي وليس بالمعنى المادى خلف ظهره) .. وتشهد له فراءة أبي حيوة : خلف رسول الله (وهذه واحدة)

والثانية: وقيل : هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا وفرض (وهذا معنى آخر؛ خلاف معنوي أيضاً ، ولكنه يعطى معنى: معصيتهم له) وهذا هو السر في استخدام النص القرآني لكلمة خلاف رسول الله ولم يقل (بعد رسول الله) لهدين المعنيين معاً.

**** ولاحظ ((خلف))

هكذا في الأنعام وفاطر ((خلف)) (التي تعطى معنى التواصل وعدم انقطاع ذرية آدم من على ظهر الأرض من لدن آدم عليه السلام إلى وقت الخطاب وبعده) الأنعام : الزخمشى : ﴿ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ دُونِي ﴾ لأن محمداً (ﷺ) خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم ((بإضافة روحية ودينية)). أو جعلهم يخلف بعضهم بعضاً . أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها.

وفي فاطر: (وهنا لا ياتصد بها خلافة التواصل - كما قلنا - ولأنه هنا خطاب للكافرين أي باقي الخلق غير محمد (ﷺ) وأمته فقال (جعلكم خلف) ((في)) الأرض.. أي مسخرين في هذه الأرض .. بخلاف الحديث الشريف ل محمد (ﷺ) وأتباعه حيث يقول لهم (جعلكم خلف) الأرض.. بدون حرف (في) ؛ فأصبح المعنى (قواد هذه الأرض وأسياد هذه الأرض إضافة إلى القيادة والخلافة الروحية - كما قلنا -).

روضات الجنات

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٢٧) الشورى.. كأن روضة جنة المؤمن - أطيّب بقعة فيها - أى فى الجنة - وأنزهها { عند ربهم } ((فالكلمة فيها تحديد وتركيز وزيادة اعتناء، بل وتخصيص أطيّب بقعة من الجنة نفسها (روضات الجنات)

وهذا كمثال فتح تاء كلمة جنة(جنت). نعيم فى سورة الواقعة: "فروح وريحان وجنت نعيم" لأنه لا يتحدث عن الجنة العامة بل يتحدث عن نوع من الجنة مخصص وكأنه يقول: روح وريحان وجنة مخصوصة... وذلك إضافة إلى الرؤية المفتوحة للجنة - عند احتضار الروح-

الْكَلَلَةُ إِنْ أَمْرًا

*** ﴿... يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُسْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ زَوْجُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَا وَوَلَدٌ ﴾ (١٧١) النساء. يقول الزمخشري وأبو السعود وغيرهما: الكلالَةُ فى الأصل مصدرٌ بمعنى الكلال وهو ذهابُ القوة من الإعياء ، استُعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفهما بالإضافة إلى قرابتهما ، وتُطلق على من لم يخلف ولداً ولا والدًا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة^(٢)

وتطلق إما معنى الإحاطة وإما معنى الإعياء والضعف .. وبما أن قرابة غير الوالد والولد ضعيفة - لأنها بوساطة - أستعير هذا اللفظ لها ((وهنا نقف على سبب رسم الكلمة بدون ألف قائمة .. ونقول هذا حقها - من المعنى اللغوى أيضاً - وهذا يذكرنا برسم كلمة (شطنة) - بمزة بدون نبرة - إضافة إلى تعدد قراءتها - وقلنا أنه يلاحظ فيه (إلتفاف الفرع بالأصل .. وضعف هذا الفرع وذهاب قوته) - وهذا هو ما قلناه فى

(٢) ويقول صاحب كتاب، أثر الدلالة النحوية واللغوية.. أن إطلاقها على ما عدا الوالد والولد مناسب.. لأصل معناها فى اللغة، لأنها إما معنى الإحاطة ، والإخوة والأخوات محيطون بالوالد والولد من حيث أنهما أصول وغيرهما فروع ، (والفرع يحيط بالأصل) دون العكس، لأنهما أصل النسب(أحكام القرآن للجصاص).. ولذلك يقول الفراء: سمو الكلالَةَ لاستندارهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب من تكلمه النسب: إذا استدار به.

"شظته" (فرخ الزرع وجوانبه) - وهو ما نكرره مع "الكلالة" حيث كتبت على هذه الهيئة (الكلالة).

وعلى هذا فالمراد بالكلالة من الوارثين من ليس بوالد ولا ولد (العصبة القوية) ويجب أن يراعى هذا الملحظ في رسم الكلمة ((إلتفاف الفرع بالأصل .. وضعف هذا الفرع وذهاب قوته)) وحذف الألف في الكلمة.

﴿*** إن امرؤا هلك﴾ ولم تكتب إن "امراً": ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكَلِمَةِ إِنْ امْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ فلاحظ فيها الآتى:

(١) التقديم (لامرؤا) هنا للإهتمام بهذا المرء المشار إليه.. حيث أنه لم يقل: إن هلك امرؤ .. بل قال: إن امرؤا هلك .

(٢) الإهتمام الآخر به هو في طريقة السؤال والجواب: يستفتونك .. قل الله يفتيكم .. فهى فتوى هامة لحالة متفردة ومتميزة.

(٣) وهذا المرء له شأن ثان جاء بطريقة العرض القرآنى في قوله (وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ).. والشخص - المذكور هذا - هو الذى قيل عنه (إن امرؤا هلك) - أى

مات - فكيف يقول عنه هلك ثم يقول بعدها: هو يرثها؟ وكما يقول أبو السعود: {وَهُوَ} أى المرء المفروضُ {يَرِثُهَا} أى أخته المفروضة إن فرض هلاكها مع بذائه ...

والمراد بإرثه لها إحراز جميع ما لها... وهنا نجد أن هذا الشخص له تميز في الحالين بحكم خاص له (لعله غريب يناسب غرابة رسم الكلمة.. إضافة إلى أهمية هذا النموذج الذى له تشريع خاص وهام وفتوى من الله ملتفت إليها الجميع.. فله تشريع في حال موته وله تشريع آخر في حال موت إخته..)

﴿*** وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يُنَسِّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّبَاةِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٧٧﴾﴾ النساء.

ملاحظات على الآيات:

(١) لاداعى لتكرار السبب في حذف الألف من (اليتيمى) - مع ملاحظة الضعف والحاجة (ومراجعة ما قلناه عن الكلالة)

(٢) حذف ألف (اللاتى) للتخفيف ولكثرة الاستعمال

(٣) ملاحظة (الولدان) بدون ألف .. لأكثر من سبب منها: الضعف ، ومنها اللصوق بالأب والأب ، ومنها : أنه لا يقصد الإبن الصلب فقط - كما ذكرنا من قبل - .
(٤) البلاغة في قوله (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ).

يقول الزمخشري عن حذف حرف (عن) أو (في): يحتفل في أن تنكحوهن لجمالهن ، (وعن) أن تنكحوهن لدمامتهن . (ومعنى هذا الكلام : أن النص القرآني لم يقل وترغبون (في) أن تنكحوهن، وحذف حرف (في) ليعطى المعنيين: (في) و (عن)، أي: الرغبة في جمالهن ، أو الرغبة عنهن - البعد عنهن - لدمامتهن) . وهذا من إعجاز الحذف - الذي يسميه البلاغ (شجاعة العربية) - .

ملاحظة: الأبرار كتبت بالألف . ولكن الزركشى ذكرها بدون ألف (لعله بالنظر إلى الذات - فتكتب بالألف - . أو النظر إلى الصفة - وهي ملكوتية - فتكتب بدون ألف .) بخلاف الفجار .. فهي على حالة واحدة. (ذاتاً وصفاتاً)..... وهكذا (بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ)

*** ملاحظة ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ الآية وأمثيلاًها يطلب منا تحليل المشهد التصويري لها لمعرفة سبب كتابتها على هذه الصورة.

*** ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ { قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ } يقومون عليهن أمرين ناهين ، كما يقوم الولاة على الرعايا . وسما قوَّاماً لذلك (فليس هو بالقيام المادى الذى هو ضد القعود) بل هو قوامة معنوية.

ملاحظات: .. انبعائهم. القعدين.. الخلفين. (الأولى انبعائهم تصور صورة الابعات ويناسبه إظهار الألف، والثانية (القعدين) و(الخالفين) تعبير مجازي) وهو ما يقول أبو السعود: أي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائماً وقرىء (الخلفين) على القصر، فكان نحو أساميهم من دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة لهم أي عقوبة .

*** أما (الخوالف): ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ فكبت بالألف .. ويقول أبو السعود: أى: مع النساء اللاتي شأتهن القعود ولزوم البيوت (قمة التويخ لهم وشدته عليهم وهذا يناسبه وضع الألف)، بل لقد قيل أن لها معنى آخر وهو: جمع خالفة وقيل : الخالفة من لا خير فيه.. فهي مبالغة في الذم لهم يناسبها زيادة الألف ..

وربما وضع الألف ليهين أصل مفرد الكلمة وهي (خالفة) وليست (خلف).. بخلاف

(الخالفين)

﴿ تَفَسَّحُوا فِي آلِهِمْ جَلَسُوا فَافْسَحُوا ﴾ (الزمنخسرى: وَقُرِيءَ فِي الْمَجْلِسِ^٣ ، وَقُرِيءَ فِي الْمَجْلِسِ بفتح اللام وهو متعلق بتفسحوا قطعاً أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايروا فيه .
** الحجرت (ينادونك من وراء الحجرت) وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ، ولكنها جمعت إجمالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمة.. البقاعى فقال :
{ الحجرات } ولم يصفها إليه - أى لم يقل حجراتك - إجلالاً له ، ويشمل كونه في غيرها أيضاً ،.. (إذ هي بمعنى الحجرة على الأفراد) ولذلك لم يوضع فيها ألف إضافة إلى ملحظ جمع المؤنث السالم .

***الرسالات: ﴿ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفَّرٌ ﴾

يقول أبو السعود: { كَأَنَّهُ جَمَالَةٌ } قيل : هو جمعُ جملٍ والتاء لتأنيثِ الجمع (أى جماعة الجمال) يقالُ جَمَلٌ وَجَمَالٌ وَجَمَالَةٌ وقيل : اسمُ جمعٍ كالحجارة.. الزمنخسرى: { جمالة } جمع جمال.. وقرىء : «جمالات» بالضم : وهي قلوبُ الجسور . وقيل : قلوبُ سفنِ البحر، الواحدة جمالة وقرىء «جمالة» بالكسر .

*** ﴿ وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خِلَافًا أَمْرِ السَّمَاءِ بِنْتِهَا ﴾ (النازعات) (لاحظ أنه ليس البناء المعتاد كما نبى البيوت بالطريقة المادية المعلومة) .. بل إن كفيتها (غيبية مجهولة) وهكذا
*** ﴿ فَسَوَّلَهَا ﴾ .. (إضافة إلى القراءة بالإمالة للكلمتين) وأيضاً ﴿ أَمْرِ السَّمَاءِ بِنْتِهَا ﴾ ﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا ﴾ ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ ((راجع حديث الإمالة في القراءات ومن أجلها كتبتجميعها بغير ألف.. ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴾ ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا ﴾ ﴿ وَالنَّهَارَ إِذَا تَلَّهَا ﴾ ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا بَغَسَهَا ﴾ ﴿ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهَا ﴾

(٣) على أن المراد به الجنس وقيل : مجلسُ الرسولِ عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافساً في القرب منه عليه الصلاة والسلام جريماً على استماع كلامه وقيل : هو المجلسُ من مجالسِ القتالِ وهي مركزُ الغزاة كقولهِ تعالى: { مَقَاعِدُ لِلْقِتَالِ } قيل : كان الرجلُ يأتي الصفَّ ويقول : تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة

مشواكم... مَثْوَيْكُمْ

(١) ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَيْكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ (١٢٤)﴾ الانعام

(٢) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَيْكُمْ (١٩)﴾ محمد

(وواضح من هنا الفرق بين الكلمتين المتضادتين : المتقلب - الذى فيه الحركة - ،
والمثوى - الذى فيه السكون) فكتب الأول بالألف والثانى بدون ألف، وكفى بهذا
شارحاً للفرق والإعجاز.

(٣) ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأَتَهُ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ...﴾

وَرَوَدَتْهُ (حذف الألف لتشير إلى أن المرادة من طرف واحد فقط.. والطرف الثانى -
يوسف - لم تكن منه مرادة ، وإن كان من ناحيته وإيجابية من ناحيتها))

(٤) ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُتُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (مَثْوَايَ)
بالألف هنا فقط فى رد يوسف على امرأة العزيز ، رغم أنها كتبت بدون ألف فى قول
العزيز ، وهنا كأن الكاميرا تصور دواخل النفوس والإحساس عند كل من العزيز
ويوسف عليه السلام حال النطق بالكلمة والتوكيد عليها أو الصراخ بها (الذى يناسبه
وضع الألف) وكأنه يصرخ قائلاً - ما قال المفسرون -

{إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} .. أحسن مَثْوَايَ أي أحسن تعهدي حيث أمرت بكرامى
فكيف يمكن أن أسوء إليه بالخيانة فى حرمة وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز باللفظ
وجه ، ... ((وأرى - والله أعلم - أن "مَثْوَايَ" : هو حديث عميق من النفس وعن
النفس صادر من أعماق قلب مشحون بالإيمان ، و كأنه يصرخ ويعلى صوته ويطيل
نفسه بذكر وتقرير هذه الحقيقة ، مستنكراً لهذا الفعل . مثلها قول النبي محمد
ﷺ) مستنكراً ((قل) ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى... وقل سبحان ربى؛ وهى
"سبحان" الوحيدة التى كتبت بالألف)).

لاحظ: "هامدة" (فيها ملحظ الهمود المادى أو الجسدى فوضع فيها (الألف))، أما
خاشعة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ (ففيها الملحظ الروحى أو المعنوى
فحذف الألف).

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ القلم
 ((إذن خشية : راعى فيها مشهد الخضوع القلبي .. وهامدة :- ترى الأرض هامدة
 (سورة الحج) فيها المشهد المادى وهود الجسد.. وسياق الآيات فى كل سورة يستدعى
 هذين المشهدين ، فوضع (:خَشِيعَةً) مع قوله : ومن آياته الليل .. لا تسجدوا للشمس
 .. واسجدوا لله... فناسب جو التسبيح والسجود قوله: ترى الأرض (خشية) ، أما
 آيات سورة الحج فهو خطاب للكفار المكذبين والمنكرين للبعث والنشور (بأبها الناس إن
 كنتم فى ريب من البعث ... ثم يعدد أطوار الجنين والخلق من تراب والطفولة والانهوالة
 والضعف لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، فناسب خطاب الكافر فى هذا الجو : (ترى
 الأرض هامدة).

(انفروا ثبات) و (ثبات) بضم الثاء جمع ثبة بضم الثاء أيضاً وهي الجماعة ، والمعنى .
 عليكم - أيها المؤمنون - أن تكونوا دائماً على استعداد للقاء أعدائكم ، ولا تغفلوا
 عن كيدهم . فإذا ما حان الوقت لقتالهم فاخرجوا إليهم مسرعين جماعة فى إثر
 جماعة؛ (ولهذا الملحظ من التكرار فى المشهد كتبت "ثبات" بالألف) .. فإن قالكم
 لأعداكم أحياناً يتطلب خروجكم فرقة بعد فرقة - كما قال المفسرون.. -
 ** الذكران { الذكران } جمع ذكر مقابل الأنثى. وفيه المبالغة فى صفة الذكورة.

**الزَّرْعُونَ..(ءَأْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ حَسِبُوا أَنَّ الزَّرْعُونَ ﴿١٦٧﴾)، فالزارع على الحقيقة هو الله..
 مثال: أمولكم)).... زلزالها. (حركة وانقلاب).. زرابى .. وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ (ليس
 باختلاف الألوان والأشكال ولكن اختلاف بينه وبين النهار "فى تعاقبهما وصفاقهما"
 وملاحظة حذف الألف من الليل وإبقائه فى النهار ليصور حركة تآكل الليل بصور
 النهار ، وسكون الليل وحركة النهار زلزال الليل وضوء النهار).

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذُّوَابِ وَالْأَنْعَامِ ﴾ (الأنعام وصف عام ، أما الدواب فهو وصف
 خاص بما هو متعارف. وفيه مشهد الدب على الأرض - الحركة-) ﴿مُخْتَلَفٌ اللَّوْنُ﴾ (أى
 أجناسه وفصائله) ١٥.ك .. (٢٨) فاطر. ويقول الزمخشري: { أَلْوْنُهَا } أجناسها من الرمان
 والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها .
 { *غرايب } هنا تأكيد لمحذوف والأصل وسود غرايب أى شديدة السواد . وعن
 عكرمة رضى الله عنه : هي الجبال الطوال السود . (ولذلك وضع الألف (غرايب)

الرازي: وبدأ بالأشرف منها وهو الإنسان فقال: { وَمِنَ النَّاسِ } ثم ذكر الدواب ، لأن منافعها في حياتها (أي في حركتها للركوب والحراث والزرع وغيرها) والأنعام منعتها في الأكل منها (أي إدرار اللبن وأكل لحومها بعد ذبحها والاستفادة بأصوافها...) وهذا المعنى الذي ذكره الرازي يؤيد أيضاً وضع الألف في الدواب وحذفها في النعام. أو لأن الدابة في العرف تطلق على الفرس وهو بعد الإنسان أشرف من غيره.

(وبعد هذا التبيان أصبح واضحاً لماذا وضع الألف في الدواب ، وحذف من الأنعام). هكذا كل الأنعم والدواب والناس.

(فَأَصْرَبْتُ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخْشَى دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) طه. (للقراءتين - بالنصب والحزم)... بخلاف قوله: وإما تخافن (فهى قراءة واحدة للخوف)... ألا تخافوا... والسق تخافون.. وكيف أخاف .. تخافون .. لا تخافون .. فلا تخافوهم وخافون من يخافه .

أَدْرِكْ .. أَدَارِكُوا

(١) ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ القلم.. وفسرى

تداركته وتداركه (مشهد إدراك الرحمة له (بجازى ومعنوى وليس مادى) وكذلك الآية التالية ، والحديث عن تدارك العلم ، وهو معنوى وليس مادى)

(٢) ﴿بَلِ أَدْرَاكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ النمل.

وقرىء: «بل أدرك»، «بل أدراك»، «بل أدرك»، «بل تدارك»، «بل أدرك» بمزتين «بل أدرك»، «بل أدرك». بألف بينهما . «بل أدرك»، بالتخفيف والنقل «بل أدرك»، بفتح اللام وتشديد الدال . وأصله: بل أدرك؟ على الاستفهام «بلى أدرك»، «بلى أدرك»، «أم تدارك»، «أم أدرك» فهذه ثنتا عشرة قراءة .

(٣) الأعراف ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَاكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِنُهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا

فَقَاتِلْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف . أي

تداركوا وتلاحقوا في النار - أى تدارك الأجسام والذوات للأشخاص - فهو تدارك مادى بخلاف الآيتين السابقتين - مع ملاحظة مشهد المجادلة العنيفة والقاسية و { عَذَابًا ضِعْفًا } مضاعفاً و { لِكُلِّ ضِعْفٌ } .. وعلو النبرة.. ولذلك لا يذكر هذه الآية قراءة أخرى.. بخلاف الآيات السابقة التى تتحدث عن مشاهد أهدأ وأخف وطأة وأقل شأنًا ومجادلة في الدنيا ومن تدارك مجازى ومعنوى)

أدعوا

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ﴾ (١٠٨) يوسف
 ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَابِ الرَّعْدِ
 ﴾ وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي (٤٨) مريم
 ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٠) الجن
 كل (أدعوا) بالألف لتشير إلى التأيين وطول النفس والتركيز في الدعوة.

قِيَامًا.....قِيَامًا

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران.. الطاهر: وأراد بقوله : { قِيَامًا وقعودًا وعلى جنوبهم } عموم الأحوال كقولهم : ضربه الظهر والبطن ، (فهو لا يقصد الظهر المادى بفقراته وعظامه ولكنه تعبير للعموم ، وهكذا لا يقصد القيام المعلوم لدينا أو القعود ولكنه تعبير مجازى يدل به على جميع الأحوال ، والمجاز فيه واضح) وقولهم : اشتهر كذا عند أهل الشرق والغرب - وبالطبع هو لا يقصد الكرة الأرضية - ولكنه المجاز -، على أن هذه الأحوال هي متعارف أحوال البشر في السلامة ، أي أحوال الشغل والراحة وقصد النوم . وقيل : أراد أحوال المصلين : من قادر ، وعاجز ، وشديد العجز . وسياق الآية بعيد عن هذا المعنى . (إذن الكلمة "قِيَامًا" على المجاز) ونلاحظ : دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً.. تصور حالة الوقوف (القيام) بالفعل .

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ (٥) النساء.. يقول الزمخشري: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ أي تقومون بها وتتعشون ، ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم . وقرئ: «قياما» ، بمعنى قياماً ، كما جاء عوداً بمعنى عياداً . وقرأ عبد الله بن عمر : «قواماً» ، بالواو . وقوام الشيء : ما يقام به ، كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به ويقول أبو السعود: وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ (قِيَامًا) بمعنى قياماً .. وقرئ قواماً بكسر القاف .. وقرئ بفتحها.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ .. ﴾ (١٠٣) { قِيَامًا } مسايفين ومقارعين { وَقُعُودًا } جاثين على الركب مرامين { وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ } متخنين بالجراح.. (وهنا واضح فيه المجاز).

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتِيَّ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ (المائدة { قِيَامًا لِلنَّاسِ } انتعاشاً لهم

في أمر دينهم ودنياهم ، وفهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم ، لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارهم ، وأنواع منافعهم (وليس بمعنى وقوفاً على أقدامهم). وعن عطاء ابن أبي رباح : لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا (أى في مصالحهم) ابوالسعود: وقرىء (قِيَمًا) (إذن الأمر على المجاز ، إضافة إلى القراءة الأخرى "قيماً") فاسأل ؟.. فسئل .. (رغم كتابتها جميعاً في المصحف لدينا على الصورة الثانية) غير أنها في بعض المصاحف كتبت بالألف قى آية يونس ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ ﴾ (٩٤) .. لأن الحديث للنبي محمد (ﷺ) وهو في أخطر أمر (إن كنت في شك مما أنزلنا عليك فاسأل)، وهو يحتاج الى الحسم والقطع وإظهار الشدة وعلو النبرة .. بخلاف الآيات الأخرى مثل:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْمُوسَى مَسْحُورًا ﴾ (الإسراء وهكذا جميع الآيات على هذا الرسم

﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (وكتبت (أثناً) بدون

ألف (لأنه هو المفروش تحت الجالسين أو الواقفين) ويقول ابوالسعود: { أَثْنَا } أي

متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع) ومنه شعرٌ أثيثٌ { ومتاعاً } أي شيئاً يُتمتع به

بفنون التمتع... ويعطينا الألوسى ملحظاً آخر وهو: { أَثْنَا } أي متاع البيت كالفرش

وغيرها كما قال المفصل ، قال الفراء : لا واحد له من لفظه كما أن المتاع كذلك

(وهذا ملحظ هام جداً جداً نلاحظه في الأمثلة الشبيهة)

﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ حَسُنَ الزَّرْعُونَ ﴾ (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ

﴿ الواقعة... ﴾ (أَفْرَاءَ يَثْمُ الْمَاءِ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ (أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ حَسُنَ

الْمُنزِلُونَ ﴾ (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (الواقعة. هنا قام الرسم

القرآني بتصوير المشهد تصويراً دقيقاً بحذف الحرف وإضافته ؛ فمشهد التحطيم والنقصان

(حُطَبًا) أنقص منه الألف ، ومشهد الزيادة في الماء ليصير أجاجاً (بزيادة الملح أو المواد

الضارة عليه يناسبه زيادة الألف أيضاً) (وراجع بحثنا ويل للمطففين).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ .. لاحظ جو التباطؤ في نطق حروف الآية جميعها -

وليس الكلمة فقط -- بل إنه ليكفى أن ينطق اللسان بكلمة (أمنة) وعليها الفتحات المتوالية على كل حرف فيها مما يعطى هذا الجو بالمط والتباطؤ والتثاقل الذى يناسب التثاقل في جو (النعاس)، إضافة إلى جو كلمة (يعشيكم) الذى يعطى نفس الظل الذى أعطته كلمة الخيام والأرحام من التظليل على ما فى داخله. ولذلك استحقت الكلمات وضع الألف.

** وظلمت تفكهون (ندم .. معنوى) ، ظلمت عليه عاكفا.. (وفيه مشهد السرعة أيضاً) بخلاف قوله "فيظللن رواكده" - أى السفن - (فهو مشهد حسى وثقيل وبطىء يدل عليه مابعده - رواكده-) ، ولذلك قال بعدها : إن فى ذلك لآية لكل (صبار) شكور.

** ﴿وَأَنْ تَوَدُّوا الْأَمْنَةَ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ و ﴿وَتَحَوَّنُوا أَمْنَتِيكُمْ﴾ (١٧) لأنها قرئت على الأفراد أيضاً.

** مع استرجاع كلمات ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْخَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ (١٨) النحل. وهى السرابيل (الديبوية) التى نعلمها على هيئتها اللينة والخفيفة، بخلاف قوله تعالى (سرابيلهم من قطران) وهى كما نعلمها فى جهنم ويوقد فيها النار، فهنا المشهد واضح بثقله وشدته ولا يحتاج إلى تعليق بعد أن قام رسم الكلمة بالتفرقة بين الحالين والوصفين.

** (الأسباط) و(أسباط).. بمعنى المجموعات المنفصلة عن بعضها.

** (سراعا) ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا﴾ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤).. ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ﴾ (٤٣) فى الكلمة ظهور من خفاء، وفيها صورة الفعل والحركة (حالاً من مرفوع يخرجون أى مسرعين

** (يتلوا) عليهم . جميعها بالألف (ومعلوم أن التلاوة حديث مسموع ومقروء ومكرر

** أنكاراً (فى وصف النساء وهو وصف مادى) ، بخلاف قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (٢١) فهو وصف زمنى.

** (ومثل المسارعة بدون ألف والعجلة المذمومة بالألف)

** نلاحظ أيضاً: الشمال والشمال. (بالألف) ﴿ثُمَّ لَا يَمْنَهُمُ مَن بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ (١٧) الأعراف. ((وهذا من بدائع الرسم ولطائف

الإشارات من جعل الأيمان لليمن والبركة - وحذف الألف للمعنى الملكوتى
التشريفى - (جهة اليمين) وعكس ذلك (جهة الشمال)).



** (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْزَلْتَا) :- هو يتلکأ فى النطق بها كالذى يريد من السامع له أن
يلتفت إليها ويسأل عنها.. إذن هو يطيل الوقوف على كلمة عصاى ويركز عليها ليتلذذ
بطول الحديث مع ربه وكأنه لا يريد أن يمر زمن النطق بها سريعاً .. وقيل أنه كان خائفاً
من أن يقال له ألقها - كما قال له "إخلع نعليك" - فأراد أن يثقل النطق بها ليبرأ أهميتها
الكبرى بالنسبة له خوفاً من أن يقال له ألقها هى أيضاً.



** (جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا) (لاحظ عملية القلب لقلب الأحوال التى صارت عليها
فالذى بالعلو (أى: بالألف) كتب بدون ألف.. والأسفل (كتب بالألف)، وهذه إشارة
بديعة من الوحي المعجز يعرفها علماء اللغة والبيان (التعكيس فى اللفظ إذا أمن اللبس
للمحظ بلاغى عظيم ، ونذكر مثلاً طريفاً يقرب المعنى كما يقول الشاعر واصفاً حاله:
أودى الشباب فما له متفقر وفقدت أترابى فإين المغبر
ورأين شيخاً قد تحنى صلبه يمشى فيقى أو يكب فيعثر

فهو يصف الحال التى وصل إليها وهو فى حال الشيخوخة الآن بعد أن كان هو الفتى
الذى تنهات عليه الأتراب عشقاً فيه ، ولكن الحال قد انقلب به رأساً على عقب فعبر
عن ذلك بقوله عن نفسه (يمشى فيقى - أى ينكفىء)، وهذا ترتيب صحيح ولكن
الوصف القادم ترتيبه غير صحيح ومقلوب) وهو (أو يكب فيعثر) والصواب فيه أن (يعثر
فيكب) على وجهه ، ولكن الشاعر أخذ بهذا التنظيم المقلوب ليدل على قلب الأحوال
عنده أيضاً فى الواقع كما هى مقلوبة فى شعره ، وترك الأمر يلاحظه اللبيب من سياق
كلامه .. وهكذا رسم الكلمة هنا. **عَلَيْهَا سَافِلَهَا**.. فالعالي الذى يستحق إظهار الألف فى
رسم الكلمة أصبح سافل ، والعكس بالعكس. وقام رسم الكلمة بالتعبير عن ذلك خير
تعبير. وربما يكون السبب هو فى خسف إعلاها (فهو الذى نال هول الكارثة) فحذف منه
الألف لمشهد التسفل والتحطيم ، أما سافلها فهو لم يحدث له رفعة - على الواقع - بل
إنه على حالته من التسفل (ثابت) كما هو.. والذى يتأمل فى هذا الموقف البلاغى يفهم
لماذا رسمت باقى الكلمات التى تشير إلى العلو والارتفاع بالألف مثال قوله (فى جنة عالية)
ولم ترسم هنا ، لأن فى مشهد الجنة العلو فيها حقيقى فى المشهد والثبوت.

** كَفَاتَانِ (أى متحركة بما في داخلها). (وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾)

المرسلات. (لاحظ أن الشموخ لا يكون إلا للعقلاء، فهو هنا مجاز . مع ملاحظة الجواز الآخر: وهو ما توصل إليه العلم من أن الجبال ترسوا - كالسفن - ولكنها على كتل منصهرة ومذابة (كالسائل) في باطن الأرض على الطبقات التي تحت القشرة الأرضية .. ولعل هذا الرسم بهذا الغموض يشير إلى هذا الرمز، والله أعلم.



** (أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ ﴿١٨﴾) البقرة. { فِيهِ ظُلُمَاتٌ } . ((والظلمة فيها الخفاء والنور فيه الظهور)). . والظلمات جميعها بدون ألف ، وذلك لأن الظلام لون واحد لا يختلف في شدته (فالجمع مشابه للمفرد).. و يفسر بالكفر (مجاز أيضاً)..

** الإصباح .. يلاحظ فيه عملية الحركة بالظهور وليس المقصود هو مسمى الصبح نفسه. ** { حُسْبَانًا } أي حساباً ، يقال : خذ كل شيء بحُسْبَانه أي : بحسابه . وقال الكلبي : ويقال للشئ المعلق : حَسْبَانًا .

((وأرى - كما رأى محققى البلاغة من قبل فى أبحاثهم - وكما قال الإمام البقاعى : أن الحسبان هو الحساب المضبوط الدقيق ، { بحسبان * } أى جريهما ، يجري كل منهما - مع اشتراكهما فى أنهما كوكبان سماويان - بحساب عظيم جداً لا تكاد توصف جلالته فى دقته وكثرة سعته وعظم ما يتفرع عليه من المنافع الدينية والديونية ، .

. وهكذا الحال بالنسبة لقوله تعالى (ويرسل عليها حسباناً من السماء: أى شيئاً مدمراً محسوباً حساباً فى غاية الدقة لاخلل فيه بحيث لايتجاوز الإهلاك هذه الجنة شيراً واحداً إلى غيرها من الجنان المجاورة ولا يبقى منها شيراً واحداً غير مدمر.. ويلاحظ علماء البيان أن زيادة الألف والنون فى الكلمة (حسبان) يشعر بالمبالغة فى الفعل، ففى الصفات نجد ذلك واضحاً مثل : نومان ، شبعان ، الطيران فيه مبالغة أكثر من الطير... مع ملاحظة أنه بالألف لأنه يتحدث عن الحساب وهو العد (فى الحالتين) والعد هو تكرار الفعل)



** والإشراق.. بالألف لعملية الظهور بالضوء وليس الوقت نفسه ، وأيضاً لشدة ظهور الضوء فيها (الزخمشرى: أى : تضيء ويصفوا شعاعها وهو وقت الضحى ، وأما شروقها فطلوعها ، يقال : شرقت الشمس ، ولما تشرق) ، وقال الثعلبى : وليس الإشراقُ طُلُوعُ الشَّمْسِ ، وإنما هو صفاؤها وضوءها ، انتهى

****الصَّفِينَةُ الْجَيَادُ** أبو السعود: والصَّافِنُ من الخيلِ : الذي يقومُ على طَرْفِ سُنْبِكِ يدٍ أو رجلٍ ، وهو من الصَّفَاتِ المحمودَةِ في الخيلِ (معنوى أو ملكوتى) لا يكادُ يَتَفَقُّ إلا في العَرَابِ الخُلصِ ، { الجياد } جمعُ جوادٍ وجودٌ وهو الذي يُسرِعُ في جريه وقيل : الذي يجودُ عند الرِّكْضِ ، ((إذن التعبير يصفُ حالة الوقوف على رجلٍ واحدة لا يتحرك - فكتب بدون الألف -، إضافة إلى المعنى المعنوى والتشريفى.. ثم وصف حالة الحركة والسرعة والرشاقة في الحركة - فوضع الألف - إضافة إلى إن (الصافات جمع مؤنث سالم يحذف ألفه للتخفيف) وقيل : وُصِفَتْ بالصُّفُونِ والجُودَةِ لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفةً وجاريةً أي إذا وقفت كانت ساكنةً مطمئنةً في مواقفها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها ... وفي الحديث «من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار» أي يدعون له القيام (والدوام يناسبه حذف الألف)

****حتى توارت** (نصف عمق الحركة وبعدها - وليس عملية الإخفاء هي المقصودة هنا -) .. ****والأعناق** (واضع الارتفاع والظهور) .. الوهاب (صفة إيجابية فيها الإعطاء) ... صالوا (صفة الفعل) ... أصنام ..

**** (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَبَعَرَةٌ)** (مشهد الالتصاق) .. **(وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَبٍ وَرَزَعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ)** الرعد

ملحوظة: قال مجاهد وقتادة : الصنوان (بالألف) النخلة التي في أصلها نخلتان ، وثلاث أصلهن واحدة . وقال الضحاك : يعني : النخل المتفرق والمجتمع ويقال { صنوان } النخلة التي يجنبها نخلات وغير صنوان يعني : المنفردة .

**** (وَقَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلَهُمُ الْمَثَلَاتُ)** يعني : العقوبات ، والنقمة قبل قريش فسيمن هلك ، وأصل المثلة : الشبه ، وما يعتبر به ، وجمعه المثلات (إذن هو معنوى)

**** (وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِالْحَسَنِ وَالسَّبِقُونَ)** (السَّبِقُونَ : السبق هنا سبق معنوى وليس سباق مادي .. إضافة إلى صيغة الجمع المذكور السالم)

الْمُهَاجِرِينَ . بدون ألف لتفرقتها من (الْأَنْصَارِ) التي فيها معنى النصرة لغيرهم (مسورة الفعل المتعدى نفعه لغيرهم) .. بِالْحَسَنِ (دائماً الإحسان) بدون ألف ..

على صلواتهم يحافظون (عمل إيجابي). (الفعل). أى بالعمل المتكرر لها-- فعل متجدد-) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (عمل سلبى). (الامتناع عن الفعل). أى بالمنع من تدنيسه أو الاقتراب منه فقط.. وهو إسم - يفيد الثبات - وليس فعل مثل: يحافظون يفيد التجدد) ومثله: للزكاة "فعلون" (.. الألوسى): ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ يقول الظاهر: أن المراد بالزكاة المعنى المصدرى - أعني التزكية -- لأنه الذي يتعلق به فعلهم (أى الزكاة للتزكية)، .. ، وهذا أحد الوجوه للعدول عن قوله (والذين يزكون) إلى ما في «النظم الكريم». (وكانه يقول أنه لا يطلب تأدية الزكاة بالمقدار والصورة المعلومة لدينا) ولكنه يريد المصاحبة القلبية لهذا الفعل (والتزكية الروحية)) فما أروع هذه الإشارة العظيمة في رسم الكلمة مع الأداء القرآنى في قمة البلاغة.

ونكرر: أن معنى ذلك أنه يرجح معنى (فاعلون) لطهارة القلب ، وهو غير المعنى الظاهر من تأدية الزكاة .. وأيضاً ربما لأنه يريد المعنيين معاً .. ولذلك كتبت بدون ألف. (وراجع الليل إذا يسر)

وراجع الشرح عند قوله (قل إصلاح لهم خير))

﴿قَالُوا أَضْعَفَتْ أَعْيُنُنَا وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ (رؤى في الخيال - ليسوا في الواقع - فتكتب على خلاف الواقع - (الألوسى): وإنما قالوا { أضغاث أحلام } بالجمع مع أن الرؤيا ما كانت إلا واحدة للمبالغة في وصف ذلك بالبطلان ، وهذا كما يقال : فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخزل لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة .. ، ثم لا يخفى حسن موقع الأضغاث مع السنابل ، فيالله در شأن التنزيل ما أبدع رياض بلاغته .)

**وصاقت (فيها ملحظ الإحاطة بهم والتضييق عليهم).. بطارد (صورة وحركة الفعل).
... نغادر.. لا يغادر

**﴿ فِي الْعُرُقِ آمِيُونَ﴾ سبأ. الرنخشرى: وقرىء: { فِي الْغُرَفَاتِ } بضم الراء وفتحها (وسكوها) - أى : الغرفة . وفي الغرفة..

**﴿لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ﴾ أبو السعود: ومعناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرأ فما فوقها وقرىء جزاء الضَّعْفُ أي فأولئك لهم الضَّعْفُ جزاءً وجزاء الضَّعْفُ ، على أن

يجازوا الضَّعْفَ وجزاء الضَّعْفُ بالرفع على أَنَّ الضَّعْفُ بدلٌ من جزاء. (ولذلك لم تكتب بالواو (جزاء الضعف). لاحتمال هذه القراءة الثانية.

** (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...) الزمخشري: والمراد بذكر الغداة والعشي : الدوام .. وقرىء : «بالغدوة والعشي».

الطَّلُق (حذف الألف يعطى ملمح التخفيف لصورة وحِدَّة الحكم على الطرفين ، والتضييق في وقوع هذا الفعل الذى وصفه ربنا بمرتين فقط.. بل إن الله تعالى يهون من شأنه على نفسية المرأة والرجل في قوله "وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته" فوعدهما بالغنى والسعة بعده).. بخلاف رسم كلمة "الفراق" بالألف في قوله (وظن أنه الفراق) فهو يريد مشهد هذا التهويل في البعد والتباعد يوم القيامة.

** فإمساك (كأنه يشدد ويظيل في النطق الصوتى على ضرورة وألوية الإمساك ، وكان الكاتب وهو يكتب يستشعر هذا المعنى وينطق بها بنبرة شديدة.. إضافة إلى صورة الأمر في الفعل كأنه يقول له ويكرر القول: أمسك بمعروف . أمسك بمعروف. وهذا يستدعى علو النبرة مع مشهد التكرار وكلاهما يستدعى وضع الألف)..

** بِإِحْسَانٍ (دائماً الإحسان الذى هو أعلى الدرجات يكتب بدون الألف، ولعل حديث النبى (ﷺ). يفسر ذلك القرب في قوله (أن تعبد الله كأنك تراه .. وهو بلا شك عمل قلبى ومراقبة قلبية لله وقرب شديد له).

** ضَرَاراً (فيها صورة الفعل والقيام بالإضرار كأنه يقول لاتضروهن مع مشهد التكرار)
** إنكم عائدون (إسم فاعل يفيد التكرار)...

** الطَّامَةِ { الطَّامَةِ } الداهية التي تطم على الدواهي ، أي : تعلو وتغلب... تظْهَرُونَ (قرئت : تظْهَرُونَ). يظْهَرُوا.....مراءً ظْهَرًا (غير متعمق فيه).. ، قرى
** ظْهَرَةٌ (غير بعيدة وملتصقة ببعضها) .. ظْهَرِينَ....



﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾

يعني : ثلاث ساعات وقت غرة ، أي : عورة وغفلة ، وهن أوقات التجرد وظهور العورة . ((وأقول: والله ما أروع وما أجهل وما أبهر هذا التعبير الخطير الذى يصور أوقات الخلوة بين الرجل وامرأته- التي هي في الخفاء والستر الذى نعلمه ولا يحق لنا

الاطلاع عليه - وأن يسميه النص القرآني (ثلاث عورات)، وكلنا يعلم أن العورة هي المكان الذي يجب ستره وإخفاؤه .. ويزيد هذا الإجمار إجماراً في رسم الكلمة وهو يقوم بإخفاء الألف .. فأى إعجاز هذا وأى إجمار هذا لقوم يعقلون (!!!؟)



* (طَوْفُونَ) عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ { طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ } يعني : يتقلبون (فيكم) ليلاً ونهاراً (يدخلون) عليكم بغير استئذان في الخدمة { بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ } أي يدخل بعضهم على بعض بغير إذن.. (أي أنه لا يقصد الطواف المعلوم الذي هو طواف (حول الشيء) ولكنه هنا يقصد - كما يقول المفسرون - الدخول فيهم وفي وسطهم، ولذلك يقول أبو السعود: وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة. ولهذا كله حذف الألف... بخلاف رسم الكلمة في قوله : يطاف ، للطائفين... طائفة.. طائفتان (فهى لمحة وإشارة من الرسم المعجز للتفرقة بين الطوافين (طواف الأولاد على آبائهم ، وطواف العبادة بصورته المعلومة). وملاحظة كلمة "العكفين".

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا ﴾ - ويقول الطاهر: ومعاش جمع معيشه ، وهي ما يعيش به الحي من الطعام والشراب ، مشتقة من العيش وهو الحياة ، وأصل المعيشة اسم مصدر عاش قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ﴾ [طه : ١٢٤] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ سمي به الشيء الذي يحصل به العيش .. (يقصد أن هذه النعم ليست هي المعيشة التي بمعنى الحياة - كما يقول ظاهر اللفظ - ولكنها سبب ووسيلة للمعيشة - التي هي الحياة - وبذلك أصبح ظاهر الكلمة يختلف عن معناها الحقيقي فرسخت على خلاف الأصل .. وهذا ما قال عنه الطاهر (على طريقة المجاز) .. ولكن ليس فيه ملحظ الحركة والقيام من الركود والنوم الذي صورته الآية السابقة (وجعلنا النهار معاشاً) بعد قوله (النوم لباساً).

*** ﴿ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (المالكين).

*** ﴿ لَوْ يَحْجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا ﴾ - (لاحظ وتأمل حذف الألفين لصورة المغارات وخفائها ومسارها، من غَار الشيء إذا دخل في الأرض ، بل إننا نجد الزمخشري يشير إلى معنى السرعة في الكلمة وهو قوله: ويجوز أن يكون من : أغار الثعلب ، إذا أسرع ، بمعنى مهارب ومفار)

****عابري سبيل** (صورة الفعل)... العادين. (يقومون بالعد والتكرار في الفعل).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...﴾ (لاحظ وتأمل صورة الغفلة

والغافل بالمفرد ثم تأمل قوله: غفلاً، وقارنها برسم كلمة: لا غالب لكم). أما صيغة الجمع المؤنث فيحذف منهما الألف . غفلين .. غفلت غلبون....

****علاط**. (تصوير لحالة الغلظة حتى في جرس الكلمة فكان لا يمكن حذف الألف في هذا المشهد المفخم كل ما فيه).. وغواص (صورة الفعل والعمق).

﴿وَتَنجِحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾. ﴿وَقُرَى فَرِهِينَ وَهُوَ أَبْلَغُ.

﴿لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ﴾. (فالذي فات قد انقطع وصله

فوضع الألف .. أما ما أصابنا فما زال جرحه - مستمر أثره - وأثره وهي مستشف من كلمة الإصابة). ****ومثله : فاتكم شيء...**

**** أفواجا.. فلما أفاق.. الألوأح ..**

****﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلِمِ﴾**، (المنشآت) يقول أبو السعود:

المرفوعات الشُّرْع ، أو المصنوعات ، وقُرَى بكسر الشين . أي الرافعات الشُّرْع ، أو

اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن.. ويقول الثعالبي: وقرأ حمزة وأبو بكر : «المنشآت»

بكسر الشين ، أي : اللواتي أنشأن جريهن ، أي : ابتدأنه (هي)، وقرأ الباقون بفتح

الشين ، أي : أنشأها الله أو الناس .. الألوأح : أو اللاتي ينشئن السير إقبالا وإدبار

(... (فعلى هذا الشرح نجد أنها تعطى المعنيين : التي تُرفع ، والتي تُرفع : أي المرفوعة)

ولأجل هذين المعنيين وضعت الهمزة على هذه الصورة لتناسب هذه القراءات وهذه

(المعاني)

****كألأعلم** يقول الثعالبي: { كالأعلام } أي كالجبال على الإطلاق لا التي عاينها النار

للاهداء خاصة . (((إذن هي ليست بمعنى الأعلام المعلومة لدينا.. ولذلك خولف في

رسم الكلمة ونقص منها الألف)

****** ويقول الإمام الزركشي: وكذلك لتخذت عليه أجرا حذف الألف ووصلت لأن

العمل في الجدار قد حصل في الوجود فلزم عليه الأجر واتصل به حكما، بخلاف

لا تخذرك خليلا ليس فيه وصلة اللزوم .

**** (أَفَانُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) . (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا حَسْرِينَ ﴿٢٥﴾)** آل عمران (كل هذه الصور على الجواز حيث أن المقصود منها ليس العقب الذي هو مؤخرة القدم)

العاكف .. الْعَكِيفُ

الجمع المذكر السالم كما تعودنا يكون دائماً بدون ألف (العكفون والعكفين) - إلا ما استثنى لحكمة بليغة- ولكن المفرد يختلف : فإذا كان العكوف على صنم (أى مادی) فتكتب بالألف .. وإن كان العكوف لله أو فى المساجد فهو ملكوتى يكتب بدون ألف:

(١) **(وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ (٢٥))**

الحج. ولاحظ (الباد) الغير مقيم - أى المتحرك والمسافر- كتب بالألف ، ولكنه لا يقصد تصوير فعل الحركة وهو فى داخل المسجد وفى أثناء الاعتكاف ولكنه يقصد أنه ليس من أهل البلدة (مكة) ولذلك قام الرسم بحذف الياء من (البادى) لإعطاء هذه الإشارة - كما قلنا ذلك فى قوله (والليل إذا يسر) ولم تكتب (يسرى) لهذا المعنى المجازى وغيره..

(٢) **(وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٣٧﴾)** طه.

هنا العكوف على صنم مادی ، وليس عكوفاً معنوياً لله.... وربما يقال رأى آخره هو: أن آية سورة طه جاءت على لفظ إسم الفاعل وفيه صفة الفعل بدليل قوله قبلها { ظَلْتَ } - فوضع الألف - بخلاف آية سورة الحج فهو على الإسم أو الصفة.

**** (وَالْحَرُمَاتُ قِصَاصٌ) (وَالْحَرُمَاتُ: أى المصانة والمكونة مثلها مثل "ثلاث غورت")**

وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ

(إِنَّمَا أَحْمَرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ) {والانصاب} وهى الأصنام المنصوبة للعبادة ، وفرق بعضهم بين الأنصاب والأصنام بأن الأنصاب حجارة لم تصور كأنوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها ، والأصنام ما صور وعبد من دون الله عز وجل {والأزلم} وهى القداح. التى تدور .. (لاحظ الثبات والاتصاف والمادية هناك (الأنصاب) والدوران وعدم الثبات فى **الْأَزْلَمُ). ولعل هذا يقرب لنا كتابة "شعائر" بالألف - مع الصفا والمروة (جبلين ثابتين) - ، وبغير الألف مع الهدى المتغير وباقى الشعائر القلبية**

****مهانا** (وضع الألف يشير إلى التركيز على الصفة كما زاد الهاء في قوله تعالى قبلها **﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾**.. وهذا من أشد التناسب مع تعديد أكبر الجرائم وهي **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)﴾**

****﴿شَقَا جُرْفِي هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾** **﴿وَجَعَلَ فِيهَا زَوْجِي وَآهَرًا﴾** . وهنا نلاحظ ملاحظة هامة في التفرقة بين الإسم "وَأَهَرًا" جمع هُر ، وبين إتهار" بصيغة الفعل أى: وقع - فوضع فيها الألف لصورة الفعل ولم يضعها في صورة الإسم -)).

****﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾** ((ليست بجاهلية عدم القراءة والكتابة ولكنها جاهلية المعصية وتحكيم غير الله وربما يكون فاعل ذلك أعلم العلماء في العلم الدنيوى والقراءة والكتابة)) **** (التقى الجمعان)** . (مثنى وواضح فيه التفرقة).

****﴿زَيْنُ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾** ((لعلنا نشاهد هذا الحذف في الأمور التي يحدث بها تلذذ لصاحبها دون النظر إلى التعدى على الطرف الآخر ، ولعل ذلك يشابه (الفوحش) ، (الفحشة) - بدون ألف - بخلاف "السيئات" بالألف - ولعل الفاحشة فيها تلذذ ولا يتعدى أثرها على الغير بخلاف السيئات التي تسمى إلى الآخرين

****يوادون** (فيها المبالغة في المودة ويظهر ذلك في مد الصوت بالكلمة وبزيادة الألف)... ****﴿وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** (ليس بالميراث على الحقيقة بالصورة المعلومة لدينا ولكنه يقصد الملك الدائم لله) مثل قوله: وكنا نحن (الله) الورثين (جمع مذكر سالم ، وصيغة المحاز وليس بالميراث على الحقيقة)..

**** بخلاف قوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾** يقول أبو السعود: أي الميراث وأصله وراث **﴿أَكَلًا لَمَّا﴾** أي ذم أي جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالين بذلك. ((إذن لا بد من إظهار الألف لسبيين : أولهما: أنه ميراث مادي وعلى الحقيقة ، والثاني : أن أصل الكلمة "وراث" فيها الألف أيضاً .. وقد رأينا من قبل أن الرسم القرآني يراعى أصل الكلمة)).

****﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَنَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾** **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾** (n) ويقول الإمام الطاهر: وتقدم { ربي } على

فعل { أكرمني } وفعل { أهانني } ، دون أن يقول : أكرمني ربي أو أهانني ربي ، لقصد تقوي الحكم ، أي أنه يقول ذلك جازماً به غير متردد ((وهنا أقف لأقول : لعل هذا القول من الإمام الطاهر --(أي يقول ذلك جازماً به غير متردد)-- هو السبب الآخر في حذف حرف الياء التي تمط الكلمة - حين النطق بها- ولا تعطىها صفة وجرس الجزم - والله أعلم - وأيضاً للإستغناء بياء الضمير التي في (ربي): ربي أكرمن..ربي أهانن.. وهذا كما قلنا نوع بلاغى عظيم يسمونه باب الحذف ويسمونه شجاعة العربية)).

**﴿لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَرِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَنْوِيلُنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ﴾ (هنا يقصد إخفاء الشيء ، مما يناسبه إخفاء الألف) بخلاف قوله: حتى توارت بالحجاب- أى الخيل- (فهو يقصد جريها وبعدها - أى عمق وبعد حركتها- فكان إضافة الألف)).

**﴿إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ (وصية من جانب واحد.. كما قلنا في "رودته" بدون ألف)...، ولكن (تواصوا).. (أتواصو)...(فيه مشاركة من الجانبين فوضع الألف).

مواضعة... مواطن... **أتعداننى (إنه يتعجب أو يتهمك - إستفهام إنكارى- ويريد أن يطيل في كلامه ، ولذلك نجد النونين في الكلمة "أتعداننى")...

**﴿وَوَاعَدْتَكُمْ﴾ (صيغة خبرية مع وجود القراءتين: وعدنا ، واعدنا)... لانواعدهن (هنا صيغة الأمر والنهى يستدعى وجود الألف).. تواعدتم (مفاعلة من طرفين وليس لها قراءة أخرى)..

أنعماً وأناسى (مبالغة وتخصيص لصفة الإنسان ولوجود "ماء طهوراً")... النفس... (جمع مؤنث ، وإضافة لذلك معنى السحر والخفاء فيه)
**الأنفال (مادية).. نافلة (أى زائدة).. النافور (المخروج للصوت).. انتقام (لاحدل جرس الكلمة وصيغة "إفتعال")

مناكبها أى فاسلكوا في جوانبها أو جبالها.
﴿غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَبَاتِ﴾ (فيها صورة الهدم بعد الإلتقان في الصنع) ..

**نكاحاً... النكاح (إنشاء علاقة زواج فيها العن والإشهار) ..
أنكالا (نوع عذاب { إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا } جمع نكل وهو القيْدُ الثقيلُ .)

نكالا . نكالا .

(١) * (جَعَلْنَهَا نِكْلاَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ البقرة . اي عبرة لمن بعدهم . ((والنكال هنا في الدنيا فقط وملحظ العبرة منه وليس تصوير الفعل - النكال والتعذيب -))

(٢) * (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نِكْالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٣٢﴾ ...) النازعات . (نكال في الدنيا والآخرة) . ومحلهُ النصبُ على أنه مصدرٌ مؤكّدٌ . (هنا الحديث عن الفعل من الله بهم . (فأخذه) . وليس عن التذكار بعد الفعل (فجعله) ، أو أخذ العبرة منه - كما في الآية السابقة : (فجعلناها نكالا) . كأنه قيل : نكل الله به نكالا الآخرة والأولى (هكذا صيغة الفعل) والنكال بمعنى التنكيل ، كالسلام بمعنى التسليم . يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة

ويقول الطاهر: وحقيقة (الأخذ) : التناول باليد ، ويستعار كثيراً للمقدرة والغلبة كما قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أَخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا ﴾ القمر : ٤٢ وقال : ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذًا رَّابِعًا ﴾ الحاقة : ١٠ . والمعنى : فلم يُفَلت من عقاب الله . ((إذن المشاهد هنا لاستعراض وتوكيد القوة))... ويكمل الطاهر: وإضافة { نكال } إلى { الآخرة والأولى } على معنى (ي) فالنكال في الأولى هو الغرق ، والنكال في الآخرة هو عذاب جهنم . وقد استعمل النكال في حقيقته وبجازه لأن ما حصل لفرعون في الدنيا هو نكال حقيقي وما يصيبه في الآخرة أطلق عليه النكال لأنه يشبه النكال في شدة التعذيب ولا يحصل به نكال يوم القيامة .

من أجل هذه المعاني وضع الألف (نكال)

(٣) * (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نِكْلاَ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ . ((النكال في الدنيا فقط)) . هنا الحديث عن النكال - أيضاً - للعبرة والتذكار بعد الفعل وليس الحديث عن تصوير الفعل والحدث - كما في النازعات التي كتبت وحدها بالألف لذلك - .

الألوسی : .. والجزاء إشارة إلى أن فيه حق العبد (قطع اليد) ، والنكال إشارة إلى أن فيه حق الله تعالى ، ولا يخفى ما فيه فتأمل ، ((ولعل النكال بعد هذا العرض يشير إلى عذاب الآخرة ، أو التعبير (المعنوي والنفسى) في الدنيا.. وعلى كلا المعنيين يكود السبب

في حذف الألف واضحاً) ****: ومن الغريب أنه نقل عن أبي رضي الله تعالى عنه أنه قرأ **والسرق والسرق** و**السرقة** بترك الألف وتشديد الراء ، فقال ابن عطية : إن هذه القراءة تصحيف لأن السارق والسرقة قد كتبا في المصحف بدون الألف ، وقيل : في توجيهها أنهما جمع سارق وسارقة ، لكن قيل : إنه لم ينقل هذا الجمع في جمع المؤنث؛ فلو قيل : إنهما صيغة مبالغة لكان أقرب .

**** الواقعة ...** ﴿ . ٥ ﴾ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٥﴾** (فهي ليست بمواقع على الحقيقة فهي في دوران مستمر وحركة دائبة) ولذلك قال المفسرون { بمواقع النجوم } أي مساقطها وهي مغاربها. وقيل : النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها))
**** ساهونك** (الساهاى عن الشيء هي حالة ربما يكون الشيء ظاهراً أمامه في الوجود وهو يسهو عنه .. أما الناسى فقد كان هناك شيئاً موجوداً وانحى من ذاكرته ، ومنها جاء لفظ (إنسن) على غير الرسم المعتاد - بغير الألف - ليدل على هذه الصورة المذكورة)
**** حَشِيَّةٌ إِمْلِيْقِي** (فقر وعدم المال)



**** (الْوَالِيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴿١١﴾)** الكهف.. { الولاية } بالفتح النصرة والتولي ، وبالكسر السلطان والملك ، وقد قرىء هما . (ولعل الولاية هنا فيها معنى وملحظ الإلصاق والقرب الشديد من أوليائه ، وهي من باب أولى أقرب في الصلة من كلمة "صاحب" و"زوج" و"ولديه" التي كتبت بدون ألف) .. وقيل { هُنَالِكَ } إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله ،

**** (وَالصَّالِحَاتُ الْمُرْتَبَاتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَحَيْرٌ أَمَلًا ﴿١١﴾)** أي الصلوات الخمس . هكذا روي عن أبي الهيثم ومسروق؛ وقال مسروق : { يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ } هي الخمسة صلوات ، وهي الحسنات يذهبن السيئات ، ((فالبقيات هنا ليست بقايا مادية ولكنها آثار العمل الصالح....)) وكذلك .. عن مجاهد في قوله { والبقيات الصالحات } قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

**** (فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴿١١﴾)** (ليس بمعنى القضاء في المحاكم أو المجالس ولكنه: خلقهن خلقاً ابداعياً وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة.)

القسمدين .. قعدون .. مقسعد للقتال .. كنا نقعد مقعد للسمع (هي ليست مقاعد - كما نعلمها - ولكنها مراكز وخطط ، فهي على الحجاز).

القسطين. (فيها الإنكسار والإحباط).. القستين.. فيها الإنكسار ولكن لله. القانع.
 {القانع} السائل (المشهد فيه حركة تمتد للغير بالطلب) .. السمرقندي: فالقانع
 الراضي الذي يقنع بما أعطي وهو السائل ، والمعتر الذي يتعرض للمسألة ولا يتكلم؛
 ** كسالى.. (مط الكلمة وتراخيا مع مط الكسل وتراخيه) ﴿ فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ
 فَأَنْظَرُوا مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨).. ﴾ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ فيها ملفت السرعة والخفاء حتى لا يراه أحد
 فحذف الياء.

** لذي الحناجر (معنوى) .. لذا الباب (مادى ملموس)
 ** ﴿ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُونَ ﴾ السمرقندي: يعني : حافظين مجازين . (أى ليست بالكتابة
 المعهودة لدينا)

** ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ﴾ (نداء نوح هنا نداء من العبد ولكنه حذف الألف لتصوير شدة
 قرب نوح من الله وبخاصة في هذا المشهد العصيب الذى لا يوجد قرب أكثر منه)..
 نادة.(الله هو المنادى ولكن بلفظ المفرد) فتَادَيْنَاهَا نَادِيهِمَا.. لَسَدِينِهِ. في سورة مريم
 (الله هو المنادى ولكن بلفظ الجمع الذى يعطى شدة القرب والعناية وما فيها من القرب
 والحنان... مما يستدعى حذف الألف) وهكذا: وقربنه..رفعنه.....
 بخلاف النداء من الخلق بعضهم لبعض فتكتب بالألف وكأنه يقول- عن طريق رسم
 الكلمة "ونحن أقرب إليه من جبل الوريد" - ينادونك..ينادونهم..منادبا ينادى (عن
 محمد ﷺ).. فتنادوا .. نادىكم ... نادية...

أما (نحسات) فوضع فيها الألف رغم أنها جمع مؤنث سالم (يحذف منه الألف للتخفيف)
 ولعل القارىء يلاحظ تكشيرة الوجه حال النطق بها ، وكأن الألف يرسم هذه اللمحة...
 ** لواحجة..(ظهور وتكرار). لُوَاذًا .. يلوذ بعضهم ببعض ، فجاحجا...
 المخاص...مداداً... المدائن... المرجان... مازد... فلا تمار فيهم ...
 ﴿أَفْتَمْرُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى﴾ الزمخشري: وقرىء: «أفتمرونه» وقيل: أفتمرونه :
 أفتمجدونه .

فبأى آلاء ربك تمتازى .. الطاهر: تفاعلاً مستعملاً في المبالغة في حصول الفعل



** ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢١﴾
 حذف الألف للأسباب التالية:

أولاً : يوجد تواصل بين هذه السورة وسورة الفيل حتى أن كثيراً من العلماء عدّهما سورة واحدة .

وكما نقل الزمخشري وغيره: أي : فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، .. ، وهما في مصحف أبي سورة واحدة ، بلا فصل . وعن عمر : أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب . وقرأ في الأولى : « والتين » . والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك ، فيتهيّبوهم زيادة قهيب ، ويحترموهم فضل احترام ، حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم ، فلا يجترىء أحد عليهم ، وكانت لقريش رحلتان؛ يرحلون في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، فيمتارون ويتجرون ، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاية بيته ، فلا يتعرّض لهم ، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم .

(فهذا السبب الأول في وصل حروف الكلمة و (لإيلاف) و(إيلافهم).

والسبب الثاني في فهم معنى (إيلاف قريش)وهو:

. وكما نقل الرازي وغيره: ذكروا في الإيلاف ثلاثة أوجه أحدها : أن الإيلاف هو الإلف قال علماء اللغة : ألفت الشيء وألفته إلفاً وإلافاً وإيلافاً بمعنى واحد ، أي لزمته فيكون المعنى لإلف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعاً ، وقرأ أبو جعفر : (لإلف قريش) . وقرأ الآخرون (لإلاف قريش) ، وقرأ عكرمة (ليلاف قريش) .. وهو كقوله : { ولكن الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ } [الأنفال : ٦٣] (فهذا المعنى الذي هو الإلف والتجمع (كان لا بد من حذف الألف) إضافة إلى السبب الثالث وهو تعدد القراءات التي تستدعي حذف الألف، وقد ذكرنا طرفاً منها ونكمل قولهم:.. وقرأ أبو جعفر (ليلاف) بغير همز

ويقول الطاهر: وقرأه الجمهور في الموضعين لإيلاف { بياء بعد الهمزة وهي تخفيف للهمزة الثانية . وقرأ ابن عامر «لإلاف» الأول بحذف الياء التي أصلها همزة ثانية ، وقرأه { إيلافهم } بإثبات الياء مثل الجمهور (ولذلك زيدت المدة في الكلمة الثانية (إيلافهم). وقرأ أبو جعفر «ليلاف قريش» بحذف الهمزة الأولى (وبالتالي عدم وضع الألف). وقرأ «إلافهم» بهمزة مكسورة من غير ياء .(ولذلك رجح وضع المدة بعد الهمز (إيلافهم).

ويكمل الإمام الطاهر: والقراءات روايات وليس خط المصحف إلا كالتذكرة للقارئ، ورسم المصحف سنة متبعة سنّها الصحابة الذين عيّنوا لنسخ المصحف .

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيَّهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالنَّعْرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

ولاحظ (الْمَسْكِينِ) كتبت بدون ألف.. (والسائلين) كتبت بالألف - ولاحظ مشهد الحركة ومد اليد للغير في معنى السائلين والتي ناسبها مد الألف وإظهاره.. وفي الرقاب.. وهنا يقصد الصورة (الفعلية) أيضاً لتخليص وفك الرقاب (أى: العبيد) فكتبت بالألف. وليس اسم العبيد

سحاباً ثقلاً، والسحاب عموماً فيه الرفعة والظهور، وفي الحياة الدنيا للناظرين. تعاسرتم ، تدانتم.. متتابعين (ترادف وتكرار).. تراض منكم (مفاعلة).. ولا تبشروهن (كناية عن الستر في هذا اللفظ).

ولا يحذفون غالباً ألف المد في صيغ المبالغة نحو: توابا أواب.. وهاجا.. ثجاجا... ملاحظات: وحنالاً (هنا يناسب إشباع الحرف لإشباع عمق الإحساس بالحنان.. مثل مثنوى في قوله: إنه رب أحسن مثنوى)..

أحاط الله. (إحاطة الله بالناس مادية؛ بقوته وجبروته وسلطانه وعلمه) بخلاف: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ ﴿٢٤﴾ (فهى إحاطة معنوية)..

ونلاحظ: الخائنين. (حركة بالخيانة وضرر يتعدى إلى الغير). المهلكين. (همود وموت). نرفع درجات (درجات معنوية).. مدارا (تتابع).. مختالا. مختال. (ظهور بالزهو والكبرياء).. .. زادهم إيماناً.. زادته.. زادوكم.. (مشهد الزيادة) أذاعوا. (الإعلان والظهور).

وما أدرك.. ولا أدركم.. دسها. (كلهم بالإمالة).. إذا دعاكم.. الداع.. دعانا... دعانا.. دعاه.. أذاعوا به.. (والدعوة فيها نداء وإعلان)، دعوا (جميعها بالألف)..، دافق (مشهد حركة قوية).

وأحاط بهم سرادقها (هذا المشهد يجب أن يلاحظ لتكراره حيث أن الإحاطة تستدعي وجود الألف).. ومثله: أرحام. خيام...

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّنْبُوتِ﴾ (البقرة) ربما يكون الشيطان أو كل من تجاوز الحد في المعصية ، ولا يشترط أن يكون بمعنى الظالم المتجبر ذى السلطان الفاحش) .

**﴿فَقَاخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنْ الَّذِينَ آسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَئِينَ فَيُقْسِمَانِ﴾

بِاللَّهِ﴾ المائدة ١٠٧ يقول الزمخشري: { الأوليان } الأحقان بالشهادة لقرابتهما

ومعرفتهما (مثنى بالألف مرفوع) ، وقرىء «الأوليين» (على الجمع بالياء) .. وقرىء :

«الأوليين» على التثنية ، وانتصابه على المدح (مثنى منصوب بالياء) . وقرأ الحسن :

«الأولان» ، .. الألوسى : .. وقرأ ابن سيرين { *الأوليين } بياءين تثنية أولى منصوباً ،

(وواضح أنه لا يناسب ذلك المقام في تعدد القراءات إلا حذف الألف)

**أمشاج . يعني : مختلطاً .. وعن قتادة : أمشاج ألوان وأطوار ، يريد : أنها تكون نطفة ،

ثم علقه ، ثم مضغة . (وهذا التعدد في الألوان والأطوار يناسبه الألف)

**الأبرار... الفجار .. (الأمر ليس ملكى وملكوتى ولكنه هو أمر عمق وظهور الصفة

أو الفعل سواء كان خيراً أم شراً.. إضافة إلى القراءة بالإمالة) .

**نضاحتان.. ﴿ فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حَسَانٌ ﴾ (لاحظ أن "الحسان" هنا في الشكل والهئية

بخلاف "الإحسان" الذى هو أمر معنوى ملكوتى وصفات باطنية وليست ظاهرية

مادية) . وقال أبو السعود : .. وقال مقاتل : حَيْرَاتُ الأخلاق (معنوى فحذف الألف) ،

حسان الوجوه (مادى فوضع الألف) ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (قصرن في

حدورهن . يعني : محبوسات { فى الخيام } على أزواجهن . وكذلك (قاصرات) بدون

ألف (قصرت) (وأرى أن المقصد ليس هو حبسهن الجسدى بل حبسهن المعنوى؛

بمعنى العفاف وغيض الأبصار إلا على أزواجهن) .

**القسطاس ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

﴾ (الأسراء ، والشعراء .. ﴿ مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ { القاسطون {

الكافرون الجائرون عن طريق الحق (على عكس ظاهر اللفظ - الذى هو من القسط

أى: العدل) ويتضح ذلك من القصة التالية: وعن سعيد بن جبیر رضي الله عنه : أن

الحجاج قال له حين أراد قتله : ما تقول في؟ قال : قاسط عادل ، فقال القوم : ما أحسن

ما قال ، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل؛ فقال الحجاج : يا جهلة ، إنه سماني ظالماً

مشرکاً ، وتلا لهم قوله تعالى : { وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ } وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ } الأنعام : ١.. إذن هذا (القاسط) ليس بمعنى العادل، وبذلك أصبح على خلاف الظاهر فحذفت الألف (مثل: والليل إذا يسر")

واقع . لَوْاقِعُ

﴿سَأَلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ المعارج .. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْاقِعٌ ﴿٧﴾ الطور. عذاب ربك لواقع. (أى متحقق وليس بمعنى الوقوع المادى المعلوم .. وذلك بخلاف صفات يوم القيامة فهي أهوال مادية معلومة .. إذا وقعت الواقعة (بالألف) .. خافضة رافعة إذا رجعت الأرض .. وبثت الجبال ..).

في سورة المعارج تتحدث الآيات عن هذا السائل الذى يستعجل العذاب من الله ، وهو على أرجح الأقوال عذاب دنيوى (هذه واحدة) ، (والثانية) هى ملاحظة رتم وإيقاع الآيات البطيء عن رتم وإيقاع آيات الطور والذاريات ، (أما الثالثة) فإن مشاهد هذه السورة ليس فيها عنصر الحركة والسرعة حتى فى الأحداث التى تكتنف قيام الساعة - التى نلاحظ فيها المشاهد الثابتة مثل ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالرَّهْلِ﴾ وتكونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٠﴾ .. . فالسمااء تذوب وهى فى مكانها واقفة ، والجبال كذلك بخلاف المشاهد التى سنستعرضها فى سورتي الطور والذاريات

(والرابعة) مشهد الإمهال لهم من الله الذى نعلمه من السيرة أيضاً والذى جعلهم يستبطنون المدة التى طالت ولم يتزل بهم العذاب بعد - كما يقول الطاهر: أنهم كانوا يسألون النبي (ﷺ) متى هذا العذاب الذى تتوعدنا به ، ويسألونه تعجيله ، قال تعالى : ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ [يونس : ٤٨] ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ [الحج : ٤٧] وكانوا أيضاً يسألون الله أن يوقع عليهم عذاباً (أى فى الدنيا) إن كان القرآن حقاً من عنده قال تعالى : ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال : ٣٢] .

وقيل : إن السائل شخص معين هو النضر بن الحارث قال : ﴿إن كان هذا (أى القرآن) هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (عذاب دنيوى مادى) ﴿[الأنفال : ٣٢] .

وكان النبي (ﷺ) يسأل الله أن يعينه على المشركين بالقحط (عذاب مادى) فأشارت الآية إلى ذلك كله ، ولذلك فالمراد ب { سائل } فريق أو شخص .

والسؤال مستعمل في معنبي الاستفهام عن شيء والدعاء ، على أن استفهامهم مستعمل في التهكم والتعجيز (وفيه المد بالحديث والاستطالة به يناسبه أيضاً المد الواضح بالألف) . ويجوز أن يكون { سأل سائل } بمعنى استعجل وألح (والإلحاح أيضاً فيه مشهد التكرار) .. فلكل هذه الأسباب وضع الألف في كلمة (واقع) بخلاف حذفها في السورتين التاليتين (١) سورة الطور: التركيز في الحديث عن عذاب الآخرة (هذه واحدة) .. و(الثانية) ملاحظة الريم والإيقاع السريع لآيات السورة وقصرها (ملحظ السرعة) ﴿ وَالطُّورِ ﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٦﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٧﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٨﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٩﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿١١﴾

(والثالثة) هي عنصر الحركة والسرعة والتهديد والوعيد الشديد أيضاً في مشهد القيامة أيضاً ﴿ يَوْمَ تَمُورُ أَلْسَمَاءُ مَوْرًا ﴾ ﴿ وَتَسِيرُ أَلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ ﴿ فَوَيْلٌ لِّيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (تهديد ووعيد شديد) ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ (مشهد اللعب والحركة أيضاً) ﴿ يَوْمَ يُدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا (أى الفع بعنف) ﴾ ﴿١٢﴾ . فلكل هذه الأسباب منفردة ومجمعة حذف الألف (لَوَاقِعٌ)

وكذلك الحال في سورة الذاريات - مثل آية الطور

فالحديث يبدأ بمشاهد غيبية ومجهولة حتى في تفسيرها لدى العلماء ؛ فهي تتحدث عن الملائكة أو الرياح العاصفة بسرعتها أو الإثنين معاً، وعلى كلا المعنيين فملاحظ فيها عنصر السرعة الشديدة وعنصر الغيبية ﴿ وَالذَّرِّيَّتِ ذَرْوًا ﴾ ﴿ فَأَلْحَمِلْتِ وَقْرًا ﴾ ﴿ فَأَلْحَمِلْتِ سُرًّا ﴾ ﴿ فَأَلْمَقْسَمْتِ أَمْرًا ﴾ ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (وهذه واحدة) .. و(الثانية) : الريم والإيقاع السريع للآيات أيضاً .. و(الثالثة) أن الأحداث عن عذاب الآخرة (وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ) والدين هو (الحساب) يوم القيامة (يوم الدين) فلكل هذه الأسباب وغيرها حذف الألف (لَوَاقِعٌ)

الأغلل في أعناقهم ..

أعناق. أعناقهم

(١) الأعناق إذا كانت مفردة - أى غير مضافة إلى ضمير (أعناقهم مثلاً) - وكانت في الدنيا أو مادية أو تصف وجودها، تكتب بالألف على التفرد والانفصال .. ﴿ إِذْ

يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيَّ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ
فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾

(٢) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ
بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَئِدَادًا وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ
كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ سبأ

(٣) ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِيقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ص

نلاحظ في هذه الآيات يذكر الأعناق بحالة الأفراد (أى غير مضافة لضمير - أى لم يقل
"أعناقهم" - أو إلى الذين كفروا - ليس ضميراً متصلاً -.

وأيضاً إذا أضيفت إلى كلمة منفصلة عنها (أعناق الذين كفروا) فتبنى على هذا
الانفصال ويوضع الألف. و مثل ﴿ وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي
أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

أما إذا اتصلت بالضمير المتصل بها فإن الرسم القرآنى يلاحظ - كما تعودنا - حالين:

الأول : إن كان هناك تركيز ، وتوكيد ، وحالة مقارنة، وعذاب في الدنيا يختلف عن
عذاب الآخرة ، هنا يوضع الألف - كما في آية الرعد- ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ
أَنذَأْ سَكُنَّا تُرَابًا أُنثًا لَقَبِي خَلَقِي جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ الرعد.....

الثاني : إذ لم توجد الحالات السابقة فيلاحظ عنصر التخفيف ويحذف الألف.

(٤) ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٤﴾ يس . ، ﴿ إِنْ

نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ الشعراء.. (وهنا
يضاف معها مشهد الخضوع والانكسار - في الآخرة أو في الدنيا على ترتيب الآيتين -
بخلاف آية الرعد).

وهنا نقف على آية الرعد وتفصيلها كالاتى:

﴿ ***** وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَنذَأْ سَكُنَّا تُرَابًا أُنثًا لَقَبِي خَلَقِي جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ الرعد
(هنا التركيز على تكرار قوله (وأولئك) على ذوات الأشخاص .. وهى هنا
الأعناق)). ووصف قول الكفار ، ووصف إصرارهم ، وأنهم مازالوا على تكبرهم
وعلوهم في الدنيا، مع ملاحظة ما يلي:

(١) صيغة المقارنة في قوله: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ.. رُفُوقِ المقارنة أيضاً مشهد التعجب ؛
والعجب لا يكون إلا من أمر شديد الغرابة عن غيره.

(٢) الإشارة على ذواتهم ثلاث مرات في آية واحدة بإسم الإشارة - أولئك - دليل
التأكيد على هذه الذوات - الأعناق - .

(٣) ثم أن النص يشير إلى واقع حالهم كأنه حادث الآن ومستمر في حدوثه، فالأغلال
موجودة في أعناقهم الآن ومشاهدة في أعناقهم - بخلاف الآية التالية التي تقول:
فسوف يعلمون .. فهي لاتصف واقع مشاهد الآن، والآية التالية هي:

* * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ
وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا بِهِ رَسُولًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَعْتَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٦٩﴾ في
الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿إذن وضعت الألف في الآية الأولى - آية الرعد - نظراً لوجود عناصر التأكيد
(أولئك) ثلاث مرات - إشارة إلى هذه الأعناق-والعجب ، وتصوير المشهد تصويراً
للحال وليس للإستقبال أو الغيبة- وإصرارهم وعنادهم على الكفر-و أن الآيات
لاترسم مشاهد الدلة لهذه الأعناق بعد ولكنها ترسم صورة تكبرها وتعجرها
وارتفاعها؛ لأنها مازالت في الدنيا ولم يأت لها نكال بعد﴾

والملاحظة الأخرى أن كلمة " الْأَعْتَلُ " جميعها بدون ألف ، لأنها أغلال معنوية يقصد
بها الشرك والضلال وعمل السيئات وليست بالأغلال التي يقصد بها القيد الحديدي
الذي يوضع في اليد أو الرجل. (فهى أغلال على المجاز وليس الحقيقة ، فكتبت بدون
ألف.)

هادو النصرى. ((الذين هادوا ضلالهم مادي صرف .. والنصارى ضلالهم في
الألوهيات والرهانية))....

(١) ﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٦١﴾ آل عمران.. يقول الزمخشري: وعن
ابن عباس : هم أهل مكة . وقيل : هم اليهود ..

(٢) ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)﴾

(٣) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٦٢﴾ ق

(٤) ﴿ الَّتِي لَمْ يُخَاقِقْ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٦٣﴾ الفجر

التمثيل.. وتمثيل

- (١) ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢) .. صناعة بشرية (كتبت بالألف). ولها أهمية خطيرة (تعبد من دون الله) .. ومعرفة بالألف واللام
- (٢) ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ (١٣)
- سبأ (هى صناعة الشياطين ، وهى ليست بخطورة التمثيل فى الآية السابقة ؛ فهى بالتأكيد لاتعبد من دون الله لأنها بأمر نبي الله سليمان" ، وهى غير معرفة بالألف واللام).

مع ملاحظة أن كلمة محراب جميعها بالألف

يقول القرطبي : المحارب هو كل ما يرقى إليه بالدرج كالغرفة الحسنة

(المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)

وكتبت (المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) بدون ألف ، وقيل أنها لتناسب القراءة الأخرى لها بسلافراد (أى المشرق والمغرب) بدون ألف. وأنا لأرى ذلك ، لأننى لأوافق على قراءة الأفراد هذه الصورة لضياح القيمة البلاغية العالية فى قراءة الجمع التى وردت فى السياقات الآتية :

- (١) ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾

(٢) الأعراف ﴿وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ ﴿٤١﴾ الأعراف

- (٣) ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ﴿٤١﴾ الصافات

وأرى - والله أعلم - أن سياق الآيات تتحدث عن المشارق المجازية وليست الحقيقية ؛ حيث أنه لا يقصد الشروق والغروب وصورته المعلومة ، ولكنه يقصد ما أشرق عليه هذا الإشراق وما غرب عليه من الأماكن والبقاع من ملك الله ؛ ففى الآية الأولى ﴿لَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ يتحدث السياق عن قدرة الله الشاملة على كل بقعة من بقاع الأرض أشرق عليها الشمس أو غربت (المشارك والمغرب) - وكما فلنسا أن الآية تتحدث عن قدرة الله ، ومن كمال قدرة الله أن يحيط سلطانه بكل البقاع ، ولذلك

كان من المناسب الذى لا يصح غيره - فى رأى - أن تعدد وتتكاثر هذه البقاع (هذه المشارق والمغرب) ولا يصلح لذلك إلا صيغة الجمع وليست الإفراد .. وهكذا الحال فى وصف الله عز وجل لمدى النعم والنعيم الذى أعطاه لبنى إسرائيل وتمليكهم للبقاع الكثيرة من الأرض (المشارق والمغرب بصيغة الجمع) ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا ﴾ . وهكذا: الصفات ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ لبيان قدرته وسعة ملكه ..

وربما يقول قائل بجواز الإفراد على أنها (للجنس) أى جنس المشارق كله والمغرب - وهكذا يقال فى مثل هذه الأمثلة - ورغم صحة هذا الاتجاه لغوياً ولكننا نجد - بعد استعراض النصوص القرآنية - أن الحكيم سبحانه وضع صيغة الإفراد فى أماكن أخرى (رب المشرق والمغرب) ، وهى

(١) إما رمز للجهة التى تتوجه إليها أو نقصد بها وجه الله (وهى أحق بصيغة الإفراد) ..

(٢) وإما تبعاً لسياق الحديث ؛ حيث أنه يتحدث عن إفراد التوحيد لله والإشارة إليه - وليس لتعدد سلطان الله وملكه - . هكذا:

﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْمًا تُوَلُّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) البقرة
 ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٤٢) البقرة.

﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ ﴾ . البقرة

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ (٢٥٨) البقرة
 ((فى هذه الآيات السابقة يشير النص إلى الجهة التى تتوجه إليها وهى أحق بالإفراد))

﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢٨) طه

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ (٩) الزمزم

(وفى هاتين الآيتين نجد الإشارة واضحة بإعجاز مبهر لصورة الإفراد التى تتناسب تناسباً مدهشاً مع ما تشير إليه من رمز لتوحيد الله ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ ، وهو لا إله غيره .

ولعله من المناسب أيضاً أن نذكر بأن الله عز وجل قد ذكر (رب المشرقين ورب المغربين) - فى سورة الرحمن - لأنه يتحدث عن الجنسين : جنس الإنس و جنس الجن فى سورة الرحمن .. وهى سورة الثنائيات أيضاً- كما تحدثنا عنها فى الإعجاز القدسى

والتكرار في القرآن الكريم ودرس (الرسم القرآني لكلمة "تراب، عظام" بألف وبدون ألف)) - وبيانها كالتالي: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا .. (٧) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا ... (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ .. (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ .. (١٥) .. رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) .. سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (٣١) .. يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ .. وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ... وَمَنْ دُوَّهَا جَنَّاتٍ (٣٢) . (فكان من المناسب ورود الصيغة على التثنية (المشرقين ورب المغربين) وقيل أن ذلك على اعتبار نصفي الكرة الأرضية ، وقيل أنه يراعى ما نقله لنا الصادق المصدوق محمد (ﷺ) من أن هناك شروقاً آخر للشمس قبل يوم القيامة (أى تشرق من مغربها) ولافاعل لذلك إلا الله. أما - في سورة الصافات- فالاقصص على "المشارك" فقط دون المغرب ، وذلك لأن السورة كلها تتحدث عن مشاهد الإحياء فقط (التي هي رمز المشارق) ولا تتحدث عن مشاهد الإماتة- المغرب - حتى في سياق القصص القرآني في هذه السورة ؛ حيث أننا نشاهد فيها:

- (١) هذا الشجر الذي إذا وضع في النار فإنه ينفى ويتحطم ولكنه في هذه السورة يعرض علينا مشهد الإحياء الكامل في مشهد شجرة الزقوم - إنها شجرة تطلع في أصل الجحيم - وليس فيها مشهد الإماتة ..
- (٢) ونجد نوح ومشهد الإحياء الكامل من غرق محقق.
- (٣) ومشهد إبراهيم "قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم".
- (٤) بل ومشهد إحياء ابنه إسماعيل بعد أن أسلما وتله للجبين ، ومشهد السكينة على رقبته ويكتب له الحياة وليس الموت.
- (٥) ومشهد يونس والنجاة والإحياء الكامل من بطن الحوت ..
- (٦) بل وإنبات شجرة اليقطين من مكان لا يمكن أن تثبت منه وتحيا عليه ؛ وهو جسد يونس وليس التراب أو الطين ..

كل هذه المشاهد التي أتى الله بها خصيصاً في هذه السورة لتتناسب وتناغم مع قوله تعالى في أولها (ورب المشارق) فقط - ولم يقل بعدها ورب المغرب- لأن المغرب ترمز إلى الموت وهو غير متواجد بمشاهده في هذه السورة التي ليس فيها إلا مشاهد الحياة والإحياء (مشارك) .. وهكذا وضعت الكلمة (المشارك) فقط خصيصاً لهذه السورة ، وإن شئت

فقل: أن هذه السورة قد فصّلت خصيصاً لهذه الكلمة بهذه الصيغة ؛ وهكذا شأن القرآن دائماً. ولا يمكن أن تتساوى صيغة بأخرى في منهج البيان القرآني. فما أجمل وما أروع هذا البيان والإعجاز ..

ولذلك نرى أن رسم كلمة المشارق والمغارب بدون ألف ليس المقصود به تعدد القراءة له - أي على صورة الأفراد للآيات التي قرئت بصيغة الجمع - بل إنني على ضوء هذا الشرح السابق أرى ذلك خطأ وأنه لا يتساوى قراءة الأفراد مع قراءة الجمع بل كلٌّ في مكانه المناسب ولا يصح غير قراءة هذا الرسم - ولكنني أرى - والله أعلم بمراده - أنها كتبت بدون ألف لأنها مشارق ومغارب على المجاز وليس على الحقيقة.

ولذلك أعود وأكرر أن الرسم القرآني المتواجد لدينا في كتابنا الكريم هو الحاكم على القراءات وليس العكس ؛ وراجع بحث (الميت) بالتشديد ، و(الميت) بالسكون وموقفنا من القراءات والرسم لترى عظمة وإهمار هذا الرسم المعجز.

ملاحظات: كلمة (دعا) جميعها بالألف .. و(دعوا) .. وكلمة (أدعوا)

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبُ (٣٦) ﴾ الرعد

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٠) الجن ..

﴿ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (٤٨)

مريم

(فهو دعاء في جو الدعوة باللين والهدوء وطول النفس والتكرار والإلحاح فيها وعدم الملل؛ وكل تلك المعاني تستدعى وتتناغم مع وضع الألف.)

جرس الكلمة

وبعد أن عشنا مع باب (المشارك والمغارب) ورأينا حكم الرسم على القراءات ، نكمل حديثنا الآن مع باب كنا قد وعدنا به ؛ وهو علاقة الرسم وعلم القراءات بجرس الكلمة، وكيف أن الرسم يتناغم مع جرس الكلمة ، بل هو الحاكم على علم القراءات وليس العكس في ذلك .. ونظراً لأن الإمام ب(جرس الكلمة) في القرآن الكريم لا يكفيه بعض الصفحات في هذا البحث الخاص برسم الكلمة، اقتصرنا هنا على بعض الأمثلة الخاصة بعلم القراءات لتوضيح حاكمية الرسم على علم القراءات ، وذلك من مدخل (جرس الكلمة) وعلى وعد بإصدار كتاب خاص بهذا اللون من الإعجاز بعنوان (جرس الكلمة).. وإليك بعض الأمثلة:

والميت - الميت

(الميت) و(الميت) كلمتان أصولهما الثلاثية واحدة هي الميم والياء والتاء ، وهما من كلمات القرآن الحكيم . والاستعمال القرآني يكشف عن فرق عظيم بينهما ، والوقوف على هذا الفرق بين ميت بسكون الياء، وميت بتحريك الياء مشددة يحسم خلافاً نشأ قديماً بين العلماء من مفسري كتاب الله الكريم وغيرهم من الباحثين . والفرق بينهما:

آل عمران: ﴿ وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (٢٧)

الانعام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (٩٥)
الاعراف: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثَقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥٧)

يونس: ﴿ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١)

ابراهيم: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (١٧)

الروم: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ .. ﴾ (١٩)

فاطر: ﴿ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٩)

الزمر: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣٠)

الصفات: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٥٨)

في هذه الايات التسع ذكر اسم الفاعل: (مَيِّتٌ ، وَمَيِّتُونَ ، وَمَيِّتِينَ) أربع عشرة مرة ، وكان معناه في كل هذه المرات : الحى الذى قُضِيَ عليه بالموت ؛ فهو سيموت بعد حياته تلك. والدليل على هذا خطاب الله لرسوله حال حياته ﴿أَنْتَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ هذا دليل قاطع على أن القرآن أطلق كلمة (مَيِّتٌ ، وَمَيِّتُونَ) على الرسول (ﷺ) ، وعلى أصحابه - رضى الله عنهم - وهو حى وهم أحياء ، و(مَيِّتُونَ) وصف شامل لكل حى بعد صحابة رسول الله من الناس جميعاً ، لأن الموت سنة من سنن الله فى الأحياء من خلقه.

وفى كتب اللغة: وأما الحى فمَيِّتٌ بالتحليل لا غير ، وعليه قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ أى سيموتون.

الموصوف نوعان :

فى الآيات التسع المذكورة بجد الموصوف بكلمة (مَيِّتٌ) نوعين:

الأول: ما كان له روح نشأت عنها الحياه، وهم الموصوفون فى قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)

الثانى : ما ليس له روح وهو الأرض كما فى قوله -- عز سلطانه - { فسقناه إلى بلد مَيِّتٍ فأحينا به الأرض بعد موتها }

سؤال : ويترتب على ما قلناه من أن القرآن يطلق كلمة (مَيِّتٌ) على الحى الذى سيموت ، سؤال وجيه حاصله أن القرآن وصف (البلد) مرتين ب(مَيِّتٍ) ، كما أجرى على لسان بعض أهل الجنة أنه قال: { أفما نحن بمَيِّتِينَ إلا موتتنا الأولى } والبلد التى وصفت ب: "مَيِّتٌ" غير قابلة للموت لأنها لا زرع فيها ولا ماء، وخلوها من الزرع والماء هو موتها الواقع بالفعل، فكيف ستموت بعد موتها هذا ؟ وأهل الجنة أحياء أبداً لا يموت منهم أحد فكيف يستقيم القول بأن القرآن يطلق (مَيِّتٌ) أى كان نوع الموت حقيقاً أم مجازياً على الحى الذى سيموت؟ والجواب - فيما نرى - يتلخص فى الآتى:

* أما ما حكى عن أهل الجنة فهو حكاية حال ماضية وسياق الكلام يقضى بهذا.

سورة الصافات ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ ﴾ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كُنْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)

فقول أهل الجنة- هذا - تذكير لقرين السوء بما قال في الحياه الدنيا، بعد أن وقع ما كان يكفر به، وأهل الجنة ليسوا بمعذبين، وإنما قال هذا لقرينه تعريضاً وتبكيئاً، وبهذا يندفع السؤال المعترض على إطراد القاعدة التي لاحت لنا.

*أما الشق الثاني المتعلق بوصف (البلد) ب(مَيِّت) فقد هدينا في الإجابة عليه إلى الآتي، والجواب من وجهين:

كان الأصل أن يوصف (البلد) ب(مَيِّت) الساكن الوسط لا المحرك المشدد (مَيِّت) تشبيهاً له بمن مات من الأحياء - كما سيأتي -، ولكنه وصف ب(مَيِّت) المحرك المشدد الوسط تشبيهاً له بالحى الذى سيموت وهذا يحاب عنه من وجهين:

الأول: أن الآيتين اللتين وصف فيهما (البلد) ب (مَيِّت) اتفقتا في أمرين:
أ- أن السحاب مسوق (سقناه) في (الأعراف) ، و(سقناه) في الزمر.

ب- أن (السُّوق) فيهما معدى بحرف جر (لبلد) في الاعراف و(إلى بلد) في الزمر. وهذا معناه أن مسافة ممتدة بين منشأ السحاب ، وبين البلد الذى سيق إليه ، فلا يبعد أن يكون في هذا (البلد) آثار من حياة ريثما يصل إليها السحاب فيجدد أسباب الحياة فيها، فعومل - أى البلد- معاملة (الحى) الذى سيموت.

ذلك أن الفعل (سقناه) وحرف الجر المعدى به (إلى - ل) لا بد ان تكون لهما دلالة في بناء الجملة ، وهذه الدلالة هى التى نصصنا عليها قبلاً.

(ونقول تعليقاً : أن بعد المسافة هذا غير مسلم به لأن مدلول (إلى) يختلف عن مدلول (ل) ، ف(إلى) هى التى للبعد فقط ، ولكن ربما جاءت هذه الإشارة من قوله (سقناه) فالسوق هو حركة لمكان آخر))

الوجه الثانى: ان يكون المراد من (البلد) أهله، وهم قطعاً أحياء سيموتون ونظير هذا فى القرآن من إطلاق المكان وإرادة أهله قوله تعالى فى الاعراف ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤)﴾ وبهذا تترد القاعدة التى يكشف عنها منهج القرآن فى كلمة (مَيِّت)



منهج القرآن فى كلمة (مَيِّت):

أولاً: يستعمل القرآن كلمة (مَيِّت) بتحريك الوسط وتشديده وصفا للحى الذى سيموت، وليس وصفاً لمن مات من الأحياء .

ثانياً: كما استعمل (مَيِّت) فى الدلالة اللغوية الوضعية، وفى الدلالة على الموت المجازى لما لاروح فيه.

ثالثاً: جاءت ثلاثة مواضع خارجة عن الأصل الذى أشرنا إليه من حيث ظاهر اللفظ ، وقد طرحنا حولها وجهة نظر ، نرجو أن تكون صائبة، تقضى بإطراد القاعدة القرآنية في المواضع الأربعة عشر إن شاء الله.

—أمثلة (ميت) بالسكون:

في سورة (الانعام) ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾

والفرقان: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْفَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) ﴾

والزخرف: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) .. (هنا يقصد التشبيه لخروج الإنسان بخروج الزرع وهذا يعنى أن هذه البلدة هى الأرض الجماد وليس ساكنيها من البشر) وكذلك آية (ق) الآتية:

ق: ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ﴾

الحجرات: ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) .. (هنا يقصد الموت الحقيقى للجسد وليس المجازى)

البقرة: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ .. (١٧٣) ﴾

المائدة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ .. (٣) ﴾

الانعام: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) ﴾

الانعام ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ .. (١٤٥) ﴾

النحل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ (١١٥) ﴾

(كل هذه الآيات السابقة تتحدث عن الحيوان الذى فقد الروح على الحقيقة والذى يحرم أكله على هذه الحالة ، ولايصد الحيوان (الحى) الذى كتب عليه الموت ولم يميت بعد - كما هو الحال فى كلمة "ميت" -.

يس: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) ﴾

((وهنا لا يوجد أى احتمال آخر إلا أن يكون المقصود هو (الأرض على الحقيقة) وليس ساكنيها، بدليل قوله: وأخرجنا منها حباً.. ولاحظ: لفظ الأرض بخلاف لفظ (البلدة))

** في هذه الآيات الإحدى عشر جاءت (مَيِّت) وصفاً مجازياً خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) - في ثلاثة مواضع - ، والأرض في موضع واحد ، والجاهل أو الضال أو الكافر في موضع واحد

ووصف (بلدة) و(الأرض) بمَيِّت تشبيهاً لهما بالميت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية ، التي حذف فيها المشبه وذكر المشبه به .

ووصفت الجاهل أو الضال أو الكافر ب (مَيِّت) فهو استعارة - كنتك- والجامع بين الجاهل والضال والكافر، وبين الميت موتاً حقيقياً هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر . هذا هو الجانب المجازي في استعمال (مَيِّت) في لغة القرآن الحكيم .

أما المواضع الستة الأخرى فقد استعمل القرآن كلمة (مَيِّت) فيها في معناها اللغوي الوضعي أو الحقيقي وهو مفارقة الروح البدن، وجاء ذلك على ضربين:

الاول: في شأن الإنسان مرة واحدة في قوله تعالى: {يُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً} .
الثاني: في شأن ما يوكل لحمه من الأنعام والطيور والدواجن في خمسة مواضع من الآيات المذكورة، وهذه الآيات الإحدى عشر هي كل ما في القرآن الذي استعمل فيه (مَيِّت) بسكون الياء

منهج القرآن الكريم في (مَيِّت):

أولاً: يستعمل القرآن كلمة (مَيِّت) الساكن الوسط في الدلالة على الموت المعروف وهو مفارقة الروح البدن .

ثانياً: مجيء (مَيِّت) في القرآن مجازاً في خمسة مواضع ، وحققة في ستة مواضع .
تعقيب:

وقد يسأل سائل: لماذا اختص (مَيِّت) المشدد الوسط بالحي الذي سيموت ؟
ولماذا اختص (مَيِّت) الساكن الوسط بمن كان حياً فمات فعلاً؟
والجواب:

قد تكون هيئة اللفظ - والله أعلم - لها مدخل في هذا الاختصاص في الموضعين:
فالمشدد الوسط: (مَيِّت) فيه حركة صاخبة، وشدة ملحوظة عند النطق به، وهذا يناسب الحياة بما فيها من قوة ونشاط .

أما (مَيِّت) الساكن الوسط: ففيه رخاوة وضعف يلحظان - كذلك - عند النطق ب(مَيِّت) وهذا يناسب الموت بما فيه من انقطاع الحركة والنشاط وليس هذا بيدع فما أكثر الكلمات التي بينها هيئة ونطقاً، وبين معناها تلازم وتلاحم .. (ونؤكد أن هذا هو المنهج أيضاً في الرسم القرآني).

(وبعد هذا العرض نستخلص أن المَيِّت في قوله (بلدة مَيِّتاً) يراد بها ساكنيها أيضاً) (أى الأحياء على الحقيقة)، وأن (مَيِّتاً) بالسكون يراد به الأرض على الحقيقة وليس هناك أى احتمال لأن يكون المراد منها ساكنيها) يخرج المَيِّت من الحي:

عرفنا مما تقدم أن القرآن يطلق على الحي الذى مصيره الموت كلمة (المَيِّت) بتحريك الياء وتشديده، ويطلق على من كان حياً ثم فعلاً مات فعلاً كلمة (المَيِّت) بسكون الياء؛ وهذا مطرد في لغة القرآن الكريم، لا يقبل جدلاً. وقد اشرنا من قبل أن هذا الفهم من شأنه أن يحسم خلافاً قديماً وما يزال قائماً بين مفسرى القرآن وغيرهم حول آيات وردت في القرآن الحكيم تدور وتكرر حقيقة واحدة هى: إخراج المَيِّت من الحي، إخراج الحي من المَيِّت وتلك الآيات هى:

آل عمران ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)...﴾

الانعام ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾...﴾

يونس ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾...﴾

الروم ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

هذه هى الآيات الأربع التى تحدثت عن هذه الحقيقة الإلهية، ذكرناها كاملة -وأحياناً- مع جارها- كما فى آية آل عمران-، لأن المقام يقتضى ذلك لما لهذه الآيات -بطولها- من صلة بالمعنى الجديد الذى هدينا، إليه راجين الله أن نكون له موفقين فيه وأن يكتب له القبول عند أهل العلم وصالحى المؤمنين.

مذهب المفسرين فى الموضوع:

حاول المفسرون تفسير هذه الحقيقة الإلهية وذكروا فيها أقوالاً مختلفة. وفيما يأتى بعضاً من أقوالهم فى آية (آل عمران) لأنها أول آية فى المصحف الشريف تتكلم عن هذه الحقيقة

الإلهية العظيمة وبعد الفراغ من ذكر أقوالهم نذكر المعنى الجديد الذى هدينا إليه:
يقول أبو السعود (وتخرج الحى من الميت) أى: تنشيء من موادها، أو من النطفة، وقيل:
تخرج المؤمن من الكافر {وتخرج الميت من الحى}، أى: تخرج النطفة من الحيوان، وقيل
تخرج الكافر من المؤمن.

وذكر ابن عطية أقوالاً مشابهة ثم قال: واختلف المفسرون فى قوله تعالى {وتخرج الحى
من الميت}؛ فقال الحسن معناه: تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن
وقال عكرمة: هو إخراج الدجاجة - وهى حية - من البيضة - وهى ميتة - ، وإخراج
البيضة، وهى ميتة ، من الدجاجة وهى حية.

وقال النسفى {وتخرج الحى من الميت}، أى: الحيوان من البيضة، أو الفرخ من
البيضة أو المؤمن من الكافر و{تخرج الميت من الحى} النطفة من الانسان أو الكافر من
المؤمن.

ويقول الشوكانى: {وتخرج الحى من الميت} تخرج الرجل الحى من النطفة الميتة
{وتخرج الميت من الحى} تخرج النطفة الميتة من الرجل الحى أو هى البيضة تخرج من
الحى وهى ميتة، ثم يخرج منها الحى أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
ويتابع الطاهر بن عاشور وهو من المفسرين المعاصرين - يتابع ما قاله المفسرون
الأقدمون، فيقول: وإخراج الحى من الميت هو إخراج أطفال الحيوان من النطفة ومن
البيض، فالنطفة أو البيض تكون لا حياة فيها، ثم تتطور إلى الشكل القابل للحياة ثم تكون
فيها الحياة وإخراج النطفة والبيض من الحيوان.

فالطاهر بن عاشور لم يأخذ عن المفسرين إلا هذا القول، وترك ما عداه كإخراج
المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وكأنه لم يرتضى تلك الأقوال التى أعرض عنها، وهو
على حق فى ذلك.

والذى أعتمده الطاهر بن عاشور قول صحيح فى جملته ولكن طريقة تفسيره لا تصح.
وابن عاشور وغيره اعتبروا النطفة والبيضة ميتتين ، وهذا هو مكمّن الخطأ فى
التفسير، وقد وجد بعض خصوم الإسلام مدخلاً للطعن فى صدق القرآن بناء على هذا
التفسير ، وقد أشار الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله فى فتواه إلى بعض طعون هؤلاء
الحاقدين ، ذلك أن العلم الحديث أثبت أن للنطفة والبيضة حياة كاملة تليق بتكوين
كل منهما فراح هؤلاء الحاقدون يحاولون أن يشككون فى صدق القرآن متخذين من
التفسير المذكور مدخلاً لطعونهم على كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه .

والواقع أن القرآن (لا ريب فيه) وهذه الطعون لا تصدق عليه ، فالقرآن لم يقل أن الحى هو الحيوان وأن الميت هو النطفة والبيضة ، وأما هذه اجتهادات مفسرين وهم بشر يصيبون ويخطئون، أما النص القرآنى فهو فوق هذه التصورات الاجتهادية والأوهام الحاقدة والآن نعرض على القارئ المعنى الجديد الذى هدينا إليه واطمأنت قلوبنا به وركنت نفوسنا إليه واقتنعت به عقولنا .

المعنى الجديد:

عرفنا مما تقدم أن القرآن الحكيم استعمل كلمة (ميت) فى من كان حيا حياة حقيقة ثم مات موتا حقيقيا ففارقت روحه بدنه ، وأنه استعمل كلمة (ميت) بتحريك الياء وتشديدها فى من هو حى سيموت يوما ما . فإذا أخذنا بمنهج القرآن فى هذا الاستعمال المطرد ، ولا بد لنا من الأخذ به ، كان معنى (يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى) هو توالد من الآباء والأمهات أيا كانوا من بنى آدم أو من غيرهم ، وحمله على الآدميين أظهر وأشهر . الآباء والأمهات حين يتوالد عنهم أبناءهم ذكور واناث يوصفون حسب منهج القرآن الحكيم بأنهم ميتون ؛ أى أحياء مصيرهم الموت ، والأبناء حين يولدون يصدق عليهم قطعاً أنهم أحياء ، ثم أن هؤلاء الأبناء لما كان مصيرهم مصير آبائهم وأمهاتهم فى أنهم احياء مقيدين عليهم بالموت فأهم يصدق عليهم ماصدق أصولهم ، فقال فى شأنهم (ويخرج الميت من الحى) ، وهكذا يحكم الله سننه فى عبادته ؛ فليس منهم أحد خالداً لا من كان عهده بالحياة أقدم وهم الأبناء والأمهات، ولا من كان عهده أحدث وهم الأبناء ، فكل منهم يحمل وصفين وهما حياة ثم موتا لاحقا .

وقدمت حياة الأبناء (يخرج الحى من الميت) لأنهم أحدث حياة وأبقى فى الأغلب من أصولهم . وقدم موت الأصول (من الميت) على موت الفروع فى الشق الثانى من الآية (ويخرج الميت من الحى) لأنه أسبق من موت الأبناء فى الأغلب .

وهذا التكرار فى الحى والميت والتقدم والتأخير فيهما يسميه البلاغيون (العكس والتبديل). وهذا الفهم المنبثق من خصائص الاستعمال اللغوى فى القرآن أولى بالاعتبار للأسباب الآتية :

أولاً: لأنه يسد منافذ الطعن فى صدق الترتيل الحكيم، ويحكم قبضة الدفاع عنه إحصائياً يستحيل على أهل الزيف والهوى اختراقه .

ثانياً: لأنه يليق بمقام التمدح الإلهى وجلال قدرته وبديع صنعه وحكمة تصرفه فى خلقه وتبدل أحوالهم.(والآيات تتحدث عن أن الأيام دول ولا يبقى على حاله لا يتغير إلا الله).

ثالثاً: لأنه إجراء للدلالة اللغوية في القرآن في كلمتي: (الميت) و(الميت) على نسق واحد في هذه الآيات الأربع والآيات الأخرى التي وردت فيها.
 رابعاً: لأنه لا يمنع منه مانع قط، فضلاً عما يتضمنه من مزايا وأولويات.



وهنا نكمل ما بدأه أستاذنا العظيم من عرضه الرائع والمتع الذي يتمشى مع منهج القرآن الكريم وجلال وعظمة الرسم العثماني للكلمة بكل دقة وإعجاز واقتدار .. ونقول: لكن يعكّر على هذا العرض أن هذه الآيات التي قرئت (ميت) قرأها آخرون (منهم الإمام جعفر..) (ميت) والعكس بالعكس أيضاً .. وهذا يجعلنا في حيرة !!
 وقد كنت في أحد الدروس في المساجد أقول: أن لا يجوز أن أقول (حرمت عليكم الميتة) بتشديد الياء ، والتي تقرأ في رسم المصحف - بالسكون - لأننا قد علمنا - من الشرح السابق أن (ميت) بالتشديد تعني (الحى الذى لم يمّت بعد) ، وبذلك لو قلت حرمت عليكم (الميتة) بالتشديد فإنه يحرم على أكل (الحيوانات الحية) - التي لم تمّت بعد - أو ذبحها - ، وهذا محال ولم يقصده النص القرآني ولا التشريع الإسلامي،، ونقلت ما نقله الإمام الألوسى - فوق ما قاله د: المطعنى وهو قوله: وفي كليات أبي البقاء الكفوي (الميت) بالتخفيف هو الذي مات ، و(الميت) بالتشديد والمات هو الذي لم يمّت بعد ، وأنشد : ومن يك ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل.

وكان الإمام على بن أبي طالب يقول: إشتري (ميت) من (ميت) داراً حدها الشرقى كذا .. والغربى كذا.. (وهو يكتب عقد بيع وشراء بين إثنين أحياء).

ولكن الذى حدث بعد هذا الدرس أن ثارت نائرة أحد الأخوة من دارسى علم القراءات - فى المسجد - وقال كيف تقول ذلك وقد قرأها (جعفر وغيره) على غير رسم المصحف. فقلت له : عندنا قاعدة علمها لنا أئمة القراءات أنفسهم وهى : أنه إذا اختلفت القراءتان - فى عدد من الصور للكلمة الواحدة - هنا نتحاكم سويًا إلى قراءة (أجمع عليها القراء) ، وبعدها نصير باقى القراءات عليها.. وهذه قاعدة عظيمة ومعقولة وتتجاوب مع العقل والنقل.

وبناءً على ذلك نعود للتحاكم لإحدى الآيات التي سردناها وهى فى سورة الأنعام - وقرئت (ميت) بالسكون - وقد أجمع القراء على هذه القراءة بالسكون .. والآية هى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلٰى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ (ميتة) فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)﴾ الانعام.. وهنا نستمع لأقوال

علماء التفاسير - رغم وضوح المعنى - ولكن نسرده سريعاً ما قالوه: وعلى سبيل المثال ما قاله الإمام الزمخشري: كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب: ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث، وما ولد منها ميتاً اشترك فيه الذكور الإناث. ((أى ما ولد بلا روح = والذي كتب هنا - وأجمع عليها علماء القراءات - بلفظ (ميت) بالسكون - كما هو في الرسم)).

وهذا يتضح صحة ما قاله الدكتور المطعني - وعظمة وروعة ودقة الرسم العثماني وهيمته وتحكمه - هذا الذي يطعن فيه بعض العلماء - لقصر باعهم. - والذين ندعوهم للوقوف على مثل هذه الإشارات ليراجعوا أنفسهم ويغيروا منهجهم في البحث؛ وخاصة في رسم المصحف الذي لم يعطوه الحق الكامل والوقت الكافي الذي أعطوه لعلم القراءات - رغم تواتر الرسم العثماني من لدن جميع الصحابة -.

ولذلك ما أروع ما أشار إليه حبر الأمة وغيره في تفسير الآية (الحجرات): ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) ﴾

وقد كتبت (ميتاً) بالسكون - في رسم المصحف - ولكنها من الآيات التي قرأها جعفر وغيره بخلاف هذا الرسم - ولنسمع ما قالوه: ونبدأه بقول الزمخشري الموضح توضيحاً لالبت فيه - مصطحباً معه آراء أعلم الأمة - فيقول: ... تمثيل وتصوير لما يناله الغتاب من عرض الغتاب على أقطع وجه وأفحشه . وفيه مبالغات شتى : منها الاستفهام الذي معناه التقرير . ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحجة . ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحداً من الأحدين لا يجب ذلك . ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان ، حتى جعل الإنسان أحاً . ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتاً . وعن قتادة : كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها ، كذلك فأكره لحم أخيك وهو حي (أى بغيبته وهو حي) . وانتصب { مَيْتًا } على الحال من اللحم . ويجوز أن ينتصب عن الأخ . وقرئ : «مَيْتًا» !! ثم يكمل: ولما قرّرهم عز وجل بأن أحداً منهم لا يجب أكل (جيفة) أخيه .. لاحظ الحديث كله عن الجيفة واللحم الميت، .. مع ملاحظة ما يقوله ابن عباس من أن هذا النص جمع الكراهية (أى: بالتحريم) مع القبح والبشاعة (بأكل لحمه وهو جيفة) .. ويقول الإمام أبو حامد الغزالي: فإذا رأى العبد في منامه أنه يأكل جيفة إنسان ميت فليعلم أنه سيقع في عرض أخيه - أى يغتابه - لأن المملأ الأعلى ينشغل بتأويل النص القرآني .. نكتفي بهذا.

والملاحظة الأهم هي: أنه في علم القراءات - كما نقل صاحب كتاب (العنوان في القراءات السبع - يقول: ولا خلاف في تخفيف قوله (بلدة مَيِّتاً) حيث وقع ، وفي تشديد قوله (وما هو مَيِّت) و ثم (إنكم بعد ذلك لمَيِّتون) و (إنك مَيِّت وإهم مَيِّتون).
 وحين التأمل في هذه الآيات المذكورة: (وما هو مَيِّت) نجدُها (مشددة الياء) وتتحدث عن (الحى) الذى يعذب فى جهنم الذى يتمنى الموت (الذى هو فناء الروح) ولا يجده .. فهى لا تتحدث عن شخص مات بالمعنى المعلوم لدينا (المفارق للروح) بل هو حى فى جهنم

والآية الثانية : ثم (إنكم بعد ذلك لمَيِّتون). وهى بالتشديد أيضاً- ولا يخفى على القارئ أنها تتحدث عن أحياء ما زالوا على قيد الحياة فى هذه الدنيا.
 وهكذا قوله فى الآية الثالثة: (إنك ميت وإهم مَيِّتون).

أما بخصوص آيات الأرض (الميت) .. فهنا ملاحظة هامة جداً تفسر الذى أغلق علينا من إشارة د: مطعنى بأن (مَيِّت) كتبت بالتشديد بالنسبة للأرض نظراً لقوله تعالى (سقناه (ل) بلد .. أو (إلى) بلد.. ناظراً إلى كلمة (السوق) وإلى حرفى اللام وإلى .. وهذا ملحوظ جميل ولكن غير واضح المعنى والسبب .. ولكن بإمعان النظر فى سياق الآيات نجد أن : كلمة ((مَيِّت) التى كتبت بالتشديد تأتى مع كلمة (بلد) بلفظ التذكير ... وكلمة (مَيِّت) بسكون الياء تأتى مع كلمة (بلدة) بلفظ التأنيث (لنجى به بلدة مَيِّتاً... فأنشرنا به بلدة مَيِّتاً... الأرض الميتة .. وأحيينا به بلدة مَيِّتاً).. وكما قال علماء القراءات (ولا خلاف فى تخفيف قوله (بلدة مَيِّتاً) حيث وقع .. وهذا يقربنا من هذا المعنى الذى هدى إليه د: مطعنى .. على أن يكون المشدد للأحياء من البشر الساكنين لهذه البلدة .. ويكون لفظ التذكير فى (بلد مَيِّت) يعنى ساكنى البلدة من الأحياء المتحركين - البشر أو الحيوان والطيور - وهم يستحقون (سقناه (ل) بلد .. أو (إلى) بلد.. ناظراً إلى كلمة (السوق) وإلى حرفى اللام وإلى... ويكون لفظ التأنيث (الأرض الميتة .. وأحيينا به بلدة مَيِّتاً) خاص بالأرض - الجماد - وليس بساكنيها- ويظل بذلك المعنى - كما ذكرناه - على الحقيقة ..

مع اعتبار أن الأرض الجماد ليس فيها روح فتكتب (مَيِّت) ، وساكنى الأرض فيهم الروح فتكتب (مَيِّت) .. ودليل التفرقة هذه فى قوله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِي كَثِيرًا (٤٩) ﴾ حيث فرق بين البلدة (بالتأنيث) وقال

عنها بالسكون (ميتة) وهو هنا لا يقصد ساكنيها بدليل قوله بعدها: وَسَقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَاسِي كَثِيرًا (وهؤلاء - الأحياء من البشر والأنعام - لا يدخلون في مسمى (بلدة ميتة) بالسكون التي ذكرها في أول الآية فاصلاً لها عن (الأناسي)).

مع ملاحظة الإعجاز البلاغي في التفرقة بين (سقناه لبلد) و (إلى بلد) .. كنا قد تناولناها في سلسلة كتب الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم) .. فآية الأعراف سياقها دعاء من عباد الله الصالحين فاستجاب الله لدعائهم - (ل) - وساق السحاب (لهم) فيناسبها حرف اللام (العلة) .. مع ملاحظة أن الحديث في هذه الآية وآية فاطر التالية عن البشر وليس عن الأرض .. وإليك سياق آية الأعراف: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا تَقَالًا سَقْنَا لَهُ مِمَّنْ قَدْ لَبِثْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ كُلَّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾

ولكن السياق في سورة فاطر ليس سياق دعاء واستعطاف وإرسال الله السحاب بالخير بشرى لهم .. بل إن الأمر يختلف في فاطر حيث أن السياق سياق تهديد لهم وإعلامهم أن يد القدرة ستصل (إليهم) أينما كانوا - زماناً ومكاناً - على وجه الأرض أو وهم في القبور فسوف يبعثهم - البشر الكافرين - .. وانظر إلى السياق والذي يناسبه (إلى) ولا يناسبه (اللام) هكذا: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّمْ يَضِلْ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاَهُ (إلى) بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (كَذَلِكَ التَّشْوِيرُ) (٩) مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا (إِلَيْهِ) (يَصْعَدُ) الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ (يَرْفَعُهُ) وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ (عَذَابٌ شَدِيدٌ) وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ (يُورُ) (١٠) ..﴾ لاحظ الكلمات التي بين الأقواس ، ولاحظ أيضا (إليه يصعد .. ويرفعه) .. والكلام أيضاً عن البشر وليس عن الأرض ، وعن يد القدرة التي ستصل (إليهم) - وكل هذه السياقات لا يناسبها إلا حرف إلى وليس اللام ، وكلمة (ميت) المشددة - أي الحي الذي سيموت - وهم هنا البشر.

وملاحظة أخرى: أن آيات الأرض (الميتة) بالسكون فقد لوحظ السياق في الآيات قبلها أو بعدها تتحدث عن هلاك وإبادة للأمم السابقة ببلادهم، وعن قدرة الله على البعث

والنشور والخروج .. وليس عن تعداد النعم^(١) وهذه لها ملحظ آخر في كتبنا الإعجاز القصصى والتكرار في القرآن الكريم.

والخلاصة الهامة بعد هذا الإسرد المفصل هي:

أنه لا يمكن لنا أن نقرأ (ميت) بالتشديد (ميت) بالتخفيف، وأن هذا الرسم هو المهيم على وجوه القراءات بل هو الموجه لها - عكس ما يصوره علماء القراءات - وهو الذى يتناغم مع باقى وجوه الإعجاز فى اللفظ القرآنى الذى تحدى به فطاحل اللغة والبيان بل ومع جرس الكلمة (ميت) بالتشديد - الذى فى نطقه الحركة والشدة يتناسب مع الحى الذى فيه نفس الصورة .. و(ميت) بالسكون والذى يوحى بالخمود حال النطق بهما يتناسب أيضاً مع سكون وهمود الموت الحقيقى وصورة الجثة الهامدة.



ونكتفى بهذا القدر لنسوق دليلاً آخر على هيمنة الرسم القرآنى على علم القراءات أيضاً وهو:

الرياح .. "الرَّيْحُ"، الغمام .. أَلْغَمَم

وقبل أن نبدأ فى مناقشة حذف الألف ووضعه وعلاقته بالعجاز البلاغى وغيره نتعرف على وجهة نظر علماؤنا القدامى فى توجيه هذا الرسم وهو: أَمَا رَسَمْتَ (لرَيْح) بدون

(١) مثال: الزخرف ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) ... وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) ﴾. ولاحظ: كذلك تخرجون . من القبور والموت الحقيقى
وكذلك آية (ق) ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) ﴾

وهكذا الحال فى سورة يس: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُنَّا لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُخْضَرُونَ (٣٢) وَأَيَّةَ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) ﴾ وكذلك فى سورة الفرقان: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) نُحْيِي بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَاسِي كَثِيرًا (٤٩) ... ﴾ هنا ذكر مشهد الأرض فى أقل درجتها - وهى حالة الموت الحقيقى - لتناسب ورود قوله تعالى (ماء طهوراً) - الذى يحى أصعب درجات الموات - بخلاف الماء العادى - بدون هذا الوصف الطهور - الذى يناسبه الأرض العادية - وهو نوع من التناسب والتناسق العجيب فى النص القرآنى قد تعودنا عليه كثيراً .. ولكل فعل رد فعل مساوئ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه.

مع ملاحظة قوله: (ماء طهوراً) ومناسبته لقوله ﴿ .. وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا "وَأَنْعَاسِي" كَثِيرًا ﴾ فناسب (الطهور) ذكر قوله (أناسى) بلفظ التخميم والتشريف لهذا الإنسان

والملاحظة الأخرى: أن كلمة (بلدة ميتاً) بالتأنيث .. تعنى أحياناً (ساكنى البلدة، كما فى قوله تعالى: واسأل القرية، أى: أهل القرية)، ولكن هنا فى هذه الآية لاتعنى ساكنى البلدة من البشر أو الأنعام، ولكنها تعنى فقط الأرض على الحقيقة، بدليل عطف الأنعام والأناسى على قوله بلدة ميتاً، فهى هنا بمعنى الأرض الجماد الذى هو فى حالة موات على الحقيقة.

ألف - مثل حذف "الألف" في "ملك" - رمزا إلى تعدد القراءات؛ فكلمة "الزَّبِيح" في قوله تعالى: في سورة الكهف: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ مِنْ أَرْضِهَا فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الزَّبِيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ فقد حذف "الألف" من "الياء" بعد "الراء" ولم يكن حذفه عبثا بل له دلالة تبصر القارئ لكتاب الله العزيز بأن في كلمة "الزَّبِيح" قراءتين: فالقراء تباينت قراءاتهم في كلمة "الزَّبِيح" حيث وقعت ، فمنهم من قرأها في جميع مواضعها في القرآن بالجمع وهو أبو جعفر إلا موضعا واحدا (السادس عشر في سورة الحج الآية ٣١) فقد قرأه بالجمع والإفراد.. وقرأ ابن كثير بالجمع في أربعة مواضع منها آية الكهف هذه .

فبين من ذلك أن كلمة "الزَّبِيح" في آية الكهف تواردت عليها قراءتا الجمع والافراد، وهي في المصحف بالجمع على قراءة عاصم وغيره ، ثم رمز إلى قراءة الافراد بحذف "الألف" فجاء رسم الكلمة في المصحف صالحا للقراءتين بعد حذف "الألف" والاستعاضة عنه بشرطة صغيرة رأسية فوق "الياء".

ووجه الجمع هو اختلاف جهات الرياح شمالية جنوبية أو العكس واختلاف صفاها شديدة لينة حارة باردة.

أما وجه الإفراد فإن الريح جنس عام يصدق على ما يندرج تحته من أفراد (كما يقول النبي (ص): أهلك الناس الدينار والدرهم .. وهو يقصد جنس الدينار والذي ربما يكون ملايين الدينارين). فحذف "الألف" في "الزَّبِيح" كحذفه في "ملك" كان القصد منها الرمز إلى هذا المعنى اللطيف الذي أشرنا إليه من قبل ، وأضاف الدكتور المطعني قوله: ليس في كتاب الله العزيز شيء يخلو من الدلالة، ولكن هذه الدلالات تفتقر إلى تفكير وتأمل ، وقد يغيب عنا بعض منها وليس معنى هذا الخلو من الدلالة ، ولا يكون جهلنا بها دليلا على انعدام الدلالة، لأنه كتاب لا تنقضي عجائبه.

♠♠ ((وهنا نقف وقفة ونذكر القارئ أن كلمة (رياح) بالجمع وردت في كل القرآن بدون ألف - كما أشرنا إلى قى موضع واحد - وهو في سورة الروم - والتي ورد فيها الرسمين لكلمة الرياح (بالألف وبدون الألف) - في نفس السورة وفي نفس الصفحة - هكذا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَجْتَفُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) ﴾ .. وبعدها مباشرة .. ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ السَّحَابَ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا

أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) .. وهذا من عجائب الرسم في القرآن الكريم وكان لابد من الوقوف عليه والتساؤل لماذا؟.

وبعد استعراض الآيات التي وردت فيها كلمة (الرياح) بالجمع - بدون ألف - اتضح أنها تكتب بدون ألف في الحالات الآتية :

(١) إذا ورد لفظ الجلالة ظاهراً ومشاراً إليه مثل: (الله) أو (هو) أو (إننا) أو (نحن) - مشيراً إلى ذاته العلية - أو (أرسلنا) - مشيراً أيضاً إلى لفظ الجلالة أيضاً بأسلوب الخطاب (المباشر) وبالجمع المفيد للتعظيم - .

(٢) وإذا كان السياق فيه استعراض (لقدره الله) على البعث والنشور و... ولم يكن المقصود من السياق (هو تعداد النعم والرحمات لجلب الشكر) مثل "لعلكم تشكرون" ... نلاحظ في كل هذه الحالات المذكورة أن كلمة الرياح لا تظهر فيها الألف .

وذلك على خلاف قوله تعالى في سورة الروم (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ) .. فقال (ومن آياته) ولم يقل (الله أو ...)؛ وهنا - في هذه الآية - نلاحظ أنه:

(١) ليس المقصد من الآية هو عملية الإرسال للرياح وما وراء عملية الإرسال من الإدلال بقدره الله وعلمه المحيط .

(٢) وأنه في سياق هذه الآية نجد بعدها أن المولى يعدد النعم التي تخرج من هذه (الآيات) - بلفظ الجمع - وهي كالاتي:

(١) مُبَشِّرَاتٍ - قيل بالمطر - .
(٢) وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ - أى بالمطر - (وهنا يذكر نوع من الرياح التي تحمل المطر) ..
ثم يذكر ريح أخرى بمبشة أخرى وهي:

(٣) وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ (٤) وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ (٥) وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) ..
ويقول أبو السعود: { وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ } وهي المنافع التابعة لها وقيل : الخصب التابع لتزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها .. { وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ } بسوقها {بأمره ولتبتغوا من فضله} بتجارة البحر { ولعلكم تشكرون } ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة .

وكما قال الرازي: المسألة الأولى: في الترتيب فنقول في الرياح فوائد ، منها إصلاح الهواء ، ومنها إثارة السحاب ، ومنها جريان الفلك بها فقال : { مبشرات } بإصلاح الهواء فإن إصلاح الهواء يوجد من نفس الهبوب ، ثم الأمطار بعده ، ثم جريان الفلك فإنه موقوف على اختبار من الآدمي بإصلاح السفن وإلقائها على البحر ، ثم ابتغاء الفضل بركوها .

وبعد هذا العرض من أقوال المفسرين نقول : أن المشهد الملحوظ هنا في هذه الآية هو مشهد تعدد وتكرار النعم في (تعدد أنواع الرياح) (والتعدد والتكرار دائما - في رسم المصحف - يظهر فيه الألف) هذه واحدة .. وأما الأخرى فهي: أن لتعدد النعم وتعدد الوظائف للرياح إشارة إلى أنها ليست ريحاً واحدة - وبذلك لاتصح (عقلاً) أن تكون بالإنفراد؛ وكذلك لاتصح نقلاً ؛ حيث أنها لاتوجد لها قراءة أخرى إلا قراءة الجمع هذه وهذه إشارة خطيرة تبين دقة وعظمة هذا الرسم الذي لم يرسمها كباقي أخواتها أو حتى الآية السابقة لها بدون ألف !! .

ونرى أيضاً رأياً آخرأ ، نعرضه للقارى - يحتمل الخطأ والصواب - وهو : أن أقوى جند الله في الأرض هي الرياح - كما ذكر في الأثر المروى عن الإمام على بن أبي طالب - .. وبعد استقراء الآيات وجدت ملاحظة وهي: أنه إذا ذكر لفظ الجلالة "الله" - الله الذى أرسل الرياح- أو هو(وهو الذى يرسل الرياح) أو إنا- صراحة - أو بالتعبيرات التى ذكرناها مع (الرياح) بدون ألف - لاحظنا أنه لاتقم للريح قائمة (فلم تظهر الألف) . - وكأنه إشارة إلى خضوع أقوى شىء في الكون لله وخشوعه وانكساره. (وهذا يتناسب مع حال ظهور الله عز وجل في سياق الآيات التى ذكرناها والتى لايقف أمامها أقوى قوة على ظهر الأرض (الرياح) فلا تقم لها قائمة ولا ترسم بالألف). وهذا بخلاف التعبير (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ) فهو سبحانه لم يظهر في الصورة هنا بنفسه ، ولكنه تظهر آياته - وهى آيات رحمة - وهى التى (أظهرها) لنا سبحانه - فحق للألف أن تظهر في هذه الآية (الرياح).

وهذا التفسير ليس ببعيد .. فقد عشنا معه في بلاغة النص القرآنى - في كلمة (الغمام .الغمام) بالألف وبدون ألف .. ورأينا في دراستنا لنصين متشابهين ويكاد أن يكونا متطابقين ولكنهما اختلفا في رسم الكلمة هكذا:

(١) ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧) البقرة

(٢) ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَنتَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧) البقرة

وقلنا حينها: أن الداعى لهذا الرسم هو سياق الآيتين : ففى الآية الأولى (خطاب مباشر لهم من الله (أى: مواجهة) - وَظَلَّلْنَا - نحن - عَلَيْكُمْ - أى أُنتم - وناسب ظهور الله هنا - ظهور الغمام أيضاً - بظهور الألف - .

بخلاف النص الثانى (وَظَلَّلْنَا - عَلَيْهِمْ - هم بصيغة الغائب - الْغَمَامِ) فالخطاب بلفظ الغيبة وليس الخطاب المباشر والمواجهة - ويتناسب ويتناغم لفظ الغيبة مع غيبة الألف ، ولفظ الظهور مع ظهور الألف (وهنا يغيب رمز الألف دلالة على انكماش الغمام .. مع خطاب الغيبة فى لفظ الجلالة) . - وراجع بحث الغمام - . والأمثلة كثيرة على ذلك .. ومنها (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا (نحن) ... ظهور لله و خطاب مباشر (نزلنا فأتوا) ولم يقل (قل فأتوا) ، ، .. وبلغة الجمع للتعظيم والتفخيم .. ولذلك سيكون التحدى هنا قوياً) ... مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ (من) مثله وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (فهذا أقوى أنواع التحدى؛ حيث قال فأتوا بسورة (من) مثله - بخلاف آيتى يونس وهود حيث قال (قل فأتوا بسورة مثله) .. والتحدى الأقوى الثانى هو (فإن لم تفعلوا ولن.....فأتوا... للكاافرين).....وهذا بخلاف آيتى يونس وهود - الأضعف فى أسلوب التحدى - لأن الحديث ليس فيه ظهور لله المباشر والتحدى بالمواجهة (نزلنا) - التى فى آية البقرة- ولكنه قال (قل .. أى يا محمد) هكذا : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ ((قُلْ)) فَأْتُوا بِسُورَةٍ مثله وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) يونس... وفى هود: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ((قُلْ)) فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مثله مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤) ﴿ ... لاحظ فى الآيتين انخفاض نبرة التحدى مع عدم ظهور الله المباشر - كما فى آية البقرة - . وهكذا أمثلة كثيرة تراجع فى سلسلة كتبنا(الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن)

ولكن يبقى سؤال هام وهو:

أنت قلت أنه حينما كان الله ظاهراً فى الصورة ظهرت الغمام (وظهر فيها الألف) .. وهذا كلام مناقض لقولك السابق فى الرياح .. حيث أنك قلت عكس ذلك وهو : أنه إذا ظهر الله فى الصورة إختفت الرياح ولم تقم لها قائمة (واختفى الألف- ولم يظهر كما فى الغمام) والعكس بالعكس . فلماذا؟

وهذا سؤال وجيه وملاحظة هامة .. والحقيقة أنه ليس هناك تناقض بل هناك إعجاز .. حيث أن هناك نصوصاً في القرآن تقول أن الله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم في ظلل من الغمام والملائكة) . إذن يكون من الطبيعي أن يرتبط ظهور الله بظهور الغمام - ومعلوم أن الغمام بشير خير وغماء وتظليل - بخلاف الرياح ((القوية والمزججة ، التي يناسبها التطامن والخضوع والانكسار مع ظهور الله عز وجل)).

وهذا يناسب باقى المشاهد التي يرسمها القرآن في حال ظهور رب العزة ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨) . و﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (٦٨) وغيرها وإليك نص الآيات - عن الرياح بدون ألف - لمراجعتها:

(١) ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْتَخْرِجِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤) البقرة.. الآيات فيها إظهار القدرة .. وآيات لقوم يعقلون .. وليس تعدادا للنعم للشكر عليها. - والقدرة تحتاج الريح الواحدة والقوية في الاتجاه (وهكذا في الآيات التالية):

(٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٧) الأعراف.. ونعمة واحدة بلا تعدد كماها تحتاج لنوع واحد من الرياح يناسبها.. وإظهار قدرته على إخراج الموتى بضرب هذا المثل .. ولعلكم تذكرون (وليس تشكرون).

(٣) ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَاقِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)﴾ (٢٢) - أى ليست لكم القدرة على تخزينه - وبعدها: وَأَلَّا لَنَحْنُ لِنُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) الحجر.. وهى ليست لتعدد النعم بل لبيان القدرة.

(٤) ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (٤٥) ،، وهى للقدرة أيضاً.

(٥) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا، ، الفرقان... للتذكر والإنذار.. ولإثبات البعث بدليل إحياء الأرض بعد موتها.

(٦) ﴿أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَنْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)﴾ وكلها مساقفة لإثبات القدرة والعلم، وبأسلوب استفهام تقريرى.

(٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسُطُّهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)﴾. الروم. وبعدها: ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا... تلويح بالقدرة وإنذار ووعد.

(٨) ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)﴾. دليل القدرة على الإحياء.

(٩) ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُنَلِّهُمَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ قُبَايَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيُنَزِّلُ لِكُلِّ أَقْصَابٍ مِنْهَا مَاءً سَائِغًا وَجَارًا (٧)﴾. الجاثية. وسياق تهديد واستعراض للقدرة أيضاً.

**وتأتى الآية الوحيدة المتفردة بإظهار الألف في (الرياح) وهى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)﴾. الروم. وهنا واضح تمام الوضوح أن السياق ليس لاستعراض القدرة أو لإظهار العلم ، بل السياق سياق تعداد النعم (لعلكم تشكرون) - كما شرحنا من قبل - وهنا لا يكون ولا يجوز إلا قراءة الجمع (الرياح) التى لا بد من إظهار الألف فيها ، لعدم احتمال قراءة الأفراد ، وللا انسجام والتناغم مع حديث المصطفى (ﷺ): اللهم اجعلها (رياحا) ولا تجعلها (ريحا) - فى حال الخير والرخاء.

كَرْهًا وَكَرْهًا

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا .. (١٩)﴾ يقول الطاهر: وقرأ الجمهور : كرها بفتح الكاف ، وقرأه حمزة ، والكسائي وخلف بضم الكاف وهما لغتان

يقول الألوسى: وقرأ حمزة والكسائي { كَرْهًا } بالضم فى مواضعه ، ووافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب فى الأحقاف ، وقرأ الباقون بالفتح فى جميع ذلك ﴿قُلْ أَلْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)﴾

((وهنا نجد أن الآيات التي قرئت بضم الكاف هم ثلاثة آيات.. هذه الآية .. وآية الأحقاف (في الحمل والولادة) وآية القتال في البقرة... ولكن الملاحظ أن آية النساء أقلهم في الإجماع على حالة الضم (أى عدد الذين قرأوها بالضم قليلون) وهذا فعلاً يتناسب تناسباً رائعاً مع ترتيب الكراهية للمرأة في واقع الحياة كالاتى:

أولهم: في حال الزواج (لا تراثوا النساء كرها)..

وثانيهم " وحالة الولادة بعد الحمل ..

وثالثهم: حالة الجهاد (لم يقرأها إلا السلمي فقط) بالفتح.. كما ذكر الرازى.. مما يتناسب مع شدة الثقل في هذه الحالات بدرجاتها المختلفة التي تمثلها القراءات.. حيث أنه من المعلوم أن الضم أقوى الحركات وتحتاج إلى مجهود أعلى في النطق بها عن الفتح.

أما الآية الثانية (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١))

وأما الثالثة: أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)) آل عمران

الرابعة: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلًّا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)) الرعد

يقول الرازى: وأما قوله تعالى: { طَوْعًا وَكَرْهًا } فالمراد: أن بعض الحوادث مما يميل الطبع إلى حصوله كالحياة والغنى، وبعضها مما ينفى الطبع عنه كالموت والفقر والعمى والحزن والزمانة وجميع أصناف المكروهات، والكل حاصل بقضائه وقدره وتكوينه وإيجاده، ولا قدرة لأحد على الامتناع والمدافعة.

ثم قال تعالى: { وظلالهم بالغدو والآصال } وفيه قولان:

القول الأول: قال المفسرون، كل شخص سواء كان مؤمناً أو كافراً فإن ظله يسجد لله (٢) (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ.. (٢١٦)) البقرة

الألوسى: وقيل: المفتوح المشقة التي تنال الإنسان من خارج والمضموم ما يناله من ذاته، وقيل: المفتوح اسم بمعنى الإكراه والمضموم بمعنى الكراهة.

(٧) (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا..)

(١٥) الأحقاف... و عن أبو السعود: وقيل: المضموم اسم والمفتوح مصدر.

الطاهر: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا)

((أرى أن هذه الآية وآية الجهاد تشير بالضم إلى كره ثقيل القيمة وله ثمرة وفائدة عظيمة أيضاً (الحمل بعده ولد فيه سعادة بالغة)، والجهاد كذلك (فيه نصرة الدين والعلو والرفعة في الدارين) بخلاف الكره (بالفتح) فليس له ثمرة.. فالثقل والخفة هما في حال الفعل وثمره الفعل)).

ويقول د: المطعني: الفرق بين معني (كره) و(كُره) كما يدل عليه الاستعمال القرآني أن (كُره) بالفتح يستعمل في مقام الدلالة على المعاناة النفسية ، أما (كُره) فللدلالة على المعاناة الجسمية والنفسية معاً ((وهو ملحظ لطيف من دكتورنا المطعني))

ويكمل : ومضاعفة المعنى في المضموم تناسب (الضم).. وخفته في المفتوح تناسب (الفتح) لأن الفتح أخف من الضم، ولهذا - في اللغة - نظائر كخبر، خبر، والفرق بينهما أن (الخبر) بضم الخاء حصول المعرفة عن ممارسة ومشاهدة ، و(الخبر) حصول المعرفة سماعاً. أو (الخبر): العلم بيوطن الأمور.

ومنه فهم وفهم، يقال: فهم الرجل: أى صار الفهم ملكة راسخة عنده، بخلاف فهم الصادقة على حصول الفهم، وإن كان يسيراً لارسوخ فيه. ويكمل: أن استعمال القرآن هذا دليل على عدم الترادف بين الكلمتين.



وهكذا - كما رأينا - أن القرآن يزوج ويناسب بين اللفظ والمعنى - نجد القرآن دائماً- يستخدم اللفظ الإستخدام الأمثل ويوظف كل (كلمة) توظيفاً حكيماً ودقيقاً لا يُعْلَى عليه وذلك هو الإعجاز اللغوي.. ويضرب د: المطعني مثلاً آخر على ذلك وهو (الصوم) و(الصيام)

الذى لا تفرق كتب اللغة بينهما.. والأمر يختلف بالنسبة للإستخدام القرآني لهما هكذا- بعد استرجاع الآيات كما تعودنا:-

الصيام أريد منه تلك العبادة المخصوصة التي لا تتحقق إلا بالإمساك عن الطعام والشراب والاتصال الجنسي بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس

﴿أَحَلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ.....فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَّابِعَيْنِ﴾ (٩٢) .. وهكذا فهذه الصيامات جميعها لا بد من الكف عن المفطرات طيلة النهار، أما

كلمة (صوما) فلم ترد إلا مرة واحدة في مريم: ﴿فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِسِيًّا﴾ (٢٦) والمراد منها الكف عن الكلام فقط..

ولانزع أن الإمساك عن شهوتي البطن والفرج أمر شاق على النفس، عن الإمساك عن

الكلام.. لذلك التزم القرآن(الصيام) في التكليف الشاقة، وخص الصوم بالأمر السهل.. وزيادة المبنى (الصيام - خمس حروف) تدل على زيادة المعنى.. وإن كنت أرى إضافة لقول العلامة المطعني رأياً آخر - قد قال هو به في مكان آخر وخاصة عند التفرقة الصوتية بين (مَيْت) وما فيها من حركة ، و(مَيْت) وما فيها من السكون والهمود- وقد كان كذلك في المعنى للكلمتين.. فأنا أرى هذا شاخصاً للأبصار هنا ؛ حيث أن كلمة (صِيَام) متموجة الحركات وليس فيها سكون وصمت كلمة (صَوْم) - والتي تعني (الصمت عن الكلام).. زيادة على معنى المشقة وزيادة المعنى لزيادة المبنى الذي ذكره د: المطعني.



وهكذا كلمة (فرق) و (فرَّق)

وخلاصة بحثه الرائع هو: أن منهج القرآن في (فرَّق) المشدد هو: أولاً: استعمال (فرَّق) في الفصل بين الأجسام المركبة تركيباً عضوياً مادياً ثانياً: استعمال (فرَّق) في الفصل بين الأطراف ذات العلاقات المعنوية القوية التماسك ، وإن كانت أطرافها أموراً معنوية.

(وأقول : أنى أذكر هذا البحث وغيره الكثير الذي تركناه لضيق المقام هنا ليساعدنا أيضاً على فهم خاصية الرسم العثماني - التي تغمض عن أعين الكثيرين - وليعلموا أن نسيج الرسم القرآني هو نفسه نسيج الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم . وهذا يذكرنا برسم كلمة (طغى .. طغا) ورسمت بالألف في حالة واحدة وهي (الطغيان المادى .. طغا الماء) . أما باقي الآيات التي ورد فيها رسم الكلمة (طغى) فهي في الطغيان المعنوى (إلى فرعون إنه طغى) فليتذكر ذلك قارئنا العزيز.



أمثلة لتعدد الرسم
كما هو الحال في تعدد القراءات.

ويقول الزركشى: قال أبو العباس وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية ، وتعتبر من جهة مرتبة سفلى ملكية هي أظهر في الاسم ، فثبت الألف ، كالأواب ، والخطاب والعذاب وأم كنت من العالين والوسواس الخناس (وأقول ربما لتكرار الوسوسة والخنوس أيضاً وليس لظهوره)... وقد تكون ملكية وتعتبر من جهة عليا ملكوتية هي أظهر في الاسم ، فتحذف الألف كالحرب ، (مع ملاحظة أن الحراب مرسومة بالألف .. وذلك إذا نظر إلى وضعها المادى ، أما إذا نظر إلى وضعها الملكوتى العلوى التقديسى فيحذف منها الألف - ولهذا لامانع من وجود القراءتين - بل هو نوع من الإعجاز) ويقول الإمام الزركشى: ولأجل هذا التداخل يغمض ذلك فيحتاج إلى تدبر وفهم.

﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ، فَنُجِرَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْمِحْرَابِ، قَاتِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ ، يقول الزمخشري: قيل: بنى لها زكريا محراباً في المسجد ، أي غرفة يصعد إليها بسلم . (فهي على المعنيين : إما المادى ، أو مشهد الارتفاع بهذه الدرج أو السلم - وضع الألف - بدليل أنه حذف من المساجد ولم يوضع فيها ألف - ربما لهذا الملحظ (عدم العلو بالدرج - وأيضاً لأنها ليس لها استخدام أو معنى آخر سوى أماكن العبادة بخلاف التوسع في استعمال كلمة المحراب فهو للعبادة وغير العبادة ولكن لا توجد مساجد إلا لحالة واحدة وهي العبادة (ملكوتية) ولذلك يكمل الزمخشري: وقيل: الحراب أشرف المجالس ومقدمها (فهي لأى مجالس سواء العبادة أو غيرها)، كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس . وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحارب .

ويوضح الإمام الرازى هاتين القراءتين في تفسيره واستشهاده بأشعار العرب قائلاً: المسألة الأولى: { الحراب } الموضع العالى الشريف ، قال عمر بن أبي ربيعة :

ربة محراب إذا جئتها ... لم أدن حتى أرتقي سلما

((ولاحظ وتأمل هذا البيت.. والآية في سورة (ص) بعدها)

واحتج الأصمعي على أن الحراب هو الغرفة بقوله تعالى: { إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ } [ص : ٢١] والتسور لا يكون إلا من علو ، وقيل: الحراب أشرف المجالس وأرفعها ، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضُمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١)﴾

(ويقول الرازى: وأما الحراب فالمراد منه البيت الذي كان داود يدخل فيه ويشغل بطاعة ربه ، وسمى ذلك البيت الحراب لاشتماله على الحراب ويؤكد الإمام الطبرى هذا المعنى بقوله: والحراب مقدم كل مجلس وبيت وأشرفه.

ومنه ما يكون ظاهر الفرقان كالأخير والأشرار (الأخيار والأشرار) تحذف من الأول دون الثاني ((والملاحظ أن الأخير فقط لها قراءتان (المادى - الأرضى - والعلوى) بخلاف الأشرار التي ليس لها إلا قراءة واحدة - الأرضى السفلى - (فكتبت بالألف)

وكذلك وطعام الذين أوتوا الكتب حل لكم وطعمكم حل لهم ، ثبتت الألف في الأول - وطعام الذين أوتوا الكتب - لأنه سفلى بالنسبة إلى طعامنا لمكان التشديد عليهم فيه ، وحذفت من الثاني - وطعمكم - لأنه علوى بالنسبة إلى طعامهم ، لعلو ملتنا على ملتهم ، وكذلك كانا يأكلان الطعم فحذفت لعلو هذا الطعام .

((وهذا ملحظ رائع حيث أن طعامنا (نحن المسلمون) وطعام السيدة مريم وابنها - عليهما السلام- له قراءتان: قراءة أو رسمة بالألف كما هو في المصاحف لدينا ، وأخرى بدون الألف كما هو في المصاحف الأخرى لتعطى ملمح للقراءة الأخرى والمعنى التشريفي الآخر - بدون ألف- في طعام المؤمنين الصادقين.. وذلك بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب - بعد التحريف وتحريم أو تحليل ما لم يأذن به الله - كتب بالألف فقط)).

وكذلك الجراد والضفدع... الأول ثابت (الألف) فهو الذى في الواحدة المحسوسة . والثاني - الضفدع - محذوف لأنه لس في الواحدة المحسوسة ، والجمع هنا ملكوتي (أى لأنه على سبيل المعجزة من حيث هو آية)

(وهنا العبارة غير مفهومة .. ولذلك نزيده توضيحاً فنقول: ولكن الكلمتين كتبنا بالألف.. وذلك على اعتبار وجودهما المحسوس والمشاهد لبني إسرائيل ، ولم يكن محفياً عنهم... أما جواز حذف الألف فلا اعتبارهما آية من آيات الله على يد موسى عليه السلام.

ولكن يبقى السؤال: لماذا حذفت من (الضفادع) دون (الجراد) ؟ .. ونقول: لأن ظهور الجراد وأكله للزروع شيء معتاد ومألوف وهو ظهر بالفعل على هذه الحالة المعلومة. (ولذلك كتب على حالة واحدة - بالألف-). بخلاف الضفدع الذى ظهر في غير مكانه (وهو الماء البارد وليس المغلى كما ظهر لبني إسرائيل) وبطريقة غير مألوفة. (فكان لها الحق في القراءتين). (وأنا أقتبس قول الطبرى عند تصويبه لبعض القراءات ، أقول: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان سرورتان.

وإليك ما قاله المفسرون ومنهم الزمخشري:

فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ، (إذن هى طريقته المعلومة وفي مكانه الطبيعي) ففرغوا إلى موسى ووعده التوبة ، فكشف عنهم بعد سبعة أيام : خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب ، فرجع

الجراد إلى النواحي التي جاء منها ، فقالوا : ما نحن بتاركي ديننا ،... فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع ، فدخلت بيوتهم ((في غير مكائها) وامتألت منها آنيتهم وأطعمتهم ، ولا يكشف أحد شيئاً من ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع ، وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه ، وكانت تمتلىء منها مضاجعهم فلا يقصدون على الرقاد ، وكانت تقذف بأنفسها في القدرو وهي تغلي ، وفي التنانير وهي تفور .. (كل ذلك في غير مكائها)..

فما أروع هذا البيان والتبيان برسم الكلمة وتعدد قراءتها أو رسمها.



وكأمثال اللؤلؤ .. الواقعة.. ثابت الألف لأنه تعين للفهم جهة التماثل وهو البياض والصفاء

(ملحوظة : هذه قراءة ثانية لأنها مكتوبة في المصحف لدينا بدون ألف، ومعلوم أن الآية تشبيه للحوار العين (فهى ظاهرة من ناحية (مادى) وباطنة (معنوى وروحي وتشريفى) من ناحية أخرى).

ويقول الطاهر: كأمثال: ودخول كاف التشبيه على (أمثال) للتأكيد مثل قوله تعالى : { ليس كمثل شيء } الشورى : ١١ .. ويقول الطبرى: (كأمثال اللؤلؤ المكنون) يقول: هن في صفاء بياضهن وحسنهن، كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كن.

(إذن هو مثال لأمرين (اللؤلؤ) - في بياضه وصفائه.. وهو ((مادى)) .. والمثال الآخر هو في قوله (مكنون) لاتلمسه الأيدى... كناية عن الرفعة والطهارة والبعد عن شهوات الدنيا ((معنوى)).. وهذا يليق بمقام (الحوار العين).

وكذلك فإذا نفخ في الصور نفخة وحدة... ودكتا دكة واحدة ... الأولى محذوفة لأنها روحانية لا تعلم إلا إيماناً (أى النفخ في الصور - البوق - وهذا لم نر له شبيه له أو لقوته التي تمت وتحيى)... والثانية ثابتة جسمانية يتصور أمثالها من الهوى (وهى الدكة) وكذلك ألف (كتسيه) محذوفة لأنه ملكوتي - يقصد أن الكتاب ليس ملكى أنا ولكنه ملك الله أوجده هو ليكون شاهداً على - فهو ليس ملكى .. بخلاف حسابى على أعمالى التي هى ملكى وتخصنى وكانت ظاهرة لى وأنا عملتها وستأتى على هيئتها) - إضافة إلى أن صفة الكتاب مجهولة بالنسبة لى .. بخلاف صفة الحساب التي ستكون على ما علمناه في الدنيا... (كتسيه بدون ألف في المصحف أيضاً.. وحسابيه بالألف.. وهو مطابق لقراءة الزركشى)

وألف (حسابيه) ثابتة لأنها ملكية.. وهما معا في موطن الآخرة ... وكذلك (القضية) - القاضية - ملكوتية (ولكنها كتبت بالألف - كقراءة ثانية - لتصور لنا القاضية التي نعلمها والتي لانعلمها .. وكأنه يصرخ ويطلب أن يمته الله ويفنيه بأى طريقة (معلومة أو مجهولة)

و"ماليه" ملكي محسوس (أى كل ما أملك من الماديات - وهى كذلك فى رسم المصحف-) فحذف الأول وثبت الثانى.

(ونزىد أن سلطـنيه بدون ألف لأنه لايقصد السلطان المعلوم لدينا من تاج الملك وغيره من الصور الدنيوية - وخاصة أن هناك من سيحشر ولم يكن له أى سلطان دنيوى من هذا النوع - ولكنه يقصد (سلطان الحجة والبرهان) - وراجع بحثنا عن (السلطن) كما رسمه اللفظ القرآنى.



وكذلك ولما برزوا (جلوت) هنا حذف الألف لأنه الاسم ((وربما يكون هذا البروز ليس لشخص جالوت وجسمه - فهو كغيره من القواد الذين ربما لايتظهرون فى الحرب بأجسادهم وينسب إليهم النصر على الأعداء بل وقتلهم ، وهؤلاء القادة يخططون وينسب إليهم الفعل ويذكر بإسمهم - كما تقول احتل نابليون بلد كذا وقتل الآلاف ومنهم فلان وفلان ، وهو ربما لم يياشر بيده كل ذلك ، ولكن نسب إليه لأنه هو المخطط والآمر .. وهكذا هم برزوا لجالوت لايشترط بروزهم لشخصه.

أما واقعة قتله هو - جالوت- على يد داود فقد وقع بالفعل على جسده؛ فإن الحقيقة والتاريخ التوراتى يقول أن داود قد باشر قتل جالوت بيده (بأن ضربه بالمقلاع فوق صريعا) فهنا المقتول هو (جسد) جالوت بالحقيقة لذلك لا يوجد خلاف فى رسمها بالألف. ولكن الخلاف فى الرسم - فى بروز هذا الشعب لجالوت - ليشير إلى هذا التساؤل:(هل هو بروز لجسد جالوت وعينه وشخصه) أم هو بروز معنى كما قلنا ونقولها : أن الملك بنى المدينة - وهو لم يياشر ذلك بنفسه وشخصه..... ولذلك يقول الزركشى: وقتل داود جالوت ثبت (أى الألف) لأنه مجسد محسوس ، فحذف الأول (برزوا لجالوت - على القراءة الثانية-) ، وثبت الثانى.

((وهذا الذى يجعلونه دليلاً على عدم الالتزام برسم المصحف برسمة واحدة فى جميع المصاحف هو عينه قمة الإعجاز ولا يختلف عما نراه فى تعدد القراءات الذى لا يخفى على أى عالم أو متعلم . ولكن هذا - تعدد القراءات- وجد من يظهره ويعلمه بخلاف رسم المصحف.))

وكذلك سبحن حذف ألفها لأنه ملكوتي إلا حرفا واحدا واختلف فيه (قل سبحان ربي) فمن أثبت الألف قال هذا تبرئة من مقام الإسلام وحصره الأجسام صدر به مجاوبة للكفار في مواطن الرد والإنكار ، ومن أسقط فلعلو حال المصطفى (ﷺ) لا يشغله عن الحضور تعلقه في الملكوت الخطاب في الملك (((وهذا رأى مقبول ومعقول لتوضيح القراءتين ؛ حيث أننا جميعاً نعلم أن التسبيح له طرفان: طرف ظاهر باللسان ، وآخر خفى بالجنان (القلب) ، وقلب محمد لا يتخلف عن لسانه فله الحالتين .. والقراءة بالألف لتظهر المعنى الثاني الذي قلناه (الذي يصور حدة الموقف - كما ذكرنا في شرحنا) وهو أولى الوجهين

**** وكذلك لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، ثبتت ألف ثالث لأنهم جعلوه أحد ثلاثة مفصلة ، فثبتت الألف علامة لإظهارهم التفصيل في الإله، تعالى الله عن قولهم ، وحذفت ألف (ثلاثة) لأنه أسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة. ((وهذا الرسم كأنه يصف قولهم الثلاثة في واحد))!! أى الثلاثة ذوات في ذات واحدة - كما يزعمون-**

**** وكذلك وما من إله إلا إله واحد (واحد في المصحف بالألف).. ويقول الزركشى: حذف من ((إله)) وثبتت في (واحد) ألفه ، لأنه إله في ملكوته تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة الإدراك ، واحد في ملكه (على قراءة إثبات الألف في واحد) تتره بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك ، هذا من جهة إدراكنا (أى ما يناسب حالة إثبات الألف) وأما من جهة ما هي عليه الصفة في نفسها فلا يدرك ذلك بل يسلم علمه إلى الله تعالى فتحذف (أى الألف على القراءة الثانية الموجودة بالمصاحف لواحد)... وعلى هذا نرى أن ((إله)) اتفقت القراءات على رسم واحد بدون ألف (لأن الألوهية ملكوتية ليس لها نظير مادي... ولكن (واحد) لها قراءتين بحسب تخيلنا نحن .. وربما يزيد ذلك المعنى - في واحد بالألف وبدون ألف) هو (أنه واحد في الذات وواحد في الصفات ... واحد في العدد وواحد في الوحدة... واحد متميز في الذات والعدد (بالألف)... وواحد في الصفات (بدون ألف)**

**** وكذلك المهتد وكذلك والباد (العكف فيه والباد) حذف الياء من (الباد) لأنه على غير حال الحاضر الشاهد وقد جعل الله لها سرا ((هنا يقصد أن هناك رسمة أخرى لكلمة (الباد) بدون ألف، حيث أن معنى الآية -العكف فيه والباد- في كتب التفسير: أي المقيم والطارىء، فالباد هو المقيم إقامة طارئة ومرتحل إلى بلده فهو ليس بمعنى الظهور المعتاد لدينا ، وليس بمعنى الظهور الدائم ، فهو له الحالتين وله الرسمين.**

ويذكر الإمام الداني اختلافاً آخر في رسم الكلمة في المصاحف الأخرى نقف عليه لنبين مدى الإعجاز المبهر فيهما، وهو قوله:
 واختلفت في قوله " ولأصلبناكم " في طه والشعراء ؛ ففي بعضها بإثبات واو بعد الهمزة (لأوصلبناكم) وفي بعضها بغير واو (لأصلبناكم) .. (واجتمعت على حذف الواو في الحرف الذي في الاعراف) أخبرني الخاقاني عن محمد بن عبد الله الأصبهاني بإسناده عن محمد بن عيسى قال الذي في طه والشعراء بالواو قال ومنهم من يكتبهما بغير واو وباللله التوفيق) انتهى.

والذي يهمنا في هذا العرض أن كلمة (لأصلبناكم) رسمت بالتخفيف - على أصلها بدون واو - وكتبت أيضاً في البعض الآخر بالثقل : أى بالواو - لتوحى بثقل الفعل (التصليب) - في سورتي (طه والشعراء) ، ولكنهم أجمعوا على كتابتها بالتخفيف في سورة الأعراف (أى إجماع على تخفيف فعل الصلب = القتل = في الأعراف، وكأنه لا يريد أن يركز عليه مثلما حدث في السورتين الأخرتين. وهنا يأتي السؤال : لماذا الإجماع على تخفيف فعل الصلب وعدم التركيز عليه في الأعراف ؟

وهنا - كما تعودنا في منهج البحث في إعجاز القرآن - لابد من استحضار السياق المصاحب لهذه الآيات في السور الثلاثة .. وعندها - باختصار سريع نلاحظ الآتى:

(١) في سورة الأعراف يقول ربنا ناقلاً الحدث مع فرعون وموسى والملا هكذا:

﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ ﴿١٩﴾ قَبْلَ أَنْ ءَأَذِّنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴿٢٠﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ (ثُمَّ) لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَأَمْنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبِّنَا أفرغ علينا صبراً وتوفقتا مسلمين ﴿٢٣﴾ (الأعراف).

ولاحظ ولا تنسى تذكر الكلمات بين القوسين وفوق الخط.

(٢) وفي (طه) ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدًا قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿١٦﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ (له) قَبْلَ أَنْ ءَأَذِّنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ (و) لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٢١﴾

(٣) وفي (الشعراء) تكاد تكون مثل آية طه هكذا ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ (له) قَبْلَ أَنْ ءَأَذِّنَ لَكُمْ

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ^٤ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ
(و) لَأَصْلِبَنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١﴾

** وهنا نقف لتأمل الفروق الثلاثة مستصحبين في ذاكرتنا إجماع المصاحف على تخفيف الصلب وعدم التركيز عليه في الأعراف - برسم الكلمة - وإليك التوضيح:
الخلاف بين سورة (الأعراف) من ناحية ، وسورتى (طه والشعراء) من الناحية الأخرى (لتشاههما) هو كالاتى:

(١) في سورة الأعراف - يتول فرعون: (ءَأْمَنُتُمْ بِهِ) وفي السورتين (ءَأْمَنُتُمْ لَهُ).
والاختلاف في حرف (به) و(له)؛ فالإيمان به (أى بالله) والإيمان (له) أى الرسول الذى ينقادوا له (موسى).. ولذلك حينما قال آمتم (له) وهو يقصد الرسول (موسى) قال ما يناسبه وهو ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾.. وحينما قال (آمتم به) قاصداً (الله) لم يذكر صفة موسى ولذلك قال بعدها ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ وهو إيمانكم بهذا الإله.

(٢) والأمر الثانى هو نوع الجريمة التى ألصقا فرعون بهم.

(٣) (في الأعراف) هى ﴿لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾. وهى بهذه الصورة مانسميه : جريمة إخراج الناس وإشاعة الفساد فى البلدة وقلب نظام الحكم (وهو مانسميه فى عصرنا هذا بجريمة : أمن دولة) ولها أقسى وأقصى أنواع العقوبة - كما نعلم - وفيها لا يستعجل فرعون قتلهم السريع - الذى يريجهم من العذاب الذى تتخيله - ولكنه سيقوم بالتعذيب ليس ساعة أو أيام بل ربما شهوراً أو سنيناً طويلة ينكل بهم ويعذب فيهم ويقطع فى أجسادهم هذه الفترة الطويلة التى ناسبها وضع حرف المهلة والتراخى - عدم التعجل على صلبهم - وناسبها وضع حرف العطف (ثم) الذى يفيد المهلة والتراخى (أى لأقطعن إيديكم وأرجلكم وأظل أقطع وأكرر فترة طويل . هلى أهم عندى من القتل الذى سيريجكم (ثم) - أى بعد هذه الفترة الطويلة من التنكيل - لأصلبكنم.. وواضح من هذا الشرح أنه لايركز على الصلب - الذى هو التخفيف عليهم وناسب ذلك إجماع القراء على رسمه الكلمة (لأصلبكنم) بالتخفيف لاغير.

(٤) وذلك بخلاف الموقف فى السورتين الأخرتين حيث أنه حدد نوع الجريمة لهم وهى أخف كثيراً من جريمة (أمن دولة) السابقة حيث يقول ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ

الْبَحْرِ) فالجرمة هو اتباعكم لهذا الساحر الماهر في السحر وسحر عقولكم - مع ملاحظة أن كلمة "الساحر" حينها كانت تعني المدح أيضاً ، ولذلك ذهبوا في سورة الزخرف لاستعطافه بقولهم ﴿ وَقَالُوا يَا تَأْيُتَ السَّاحِرِ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (١١)

١) إذن الجرمة هنا هينة ولذلك سوف لايركز السياق على التنكيل والتعذيب ولكنه سيركز أو لايركز على الصلب المريح لهم ومن هنا جاء الرسمين المخفف والمثقل ليتناغم ويتناسب مع هذا المشهد في السورتين (ونؤكد على أن الصلب في هذا الموقف أهون ملايين المراحل منالتنكيل والتعذيب .. وهذا ما أشار إليه الزمخشري عن شرحه لقوله تعالى في "غافر" ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ وقال أن النص لم يقل (ليقتلوه) ليشيع في الذهن تخيل ما سيحدث لهم من التنكيل والتعذيب الذي هو أشد من القتل) وبهذا يتبين كيف تشجع جميع وجوه الإعجاز مع رسم المصحف - حتى في تعدد الرسم له (على اعتبار صحة الرواية صحة كاملة) ليكونا (الجمال والكمال) معاً في النص القرآني المبهر في رسمه ومعناه.

وكانه يقولها برسم الكلمة وبحرف (ثم) أيضاً : أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه.

** وأضيف : أياً للإمام الزركشي حول كلمة (اللؤلؤ) بألف وبدون ألف. وكذلك زيدت بعد الهمزة من قوله كأمثال اللؤلؤا تنبيها على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون ، وعلى تفصيل الأفراد ، يدل عليه قوله كأمثال وهو على خلاف حال كأنهم لؤلؤ فلم ترد الألف للإجمال وخفاء التفصيل.

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ الواقعة.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لًا لَعُونٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) الطور.

(مرفوع والمرفوع لا يوضع فيه ألف) .

(ملاحظة : في المصحف لدينا: الآيتان.. بدون ألف.. وهذه الزيادة في المصاحف الأخرى - في الواقعة - لاماع منها وتكون بمثابة القراءتين ، وهي للفت النظر إلى أمر هام وزائد ، وهي مناسبة في وضعها لأنها تصف (الخور العين) ..

أما التي في سورة الطور فهي تصف (العلمان)، فكان هذا الرسم بزيادة الألف مع الحوَر العين لهذا العين لهذا الفرق وتكون بمثابة قراءتين.. مع ملاحظة كلمة (كأمثال) - في الحوَر العين التي فيها كمال المشابهة (بكاف التشبيه ، ومثل) ويوجد فيها أيضاً التفضيل لمخالف قوله (كأهم) - في العلمان - دون كمال المشابهة (لأن التشبيه بالكاف عطفاً) وعدم التفضيل....

بالإضافة إلى أن الواقعة تحدث عن السابقين - وهم أعلى الدرجات في الطور - وعن الذين آمنوا وأتبعهم ذريتهم بإيمان (وهم أقل في الدرجة). فكانت زيادة الألف في السابقين رمزاً لهذا الفرق بين الدرجتين: **أوراجع كتبنا الإصحاح الفصلي** في السورتين العجيب في المقارنة بين الطائفتين) **لنه لامت كذا** { منصفه } : راجع .. (هذه هي

أما إذا اعتبرنا التشبيه باللؤلؤ في الحائرين على أهمنا في الأشعة - وهي سجالة شمسية ولا يعلم كنهها وصفها إلا الله - فهذا تكون القراءة موحدة للإثنين (مذون الف) **بألف** **بألف** وهذا التوجيه لآمنع منه وهو مشابه لما يقوم بمثلة علماء القراءات في توجيه القراءات لوما أكثره .. وإن كان هذا التوجيه ليس فيه مباحة أو ألف ودوران **بألف** **بألف** وقال أبو عمرو كتبوا (اللؤلؤا) في الحج والملائكة بالألف (وهي هكذا في المصاحف لدينا).

الحج : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يدخلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيهاحرير (٣٣) عطا الله له (٣) سورة
فاطر : (جنات عدن يدخلونها يدخلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيهاحرير (٣٣) عطا الله له (٣) سورة

وأرى - والله أعلم - أن لآمنع من وضع الألف - في سورة الحج - لإثبات حركة النصب - في الإعراب - على أنها مفعول به للفعل (يحلون) ... **بألف** **بألف** **بألف** من أساور من ذهب ، ويحلون فيها لؤلؤا.. إضافة إلى وصفهم بأعلى صفات التعميم أو على القراءة الثانية من حذف الألف على أنها مجرورة - بالعطف على (ذهب) المجرورة. يقول الطاهر: وفي الحج: { ولؤلؤاً } قرأه نافع ، ويعقوب ، وعاصم بالنصب عطفاً على محل { أساور } ، أي يحلون لؤلؤاً أي عقوداً ونحوها . وقرأه الباقون بالجر عطفاً على اللفظ والمعنى : أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ.

وعن محمد بن عيسى الأصبهاني : كل ما في القرآن من لؤلؤ فبغير الألف في مصاحف البصريين إلا في موضعين في الحج والإنسان.

والإنسان: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا (١٩) ﴾ .
 (أى حسبتهم من شدة المطابقة) وليس لها هنا إلا إعراب واحد - مفعول به ثان للفعل حسب - ولها قراءة واحدة..

أما زيادة الألف في آية الحج فرمما لأنه فضل أكثر وأوضح في شرح الجنة ، وزاد قوله
 ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ - مع ملاحظة مشهد التحرك في هذا المشهد . ولم يذكر فيها (الظالم لنفسه) ...

بخلاف آية فاطر قال: (جنات عدن فقط) ، وهنا مشهد السكون لمن في الجنة حيث سماها جنات { عدن } أي إقامة بلا رحيل.. وأيضاً قال: { الذي أحلنا دار المقامة } أي الإقامة) .. وقال : { من فضله } أي بلا عمل منا يستحق ذلك الفضل فإن حسناتنا إنما كانت متاً منه سبحانه.. حتى في عذاب الكافرين فإنه يلزم حالة واحدة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾
 وقال عاصم الجحدري كلها في مصحف عثمان بالألف إلا التي في الملائكة (هل للتركيز على أنها (دار المقامة) ولوجود (ظالم لنفسه) مما يستدعى قراءة أخرى - بحذف الألف - ربما ، وربما لأسباب أخرى لاتعلمها ، لكن المقصود هو أنه لامانع من هذه القراءات .. وإن كنا - كما قلنا من قبل - لانعرف - ولايعرف الباحثون - كما قال د: غانم قدورى): هل هذه المصاحف المذكورة - بإسم المصاحف القديمة هي النسخة الأصلية من خط عثمان أم هي منسوجة بأيد كل مصر من الأمصار ، ويكون توجيهها كما نوجه باقى القراءات (في علم القراءات) وجوازها دون إلغائها.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عُدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾ فاطر.

أما آية الحج: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ... ﴾ .



ويقول الإمام الداني : قال أبو عمرو فإن سأل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف قلت السبب في ذلك عندنا إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للأمة واحتياطاً على أهل الملة وثبت عنده إن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ومن رسول الله (ﷺ) مسموعة وعلم إن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم مالا يخفاء به ففرقتها في المصاحف لذلك فجاءت مثبتة في بعضها ومحدوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وعلى ما سمعت من رسول الله (ﷺ) فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار.

مدى الثقة في الروايات الأخرى

الروايات الأخرى التي يقال عنها في المصاحف الأخرى أو في بعض الوثائق. وقد تعمدنا الوقوف على هذا الموضوع الهام جداً والذي كان يمكن لنا إهماله وعدم ذكره لولا أننا وجدنا أن بعض علمائنا الأفاضل يشير - من بعيد مرة ومن قريب مرة أخرى - إلى أنه قد وجد بعض الكلمات مرسومة في أحد المصاحف بصورة أخرى لرسم المصحف الإمام ، ثم يأخذون ذلك دليلاً على أن الرسم هذا ليس له خصوصية وأنه قد وصل ببعضهم إلى قولهم أن هذا الرسم هو خطأ من الكاتب !!! كل ذلك اعتماداً على هذه الروايات المخالفة لرسم المصحف الإمام .

وقد قمنا على الصفحات الماضية بالإشارة إلى أنه لا مانع لدينا - ولدى هؤلاء - من وجود رسمين كما هو الحال في علم القراءات الذي عشناه كثيراً طوال هذه الرحلة والذي تعدى أحياناً حدود المعقولة في بعض تبريرات العلماء لهذه القراءات التي تصل أحياناً إلى درجة التناقض، وقد قمنا بتوجيه بعض هذه الرسومات التي وصلت إلينا رغم عدم ثقتنا وقينتنا بهذه الروايات التي قلنا (لأنصدقها ولا نكذبها) لأنها روايات آحاد لا ترقى - أدنى رقى - إلى مرتبة هذا النص المتواتر بين رتي هذا المصحف .

ونظراً لخطورة هذا الأمر نقف مع رأى الإمام الداني - الذي ينقلون عنه هذه الروايات والذي ينقل لنا بعض هذه القراءات - ونرى معه مدى مصداقية هذه الروايات في ثنايا حديثه، وإليك بعد هذه الروايات ونص حديثه حيث يقول:

وقد روى أحمد بن يزيد الحلواني عن إبراهيم بن الحسن بن بشار عن أسيد إن في مصاحف أهل المدينة " لتربوا " في الروم و " كالذين آذوا موسى " في الأحزاب بغير

ألف بعد الواو، ولم أجد كذلك في شيء من المصاحف ((هذا يدل على أن هذه رواية آحاد ولم يرها الكاتب نفسه في جميع المصاحف))

ويقول: رأيت في الإمام مصحف عثمان " وأكن من الصالحين بحذف الواو" واتفقت بذلك المصاحف فلم يختلف.

وقال الحلواني أحمد بن يزيد عن خالد بن خدّاش قال قرأت في الإمام أمام عثمان " وأكون " بالواو وقال رأيت المصحف ممتلئاً دماً وأكثره في والنجم.

** (وهذا دليل على أن الروايات التي تروى خلاف ما هو موجود بالمصحف لدينا هي روايات آحاد يجوز عليها الصدق والكذب .. ولا تدرى ما مقصدهما في قولهم (المصحف الإمام) وهل هو نسخ لتعدد القراءات أم أنه - كما رأينا - نقل آحاد (رواية عن فلان حدثني عن فلان) والدليل على ذلك قول الإمام الداني بعدها:

وحدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال قال القراء حذفوا الواو والجمع في المصحف في قوله " نسوا الله " ، قال أبو عمرو ولا تعلم إن ذلك كذلك في شيء من

مصاحف أهل الأمصار والذي حكى عن القراء غلط من الناقل !!

ولهذا ادعوا إخواننا العلماء الذين استندوا على هذه الروايات وجعلوها دليلاً على اختلاف الرسم - مما يسقط خصوصية الرسم العثماني بالنسبة لهم ويجعلونه خطأ من الكاتب - ادعوا هؤلاء أن يعيدوا قراءة وتدبر هذه الإشارات ، ويعلموا أنه لا يمكن أن نترك النص المتواتر المتواجد بين أيدينا ونذهب وراء روايات فردية (آحاد) لو رويت في علم القراءات بهذه الصورة لتم رفضها بلا تردد .. ولكننا نحاط لهم ومعهم ونقول : أن هذه الروايات المخالفة للرسم الموجود لدينا تحمل الصدق والكذب - ولا مانع ولا حرج في توجيهها كما رأينا - بخلاف الرسم المتواتر الموجود لدينا))

وقال محمد بن عيسى رأيت في المصاحف كلها " شيء " بغير ألف ما خلا الذي في الكهف يعني قوله " و لا تقولن لشيء " ، قال وفي مصحف عبد الله رأيت كلها بالألف " شيء " ، ثم يقول: قال أبو عمرو (ولم أجد شيئاً من ذلك في مصاحف أهل العراق وغيرها بألف).

(وهذا تناقض آخر في روايات الآحاد ولينته القارئ لذلك حتى لا يحكم هذه الروايات في الرواية المتواترة لدينا، وينتج عليها أحكاماً على غير الحقيقة)

قال أبو عمرو ورأيت أبا حاتم قد حكى عن ايوب بن المتوكل أنه رأى في مصاحف أهل المدينة " إنا لنصر رسلنا " في غافر بنون واحدة ولم نجد ذلك كذلك في شيء من المصاحف وبالله التوفيق. ((هذا يؤكد على أن الروايات الأخرى المخالفة لرسم المصحف لدينا غير دقيقة وعليها اختلاف أو بمعنى آخر روايات فردية- آحاد- وهذا الاختلاف اختلاف صوري وليس بقوة اختلاف القراءات في علم القراءات بل لايساوى مثقال ذرة من ذلك الاختلاف في علم القراءات) .

ويقول مكرراً: وفي المائة " فسوف يأتي الله " بالياء قال أبو عمرو وكذلك جاء في (الرواية) بغير ياء بعد التاء وذلك غلط لا شك فيه لأنه فعل مرفوع وعلامة رفعه إثبات الياء في آخره ، ويقول: (ولا خلاف بين مصاحف أهل المصار في ذلك) وقد تأملته انا في مصاحف أهل العراق وغيرها فوجدته كذلك (لاحظ هذا الخلط في الروايات الفردية)

ويقول: وفي المؤمنون في مصاحف أهل البصرة " سيقولون الله قل افلا تتقون " و " سيقولون الله قل فأنى تسحرون " بالألف في الاسمين الأخيرين وفي سائر المصاحف " لله " " الله " فيهما قال أبو عبيد .

ويقول: وكذلك رأيت ذلك في الإمام، وقال هارون الأعور عن عاصم الجحدري كانت في الإمام " لله " " الله " " وأول من الحق هاتين الألفين نصر بن عاصم الليثي، وقال أبو عمرو كان الحسن يقول: الفاسق عبيد الله بن زياد فيهما ألفا، وقال يعقوب الحضرمي أمر عبيد بن زياد إن يزداد فيهما ألف. !!!؟؟؟؟. ويكمل قائلاً: قال أبو عمرو وهذه الأخبار عندنا لا تصح لضعف نقلتها واططرابها وخروجها عن العادة إذ غير جائز إن يقدم نصر وعبيد الله هذا الإقدام من الزيادة في المصاحف مع علمهما بأن الأمة لا تسوّغ لهما ذلك بل تنكره وترده وتحذر منه ولا تعمل عليه وإذا كان ذلك بطل إضافة زيادة هاتين الألفين إليهما وصحّ إن إثباتهما من قبل عثمان والجماعة رضوان الله عليهم على حسب ما نزل به من عند الله تعالى وما أقره رسول الله (ﷺ) واجتمعت المصاحف على إن الحرف الأول " سيقولون لله " بغير ألف قبل اللام

وفيها في مصاحف أهل الكوفة " قل كم لبثتم " و " قل إن لبثتم " بغير ألف في الحرفين ، وفي سائر المصاحف " قال " بالألف في الحرفين وينبغي أن يكون الحرف الأول في مصاحف أهل مكة بغير ألف والثاني بالألف لأن قراءتهم فيهما كذلك ولا خير عندنا في

ذلك عن مصاحفهم إلا ما رويناه عن أبي عبيد انه قال ولا أعلم مصاحف أهل مكة إلا عليها يعني على اثبات الألف في الحرفين

ويقول: وفي الزخرف في مصاحف أهل المدينة والشام " يعبادي لا خوف عليكم بالياء وفي مصاحف أهل العراق " يعباد " بغير ياء وكذا ينبغي إن يكون في مصاحف أهل مكة لأن قراءتهم فيه كذلك (ولا نص عندنا في ذلك عن مصاحفهم إلا) ما حكاه ابن مجاهد إن ذلك في مصاحفهم بغير ياء ورأيت بعض شيوخنا يقول ذلك في مصاحفهم بالياء (وأحسبه) ذلك من قول أبي عمرو إذ حكى أنه رأى الياء في ذلك ثابتة في مصاحف أهل الحجاز ومكة من الحجاز والله اعلم.

ويقول: وفيها في مصاحف أهل المدينة والشام " ما تشتهيه الأنفس " بهاءين ورأيت بعض شيوخنا يقول إن ذلك كذلك في مصاحف أهل الكوفة وهو غلط ، قال أبو عبيد وبهاءين رأيت في الإمام وفي سائر المصاحف " تشتهي " بهاء واحدة. ونكتفى بهذا القدر وفيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وترك الحكم للقارىء مع الدعوة المخلصة لأحبابنا العلماء لمراجعة موقفهم هذا الذى بنى على غير الواقع.



ختام واعتذار

بعد هذه الرحلة الجميلة والمتعة للعقل والمشبعة للعاطفة مع رسم الكلمة في القرآن الكريم - شأنها شأن جميع الرحلات مع هذا الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد-.

نشير للقارئ الكريم إلى بعض النقاط الهامة الآتية وهي:-

أولاً: كان حجم هذا الكتاب قد وصل إلى ألف صفحة أو يزيد ، وهذا قد أوقعنا في حرج شديد وحيرة بالغة حيث أننا نريد أن يصل البحث كاملاً دون نقصان أو إخلال، ودون ترك أي كلمة دون النظر والتدبر فيها . ولكن كان هذا مستحيلًا أن يكون في مجلد واحد . وفي الناحية الأخرى سيكون مؤلماً للنفس أن يكون ذلك علي مجلدين حيث أنه ربما يقتني القارئ مجلداً ويترك الآخر - لسبب أو لآخر - وبذلك ينقطع التواصل والتكامل في ذات الموضوع الذي يجب أن يصل كاملاً دون ترك فرصة لوسوسة شياطين الإنس والجن في إثارة الشبهات في ما لم يدركه القارئ.

ولذلك كانت الحيرة البالغة والألم الشديد ونحن نقوم مضطرين بالحذف لأجزاء كثيرة والاختصار للبعض الآخر.

وقد قمنا بحذف الفقرات والكلمات التي كنا نري فيها وجه الشبه للفقرات الأخرى التي أثبتناها وناقشناها علي صفحات البحث واكتفينا بالإشارة والتلميح تارة ، واعتمدنا علي فهم القارئ تارة أخرى.

ونكرر مرة ثانية: أن هذا التصرف - من الحذف والاختصار- قد آلم نفوسنا ولكننا كنا مضطرين لذلك .

ثانياً: الأمر الثاني أن هذا البحث قد صاحبه سرعه واستعجال في إصدار الكتاب وتقصير في حسن تبويبه وتنسيقه على الوجه الذي يليق بمقام البحث لسببين أساسيين وهما :-

* السبب الأول: وهو الإلحاح الشديد من الإخوة الذين يسمعوننا ويحضرون دروسنا في المساجد أو علي القنوات الفضائية لإتمام هذا البحث علي وجه السرعة لما فيه من المتعة العقلية والروحية ولأنه لون جديد من الإعجاز لم تألف سماعه الآذان من قبل.

* السبب الثاني : هو إتاحة الفرصة لإتمام بحث آخر لا يقل عنة أهمية وهو عن سبب التكرار في القرآن الكريم وهو في أربع مجلدات بعنوان (الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم) وهو أيضاً باب في غاية المتعة والجمال قد قصر في بيانه أئمتنا الأعلام من

علماء التفسير والبيان ، وإن كنا نجمع أطراف أقوالهم المتناثرة والتي وردت في أماكن متفرقة في بطون كتبهم من البلاغة أو التفاسير ثم نضيف إليها ما تحتاجه من الإضافة، وهذا العمل يوضح الجمال والكمال والمتعة والإبهار والتناسق والتناغم العظيم في هذا اللون من الجمال وهو ما نسميه (بالتكرار في القرآن الكريم) - وما هو بالتكرار في الحقيقة - وهذا البحث الشيق والممتع قد عشنا طرفا منه في بحثنا هذا سريعا في تصويرنا للجمال والجلال في رسم الكلمة، ونشير للقارئ علي وجه الخصوص والتذكرة إلى هذا المنهج ومراجعته في شرحنا لرسم الكلمة (الكتاب والقرآن) بألف وبدون ألف ، والتطبيق العملي علي ذلك في سورتي النمل والحجر ، ورأينا مدي التناسق والتناغم في رسم مشاهد الصورة من أولها لآخرها مع رسم الكلمة التي كنا نتحدث عنها .

وتكررت الإشارة لذلك المنهج أيضا في مواقف كثيرة نذكر منها في سورة (تبارك) حيث كتبت كلمه "تبارك" بدون ألف ومقارنتها بسورة (الفرقان) حيث كتبت "تبارك" بالألف . وتساءلنا وقتها لماذا حدث هذا ؟ ورأينا أن الكلمة "تبارك" قد رسمت علي هذه الصورة خصيصا لهذه السورة وكان هذه السورة قد فصلت خصيصا من أجل هذه الكلمة أو أخواتها من الكلمات . ومثلها أيضا رسم كلمة (سعوا) بالألف في سورة الحج (وسعوا) بدون ألف في سورة سبأ.

وأیضا توفقنا علي رسم كلمه المألأ بالألف مره وبالواو الزائدة مرة أخرى (الملأوا) وقد رأينا أن هذا المنهج الخطير يرسم مشاهد الصورة متناسقا مع رسم الكلمة . وفي رحلتنا مع الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم سنؤكد علي أن هذا المنهج ليس فلة عابرة ولكنه منهج أصيل في كل سور القرآن الكريم .

وهذه الرحلة مع الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم تنسي المرء كل كيانه وتجعله في شغل تام ولذة لا تنقضي مع الجمال والكمال في النص القرآني وهذا هو السبب الثاني الذي شغلنا عن هذا البحث وجعلنا نتعجل في إتمامه وقد شغلنا بهذا الجمال عن هذا الجمال .

الأمر الثالث :والذي يجب التنبيه إليه وهو الإحساس الدائم والمستمر بالتقصير الشديد وعجزنا عن إيصال هذا العمل إلي درجه الكمال و نشعر بذلك دائما بعد كل مراجعة للبحث قبل نشره وطبعه أنه في حاجة إلي إضافة أو تعديل وأنه ما زال هناك الكثير والكثير الذي يجب أن يضاف إلى هذا البحث وربما تحين الفرصة للقيام بعمل ملحق إضافي نضع فيه آراء القراء أيضا وتعليقاتهم وإضافاتهم .

ونؤكد علي أنه لا يمكن لنا الادعاء بالعصمة من الخطأ أو النسيان بل نسأل الله عز وجل العفو والمغفرة من ذلك .

من أمثلة هذه الأخطاء التي استدركتنا بعد نهاية البحث هو ما سيلاحظه القارئ من أننا كنا نشير مرة إلي علمائنا وأئمتنا الأعلام بتقديم اللقب الذي يليق بهم مثل (العلامة) أبو السعود أو (الأئمة) الألووسي أو الطاهر أو الزمخشري أو الرازي أو البقاعي أو غيره وكلهم أئمة أعلام يستحقون وضع هذا اللقب ، ولكننا كنا تارة أخري ننسي أن نضيف هذا اللقب اعتماداً منا علي فهم القارئ لقدر هؤلاء العلماء الذي أشرنا إليه من قبل وضيق الوقت والمقام في تكرار ذلك كل مرة ؛ وهم أئمتنا ومصايح العلم والهدي وليغفر لنا قارئنا العزيز هذا الخطأ الغير متعمد.

ولعل القارئ يلحظ أمثال هذه الأخطاء الغير متعمدة أو يريد أن يضيف رأياً أو آراءً مكملةً لهذا البحث أو معدلة له . ونحن نرحب بذلك بل وننتظره من أحبائنا ونعدهم جميعاً بأننا سوف نضيف هذا الرأي أو ذاك في الطبعة الثانية . وما علي القارئ الكريم إلا الاتصال بالتليفون الخاص بالكاتب والمقيد بظهر الغلاف وجزاه الله خيراً .

وموعدنا مع كتاب آخر في سلسلة الجمال والكمال في القرآن الكريم .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ولقد تم بحمد الله وفضله ومنته الانتهاء من هذا البحث في شهر رمضان المبارك ١٤٢٩ هـ الموافق سبتمبر ٢٠٠٨

دكتور: سامح عبد الفتاح محمد القليفي

المراجع

بعض أسماء الكتب والمراجع الهامة .

- ١- تفسير روح المعاني ، للإمام الألوسي.
- ٢- تفسير إرشاد العقل السليم ، للإمام أبو السعود.
- ٣- تفسير الكشاف ، للإمام الزمخشري.
- ٤- تفسير التحرير والتنوير ، للإمام الطاهر بن عاشور.
- ٥- التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين الرازي.
- ٦- تفسير الإمام الطبري.
- ٧- تفسير الإمام البقاعي.
- ٨- تفسير الإمام التعالي.
- ٩- تفسير الإمام السمرقندي.
- ١٠- تفسير فتح القدير ، للإمام الشوكاني.
- ١١- تفسير الظلال ، للشهيد سيد قطب.
- ١٢- التفسير القيم ، للإمام بن القيم الجوزية.
- ١٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، للإمام جلال الدين السيوطي.
- ١٤- الإتقان في علوم القرآن ، للإمام جلال الدين السيوطي.
- ١٥- البرهان في علوم القرآن ، للإمام الزركشي.
- ١٦- الخصائص ، للإمام ابن جني.
- ١٧- ملاك التأويل ، للإمام الزبير القرناطي.
- ١٨- أسرار التكرار في القرآن الكريم ، للإمام أنكرماني.
- ١٩- تأويل مشكل القرآن ، للإمام ابن قتيبة.
- ٢٠- التبيان في أقسام القرآن ، للإمام ابن القيم الجوزية.
- ٢١- إجاز في اللغة والقرآن الكريم ، للدكتور/عبد العظيم المطعني.
- ٢٢- خصائص التعبير القرآني ، للدكتور/عبد العظيم المطعني.
- ٢٣- مجموعة مقالات شهرية عن (خصوصيات الرسم العثماني) على مجلة اللواء الإسلامي لمدة عامين تبدأ من ديسمبر ٢٠٠٠ ، للأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني.
- ٢٤- دراسات جديدة في إعجاز القرآن ، للدكتور عبد العظيم المطعني.
- ٢٥- معاني النحو ، ٤ مجلدات ، للأستاذ الدكتور/فاضل السامرائي.
- ٢٦- التعبير القرآني ، للأستاذ الدكتور/فاضل السامرائي.
- ٢٧- معاني الأبنية في العربية ، للأستاذ الدكتور/فاضل السامرائي.
- ٢٨- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، للأستاذ/مصطفى صادق الرافعي.

- ٢٩- الحجة في القراءات ، لأبي علي الفارسي.
- ٣٠- معاني القراءات ، لأبي منصور الأزهرى.
- ٣١- الإعجاز الأعجمى في القرآن الكريم ، للدكتور/رعوف أبو سعدة.
- ٣٢- علم الأصوات ، للدكتور/كمال بشر.
- ٣٣- عنوان الدليل في مرسوم خط التثريل ، للإمام أبي العياش أحمد ابن البناء المراكشى.
- ٣٤- المقنع في رسم المصاحف ، للإمام الداني.
- ٣٥- من روائع البيان ، للدكتور/تمام حسان.
- ٣٦- الإعجاز البياني للقرآن ، للدكتورة/عائشة عبد الرحمن.
- ٣٧- سر الإعجاز ، للدكتور/عودة الله منيع القيسى.
- ٣٨- أثر الدلالة النحوية واللغوية ، للدكتور/عبد القادر عبد الرحمن السعدى.
- ٣٩- الترادف في القرآن ، للدكتور/محمد نور الدين المتحد.
- ٤٠- من بلاغة القرآن ، للدكتور/أحمد بدوى.
- ٤١- الفاصلة في القرآن ، للدكتور/محمد الحسناوى.
- ٤٢- دلالات التراكيب ، للدكتور/محمد أبو موسى.
- ٤٣- التصوير البياني ، للدكتور/محمد أبو موسى.
- ٤٤- البلاغة عند الزمخشري ، للدكتور/محمد أبو موسى.
- ٤٥- من أسرار حروف العطف ، للدكتور/محمد الأمين الخضرى.
- ٤٦- من أسرار حروف الجر ، للدكتور/محمد الأمين الخضرى.
- ٤٧- صيغ الجمع ، للدكتور/محمد الأمين الخضرى.
- ٤٨- التوجيه البلاغى للقراءات في القرآن ، للأستاذ الدكتور/أحمد سعد محمد ، مكتبة الآداب.
- ٤٩- النبأ العظيم ، للأستاذ الدكتور/محمد عبد الله دراز.
- ٥٠- حصاد قلم ، للأستاذ الدكتور/محمد عبد الله دراز.
- ٥١- نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى ، للدكتور/أحمد عبد المجيد خليفة.
- ٥٢- رسم المصحف العثماني ، للدكتور/عبد الفتاح إسماعيل شلى.
- ٥٣- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ٥٤- الفروق في اللغة ، لأبي هلال العسكري.
- ٥٥- الإعجاز القصصى والتكرار في القرآن ، للدكتور/سامح القليبي.
- ٥٦- وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ، للدكتور/سامح القليبي.



الفهرس

رقم الصفحة

- أ المقدمة ❁
- ١ التمهيد وخطة البحث ❁
- الفصل الأول:
- ٤ حذف الواو وأمثلة كثيرة ❁
- ٩ زيادة الواو (١) وأمثلة كثيرة. ❁
- ١٣ زيادة الواو (٢) في أطراف الأسماء. ❁
- ١٧ زيادة الواو وسط الأسماء وأمثلة كثيرة. ❁
- ٣٢ زيادة الواو في أواخر الأسماء وأمثلة كثيرة. ❁
- ٦٧ زيادة الياء وأمثلة كثيرة. ❁
- ٨٤ حديث (إن في القرآن لحناً....) الحق والحقيقة. ❁
- ١٠٨ حذف الياء (١). ❁
- ١٢٣ حذف الياء (٢). ❁
- ١٤٥ حذف الياء في فواصل الآي ❁
- ١٩٠ زيادة الألف وأمثلة كثيرة. ❁
- ٢٠٧ حذف الألف وأمثلة كثيرة. ❁
- ٢٢٦ الأسماء الأعجمية. ❁
- ٢٣٦ القبض والبسط : أى إغلاق التاء وفتحها. ❁
- الفصل الثاني:
- ٢٨٠ الفصل والوصل بمعنى فصل الحروف من بعضها أو وصلها وأمثلة. ❁
- الفصل الثالث:
- ٣٢٧ مناقشة للرأى الآخر ويمثله د/غانم قدورى وأمثلة أخرى ❁

❁ باب الذكر والحذف ودرس بلاغى ٣٤٩
الفصل الرابع:

❁ مدخل إلى الإعجاز في رسم الكلمة عن طريق علم القراءات. ٣٨٦
الفصل الخامس:

❁ ملحقات هام وتطبيق عملي على حذف الألف وإضافته ومئات الأمثلة الهامة والخطيرة بالشرح والتوضيح وعلى قمتها: ٣٤١

- الكتابة بالألف وبدون ألف.
- القرآن بألف وبدون ألف وتطبيق عملي.
- تراب بألف وبدون ألف.
- عظام بألف وبدون ألف.
- شجرة النسب .. ثم مئات الأمثلة الهامة.
- وبالوالدين إحساناً.

الفصل السادس:

❁ جرس الكلمة : دروس خطيرة وهامة على رسم الكلمة وعلاقتها بجرس الكلمة. ٦٥٩

❁ أمثلة لتعدد الرسم كما هو الحال في تعدد القراءات. ٦٨١

❁ مدى الثقة في الروايات الأخرى. ٦٩١

❁ ختام واعتذار. ٦٩٠



ملحق لحديث الغمام (بالألف وبدون الألف) وص ٤٣٢ ، ٦٧١

(١) { وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (٥٧) سورة البقرة... (خطاب مباشر (وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ). وفيه ظهور لرب العزة ، وبصيغة الجمع والحضور، وقال : كلوا

(واشربوا). فذكر الشرب الذي يناسب التركيز والإظهار لدور الغمام وإظهار الألف.

(٢) وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (١٦٠) سورة الأعراف.. خطاب بصيغة الغائب وليس بالخطاب المباشر - (وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ) - ، ولم يقل أيضاً: كلوا

(واشربوا)، ولكنه قال (كلوا) فقط ، وهذا تقليل من دور الغمام ؛ مما ناسبه حذف الألف

(٣) { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (٢١٠) سورة البقرة. هنا خطاب تهديد ووعيد، وللإهود، وفي

الدينا(فاستدعى إظهار الألف)

ويوضحه ما يقوله الإمام الرازي بعد عرضه لأقوال المفسرين: الوجه السادس : وهو

أوضح عندي من كل ما سلف : أنا ذكرنا أن قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا

فِي السَّلَامِ كَافَّةً } [البقرة : ٢٠٨] إنما نزلت في حق اليهود ، وعلى هذا التقدير فقوله :

{ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة : ٢٠٩]

يكون خطاباً مع اليهود ، وحيثذ يكون قوله تعالى : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي

ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ } [البقرة : ٢١٠] حكاية عن اليهود ، والمعنى : أنهم لا يقبلون

دينك إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل

ذلك فقالوا : { لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً } [البقرة : ٥٥] وإذا كان هذا

حكاية عن حال اليهود ولم يمنع إجراء الآية على ظاهرها ، وذلك لأن اليهود كانوا على

مذهب التشبيه ، وكانوا يجوزون على الله الجيء والذهاب ، وكانوا يقولون : إنه تعالى

تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد

عليه الصلاة والسلام ، ..) انتهى. - فهي مطالب دنيوية وسياق تهديد ووعيد بأن يأتيهم عذاب الله من حيث لم يحتسبوا فناسبه إظهار الألف.

(٤) { وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ } وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا { (٢٥) سورة الفرقان

هنا الخطاب والحديث عن الآخرة وعلامات يوم القيامة ونزول الله بالغمم مع الملائكة على الحالة الغيبية التي تجهلها فناسبها إخفاء الألف

** من هذا يتبين أن إظهار الألف مع مشهد القوة في الظهور والتهديد والوعيد الدنيوي، ويكون إخفاء الألف مع ضعف الظهور وحديث الغيبة أو الحديث عن الدار الآخرة.

يتوقف المسلم وغير المسلم والعالم وغير العالم أمام رسم الكلمة في القرآن الكريم وكيف رسمت علي أشكال مختلفة رغم القراءة الواحدة لها وذلك كمثال:

(شجرة، شجرت) (سبحان، سبحن) (بسم الله، باسم ربك) (طائف من ربك، طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ)
(سنة، سنت) (كذأبا، وَلَا كَذِبًا) (الضعفاء، الضَعْفَتُوا) (تَبْرَكَ أَمَّ رَبِّكَ ذِي الْجَلِيلِ وَالْإِكْرَامِ)
(جنة، جنت) (البلاء، الْبَلَاءُ) (امراة، إمرأت) (نعمة.. نعمت الله لاتحسوها)
(جزاء، جزؤا) (رحمة، رحمت) (أبناء، أَبْنَاءُ) (وراء حجاب، وَرَآيَ حِجَابٍ)
(دعاء، دُعَاؤًا) (الصَّلَاةُ، الرِّبَا) (القواعد، وَالْقَوَاعِدُ)

وهكذا الآلاف المؤلفة من الأمثلة التي سينعشها في هذا البحث الذي تنفاوت حوله الآراء وتختلف عنده الأفكار ؛ فمنهم من توهم أن ذلك خطأ من الكاتب ، ومنهم من قال أنه سر من الأسرار لا يعلمه الا الله ، ومنهم من حاول ولكن قصر باعه وأعلن عجزه عن الوصول وأقر أنه يحتاج إلي جهد أجيال متعاقبة وليس جهد فرد واحد .
وهذا الكتاب هو أول كتاب يتناول هذه القضية علي أرض الواقع ومن واقع النصوص القرآنية ومن أقوال علماء التفسير والبلاغة وعلم الصوتيات وغيرها ، وكتب هذا البحث الدكتور : سامح القلبي له مؤلفات كثيرة أثري بها المكتبة الإسلامية ومنها هذا الكتاب والكتب التالية :

كتب مقارنه الاديان :

- 1- البحث عن الحقيقة.
- 2- وأنا أدعوكم إلي العزيز الغفار.
- 3- فلسفه الغفران بين الإسلام والعقائد الأخرى.
- 4- الرد علي كتاب "هل تنبأ الكتاب المقدس بنبي المسلمين"
- 5- داوود في الكتاب المقدس.
- 6- الرد علي الجواب.
- 7- حكايا مقدسه في الكتاب.

- 1- سلسله الإعجاز القصصي والتكرار في القرآن الكريم.
- 2- أسلوب الالتفات في القرآن الكريم.
- 3- جرس الكلمة في القرآن الكريم .
- 4- آية السيف وقضيه الناسخ والمنسوخ.
- 5- سلسله ردود إسلامية بعنوان (بل أولئك هم الظالمون).
- 6- لماذا أنا مسلم؟.

مكتبة وهبة

١٤ ش الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت : ٢٣٩١٧٤٧٠

السعر ثلاثون جنيها